

الْبصيرة

مَعْرِفَاتُ الْجَمَالِ

فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ
تَحْلِيلًا وَتَقْوِيمًا

تَأَلَّفَ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرَجِ الْعَقَلِ

تَقْدِيمُ

الدُّعَاةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَرَفَةَ

الْأُسْتَاذَ الْمُشَارِكِ بِقِسْمِ التَّقَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

مَكْتَبَةُ النُّسُخَةِ
التَّبَايُضُ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع

* المملكة العربية السعودية . الرياض . طريق الحجاز
ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٢٢٨١
E-MAIL: alrushd@suhuf.net.sa
www.alrushd.com



- * فرع مكة المكرمة: - هاتف ٥٥٨٥٤٠١ - ٥٥٨٣٥٠٦
- * فرع المدينة المنورة: - شارع أبي ذر الغفاري - هاتف ٨٢٤٠٦٠٠
- * فرع القصيم بريدة طريق المدينة - هاتف ٣٢٤٢٣١٤
- * فرع أبها: - شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧
- * فرع الدمام: - شارع ابن خلدون - هاتف ٨٢٨٢١٧٥
- وكلاؤنا في الخارج
- * الكويت: - مكتبة الرشيد - حولي - هاتف: ٢٦١٢٣٢٧
- * القاهرة: - مكتبة الرشيد - مدينة نصر - هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥
- * بيروت: - الدار اللبنانية - شارع الجاموس - هاتف: ٠٠٩٦١٣٨٤٢٤٥٧
- * عمان: الاردن - دار النبلاء - هاتف: ٥٢٣٢٦٥٨

معوقات الجهاد

في العصر الحاضر

تحليلًا وتقويمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، والقائل في حجته على الخلق أجمعين:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تُظْلَمُونَ﴾ (١).

وأصلي وأسلم على عبده ورسوله ﷺ، أرسله بالحق هادياً ونصيراً وللصراط
مرشداً ودليلاً، فقال موجهاً أمته ومحذراً:

((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِنَفْسِهِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ)) (٢).

ورضي الله عن صحابته أجمعين، ومن سار على هديهم من الخلف
الصالحين، الذين استضاءوا بنور الإيمان، فأصبحوا مصابيح تضيء دياجير الظلام،
وتقيم المعوج على هدي سيد الأنام، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (قوام الدين،
بكتاب يهدي، وسيف ينصر) (٣).

أما بعد:

فهذه إضاءات أضعتها بين يدي هذه الرسالة؛ لتوضيح ما يجب إيضاحه في
مثلها، حول موضوع البحث، فأقول:

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٤٧.

(٣) الفتاوى، ج ١٠ ص ١٣.

أ: أهمية الموضوع .

أهمية الموضوع تكمن في مكانة موضوعه في الإسلام، فالجهاد ذروة سنام الإسلام، يقول ﷺ: ((رَأْسُ هَذَا الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ...))^(١).

وأفضل الأعمال بعد الإيمان بالله، فعندما سُئِلَ ﷺ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)) قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...))^(٢).

والمجاهد أكمل الناس إيماناً، يقول ﷺ: ((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ))^(٣).

كما تكمن أهمية الموضوع في دوره التاريخي في إسعاد البشرية، وإكساب الأمة الإسلامية عزاً وتمكيناً، فعندما علت رايته، علت كلمة الله في كل مكان، وصاحب ذلك علو شأن من أعلاه فكان المسلمون بهذه الدنيا سادة، ولأممها قادة.

يقابل هذا الدور غياب هذه الذروة عن أذهان كثير من مسلمي اليوم، اسماً ورسماً، فلا الاسم يُذكر ولا الجهد يُبدل، حتى صارت الأمة عالة على الأمم، بعد أن نُزعت الهيبة من صدور أعدائها فأصبحت تَسْتَجِدِي فلا تُعْطَى، وَتُهَمَّشُ فلا تَوْجَلُ، تُدَكَّرُ بماضيها، فلا تَتِنُ لما فيها.

تقدير تلك الفجوة بين مكانة الجهاد وماضي الأمة المجيد، وبين نظرة مسلمي اليوم للجهاد وواقع الأمة المعاصر، يبين لنا بجلاء أهمية هذا الموضوع في بحثه عن تلك المعوقات التي أدت إلى هذا الواقع.

ب: أسباب اختيار الموضوع .

اخترت هذا الموضوع لأسباب منها:

١ - تعدد مصائب الأمة وأحوالها المؤلمة، يجعل من الواجب على كل فرد الإسهام بعمل يُسهم في إخراج الأمة من واقعها، وذلك أحد دوافع الاستمرار في مجال البحث والدراسة عموماً.

(١) حديث صحيح . السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٤٣٧٣].

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ١٨ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٤٧ .

٢ - عندما وفقني الله للاستمرار في مجال البحث والدراسة، بحثت عن موضوع أستطيع البحث فيه بصورة أفضل من غيره، فوجدت أن الأنسب لي البحث بموضوع له علاقة في موضوع رسالة الماجستير: (إعداد الجندي المسلم، أهدافه، وأسسه)، ويجمع بين الجدة والفائدة، فاخترت عدة موضوعات، وطرحتها على أستاذي الكريم، فضيلة الشيخ د. محمد بن عبد الله عرفة، فأشار سريعاً إلى مناسبة هذا الموضوع، فكان في ذلك تشجيعاً لي على الجد والاستمرار فيه.

٣ - أقول راية الجهاد، وغيابه عن أذهان كثير من مسلمي اليوم، زادني إصراراً ورغبة في الإسهام في إحياء هذه الفريضة، من خلال بيان عوائق ذلك الغياب.

٤ - قلة العناية دراسة وبحثاً بموضوع الجهاد، قياساً بمكانته من الدين، فكانت الرغبة في فتح آفاق دراسية متعددة حول هذا الموضوع، للإدلال عليها، والإسهام في إعادتها إلى الواقع الدراسي.

٥ - ما تواجهه فريضة الجهاد من هجمات فكرية شرسة، من قبل كفار حاقدين، ومسلمين مستسلمين، أو منحرفين، وكذلك ما يواجهه الجهاد من تشويه لصورته، ممن يصورون أعمالهم القتالية الدنيوية جهاداً.

ج : الدراسات السابقة .

الدراسات المتعلقة بفريضة الجهاد تتفق مع واقعه في حياة المسلمين، فواقعه غائب، والدراسات حول موضوعه فقهيًا، وفكريًا، وعسكريًا، قليلة جداً، لا تمثل ما يجب له، أما الكتابة في معوقات الجهاد فتكاد تخلو منها أغلب الدراسات السابقة، حيث لم أجد في أثناء اطلاعي المحدود على أحدٍ كَتَبَ عن معوقات الجهاد تحت عنوان مستقل، بل قد ترد في بعض المؤلفات متناثرة دون حصر تحت عنوان. وفي أخرى تظهر عن طريق الفهم لا عن طرق النص، أما الدراسة الوحيدة حول هذا الموضوع، فقد كتبها الدكتور عبد الله بن أحمد القادري في كتابه: (الجهاد في سبيل الله، حقيقته، وغايته)^(*)، تحت عنوان: (معوقات الجهاد في سبيل الله)، وحَصَّر

(*) أصل الكتاب رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه، تقدم بها المؤلف إلى قسم الفقه بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تلك المعوقات في التحريف الذي حدث في: معنى الإسلام، أمة الإسلام مفهوم دار الإسلام ودار الكفر، معنى الجهاد، تصور معنى الأجل والرزق وقد استفدت من هذه الدراسة كثيراً في بعض المباحث المتعلقة بتلك الموضوعات، فكانت تمثل في تلك المباحث نقطة انطلاق، وأساس بناء.

د: خطة الرسالة .

قسمت الرسالة إلى: مقدمة، تمهيد، معوقات معنوية، معوقات مادية، خاتمة، نسقتها على النحو التالي:

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، أسباب اختياره، الدراسات السابقة، خطة الرسالة، منهج البحث، مصادر البحث ومراجعته، أبرز الصعوبات التي واكبت إعداد الموضوع، شكر وتقدير لأصحاب الفضل والجميل.

تمهيد، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات.

المبحث الثاني: حقيقة الجهاد، ومشروعيته، وحكمتها.

الباب الأول: المعوقات المعنوية، في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في المجال العقدي والفكري، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الخلل العقدي .

المبحث الثاني: الوهن الروحي .

المبحث الثالث: الهزيمة النفسية .

المبحث الرابع: الغزو الفكري .

الفصل الثاني: في المجال الاجتماعي والخلقي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الترف، والتفكك الاجتماعي .

المبحث الثاني: التفرق والاختلاف .

المبحث الثالث: الفساد الخلقي .

الفصل الثالث: في المجال السياسي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأنظمة الوضعية .

المبحث الثاني: التبعية وبسط نفوذ الأعداء .

المبحث الثالث: النظام العالمي الجديد .

- الباب الثاني: المعوقات المادية، في ثلاثة فصول.
- الفصل الأول: في المجال الاقتصادي، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: إهدار الثروات الإسلامية.
- المبحث الثاني: الهيمنة الاقتصادية للأعداء.
- الفصل الثاني: في مجال الإعداد والقوة. وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: التخلف الصناعي.
- المبحث الثاني: الخلل في التدريب.
- المبحث الثالث: القوة العسكرية للأعداء.
- الفصل الثالث: في مجال التدخل والاحتلال، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: التدخل.
- المبحث الثاني: الاحتلال.
- الخاتمة: وفيها بيان لأهم نتائج البحث.
- هـ: منهج البحث.

حاولت قدر المستطاع الالتزام بالمنهج العلمية الصحيحة، لكن سعة الموضوع وتشعبه في مسائل وقضايا متعددة، فرضت علي عدة أمور منها:

- طول بعض المباحث وقصر بعضها الآخر، سواء من حيث التحليل، أو التقويم، فكان الضابط في ذلك تقدير درجة أهمية الموضوع في نفسه بالنسبة للموضوعات الأخرى، ومدى تأثيره في إعاقة الجهاد مباشرة في نفوس المسلمين، وكذلك درجة تأثيره في واقع المسلمين.

- تفاوت الاستيعاب والشمولية لبعض الموضوعات.

- كثرة التفرعات وتجزئة الموضوع، رغبة في الإلمام بجميع جوانبه.

تلك جوانب عامة حول المنهج الذي كان على النحو التالي:

في جانب التحليل لبيان المعوق، أعرف به أولاً، ومن ثم أبين جانباً من مظاهره المتفشية في المجتمع، ثم أشير إلى أسباب تلك المظاهر؛ أو وسائلها وأساليبها، أو آثارها على الأمة.

ثم انتقل إلى جانب التقويم، فأعرض المنهج الإسلامي الذي نستطيع به تجاوز

تلك المعوقات. ثم انتقل إلى المنهج التاريخي، حيث أورد نموذجاً تاريخياً للتطبيق العملي للمنهج الإسلامي، وكيف استطاع به المسلمون تجاوز ما طرأ على حياتهم من معوقات أسهمت في إعاقة الجهاد، واستطاعوا بذلك المنهج تجاوز تلك المعوقات، وإعلاء راية الجهاد.

أما التوثيق والفهارس فقد اتبعت المنهج التالي:

- ١ - عزوت الآيات القرآنية الكريمة.
- ٢ - خرّجت الأحاديث النبوية، وعند غير البخاري ومسلم بيّنت درجة الحديث، معتمداً في ذلك على أحد مصادر الحديث عند العلماء المختصين في بيان ذلك.
- تضخم حجم الرسالة في نهايتها، وانتهاء المدة المقررة الأصلية والاستثنائية، حالاً دون الاستفادة في بعض الموضوعات، حيث عدت للرسالة مرة أخرى مختصراً، وعن بعض التفاصيل مستغنياً فكان ذلك عاملاً رئيساً للاستغناء عن:

وضع فهارس تفصيلية للرسالة.

الترجمة للأعلام، والأماكن، والمواقع، والجهات، ونحوها.
التعريف ببعض الألفاظ والعبارات الواردة في ثنايا البحث.

مع إدراكي التام، بأن تلك الفهارس والتعريفات تُعين على الإفادة، وتُسهم في ثراء الرسالة بصورة أوفى، وأشمل.

أما المصطلحات المنهجية، فمنها:

- عند ذكر المصدر أو المرجع للمرة الأولى، أدون اسم المؤلف والمؤلف كاملاً، فإن كان المؤلف ممن اشتهر بلقب أو كنية، يذكر اللقب، أو الكنية قبل الاسم الأول، وعندما يتكرر، يدون لقب المؤلف أو كنيته فقط، وما يحقق الغرض بالإشارة إلى اسم المؤلف مختصراً.

- التزمت بالترتيب الزمني بالنسبة للمصادر.

- لا اعتبار لذكر المصدر أو المرجع في صفحتين متعاقبتين، إلا إن كان في الهامش الأخير من الصفحة السابقة، والهامش الأول في الصفحة التالية، فيشار إليه بالمصدر السابق.

- عند ذكر اسم المؤلف في الأصل اكتفي بذكر اسم الكتاب في الهامش، وكذا

لو ذكر اسم المؤلف في الأصل اكتفي بذكر اسم المؤلف في الهامش، وعندما يُذكر الإثنان في الأصل، اكتفي بتدوين الجزء والصفحة في الهامش.

- عندما يتكرر الاقتباس من مصدر أو مرجع واحد في الصفحة نفسها، فإن كان بينهما هامش، يشار إليه ب: مصدر سابق، وإلا أشير إليه ب: المصدر السابق.

- عند استخدام مصطلح المصدر، أو المرجع السابق، ومصطلح مصدر أو مرجع سابق، يعاد تدوين رقم الجزء أو الصفحة المخالفة فقط، وإلا يكتفي بتدوين مصدر أو مرجع سابق. أو المصدر أو المرجع السابق، دون إعادة لرقم الجزء، أو الصفحة.

- عندما يتكرر الاقتباس لمؤلف واحد في هامش واحد، أورد أسماء المؤلفات بعد اسم المؤلف متعاقبة دون تكرار لاسم المؤلف، ويفصل بين المؤلفات بفاصلة منقوطة.

- عندما يتكرر الاقتباس من مؤلف اقترن اسمه بالمؤلف، أو أمكن تمييزه بالجمع بينهما، اكتفي بالجمع بينهما، فأدون مثلاً: تاريخ الطبري.

- أشير بـ المصادر، أو المراجع السابقة، لآخر المؤلفات ذكراً، مرتبة حسب ترتيبها في الهامش السابق وأفضل بين صفحاتها بنقطة فاصلة.

- عبارة المصدر، أو المرجع السابق، فإن ذكر اسم مؤلف، فالمقصود بذلك مؤلفه، وإن دوت دون اسم، فالمقصود آخر مؤلف ورد ذكره في الهامش السابق.

- في معاجم اللغة العربية أضع المادة اللغوية بين شولتين صغيرتين: « ».

- عندما يكون للمؤلف أكثر من ثلاثة مؤلفين، يدون اسم من ورد اسمه أولاً مع عبارة وآخرين.

- عندما أنقل نصاً، أضع المنقول بين شولتين: ().

- عندما أستفيد فكرة، أو أنقل كلاماً بتصريف، أو أرغب الإحالة لمؤلفٍ مميز في الموضوع نفسه أشير في الهامش بعبارة: انظر.

- في الدوريات قد يتكرر الاقتباس من دورية واحدة في الهامش نفسه، فأشير بـ المرجع نفسه.

علامات الترقيم :

حاولت قدر المستطاع الالتزام بعلامات الترقيم في الأصل والهامش ، ومن أبرز تلك العلامات المستخدمة: الأقواس المميزة ﴿ ﴾ ، لآيات القرآنية الكريمة الأقواس المزدوجة الكبيرة: () للأحاديث النبوية الشريفة. الأقواس الكبيرة: () ، للنصوص ، والأقوال المقتبسة حرفياً ، ولرقم الهامش . القوسان المركنان: [] ، للأرقام ، والتواريخ في أصل الرسالة وهامشها . الشرطتان: - ، دلالة على زيادة داخل النص المقتبس ، سواء كانت للإيضاح ، أو لغيره ، النقط الأفقية الثلاث: . . . داخل نص منقول ، دلالة على كلام محذوف ، الشولتان المزدوجتان: « » ، في الهامش هي للمادة اللغوية في كتب اللغة ، وللعنوان الصحفي في الدوريات ونحوها . الأقواس المزدوجة الكبيرة ، التي قبلها وبعدها ثلاث نقط أفقية ، مسبوقة بقوس: (. . .) ، دلالة على مرجع أو مصدر منقول عنه عن ناقل ، الفاصلة المنقوطة في الهامش : ؛ ، للفصل بين المراجع والمصادر .

و: المصادر والمراجع .

اعتمدت بعد عون الله في جمع المادة العلمية للتحليل على :

- ١ - أقوال لعلماء مسلمين ، يؤكدون وجود تلك الظاهرة ، سواء منهم من عانى منها ، أو من عاصرها ، أو من توصل إليها من خلال النظر والاستقراء .
 - ٢ - مصادر ومراجع أصلية ، لمسلمين وغير مسلمين ، هي في أقوال أصحابها وما تحدثه من تأثير داخل المجتمع الإسلامي ، ومواقفهم العملية ، تعبير دقيق عن حجم تلك الظاهرة ، ورسوخها .
 - ٣ - دراسات علمية ، تبين مدى وجود تلك الظاهرة ، ومدى تأثير المسلمين بها .
 - ٤ - توثيق الأحداث والوقائع المعاصرة من وسائل إعلامية مرئية ، أو مسموعة ، أو مقروءة ، أنقل عنها الخبر ، مجرداً عن التحليل والتعليق .
 - ٥ - تحقيقات صحفية ، تؤكد وجود إحدى المظاهر ، وقد حاولت قدر المستطاع الحصول على أكبر قدر ممكن من تلك التحقيقات المختلفة ، ومن ثم انتقاء أنسبها ، وأقربها للواقع ، بعيداً عن الإثارة الصحفية .
- أما تقويم المعوقات ، فقد اعتمدت بعد عون الله سبحانه وتعالى على كتابه

الكريم، وسنة رسوله ﷺ، ثم كتب علماء الإسلام من سلف الأمة الصالح، وخلفها الفالح.

ز: الصعوبات.

منها صعوبات طبيعية، يواجهها أغلب الباحثين، ومنها صعوبات تتمثل في سعة موضوع الرسالة وشموليته لجوانب مختلفة. ومنها تداخل بعض الموضوعات خاصة عند إرادة التقويم، ومنها الرغبة في الإلمام في الموضوع في نقاط مفصلة، ومنها حساسية بعض الموضوعات.

ح: شكر وتقدير.

بعد حمد الله وشكره على توفيقه ومنته، يقضي الواجب على كل مسلم شكر من قدم له نصيحة وأسدى إليه فضيلة، وهذا ما يجعلني أتقدم بالشكر الجزيل، والامتنان الجميل، إلى أستاذي الكريم فضيلة الشيخ الدكتور: محمد بن عبد الله بن عرفة، الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية في كلية الشريعة، الذي نهلت من سجايه الشخصية، قبل كوائمه العلمية، وجدت منه سعة الصدر، وجميل الصبر، وصدق التوجيه والتشجيع، فكان للعوائق سهلاً، وللصعوبات مذلاً، بإشارات وضاء عبارات فياضة، وتقديرات صائبة، أفق معها عاجزاً عن الشكر، وعن التعبير بما يجب له، فأقول: جزاه الله خير ما جازى أستاذاً عن تلميذه.

وأثني بالشكر الجزيل لأعضاء قسم الثقافة الإسلامية رئيساً، وأعضاء، ومنسوبين، على تعاونهم المستمر، وتشجيعهم المحفز.

كما أشكر عميد كلية الشريعة، ومجلسها الموقر.

وأخيراً أشكر كل من أسدى إليّ عوناً، وقدم لي نصحاً، خلال فترة إعداد الرسالة.

وختاماً أعترف بأن هذا العمل جهد مقل، وبضاعة مزجاة، فالحمل أكبر من صاحبه الذي مزجه ولا مرء بالكثير من التجاوزات قصوراً وتقصيراً، فما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وما كان من صواب فمن الله الذي أسأله وهو العليم الخبير، أن يجعل هذا العمل صالحاً، ولوجهه الكريم خالصاً ذاك الأمل والمبتغى، وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأكرمين الفضلاء.

التمهيد

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات، وتحديد المفاهيم

المبحث الثاني: حقيقة الجهاد، ومشروعيته، وحكمتها.

المبحث الأول

التعريف بالمصطلحات وتحديد المفاهيم

المصطلحات: ألفاظ عامة وجامعة، في بيانها وتحديدتها بيان لمقاصد الباحث وأهدافه، وفي هذا المبحث أحدد مفاهيم بعض المصطلحات الواردة في ثنايا البحث، وذلك في عدة فروع:

المطلب الأول

الجهاد

أ: لغة.

يُرجع العلماء كلمة جهاد إلى:

مادة: جهد، والجَهْدُ والجُهدُ: بمعنى الطاقة.

وقيل: الجَهْدُ: المشقة، أو المبالغة، والغاية. تقول: اجْهَدَ جَهْدَكَ في هذا

الأمر، أي: ابلغ غايتك

ولا يقال: اجْهَدَ جُهدَكَ.

والجُهدُ: الوسع والطاقة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾^(١)،

أي: طاقتهم^(٢).

(١) سورة التوبة، الآية ٧٩.

(٢) انظر الجوهري إسماعيل بن حماد، الصَّحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الثانية، «جهد»؛ وانظر ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللغة، الطبعة الأولى، «جهد»؛ وانظر ابن سيده علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، الطبعة الأولى، «جهد»؛ =

والجهاد: (محاربة الأعداء، وهو: المبالغة، واستفراغ ما في الوسع والطاقة، من قولٍ، أو فعلٍ)^(١).

يقال: (جاهد العدوَّ مُجاهدَةً وجاهداً: قاتله في سبيل الله. وفي الحديث - يقول ﷺ: ((لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونية))^{(٢)(٣)}.

إذاً فالطاقة، والمشقة، والمبالغة، والوسع، والغاية، والقتال، من أبرز المعاني اللغوية لكلمة جهاد، والتي ورد لها أكثر من عشرين معنى مختلفاً^(٤).

ب: اصطلاحاً.

المعنى الاصطلاحي للجهاد يدور عند جُلِّ الفقهاء على قتال الكفار، يقول الكاساني رحمه الله تعالى: (هو: بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل، بالنفس، والمال واللسان، أو غير ذلك، أو المبالغة في ذلك)^(٥)، ويقول ابن حجر رحمه الله تعالى: (بذل الجهد في: قتال الكفار)^(٦). وكل ذلك مقيداً بالضوابط الشرعية قبل بدء القتال^(٧)، يقول ابن الهمام رحمه الله تعالى: (هو دعوتهم إلى الدين الحق وقتالهم إن لم يقبلوا)^(٨).

مصطلح البحث: ما أعنيه في هذه الرسالة، هو: جهاد المسلمين للكفار، بكل الوسائل الممكنة، حتى تتحقق غاية الجهاد.

= وانظر ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر)، «جهاد».

(١) المصدر السابق.

(٢) البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، صحيح البخاري (استانبول: المكتبة الإسلامية)، كتاب الجهاد، باب (١).

(٣) ابن منظور، مصدر سابق.

(٤) انظر «جهاد» في مصادر معاجم اللغة العربية.

(٥) علاء الدين أبو بكر بن مسعود، كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الطبعة الثانية، ج ٧ ص ٩٧.

(٦) أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الطبعة الثانية، ج ٦ ص ٥.

(٧) انظر السرخسي شمس الدين، المبسوط، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م)، ج ١٠ ص ٦.

(٨) محمد بن عبد الواحد، شرح فتح القدير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج ٥ ص ١٨٧.

المطلب الثاني

المجاهدون

مُجاهِد: اسم فاعل للجهاد. حدد مفهومه الرسول ﷺ عندما سئل عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، وفي رواية: الرجل يقاتل شجاعةً، ويقَاتِل حميةً، ويقَاتِل رياءً، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: ((من قَاتِل لَتكون كلمةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، فهو في سبيلِ اللَّهِ))^(١).

إذاً فلا يسمى المقاتِل، أو من بذل جهداً في مجالٍ من مجالات الجهاد المختلفة مجاهداً، إلا إذا قصد بذلك الجُهد سبيل الله، يقول ﷺ: ((من غزَا في سبيلِ اللَّهِ، ولم ينوْ إلا عَقَالاً فَلَه ما نوى))^(٢). وفي ذلك تحديد لمصطلح ومفهوم المجاهد، كما أنّ فيه توضيحاً وتجليّةً لذلك الخطأ المعاصر الذي وسّع من مفهوم المجاهد، حتى أصبح يُطلق على كلِّ من بذلَ جهداً في سبيلِ دنيوي، أو تحت غطاءٍ شرعي يكشفه حقيقة ذلك الباذل للجُهد.

مصطلح البحث: أعني بالمجاهد هنا: من قَاتِل لَتكون كلمةُ اللَّهِ هي العُلْيَا.

المطلب الثالث

التعويق

بالرجوع إلى مادة عَوَّق عند علماء اللغة، نجد المعاني التالية:
عَاقَهُ عن الشيء يَعُوقُهُ عَوْقاً، وَعَوَّقَهُ، وتَعَوَّقَهُ، واعتَاقَهُ، أي: حبسه وصرفه عنه.

والعوق: الأمر الشاغل، وعَوَائِقُ الدهر: الشواغل من أحداثه، والتَعَوُّقُ: التثبُّط، والتَعَوِّقُ: التثبيط^(٣)، قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ

(١) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإمارة، باب [٤٢].

(٢) حديث صحيح. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، الطبعة الأولى، رقم الحديث: [٨٨٧٤].

(٣) انظر الجوهرى، الصحاح، «عوق»؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب، «عوق».

هَلَمْ إِيْتَانَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾، والمعوقون: المثبطون، الصارفون عن طريق الخير^(٢)، وهم قوم من المنافقين كانوا يُثَبِّطُونَ المسلمين في عهد رسول الله ﷺ عن الجهاد^(٣).

ورجل عَوْقَه، وَعُوقٌ، وَعَوِقٌ، أي: ذو تعويق للناس، وحبس عن أوجه الخير^(٤).

مصطلح البحث: هذا البيان اللغوي يبين المراد من المعوقات المقصودة في هذه الرسالة، وهي: كل ما أسهم في منع الناس عن الجهاد، وصرّفهم عنه، سواء كان ذلك معنوياً، أو مادياً على حدٍ سواء.

المطلب الرابع

العصر الحاضر

أ: العصر.

من أبرز المعاني اللغوية عند أصحاب اللغة:
العَصْرُ، والعِصْرُ، والعُصْرُ، والعَصْرُ: الدهر.

وقيل العَصْرُ: ساعةٌ من ساعاتِ النهار. وقيل اليوم. وقيل: الليلة. وقيل:
الليل والنهار. وقيل: وقت العشاء إلى الاحمرار.

وأعصر: دخل في العصر، وأعصرت الجارية فهي مُعَصِرٌ: إذا بلغت عصر شبابها وإدراكها^(٥).

مصطلح البحث: هذه المعاني اللغوية تبين أن العصر: فترة زمنية محددة، وهذا ما أعنيه في هذه الرسالة.

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٨.

(٢) انظر الراغب الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد كيلاني، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٣) انظر ابن منظور، مصدر سابق.

(٤) انظر الجوهري، مصدر سابق؛ وانظر ابن منظور، المصدر السابق.

(٥) انظر ابن فارس، مقاييس اللغة، «عصر»؛ وانظر ابن سيده، المحكم، «عصر».

ب: الحاضر .

من معاني مادة حضر اللغوية، المعاني التالية:

الحُضُورُ: نقيض المغيب والغيبة، ويعني المشاهدة. والحَضْرَةُ: قرب الشيء.

تقول: كَلَّمْتَهُ بِحَضْرَةِ فلان، وبِمَحْضَرٍ منه، أي: بمشهدٍ منه.

وحَضْرَةُ الرجل: قربه وفناؤه^(١).

إذا فالعصر الحاضر يعني: فترة زمنية مشاهدة.

وذلك خلاف العصر الحديث: فالحديث نقيض القديم، وكون الشيء بعد أن

لم يكن^(٢).

ولتحديد مدة العصر الحاضر لا بد أن تكون فترة قريبة، يشهدها الإنسان ذو

العمر المتوسط، والذي أشار له الرسول ﷺ بقوله: ((أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السَّتِينَ إِلَى

السَّبْعِينَ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ))^(٣).

مصطلح البحث: إذا فالعصر الحاضر أعني به: فترة ما بين الستين إلى السبعين

عاماً السابقة لعام [١٤١٣ هـ]، فهي تمثل عصراً حاضراً لمن هو في سن الستين إلى

السبعين عاماً.

المطلب الخامس

المعنوية

أبرز المعاني اللغوية للمعنوية تقول:

المَعْنُ: الإقرار بالحق. وَتَمَعَّنَ: أي تصاغر، وتذلل انقياداً، تقول: أَمَعَنَ

بحقي، إذا أذعن واعترف^(٤).

(١) انظر الجوهري، الصحاح، «حضر»؛ وانظر ابن فارس، المصدر السابق، «حضر»؛ وانظر ابن

منظور، لسان العرب، «حضر».

(٢) انظر المصدر السابق، «حدث».

(٣) حديث حسن صحيح. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، الطبعة الأولى،

كتاب الزهد، باب [٢٧].

(٤) انظر ابن منظور، مصدر سابق، «معن».

والمعنويُّ: خلاف المادِّيِّ، والذاتي^(١).

وبهذا يتبين موافقة المعنى اللغوي لما عنونا له بالمعوقات المعنوية، في مجال العقيدة، والفكر والاجتماع، والخلق، والسياسة، ونحوها من المجالات التي تحتاج إلى إذعان واعتراف، يجعل الفرد ينقاد لما تُمليه عليه دون تردد.

مصطلح البحث: أعني بالمعنوية: الأمور الذاتية على مستوى الفرد والأمة.

المطلب السادس

المادية

بالرجوع إلى مادة مدد في معاجم اللغة العربية نجد المعاني التالية:

المادَّةُ: الزيادة المتصلة، وكل شيء يكون مدداً لغيره^(٢)، وكل جسم له امتداد ووزن، ويشغل حيزاً من الفراغ، يقال: (دَعُ في الضَّرْعِ مادَّةُ اللبن، فالمتروك في الضرع هو الداعية، وما اجتمع إليه فهو المادَّةُ)^(٣).

والإمدادُ: أن يُرسل الرجل للرجل مدداً، والمددُ: ما أمددت به من طعام، وأعوان، وغيرها^(٤).

من هذا المعنى اللغوي يتضح مدى مطابقتها لما عنونا له بالمعوقات المادية في مجالات هي المدد المُعين بعد الله للجهاد والمجاهدين.

مصطلح البحث: كل ما يحتاجه الفرد والأمة على حدٍ سواء؛ ليكون بعد الله مدداً وعوناً في الجهاد.

(١) انظر إبراهيم أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، (استانبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع)، «عنا».

(٢) انظر الجوهري، الصحاح، «مدد»؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب، «مدد»؛ وانظر الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الطبعة الثانية، «مدد»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المرجع السابق، «مد».

(٣) ابن منظور، المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

المطلب السابع

القتال

الأصل في القتل: (إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتُبر بفعل المتولي لذلك، يقال: قُتِلَ وإذا اعتُبر بفوت الحياة، يقال: موت) (١)، تقول: قَتَلَهُ، إذا أماته بضرب أو حجر، أو سم، أو علة أخرى.

ومقاتِلُ الإنسان: المواضع التي إذا أصيبت قَتَلَتْه.

والمُقَاتِلَةُ: القِتَالُ، والمُقَاتِلَةُ: من يصلح للقتال، واستَقْتَل: أي استمات، ولم يبال بالموت لشجاعته (٢) وذلك لا يعني الحرب.

وقد ورد لفظ القتال في القرآن الكريم بمعنى الجهاد، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ... ﴾ (٣)، أي: فُرض عليكم الجهاد.

من هذه الآية، ومن المعاني اللغوية السابقة، يتبين أن كل جهاد قتال، لكن ليس كل قتال جهاداً وإلى ذلك أشار فقهاء الإسلام بقولهم: قتال البغاة والمحاربين (٤)، ولم يقولوا: جهاد البغاة والمحاربين مما يدل على أن القتال أعم من الجهاد.

مصطلح البحث: مرادنا في هذه الرسالة من القتل هو: ما تبين من المعنى اللغوي للقتل، مع كونه جهاداً.

المطلب الثامن

الحرب

من أبرز المعاني اللغوية لمادة حرب:

الحَرْبُ: نقيضُ السَّلْمِ، وهي مشتقة من الحَرْبِ، وقد حُرِبَ فهو حَرِيْبٌ، أي:

(١) الراغب، المفردات، ص ٣٩٣.

(٢) انظر الجوهري، مصدر سابق، «قتل»؛ وانظر ابن منظور، مصدر سابق، «قتل».

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٤) انظر كتب الفقه الأمهات.

سليب المال. وحرّيبَةُ الرجل: ماله الذي يعيش به، وأحرَّبْتُهُ، أي: دلتته على ما يَغْنمه من عدوٍ يُغِير عليه.

والحَرْبُ: نهب مال الإنسان وتركه بلا مال. وأثوا الحَرْبَ؛ لذهابهم بها إلى المحاربة.

والتَّحْرِيْبُ: إثارة الحرب، وحرَّبَ حَرْباً: اشتد غضبه، وحرَّبه، أي: أغضبه، وأنا حرَّبُ لمن حاربني أي: عدو.

ودار الحرب: بلاد الكفار ممن لا صلح بيننا وبينهم^(١).

من هذا المعنى اللغوي للحرب يتبين أنها القتال الذي ينشأ لأغراض دنيوية، وأسباب شخصية، فهي القتال لذات القتال، يقول المودودي رحمه الله تعالى في تعريف الحرب: (الحرب كانت ولا تزال تُطلق على القتال الذي يُسبُّ لهيبه، وتستعر نارهً بين الرجال والأحزاب والشعوب، لمآرب شخصية، وأغراض ذاتية)^(٢).

والمتتبع لآيات القتال في سبيل الله، يجد قلة استخدام هذه اللفظة؛ لبعْد معناها عن الهدف السامي للقتال في سبيل الله.

مصطلح البحث: إذا أُطلق لفظ الحرب، فهو يعني: القتال لأسباب دنيوية.

(١) انظر ابن فارس، مقاييس اللغة، «حرب»؛ وانظر ابن سيده، المحكم، «حرب»؛ وانظر الراغب، المفردات، ص ١١٢؛ وانظر ابن منظور، مصدر سابق، «حرب».

(٢) أبو الأعلى، الجهاد في سبيل الله، الطبعة الثانية، ص ١١.

المبحث الثاني حقيقة الجهاد، ومشروعيته وحكمتها

المطلب الأول حقيقة الجهاد

إن غياب حقيقة الجهاد عن أذهان كثير من المسلمين اليوم، لهو أمر مشاهد وملاحظ، يتساوى في ذلك الولاية، وعامة الناس، تلك الحقيقة التي لا حياة للأمة بدونها، أصيبت بفعل أهلها المعطلين وبفعل غيرهم من المغرضين الحاقدين، ولا يمكن للجهاد أن ينهض ما دامت تلك الحقيقة غائبة وصورتها مشوهة.

وفي هذا المبحث أحاول قدر المستطاع بيان حقيقة الجهاد، وذلك في الفروع

التالية:

الفرع الأول التعريف

أ: لغة.

المعنى اللغوي لكلمة جهاد تعني: بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة قولاً وعملاً^(١).

ب: اصطلاحاً:

إذا أطلق لفظ الجهاد انصرف المراد منه إلى قتال الكفار كما سبق بيانه^(١)،

(١) انظر ص ٢١ - ٢٢ من هذه الرسالة.

لكن كلمة جهاد قد تطلق في الشريعة على غير قتال الكفار، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ
الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾^(١)، ويقول ﷺ: ((المجاهد من جاهد
نفسه في الله))^(٢).

مما يدل على سعة معناها، وتعدد إطلاقاتها، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى
في تعريفه الاصطلاحي للجهاد^(٣): (الجهاد: حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله
من الإيمان، والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق
والعصيان)^(٤).

وهذا هو المعنى الاصطلاحي الشامل لتعريف الجهاد بأنواعه المختلفة.

الفرع الثاني

أنواع الجهاد^(٥)

مفهوم الجهاد أعم مما ذهبنا إليه في هذا البحث، فالفرد المسلم دائماً في
جهاد، فجميع أنواع السعي والبذل للحصول على طاعة الله جهاد، سواء كان ذلك
قولاً، أو عملاً، ظاهراً، أو باطناً، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (جنس الجهاد
فرض عين، إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد، فعلى كل مسلم أن
يجاهد بنوع من هذه الأنواع)^(٦).

هذا هو الجهاد بمعناه الشامل، ومفهومه الواسع الذي سأتحديث عنه على النحو

التالي:

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٢.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩١٧٥].

(٣) انظر ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن
قاسم وابنه محمد، ج ١ ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٤) العبودية، الطبعة الخامسة، ص ١٠٤.

(٥) انظر الخرخشي على مختصر سيدي خليل، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، ج ٢
ص ١٠٨.

(٦) محمد بن أبي بكر الزرععي الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، الطبعة السادسة
والعشرون، ج ٣ ص ٧٢.

أولاً: جهاد النفس^(١)

جهاد النفس جهاد صعب وشاق، في كل الظروف والأحوال، مادياً ومعنوياً، جهاد بكل الجوارح وفي كل العبادات الظاهرة والباطنة؛ لذلك فهو من أصعب أنواع الجهاد، فالنفس المُجاهدة، فيها الاستعداد للخير والشر على درجة سواء، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿... إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ...﴾^(٣)، مما يتطلب من الإنسان الحذر الدائم، واليقظة الواعية المؤثرة، والمعرفة الجلية بمواطن الضعف للنفس البشرية، ولوسائل الشيطان الخفية، كل ذلك يجعل من الإنسان مجاهداً لنفسه على:

١ - تعلم الدين الحق .

أمراً ونهياً، حلالاً وحراماً، من الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح وأقوالهم، قال تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾^(٤)، هذه المعرفة هي الأساس الذي ينطلق منه الإنسان في علاقته بربه، وببني جنسه، ويأخذ منها المنهج الصحيح للحياة .

وفي هذا العصر ابتعد البعض عن هذه المعرفة، فأخذوا أساس حياتهم من تصورات وفلسفات بشرية واختاروا لأنفسهم مناهج انحرفت بهم عن الطريق المستقيم .

٢ - الالتزام بما علمت .

فالعلم بلا عمل مضرٌ بصاحبه أشد الضرر، والعمل بالعلم هو غاية العلم؛ لما فيه من تهذيب للنفس، وترويض لها على عمل الخير، يقول ابن رسلان:

(وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عابد الوثن)^(٥)

(١) انظر المصدر السابق، ص ١٠؛ وانظر محمد نعيم ياسين، الجهاد ميادينه وأساليبه، الطبعة الثالثة، ص ٩ - ١٠؛ وانظر عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله، الطبعة الثانية، ج ١ ص ٢٧٦ - ٣٩١ .

(٢) سورة الشمس، الآية ٧ - ٨ .

(٣) سورة يوسف، الآية ٥٣ .

(٤) سورة الزمر، الآية ٩ .

(٥) محمد رشيد رضا، مصر: مجلة المنار، ج ٩ ص ٢٩٦ .

وعلى هذا المنهج سار الصحابة والسلف الصالح من هذه الأمة، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقرؤون عشر آيات، فيتعلموها، ويعملوا بما فيها قبل تجاوزها، حتى تعلموا العلم وعملوا به^(١).

٣ - نشر العلم والدعوة إليه .

بقدر المستطاع، وكلما كانت الحاجة إلى نشر هذا العلم أدعى، كلما كان إثم حامله الكاتم له أشد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

فعند فقدان الدعوة، ودور العلماء المؤثرين، تكون الصولة لأهل الباطل بنشر فسادهم، وتحكيم جاهليتهم، قال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...﴾^(٣).

إن لجهاد النفس أهمية كبرى، فهو الأصل الذي ينطلق منه الإنسان لمفاهيم الجهاد الأخرى، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً؛ لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله، لم يُمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف جهاد عدوه والانتصاف منه)^(٤).

٤ - الصبر والتحمل .

قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾^(٥).

فالمؤمن بإيمانه، ودعوته للإيمان، معرض للأذى والمضايقة، وله في ذلك المثل والقدوة الحسنة بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، الذين واجهوا الأذى والتعذيب من كفار قريش، فصبروا وصابروا حتى نصرهم الله تعالى، قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ

(١) انظر ابن حنبل أحمد، مسند الإمام أحمد، (بيروت: دار صادر)، ج ٥ ص ٤١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥١.

(٤) زاد المعاد، ج ٣ ص ٦.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٢ - ٣.

يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴿١﴾ .

فثقة المؤمن بالله، ثم بما يحمله من إيمان يدعو إليه، تدفعه إلى التحمل والصبر على ما يلاقي، رغبة في طاعة الله، وخوفاً من عقابه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ...﴾ ﴿٢﴾ .

فالمسلم يجاهد نفسه حتى: (يُسَلِّمَ قَلْبَهُ وَلسَانَهُ وَجوارحه لله، فيكون كله لله، وبالله لا لنفسه ولا بنفسه) ﴿٣﴾ .

إن لجِهاد النفس آثاراً بارزة، تظهر على الفرد وعلى الأمة، تُميزها عن غيرها من الأمم والأفراد، وإن أبرز تلك الآثار: الرغبة الصادقة، والعمل الجاد؛ لأجل الدعوة إلى الله، وتسخير كل الطاقات والإمكانات؛ لأجل نشر الخير، وقمع الشر والفساد، مهما كلف ذلك من جهد نفسي ومالي، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤﴾ .

تلك هي الشخصية المميزة للأمة المسلمة المجاهدة لنفسها أولاً.

ثانياً: جهاد الشيطان ﴿٥﴾ .

من تمام نِعَمِهِ جل وعلا على الإنسان، وعظيم رحمته بعباده، أن بين لهم وسائل عدوهم الأول وأعوانه، وأساليبهم، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ ، وقال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا يَنبَغُهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُوا أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ﴿٧﴾ .

(١) سورة الحج، الآية ٣٨ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ١٠ .

(٣) المصدر السابق، ص ٨ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ١١٠ .

(٥) انظر المصدر السابق، ص ١٠؛ وانظر ياسين، الجهاد ميادينه وأساليبه، ص ١٧ - ٥٩ .

(٦) سورة البقرة، الآية ١٦٨ - ١٦٩ .

(٧) سورة الأعراف، الآية ١٦ - ١٧ .

وحذّرهم من مداخل الشيطان المتعددة للنفس البشرية، قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِيَةِ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ ...﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ...﴾^(٢)، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (إنه يعد الأمانى، ويمني الغرور، ويعد الفقر ويأمر بالفحشاء، وينهى عن التقى والهدى، والعفة والصبر)^(٣).

إن معرفة العدو، ومعرفة نوع سلاحه، تُعين على اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهته، فكيف إذا علم الإنسان نوع السلاح الذي يستطيع به مواجهة ذلك العدو، والله سبحانه وتعالى بين لنا وسائل جهاد الشيطان^(٤)؛ لنقاوم ذلك العدو المتسلط، ونتصر عليه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^(٥).

فالإيمان بالله يملأ القلب عزيمة، ويزيده يقيناً بالله، ويحبط وساوس الشيطان، ولم ينتصر الشيطان على امرئ امتلاً قلبه إيماناً لأنه دائم الصلة بالله، ذاكراً له في كل لحظة، وعند كل نزغة شيطانية، قال تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٦).

معتصماً بعد الله بالطاعة وعمل الخير، قال تعالى: ﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٧).

متذكراً حقيقة ذلك العدو، وغاية وساوسه المهلكة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٨).

وأنه متى فقد سلاح الإيمان بالله، أصبح تحت تأثير الشيطان وتوجيهه، يُرِين

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٨.

(٤) انظر ياسين، الجهاد ميادينه وأساليبه، ص ٢٣.

(٥) سورة النحل، الآية ٩٨ - ١٠٠.

(٦) سورة فصلت، الآية ٣٦.

(٧) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٨) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

له، ويؤسوس له، ويلقي في قلبه الشبه والشكوك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَّ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١)، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (أما جهاد الشيطان فمرتبتان، إحداهما: جهاده على دفع ما يُلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان. الثانية: جهاده على دفع ما يُلقى إليه من الإيرادات الفاسدة، والشهوات. فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايِنَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^{(٢)(٣)}.

نعم فاليقين قوة إيمانية تحطم كل ما يُلقى إليها من شبهات وشكوك يزيناها شياطين الإنس والجن.

والصبر، تلکم القوة الدافعة لشهوات الدنيا الزائفة، تجعل الفرد ينظر لتلك الزخارف الشيطانية بعين البصير بحقائق الدنيا وما فيها من متع وقتية زائفة.

إن لجهاد الشيطان ودفع وساوسه أهمية قصوى للقيام بجهاد النفس ومفاهيم الجهاد الأخرى، فمن لم يجاهد الشيطان، لن ينتصر في جهاده لنفسه ولغيرها، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾^(٤).

ثالثاً: جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

باب واسع يجتمع فيه من الخير الشيء العظيم، ولاتصاف الأمة الإسلامية بتلك الصفة حازت على تلکم الخيرية التي تقود بها الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾^(٥).

إنها الجماعة المميزة بين الأمم، تؤمن بالله وتعبده حق عبادته، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في جميع شؤون الحياة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ

(١) سورة الزخرف، الآية ٣٦.

(٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٣) زاد المعاد، ج ٨ ص ١٠.

(٤) سورة النساء، الآية ١١٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١﴾ .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (هذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة؛ لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، وتكون لها القيادة... وفي أول مقتضيات هذا المكان، أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد، وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب، وبكل ما في طريقها من أشواك)^(٢).

هذا التكليف المُشْرِف يتناول عدة جوانب منها:

١ - جهاد الفساد والظلمة .

الفساق والظلمة فئات وأفراد، حاكمون ومحكومون داخل المجتمع الإسلامي يتم جهادهم عن طريق الوعظ والنصح لهم، وبيان الحق مهما كان موقفهم منه، يقول ﷺ: ((أفضلُ الجهادِ كلمةٌ حقٌّ عندَ سلطانٍ جائرٍ))^(٣)، ففي ذلك دلالة على وجوب بيان الحق مهما كانت العاقبة .

فإن كان الفسق أمراً شخصياً لم يتعد إلى الرعية، ولم يتخذ منهجاً يسير عليه في الحكم، فعاقبته على نفسه، وعلى الرعية النصح له، والصبر عليه، يقول ﷺ: ((خيارُ أُمَّتِكُمْ الذينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمُ وتُصَلُّونَ عليهم وَيُصَلُّونَ عليكم، وشِراؤُ أُمَّتِكُمْ الذينَ تَبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمُ، وتلعنُونَهُمْ ويلعنُونَكُمُ))، قالوا: قلنا: يا رسولَ اللهِ! أفلا نُنابِذُهُم عندَ ذلك؟ قال: ((لا). ما أقامُوا فيكُمُ الصَّلَاةَ لا. ما أقامُوا فيكُمُ الصَّلَاةَ. ألا من وليَ عليه والٍ، فرآه يَأْتِي شَيْئاً من معصيةِ اللهِ، فليكره ما يَأْتِي من معصيةِ اللهِ، ولا ينزعَنَّ يداً من طاعةٍ))^(٤).

أما إن كان الحاكم متجاوزاً في فسقه، يأخذ الرعية بما يُغضب الله ورسوله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، يقول ﷺ: ((عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ

(١) سورة الحج، الآية ٤١ .

(٢) في ظلال القرآن، الطبعة الثانية عشرة، ج ١ ص ٤٤١ .

(٣) حديث صحيح، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الطبعة الثانية، رقم الحديث: [١١٠٠] .

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ١٧ .

وَالطَّاعَةَ، فيما أحبَّ وكرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ^(١).

٢ - جهاد الدعوة إلى الله .

عندما يُنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بنعمة الدين والعلم، فإنه مسؤول عن تبليغ ما عليم وفقه بقدر المستطاع، فهو يحمل مشعل نور يستضاء به في غياهب الجهل والظلام، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٢).

كيف لا والعلماء أمناء الله على خلقه^(٣)، يقول ﷺ: ((العلماء أمناء الله على خلقه))^(٤)، يُعلِّمون الناس الخير، ويحذرونهم من الشر، ويستشعرون عظم تلك الأمانة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٥).

ففي كتمان العلم خطورة عظيمة على الأمة، حيث سيادة الجهل، وشيوع البدع والضلالات .

وعلى الفرد المسلم أن يبذل ما عنده من علم وإن قل، يقول ﷺ: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...))^(٦).

ولقد أشار القرآن الكريم بوضوح وجلاء إلى دعوة الرسل وجهادهم في سبيل تلك الدعوة، وما واجهوه من مضايقات ومخاطر قابلوها بالصبر، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ

(١) المصدر السابق، باب ٨ .

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٣ .

(٣) انظر السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٥٧٠٢] .

(٤) حديث حسن . المصدر السابق، رقم الحديث: [٥٧٠٠] .

(٥) سورة البقرة، آية ١٥٩ - ١٦٠ .

(٦) حديث صحيح . المصدر السابق، رقم الحديث: [٣١٥٩] .

كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ
وَعِيدِي (١).

إنه النهج الرباني الذي يحتاج إليه كل داعية في كل زمان ومكان؛ ليواجه أنصار
الباطل، ودعاة الظلم والتسلط الذين ما تركوا الأنبياء والرسل رغم قوة حججهم،
وحكمة منهجهم.

وعلى الداعية المسلم في عصرنا الحاضر أن ينصف من نفسه، ويلتزم بالحكمة
التي أمر بها، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ...﴾ (٢).

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله، لا لشخص
الداعي ولا لقومه فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لله... فلا تستبد به
الحماسة والاندياع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله، وفي سواه... فإن الرفق
في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة... وبالجدل
بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له، ولا تقبيح، حتى يطمئن
إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى
الحق) (٣).

إن في ذلك المنهج تحقيقاً لأهداف الدعوة بدون صدام ومعارضة، فإن وقف
الأعداء في وجه الداعية فله في الرسول ﷺ قدوة ومثل يحتذى به، فيتخذ لكل موقف
ما يناسبه من سيرة الرسول ﷺ الذي بقي سنوات يدعو إلى الله بسرية (٤)، بعيداً عن
أعين المعطلين والمعوقين، حتى جعل الله له من أمره مخرجاً.

٣ - جهاد الأسرة.

الأسرة ركيزة المجتمع الأساسية، بصلاحها صلاح المجتمع، وبفسادها معاناته
وتعرضه للخطر والفتن.

(١) سورة إبراهيم، الآية ١١ - ١٤.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٣) في ظلال القرآن، ج ٤ ص ٢٢٠١ - ٢٢٠٢.

(٤) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ١ ص ٨٦.

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى من عواقب إهمال الأسرة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الذَّبَابُ فَأَمْنُوا إِنَّهُ مِنَ زُجُجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَعُدْوَالِكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلَهِكُمُ أَمْوَالَكُمُ وَلَا أَوْلَادَكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢).

وأمر بعمل ما يتقي به الإنسان هلاك أسرته، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرْءَانُ فَسَادٍ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٣)، يقول مجاهد رحمه الله تعالى: (يقيهم، أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته وأن يقوم عليهم بأمر الله، يأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها)^(٤).

٤ - جهاد التعليم.

يبدل الجهد في نشر العلم والمعرفة، وتكوين جيل مسلم على درجة من العلم والثقافة والفكر، مع بيان التصور الإسلامي الصحيح للكون، والحياة، والإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفِقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٥).

رابعاً: جهاد المنافقين^(٦).

المنافق عدو خفي داخل المجتمع الإسلامي، خطره عظيم، وبلاؤه جسيم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ

(١) سورة التغابن، الآية ١٤ - ١٥.

(٢) سورة المنافقون، الآية ٩.

(٣) سورة التحريم، الآية ٦.

(٤) الطبري محمد بن جرير، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة الأولى، ج ١٢ ص ١٥٧.

(٥) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

(٦) انظر ياسين، الجهاد ميادينه وأساليبه، ص ١١٣؛ وانظر علي بن نفيح العلياني، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، الطبعة الأولى، ص ٢١٦ -

الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ ﴿١﴾ .

يتظاهرون بالإسلام والعمل له، ويُطنون المكائد والخطط الموجهة ضد
الإسلام والمسلمين .

لذا كان جهادهم أصعب من جهاد الكفار^(٢)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ آلَ النَّبِيِّ جَهْدٌ
الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾^(٣) .

بل إن جهادهم أولى من جهاد الكفار؛ لأن خطرهم أشد، وأثرهم أقوى من
ذلك الكافر الذي يعيش خارج المجتمع الإسلامي، يُعرف بأنه عدو فلا يُقبل منه نفعاً
ولا شفعاً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم
خُشِبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَلَلهُمُ اللَّهُ أَنْ يَوْفُقُونَ﴾^(٤)، فقولهم
ظاهره الصلاح حتى ينخدع المسلم به وباطنه الكفر الأشد، ولا أدل على خطورة
المنافقين على المجتمع الإسلامي من ذلك الحيز الكبير الذي شغله المنافقون في
القرآن الكريم، والذي تحدث عنهم بإسهاب، فالسور المدنية لا تخلو غالباً من ذكر
المنافقين تصريحاً أو تلميحاً، حتى وصل إلى عشر القرآن الكريم^(٥)، مع تسمية
سورة باسمهم، وهي: سورة المنافقون. مما أسهم في معرفة سماتهم^(٦)، تلك
الصفات التي تجعل معرفة المنافق أمراً في غاية السهولة؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد
بينها بجلاء في كتابه العزيز، والتي من أبرزها:

١ - إبطان الكفر والتظاهر بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَلْفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا حَلُّوا إِلَىٰ شِيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾^(٧) .

وهذا هو أساس مرضهم، كفر بالقلب، وعدم قدرة على مواجهة للمؤمنين .

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ ص ٥ .

(٣) سورة التحريم، الآية ٩ .

(٤) سورة المنافقون، الآية ٤ .

(٥) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦ ص ٣٥٧٢؛ وانظر محمد ياسين، الجهاد ميادينه
وأساليه، ص ١١٤ .

(٦) انظر المرجع السابق، ص ١١٤ - ١٤٤؛ وانظر العلياني، أهمية الجهاد، ص ٢١٧ - ٢٢٠ .

(٧) سورة البقرة، الآية ١٤ .

٢ - مخادعة الله والمؤمنين، قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، أملاً في الحفاظ على تلك الصورة الزائفة التي رسموها لأنفسهم عند المؤمنين ويسلكون في ذلك عدة أساليب منها:

أ : الأقوال الحسنة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٢).

ب : الأيمان المغلظة، قال تعالى: ﴿... وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣).

٣ - التحاكم إلى الطواغيت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾^(٤).

فعدم التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وعدم الرضا بذلك، صفة صريحة ودلالة واضحة على من في قلبه نفاق.

٤ - الركون إلى الأعداء، ومناصرتهم ضد المسلمين قال تعالى: ﴿... أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَاقَثُوا يُقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٥).

٥ - زرع بذور الفتنة والخلاف، بين أفراد المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿... هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَرَّابِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية ٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

(٤) سورة النساء، الآية ٦٠ - ٦١.

(٥) سورة الحشر، الآية ١١.

(٦) سورة المنافقون، الآية ٧ - ٨.

٦ - التخلف عن الجهاد، جنباً وخوفاً، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ ﴾ * إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَاتَبَتْ قُلُوبُهُمْ فَمَهُمُ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١﴾ .

٧ - التخذيل والتشبيط عن الجهاد، قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمْ بَعُونَكُمْ إِلَّا مُنْفِقِينَ فَمِنْكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ .

٨ - التعويق والإرجاف، قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٣﴾ ، وقال تعالى: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٤﴾ .

٩ - الصد عن سبيل الله، والوقوف في وجه الدعوة، قال تعالى: ﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْتَفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنْكِرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٥﴾ .

١٠ - العمل على إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦﴾ .

١١ - الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين وأعمالهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿٧﴾ ، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٨﴾ .

(١) سورة التوبة، الآية ٤٤ - ٤٥ .

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٧ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية ١٨ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٦٠ .

(٥) سورة التوبة، الآية ٦٧ .

(٦) سورة النور، الآية ١٩ .

(٧) سورة البقرة، الآية ١٤ .

(٨) سورة التوبة، الآية ٧٩ .

١٢ - الحلف والكذب، وخيانة الأمانة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِذَا آتَيْنَاهُم مِّن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (١).

١٣ - قلة ذكر الله مع التأخر والكسل في أداء العبادات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢).

١٤ - التردد وعدم وضوح الرأي، قال تعالى: ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمُسَدِّدًا ﴾ (٣).

١٥ - الفرح عند هزيمة المسلمين، والحزن عند نصرهم والتمكين لهم، قال تعالى: ﴿ إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسَبِّحْهُنَّ وَسُبِّحْهُنَّ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَسْأَلُوكَ بِهَا لِيَكُونَ لَكَ دَلِيلٌ مِّن رَّبِّكَ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا نَسَىٰ عَن قَوْمِهِمْ إِذْ أَخَذُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَسَلَوْنَ كَيْدَهُمْ فَرِحُوا بِغَلَبَتِهِمْ وَلَسُنَّ أُولَٰئِكَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٤).

١٦ - الإفساد بدواعي الإصلاح، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥).

١٧ - اتخاذ الأماكن أوكاراً للفساد، بداعي الرعاية والإصلاح، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَیَّ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٦).

أما الأساليب المناسبة لجهاد منافقي عصرنا الحاضر، فللمسلمين في جهاد الرسول ﷺ للمنافقين منهج يحتذى به، تلك الأساليب التي من أبرزها:

(١) سورة التوبة، الآية ٧٥ - ٧٧.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٢.

(٣) سورة النساء، الآية ١٤٣.

(٤) سورة التوبة، الآية ٥٠.

(٥) سورة البقرة، الآية ١١ - ١٢.

(٦) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

أ: الأساليب النظرية^(١):

١ - معرفتهم عن طريق دراسة تلك الصفات، ومعرفة أقوال العلماء فيها، وتطبيقها على من تمثلت فيه، فالمعرفة كشاف جلي لفئة تتخذ من الخداع وسيلة لتحقيق أهدافها.

٢ - عند معرفتهم يُنظر لحال المسلمين من حيث القوة والضعف، حيث يُصبر على أذاهم في حال الضعف، أو في حال ترتب مفسدة أكبر عند الكشف عنهم، وإقامة الحد عليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعِ اٰذَنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلٰى اللّٰهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا ﴾^(٢).

أما في حال تمكن المسلمين، فيغلظ لهم القول، ويشد عليهم الخناق، قال تعالى: ﴿ يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ جٰهِدِ الْكٰفِرَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَاُوْنِهِمْ جَهَنَّمَ وَاَنْتَ سَرِيْعُ الْمَصِيْرِ ﴾^(٣).

٣ - هجرهم ومقاطعتهم، قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنٰفِقِينَ بِاَنَّ لَهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا * الَّذِيْنَ يَخٰذُلُ الْكٰفِرِيْنَ اَوْلِيَآءٍ مِّنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ اَيْبَغُوْنَۙ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيْعًا * وَقد نَزَّلْ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتٰبِ اَنْ اِذَا سَمِعْتُمْ اٰيٰتِ اللّٰهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِءُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوْا مَعَهُمْ حَتّٰى يَخْرُجُوْا فِى حَدِيْثٍ غَيْرِهِۗ اِذًا مِّثْلُهُمْۗ اِنَّ اللّٰهَ جٰمِعُ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْكَافِرِيْنَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيْعًا ﴾^(٤).

٤ - عدم قبول ما يصدر منهم مهما أحاطوه بالأقوال المنمقة، والأيمان المغلظة، قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوْا فِىْكُمْ مَّا زَادُوْكُمْ اِلَّا خَبٰلًا وَّلَا وُضِعُوْا لِخَلٰلِكُمْ يَبْعُوْنَكُمْ الْفِتْنَةَ... ﴾^(٥).

٥ - العمل على إضعافهم، وعدم تمكينهم من المراكز القيادية والخطرة للأمة، قال تعالى: ﴿ فَاِنْ رَجَعْتَ اللّٰهُ اِلَى طٰٓئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاَسْتَدْتُوْكَ لِلْخُرُوْجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوْا مَعِيَ اَبَدًا وَّلَنْ تَقُوْلُوْا مَعِيَ عَدُوًّا اِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُوْدِ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَاَقْعُدُوْا مَعَ الْخٰلِفِيْنَ ﴾^(٦).

(١) انظر ياسين، الجهاد ميادينه وأسابيه، ص ١٤٥ - ١٦٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٨.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٤) سورة النساء، الآية ١٣٨ - ١٤٠.

(٥) سورة التوبة، الآية ٤٧.

(٦) سورة التوبة، الآية ٨٣.

٦ - سد المنافذ التي يعبر منها المنافقون لبث سمومهم وأحقادهم، عن طريق ترك النزاع والشقاق وتفويض الأمر للعلیم الخبير ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١). وعن طريق العمل على تقوية الروابط الإيمانية بين أفراد المجتمع؛ ليكون صفاً واحداً، به تنحطم كل محاولات المنافقين الفاسدة، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَنَقَذَكُم مِّنْهَا...﴾^(٢). وأيضاً عن طريق الحذر الدائم منهم، وكتمان الأخبار عنهم، وعدم إطلاعهم على أسرار المؤمنين، قال تعالى: ﴿...يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَقَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾^(٣).

ب: الأساليب العملية:

١ - مناصحتهم وبيان الحق لهم، وتذكيرهم بعواقب أعمالهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤).

٢ - مجادلتهم بغلظة، وزجرهم بشدة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾^(٥).

٣ - الكشف عن حقيقة أعمالهم وأقوالهم، وفضحهم على الملأ، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي قَسِيْبٍ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا مَّجْهَلَةً...﴾^(٦).

تلك هي أبرز أساليب جهاد المنافقين ومن في حكمهم من أفراد المجتمع الإسلامي.

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٣) سورة المنافقون، الآية ٤.

(٤) سورة النساء، الآية ١٤٥ - ١٤٦.

(٥) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٦) سورة الحجرات، الآية ٦.

خامساً: جهاد الكفار^(١).

أرقى درجات الجهاد وأكملها، جهاد بالنفس والمال، واللسان والقلب^(٢)، فهو جهاد للنفس وللشيطان، يقول ﷺ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسَلِّمُ وَتَدْرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءِ آبَائِكَ؟! فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: تَهَاجِرُ وَتَدْعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مِثْلُ الْمُهَاجِرِ كَمِثْلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ! فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تَجَاهِدُ فَهَوَّ جِهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ، فَتُقْتَلُ، فَتَنْكُحُ الْمَرْأَةَ، وَيَقْسِمُ الْمَالَ؟! فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ...))^(٣)، وقال ﷺ: ((جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ))^(٤). ولما فيه من دحض للباطل ودعائه من شياطين الجن والإنس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٥).

وقد ورد في فضله الشيء الكثير لعموم نفعه للمجاهد والمجاهد، يقول ابن تيمية: (هذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه، فهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشمتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد، وذكر الله وسائر أنواع الأعمال، على ما لا يشتمل عليه عمل آخر)^(٦).

وهو مدار بحثنا هذا، لما له من أهمية في الذود عن حياض الإسلام، وبقاء التوحيد في القلوب، ولما له من دور في دحر حزب الشيطان ومدافعتة.

وتبرز أهميته في هذا العصر الذي انتهكت فيه حرمان المسلمين، وأصبحوا أذلاء بعد عزة، ولا أدل على ذلك من تلك الأخبار المفزعة التي تُدْمَعُ له العين، ويندى له الجبين، ويرتجف الفؤاد خوفاً من عقاب الله على أمة أعطاه من النعم

(١) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ ص ١٠.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [١٦٥٢].

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٣٥٧٨].

(٥) سورة النساء، الآية ٧٦.

(٦) السياسة الشرعية، في إصلاح الراعي والرعية، الطبعة الثانية، ص ١٣١.

ما لا يعد ولا يحصى، وتقف عاجزة، بل تكون غير مبالية بما يجري من تهديم لبيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وأعداء الإسلام يعملون فيها ما يشاؤون تخريباً وتدميراً.

اليوم يشهد العالم الإسلامي تخريب وتدمير ما لا يقل عن ثمانمائة مسجد في البوسنة والهرسك^(١) والهند وفلسطين وغيرها. إن في ذلكم الذل والصغار لأمة أعزها الله، لكنها تخلت عن تلكم العزة ورضيت بالهوان، فهانت على الأعداء.

سادساً: جهاد المرتدين .

الردة تعني الخروج من الإسلام بالكلية، أو إنكار ما هو معروف من الدين بالضرورة قولاً أو عملاً وذلك من أشد أنواع الكفر؛ لأنه ضلال بعد معرفة وبيان^(٢)، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣).

والردة قد تكون اعتقاداً، أو قولاً، أو عملاً، فمن الردة الاعتقادية:

أ: الشرك بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾^(٤)، ويدخل في ذلك جميع أنواع الشرك.

ب: نفي أو جحد ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته رسوله ﷺ من صفات.

(١) انظر وزير خارجية البوسنة والهرسك، «كلمة وزير خارجية البوسنة والهرسك في المؤتمر الوزاري الموسع لهيئة مكتب المؤتمر الإسلامي الحادي والعشرين لوزراء الخارجية، ومجموعة الاتصال حول البوسنة والهرسك»، تليفزيون المملكة العربية السعودية، نشرة الأخبار الثانية، ٢٢/١/١٤١٤ هـ؛ وانظر «آخر تطورات الأحداث في البوسنة والهرسك»، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، مجلة المجتمع العدد ١٠٥٧ (٢٣/١/١٤١٤ هـ): ٤٥.

(٢) انظر ابن قدامة عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، المملكة العربية السعودية، من مطبوعات رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، والدعوة والإرشاد، ج ٨ ص ١٢٣؛ وانظر العلياني، أهمية الجهاد، ص ١٩٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٧.

(٤) سورة النساء، الآية ١١٦.

ج: التعرض للقرآن الكريم بالقول فيه، كأن يقال فيه تناقض، أو اختلاف أو نقص، أو زيادة أو مماثلته لكلام البشر، ونحو ذلك.

د: من تعرض للرسول ﷺ بسوء، أو كذب شيئاً مما جاء به.

ومن الردة القولية: أ: سب الله ورسوله وكتابه، أو الاستهزاء والسخرية بهم، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...﴾ (١).

ب: الطعن في الدين، أو الدعوة إلى غيره من الأديان، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا آلَ اللَّهِ يُخْرِجْكُمْ مِنْ آلِهِمْ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنْ سَمَوَاتِهِ مَاءً صَالِحًا فَاتَّبِعُوا أَوْ اللَّهِ وَرَبُّكُمْ شَدِيدُ الْعِقَابِ...﴾ (٢).

ومن الردة الفعلية: أ: محاربة التشريع الإسلامي وتعطيله، وتحكيم الأنظمة والقوانين البشرية، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣).

ب: موالة الكفار والشك في كفرهم، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّمَا يَمُنُّ بِمَا يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ (٤).

أما حكم المرتد فإن كان فرداً استتيب ثلاثة أيام، وضيق عليه، فإن تاب وإلا قتل، وذلك قول أكثر أهل العلم (٥)، يقول ﷺ: ((من بدل دينه فاقتلوه)) (٦).

وإن كانوا أهل منعة، صاروا دار حرب، يقاتلون باتفاق علماء المسلمين، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه بالمرتدين؛ لأن عدم قتالهم قد يفضي إلى التشبه بهم (٧).

(١) سورة التوبة، الآية ٦٥، ٦٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٥) انظر ابن قدامة، المصدر السابق.

(٦) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٨٥٥٩].

(٧) انظر ابن قدامة، مصدر سابق، ص ١٣٨.

الفرع الثالث

وسائل الجهاد

للجهاد وسائل^(١) تتنوع بحسب الحاجة إليها، والقدرة عليها، من هذه الوسائل:

١- النفس، أنفس الوسائل، وأكرمها، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وعلى المؤمن المبادرة إلى الجهاد بنفسه نصرة للحق، وطمعاً في الثواب، متى ما وجد الحاجة قائمة والظروف مساعدة، وأن يبادر بذلك ليقتدى به، وليكون مثلاً يحتذى به.

وما عانت الأمة إلا حينما تركت الجهاد بالنفس، يقول ﷺ: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْتَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقْرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ، حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ))^(٣).

٢- المال، حاجة الجهاد إلى المال كحاجته للرجال، ولا أدل على ما للمال من أثر على حركة الجهاد، من تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس، واقتران الدعوة للجهاد بالدعوة للإنفاق في سبيل الله في كثير من الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

فبالمال يُسهم المسلم في إعداد المجاهدين عدة وعتاداً، فقد يوجد من عنده القدرة على الجهاد بالنفس لكن المال عقبة تحول بينه وبين ما يريد.

وقد لا تساعد المسلم دواعي الحياة على الخروج بنفسه، فعليه أن يجاهد بماله، دعماً للجهاد والمجاهدين، ومساعدة لهم.

(١) انظر الخرشني على مختصر سيدي خليل، ج ٢ ص ١٠٨.

(٢) سورة النساء، الآية ٩٥.

(٣) حديث حسن. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٥١٤].

(٤) سورة التوبة، الآية ٤١.

٣ - اللسان، بيان الحق ومدافعة الباطل، وتفنيده الحجج وكشف الشبهات، ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾^(١)، ويقول ابن عباس: (أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف، ومع المنافقين باللسان، وشدة الزجر والتغليظ)^(٢).

وقد يكون جهاد اللسان شعراً، يقول ﷺ: ((اهجوا قريشاً، فإنه أشدُّ عليها من رَشَقٍ بالنَّبْلِ))^(٣).

وقد يكون كلمة تلقى في محاضرة أو ندوة، قال تعالى: ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٤).

وعلى المسلم أن يسخر ما أعطاه الله من نعمة الشعر والخطابة بما يحقق للأمة أهدافها.

٤ - القلم، لمن عنده القدرة على الكتابة تأليفاً، أو نشرأ عبر الوسائل الإعلامية المقروءة، يعمل من خلالها على مكافحة أهل الباطل، وبيان الحق، قال تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّمَدُّونَ...﴾^(٥).

٥ - اليد، وسيلة لإزالة المنكر المقدور عليه، يقول ﷺ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلِبِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))^(٦)، يقول القاضي عياض رحمه الله: (هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المُغَيِّرِ أن يغيِّره بكل وجه أمكنه زواله به، قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل، ويريق المسكر بنفسه، أو يأمر من يفعله... ويرفق في التغيير جهده بالجاهل، وبذئ العزة الظالم المخوف شره، إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله، كما

(١) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٢) القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج ٨ ص ٢٠٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب ٣٤.

(٤) سورة إبراهيم، آية ٢٤ - ٢٥.

(٥) سورة المائدة، آية ٢.

(٦) المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب ٢٠.

يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى، ويُغَلَّظُ على المتماذي في غيه، والمسرف في بطالته إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرًا أشد مما غيره... فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده بسبب منكرًا أشد منه، من قتله، أو قتل غيره بسببه، كف يده، واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك، غير بقلبه، وكان في سعة^(١).

٦ - القلب، وذلك أضعف الإيمان، فعند عدم القدرة على الجهاد بالجوارح فبقلمه، يحب الخير وأهله ويكره الشر وأهله، يحس بالآلام المسلمين ويتابع أخبارهم، ويدعو لهم بالنصر والتمكين، ونحو ذلك من الأمور المعنوية، يقول ﷺ: ((مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ. يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ))^(٢).

المطلب الثاني

مشروعية الجهاد

البيان التوضيحي لمشروعية الجهاد في فرعين:

الفرع الأول

مكانته في الشريعة

الجهاد فريضة إسلامية قائمة ما دام الإسلام والمسلمون، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ... ﴾^(٣). شأنه في ذلك شأن بقية الفرائض، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾^(٤)،

(١) النووي يحيى بن شرف، النووي على صحيح مسلم، ج ٢ ص ٢٤.

(٢) مسلم، مصدر سابق.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٨٣.

ويقول ﷺ: ((رَأْسُ هَذَا الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ...))^(١).

إذاً ففريضة الجهاد فرض قطعي، يكفر جاحدها، وذلك محل إجماع علماء الأمة^(٢)، يقول السرخسي رحمه الله تعالى في المحيط: (الجهاد فريضة محكمة، وقضية محتومة، يكفر جاحدها، ويضلل عاندها)^(٣).

وهذا ما يجعلنا نقول: إن فرضية الجهاد قضية مسلمة، لا تحتاج إلى مزيد بيان ودلالة.

أما إنفاذ هذه الفريضة المحكومة والقيام بها، فقد بين فقهاء الإسلام المقدار الذي به يتم أداء هذا الواجب، مستدلين في ذلك بفعل الرسول ﷺ، وإنفاذه الجهاد في كل عام مرة أو مرتين، وبوجوب الجزية مرة في كل عام^(٤)، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى: (أقل ما يجزيء في كل سنة مرة؛ لأن الجزية تجب في كل سنة مرة، وهي بدل عن القتل، فكذلك القتل، ولأن في تعطيله في أكثر من سنة يطمع العدو في المسلمين، فإن دعت الحاجة في السنة إلى أكثر من مرة وجب)^(٥)، ويقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (أقل ما يُفعل مرة في كل عام؛ لأن الجزية تجب على أهل الذمة في كل عام، وهي بدل عن النصرة، فكذلك مبدلها وهو الجهاد، فيجب في كل عام مرة، إلا من عذر)^(٦)، ويقول النووي رحمه الله تعالى: (أقله مرة واحدة

(١) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٤٣٧٣].

(٢) انظر ابن رشد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الطبعة الثانية، ج ١ ص ٤٤١؛ وانظر سعد الله بن عيسى المفتي الشهير بسعدي جلبي وبسعدي أفندي، حاشية سعدي جلبي على شرح العناية، هامش شرح فتح القدير، ج ٥ ص ١٨٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر النووي يحيى بن شرف، كتاب شرح المهذب للشيرازي، (دار إحياء التراث العربي)، ج ٢١ ص ١٢١؛ وانظر الخطاب الرعيني محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الطبعة الأولى، ج ٤ ص ٥٣٥؛ وانظر زكريا الأنصاري، حاشية الجمل على شرح المنهج، للعالم العلامة الشيخ سليمان الجمل على شرح المنهج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي)، ج ٥ ص ١٨٠.

(٥) الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، المهذب في فقه الإمام الشافعي، الطبعة الثالثة، ج ٢ ص ٢٩١.

(٦) المغني، ج ٨ ص ٣٤٨.

في كل سنة، فإن زاد فهو أفضل... ولا يجوز إخلاء سنة عن جهاد، إلا لضرورة^(١).

أما الضرورة التي تبيح للمسلمين التأخر عن أداء تلك الفريضة، فقد حددها علماء الإسلام بعدة أمور سيرد الحديث عنها^(٢).

هذه الفريضة الواجبة على المسلمين تشهد اليوم جحوداً وإعراضاً من أغلب المسلمين، سواء في ذلك ولاية الأمر، أو العامة، حيث تعطيل الجهاد، وحث الناس على تجنب القتال، والاعتذار للأعداء مما حصل، يقول المودودي رحمه الله تعالى: (وقد بلغ من اغترارنا بتزويرهم، وانخداعنا بتلك الصورة الموهمة، أن اعترانا الخجل والندامة، وعدنا نعتذر إلى القوم، نُبدّل كلام الله، ونحرّف الكلم عن مواضعه، ونقول لهم: ما لنا وللقتال أيها السادة!!، إنما نحن دعاة مبشرون، ندعو إلى دين الله، دين الأمن والسلام، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة... من أجل ذلك نسخنا الجهاد رسمياً^(٣)).

الفرع الثاني حكم الجهاد

الجهاد فريضة لازمة بحق المسلمين عموماً، وفق التفصيل التالي:

أولاً: الولاية.

لا يمكن للجهاد أن ينهض ويكون له شأن بدون الولاية المرتبة والمُعَدّة للجهاد والمجاهدين، يقول ابن قدامة رحمه الله: (أمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك)^(٤).

ولأهمية الولاية، ودورها في إنفاذ الجهاد، وجبت طاعة الأمراء برهم وفاجرهم في أمر الجهاد، يقول ﷺ: ((الجهاد واجبٌ عليكم مع كلِّ أميرٍ، برّاً كانَ

(١) يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، الطبعة الثالثة، ج ١، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٢) انظر الفرع الثاني من هذا المبحث.

(٣) الجهاد في سبيل الله، ص ٦ - ٧.

(٤) مصدر سابق، ص ٣٥٢.

أو فاجراً، وإن هو عملَ الكبائر...))^(١) ويقول ﷺ: ((لا هجرة بعدَ الفتح، ولكنَّ جِهَادٌ وَبَيَّةٌ، وإذا استنفرتم فأنفروا))^(٢).

فإذا طلب الإمام الخروج إلى الجهاد وجب طاعته في ذلك^(٣).

من هذا الواجب يفهم عظم الدور الذي تقوم به الولاية في أمر الجهاد.

أما الجهاد بحق الولاية، فقد اتفق العلماء على وجوب الجهاد على الولاية، ولم أجد أحداً قال غير ذلك، يقول الكاساني رحمه الله تعالى: (فلا ينبغي للإمام أن يُخلي ثغراً من الثغور من جماعة من الغزاة فيهم غنى وكفاية لقتال العدو)^(٤)، ويقول الشيرازي رحمه الله تعالى: (يجب على الإمام أن يشحن ما يلي الكفار من بلاد المسلمين بجيوش يكفون من يليهم)^(٥)، ويقول ابن عبد البر رحمه الله تعالى: (من واجب الجهاد فرض أيضاً، على الإمام إغراء طائفة إلى العدو، وكل سنة مرة، يخرج معهم بنفسه، أو يُخرج من يثق به)^(٦)، ويقول الشيباني رحمه الله تعالى: (يجب على الإمام النظر للمسلمين؛ لأنه منصوب لذلك، نائبٌ عن جماعتهم، فعليه أن لا يُعطل الثغور، ولا يدع الدعاء إلى الدين، وحث المسلمين على الجهاد)^(٧).

وبسير سيرة السلف الصالح من ولاية المسلمين، نجد التطبيق العملي لذلك الواجب، فتدبير أمر المجاهدين، وإعداد العدة، وترتيب الخروج للجهاد، يأخذ حيزاً كبيراً من الوقت والجهد والمال، ولا يغيب عن ذهن كل مسلم اليوم تلك السنة التي سنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعُرفت بالشواتي والصوائف^(٨)، فرقَّ من المجاهدين تخرج شتاءً وصيفاً، بشكل منظمٍ ومرتبٍ، سار على نهجها ولاية

(١) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٣٦٥٣].

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٢٧.

(٣) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٦ ص ٤٦.

(٤) بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٩٨.

(٥) المهذب، ج ٢ ص ٢٩٤.

(٦) ابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، الطبعة الثانية، ص ٢٠٥.

(٧) محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج ١، ص ١٨٩.

(٨) انظر الطبري محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٤ ص ٦٤.

المسلمين فيما بعد. يقول الشاعر أبو السعالي مثنياً على هارون الرشيد الذي كان من أكثر الولاة خروجاً في الغزو:

(فمن يطلب لقاءك أو يُرده
فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمرٍ
وفي أرض الترفه فوق كور)^(١)

وكان الشاعر هنا يصور لنا حال كثير من ولاة المسلمين في عصور الازدهار الإسلامي.

واليوم كيف أصبح الحال، أين ولاة المسلمين من أداء واجبهم الجهادي، هذا اللفظ الذي يمثل كابوساً جاثماً على كثير منهم، حاربوه قولاً وفعلاً، فاسم الجهاد مستبعد من ألفاظهم وأسمائهم العسكرية، وعسكريتهم بعيدة عن الواقع الفعلي للجهاد.

إن الأمة في خطر عظيم من جراء إهمال هذه الفريضة، يقول تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

فترك الجهاد، والانشغال بأمور الدنيا تهلكة مهلكة^(٣)، يقول ﷺ: ((إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدينَارِ وَالدينَرِ وَالدينَرِ، وَتَبَاعُوا بِالعينَةِ، وَتَبَعُوا أَذْنَابَ البقرِ، وَتَرَكَوا الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَدْخَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ذُلًّا لَا يَرْفَعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دينَهُمْ))^(٤).

فمتى يُدرك ولاة المسلمين حقيقة هذه الفريضة التي لا يكون لها شأن بدونهم، كما أنه لا يكون للجهاد تأثير بدون الإدراك التام لأهميته، ودوره في حياة الأمة، ذلك الإدراك الذي يدفعهم إلى الإعداد الشرعي للقوة المساندة للجهاد.

ثانياً: عامة المسلمين.

حكم الجهاد بحق عامة المسلمين يدور بين ثلاثة أقوال لعلماء الإسلام:

القول الأول: الجهاد فرض عين على كل مسلم، وأشهر من قال بذلك

(١) ابن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، الطبعة الخامسة، ج ١ ص ٢١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

(٣) انظر ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير ابن كثير، (بيروت: دار الفكر)، ج ١ ص ٢٢٩.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٧٤٠].

سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى^(١)، وذلك خلاف إجماع العلماء^(٢). وقد استدل أصحاب هذا الرأي بعموم النصوص الجهادية، كقوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾^(٣)، وكقوله ﷺ: ((من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق))^(٤)، هذه الأدلة ردَّ عليها بأدلة وأقوال أصحاب القول الثاني.

القول الثاني: الجهاد فرض كفاية، وهو قول جمهور العلماء^(٥)، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى: (هو فرض على الكفاية، إذا قام به من فيه كفاية سقط عن الباقي)^(٦)، ويقول ابن رشد رحمه الله تعالى: (فأما حكم هذه الوظيفة فأجمع العلماء على أنها فرض على الكفاية، لا فرض عين)^(٧) ويقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (الجهاد فرض على الكفاية، إذا قام به قوم سقط عن الباقي)^(٨). ومن أدلتهم القرآنية قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٩)، يقول الزيلعي رحمه الله تعالى: (وعد القاعدين الحسنى، ولو كان فرض عين لذم، وكانت الصحابة يغزو بعضهم، ويقعد البعض، ولو كان فرض عين لما قعدوا، وهذا هو الذي تقرر عليه أمر الجهاد)^(١٠). كما استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١١)،

(١) انظر ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج ٥ ص ١٩٠ - ١٩١.

(٢) انظر ابن رشد، بداية المجتهد، ج ١ ص ٤٤١.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٤٧.

(٥) انظر الماوردي علي بن محمد بن حبيب، الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، وهو شرح مختصر المزني، ج ١٤ ص ١١٢؛ وانظر النسفي عبد الله بن أحمد بن محمود، كنز الدقائق، (باكستان: مكتبة امدادية ملتان)، ص ١٩٩.

(٦) المهذب، ج ٢ ص ٢٦٦.

(٧) بداية المجتهد، ج ١ ص ٣٩٦.

(٨) المغني، ج ٨ ص ٣٤٥.

(٩) سورة النساء، الآية ٩٥.

(١٠) عثمان بن علي، تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق، الطبعة الثانية، ج ٣ ص ٢٤١.

(١١) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

فهذه الآية ناسخة لقوله تعالى^(١): ﴿ أَنْصِرُوا أَخْفَاءً وَثَقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾^(٢).

ومن السنة استدلووا بفعله ﷺ، فقد كان يخرج تارة ويبعث غيره في أحيان أخرى، حتى قال: ((... لولا أن أشق على المؤمنين، ما تخلفت خلف سرية تخرج، أو تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدي، أو يقعدوا بعدي))^(٣).

ولأن في النفير العام تركاً لعمارة الأرض، والسعي في طلب الرزق، وضياعاً للأولاد ومن هم في حاجة إلى الرعاية^(٤)، يقول السرخسي رحمه الله تعالى: (... إذا اشتغل الكل بالجهاد، لم يتفرغوا للقيام بمصالح دنياهم)^(٥)، ويقول الزيلعي رحمه الله تعالى: (... لأن في اشتغال الكل قطع مادة الجهاد من الكراع والسلاح فينقطع الجهاد بسبب ذلك، فينبغي أن يتولى البعض الجهاد، والبعض التجارة والحرف والحرف التي تقوم بها المصالح)^(٦).

وهذا هو الرأي الراجح عند إمعان النظر في تلك الأقوال والأدلة المبسطة في كتب الفقه الأمهات. أما حدُّ الكفاية، فقد بينه العلماء بما لا يدع مجالاً للاجتهاد، يقول النووي رحمه الله: (تحصل الكفاية بشيئين: أ: أن يشحن الإمام الثغور بجماعة يكافئون من يازائهم من الكفار، وينبغي أن يحتاط بإحكام الحصون، وحفر الخنادق ونحوها، ويرتب في كل ناحية أميراً كافياً يُقلده الجهاد وأمور المسلمين).

ب: أن يدخل الإمام دار الكفر غازياً بنفسه، أو بجيش يؤمر عليهم من يصلح لذلك)^(٧)، ويقول ابن عابدين رحمه الله: (إياك أن تتوهم أن فرضيته تسقط عن أهل

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٤٠١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٣) إسناده صحيح. مسند الإمام أحمد، شرح: أحمد شاكر، رقم الحديث: [١٠٥٣٠].

(٤) انظر المرغيناني علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني، الهداية شرح بداية المبتدي، الطبعة الأولى، ج ٢ ص ٤٢٦.

(٥) المبسوط، ج ١٠ ص ٣؛ وانظر الزيلعي، مصدر سابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) روضة الطالبين، ج ١٠ ص ٢٠٨؛ وانظر زكريا الأنصاري، مع حاشية العالم العلامة سليمان الجمل على شرح المنهج، ج ٥ ص ١٨٠.

الهند بقيام أهل الروم مثلاً، بل يُفرض على الأقرب فالأقرب من العدو، إلى أن تقع الكفاية، فلو لم تقع إلا بكل الناس فُرضَ عيناً كصلاة وصوم^(١).

القول الثالث: الندب، وبه قال ابن عمر رضي الله عنهما، وعطاء، والثوري، وابن شبرمة، وعمرو بن دينار رحمهم الله تعالى، مستدلين لذلك بتخصيص آيات الجهاد العامة وأدلته، ذلك التخصيص الذي يجعل الأدلة ظنية الدلالة مما لا يثبت به الفرض^(٢)، وقد رُدَّ عليهم: (بأن التخصيص المعتبر عند أهل الأصول^(٣)): قصر العام.

على بعض ما يتناوله، بدليل مستقل لفظي، مقارن للمعنى^(٤)، يقول سعدي جلبي رحمه الله تعالى عند نقاشه لهذا الرأي: (قوله: حُكِي، يدل على أن لهما قولاً آخر، هو أظهر القولين منهما، وهذا القول بالوجوب وسيؤول كلام ابن عمر رضي الله عنهما، وعطاء، وعمرو بن دينار رحمهم الله تعالى: بأن مرادهم الفريضة على الكفاية، نعم لا يُلائم ذلك التأويل قوله: وقالوا: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ...﴾^(٥) للندب، كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾^(٦) فليتأمل^(٧).

ويؤيد هذا القول ما ذهب إليه الجصاص رحمه الله تعالى من أنه إذا خاف أهل

(١) محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، الطبعة الأولى، ج ٦ ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢) انظر ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج ٥ ص ١٨٩؛ وانظر ابن نجيم الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، الطبعة الثالثة، ج ٥ ص ٧٦.

(٣) انظر ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام، الطبعة الأولى، ج ٣ ص ٣٨٨ - ٣٩٠؛ وانظر الشيرازي إبراهيم بن علي، اللُّمَعُ في أصول الفقه، الطبعة الأولى، ص ٧٧ - ٩٢؛ وانظر الغزالي محمد بن محمد، المستصفي من علم الأصول، (بيروت: دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع)، ج ٢ ص ٤٧ - ٥٢؛ وانظر الآمدي علي بن أبي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، الطبعة الأولى، ج ٢ ص ٤١٣ - ٤١٥، ٤٨٥ - ٤٩٠، ٥١٣ - ٥٢٠.

(٤) ابن الهمام، مصدر سابق.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٨٠.

(٧) هامش سعدي جلبي على شرح فتح القدير، ج ٥ ص ١٨٩.

الثغور من العدو، مع عدم قدرتهم على التصدي له، فالجهاد فرض على الأمة كافة، ثم قال: (وهذا لا خلاف فيه بين الأمة، إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين، وسبي ذراريهم، ولكن موضع الخلاف بينهم، أنه متى كان بإزاء العدو مقاومين له، ولا يخافون غلبة العدو عليهم، هل يجوز للمسلمين ترك جهادهم حتى يسلموا، أو يؤدوا الجزية؟ فكان من قول ابن عمر رضي الله عنهما، وعطاء، وعمرو بن دينار، وابن شبرمة رحمهم الله تعالى، أنه جائز للإمام والمسلمين ألا يغزوهم، وأن يقعدوا عنهم)^(١).

إذا فحمل قول أهل هذا الرأي على أنه ليس بفرض عين سائغ جداً، بل جزم به ابن الهمام رحمه الله تعالى بقوله: (يجب حمله إن صح على أنه ليس بفرض عين)^(٢)، وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (ليس بفرض، ولكن لا يسع الناس أن يجمعوا على تركه، ويجزي فيه بعضهم على بعض)^(٣)، وهذا قول صريح بأنه فرض كفاية.

الفرع الثالث

الجهاد والعصر الحاضر

تعيش الأمة الإسلامية اليوم وضعاً حرجاً، تكالبت عليها الظروف من كل جانب، فشكت عقوق أبنائها، وقسوة قاداتها، وظلم أعدائها. وفي خضم هذا الوضع المأساوي تحاول النهوض لأداء رسالتها في هذه الحياة فيقعدتها الضعف، وتُفككها العقبات، تطرق الأبواب، وتبحث عن المخارج.

وفي هذا الفرع أبين معالم أحد أبواب الخروج من الأزمة المعاصرة، وذلك في ثلاث نقاط:

(١) الجصاص أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى، ج ٣ ص ١١٤.

(٢) مصدر سابق.

(٣) النووي يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، ج ١٩ ص ٢٦٩.

أولاً: تعين الجهاد.

هناك حالات يكون الجهاد فيها فرض عين^(١)، وهي محل إجماع الأمة:

أ: عندما يكون النفير عاماً^(٢)، قال تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، يقول الكاساني رحمه الله تعالى: (فأما إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد، فهو فرض عين، يُفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه. . . ولأن الوجوب على الكل قبل عموم النفير ثابت؛ لأن السقوط عن الباقي بقيام البعض به، فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلا بالكل، فبقي فرضاً على الكل عيناً، بمنزلة الصوم والصلاة فيخرج العبد بغير إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها)^(٤).

ب: عندما تكون الأمة في مواجهة الأعداء، كدخولهم في بلاد المسلمين، أو اقترابهم منها قاصدين الدخول، أو استعدادهم وتأهبهم للقتال^(٥).

فهنا يتعين الجهاد على الجميع، الأقرب فالأقرب مكاناً، حتى تتحقق الكفاية، ويندفع الأعداء، فإن لم تحصل الكفاية، فهو عيناً على جميع أفراد الأمة، وإن بُعدت المسافة^(٦)، يقول ابن عبد البر رحمه الله تعالى عن تعين الجهاد: (وذلك أن يحل العدو بدار الإسلام محارباً لهم، فإن كان ذلك، وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا، ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً وشباباً وشيوخاً، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مُقاتِلٍ أو مُكثِرٍ، وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم، كان على من قاربهم وجاورهم. . . حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل من عَلِمَ بضعفهم عن عدوهم، وَعَلِمَ أنه يدرِكهم، ويمكنه غيائهم، لزمه أيضاً الخروج)^(٧).

(١) انظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٣٤٦.

(٢) انظر ابن الهمام، مصدر سابق، ص ١٩١.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٤) بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٩٨.

(٥) انظر النسفي، كنز الدقائق، ص ١٩٩؛ وانظر النووي، روضة الطالبين، ج ١٠ ص ٢١٤ -

٢١٦.

(٦) انظر المصدر السابق.

(٧) الكافي، ص ٢٠٥.

ج: عند حضور القتال، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا قَوْلُهُمُ ٱلْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يُؤَلِّمُهُمُ ٱلْإِنْفَالِ أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَى ٱلْمِتِّ فَبِئْسَ ٱلْفِرْقَةُ فَفَقَدَ بَءَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾^(١).

ومن العلماء من قال بأن مجرد الشروع في القتال يجعله عيناً، يجب عليه إتمامه، يقول النووي رحمه الله تعالى: (من شرع في قتال ولا عذر له، لزمه المصابرة، وعبر الأصحاب عن هذا بأن الجهاد يصير متعيناً على من هو من أهل فرض الكفاية بالشروع... لأن الشروع لا يغير حكم المشروع فيه، بخلاف الجهاد، فإن رجوعه يؤدي إلى التخذيل)^(٢).

إن المتأمل لأحوال المسلمين المعاصرة ليدرك بما لا يدع مجالاً للنقاش أن الأمة في مواجهة مع الأعداء فحرمات المسلمين في بعض البقاع متهكّة، وحقوقهم مسلوّبة، وبلادهم مستباحة، وفئات المجاهدين في بعض البقاع الإسلامية غير قادرة على التصدي، وإنما تواجه الإبادة، على مرأى ومسمع من المسلمين في كل مكان، وإذا لم يكن الجهاد متعيناً في مثل هذه الظروف، فمتى يتعين؟.

ثانياً: الأعذار التي تبيح تأخير الجهاد.

قد تكون هذه الأعذار على مستوى الأمة، أو الفرد، على التفصيل التالي:

أ: على مستوى الأمة.

للأمة الإسلامية تأخير الجهاد من خلال مهادنة الكفار^(٣)، وذلك وفق ضوابط شرعية بيّنها علماء الإسلام بما لا يدع مجالاً للاجتهاد وزيادة البيان، فحدودها بأعذار متعددة من أبرزها:

١ - ضعف المسلمين، وهذا يكون في العدد أو العدة، ضعفاً وقلة^(٤)، يقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (يجب في كل عام مرة، إلا من عذر، مثل أن يكون

(١) سورة الأنفال، الآية ١٥ - ١٦.

(٢) مصدر سابق، ص ٢١٣.

(٣) انظر المطلب الثاني من المبحث الثالث في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٤) انظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ٣٥١؛ وانظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٢٩١؛

وانظر ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج ٥ ص ٢٠٧.

بالمسلمين ضعف في عدد، أو عدة^(١).

٢ - قلة النفقة والسلاح، فالمال والسلاح أحد المقومات الرئيسة للجهاد، بها يزداد المجاهد قوة وتمكيناً، وبفقدانه يتعرض المجاهدون للتهلكة^(٢).

٣ - خوف الطريق، بأن يكون في الطريق تهلكة تعرض المجاهدين للخطر، كصعوبة الطريق وبعده وخلوه من الزاد، وقلة المعرفة فيه، ونحو ذلك^(٣).

٤ - الطمع في إسلام العدو، فتلك غاية الجهاد، إن أمكن تحقيقها بدون قتال فذلك أولى، فإن علم من عدوه حسن رأي في الإسلام، وطُمع في إسلامه أخطر الجهاد^(٤).

٥ - انتظار المدد؛ لما فيه من تقوية للمجاهدين، وحصول على الغاية بأقل الخسائر^(٥).

٦ - الخوف من الاستئصال؛ لما في المسلمين من ضعف، أو لغيره من الأسباب التي قد تؤدي إلى القضاء على المجاهدين^(٦).

والضابط لهذه الأعذار أن يكون في تأخير الجهاد مصلحة للمسلمين^(٧)، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى معللاً جواز تأخير الجهاد بمثل تلك الأعذار: (لأن ما يُرجي من النفع بتأخيره أكثر مما يُرجي من النفع بتقديمه فوجب

(١) المغني، ج ٨ ص ٣٤٨.

(٢) انظر الشيرازي، مصدر سابق، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق؛ وانظر النووي، روضة الطالبين، ج ١٠ ص ٣٣٤.

(٣) انظر ابن الهمام، مصدر سابق؛ وانظر ابن قدامة، المصدر السابق؛ وانظر النووي، المصدر السابق.

(٤) انظر الماوردي، مصدر سابق، وانظر الشيرازي، مصدر سابق، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق؛ وانظر النووي يحيى بن شرف، المجموع، (دار إحياء التراث العربي)، ج ٢١ ص ٣٨٧.

(٥) انظر ابن قدامة، المصدر السابق.

(٦) انظر السرخسي، المبسوط، ج ١٠ ص ٨٧؛ وانظر الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٣ ص ٢٤٦؛ وانظر النووي، روضة الطالبين، ج ١٠ ص ٢٠٩، ٣٣٤.

(٧) انظر السرخسي، المصدر السابق، ص ٨٦؛ وانظر المرغيناني، الهداية، ج ٢ ص ٤٣٠؛ وانظر النووي، المجموع، (دار إحياء التراث العربي)، ج ٢١ ص ٣٨٧.

تأخيره^(١)، ويقول ابن قدامة رحمه الله تعالى في سياق حديثه عن تلك الأعذار: (ونحو ذلك مما يرى المصلحة معه في ترك القتال، فيجوز تركه بهدنة)^(٢).

هذه الأعذار ونحوها تجيز للأمة الإسلامية تأخير الجهاد، على أن يكون الهدف من ذلك التأخير: الاستعداد لإقامة الجهاد، لا أن يكون غاية تُعَدُّهم عن الجهاد^(٣)، كما هو حال بعض الدول الإسلامية اليوم، يقول الكاساني رحمه الله تعالى عن مهادنة الكفار: (لا تجوز عند عدم الضرورة؛ لأن المواءمة ترك القتال المفروض، فلا يجوز إلا في حال يقع وسيلة إلى القتال؛ لأنها حينئذ تكون قتالاً)^(٤).

ب: على مستوى الفرد.

من أبرز الأعذار التي تُسقط وجوب مباشرة الجهاد عن الفرد المسلم^(٥):

- ١ - عدم التكليف، فمن سقط عنه التكليف الشرعي كالمجنون، أو الصبي فلا جهاد عليه^(٦) يقول ﷺ: ((رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ))^(٧).
- ٢ - الأنوثة، فالمرأة غير قادرة على تحمل أعباء الجهاد^(٨)، وقد سألت عائشة

(١) المهذب، ج ٢ ص ٢٩١.

(٢) المغني، ج ٨ ص ٣٤٨.

(٣) انظر ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج ٥ ص ٢٠٤ - ٢٠٥؛ وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص ٤٥٩.

(٤) بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٠٨.

(٥) انظر النسفي، كنز الدقائق، ص ١٩٩؛ وانظر الحطاب، مواهب الجليل، ج ٤ ص ٥٤٠؛ وانظر ابن نجيم، البحر الرائق، ج ٥ ص ٧٧؛ وانظر ابن عابدين، رد المحتار، ج ٦ ص ٢٠١ - ٢٠٥.

(٦) انظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ١١٥، ١١٦؛ وانظر الشيرازي، مصدر سابق، ص ٢٩٢؛ انظر المرغيناني، مصدر سابق، ص ٤٢٦؛ انظر الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٣ ص ٢٤١؛ وانظر النووي، روضة الطالبين، ج ١٠ ص ٢٠٩ - ٢١٢.

(٧) حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [٣٥١٢].

(٨) انظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ١١٤؛ انظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٢٩٢؛ وانظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٩٨؛ وانظر المرغيناني، الهداية، ج ٢ ص ٤٢٦؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٣٤٧؛ وانظر عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام =

رضي الله عنها رسول الله ﷺ، فقالت: (نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟)، قال ﷺ: ((لكنَّ أفضلُ الجهادِ حَجٌّ مبرورٌ))^(١).

٣- الرق، فالعبد لا يجد ما يُنفقه، بل هو مالٌ لسيدته، كما أن الجهاد عبادة تتعلق بخروج وسفر، فلم تجب على العبد كالحج^(٢)، يقول الرسول ﷺ: ((... والذي نفسي بيده، لولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ، والحجُّ، وبرُّ أمِّي؛ لأحببتُ أن أموتَ وأنا مملوكٌ))^(٣)؛ لأنه لا بد من إذن السيد فيها^(٤).

٤- العجز البدني، كالعمى، والعرج، والمرض، وقطع أو شلل عضو من أعضائه يمنعه من الجهاد فإن كان الضرر يسيراً، لزمه الجهاد^(٥)، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِيهِ عَذَاباً أَلِيماً﴾^(٦).

٥- العجز المالي والعنادي، فلا يمكن الجهاد إلا بالآلة ومال^(٧)، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٨) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَتَحْمِلَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَلَا أَحَدٌ مِمَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾^(٩).

٦- وجود حقوق مستحقة للآدميين، كالدين مثلاً، إلا إذا ضَمِنَ الحق لصاحبه، أو أُذِنَ له^(٩).

= المرأة، الطبعة الأولى، ٣٨٣ - ٣٩٢، ٣٩٤ - ٤٠٠.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١.

(٢) انظر الماوردي، مصدر سابق؛ وانظر المرغيناني، مصدر سابق؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق.

(٣) البخاري، مصدر سابق، كتاب العتق، باب ١٦.

(٤) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٥ ص ٢٠٩.

(٥) انظر الشيرازي، مصدر سابق؛ وانظر الكاساني، مصدر سابق؛ وانظر المرغيناني، مصدر سابق؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٦) سورة الفتح، الآية ١٧.

(٧) انظر الشيرازي، المصدر السابق، ص ٢٩٣؛ وانظر ابن قدامة، المصدر السابق.

(٨) سورة التوبة، الآية ٩١ - ٩٢.

(٩) انظر الشيرازي، المصدر السابق.

٧- عدم إذن الوالدين، عدم إذن الوالدين المسلمين، أو أحدهما، عذر شرعي يجيز التأخر عن الجهاد^(١)، جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال ﷺ: ((أحيي والِدَاكَ؟))، قال: نعم، قال له ﷺ: ((فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ))^(٢)، وعندما قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: (إني نذرت أن أغزو الروم، وإن أبويَّ منعاني؟)، قال له: (أطع أبويك، فإن الروم ستجد من يغزوها غيرك)^(٣).

٨- عدم إذن الإمام، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى: (ويكره الغزو من غير إذن الإمام، أو الأمير من قبله؛ لأن الغزو على حسب حال الحاجة، والإمام والأمير أعرف بذلك، ولا يحرم؛ لأن ليس فيه أكثر من التغرير بالنفس والتغرير بالنفس يجوز في الجهاد)^(٤).

٩- أن يكون من ذوي المكانة المميزة والمؤثرة على مستوى الأمة، كالعالم الذي لو قُتل فقدته الأمة، نظراً للحاجة إليه، ولعدم وجود نظراء له^(٥).

كل هذه الأعدار الشخصية مقيدة بكون الجهاد فرض كفاية، يقول الكاساني رحمه الله تعالى: (فإذا عمّ النفي، لا يتحقق القيام به إلا بالكل، فبقي فرضاً على الكل عيناً بمنزلة الصوم والصلاة، فيخرج العبد بغير إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها... وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه)^(٦).

ثالثاً: الجهاد المناسب للعصر.

مرّ تشريع الجهاد في عدة مراحل كانت مناسبة لحال المسلمين من حيث الاستعداد المعنوي، والمادي. وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة النهي عن القتال، وإنما جهاد الأعداء بالحجة

(١) انظر الشيرازي، المصدر السابق؛ وانظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٩٨؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٦، ص ١٦٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٣٨.

(٣) الشيرازي، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٥) انظر محمد بن ناصر الجعوان، القتال في الإسلام، أحكامه، وتشريعته، دراسة مقارنة، الطبعة الثانية، ص ٣٨.

(٦) مصدر سابق.

والبيان، وتوجيه الدعوة لهم بالحكمة والموعظة الحسنة^(١)، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢).

مع مقابلة الصد عن سبيل الله، وتعذيب المؤمنين وطردهم بالعفو، والصبر الجميل^(٣)، قال تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْبِطْهُمْ هَبْرًا جَمِيلًا﴾^(٥).

وكانت تلك المرحلة بالنسبة للمسلمين مرحلة تربية وتوجيه؛ لترسيخ الإيمان، وترويض النفس، يقول خباب بن الأرتؓ: (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً له في ظلِّ الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: ((كان الرجلُ فيمن قبلكم يحفرُ له في الأرضِ فيجعلُ فيه فيجاء بالميشارِ فيوضعُ على رأسِهِ، فيشقُّ باثنتين، وما يصدهُ ذلك عن دينه، ويُمسَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دون لحمِهِ من عظمٍ أو عصبٍ، وما يصدهُ ذلك عن دينه، والله ليُتَمِّنَ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكِبُ من صنعاءَ إلى حضرموتَ، لا يخافُ إلا اللهَ، أو الذئبَ على غنَمِهِ، ولكنكم تستعجلون))^(٦).

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: (كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة، وإن لم تكن ذات النصب، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين، والصبر إلى حين)^(٧).

وقد يتساءل المرء لماذا الكف عن المواجهة، ما دام المرء مؤمناً بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، ويتقي الله فيما أمر ونهى، لماذا التأخر وعدم الإقدام؟ لماذا التحمل مع القدرة على الدفاع عن النفس؟ تلك أسئلة توجهها

(١) انظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ١٠٥ - ١٠٧؛ وانظر الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٣ ص ٢٤١.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٣) انظر ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها وعلق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد، ج ٢ ص ٧٩.

(٤) سورة الحجر، الآية ٩٤.

(٥) سورة المزمل، الآية ١٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ٢٥.

(٧) تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٥٢٦.

الحماسة الدينية، والاندفاع العاطفي، أجاب عنها الرسول ﷺ حينما جاءه عبد الرحمن بن عوف ؓ في نفر من أصحابه بمكة، فقالوا: (يا رسول الله! إننا كنا في عزٍّ ونحنُ مشركون، فلما آمنَّا صرنا أذلةً؟)، فقال ﷺ: ((إني أمرتُ بالعفو، فلا تُقاتِلُوا))^(١)، دعوا المواجهة حتى يحكم الله بيننا وبينهم، وذلك ترويض لتلك الحماسة، آتت ثمارها حينما كُتب القتال على المسلمين فاستجابوا، وبقي شيء من تلك الحماسة أشار إليه القرآن الكريم، للدلالة على الحكمة الإلهية في ذلك التأخير، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٢)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (يعجب الله سبحانه وتعالى من أمر هؤلاء الناس الذين كانوا يتدافعون حماسة إلى القتال... فلما جاء الوقت المناسب الذي قدره الله؛ وتهيأت الظروف المناسبة، وكتب عليهم القتال، إذا فريق منهم شديد الجزع، شديد الفرع... يقولون: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ؟﴾ وهو سؤال غريب من مؤمن، وهو دلالة على عدم وضوح تصوره لتكاليف هذا الدين؛ ولوظيفة هذا الدين أيضاً)^(٣).

فالصبر، والحكمة صفة يجب أن يتحلى بها كل فرد مسلم في جميع أموره، فالإيمان مبني على الابتلاء الذي يُظهر حقيقة الإيمان، ومدى تمكنه في نفس المسلم، قال تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٤).

واستمرت هذه المرحلة حتى اشتد عود الإيمان في النفوس، وقَدَّم المسلمون كثيراً من التضحيات، فمن شهيد معدَّب، إلى صابرٍ محتسب، إلى مهاجرٍ تاركاً المال والأهل والولد.

المرحلة الثانية: مرحلة الإذن بالقتال، بعد كمال الاستعداد المعنوي، وبداية

(١) صحيح الإسناد. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن النسائي، الطبعة الأولى، كتاب الجهاد، باب ١٢١.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٧.

(٣) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ٧١٢.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٢ - ٣.

الاستعداد المادي والمكاني، أُذِنَ للمسلمين بالقتال^(١)، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنِ اتَّخَذُوا عَلَىٰ نَفْسِهِمْ لِقَدِيرًا﴾^(٢)، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: (إنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أمر المسلمون وهم أقل من العُشر بقتال الباقين لشق عليهم... فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم، وهموا بقتله، وشردوا أصحابه شذر مذر... فلما استقروا بالمدينة، ووافاهم رسول الله ﷺ، واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره، وصارت لهم دار إسلام، ومعقلاً يلجئون إليه، شرع الله جهاد الأعداء)^(٣).

ولتأكيد أن المؤمن لا يعتمد على قوته المادية، بل يعتمد بعد الله على إيمانه الراسخ، وبقينه الصادق فقد جاء الإذن بالقتال بعد الهجرة، وبزمن لا يقارن بمدة النهي عن القتال، وأكد تعالى حقيقة الاعتماد عليه بالآية السابقة لآية الإذن بالقتال، قال تعالى: ﴿إِنِ اتَّخَذُوا عَلَىٰ نَفْسِهِمْ ظُلْمًا﴾^(٤).

وختم آية الإذن بقوله تعالى: ﴿... وَإِنِ اتَّخَذُوا عَلَىٰ نَفْسِهِمْ لِقَدِيرًا﴾^(٥).

وهناك من يقول بأن آية الإذن قد نزلت في مكة المكرمة^(٦)، وهذا مخالف للصواب، ردّ عليه ابن القيم رحمه الله وفنّده^(٧)، فسياق الآية يدل على أنها نزلت بعد الهجرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...﴾^(٨)، وهؤلاء هم المهاجرون. كما أنه قد خاطبهم في آخر السورة بقوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾^(٩)، وهو خطاب مدني، أما قوله يا أيها الناس، فمشارك بين المدني والمكي^(١٠).

-
- (١) انظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ١٠٧؛ وانظر الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٣ ص ٢٤١.
(٢) سورة الحج، الآية ٣٩.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ج ٣ ص ٢٢٦.
(٤) سورة الحج، الآية ٣٨.
(٥) سورة الحج، الآية ٣٩.
(٦) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢ ص ٧٩؛ وانظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ ص ٧٠.
(٧) انظر الرد مبسوطاً في المصدر السابق.
(٨) سورة الحج، الآية ٤٠.
(٩) سورة الحج، الآية ٧٧.
(١٠) انظر ابن القيم، المصدر السابق.

المرحلة الثالثة: مرحلة إيجاب قتال من قاتل. بعد أن قويت شوكة المسلمين، وأصبح لهم من القوة ما يُشدد به الجناح، أوجب الله عليهم قتال من قاتلهم، دون من سالمهم^(١)، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَسُدُّوا إِلَيْكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْبَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْبَلَتَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ * فَإِنْ أُنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، وللعلماء في هذه الآية قولان^(٣):

القول الأول: أنها خاصة في هذه المرحلة الجهادية، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٤)، وقوله في الآيات التالية لها: ﴿فَإِنْ أُنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥)، وقوله: ﴿فَإِنْ أُنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾^(٧)، فيها دلالة صريحة على وجوب رد المعتدين، وعدم الاعتداء على المسالمين، وأنها خاصة بهذه المرحلة من مراحل الجهاد.

كما قالوا بنسخ هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ...﴾^(٨).

القول الثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾^(٩)، عامة في قتال الكفار وأن ما احتج به أصحاب القول الأول من الاعتداء المنهي عنه، قد

(١) انظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ١٠٥ - ١٠٦؛ وانظر ابن القيم، المصدر السابق، ص ٧١؛ وانظر الزيلعي، تبين الحقائق ج ٣ ص ٢٤١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠ - ١٩٤.

(٣) انظر تفسير الطبري، ج ٢ ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٩٢.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٨) سورة التوبة، الآية ٥.

(٩) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

فسرته السنة النبوية، وهو النهي عن قتل النساء، والذراري^(١)، وعليه فهذه هي المرحلة الأخيرة من مراحل الجهاد، وفيها فرض قتال الكفار عامة.

وقد رجح الطبري القول الثاني^(٢)، وذهب إليه من المعاصرين عبد الله القادري^(٣)، والذي أراه خلاف ذلك للآتي:

١ - المتمعن في الآيات المذكورة يلحظ الآتي:

أ : الآيات في سورة البقرة تُعبرُ عن مرحلة معينة وهي: قتال من قاتل، وعدم الاعتداء على من سالم حتى وإن بقي على كفره.

ب: الآيات في سورة التوبة صريحة بوجود قتال الكفار عامة، وعدم قبول المسالمة من المشركين حتى يُسلموا، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ...﴾^(٤).

قتال دائم بلا هوادة ولا مسالمة حتى يسلموا، قال تعالى: ﴿... فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥).

أما أهل الكتاب، فلا يُقبل منهم إلا الإسلام أو الجزية، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٦).

ويؤكد أن كلاً منهما يُعبر عن مرحلة معينة، كون آية سورة البقرة أول آية نزلت في أمر قتال المشركين^(٧)، في حين آيات سورة التوبة من آخر ما نزل على الرسول ﷺ^(٨).

(١) انظر المصدر السابق؛ وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢ ص ٣٤٧.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر الجهاد في سبيل الله، ج ١ ص ١٨٥.

(٤) سورة التوبة، الآية ٥.

(٥) سورة التوبة، الآية ٥.

(٦) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٧) انظر تفسير الطبري، ج ٢ ص ١٩٥ - ١٩٦؛ وانظر تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٣٢٧.

(٨) انظر صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن العظيم، سورة التوبة، باب ١؛ وانظر ابن كثير،

المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٣٢.

٢ - أما كون النهي الوارد في آيات سورة البقرة هو النهي عن قتال النساء والصبيان، ففي ذلك نظر لآتي:

أ : أول ذكر لقتال النساء والصبيان كان في غزوة الأبواء، فقد أخرج البخاري عن الصَّعب بن جثَّامة رضي الله عنه، أنه قال: (مرَّ بي النبي صلى الله عليه وآله بالأبواء - أو بوْدَّان - فسئِل عن أهل الدَّارِ يُبَيِّتُونَ من المشركينَ فيُصَابُ من نسايتهم وذرائعهم، قال: ((هُم مِنْهُمْ))^(١).

وظاهر الحديث يدل على عدم النهي عن قتل النساء والصبيان، إذ لو نُهي عنهم أثناء المعركة، لكان من الأولى أثناء البيات.

يؤيد ذلك ما ذكره ابن حجر رحمه الله تعالى عندما أورد رواية أبي داود لحديث الصَّعب رضي الله عنه، والتي فيها زيادة للزهري رحمه الله تعالى يقول فيها: (ثم نهى رسول الله بعد ذلك عن قتل النساء والولدان)^(٢)، قال ابن حجر رحمه الله تعالى بعدها: (وكان الزهري أشار بذلك إلى نسخ حديث الصَّعب)^(٣).

فمتى كان النسخ، وبماذا، أوضح ذلك ابن حبان عند روايته لنفس الحديث بقوله: (ثم نهى عنهم في غزوة حنين)^(٤)، يقول ابن حجر: (ويؤيد كون النهي في غزوة حنين ما سيأتي من حديث رياح بن الربيع رضي الله عنه الآتي، فقال لأحدهم: ((الحق خالدًا، فقل له: لا تقتل ذرية ولا عسيفًا...))، وخالد رضي الله عنه أول مشاهدة مع النبي صلى الله عليه وآله غزوة الفتح، وفي ذلك العام كانت غزوة حنين)^(٥).

كما أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن الأسود بن سريع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سرية يوم حنين فقاتلوا المشركين، فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فلما جاؤا قال صلى الله عليه وآله: ((ما حملكم على قتل الذرية؟))^(٦)، قالوا:

(١) البخاري، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب ١٤٦.

(٢) صحيح. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود الطبعة الأولى، كتاب الجهاد، باب ١٢١.

(٣) فتح الباري، ج ٦ ص ١٧١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) وفي رواية أخرى لم يذكر الراوي أن السرية يوم حنين، وقال صلى الله عليه وآله: ((ما بال أقوام جاوز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية؟... ألا إن خياركم أبناء المشركين، ألا لا تقتلوا ذرية، ألا لا =

يا رسول الله! إنما كانوا أولاد المشركين. قال ﷺ: ((أو هل خياركم إلا أولاد المشركين، والذي نفسي بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة، حتى يُعرب عنها لسانها))^(١).

ويُفهم من هذه المحاورة عدم صراحة النهي السابق بعدم التعرض للذرية، إذا لو كان هناك نهى لما أقدم المسلمون على ذلك، ولما أجابوا بذلك الجواب الذي يدل على أن النهي كان أخص من العموم الذي ذهب إليه من قال بالقول الثاني.

ب: هل يمكن القول بأن النهي الوارد في آيات القتال في سورة البقرة قد بينته السنة بعد أكثر من سبع سنوات، علماً أن البيان قد يتأخر عن الخطاب إلى وقت الحاجة^(٢)، والمسلمون كانوا في حاجة لذلك البيان.

ج: النهي عن قتل النساء والأطفال مرَّ بعدة مراحل هي:

١ - قتلهم في البيات، كما في صريح حديث الصَّعب رضي الله عنه، وقتلهم أثناء المعركة كما في ظاهر الحديث.

٢ - النهي عن قتلهم في البيات، كما في صريح نهيه رضي الله عنه عندما بعث لقتل ابن أبي الحقيق، حيث نهى عن قتل النساء والأطفال، وكان هذه المرحلة تهيئةً لما بعدها.

٣ - النهي عن قتلهم عموماً.

المرحلة الرابعة: قتال المشركين كافة^(٣)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْضَرُوهُمْ وَأَفْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا

= تقتلوا ذرية، كل نسمة تولد على الفطرة، فما يزال عليها حتى يُعرب لسانها، فأبواها يهودانها، أو ينصرانها)). حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [٥٥٧١].

(١) ج ٣ ص ٤٣٥.

(٢) انظر ابن حزم، الإحكام، ج ١ ص ٨٣ - ٩٣؛ وانظر الشيرازي، اللُّمع، ص ١١٨؛ وانظر الآمدي، الإحكام، ج ٣ ص ٣٠ - ٤٤.

(٣) انظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ١٠٨؛ وانظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ ص ٧١. وانظر الزبلي، تبين الحقائق، ج ٣ ص ٢٤١.

الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

ولا نحتاج إلى مزيد إيضاح بيان ودلالة، فقد مضى ما فيه الكفاية.

وبعد: فإن المتمعن في تلك المراحل الجهادية يلحظ التباين في حال المسلمين عند كل مرحلة، وللمرء أن يتساءل عن العمل بتلك المراحل، وهل هي منسوخة بالمرحلة الرابعة التي توجب قتال المشركين كافة في كل زمان ومكان، حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

إن القول بذلك فيه تجاوز لا يتفق مع يسر هذا الدين وسهولته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ (٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (لا خلاف أن تكليف العاجز الذي لا قدرة له على الفعل بحال غير واقع في الشريعة، بل قد تسقط الشريعة التكليف عن من لم تكمل فيه أداة العلم والقدرة تخفيفاً عنه) (٤).

نعم في وسع المسلمين العمل بما يناسب حالهم من تلك المراحل الجهادية، على أن تكون مرحلة انتقالية لما بعدها، يُبذل فيها ما بذل في المراحل الأولى من عمل وجهاد، واستعداد دائم ومتواصل.

ففي مرحلة معينة، وتحت ظروف معينة، يكون العمل السري، وفي مرحلة أخرى، وفي ظروف أفضل، يكون الجهر بالعمل، وهكذا حتى تنهياً الأمة للمواجهة، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (إن تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة، بحيث لا يجوز العمل بها في أي ظرف من ظروف الأمة المسلمة بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة. ذلك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والأمكنة والأزمنة، هي التي تُحدِّدُ عن طريق الاجتهاد المطلق أي الأحكام هو أنسب للأخذ به في ظرف من الظروف، في زمان من الأزمنة، في مكان من الأمكنة، مع عدم نسيان الأحكام الأخيرة التي يجب أن يصار إليها، متى أصبحت الأمة المسلمة في الحال التي تمكنها من تنفيذ هذه الأحكام، كما كان حالها عند

(١) سورة التوبة، الآية ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٤) الفتاوى، ج ١٠ ص ٣٤٤ - ٢٤٥.

نزول سورة التوبة، وما بعد ذلك أيام الفتوحات الإسلامية التي قامت على أساس من هذه الأحكام الأخيرة النهائية، سواء في معاملة المشركين، أو أهل الكتاب^(١).

سئل الإمام مالك رحمه الله تعالى: هل يسع التخلف عن قتال من خرج عن الحكم بما أنزل الله؟ فقال: (الأمر في ذلك إلى الكثرة والقلّة)، قال أبو عمر: (جواب مالك هذا، وإن كان في جهاد غير المشركين، فإنه يشمل المشركين، ويجمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كأنه يقول: من علم أنه إذا بارز العدو قتلوه، ولم ينل منهم شيئاً، جاز له الانصراف عنهم إلى فئة من المسلمين، ولم يجز له إباحتها دمه لمن لا يقوى عليه ويمكنه، ولا ينفع المسلمين بما يحاوله)^(٢).

وواقع المسلمين اليوم يؤكد مصداقية هذا الرأي، فكثير من الطاقات البشرية المسلمة قُضي عليها لعدم كفاءة المواجهة التي لو تأخرت قليلاً، أو سارت بمنهج واقعي؛ لما قضي عليها.

المطلب الثالث

حكمة^(٣) مشروعية الجهاد

للجهاد حكم بالغة، وأهداف سامية، كيف لا وهو تشريع من لدن عليم حكيم، جاء للناس بما يخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾^(٤) وليحقق لهم الأمن والسلام، قال تعالى: ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ سُبُلَ السَّلَامِ...﴾^(٥)، سلام في الدين من الفتنة، قال تعالى: ﴿وَقَدِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ...﴾^(٦).

(١) في ظلال القرآن، ج ٣ ص ١٥٨٠.

(٢) ابن عبد البر، الكافي، ص ٢٠٦.

(٣) مبحثنا هذا لا يبحث عن حكمة التشريع كحكمة تسيغ القبول أو الرفض، فذلك مناف لكمال العبودية لله الذي يجب الانقياد لتشريع، عُرفت حكمته، أو جهلت وإنما غايتنا من الكتابة حول حكمة الجهاد، تقوية العزائم، وشحذ الهمم؛ لتحقيقها.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٥) سورة المائدة، الآيتان ١٥ - ١٦.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

وفي حرمان الدنيا المتعددة من الاستباحة، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (١).

والجهاد أحد تلك الشرائع التي جاءت لتدفع الشر والفساد عن العباد (٢).

وفي هذا المطلب أبين كيف أن مطلب السلام متأصل في النفس البشرية، لكن المؤثرات تحول بين الإنسان وبين هذا السلام، مما يعني وجوب مجاهدة تلك المؤثرات؛ لينعم الإنسان بالأمن والسلام الحقيقي، وذلك في فرعين:

الفرع الأول

السلام الذي يضمن للبشرية الأمن والاستقرار

السلام مطلب كل حي، وغاية كل مخلوق، ألا ترى النملة تقول لأخواتها: ﴿... يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٣).

إنه مطلب لأجل الأمن والاطمئنان.

والإنسان كسائر المخلوقات، ينشد الأمن والسلام، ويسعى جاهداً بكل ما أوتي من قوى ومدركة وإمكانات لأجل السلام.

لكن غواشي الحياة، وجبايرة الأرض، قد تحول بين الإنسان وبين مبتغاه، بتزيين ما فيه الضنك والشقاء، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا...﴾ (٤).

ولتجاوز ذلك فقد جعل الله من أكبر نعمه على بني آدم بعد خلقه وتكريمه لهم، أن أودع فيهم جميعاً بذرة الخير، وجعل عندهم القابلية للتوحيد، وإلى ما يحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي

(١) سورة النساء، الآية ٧٥.

(٢) انظر المرغيناني، الهداية، ج ٢ ص ٤٢٦؛ وانظر ابن نجيم، البحر الرائق، ج ٥ ص ٧٦.

(٣) سورة النمل، الآية ١٨.

(٤) سورة فاطر، الآية ٨.

فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْدِينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: (فسدد وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية، ملة إبراهيم الذي هداك الله لها، وكملمها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره) (٢).

فالخلق جميعاً قد جُبلوا على معرفة الله، يرتبطون به دون إرادة منهم، يتوجهون إليه بأكفهم وأبصارهم وقلوبهم عند الحاجة.

لكن هذه الفطرة معرضة للانحراف والتغيير، بفعل الآخرين، من الوالدين، أو المجتمع، يقول ﷺ: ((كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه، كمثل البهيمة تُنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء؟)) (٣).

فالكفر ليس من طبع الإنسان، وإنما اكتسبه بفعل خارجي، لو سلم منه لبقى على فطرته، يقول ابن القيم رحمه الله: (ليس المراد بقوله ﷺ: ((يولد على الفطرة)) أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين؛ لأن الله يقول:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا... ﴾ (٤)، ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة، وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك لأنه لا يتغير بتهويد الأبوين مثلاً، بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية، فلو خُلِّيَ وعدم المعارض، لم يعدل عن ذلك إلى غيره) (٥).

إذاً فمن الطبيعة الفطرية للإنسان التوجه إلى من يُحدد له المسار، ويُحقق له السعادة، وينشد في ذلك من يرى عنده القدرة؛ لأن الفطرة لوحدها لا تكفي لتحقيق ذلك الأمر، رغم ما يساندها من قوى مدركة، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٤٣٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ٩٢.

(٤) سورة النحل، الآية ٧٨.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج ٣ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

أَمْهَلَنِيكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾،
ومن استعداد للخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا﴾ ﴿٢﴾.

إلا أن تلك القوى تتأثر بما تتأثر به الفطرة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَأَن ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٣﴾، مما يجعل الإنسان بفطرته يُقبل على ما يوجه له، فينحرف عن الطريق
المستقيم، يجحد نعمة ربه، ويصرف العبادة لغيره. قال تعالى: ﴿... إِنَّكَ الْإِنْسَانَ
لَطَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٤﴾، يجزع أشد الجزع، ويحرص أشد الحرص، ويمنع الخير
أهله ﴿٥﴾، قال تعالى: ﴿... إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
مَنُوعًا * إِلَّا الْمَصْلِينَ﴾ ﴿٦﴾.

يكفر باليسير، ولا يشكر الكثير، يَعُدُّ المصائب، وَيَنسَى النِّعَمَ ﴿٧﴾، قال تعالى:
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ﴿٨﴾.

يتجاوز ويطغى، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ﴾ ﴿٩﴾.

يعيش في شدة وعناء، بين مصائب وشدائد ﴿١٠﴾، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
فِي كِبَدٍ﴾ ﴿١١﴾.

(١) سورة النحل، الآية ٧٨.

(٢) سورة الشمس، الآية ٧ - ٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٠.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

(٥) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨ ص ٢٨٩.

(٦) سورة المعارج، الآية ١٩ - ٢٢.

(٧) انظر المصدر السابق، ج ٢٠ ص ١٩٠ - ١٩١؛ وانظر تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ٤٧١ -
٤٧٢.

(٨) سورة العاديات، الآية ٦.

(٩) سورة العلق، الآية ٦.

(١٠) انظر تفسير الطبري، ج ١٢ ص ٥٨٧ - ٥٨٨.

(١١) سورة البلد، الآية ٤.

وفي النهاية يبوء بالخسارة والهلاك، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ (١).

كل ذلك لأن الفطرة انحرفت بفعل شياطين الإنس والجن، يقول ﷺ: ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نحلته عبداً حلالاً، وإني خلقت عبادي حنفاءً كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...)) (٢)، هذا الانحراف يجعل الإنسان يعيش في (ضنك الحيرة والقلق والشك، ضنك الحرص والحذر، الحرص على ما في اليد، والحذر من الفتور، ضنك الجري وراء بارق المطامع، والحسرة على كل ما يفوت) (٣)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (٤).

تبقى حاجته الفطرية قائمة؛ لأن ما طرأ عليها من تغير وانحراف، لم يكن ليوافق ما في النفس البشرية من قوى وغرائز أودعها الله فيه، بل إن الفطرة تأخذ به في غفلة من تلك المؤثرات، وتعيده إلى ما فطرت عليه، ألا ترى كيف كانت صلة المشركين بتلك الفطرة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِينَ فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٥)، ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرَّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٦)، لقد أنكرها فرعون على علم بها، قال تعالى: ﴿وَجحدُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧).

ثم عاد إلى تلك الحقيقة الفطرية عندما أدركه الغرق، وذُهل عن تلك المؤثرات، قال تعالى: ﴿... حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ

(١) سورة العصر، الآية ١ - ٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب ١٦.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤ ص ٢٣٥٥.

(٤) سورة طه، الآية ١٢٤.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٦٥.

(٦) سورة الروم، الآية ٣٣.

(٧) سورة النمل، الآية ١٤.

بِهِ بُنِيَ إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ .

إذا فالإنسان بحاجة ماسة إلى من يوقظ عنده الاستعداد الفطري، بل إنَّ ذلك من طبيعة الفطرة الإنسانية التي لا تقوم بنفسها كما مرَّ معنا، كما أنه بحاجة ماسة إلا من يُزيل عنه تلك الموانع والعوائق التي تحول بينه وبين ما فيه سعاده في الدنيا والآخرة .

لذلك بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، ولحجة الخلق مسقطين، قال تعالى : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ . . . ﴾ (٢) ، يقول الطبري رحمه الله تعالى : (يقول : أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين ؛ لئلا يحتج من كفر بي، وعبد الأنداد من دوني أو ضل عن سبيلي، بأن يقول إذا أردت عقابه ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُحْزَى﴾ (٣) ، فقطع حجة كل مبطل أُلحد في توحيده، وخالف أمره، بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، إغذاراً منه بذلك إليهم ؛ لتكون لله الحجة البالغة عليهم، وعلى جميع خلقه) (٤) ، وتلك سنة الله في خلقه أجمعين، الأولين منهم والآخريين، قال تعالى : ﴿ . . . وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٥) يقول ابن كثير رحمه الله تعالى : (إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، كقوله تعالى : ﴿ . . . كُلَّمَا أُلْفِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ ﴾ (٦) (٧) .

وذلك رحمة بالعباد، وإلا فليس للخلق على الله حجة، يقول الشوكاني رحمه الله تعالى : (سميت المعذرة حجة مع أنه لم يكن لأحد من العباد على الله حجة، تنبيهاً على أن هذه المعذرة مقبولة لديه تفضلاً منه ورحمة) (٨) ؛ لأنهم جميعاً قد بث

(١) سورة يونس، الآية ٩٠ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٥ .

(٣) سورة طه، الآية ١٣٤ .

(٤) تفسير الطبري، ج ٤ ص ٣٦٩ .

(٥) سورة الإسراء، الآية ١٥ .

(٦) سورة الملك، الآيتان ٨ - ٩ .

(٧) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٢٩ .

(٨) محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، =

فيهم التوحيد ببعث آدم ﷺ، وبما فطرهم الله عليه، يقول ابن عطية رحمه الله تعالى: (الذي يعطيه النظر، أن بعثة آدم ﷺ بالتوحيد، وبث المعتقدات في بنيه مع نص الأدلة الدالة على الصانع، مع سلامة الفطر، توجب على كل أحد من العالم الإيمان، واتباع شريعة الله، ثم تجدد ذلك في زمن نوح ﷺ بعد غرق الكفار)^(١).

نعم ففي ذلك إسقاط لأعذار المعتذرين، لكن رحمة الله أوسع من ذلك، فجاءت الرسائل السماوية على فترات زمنية متفاوتة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَرَادَ أَنْ يَهْتَدِيَ وَمَا تَخَلَّفُوا فِيهِ مِنَ الْوَيْلِ لِلَّذِينَ أُوتُواهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

ومن تمام نعمته جل وعلا، اختياره وانتقاؤه الرسل؛ لتلقي الوحي، وتبليغه للناس، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٣)، فالله (يختار من الملائكة رسلاً كجبريل، وميكائيل، اللذين كان يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده، ومن الناس كأبيائه اللذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم)^(٤).

وختم الله تلك الرسائل بأتمها، يقول ﷺ: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ؛ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ))^(٥).

وجعلها رسالة فطرية، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾^(٦)، يقول الطبري رحمه الله تعالى: (فسدد وجهك نحو الذي

= الطبعة الثالثة، ج ١ ص ٥٣٨.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٥.

(٤) تفسير الطبري، ج ٩ ص ١٩٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ١٨.

(٦) سورة الروم، الآية ٣٠.

وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين حنيفاً^(١)، وقال عكرمة رحمه الله تعالى: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٢): (الإسلام)^(٣).

رسالة موجهة للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾^(٤).

فيها كل ما يضمن لها الاستمرارية إلى يوم القيامة، حيث الشمولية والتكامل لجميع شؤون الحياة الدنيوية، قال تعالى: ﴿... مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٦).

مع الاتزان والوسطية والاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٧).

جاءت باليسر والسماحة في جميع الأحكام، قال تعالى: ﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...﴾^(٨).

وامتازت بالعدل بين الأفراد والجماعات الإنسانية، قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَوْنُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٩).

كل ذلك بهدف تحقيق الأمن والسلام الدنيوي والأخروي لبني آدم أجمعين، قال تعالى: ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ

(١) المصدر السابق، ج ١٠ ص ١٨٢.

(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٦) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٧) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٩) سورة المائدة، الآية ٨.

إِلَى النَّوْرِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أي: (طرق النجاة والسلامة، ومنهج الاستقامة) (٢)، ويقول السدي رحمه الله تعالى: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ سبيل الله الذي شرعه لعباده ودعاهم إليه، وابتعث به رسله، هو الإسلام الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا به، لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية) (٣).

فمن اتبع رضوان الله أمن واطمأن في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٤)، فلا خوف ولا حزن، ولا قلق ولا اضطراب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا أَنزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَائِكَةَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا...﴾ (٥)، إذا فبالإسلام يتحقق الأمن والسلام.

الفرع الثاني

موقف الطغاة من السلام الحقيقي

تفاوت رد الفعل البشري حول الرسائل السماوية بين القبول والرفض. وقد قصَّ علينا القرآن الكريم وبيَّن لنا أخبار الأمم الماضية، وموقفها الذي تجاوز التكذيب والرفض، إلى الاعتداء قتلاً وطردهاً وتعذيباً، ومن تلك المواقف، موقف قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفِ لَكُمْ لِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٦).

ولمدين موقف آخر يصور حالة أخرى من حالات الإصرار على الكفر، واتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ * وَأَسْتَفِرُّوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّ رَحِيمٌ

(١) سورة المائدة، الآيتان ١٥ - ١٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٣٥.

(٣) تفسير الطبري، ج ٤ ص ٥٠٣.

(٤) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٥) سورة فصلت، الآية ٣٠.

(٦) سورة الأنبياء، الآيات ٦٦ - ٦٧ - ٦٨.

وَدُودٌ * قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا
أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١﴾ .

أما فرعون فقد طغى وتجاوز حتى على نظرائه في الجحود والنيكران، قال
تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ
فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ .

هكذا كان رد فعل بعض الطغاة والجبابرة على تلك الرسالات، قال تعالى:
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٣﴾ .

وبقيت تلك السلالة على جحودها وإعراضها، وواجه الرسول ﷺ من
ذلك الكثير، فقد أوذى وحوصر مع من آمن به، وواجه ألوان الأذى والتعذيب،
والرفض لما جاء به^(٤)، قال تعالى: ﴿ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ... ﴿٥﴾ .

ووصف بأنه ساحر، ومجنون، قال تعالى: ﴿... وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ
لَمَجْنُونٌ ﴿٧﴾ .

وفتن المؤمنون لإيمانهم بمختلف ألوان الفتن المعنوية والمادية، قال تعالى:
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ
وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلاَ إِنَّا نَصُرُ اللَّهَ قَرِيبٌ ﴿٨﴾ .

واستمر شياطين الإنس في ظلمهم والقرآن ينزل بالزواج، ويأتيهم
بالمعجزات المختلفة، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) سورة هود، الآيات ٨٩ - ٩٠ - ٩١ .

(٢) سورة القصص، الآية ٣٨ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ١١٢ .

(٤) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ ص ١٣ .

(٥) سورة فصلت، الآية ٤٣ .

(٦) سورة سبأ، الآية ٤٣ .

(٧) سورة الحجر، الآية ٦ .

(٨) سورة البقرة، الآية ٢١٤ .

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا... ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ ﴿٢﴾.

والرسول ﷺ يواجه ذلك بالصبر والتحمل للأذى، والبيان بالحجة والحكمة المحببة إلى النفس، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ...﴾ ﴿٣﴾، وقال تعالى: ﴿... وَحَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ ﴿٤﴾.

كل ذلك مع أن بيانه ﷺ أفصح بيان، وجداله أحكم جدال، وصبره أقوى صبر، ومعجزاته أوضح المعجزات وأبلغها الدالة على صدق ما جاء به، حتى إنهم اعترفوا بذلك، فهذا الوليد بن المغيرة بعد أن سمع القرآن الكريم، يقول: (فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى) ﴿٥﴾.

فلم يرق هذا الكلام لجابرة قريش، وخافوا من تأثر المشركين بهذا القول، فطلب منه قولاً منكرًا غير هذا، يوافق رأيهم المتكبر ﴿٦﴾، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَكَانَ إِذَا هَذَا * إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ﴿٧﴾.

وبلغ الظلم مبلغه، والأذى مداه بإجماع طغاة قريش على قتل الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ ﴿٨﴾.

عندها أذن الله لعباده بأن يدافعوا عن أنفسهم، وأن يرفعوا ذلك الظلم الذي

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٣) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.

(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٥) تفسير الطبري، ج ١٢ ص ٣٠٩.

(٦) انظر المصدر السابق.

(٧) سورة المدثر، الآيات ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥.

(٨) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

أوقعه الطغاة المتجبرون قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١).

فلم يكن لذلك الظلم أن يرتفع دون جهاد يقضي على الشياطين وأعدائهم، وحتى لا تكون فتنة في الدين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

فتنته المؤمن في دينه عن طريق التعذيب والاضطهاد لأي سبب كان، وعلى أي صورة كانت، أشد من القتل^(٣)، قال تعالى: ﴿... وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ...﴾^(٤).

إن الأمر بالجهاد دليل على وجوب إزالة عوائق الدعوة التي تصدها عن الوصول إلى الناس، يتساوى في ذلك الأفراد والحكومات، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (من حق البشرية أن تبلغ إليها الدعوة إلى هذا المنهج الإلهي الشامل، وألا تقف عقبة، أو سلطة في وجه التبليغ بأي حال من الأحوال)^(٥)؛ لذلك عمل ﷺ بأمر ربه، فجاهد في سبيله، وقاتل من صد عنه، وأزال عوائق الدعوة الإسلامية أفراداً وجماعات حتى عمّت معظم أجزاء الجزيرة العربية.

وعلى منهجه ﷺ سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم والسلف الصالح رحمهم الله تعالى في أرجاء الأرض، يقيمون سنة الله في دفع الباطل وأهله، بالحق وأهله، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَخِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾^(٦).

يقول خالد بن الوليد ؓ لأهل الحيرة: (أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم، فالجزية، فإن أبيتم الجزية، فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم)^(٧).

(١) سورة الحج، الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٣) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج ١ ص ١٩١.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩١.

(٥) في ظلال القرآن، ج ١ ص ١٨٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٤١.

(٧) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٣٤٤.

ذلك هو موقف بعض الطغاة من السلام الحقيقي .

ولنا في طغاة العصر الحاضر مثل حي ومشاهد، يُذَكِّرُنَا بقصص الطغاة من الأمم الخالية، وكأنهم معاصرو اليوم، فأنصار الباطل اليوم في عمل مستمر، ومحاولة جادة بكل الإمكانيات المتاحة لهم لأجل تحقيق هدفهم، قال تعالى: ﴿... وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾^(٢)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (... تلك هي العلة الأصلية، ليس الذي ينقصهم هو البرهان، وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق، وأن الذي جاءك من ربك الحق، ولو قدمت إليهم ما قدمت، ولو توددت إليهم ما توددت، لن يرضيهم من هذا كله شيء، إلا أن تتبع ملتهم، وتترك ما معك من الحق، إنها العقيدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان، إنها هي العقيدة. هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض، وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة)^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٠ .

(٣) مرجع سابق، ص ١٠٢ .

الباب الأول

المعوقات المعنوية

- الفصل الأول: في المجال العقدي والفكري.
- الفصل الثاني: في المجال الاجتماعي والخلقي.
- الفصل الثالث: في المجال السياسي.

الفصل الأول

في المجال العقدي والفكري.

المبحث الأول: الخلل العقدي.

المبحث الثاني: الوهن الروحي.

المبحث الثالث: الهزيمة النفسية.

المبحث الرابع: الغزو الفكري.

المبحث الأول الخلل العقدي

مدخل:

كل بناء يحتاج إلى أساس يستند عليه، يحدد له وجهته، ويستمد منه قوته، والإنسان كغيره بناء روحي وجسدي يحتاج إلى قوة دافعة، و طاقة محرّكة، تسهل له أمور الحياة، وتحدد له الأهداف والغايات، ومن النادر جداً وجود إنسان بدون عقيدة يؤمن بها؛ لذا كانت العقيدة ضرورية للإنسان يحتاجها كحاجته للطعام والشراب والهواء، تحدد حركته الدينية والكونية، الفكرية والسلوكية الاجتماعية والسياسية، وتبسط سلطانها في قلب الإنسان وجسمه، فينطلق منها لأهدافه المتعددة بقوة تتلاءم مع رسوخها وإيمانه بها.

وقد تصاب العقيدة بخلل يجعل فاعليتها في النفس البشرية أقل من أن تؤدي الدور المطلوب منها فيصبح حاملها غير ذي أثر، يوجّه ولا يوجّه، يقود ولا يقاد. وفي هذا المبحث أبين أبرز مظاهر الخلل الذي أصاب العقيدة الإسلامية، فأقعد الأمة عن الجهاد، وعن القيام بدورها القيادي للبشرية، وذلك في عدة فروع:

المطلب الأول التعريف وأركان الإيمان

الفرع الأول التعريف

أولاً: الخَلَلُ. لغة بمعنى: خَلَّ الشيءَ يَخُلُّه خَلًّا، فهو مخلول ومخلل، وتخلَّله: أي ثَقَبه ونَفَذه. والخَلَلُ: الفُرْجة بين الشيئين، تقول خلَّلَ بينهما، أي: فَرَجَ بينهما. وفي رأيه خَلَّلَ: أي انتشار وتَفَرُّق. والخَلَلُ في الأمر: الفساد والوهن^(١).

هذه المعاني اللغوية تتفق مع المراد من هذا المبحث، حيث الفساد والوهن في العقيدة.

ثانياً: العقيدة. مدار العقيدة في معاجم اللغة مادة: (عقد) التي لا تخرج في معناها عن: الجزم، والعزم المؤكد، والتوثيق للجهود، والجمع. تقول: عقد قلبه على كذا: لزمه فلا ينزع عنه، واعتَقَدَ الشيءَ: اشتدَّ وصلَّبَ^(٢). واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة: ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة، أي سالمة من الشك^(٣). وقيل: (الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده) وذلك في جميع الأمور. أما في الدين فهي: (ما يقصد به الاعتقاد دون العمل)^(٤).

(١) انظر الرازي، مختار الصحاح، «خلل»؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب، «خلل».

(٢) انظر ابن فارس، مقاييس اللغة «عقد»؛ وانظر ابن منظور، المصدر السابق، «عقد».

(٣) انظر المقري أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، صححه: مصطفى السقا، «عقد».

(٤) أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «عقد».

تلك هي العقيدة بمعناها اللغوي، سواء كانت دينية، أو مذهبية، أو فكرية، أو سياسية. ومنه يتبين أنها أمور علمية يكفي الإنسان معرفتها مع الاعتقاد الجازم الذي لا يقبل الشك، فإن كان في نفس الإنسان شك أو ريب في أمر ما، ففي عقيدته خلل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١).

فإذا بلغ الإنسان مرحلة التصديق الجازم، وانعقد قلبه على ذلك الأمر، أصبح خاضعاً لتلك المبادئ مطمئناً ومسلماً لها، عن ثقةٍ بها وأمان لها، وذلك هو الإيمان بمعناه اللغوي^(٢).

إذاً فالإيمان هو الجانب العملي في موضوع العقيدة؛ لأن الاعتقاد لا يكفي في مجال الإيمان، فقد يعتقد الإنسان الشيء لكنه لم يؤمن؛ لأنه لم يعمل بما اعتقد، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾^(٣)، فرغم علمهم اليقيني، إلا أنهم جحدوا بها اعتداءً وتكبراً^(٤).

والإسلام حين أقام بناءه جعل العقيدة الإسلامية أساسه الراسخ، وسياجه المتين، تعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في بيان أركانها، وإيضاح مفاهيمها ومبادئها، وتتجه إلى تهذيب الغرائز، وتحرير الإنسان بوضعه في المكان اللائق بكرامته، بعيداً عن عبودية العباد، أو الكون، أو الطبيعة.

ولقد عبر القرآن الكريم والسنة النبوية عن العقيدة بالإيمان، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٥)، فهذه أركان الإيمان التي لا يصح إيمان أحد إلا بالتصديق الجازم بها، مع إظهار الخضوع والقبول لها، ومن جحد شيئاً من ذلك فقد كفر.

وقال ﷺ معرفاً بالإيمان، وموضحاً أركانه: ((أَنْ تُوْمَنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ،

(١) سورة الحجرات، الآية ١٥.

(٢) انظر ابن منظور، مصدر سابق، «أمن».

(٣) سورة النمل، الآية ١٤.

(٤) انظر تفسير الطبري، ج ٩ ص ٥٠٢.

(٥) سورة النساء، الآية ١٣٦.

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

كما عرفه علماء العقيدة بأنه: (قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وعقدٌ بالجنان، يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالعصيان)^(٢).

ولم يخرج علماء اللغة في تعريفهم للإيمان عن هذا المفهوم، فهو عندهم: (إظهار الخضوع والقبول للشريعة، ولما أتى به النبي ﷺ، واعتقاده وتصديقه بالقلب)^(٣).

الفرع الثاني

أركان الإيمان*

للإيمان شعب متعددة^(٤)، تتفاوت بقدر تأثيرها على حقيقة الإيمان، فمنها ما تزيله، ومنها ما لا يضر معها الإيمان، يقول ﷺ: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول: لا إله قول: لا إله إلا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان))^(٥)، فهذه الشعب تنفرح من أعمال القلب، واللسان، والبدن^(٦)، منها ما هو أصل وركن يدور حوله صدق الإيمان، وهي:

الركن الأول: الإيمان بالله، ويتضمن أربعة أمور:

١ - الإيمان بوجود الله تعالى^(٧)، وقد دل على ذلك الفطرة، فكل مخلوق يؤمن بخالقه من غير علم سابق، إلا من طرأ على فطرته صارف، يقول ﷺ: ((كل مولود

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ١.

(٢) ابن قدامة عبد الله، لمعة الاعتقاد، الطبعة الثانية، ص ٢١؛ وانظر ابن العز علي بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، الطبعة الثانية، ص ٤٥٩؛ وانظر صالح البيهقي، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، الطبعة الثانية، ص ٥٨ - ٦١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، «أمن».

(*) سأعرض هنا بإيجاز لأهم مسائل العقيدة، مع اجتناب كل ما فيه جدل كلامي أو فلسفي.

(٤) انظر البيهقي أحمد بن حسين، مختصر شعب الإيمان، الطبعة الأولى، ص ١٣ - ١١٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ١٢.

(٦) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ١ ص ٦٨.

(٧) انظر محمد بن صالح العثيمين، شرح أصول الإيمان، الطبعة الأولى، ص ١٥ - ١٩.

يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها من جدعاء؟^(١)، وهذا ما ذهب إليه ديكرارت العالم الفرنسي، معبراً عن شعور لا إرادي داخل نفسه: (إني مع شعوري بنقص ذاتي، أحسُّ في الوقت نفسه بوجود وجود ذات كاملة، وأراني مضطرباً للاعتقاد بأن هذا الشعور قد غرسته في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال، وهي: الله)^(٢).

كما دل على وجوده سبحانه وتعالى العقل، فهذا العالم البديع من أوجده، هل أوجدَ نفسه، أو وُجد صدفة، أسئلة تخالف مفهوم العقل السليم، الذي يرى أن الأشياء لا توجد نفسها، كما أنها لا توجد صدفة، فكل حَدثٍ لا بد له من مُحدث، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾^(٣)، يقول إسحاق نيوتن العالم الإنجليزي، ومكتشف قانون الجاذبية عندما ترك العقل يعبر عن إدراكه بدون مؤثرات خارجية: (لا تشكوا في الخالق، فإنه مما لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هي قائدة هذا الوجود)^(٤).

كما دل على وجوده أيضاً الشرع، حيث جاءت الكتب السماوية مقررة تلك الحقيقة، فمن الأحكام المنظمة لمصالح الخلق، إلى الأخبار الكونية والغيبية التي أيدها الواقع، كل ذلك دليل على وجود مدبر قادر.

ومما دل عليه أيضاً الحس، فإجابة الداعين، وتفريج كرب المكروبين، دليل على وجود الله، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾^(٥).

٢ - الإيمان بربوبيته تعالى^(٦)، فهو رب كل شيء ومليكه، لا خالق ولا مدبر إلا هو لا شريك له وتلك حقيقة أقر بها الأولون والآخرين، قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَن

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ٩٢.

(٢) حسن البناء، العقائد، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ص ٥٣ - ٥٤.

(٣) سورة الطور، الآية ٣٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٤.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٩.

(٦) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٣ ص ٩٦؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية،

ص ٢١.

الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُرُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ * قُلْ مَنْ يَدِينَهُ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُرُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿١﴾، ولم ينكرها إلا من تكبر وعاند، قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢﴾.

٣ - الإيمان بألوهيته تعالى ^(٣)، فهو إله الأولين والآخرين، وما اتخذ من دونه من آلهة فهي باطلة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ^(٤) فكل مخلوق فاقده لخصائص الألوهية من جلب النفع ودفع الضرر، فهو لا يملك من دون الله شيئاً، لا لنفسه ولا لغيره، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُوراً﴾ ^(٥).

٤ - الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته ^(٦)، نؤمن بما أثبتته لنفسه من أسماء وصفات، على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، قال تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ^(٧)، نؤمن بها دون تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٨).

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة ^(٩)، نؤمن بوجود ذلك العالم الغيبي الذي لا يعلم عدده إلا الله خلقوا من نور بأشكال وصور مختلفة، لأعمال كلفوا بها، فمنهم

-
- (١) سورة المؤمنون، الآيات ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩.
(٢) سورة النازعات، الآيات ٢٣ - ٢٤.
(٣) انظر المصادر السابقة، ص ٨٩؛ ص ٢١؛ وانظر العثيمين، شرح أصول الإيمان، ص ٢١.
(٤) سورة لقمان، الآية ٣٠.
(٥) سورة الفرقان، الآية ٣.
(٦) انظر المصادر والمراجع السابقة، ص ٣ - ٧؛ ص ٢٢ - ٢٩؛ ص ٢٣ - ٢٦.
(٧) سورة الشورى، الآية ١١.
(٨) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.
(٩) انظر ابن أبي العز، المصدر السابق، ص ٤٠٥ - ٤٠٩؛ وانظر العثيمين، المرجع السابق، ص ٢٧ - ٣١.

المسبحون العابدون، ومنهم المكلف بأعمال خاصة كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وغيرهم ممن علمنا اسمه، أو عمله، وهم جميعاً بأمر الله يأترون، ولا يملكون من دون الله شيئاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(١)، ويقول ﷺ: ((خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ. وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ))^(٢).

الركن الثالث: الإيمان بالكتب^(٣)، نؤمن بأن الله كتباً أنزلها على رسله، فيها نور وهدى للعالمين نؤمن بها جملة سواء علمنا أسماءها، كصحف إبراهيم، والتوراة والإنجيل والزيور، أو لم نعلمها، وبما صحح من أخبارها ما لم تنسخ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(٤).

ونؤمن بالقرآن إيماناً مفصلاً، وأنه أعظمها والناسخ لها، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه منزل من عند الله، غير مخلوق، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾^(٥).

الركن الرابع: الإيمان بالرسول^(٦)، نؤمن برسول الله أجمعين، الأولين والآخرين، من علمنا اسمه ومن لم نعلمه، وأنهم كسائر الخلق ليس لهم من خصائص الألوهية أو الربوبية شيء، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطَعَّمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾^(٧).

وأن أفضلهم وخاتمهم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب ١٠.

(٣) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٣ ص ٣٦٥؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٤.

(٤) سورة الأعلى، الآية ١٨ - ١٩.

(٥) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٦) انظر المصدر السابق، ص ٤٢٣ - ٤٢٤؛ وانظر العثيمين، شرح أصول الإيمان، ص ٣٤ - ٣٩.

(٧) سورة الشعراء، الآيات ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١.

وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ... ﴿١﴾، وأن من كفر برسالته، أو برسالة غيره من الأنبياء فقد كفر بجميع الرسالات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿٢﴾.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر^(٣)، نؤمن بقيام الناس وحشرهم للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَظْرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٤﴾.

ونؤمن بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٥﴾.

ونؤمن بما بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه أو نعيمه، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿٦﴾.

ونؤمن بالميزان^(٧)، فلا تظلم نفس شيئاً، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبًا﴾ ﴿٨﴾.

ونؤمن بالشفاعة العظمى^(٩) لرسول الله ﷺ، وشفاعته لأهل الجنة بدخولها،

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٠.

(٣) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٣ ص ١٤٥ - ١٤٨؛ وانظر العثيمين، المرجع السابق، ص ٤٠ - ٥٢.

(٤) سورة الزمر، الآيات ٦٨ - ٦٩ - ٧٠.

(٥) سورة الزمر، الآية ٧٣.

(٦) سورة غافر، الآية ٤٦.

(٧) انظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٦٠٨.

(٨) سورة الأنبياء، الآية ٤٧.

(٩) انظر المصدر السابق، ص ٢٨٢ - ٢٩٤.

وبكل ما أخبر به القرآن الكريم، أو السنة النبوية عن أهوال ذلك اليوم وأحداثه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَجِدَّةً * وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا دَكَّةً وَجِدَّةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (١).

الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر (٢)، نؤمن جملةً وتفصيلاً بأن الله قد خلق الكائنات بحركاتها وصفاتها وأشكالها، وأنه قدر الخير والشر حسب علمه وحكمته، وكتبه في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٣).

وأن الأمر لا يكون إلا بمشيئته، سواء المتعلق بفعله أو بفعل الآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٤).

وأن للإنسان مشيئةً واختياراً يحدد بها أفعاله، قال تعالى: ﴿... فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ (٥).

وبها يسقط احتجاجة بالقدر عند المعصية، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُنَا إِنْ نَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (٦).

هذه الأركان هي أساس بناء شخصية الفرد والمجتمع المسلم، وهي الطاقة المحركة لعواطفه، الموجهة لإرادته، فيها عناصر الارتقاء المادي والروحي، حيث السمو عن الحياة الوضعية إلى ما فيه الخير والفلاح. ويقدر ما تكون هذه الأسس سليمة، بقدر ما تكون فاعلة ومؤثرة في طريق الحق والاستقامة.

لقد كان لهذه العقيدة أبلغ الأثر في الرعيل الأول من هذه الأمة، فعلت همهم حتى قادوا الأمم وطهروا الأرض من الكفر والإلحاد والفساد. وفي ذلك مثال حي

(١) سورة الحاقة الآيات ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦.

(٢) انظر ابن تيمية، مصدر سابق، ص ١٤٨ - ١٤٩؛ وانظر ابن أبي العز، المصدر السابق، ص ٣٢٠ - ٣٢١.

(٣) سورة القمر، الآية ٤٩.

(٤) سورة الكهف، الآيتان ٢٣ - ٢٤.

(٥) سورة النبأ، الآية ٣٩.

(٦) سورة الأنعام، الآية ١٤٨.

لما يجب أن يكون عليه المسلم في إيمانه وشجاعته، في إخلاصه وصدقه، في صبره وعطائه، يقول محمد قطب: (إن منبع النور واحد العقيدة الصحيحة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وتختلف درجات الإضاءة في صفحة التاريخ بمقدار استمداد أهل كل فترة من فتراته من ذلك المنبع الأصيل، ومدى قيامهم بما تقتضيه العقيدة الصحيحة من تكاليف في عالم الواقع. فتشتد الإضاءة حتى تتوهج حين يكون استمدادهم على أتمه وتخبو حين يضعف الاستمداد، وتظلم الصفحة تماماً حين تنقطع صلة الناس بمصدر النور)^(١).

(١) كيف نكتب التاريخ الإسلامي، (الرياض: دار الوطن للنشر)، ص ١٧.

المطلب الثاني التحليل

نعم فالعقيدة الإسلامية أحدثت نقلة نوعية في قلوب أتباعها، وفي سلوكياتهم، وكانت من الضخامة أن استطاعوا بها إزالة واقع بشري، وإقامة واقع يختلف جذرياً عن ذلك الواقع السائد. واستمر الحال كذلك صافياً كصفاء العقيدة، وراسخاً كرسوخها داخل القلوب، ثم بدأ الخلل يدب في تلك المفاهيم العقدية بدرجة متوازنة مع مفعولها داخل النفوس، حتى وصل الحال إلى مرحلة عزل العقيدة عن معظم جوانب الحياة المختلفة، وقد كان من أبرز مظاهر ذلك الخلل:

أولاً - التفرق العقدي:

انقسمت الأمة قديماً وحديثاً إلى عدة فرق وطوائف متباينة على النحو التالي:

١ - المذاهب القديمة، ومنها:

أ: الباطنية، حيلة باطلة اتخذها مجموعة من أبناء اليهود والمجوس والمنافقين، بغرض الكيد للإسلام والمسلمين، حقداً وحسداً لظهور المسلمين دينياً وسياسياً، ولعدم قدرتهم على المواجهة الفكرية والسياسية، واتخذوا لذلك عدة ألقاب وأسماء^(١)، من أبرزها في عصرنا الحاضر: الإسماعيلية والنصيرية، والدروز^(٢).

(١) انظر ابن طاهر عبد القاهر، الفرقُ بين الفرق، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ص ٢٦٥؛ وانظر الغزالي محمد أبو حامد، فضائح الباطنية، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر)، ص ١٢ - ١٧؛ وانظر ابن الجوزي، تلبس إبليس، الدراسة والتحقيق والتعليق: السيد الجميلي، ص ١٢٤ - ١٣٦.

(٢) ومنها أيضاً: القرامطة، الخرمية، البابكية، السبعية، المحمرة، التعليمية، الإباحية، =

ومن أبرز معتقداتهم الإلحاد في ذات الله، وتحريف كلامه وكلام رسوله ﷺ والقول بأنَّ للنصوص الشرعية ظاهراً وباطناً^(١)، فالظاهر ما يفهمه العامة من النص وهو القشور، والباطن ما يختص بفهمه علماءهم، وهو اللب الذي عليه مدار الأحكام المطلوبة، فيعملون على إقناع العامة بأن الظاهر لا يتجاوز أن يكون طريقاً لفهم الباطن، وليس هو مراد بذاته، وبذلك يسقطون العمل بنصوص الشريعة^(٢).

ورغم التفاوت النسبي بين طوائف الباطنية، إلا أنهم في درجة واحدة، من الكفر والإلحاد، فظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض^(٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وبالجملة فعلم الباطن الذي يدعون مضمونه: الكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، بل هو جامع لكل كفر، لكنهم فيه على درجات، فليسوا مستوين في الكفر)^(٤). وهم في ذلك أشدُّ خطراً، وأكبر ضرراً من اليهود والنصارى، لما يحدثوه من آثار سيئة على المجتمع الإسلامي^(٥)، يقول البغدادي رحمه الله تعالى: (اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم؛ بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر)^(٦)؛ لأن عقيدتهم تُكرِّس:

- = الملاحدة، الزنادقة، المزدكية، إخوان الصفاء. انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٣٥ ص ١٥٢؛ وانظر محمد بن أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها وحكم الإسلام فيها، الطبعة الثانية، ص ١٦٩، ١٩٩، ٣١٩.
- (١) انظر أبا حامد الغزالي، مصدر سابق، ص ٣٧ - ٤٥؛ وانظر ابن الجوزي مصدر سابق، ص ١٤٢؛ وانظر ابن تيمية، المصدر السابق، ص ١٤٩ - ١٥٠؛ وانظر إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، الطبعة الأولى، ص ٢٦٧، ٧٢٨.
- (٢) انظر أبا حامد الغزالي، المصدر السابق، ص ٣٧ - ٥٤.
- (٣) انظر المصدر السابق، ص ٣٧.
- (٤) الفتاوى، ج ٢٨ ص ١٣٩؛ وانظر ص ١٤٩.
- (٥) انظر المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (٦) الفرق بين الفرق، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

١ - جواز مناقشة العقيدة الإسلامية حسيًا وعقليًا، وذلك يفضي إلى الإلحاد، والزندقة، كما حصل من محيي الدين بن العربي، وابن سينا، ومن دار في فلکهم.

٢ - ترسيخ الشك الفكري المتبادل بين أفراد المجتمع، من خلال القول بالعلم الباطن، وهذا يؤدي إلى إثارة القلق والخوف وفقدان الثقة بين أفراد المجتمع. يقول أحد المعاصرين للباطنية المعاصرة: (لقد شاء الله أن تثر هذه المناطق... قدرًا هاماً من تركة التفاسير الباطنية، ساعدت على تركيزه فترة من العزلة أحاطت بهذه الأمكنة زمنًا غير يسير، فكادت تقطع ما بينها وبين البلاد مما أدى إلى تغير هذه المفاهيم إلى حد جعل لهذه الجماعات المعزولة طابعها المميز بالنسبة إلى سائر السكان، وكان للسياسات المحلية والأجنبية يدها الطولى في استغلال هذا الوضع الشاذ، إذ راحت تضرب الجبل بالمدينة، والمدينة بالجبل، حتى جاء حين من الدهر لم يبق فيه أي محل للثقة بين هؤلاء وأولئك. فلما أطل الاستعمار الفرنسي على هذه الديار، وجد التربة كأصلح ما يكون لبذوره الخبيثة فذق أسافينه هنا وهناك، ونثر جنوده من المبشرين في أكثر مناطق الجبل حساسية وفقراً، فراحوا يفرقون بين الأخ وأخيه، ويؤججون نيران الفتنة بين العشيرة الواحدة)^(١).

٣ - العمل على إثارة الفتنة والقلق، بقصد تفتيت المجتمع الإسلامي فكريًا، وسياسيًا، وكتب التاريخ الإسلامي تبين جانباً كبيراً من ذلك، كما أنّ في الواقع المعاصر مثلاً حيّاً يؤكد تلك الصفحات التاريخية السوداء.

٤ - العمل على إقصاء علماء الإسلام وقادته من طريقهم معنوياً من خلال التشكيك فيهم، أو جسدياً عن طريق الإبعاد، أو القتل^(٢).

لذلك وجب البدء في جهادهم قبل جهاد من لا يقاتل المسلمين من الكفار يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ولا ريب أنّ جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم، من أعظم الطاعات، وأكبر الواجبات، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين

(١) أبو الهيثم، الإسلام في مواجهة الباطنية، الطبعة الثانية، ص ٣٧.

(٢) انظر ما تقوم به النصرانية اليوم في بعض بقاع العالم الإسلامي، من قتل وتضييق على علماء الإسلام، وتحالفات مع اليهود، ووقوف ضد التوجهات الإسلامية الصحيحة؛ وانظر المرجع السابق، ص ١٣ - ١٥، ٢٨.

من المشركين، وأهل الكتاب^(١).

أما الأفراد من هؤلاء، فخطورتهم لا تقل عن جماعتهم، فهم أغش الناس للإسلام والمسلمين، وهم الأحرص على فساد الدين ودولته؛ لذلك وجب التخلص منهم، وإبعادهم عن المواقع القيادية للأمة يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (أما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين، أو حصونهم، أو جندهم، فإنه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئب لرعي الغنم... والواجب على ولاة الأمر قطعهم من دواوين المقاتلة، فلا يتركون في ثغر؛ فإن ضررهم في الثغر أشد)^(٢).

ولا تزال الباطنية تمارس نشاطها بالحيلولة بين المسلمين ومواجهة الأعداء، كما تعمل على بث أفكارها في كثير من البلاد الإسلامية، وتجد لذلك التأييد والدعم من الأعداء لبث عقيدتهم بين مسلمي تلك البلاد الكافرة، وتحول بين المسلمين، ومواجهة أعداء الأمة.

أما الجهاد في عقيدتهم فهو امتداد لعقيدتهم الباطنية، فعند الدروز مثلاً: الرضاء بفعل الحاكم أياً كان، والسعي والإخلاص له، هو الجهاد المأمور به^(٣)، فهم يقولون: (أما الجهاد وبه قام محمد وأظهر الإسلام، وجعله فرضاً على سائر المسلمين كافة، وقد رفعه مولانا^(٤) جلّ ذكره عن سائر الذمة، إذ كانت الذمة لا تطلب إلا جبراً، والمسلمون الجاحدون، والمؤمنون المشركون يقاتلونك في بيتك، وهم أذية لأهل التوحيد، وكل جهاد لا يجاهد فيه إمام الزمان فهو مسقوط عن الناس، وما قرىء في المجلس وألفه الشيوخ في كتبهم بأن الجهاد الباطن هو الجهاد للنواصب الحشوية الغاوية لهم وقد منع مولانا جلّ ذكره عداوتهم، والكلام معهم، فعلمنا بأنه قد نقض باطن الجهاد وظاهره، وأن الجهاد الحقيقي هو الطلبة والجهاد في توحيد مولانا جلّ ذكره ومعرفته، ولا يشرك به أحد من سائر الحدود، والتبري

(١) الفتاوى، ج ٣٥ ص ١٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) انظر (...) (مخطوط (ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به)) بيروت: الجامعة الأمريكية، مكتبة القديس بولس)) (...)، محمد الخطيب، الحركات الباطنية، ص ٢٧٨ - ٢٨٠؛ وانظر عقيدة الدروز، الطبعة الثالثة، ص ٢١٠.

(٤) هو إلههم المزعوم: الحاكم بأمر الله. انظر ابن تيمية، مصدر سابق، ص ١٦١ - ١٦٢.

من العلم المفقود^(١).

فالجهاد الذي كان يُعمل به تحت قيادة إمام الزمان، هو جهاد أهل السنة، وقد نسخه مولاهم، بمنعهم من الكلام مع أهل السنة، أو إظهار العداوة لهم، وبذلك سقط جهادهم، وجعل الجهاد الحقيقي: الإخلاص للحاكم ومعرفته.

إذاً فلم يكن في أساس معتقدهم جهاد أعداء الإسلام، ولذا نجد الدروز عبر تاريخهم إلى يومنا هذا متحجرون على أنفسهم، لا يسمحون لأحدٍ في مخالطتهم، أو الدخول في معتقدهم، أو التحدث معهم عنه، وهذا نوع من الجهاد الذي يؤمنون به.

أما النصيرية فقد جعلوا الجهاد شتم وتستر، فالشتم لمن قال بأن الأنبياء، وعلي، كسائر البشر، زعماء منهم بأن ذلك مخالف للحقيقة التي تقول: بأنهم نزلوا من السماء بدون أجساد. والتستر يعني التستر على المذهب وعدم إظهاره، حتى لو تعرضوا لخطر الموت^(٢).

ومن الواقع التاريخي القديم والحديث، يتبين لنا بجلاء موقف الباطنية من الجهاد، فقد كانوا البوابة الرئيسة للغزو الصليبي، تعاونوا معه في كل خطواته، بدءاً بالسواحل الشامية، وانتهاءً بالسيطرة على القدس، يقيمون الأعياد ويعظمون الأيام التي يتحقق فيها النصر للنصارى، يقدمون لهم السلاح ويعدون لهم الطعام، ويوقعون بالمسلمين القتل والسلب^(٣).

وكان ذلك ديدنهم كلما سنحت لهم بذلك فرصة، ففي عام [٥٦٩ هـ] تأمر جماعة منهم وتدبروا أمرهم في محاولة لاغتيال صلاح الدين، وكتبوا الفرنج لهذا الغرض^(٤).

ومع التتار تعاونوا وتناصروا، بل كانوا أشد وقعاً على المسلمين كلما سنحت

(١) ... ((رسالة «الكتاب المعروف بالنقض الخفي»))...، محمد الخطيب، عقيدة الدروز، ص ٢٠٩.

(٢) انظر ... ((الباكورة السليمانية، ص ١٦٤))... محمد الخطيب، الحركات الباطنية، ص ٣٩٢؛ وانظر شرف الدين، النصيرية دراسة تحليلية، (بيروت، ١٩٨٣ م)، ١٤٣.

(٣) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٣٥ ص ١٥٠ - ١٥١؛ ج ٢٨ ص ٤٠٠ - ٤٠٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٩ ص ١٢٣.

لهم بذلك فرصة^(١) يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في معرض حديثه عن أحداث سنة [٦٩٩ هـ]: (وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد نيتهم، وعقائدهم، وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا، حين اجتازوا ببلادهم، وثبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيراً منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم، جاء رؤسائهم إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم، وبين للكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خيرٌ كثير وانتصارٌ كبير على أولئك المفسدين)^(٢).

ولم يكن ذلك إلا رادعاً وقتياً لهم، حيث عادوا إلى ما هم عليه من الخيانة والتآمر بعد سنوات، فعاد إليهم الشيخ، وألزمهم بشرائع الإسلام^(٣).

واستمروا على هذه المنوال حتى يومنا هذا، يقول الجنرال الفرنسي غورو في معرض تقرير له عن النصيرية: (وأفيدكم بهذا الصدد أن النصيريين الذين يستيقظ حسهم الإقليمي الذاتي منذ لم يعد الأتراك هنا لتذويبهم مع المسلمين، قد ساعدوني كثيراً في قمع الفتنة التي أثارها الشريف في منطقة تلخخ، فقد تلقيت برقية تفيدني بأن [٧٣] زعيماً نصيرياً يتحدثون باسم جميع القبائل، يطالبون بإنشاء اتحاد نصيري مستقل تحت حمايتنا المطلقة)^(٤).

ويقول أحد المؤرخين المعاصرين: (ظن الناس أن الإسماعيلية اختفت إلى الأبد، ولكن ظهر أن للإسماعيلية قوى لا تزال تتحرك وتعمل، ففي العصر الحديث جهد الاستعمار الأوربي ليجد أسلحة يهدم بها الإسلام، ويسيطر على المسلمين، ويبدو أن الإسماعيلية كانوا أحد هذه الأسلحة، فإذا بإمام إسماعيلي يظهر من جديد، يساعد الإنجليز ويساعده الانجليز، يتيح له الإنجليز أن ينشر مذهبه بين مسلمي مستعمراتهم، ويضمن لهم هو أن يخضع أتباعه لهم)^(٥).

(١) انظر ابن تيمية، مصدر سابق، ص ١٥١ - ١٥٢؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣ ص ١١٧.

(٢) المصدر السابق، ج ١٤ ص ١٢.

(٣) انظر المصدر السابق، ص ٣٥.

(٤) تقي شرف الدين، النصيرية، ص ٧٢.

(٥) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، الطبعة الخامسة، ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠.

واليوم تعمل الباطنية في عالمنا الإسلامي ما عمله سلفهم إبان الحروب الصليبية، والغزو التتاري والاستعماري، تحالفات سرية مع اليهود والنصارى، وإبادة جماعية للمسلمين، ووقوف بكل حزم لكل ما هو إسلامي، زد على ذلك العمل على إذكاء الفتن والفتن والفتن في أنحاء العالم الإسلامي المعاصر وإشغاله عن التفكير في مواجهة الأعداء.

ب: الرافضة: فرقة في مقابل مذهب أهل السنة والجماعة، لما يظهره من معاندة لأهل سنة الرسول ﷺ والشرع الحنيف^(١)، يعتقدون بوجوب التأويل في الأعمال الشرعية، يقول أحدهم: (إن التأويل واجب في الأعمال الشرعية وأوضاعها، وهو معنى يقف عليه العقلاء دون العامة^(٢)^(٣)) كما يقولون بوجوب النص على الإمام^(٤) وبمعصمته، وبجريان الخوارق على يديه^(٥)، كما يعتقدون بالجفر^(٦)، وبمصحف فاطمة المغاير لمصحف أهل السنة^(٧)، وبالبراءة من الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وكثير من الصحابة والعلماء، مع لعنهم^(٨). ويعتبرون التقية والبداء

(١) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨ ص ٤٨٢؛ وانظر إحسان إلهي ظهير، الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ، الطبعة الأولى، ص ٣٣١ - ٤٠١؛ وانظر علي أحمد السالوس، عقيدة الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية، دراسة في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الثانية، ص ٤١ - ١٠٤؛ وانظر موسى الموسوي، الشيعة والتصحيح، الصراع بين الشيعة والتشيع، الطبعة الثانية، ص ٩ - ١٥١.

(٢) يقصد بالعامية: أهل السنة والجماعة. انظر الخميني، كشف الأسرار، الطبعة الأولى، ص ٢٠، ١٦٩، ١٧١.

(٣) علي بن محمد الوليد، كتاب تاج العقائد ومعادن الفوائد، الطبعة الثانية، ص ١١٣.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، (بيروت: دار الأضواء)، ج ١ ص ٢٩٢ - ٣٢٨؛ وانظر غلام الرضا الباقر النجفي، الأنوار، الطبعة الأولى ص ٧١.

(٥) انظر المصادر والمراجع السابقة، ص ٢٥٥ - ٢٧٤؛ ص ٥٥.

(٦) هو كما زعموا: (وعاء من آدم، فيه علم النبيين والوصيين، وعلماء العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل). انظر الكليني، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

(٧) انظر المصدر السابق؛ وانظر إحسان إلهي ظهير، بين الشيعة وأهل السنة، (لاهور، شادمان: إدارة ترجمان السنة)، ص ١٨٥.

(٨) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٨؛ وانظر الكليني، مصدر سابق، ج ٨ ص ٢٤٦؛ وانظر النجفي، مرجع سابق، ص ٧٧ - ٨٦، ١٨١ - ٢٢٤، ٢٦١ - ٢٧٢؛ وانظر =

أصلاً في مذهبهم^(١) والمتعة أفضل عاداتهم، ولهم أعياد متعددة تخالف ما عليه أهل السنة^(٢)، وهم من أشهر المنتسبة للإسلام، ويفترقون إلى عدة طوائف وفرق، بلغت الذروة في التطرف والخيال العقدي، ويجمعها الرفض لأنه الطريق الوحيد لهدم الإسلام بالنسبة لهم^(٣).

أما الجهاد فقد عطلوه عندما قالوا بوجود النص على الإمام، وأثبتوا حسب ادعائهم النص لإثني عشر إماماً^(٤)، ثم اعتقدوا في الغيبة^(٥)، أي أن الإمام قد غاب عن الناس، فأصبح يراهم ولا يرونه، وهذه الغيبة غير محددة بوقت معين، يقول الخميني: (قد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام، وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر)^(٦)، إذاً ففي ظل هذه الغيبة يتم تعطيل الجهاد؛ لأن الجهاد لا يجوز عندهم إلا بأمر الإمام، يقول أحدهم: (لا يجوز الجهاد إلا تحت راية الإمام، ولا يقوم أمر الجهاد إلا بالإمام... ثم لا يجوز أن تخرج سرية إلا وعليها أمير من جهة الإمام، أو من جهة من أقامه الإمام، والإمام أعرف بأوقات الصلح وعقد الهدنة، وهو الذي يعقدها، ويفاوض ويناقش بخصوصها)^(٧). ولأنه لا يجوز عندهم الجهاد مع أئمة المسلمين^(٨)، فقد ذهبوا إلى إبطال الجهاد^(٩) بقولهم: (لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضى^(١٠) من آل

= إحسان ظهير، المرجع السابق، ص ٢٠٥؛ وانظر الخميني، مرجع سابق، ص ١٧٦، ١٨٦ - ١٨٧.

(١) انظر إحسان ظهير، المرجع السابق، ص ١٦٥، ١٧٥.

(٢) انظر النجفي، مرجع سابق، ص ٣٢٩.

(٣) انظر ابن تيمية، مصدر سابق، ص ٤٨٣ وانظر إحسان ظهير، الشيعة والتشيع، ص ١٦٣ - ٢٦٧.

(٤) انظر الكليني، مصدر سابق، ص ٢٨٦ - ٣٢٨.

(٥) انظر المصدر السابق، ص ٣٣٥.

(٦) الحكومة الإسلامية، الطبعة الثانية، ص ٢٦.

(٧) أحمد بن إبراهيم النيسابوري، إثبات الإمامة، تحقيق وتقديم: مصطفى غالب، ص ٦٦.

(٨) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨ ص ٤٨٠.

(٩) انظر الخميني، الحكومة الإسلامية، ص ٤٧ - ٥٢، ٦٩ - ٧٠.

(١٠) محمد بن الحسن العسكري، الذي يعتقدون غيبته في سرداب في سامراء عام [٢٦٥ هـ]، وهو في الخامسة من عمره. انظر ابن أبي العز، شرح الطحاوية، ص ٥٥٥ - ٥٥٦؛ وانظر ابن تيمية، مصدر سابق، ص ٤٨٠ - ٤٨١.

محمد ﷺ، وينادى في السماء: اتبعوه!)^(١).

كما أن في قولهم: بعصمة الإمام، إبطال لعقيدة الجهاد، لأن الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم فالعصمة ليست من صفات البشر أولاً، وثانياً: في ذلك مخالفة صريحة لقوله ﷺ: ((الجهاد واجبٌ عليكم مع كلِّ أميرٍ، برّاً كان أو فاجراً...))^(٢)، كما أنه ﷺ لم يقل: بعصمة الإمام، وإنما قال: ((خيارٌ أئمتكم الذين تُحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرارٌ أئمتكم الذين تُبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم...))^(٣).

أما الجهاد عندهم فهو: مجاهدة النفس، يقول أحدهم: (وتأويل ذلك في الباطن أن على جميع المؤمنين أن يجاهدوا أنفسهم إذا دعتهم إلى معاصي الله جل وعز، وامتنعت عليهم من القيام بطاعته وفرضه الذي أوجبه عليهم، وكل من دعاهم إلى معصية من معاصيه، أو حال بينهم وبين طاعة من طاعته أو فرض من فروضه، وهذه جملة جامعة من الجهاد في الباطن)^(٤).

وبسبر التاريخ الإسلامي نجد كيف عانت الأمة من جراء تأمر وتعاون الرافضة مع الأعداء، فضلاً عن جهادهم، فالتتار دخلوا بغداد وأطاحوا بالدولة العباسية من جراء تأمر وزير رافضي، عمل على تقليل الجند في الجيش، وأسقط عدداً كبيراً من ديوان الجيش، حتى وصل العدد إلى عشرة آلاف جندي، بعد أن كانوا مائة ألف قبل أقل من عشر سنوات خلت، كما عمل على تخذيل الخليفة عن مصالحة التتار، وإذكاء العداوة بينهم، وعندما اقترب التتار من بغداد كاتبهم وأطمعهم في البلاد، وكشف لهم ضعف الجيش، وسهل لهم الأمر، وعندما دخلوا المدينة وجرت الشوارع والأنهار بالدماء، كانت دار ذلك الرافضي ملاذاً آمناً لمن وافقه على مذهبه^(٥).

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (كانوا من أعظم الأسباب في خروج جنكيز

(١) ابن أبي العز، المصدر السابق، ص ٥٥٥.

(٢) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٣٦٥٣].

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ١٧.

(٤) النعمان بن محمد، تأويل الدعائم، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، ص ٢٧٠.

(٥) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٢٠٣ - ٢٠٠.

خان ملك الكفار إلى بلاد المسلمين. وفي قدوم هولاء إلى بلاد العراق... (١) - حتى قال: - وهؤلاء من أعظم من أعان التتار على المسلمين باليد، واللسان: بالمؤازرة والولاية وغير ذلك؛ لمباينة قولهم لقول الرسول ﷺ واليهود والنصارى، ولهذا كان ملك الكفار هولاء يقرر أصنامهم (٢).

وكان لهم مواقف مخزية أيام الصليبيين، بما أظهوره من عون مادي ومعنوي، ولما يظهر عليهم من فرح عند انتصار النصارى، وحزن عند هزيمتهم، وزادوا على ذلك القيام بنهب الجيوش الإسلامية كلما سنحت لهم بذلك فرصة (٣).

وفي عصرنا الحاضر نجد صفحات التاريخ تتجدد أمامنا مرة أخرى، حيث وجهت الرفضة جُلَّ قدراتها المادية والفكرية لمحاربة المسلمين، والكيد لهم، فها هم في أفغانستان يعملون على تمزيق البلاد ورفض وحدتها، وفي لبنان قاموا بما لم يقم به اليهود والنصارى، وألد أعداء الإسلام، من قتل جماعي للمسلمين، وتمكين اليهود في جنوب لبنان، ولهم في كثير من الدول الإسلامية ضربات موجعة (٤) وهم في كل ذلك على تعاون وثيق وتنسيق مستمر مع أعداء الإسلام (٥)، رغم الشعارات المضللة التي يطلقونها، والتي يناقضها أقوال من زعموهم أعداء لهم، يقول الرئيس الأمريكي كارتر: (إن الذين يطلبون من الولايات المتحدة أن تتدخل بشكل مباشر لوقف الأحداث، مخطئون، ولا يعرفون الحقائق القائمة في إيران) (٦)؛ بل إنهم يعترفون بتلك الصلة الحميمة، يقول بازرگان رئيس وزراء إيران:

(١) الفتاوى، ج ٢٨ ص ٤٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨٤.

(٣) انظر المصدر السابق، ص ٤٧٨.

(٤) انظر سعيد حوى، الخمينية شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف، الطبعة الأولى، ص ٥٦ - ٥٧؛ وانظر «المساعدات الإيرانية لم تتجاوز تصدير الأفكار الهدامة»، لندن: جريدة الحياة، ١٤١٤/٦/١٧ هـ.

(٥) انظر سعيد حوى، المرجع السابق، ص ٥٨ - ٥٩؛ وانظر موسى الموسى، يا شبيعة العالم استيقضوا، ص ٣٠ - ٣١؛ وانظر واشنطن، لندن: الشرق الأوسط، «استناداً إلى التقرير الأميركي النهائي عن «إيران جيت»، إدارة ريجان قدمت لتهوان أسرار عسكرية عراقية حساسة»، لندن: جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٤/٦/٢٥ هـ، العدد ٥٤٨٩، ص ١، ٤.

(٦) (... «التايم»، في ٥/ مارس/ ١٩٧٩ م). عبد الله محمد الغريب، وجاء دور المجوس، الأبعاد التاريخية والعقائدية، والسياسية للثورة الإيرانية، الطبعة السادسة، ص ٢٥٥.

(إن جوهر الوجود الإيراني كدولة قد تولد من اتصالنا مع الغرب، وإنه لمما يتنافى مع المبادئ الشرعية الإسلامية تدمير كل ما هو أجنبي)^(١).

ولهم في تضليل الناس أسلوب ماهر، تملية عليهم عقيدة التقية التي يؤمنون بها، والتي تعتبر مخرجاً سائغاً من الكذب على مريديهم، والمخدوعين بشعاراتهم، فأحدهم يصرح في أمر ما، والآخر يناقضه. فمن تضليلهم الدعائي لمعتقدتهم، استغلال الأحداث الإسلامية المعاصرة، بإظهار الغيرة على الإسلام والحماس لأجل الدفاع عنه، وتحقيق غاياته النبيلة، فهم اليوم يصورون للعالم الإسلامي أنهم القوة التي تقف في وجه تحقيق الطغيان الصليبي والصهيوني المعاصر لأهدافه، وهذا ادعاء مكشوف لمن يدرك حقيقتهم، ويتابع أقوالهم، فهذا هو حزب الله يهاجم المواقع الإسرائيلية في جنوب لبنان، في وقت كانت المحادثات بين العرب وإسرائيل في قماتها، ليُظهروا بذلك معارضتهم لمثل هذه الأعمال وحرصهم على تحرير المقدسات الإسلامية، وهذا ما أوهموا به المسلمين، لكن الحقيقة هي كما جاءت على لسان أحد مسؤولي الحزب، الذي صرّح بعد ذلك الهجوم بقوله: لم يسفر العدوان إلا عن تعزيز موقف حزب الله، وزيادة التأييد الشعبي للحزب^(٢). إذاً فلم يكن الهدف من ذلك الهجوم سوى الدعاية لحزبهم الرافضي.

كل ذلك في جانب، وما يقومون به أثناء مواسم الحج في أيامنا هذه في جانب آخر، فقد جاؤا بما لم يفكر به الأوائل من اليهود والصليبيين والكفرة، حيث العمل وبذل الجهد لأجل إثارة الفتن، وتخويف الآمنين، وبلغوا القمة في تلك الرغبة في حج عام [١٤٠٧ هـ]، حينما أقدموا على وضع خطة تهدف إلى: السيطرة على المسجد الحرام، قتل أئمتهم، إعلان الخميني إماماً للمسلمين، حرق جزء من الكعبة المشرفة^(٣).

(١) المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٢) انظر الفترة الإخبارية الثالثة، هيئة الإذاعة البريطانية، القسم العربي، لندن، ١٣/٢/١٤١٤ هـ.

(٣) انظر «عكاظ تكشف تفاصيل مذهلة: المؤامرة الإيرانية على المقدسات! أرادوا إحراق أجزاء من الكعبة وقتل إمام الحرم، وتحويل المسلمين إلى الحج بمدينة «قم» الإيرانية»، جدة: جريدة عكاظ، ١٠/١٢/١٤٠٧ هـ، العدد ٧٧٠١، ص ١، ٨-٩؛ وانظر كامل سلامة =

تلك هي بعض حقائق من يدعون الوقوف في وجه أطماع أعداء المسلمين .

ج: الصوفية^(١): خليط من الأفكار والفلسفات الهندية والفارسية واليونانية والرهبانية النصرانية^(٢) اتخذوها رد فعل على الرخاء الدنيوي، وتعني المبالغة في العبادة والانقطاع لها زهداً في الدنيا، وهي باب كبير نفذ من خلاله كثير من التصورات والخرافات والمفاهيم الخاطئة، وخطرها منتشر في أماكن متعددة من عالمنا الإسلامي المعاصر^(٣).

ومن أبرز عقائدهم الرجوع في أمور الدين إلى مشايخهم، والاعتماد على أذواقهم وبدعهم في التشريع^(٤)، يقول الغزالي رحمه الله تعالى: (فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب؛ بل بالزهد في الدنيا، والتبري من علائقها، وتفرغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى)^(٥). ومن عقائدهم المغالاة في موالة أوليائهم^(٦) وقصر

= الدقس، الاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٥ - ١٥٣؛ وانظر عبد الله الغفاري، بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين، (١٤١١ هـ / ١٩٩١ م)، ص ٥٣.

(١) انظر ابن الجوزي، تلبس إبليس، ص ٢٢٣؛ وانظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ١١ ص ٥ - ١٩؛ وانظر الكاشاني عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، الطبعة الأولى، ص ٤٩ - ٣٧٩؛ وانظر إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، الطبعة الأولى، ص ٤٩ - ١٣٥؛ وانظر عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الرابعة، ص ٤٩ - ٥٣.

(٢) انظر ابن تيمية، المصدر السابق، ص ٧، ٥٧٠ - ٥٧١، ٥٧٥.

(٣) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الأولى، ج ٢ ص ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٤؛ وانظر أسعد السحمراني، التصوف منشؤه ومصطلحاته، الطبعة الأولى، ١٠ - ٩.

(٤) انظر ابن تيمية، مصدر سابق، ج ١١ ص ١٤ - ١٥، ١٧٢، ٢٢٥، ٣٦٣ - ٣٦٥، ٤٣١؛ وانظر ابن تيمية، فقه التصوف، الطبعة الأولى، ص ٢٧٣؛ وانظر عبد الرحمن الوكيل، هذه هي الصوفية، الطبعة الثالثة، ص ٢١ - ٣٣، ١١١، ١١٢؛ وانظر محمود عبد الرؤوف القاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، الطبعة الثانية، ص ٣١٧ - ٣٢٧.

(٥) محمد بن محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (دمشق: عالم الكتب)، ج ٣ ص ١٦.

(٦) انظر الطوسي السراج، اللُّمع، حققه، وقدم له، وخرج أحاديثه: عبد الحليم محمود طه، عبد=

العبادة على المحبة دون الرجاء والخوف والذل والخضوع^(١)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (كثير من المخطئين الذين ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة، وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله، مع مخالفة شريعته، وترك المجاهدة في سبيله)^(٢). ومن عقائدهم أيضاً الاقتصار في العبادة على الفكر والرياضة ومجاهدة النفس، وعلى ذكر الخاصة، وهي أدعية وأوراد مبتدعة ربما رأوها أفضل من تلاوة القرآن وطلب العلم^(٣). ويعتقدون في الدف والتصفيق، والغناء والرقص قربة تقربهم إلى الله^(٤)، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى:

تَلِيَّ الْكِتَابِ فَأَطْرَقُوا لَا خِيفَةَ لَكِنَّهُ إِطْرَاقٌ سَاهٍ لَاهِي
وَأَتَى الْغِنَاءُ فَكَالذَّبَابِ تَرَاقَصُوا وَاللَّهُ مَا رَقَصُوا مِنْ أَجْلِ اللَّهِ
دُفٌّ وَمِزْمَارٌ وَنَغْمَةٌ شَاهِدٌ فَمَتَى شَهِدَتْ عِبَادَةٌ بِمِلاهِ؟^(٥)

ويقول صابر طعيمة: (أصبح الرقص الصوفي الحديث عند معظم الطرق في مناسبات الاحتفاء بموالد بعض كبارهم، أن يجتمع الأتباع لسماع النوتة الموسيقية التي تكون جوقتها أحياناً أكثر من مائتي عازف من الرجال والنساء، وكبار الأتباع يجلسون في هذه المناسبات، يتناولون ألواناً من شرب الدخان، وكبار أئمة القوم وأتباعهم يقومون بمدارسة بعض الخرافات التي تنسب لمقبورهم. وقد انتهى إلى علمنا من المطالعات أن الأداء الموسيقي لبعض الطرق الصوفية الحديثة، مستمد مما

= الباقي سرور، ص ٢٣٧، ٢٧٦، ٣٩٠ - ٤٠٤؛ وانظر ابن تيمية، مصادر سابقة، ص ١٤، ٣٦٣؛ ص ١١٥ - ١٢٦.

(١) انظر ابن تيمية، العبودية، ص ١٢٨ - ١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٣) انظر الطوسي، اللُّمَع، ص ٣٣٨ - ٣٨٥؛ وانظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ١١ ص ٣٩٥، ٤٠١؛ وانظر العبودية، ص ١٥٧ - ١٦٠؛ وانظر محمد رشيد رضا، مجلة المنار، ج ٩ ص ٢٨٩ - ٢٩٣؛ وانظر عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي، ص ٦١ - ٦٢؛ وانظر محمود القاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية، ص ٣٣١ - ٣٥٢.

(٤) انظر ابن الجوزي، تلبس إبليس، ص ٢٩٢؛ وانظر ابن تيمية، العبودية، ص ٨٥ - ٨٨، ٥٦٢ - ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٧ - ٥٧١؛ وانظر أبا حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٢ ص ٢٣٦؛ وانظر محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٥) مدارج السالكين راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ج ١ ص ٥٢٣.

يسمى كورال صلوات الآحاد المسيحية^(١).

ويعتقدون بأن الصوفي يتدرج في مقامات وأحوال^(٢) يمر بها عن طريق الرياضة النفسية، تنتهي بصاحبها إلى الخروج من التكاليف الشرعية، نتيجة حلول الله فيه، واتحاده به^(٣). كما يعتقدون بأن التوكل على الله يعني هجر العمل والقعود عن الكسب، والأخذ بالأسباب^(٤)، وأعلى مقامات التوكل على الله كما زعموا، الموت جوعاً، يقول الغزالي عن مقامات التوكل: (الأول: مقام الخواص ونظرائه، وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد، ثقةً بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعاً وما فوقه، أو تيسير حشيش له، أو قوت، أو تشيئة على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك، فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده، أو يضل بغيره، ويموت جوعاً، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده)^(٥).

أما الجهاد عندهم، فعقيدتهم تناقض أدنى متطلباته، فهي تبعثر طاقات الأمة وقدراتها، وتحول المسلم من مواقع البطولة والفداء في مواجهة الأعداء، إلى مواطن التقوقع والتحجر في زوايا وكهوف تُفقد الفرد الإرادة العملية بدعاوي باطلة، وتحوله إلى وحش يُفتر منه.

وعندما أردت البحث في هذا الموضوع، تبادر إلى ذهني كتاب إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي لعلِّي أجد فيه بغيتي: [موقف الصوفية من الجهاد]، وبعد طول عناء اتهمت نفسي في عدم الوصول إلى ما أريد، وعدت أخرى، فلم تكن أفضل من سابقتها، ولم أجد إلا الدعوة إلى جهاد النفس ونحوه، أما جهاد الأعداء فلم أجد له ذكراً، بل وجدت أن العقيدة الصوفية من أكبر معوقات الجهاد فالخلوة، والعزلة، والحث على الزهد بترك ما يحفظ للجسم قوته، والسهر، وترك الزواج،

(١) الصوفية معتقداً ومسلماً، الطبعة الأولى، ص ٣١٣.

(٢) انظر الطوسي، مصدر سابق، ص ٦٥ - ١٠٢؛ وانظر محمود القاسم، مرجع سابق، ص ٣٧٩ - ٤٢١.

(٣) انظر ابن الجوزي، مصدر سابق، ص ٤٦١ - ٤٦٣؛ وانظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ١١ ص ٢٨، ٣٨٦، ٣٩٥، ٤٠١ - ٤٠٣.

(٤) انظر الطوسي، مصدر سابق، ص ٧٨ - ٧٩؛ وانظر أبا حامد الغزالي، مصدر سابق، ج ٤ ص ٢١٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٣٠.

كل ذلك من أكبر معوقات الجهاد؛ لتناقضها مع الأمر الشرعي بإعداد القوة.

وعندما اطلعت على دراسة حول العديد من كتب الغزالي، وجدت التأكيد على ذلك الموقف من الجهاد: يقول صاحب الدراسة: (كان حريًا بالغزالي أن يكتب شيئاً عن الجهاد في كتابٍ يحتوي على أربعة مجلدات، ويضم موضوعات كثيرة، منها ما هو مهم، ومنها ما ليس كذلك، وليس السماع والوجد والرقص بأولى من الجهاد حتى يذكرها في أربعين صفحة من كتابه، بينما ينسى أن يعقد للجهاد فصلاً واحداً من ثلاث صفحات)^(١).

وقد احتجوا لما ذهبوا إليه في عقيدتهم، بدعوى تخلف أهل الصفة في عهد الرسول ﷺ عن الجهاد وهو قول باطل تفنده نصوص القرآن الكريم، وحقائق السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (أما ما ذكر من تخلفهم عنه في الجهاد، فقول جاهل ضال، بل هم الذين كانوا أعظم الناس قتالاً وجهاداً، كما وصفهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٢)، وقال سبحانه في صفتهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا...﴾^(٣)، ولقد قتل منهم في يوم واحد يوم بئر معونة سبعون^(٤)... وإنما يقع في هذه الجهالات أقوام نقص إيمانهم، وقل عقلهم واستكبرت أنفسهم)^(٥).

كما أكثروا من الاحتجاج بما زعموه حديثاً نبوياً عن النبي ﷺ: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)، ومع عدم صحة هذا الحديث، فهو مخالف لنصوص القرآن الكريم، والسنة المطهرة التي تجعل قتال الكفار من أفضل الأعمال، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ

(١) عبد الرحمن دمشقية، أبو حامد الغزالي والتصوف، الطبعة الأولى، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٢) سورة الحشر، الآية ٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٣.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٢٨؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤ ص ٧١ - ٧٤.

(٥) الفتاوى، ج ١١ ص ٨٠ - ٨١.

وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا^(١)، ولما سئل ﷺ عن ما يعدل الجهاد؟ قال: ((لا تستطيعوه)) فأعيد عليه السؤال مرتين أو ثلاثاً، كلها يقول: ((لا تستطيعوه)) حتى قال: ((مثل المجاهد في سبيل الله؛ كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى))^(٢).

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في معرض رده على هذا الزعم الباطل: (أما الحديث الذي يرويه بعضهم - رجعنا من الجهاد الأصغر - . . . فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال الرسول ﷺ، وأفعاله، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال؛ بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان)^(٣).

وباستقراء التاريخ حول موقف الصوفية وعلمائها من الجهاد، نجد الشهادة التاريخية متفقة مع ما أوردناه من ذكر عقائدهم التي ترى الرهبة الصوفية جهاداً يُفضل جهاد الأعداء، فلم يُسجل التاريخ لهم مواقف تذكر، رغم معاصرهم لكثير من المحن التي مرت بها الأمة الإسلامية. يؤيد ذلك ما ذهب إليه بعض علماء العصر^(٤)، يقول: عبد الرحمن الوكيل: (عاش كبار أئمة الصوفية كالغزالي، وابن عربي، وابن الفارض، في عهود كانت الصليبية فيها تدمر مساجد الله، وتبيح محاربيها للخنازير وتحرق المصاحف، وتذبح اليتامى، فلم تهف بأحدهم نزعة إيمان تحرضه على أن يحمل السيف أو حتى على الدعوة إلى حمل السيف)^(٥)، ويقول آخر: (خوارق الصوفية أكثرها لنصرة الباطل على الحق . . . لم نسمع في يوم من الأيام عن شيخ صوفي سهل لجنود المسلمين عبور بحر، أو نقلهم في الجو ليقاتلوا أعداء الله، ولم نسمع أحداً منهم مات بأيدي المسلمين المدافعين عن السنة، وإذا قيل لهم: اهزموا اليهود، وانصروا المؤمنين، يقولون: إن الله لم يأذن)^(٦)، ويقول آخر: (لم نسمع ولن نسمع أن الصوفية وقفت في وجه أعداء الإسلام؛ لأنها مشغولة

(١) سورة النساء، الآية ٩٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب ٢٩.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٤) انظر عبد الرحمن دمشقية، أبو حامد الغزالي، ص ٤١٠ - ٤١٥.

(٥) البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية، الطبعة الأولى، ص ٢٦٧.

(٦) إبراهيم ناصر الرشيد، المسيح الدجال بيننا، الطبعة الأولى، ص ٨١.

دائماً بنشر البدع والخرافات! ولأن غلاة الصوفية يعتقدون بالحلول والاتحاد، فالمؤمن والكافر عندهم سواء^(١).

أما واقعها المعاصر فهو امتداد لتلك العقيدة المعوقة للجهد، بل والمعطلة له في حقيقتها، بما تراه من استسلام للواقع، وبعيد عن العمل الجاد، وبما فيها من استعمار جاثم على الصدور من خلال الولاء الروحي المطلق لمشايخهم، وفي كل ذلك خدمة للأعداء الذين يعملون على إبعاد المسلمين عن كل عمل فيه قوة للإسلام والمسلمين، يقول أحد المؤرخين الفرنسيين: (أصبحت كلمة المرابطين تدل على الجهل والتخلف، وكذلك أصبحت تعني المؤيدين للاحتلال والإدارة الفرنسية)^(٢)، وهذا ما يريده الأعداء، وزادوا على ذلك أن جعلوا من أنفسهم باباً يدخل منه الأعداء إلى البلاد الإسلامية، يقول أحد الحكام الفرنسيين: (إن أفضل وسيلة للسيطرة على الشعب الجزائري هي التقرب من شيخ زاوية أو طريقة بمنصب، أو مال)^(٣)، وعمل الاستعمار على دعم شيوخ الصوفية مادياً، يقول أحد المؤرخين: (إن الحكومة تمكنت من استجلاب الطرق إلى جانبها، تمدها بالمساعدات وتحميها، فكان من الطبيعي في نظر العلماء أن تصبح خدمة الطريقة للأجنبي ودعائمه)^(٤)، ومعنوياً عن طريق التمكين لهم، وكان من نتاج هذا الدعم سيطرة الصوفيين على تسعة أعشار المجالس المحلية، وأربعة أخماس المناصب القيادية، وثلثي الوظائف في الحكومة الفرنسية^(٥).

وبادل الصوفيون الاستعمار الدعم والتأييد بكل قوة، فعندما طلبت فرنسا من الشعب الجزائري تقديم الدعم والعون أثناء الحرب العالمية الثانية، بادر مشايخ

(١) كلمة رئيس التحرير: صفوت الشوافي، «العشيرة المحمدية ودورها في هدم العقيدة»، القاهرة: مجلة التوحيد العدد السادس (٦/١٤١٣ هـ): ص ٨.

(٢) ... (Charles R. Ageron Histoire De LA Igerie Contempo rain.P. 338) ... مازن مطبقاني،

عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، الطبعة الأولى، ص ١١١.

(٣) ... (Situation Politi 9ue Dans Le Departement A G G 10H88 15) ... المرجع السابق، ص

١١٠.

(٤) ... (شارل أندريه جوليان، أفريقيا الشمالية تسير: ص ٢٧) ... المرجع السابق، ص

١١١.

(٥) ... (Situation Politi 9ue Dans Le AG Departement 10H88 15) ... المرجع السابق، ص

١١٠.

الصوفية في الدعم والمساندة، حتى قال أحدهم مشجعاً ومحفزاً الآخرين على الدعم: (وها أنا فرد منكم، أقدم نفسي بإخلاص لدفع إعانة مالية عوضاً عن عجز صحتي البدنية، قدرها عشرة آلاف فرنك)^(١).

هكذا هي الصوفية في القديم والحديث تشكل طابوراً للأعداء تدمر به المجتمع الإسلامي^(٢)، يقول صابر طعيمة: (أعداء الإسلام من القدامى والمحدثين أدركوا أن التجمعات الصوفية بمذاهبها وطرائقها وأورادها ومستويات شيوخها، خطوط هجوم متقدم لهم، أو بمثابة ما يسمى في لغة الحرب النفسية طابور خامس، يعيش في البيئات الإسلامية، وذلك لعزل أجيال المسلمين عن أن تعيش الإسلام الصحيح)^(٣).

وعندما نهض المجاهد المسلم عبد الحميد بن باديس لجهاد الفرنسيين في الجزائر، رأى في الصوفية استعماراً آخر، بما فيها من انحراف وبدع وخرافات، تجعل الصوفي يسير في ركاب المستعمرين، فعمل على مجاهدتهم أولاً، وقبل الاستعمار^(٤).

ولا تزال الصوفية منتشرة في كثير من بقاع المسلمين، بطرقها، وطقوسها، وأساليبها الشيطانية، تخدم الأعداء وتحقق أهدافهم بتفريق المسلمين وتحزيبهم^(٥).

د: القدرية الجبرية^(٦): وملخص مذهبهم نفي إرادة الفعل عن الإنسان، ووصفه بعدم القدرة على الفعل البتة، بل يجعلونه كالجمادات، يعمل اضطراراً، مع إضافة أفعاله إلى الله حقيقةً، وإليه مجازاً^(٧)، وفي ذلك مدعاة إلى مخالفة الشريعة،

(١) ... (من الوثائق الفرنسية الموجودة في الأرشيف الفرنسي الوطني لما وراء البحار: العلبة رقم: 16H728) ... المرجع السابق، ص ١١٤ - ١١٥.

(٢) انظر إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، الطبعة الأولى، ص ١١٩ - ١٤٨؛ وانظر محمود القاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية، ص ٧٧٣ - ٧٨٢.

(٣) الصوفية، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٤) انظر تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الطبعة الأولى، ص ٢٣٦؛ وانظر مطبقاني، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٥) انظر فتاوى اللجنة الدائمة، ج ٢ ص ١٨١، ١٨٩، ١٩٦؛ وانظر طعيمة، مرجع سابق، ص ٥ - ٦.

(٦) من الفرق الأخرى المنتسبة للقدرية: نفاة القدرة عن الله. الفصل بين قدرة الله و قدرة الإنسان المستقلة. انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٣ ص ١١١؛ ج ٨ ص ٤٢٩ - ٤٣٠، ٤٤٤.

(٧) انظر ابن طاهر، الفرق بين الفرق، ص ١٩٩؛ وانظر الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، =

والاستسلام للواقع وموافقته، احتجاجاً بالقضاء والقدر^(١)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (قول هؤلاء كفر صريح، وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر؛ لأنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأمر والنهي لازمان لكل عبد ما دام عقله حاضراً إلى أن يموت، لا يسقطان عنه، لا بشهوده القدر، ولا بغير ذلك. فمن لم يعرف ذلك عرّفه وبُيّن له، فإن أصرَّ على اعتقاد سقوط الأمر والنهي، فإنه يقتل)^(٢).

هـ: المرجئة^(٣): طائفة تقول: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة^(٤). فالإيمان عندهم مجرد تصديق وعلم فقط، وأخرجوا منه العمل، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من القول بأن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح.

وما ذهب إليه هؤلاء يجعل الناس سواسية في الإيمان، ففرعون وإبليس واليهود كاملوا الإيمان؛ لأنهم عرفوا الحق، وهذا قول فاسد، وخطأ فاحش، قال تعالى عن إبليس: ﴿... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥)، وقال تعالى عن فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٦)، وقال تعالى عن اليهود: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٧)، إذاً: فالإقرار بدون عمل لا يغني من الحق شيئاً، فهو يجعل من سب الله ورسوله وأوليائه هم، وألحد في الدين بقول أو فعل،

= الملل والنحل، الطبعة الثانية، ج ١ ص ٨٥؛ وانظر ابن تيمية، المصدر السابق، ج ٣ ص ١٥٠؛ ج ٨ ص ٤٤٤ - ٤٤٥؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٦٣٩ - ٦٤٠؛ وانظر ابن القيم، مدارج السالكين، ج ١ ص ١٨٨، ٤٠٤ - ٤٠٥.

(١) انظر ابن تيمية، العبودية، ص ٥٣، ٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٥.

(٣) عدة طوائف منها: مرجئة: القدرية، والخالصة، والجبرية، الخوارج، وكلها لا تخرج كثيراً عن المعنى الذي أوردناه. انظر ابن طاهر، الفرق بين الفرق، ص ١٩٠ - ١٩٥؛ وانظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١ ص ١٣٩.

(٤) انظر المصادر السابقة؛ وانظر ابن تيمية، الإيمان، الطبعة الثالثة، ص ١١٢، ١٨٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٦) سورة النمل، الآية ١٤.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٤٦.

من أهل الحق والإيمان، وهذا قول فساده معلوم بالضرورة من الدين^(١).

كما أن فيه إحياء للأمة بأنها في ظل الواقع السيء الذي تعيشه، ومهما بلغ بها الأمر، إلا أنها بخير لأنها لم تخرج من حقيقة الإيمان المطلوب^(٢)، وتلك دعوة صريحة للتخلي عن الجهاد.

٢ - المذاهب الحديثة. كما عمل الأعداء قديماً من خلال الباطنية على زعزعة العقيدة، وبث الأفكار المنحرفة، عملوا في عصرنا الحاضر بواسطة العملاء، ومن خلال الاستعمار على إنشاء العقائد المصطنعة، والمذاهب المضللة، لتفتيت الأمة، وتمزيق الوحدة، والقضاء على منابع القوة. بعد أن أدركوا أثر العقيدة وفاعلية الجهاد في نفوس المسلمين، ومن أبرز هذه المذاهب:

أ: البهائية: إحدى رباب الاستعمار الحديث، نشأت في ظلّه وتحت رعايته ودعّمه المادي والمعنوي بهدف إفساد العقيدة، وتمزيق الوحدة الإسلامية، تحت شعار الإصلاح الديني، والاجتماعي، والتأخي بين أفراد المجتمع على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وجنسياتهم^(٣).

من أبرز عقائدهم القول بألوهية البهاء، وأنه المتصف بالصفات الإلهية دون الله، وأن جميع الديانات السماوية لم تأت إلا لأجل البشارة بالبهائية التي نسخت جميع الأديان بما فيها الإسلام. ويعتقدون بأن الرسول ﷺ ليس آخر الأنبياء، وكتابه ليس آخر الكتب^(٤)، بل يجب أن يكون لكل عصر نبي وكتاب بتعاليم تتفق مع روح العصر^(٥). ويعتقدون بالتأويل الباطني للقرآن الكريم^(٦) حتى يتفق مع ما ادعوه.

(١) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٧ ص ٥٥٧ - ٥٥٨؛ وانظر الإيمان، ص ١٧٨.

(٢) انظر محمد قطب، واقعا المعاصر، الطبعة الأولى، ص ١٥٦ - ١٧١.

(٣) انظر إحسان إلهي ظهير، البابية عرض ونقد، الطبعة الرابعة، ص ٥ - ٦؛ وانظر محسن عبد الحميد، حقيقة البابية والبهائية، الطبعة الخامسة، ص ١٠٤، ١٧١ - ١٨٥؛ وانظر حسين ناجي محمد محيي الدين، البهائية عميلة الاستعمار والصهيونية، الطبعة الأولى، ص ٢٠ -

٨٨.

(٤) انظر محب الدين الخطيب، البهائية، الطبعة السادسة، ص ٣ - ٤، ٣٥ - ٤٥.

(٥) انظر محب الدين الخطيب، وآخرين، دراسات عن البهائية والبابية، الطبعة الثانية، ص ٥٣.

(٦) انظر إحسان ظهير، مرجع سابق، ص ٣٩ - ٤٢؛ وانظر عبد الحميد، مرجع سابق، ص

١٢٦.

ويعتقدون بوجوب طاعة أولي الأمر حتى لو كانوا من أشد أعداء السلام؛ لأن في معتقدهم الدعوة إلى الوحدة الدينية بين اليهود والنصارى والمسلمين^(١).

أما الجهاد فقد أسقطوه عندما دعوا إلى الاستسلام، ومنع استخدام القوة تحقيقاً للسلام العالمي^(٢) وعندما أوجبوا طاعة أولي الأمر مطلقاً، حتى لو كانوا من أعداء الإسلام؛ بل إنهم نصوا على ترك الجهاد، ونسخه من معتقدهم، يقول البهاء في تحريم الجهاد: (البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم: محو حكم الجهاد من الكتاب، وقد نزل هذا الأمر المبرم من أفق إرادة مالك القدم)^(٣)، ويقول عبد البهاء عن أبيه: (محا آية السيف، ونسخ حكم الجهاد)^(٤)، وهم يرون ضرورة ذلك؛ لأجل تحقيق الاتحاد الديني العالمي، والسلام العالمي المزعوم.

هذه الطائفة تنتشر في أنحاء متفرقة من عالما الإسلامي، ويعمل أتباعها وأنصارها على نشرها والدعوة إليها^(٥)، بدعم ورعاية من أعداء الإسلام، واعتراف الأمم المتحدة بها^(٦).

ب: القاديانية: برزت تحت رعاية الاستعمار؛ لخدمة مصالحه داخل البلاد الإسلامية، وهي بمثابة المؤامرة الدينية على الرسالة النبوية، والثورة السياسية على الحكومة الإسلامية^(٧). فهم يعتقدون بأنهم دين جديد، له شريعة مستقلة، وكتاب

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٧٤؛ وانظر أسعد السحمراني، البهائية والقاديانية، الطبعة الأولى، ص ٩١ - ٩٢.

(٢) انظر المراجع السابقة، ص ١٥٤؛ ص ٩٢.

(٣) أحمد عون، خفايا الطائفة البهائية، (القاهرة: دار النهضة العربية)، ص ١٣٢؛ وانظر الوكيل، البهائية، ص ٢٦٦.

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر محب الدين الخطيب وآخرين، دراسات عن البهائية والباية، ص ٤١ - ٤٣.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ٤٨.

(٧) انظر أبا الحسن علي الحسيني الندوي، القادياني والقاديانية، الطبعة الخامسة، ص ٧ - ٨،

٩٧ - ١٠٦؛ وانظر الوكيل، البهائية، ص ١٥٤ - ١٥٧، ١٦٨ - ١٦٩؛ وانظر عبد الله سلوم

السامرائي، القاديانية والاستعمار الإنجليزي، ص ٣٧ - ٥٠.

مبين، ورسول مرسل يكفر من لا يؤمن به^(١). ويعتقدون بوجوب طاعة السلطة الحاكمة طاعة عمياء، سواء كانت مسلمة أو كافرة^(٢)، يقول القادياني: (إن عقيدتي التي أكررها، أن للإسلام جزئين: الجزء الأول: طاعة الله، والجزء الثاني: طاعة الحكومة التي بسطت الأمن وأوتنا في ظلها من الظالمين، وهي الحكومة البريطانية)^(٣)، كل ذلك بغرض الاستسلام للأعداء، واستمرار سيطرتهم على البلاد الإسلامية.

لذلك جعلوا إلغاء الجهاد أحد العقائد الرئيسة لهم^(٤)، يقول الغلام القادياني: (اليوم ألغي حكم الجهاد بالسيف، ولا جهاد بعد هذا اليوم، فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويسمي نفسه غازياً، يكون مخالفاً لرسول الله)^(٥)، هذا العمل يتباهون به أمام الكفار، معترفين بدور الجهاد في مواجهة أعداء المسلمين، يقول القاديانيون في كلمة موجهة إلى نائب الملكة البريطانية: (عندما ادعى مرزا غلام أحمد النبوة، كانت فكرة الجهاد لها دوي في العالم الإسلامي، وكأنه برميل بنزين يحتاج لاشتعاله إلى عود كبريت، إلا أن مؤسس هذه السلسلة المرزا، قام بدعاية قوية ضد الجهاد، وأنه فكرة فاسدة، وأنه ضد الإسلام، وأمن الدولة)^(٦)، وفي ذلك قمة الوفاء والإخلاص للأعداء الراعين لهم يقول القادياني في بيان ذلك: (لقد ظللت منذ حادثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي؛ لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية، والنصح لها، والعطف عليها وألغي

(١) انظر الندوي، المرجع السابق، ص ٤٩، ٧١، ٧٦ - ٧٨؛ وانظر نخبة من علماء باكستان وفيها طائفة من أعضاء مجلس الأمة العلماء، بتوجيه من فضيلة المحدث الكبير الشيخ: محمد يوسف البنوري، موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، الطبعة الأولى، ص ٢٥ - ٤٦؛ وانظر إحسان إلهي ظهير، القاديانية، دراسات وتحليل، الطبعة الثانية عشرة، ص ١١٠.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٢٠ - ١٢٢.

(٣) . . . (ملحق شهادة القرآن) . . . الندوي، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٤) انظر إحسان ظهير، مرجع سابق، ص ١١٨ - ١١٩؛ وانظر مصطفى غلوش، القاديانية عرض وناقذ، (الزقازيق: دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع)، ص ٨٢ - ٨٥؛ وانظر حسن عيسى عبد الظاهر، القاديانية نشأتها وتطورها، الطبعة الثالثة، ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٥) إحسان ظهير، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٦) . . . (صحيفة الفضل القاديانية، ١٩٢١م/٧/٤) . . . نخبة من علماء باكستان، موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، ص ١١٦.

فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة^(١).

هذه الدعوى أسهمت في قتل الحماس الديني والجهادي الذي وقف في وجه أطماع المستعمرين حيث أثمر ذلك العمل في خدمة الأعداء، عن تخلي كثير من الناس عن الجهاد، بفعل هذه الأفكار القاديانية^(٢)، يقول القادياني: (وكان من نتيجة ذلك أن أفلح ألوف من الناس عن فكرة الجهاد التي كانت من وحي العلماء الجامدين، وهذه مأثرة أتباهى بها، يعجز المسلمون في الهند أن ينافسوني فيها)^(٣).

وظهر الأثر جلياً في الهند وباكستان بعد استقلالهما، حيث الولاء للأعداء، وسيطرت القاديانيين على كثير من المراكز الحكومية في الوزارات والجيش^(٤)، حتى تم إقصاؤهم عن المراكز القيادية فيما بعد رغم بقاء خطرهم، يقول الندوي: (. . . .) وقد أضعفت هذه الحركة القاديانية كثيراً، وأقصتها - يقصد الحكومة الباكستانية - عن الحياة العامة والمجتمع الإسلامي. . . . ولكنها لا تزال قوة في الداخل، ودعاية في الخارج، ولا تزال خطراً على الفكرة الإسلامية ووحدتها في العالم الإسلامي^(٥)، فهي اليوم ممتدة في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي، في العراق، وسوريا وأندونيسيا، وغيرها^(٦). ونشاطها الدعوي ممتد خارج العالم الإسلامي، في أمريكا، وأوروبا، والشرق الأقصى وأفريقيا، عن طريق إقامة المراكز والأعمال التعليمية والاجتماعية^(٧).

-
- (١) الندوي، القادياني والقاديانية، ص ٩٩؛ وانظر نخبة من علماء باكستان، المرجع السابق، ص ١١٩.
- (٢) انظر غلوش، القاديانية، ص ٨٥ - ٨٦، ٩٥ - ٩٧.
- (٣) الندوي، مرجع سابق، ص ١٠١.
- (٤) انظر المرجع السابق، ص ٨ - ٩، ١١؛ وانظر «رئيس الجامعة الإسلامية في باكستان: الفرق الضالة وجدت لها أنصاراً»، الرياض: مجلة الدعوة العدد ١٣٢١ (١٣/٦/١٤١٢ هـ): ص ١٨.
- (٥) الندوي، المرجع السابق، ص ١٢.
- (٦) انظر المرجع السابق، ص ٩؛ وانظر محسن عبد الحميد، القاديانية نشأتها وتطورها، الطبعة الثالثة، ص ١٧٠ - ١٨١؛ وانظر حسن عبد الظاهر، القاديانية، ص ١٧٠ - ١٨١.
- (٧) انظر الندوي، المرجع السابق، ص ١٨٢ - ١٨٤؛ وانظر عبد الظاهر، القاديانية، ص ١٨٢ - ١٨٤.

ولا تزال تجني ثمار خدماتها للأعداء، حيث تحظى اليوم بدعم ورعاية أعداء الإسلام في كل مكان فعندما طردت إسرائيل سكان فلسطين في عام [١٩٤٨ م - الموافق ١٣٦٧/٢ - ١٣٦٨/٣ هـ]، حظي القاديانيون بالرعاية والتكريم، وأُقروا على ما هم عليه^(١)؛ بل إن لهم مركزاً في حيفاء، يمارس نشاطه بكل حرية^(٢).

ثانياً - البدع والخرافات^(٣):

انتشرت البدع، وشاعت الخرافات في أرجاء متفرقة من عالمنا الإسلامي^(٤)، فمن أبرزها:

أ: الأولياء، الفهم الخاطيء للولاية عند كثير من المعاصرين جعل من أولئك المخادعين من الكهنة والسحرة والمشعوذين الذين استهوتهم الشياطين، أولياء من دون الله، فعن طريق أعمالهم الخارقة والخارجة عن العادة بفعل السحر، سيطروا على عقول كثير من الجهلاء، فانتشر بين العامة أنهم ينفعون ويضرون، وقبلوا كل ما يصدر منهم، فتوجهوا لهم بالدعاء وطلب الرضى، حتى بلغ الأمر بهؤلاء المشعوذين إلى إسقاط التكاليف الشرعية عن أنفسهم؛ بحجة الوصول إلى مرحلة تسقط عندها التكاليف الشرعية^(٥)، مما كان له أبلغ الأثر على عقيدة عوام الناس وجهلائهم، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وقد اتفق أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يُتبع إلا أن يكون موافقاً لأمر الله ورسوله، ومن رأى من رجل مكاشفة أو تأثيراً فاتبعه في خلاف الكتاب والسنة كان من جنس أتباع الدجال، فإن الدجال يقول للسماء أمطري فتمطر)^(٦).

(١) انظر نخبة من علماء باكستان، موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، ص ١٣٠.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٣) البدعة: كل أمر محدث في الدين، مما لم يكن عليه الرسول ﷺ، وصحابته الكرام. انظر أبا شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، الطبعة الأولى، ص ١١ - ٤٥.

(٤) انظر عبد الله بن سليمان بن منيع، حوار مع المالكي في ردّ منكراته وضلالاته، الطبعة الرابعة، ص ٨ - ٢٤.

(٥) انظر فتاوى اللجنة، ج ١ ص ١٠٠، ١٠٢، ١٠٤، ٤٣٤؛ وانظر محمد أمان بن علي الجامي، تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة، الطبعة الرابعة، ص ٤٤.

(٦) الفتاوى، ج ٢٥ ص ٣١٤.

ب: القبورية، شاع عند كثير من المعاصرين زيارة قبور الأنبياء والصالحين، بغرض الدعاء والتبرك والتمسح بها، والطواف حولها، وتقديم القرابين لأهلها، أو لله اعتقاداً بأفضليتهم، وكذا بناء المساجد والمشاهد والكتابة عليها، وسترها وتبخيرها وإسراجها. كل ذلك شائع ومشاهد في عصرنا الحاضر في كثير من الدول الإسلامية^(١)، وتلك فتنة كبرى، ومصيبة عظيمة؛ لما تفضي إليه من الشرك^(٢) الذي حذر ﷺ من الوقوع في الأسباب الموصلة إليه، فقد ثبت أنه ﷺ أمر بتسوية القبور، ونهى عن تمييزها ببناء، أو تجصيص، أو رفع لأكثر من شبر^(٣)، فكل هذه الأعمال تؤدي إلى الشرك بالله، يقول ﷺ: ((لعن الله اليهود والنصارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا))^(٤)، قالت عائشة: (ولولا ذلك لأبرزوا قبره - ﷺ -، غير أنني أخشى أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا)^(٥)، وإذا كان ذلك في قبور الأنبياء، فهو في ما سواها أشد وأنكى، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فالزيارة البدعية مثل قصد قبر بعض الأنبياء والصالحين للصلاة عنده، أو الدعاء عنده، أو به، أو طلب الحوائج منه، أو من الله تعالى عند قبره، أو الاستغاثة به، أو الإقسام على الله تعالى به، ونحو ذلك هو من البدع التي لم يفعلها أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا سن ذلك رسول الله ﷺ، ولا أحد من خلفائه الراشدين، بل قد نهى عن ذلك أئمة المسلمين الكبار)^(٦)، كل ذلك من جنس الشرك وأسبابه^(٧).

٣- التوسل، الفهم الخاطيء للتوسل أوقع كثيراً من المعاصرين في محذور دعاء الله سبحانه وتعالى وعمل الطاعات عند قبور الموتى، أو التوسل بمكانتهم عند الله^(٨). وأوقعهم في محذور دعاء الموتى والغائبين، من الأنبياء، أو الصالحين،

(١) انظر فتاوى اللجنة، ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٩؛ وانظر علي محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع،

(دار الاعتصام)، ص ١٨٥ - ٢١٤.

(٢) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٧ ص ٣٧٥؛ وانظر اللجنة، المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ٣١ - ٣٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ٦١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق، ج ٢٤ ص ٣٣٥.

(٧) انظر ابن تيمية، مصدر سابق، ج ٢٧ ص ١٢٠.

(٨) انظر اللجنة، مرجع سابق، ص ٣٣٥ - ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٠.

وتلك أعمال تفضي إلى الشرك الأكبر^(١).

٤ - الغلو في: أ: الحكام، والرؤساء، والصالحين، وذلك بمجاوزة الحد المشروع في محبتهم أو مدحهم قولاً: كوصفهم بما هو من خصائص الألوهية، ومدحهم بما ليس فيهم، أو فعلاً: كالانحناء لهم، وأداء بعض العبادات عند بيوتهم أو قبورهم، وقد يُفضي ذلك إلى التبرك بآثارهم، وأبدانهم. وهذا باب فيه خطر عظيم على الأمة إذا حادت فيه عن الطريق المستقيم، فالشرك وقع في الأرض بسبب الغلو في الصالحين، فمن الغلو في التقدير والمحبة، إلى التعظيم، إلى الاحتفال بالذكرى، ثم اتخاذ الصور والتماثيل وتعظيمها، حتى وصل الحال إلى العبادة من دون الله.

ب: تعظيم بعض الأماكن، كتعظيم بعض المساجد، أو الأماكن التي مر بها رسول الله ﷺ مما لم يكن مقصوداً فعله، أو مر بها بعض الصحابة، أو الصالحين، وكذلك مواقع بعض المعارك الإسلامية.

ج: إبراز الصور وتعظيمها، إما عن طريق الاحتفاظ بها، أو وضعها في أماكن بارزة، أو اتخاذها على شكل تماثيل في أماكن عامة. وسواء كان المقصود في ذلك التعظيم، أو الذكرى، أو الإعجاب ونحوه، كل ذلك محرم شرعاً^(٢)، يقول ﷺ: ((من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصوّرون هذه الصّور))^(٣)، فهي مضاهات لله في خلقه، ووسيلة إلى تعلق القلب بصاحبها، وتعظيمه مع مرور الأيام، لما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة كنيسته فيها تصاوير رأيتها في الحبشة، قال ﷺ: ((إنَّ أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصّورَ، فأولئك شرارُ الخلقِ عند الله يومَ القيامةِ))^(٤)، إذاً فهي وسيلة شيطانية تأخذ الإنسان على حين غرة، وتلقي به في غياهب الشرك بالله، يقول ابن حجر رحمه الله تعالى: (إنما فعل ذلك أوائلهم؛ ليتأنسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم

(١) انظر المرجع السابق، ص ٣٣٢، ٣٣٩.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤٥٥، ٤٧٠، ٤٨٣، ٤٨٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٧٥.

(٤) المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب ٤٨.

الشیطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فعبدوها^(١).

٥ - الأعياد والاحتفالات، والاجتماعات البدعية^(٢)، للأمة الإسلامية اجتماعاتها وأعيادها الأسبوعية كالجمعة، والسنوية كعيدي الفطر والأضحى، يقول ﷺ: ((إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا))^(٣)، ويقول ﷺ: ((إِنَّ هَذَا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللَّهُ عِيدًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ...))^(٤)، هذه الأعياد مقيدة بأوقات وأماكن معينة، وما خالف ذلك فهو بدعة في الدين تُرد على صاحبها، وإن حاول إعطاها الصبغة الشرعية، وأحاطها بحماس دعوي مشبوه، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية، كبعض ليالي شهر ربيع الأول، التي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال عيد الأبرار، فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف، ولم يفعلوها)^(٥)، ولذلك نفاظر معاصرة، فمن أبرز الأعياد والاحتفالات المبتدعة اليوم^(٦): بدعة المولد النبوي^(٧)، وتلك بدعة محدثة في الدين، لم يفعلها ﷺ، ولا الخلفاء الراشدون، ولا السلف الصالح من بعدهم^(٨). ومنها احتفالات الموالد، كالاحتفالات بالموالد المزعومة للسيد الحسين، والسيد البدوي، والسيدة زينب والسيدة فاطمة النبوية^(٩). ومنها الاحتفال برأس السنة الهجرية، ومنها الاحتفال بالإسراء والمعراج ليلة السابع والعشرين من

(١) فتح الباري، ج ١ ص ٦٢٦.

(٢) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ٤٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب ٤.

(٤) حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [٢٢٥٨].

(٥) الفتاوى، ج ٢٥ ص ٢٩٨.

(٦) انظر محفوظ، الإبداع، ص ١٦٤ - ٤١٣؛ وانظر محمد سلطان، رؤية معاصرة لاحتفالاتنا

الإسلامية، (المنصورة: مكتبة الإيمان)، ص ٧ - ٨.

(٧) انظر فتاوى اللجنة، ج ٣ ص ١٦، ٢٥؛ وانظر رسالة ألفها علماء الأزهر، منكرات الأفرح

وآثارها السيئة على الفرد والدولة، حققها وأضاف إليها بعض البحوث: محمود الاستنبولي،

ص ٨٠ - ٨٥؛ وانظر ابن منيع، حوار مع المالكي، ص ٢٤ - ٣٠.

(٨) انظر محمد عبده يماني، «فلنحتف برسول الله ﷺ في يوم مولده»، جريدة الحياة،

١٢/٤/١٤١٤ هـ، العدد ١١١٥٥، ص ١٧.

(٩) انظر رسالة ألفها علماء الأزهر، مرجع سابق، ص ٥٩.

شهر رجب^(١). ومنها احتفال ليلة النصف من شعبان، وفيها يكون الدعاء الجماعي، مع ما يصاحبه من فسوق وعصيان، واختلاط الرجال بالنساء^(٢). ومنها ما يكون في ليلة السابع والعشرين من رمضان^(٣)، حيث إحياء هذه الليلة المباركة بالاحتفالات الخطابية التي تأخذ الطابع السياسي^(٤)، وما يكون فيها من اجتماعات راقصة داخل المساجد^(٥). ومن البدع الاحتفال بيوم السابع عشر من رمضان، بمناسبة ذكرى غزوة بدر، وبدعوى الدعاء للشهداء، وبدعة الاحتفال بيوم عاشوراء، واعتباره عيداً يوسع فيه على الأهل والفقراء^(٦).

ومن الأعياد عيد الأم، ففي ذلك اليوم تكرم الأم، وتقدم لها الهدايا، وكأن تقديرها مرتبط بيوم عيدها^(٧). ومنها ما يسمى بالعيد الوطني^(٨)؛ لما فيه من تعظيم لأمرٍ لم يرد الشرع فيه، ومحاكاة للكفار وأعيادهم. ومن ذلك أعياد الميلاد، والمناسبات الخاصة، كالقيام بحفلة سنوية في ذكرى المولد أو الزواج، تكون فيها الشموع بعدد السنين، وتقدم فيه أصناف المأكولات والمشروبات^(٩). ويدخل في ذلك المشاركة وإقامة أعياد المشركين واحتفالاتهم، كعيد ميلاد المسيح ﷺ، ورأس السنة الميلادية ونحوها من أعياد الكفار واحتفالاتهم التي نهي المسلم عن المشاركة فيها، أو تبادل التهاني والهدايا بمناسبةها^(١٠)، يقول عمر رضي الله عنه: (لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم

(١) انظر اللجنة، مرجع سابق، ص ١٤، ٤١؛ وانظر رسالة ألفها علماء الأزهر، المرجع السابق، ص ٨٦ - ٨٩.

(٢) انظر اللجنة، المرجع السابق، ص ٤٢ - ٤٣؛ وانظر محفوظ، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٣) انظر اللجنة، المرجع السابق، ص ٤٠ - ٤١.

(٤) انظر جمهورية مصر العربية، «نقل حي ومباشر»، إذاعة القاهرة، الساعة العاشرة مساءً ١٤١٣/٩/٢٦ هـ.

(٥) انظر رسالة ألفها علماء الأزهر، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٦) انظر اللجنة، مرجع سابق، ص ٣، ٦.

(٧) انظر المرجع السابق، ص ٥٨؛ وانظر رسالة ألفها علماء الأزهر، منكرات الأفراح، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٨) انظر اللجنة، المرجع السابق، ص ٥٩ - ٦١.

(٩) انظر المرجع السابق، ص ٥٦ - ٥٨؛ وانظر محمد سلطان، رؤية معاصرة، ص ١٠ - ١١.

(١٠) وانظر اللجنة، المرجع السابق، ج ٢ ص ٤٧ - ٥١.

عيدهم، فإن السخط ينزل عليهم^(١)، فإذا كان ذلك في مجرد الدخول، فكيف بالمشاركة والموافقة قولاً وعملاً في مناسباتهم الدينية والاجتماعية، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (من صنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت، حشر معهم)^(٢)، ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (كره جمهور الأئمة إما كراهة تحريم، أو كراهة تنزيه، أكل ما ذبحوه لأعيادهم وقربانهم، إدخالاً له فيه أهل به لغير الله وما ذبح على النصب، وكذلك نهوا عن معاونتهم على أعيادهم، بإهداء، أو مبايعة، وقالوا: إنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئاً من مصلحة عيدهم، لا لحماً، ولا دماً، ولا ثوباً، ولا يعارون دابة، ولا يعانون على شيء من دينهم؛ لأن ذلك من تعظيم شركهم، وعونهم على كفرهم، وينبغي للسلطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك)^(٣).

ثالثاً: ضعف الإيمان. ومن أبرز مظاهره^(٤):

أ : عدم إدراك المفهوم الصحيح لدور الأمة الإسلامية في هذه الحياة، فقد ضاق مفهوم الإسلام عند كثير من المعاصرين، حتى أصبح لا يتجاوز كونه شعائر تؤدي بطرق معينة، وغاب عن أذهانهم الدور الحقيقي للأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥).

ب: تجزئة الإسلام والأخذ بالجانب المناسب للرغبة والهوى، حيث التهاون في كثير من الأمور الدينية، مع الاهتمام بأمور أخرى، قال تعالى: ﴿... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُمُ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٦).

(١) ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٥ ص ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٣٢.

(٤) انظر محمد صالح المنجد، ظاهرة ضعف الإيمان، الأعراض، الأسباب، العلاج، الطبعة الأولى، ص ٩ - ٢٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٦) سورة البقرة، الآية ٨٥.

ج: التناقض بين القول والفعل؛ لأنه اعتاد ذلك القول بعيداً عن الفهم الصحيح المؤثر في سلوك المرء وتصرفاته، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَلِيِّينَ﴾^(١)، تجد أحدهم يحافظ على أمور دينه، ويترك الدعوة إلى الله حسب استطاعته. وآخر يحافظ على علاقته المميزة مع زملائه، ويهمل رحمه. وآخر يخرج من المسجد باتجاه البنك الربوي وهكذا في أمور كثيرة.

د: الحماس والاندفاع. فعند سماع نبأ بواسطة الإعلام، أو مما يتناوله الناس في مجالسهم، يسارع في التصديق، وإصدار الأحكام، ويبنى على ذلك كثيراً من التصرفات التي قد تسيء إلى أشخاص، أو جهات مسؤولة؛ بل قد يندفع إلى أعمال تُلحق الضرر بالأمة، وفي ذلك مخالفة للمنهج الإسلامي الذي يأمر بالتثبت والتأني، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهًا فَاسِقًا بِنَسَاءٍ فَتَيَبْنَا أَنْ نُنَصِّبُوا قَوْمًا يَجْهَلُونَ فَنُنَصِّبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَصِيبًا﴾^(٢)، وقال ﷺ لأشجَّ عبد القيس؛ لما لمس فيه سمة التأني وعدم العجلة^(٣): ((إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأُتَاةُ))^(٤). إلا أن هذه السمة يجب أن لا تخرج الفرد من الحسنه إلى السيئة، فيصبح فاتراً لا تتحرك فيه مشاعر الرغبة والرهبه من الله.

هـ: الخطأ في فهم التوكل على الله، وذلك بترك الأخذ بالأسباب المشروعة، اعتقاداً بأن ذلك هو المفهوم الصحيح للتوكل، وهذا جهل بحقيقة التوكل التي تعني: تفويض الأمر إلى الله بعد الأخذ بالأسباب المشروعة، المعنوية منها والمادية^(٥)، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة في ذلك، فهو خير المتوكلين على الله، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب، ويجهد نفسه فيها، ولك في سيرته ﷺ مثل يحتذى به في جعل التوكل على الله سبباً من الأسباب التي يتحقق بها المقصود^(٦).

أما التوكل الشائع في أيامنا هذه فلا يتجاوز أن يكون: شماعه يعلق عليها العاجزون عن حمل الأمانة تقصيرهم، وإضاعتهم للجهد والمال.

(١) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٦.

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١ ص ١٨٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٦.

(٥) انظر ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢ ص ١١٤ - ١٤١.

(٦) انظر فتاوى اللجنة، ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٥٢.

كما أن هذا الفهم الخاطيء مدعاة للراحة وترك العمل، بحجة تفويض الأمر لله، وهذا خطأ في الفهم والإدراك؛ لأن تفويض الأمر لله لا يكون إلا بعد الأخذ بالأسباب المشروعة.

و: ضعف مفهوم البراء من الكفار. حيث شاع في هذا العصر عدة أمور منها:

١ - الرفع من مكانتهم، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ...﴾ (١).

٢ - محبتهم وقد نهى المسلم عن ذلك، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ...﴾ (٢).

٣ - تعظيمهم قولاً وفعلاً مع ما فيه من مخالفة شرعية، يقول ﷺ: ((لا تقولوا للمنافق سيدنا؛ فإنه إن يكن سيدكم، فقد أسخطتم ربكم)) (٣).

٤ - مناصرتهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ (٤).

٥ - اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٥).

ز: التحاكم إليهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ...﴾ (٦).

ح: مداهنتهم ومجاملتهم، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (٧).

(١) سورة الممتحنة، الآية ١.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(٣) صحيح الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [٧٤٠٥].

(٤) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١١٨.

(٦) سورة النساء، الآية ٦٠.

(٧) سورة القلم، الآية ٩.

ط: مشاركتهم في أعيادهم وأفراحهم، ومبادلتهم التحية والتهنئة مع ما فيها من زور، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾^(١).

ي: موافقتهم على الاستهزاء بالدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ... ﴾^(٢).

ك: محاكاتهم في الملبس والمأكل والمشرب، يقول ﷺ: ((من تشبه بقوم فهو منهم))^(٣).

كل ذلك يؤدي إلى الولاية للكافرين، وفي ذلك خطر عظيم، قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ... ﴾^(٤)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الله تعالى جبل بني آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر، كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط... فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة عل وجه المسارقة والتدرج الخفي. وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين، هم أقل كفراً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشره اليهود والنصارى، هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جرد الإسلام... وإن بعد المكان والزمان فهذا أمر محسوس)^(٥).

تلك هي أبرز مظاهر الخلل العقدي المعاصر، والتي أسهمت في فقدان الأمة الإسلامية للمحرك الرئيس للجهاد، فبدلاً من أن تكون العقيدة قوة دافعة، ومحركة للطاقت الإسلامية، أصبحت بفعل مظاهر الخلل المتعددة عائقاً يحول بين المسلمين وبين إقامة فريضة الجهاد، فهل سيكون جهاد بعقائد متفرقة؟ أم يكون الجهاد بعقيدة منحرفة؟ أم يكون الجهاد بعقيدة مضطربة؟.

(١) سورة الفرقان، الآية ٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٠.

(٣) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٨٥٩٣].

(٤) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ٤٨٧ - ٤٨٨.

المطلب الثالث

التقويم

لقد كان من أثر ذلك الخلل، أن تزعزعت العقيدة في القلوب، واهتز الإيمان، فلم يكن له تأثير على التصورات والسلوك، وظهر الضعف العام على مستوى الفرد والمجتمع والدولة، حتى أصبحت الأمة أضعف من أن تؤدي الدور المطلوب منها ولا أدل على ذلك من واقع الأمة الإسلامية المعاصر.

ولأجل الخروج من ذلك لا بد من وقفة جريئة لعلماء الأمة، فيها التشخيص والدواء الذي لا يخفى على كل ذي لب مسلم. والمتمعن في حال الأمة العقدي، والدارس لأغوار وخفايا هذا الخلل، يجد أسباباً متعددة لذلك، مدارها: الانحراف عن المنهج الإلهي في البحث والتفكير، فالله سبحانه وتعالى حينما أنعم على الإنسان بنعمة العقل، وأمره بالنظر والتدبر، بين له أن هذا العقل له قدرة محددة وطاقة معينة، لا يمكن أن يتجاوزها، وجعل الالتزام بذلك صفة إيمانية، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١).

والغيب يشمل كل ما غاب عن المشاهدة من أمور الإيمان، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كل ذلك لا يمكن أن يصل الإنسان إلى حقيقته بنفسه؛ لأنه عالم غائب عن المشاهدة المحسوسة، ولا طريق لمعرفته إلا من خلال العلم الإلهي الذي حذر الإنسان من تجاوزه، قال تعالى: ﴿وَلَا

(١) سورة البقرة، الآية ٢ - ٣.

تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١﴾، وأمره بالوقوف عند ذلك الحد المعرفي للعقل، يقول ﷺ موجهاً في ذلك: ((لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال: هذا، خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله))^(٢)، فالشياطين تقف عند هذه الحد؛ لتأخذ من يحاول التجاوز، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (خط رسول الله ﷺ خطأ، وخط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطأ، ثم قال: ((هذا صراط ربك مستقيماً، وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)) ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(٣)^(٤)، فمن تجاوز المنهج الإلهي في مجال التفكير والبحث وحدودهما، وقع في متاهات الحيرة والضلال المهلكة، وهذا ما حذر منه ﷺ، عندما سمع قوماً يتنازعون في القدر، كل منهم يستدل على قوله بآية، فخرج مغضباً وقال: ((بهذا أمرتم!! أو بهذا بعثتم!! أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض!! إنما ضلّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما ههنا في شيء، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، والذي نهيتم عنه فانتهوا))^(٥).

هذه الفئة الخارجة عن المنهج الإلهي في منهجها التفكيري، إذا عرض لهم أمر بين عقل وشرع، قدموا العقل وجعلوه ميزاناً، وبذلك خرجوا عن المنهج الإلهي في البحث والتفكير، فتفرقت بهم السبل واجتالت عقولهم الشياطين، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم، وما تألولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم؛ وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثور والحديث وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب،

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٦٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٤) حديث صحيح الإسناد. الحاكم عبد الله بن محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین،

(دار الكتب العلمية)، كتاب التفسير، ج ٢ ص ٢٣٩، ٣١٨.

(٥) إسناده صحيح، المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه: أحمد شاكر، رقم

الحديث: [٦٨٤٦].

وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم^(١).

وبنظرة سريعة إلى ما آل إليه أمر كثير من المشتغلين بعلم العقيدة، نجد اعترافهم بالخروج عن المنهج الصحيح، ووقوعهم في بحور مظلمة من الحيرة والقلق، فهذا الأشعري نشأ في الاعتزال أربعين عاماً قضاها في المناظرة والانتصار للرأي، ولما بلغ منه الأمر مبلغه تراجع عن رأيه، وصرح بتضليل المعتزلة وأخذ في الرد عليهم^(٢).

وكذا أبو حامد الغزالي الذي أطال في البحث، ينتهي به الأمر إلى التوقف والحيرة، فألف كتابه^(٣) (إلجام العوام عن علم الكلام)^(٤). وهذا الرازي يصف ما آل إليه انشغاله بعلم الكلام، بقوله:

نهاية إقدام العقولِ عقالٌ وأكثرُ سعيِ العالمينَ ضلالٌ
وأرواحنا في وحشةٍ من جِسمِنا وحاصلُ ديانا أذى ووبالٌ
ولم نستفد من بحثنا طولَ عُمرنا سوى أن جمعنا فيه: قيلَ وقالوا^(٥)

ووصف مناهج المتكلمين بوصف الخبير المطع، فقال: (لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عيلاً، ولا تروي غليلاً)^(٦).

أما الشهرستاني، فأخبر أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا: الحيرة والندم^(٧)، وكان ينشد:

لعمرى لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادماً^(٨)

(١) الفتاوى، ج ٧ ص ١١٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٤ ص ٧٢.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) الطبعة الأولى، ص ٢٣.

(٥) ابن تيمية، مصدر سابق، ص ٧٣؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٤٤.

(٦) المصادر السابقة، ص ٧٢؛ ص ٢٤٤.

(٧) انظر المصادر السابقة، ص ٧٣؛ ص ٢٤٥.

(٨) الشهرستاني عبد الكريم، كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام، حرره وصححه: الفرد جيوم،

إن المخرج من هذه الضلالات والمتاهات يأخذ طريقين :

أولاً: الدعوة إلى الاعتصام بما جاء في الكتاب والسنة، والرجوع إلى المنهج الإسلامي في البحث والتفكير، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۚ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾^(١)، فسييل المؤمنين هو الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتقديمهما على غيرهما في القول والرأي، فالمرء لا يبلغ درجة الإيمان الصحيح حتى يسلم الأمر لله ولرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾^(٢)، وقال ﷺ: ((يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً))^(٣)، والقراء هم العلماء بالكتاب والسنة^(٤)، فالأمر قد انتهى إليهما نصاً محدداً، وطريقاً واضحاً، وفهماً مقيداً، ومن تجاوز في ذلك عرض نفسه للضلال والحيرة، يقول الأوزاعي رحمه الله تعالى: (اصبر نفسك على السنة؛ وقف حيث وقف القوم، وقُل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم)^(٥).

على هذا المنهج الإلهي سار سلف الأمة الصالح، وحذروا من تجاوزه، يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى: (قُبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول الله ﷺ ولا نتبع الرأي، فإنه متى أتبع الرأي، جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك فاتبعته، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته، أري هذا لا يتم)^(٦)، وكان رحمه الله تعالى يقول: (السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)^(٧) وكانوا يدعون إلى عدم الاعتداد بالكلام

(١) سورة النساء، الآية ١١٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ١.

(٤) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣ ص ٢٧١.

(٥) ابن الجوزي، تلبس إبليس، ص ١٦؛ ابن قدامة المقدسي، ذم التأويل، الطبعة الأولى، ص ٣٤.

(٦) الشاطبي، الاعتصام، ج ١ ص ١٤٤.

(٧) ابن تيمية، الفتاوى، ج ٤ ص ٥٧.

المخالف للكتاب والسنة يقول الزهري رحمه الله تعالى: (كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة هو النجاة)^(١).

ومع هذه الأقوال التي تدعونا إلى المنهج الفكري الصحيح، نجد دعوة إليها من أولئك الذين عاشوا فترة الحيرة والضلال، بعد أن تبين لهم عظم الخطأ الذي وقعوا فيه، يقول الجويني: (لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه، والآن: إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنذا أموت على عقيدة أُمِّي، أو قال: عقيدة عجائز نيسابور)^(٢) وبلغ به الأمر إلى النصح والتحذير، وكان مما قال: (يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام! فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ، ما اشتغلت به)^(٣).

إن مثل هذه الأقوال الصادرة عن أصحاب تلك الفرق العقديّة لهي واضحة لمن بحث عن الحق بتجرد خالص من الهوى والتعصب الذي يأخذ بصاحبه إلى متاهات واضطرابات فكرية، يقول عمر رضي الله عنه: (السنة: ما سنه الله ورسوله ﷺ)، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة)^(٣)؛ بل التراجع عن الرأي الخاطيء فضيلة يثاب عليها التائب، وهذا ما رغب فيه كثير من أصحاب الآراء الضالة حينما تبين لهم الحق لإدراكهم عظم الإصرار على الخطأ والعمل به؛ فخطورة الأخذ بها، كخطورة الخارج على الجماعة ليفرق جمعهم؛ لذلك وجب الحيلولة بينه وبين مبتغاه، يقول الشافعي رحمه الله تعالى: (حكمتي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام)^(٤)، وما ذلك إلا للمحاذير المهلكة التي يؤدي إليها الخروج عن المنهج الإلهي في البحث والتفكير، والتي من أبرزها:

أ: التأويل، عن طريق صرف النصوص عن ظاهرها، أو حملها على غير ما أريد لها مما فهمه السلف الصالح، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٣؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٥٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٤٧.

وَأَتَّبِعَا تَأْوِيلَهُ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ... ﴿١﴾ .

ب: الانسياق خلف شهوات النفس والهوى، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢) يتبعون الهوى بتزيين الشبهات وإحاطتها بالبراهين والقناعات الباطلة، وذلك إما كبيراً، أو حسداً، قال تعالى: ﴿... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ...﴾ (٤). أو استجابة لدوافع نفسية شاذة، تدفعه إلى الانشغال بأمور سطحية يسعى إلى نسج الحيل حولها، أو بفعل الضغائن والأحقاد الدفينة.

ج: الانتصار والتعصب للرأي والجماعة، حيث جعلوا من أتباع الآباء والعلماء مرجعاً أصلياً في الدين، حتى وإن خالف النصوص الشرعية؛ بل وصل الحال بالبعض إلى جعل الأئمة معصومين، كما هو الحال عند الرافضة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَتَّقُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٥)، وجعلوا من المجادلة طريقاً إلى الاختلاف الذي أوقعهم في البغي، قال تعالى: ﴿... وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ...﴾ (٦).

د: التشبه بالكفار؛ لضعف الإيمان، ولعدم الثقة بالنفس، مما يوقع في كثير من البدع، والخرافات التي لا أصل لها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ (٧).

ثانياً: الطريق الجهادي. وقف سلف الأمة الصالح من هذا الخلل موقف

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٢) سورة القصص، الآية ٥٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٨٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٠٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٧٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٠٠.

المدرک لعواقبه وخطورته حين لا يغني البيان، ولا تجدي النصيحة، فكانوا المثل والقدوة لمن رام الطريق راغباً في تصحيح الخلل وإحياء السنة، ومن هذه النماذج المضیئة: موقف أبي بكر رضي الله عنه من المرتدين، فرغم معارضة بعض الصحابة رضي الله عنهم في أمرهم، إلا أن موقفه الحازم، وبيانه الواضح بمقولته الشهيرة: (والله لو منعوني عناقاً - وفي رواية - عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة)^(١) أزال كل عوامل التردد والمعارضة، فبادر إلى جهادهم وجعل له أهمية جهاد الكفار، حتى قضى على تلك الفتنة. موقف علي رضي الله عنه من الخوارج، فبعد خروجهم وتحزبهم، وتهديدهم للمسلمين، بادر إلى مناصحتهم، ودعوتهم إلى سبيل الرشاد، وأمام إصرارهم على غيهم وضلالهم، جاهدهم بالسيف حتى قضى عليهم، وكف شرهم عن المسلمين^(٢). وله رضي الله عنه موقف آخر من البدع، وما قد يُفرضي إلى بدعة في الدين، فقد كان يبعث عامل شرطته، ويأمره بتسوية القبور، وطمس الصور، ووضع التماثيل^(٣). ولصلاح الدين رحمه الله تعالى مع أهل الأهواء مواقف، فهم تارة يغيرون على جيشه سلباً ونهباً، وأخرى يحاولون السيطرة على ملكه، وفي كل ذلك كان يقف منهم موقف المجاهد، ويتعامل معهم بما يقضي على فتنهم، ويسلم المسلمين شرهم^(٤)، يقول ابن الأثير رحمه الله تعالى عن أحداث سنة [٥٦٩ هـ]: (صلب صلاح الدين يوسف بن أيوب جماعة ممن أراد الوثوب به بمصر من أصحاب الخلفاء العلويين، وسبب ذلك أن جماعة من الشيعة... اتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية، ومن ساحل الشام، إلى ديار مصر على شيء بذلوه لهم من المال والبلاد)^(٥). ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من هذا الخلل مواقف متعددة، ومناسبة للحال، فهو تارة يخرج لأصحاب الضلالات مجاهداً؛ لأن فتنهم لا تزول إلا بالقوة^(٦)، وتارة يخرج لإزالة مظاهر الجهل

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦ ص ٣١١.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج ٥ ص ٨٤ - ٨٩.

(٣) انظر مسند الإمام أحمد، ج ١ ص ١٤٥، ١٥٠.

(٤) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٩ ص ١٣٩، ١٩٧؛ وانظر ابن كثير، مصدر سابق، ج ١٢ ص ٢٧٥.

(٥) المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٦) انظر ابن كثير مصدر سابق، ج ١٤ ص ١٤.

والخرافات^(١)، أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، فقد بادر إلى القضاء على جميع مظاهر الضلال والخرافات، حيث عمد إلى قطع الأشجار التي يرتادها الناس بقصد التعبد والدعاء، وهدم القباب والمشاهد القبورية^(٢).

تلك من أبرز العوامل التي تعيد للعقيدة الإسلامية الصفاء والنقاء، وتحيي دورها وفعاليتها في حياة الأمة، حتى تصبح المنطلق الرئيس للجهاد، والقوة الدافعة للمجاهدين.

(١) انظر المصدر السابق، ص ٣٤.
(٢) انظر حسين بن غنام، تاريخ نجد، الطبعة الثالثة، ٨٤ - ٨٥.

المبحث الثاني

الوهن الروحي

مدخل :

لكل مخلوق غذاء وحاجة ضرورية يحفظ بها بقاءه ونقاءه وقوته، وعند فقد تلك الحاجة يعتريه الضعف والوهن بقدر ذلك الحرمان الذي قد يؤدي به إلى النهاية، وذلك أمر بدهي .

والإنسان كغيره من المخلوقات له غذاء مناسب لتركيبه المتباين، من المادة والروح، وهو في حركته اليومية في جوانب الحياة المختلفة ينطلق لتحقيق مقومات ذلك التركيب، ويسعى لأجل الحصول على أفضل تلك المقومات وأنفعها، التي تضمن له قوة الجسد والروح .

وفي هذا المبحث أكتب عن الوهن الروحي الذي أصاب أمتنا الإسلامية، باعتباره أحد معوقات الجهاد، وذلك في عدة مطالب :

المطلب الأول

التعريف

أولاً: الوهن .

الوهن في اللغة يعني: الضعف في الأمر والعمل^(١)، قال تعالى: ﴿... حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ...﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿... وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

إذاً: فالوهن حالة من الضعف تعتري الأشياء عموماً^(٤).

ثانياً: الرُّوحُ .

الروح في اللغة يراد به عدة أمور^(٥)، منها:

القرآن، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...﴾^(٦).

والوحي، قال تعالى: ﴿... يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾^(٧).

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، «وهن»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «وهن».

(٢) سورة لقمان، الآية ١٤ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤١ .

(٤) انظر الراغب، المفردات، ص ٥٣٥ .

(٥) انظر المصدر السابق، ص ٢٠٥ - ٢٠٦؛ وانظر الرازي، مختار الصحاح، «روح»؛ وانظر ابن

منظور، مصدر سابق، «روح».

(٦) سورة الشورى، الآية ٥٢ .

(٧) سورة غافر، الآية ١٥ .

وجبريل، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾^(١).

والثبات والقوة والنصر، قال تعالى: ﴿ ... أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾^(٢).

وقد يراد به غير ذلك، قال تعالى: ﴿ وَسَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾^(٣).

وما أعنيه هنا هو: ما به حياة القلوب مما نزل به جبريل من الدين، فهو روح؛ لأن به حياة من موت الكفر، قال تعالى: ﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا. . . ﴾^(٤)، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: (هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً أي: في الضلالة هالكاً حائراً؛ فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان وهداه له، ووقفه لاتباع رسوله)^(٥)، ويقول أبو العباس رحمه الله تعالى: (وقوله عز وجل: ﴿ يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(٦))، و ﴿ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾^(٧): هذا كله معناه الوحي، سمي روحاً؛ لأنه حياة من موت الكفر، فصار بحياته للناس كالروح الذي يحيا به جسد الإنسان)^(٨).

هذه الروح تمثل طاقة تدفع الإنسان وتسمو به إلى الرقي الروحي، وتناى به عن النزعات المادية والأهواء النفسية؛ لتصل به إلى درجات الكمال والانشراح^(٩)، كما أنها الطاقة المحركة للإنسان حتى يحقق هدفه في هذه الحياة، فهي التي تدفع المسلم إلى البذل والعطاء، حيث تمده بالقوة والثبات والصبر في جميع ميادين الحياة المختلفة.

(١) سورة الشعراء، الآية ١٩٣.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ١٧٣.

(٦) سورة غافر، الآية ١٥.

(٧) سورة النحل، الآية ٢.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢ ص ٤٦٣.

(٩) انظر محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الطبعة السادسة، ج ١ ص ٣٨ - ٤٢.

وبقوتها ومدى تمكنها في النفس تكون قوة المجاهد معنوياً ومادياً. فالجندي مهما حمل من سلاح نافذ، وتدريب ماهر، إلا أن قوته الحقيقية في روحه، فإن اعتراها الضعف، أو وقع فيها خلل، أصيب بحالة موازية لذلك الضعف، مثله في ذلك كمثل الجسم إذا وقع في مقوماته نقص، أو خلل، اعتراه الضعف والإعياء، فقعد عن العمل، أو لم يؤده على الوجه الصحيح.

المطلب الثاني التحليل

أصبحت الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر في روحها إصابة أقعدتها عن أداء رسالتها كما أريد لها وظهرت بجلاء أعراض ذلك الوهن في مظاهر متعددة من أبرزها:

أولاً: البعد عن حقيقة الإيمان .

حيث التمسك بمظاهر إيمانية لا تؤثر في حياة الفرد، وإنما أخذها على شكل عادة، أو تقليد اتبعتها يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (يجب أن نفرق دائماً بين حقيقة الإيمان، ومظهر الإيمان، إن حقيقة الإيمان قوة حقيقية ثابتة ثبوت النواميس الكونية. ذات أثر في النفس وفيما يصدر عنها من الحركة والعمل، وهي حقيقة ضخمة هائلة كفيلة حين تواجه حقيقة الكفر المنعزلة المبتوتة المحدودة أن تقهرها، ولكن حين يتحول الإيمان إلى مظهر، فإن حقيقة الكفر تغلبه، إذا هي صدقت مع طبيعتها، وعملت في مجالها؛ لأن حقيقة أي شيء أقوى من مظهر أي شيء، ولو كانت هي حقيقة الكفر وكان هو مظهر الإيمان)^(١) وهذا ما يجعل الإيمان أمراً باهتاً لا سلطان له ولا أثر، تغلبه الحقائق المادية؛ لأن الإنسان جسد بلا روح، فارغ من الحقيقة الإيمانية^(٢) التي يجب أن تظهر في أقواله وأفعاله، استجابة لأمر الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

(١) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ٧٨٣.

(٢) انظر أبا الحسن الندوي، بين الصورة والحقيقة، الطبعة الثانية، ص ٥ - ٢٠؛ وانظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ١٦٣، ١٦٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

هذا البعد والفراغ الإيماني جعل أقوال مسلم اليوم وأفعاله في منأى عن تعاليم الدين، وفي استجابة مستمرة لجميع المؤثرات الخارجية التي تجعله في ضعفٍ إرادي، وعجزٍ مُقعدٍ عن القيام بواجبه الذي يجب أن لا يعتريه وهن مهما كانت المؤثرات، فالله تعالى يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ﴾^(١).

وتجعله في عجلة من أمره، فلا يُفكر في عاقبة تردعه، أو تضبطه وتحد من تصرفاته. يخرج عن طوره في حال فرحه وسروره، فيستخف ويتهيج دون أثر لقوله تعالى: ﴿... إِذْ قَالَ لِمُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٢)، يفخر ويختال متطاولاً على الآخرين، ومخالفاً أمر رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٣).

يعجب في دنياه فيغفل عن حقيقتها، وأنها قد تكون طريقه إلى الهاوية التي حذّر منها، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْبَجِكْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٤)، ويدفعه هذا الإعجاب إلى الظلم والبغي في الأرض بغير حق، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥).

هذا الوهن يجعله يعيش في غفلة عن الله، وآياته الكونية التي تدفعه إلى الرفة والسمو، وتوقظ فيه مشاعر الحس والإدراك، قال تعالى: ﴿... وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا يَأْتِيْنَا الْعَنَفَلُونَ﴾^(٦)، فيرائي في أعمال الخير، ويؤديها في كسل وتكلف، قال تعالى: ﴿... يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٧)، ويجادل مخاصماً في الله بغير علم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

(٢) سورة القصص، الآية ٧٦.

(٣) سورة لقمان، الآية ١٨.

(٤) سورة التوبة، الآية ٥٥.

(٥) سورة القصص، الآية ٧٧.

(٦) سورة يونس، الآية ٩٢.

(٧) سورة النساء، الآية ١٤٢.

كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾.

وهكذا حتى أفرغ الإيمان من محتواه الحقيقي، الذي يشحن طاقات الأمة؛ فتنفض عنها الذل والهوان^(٢). وتبعاً لذلك أصبحت العبادة عند كثير من المعاصرين عادة لا أثر لها في الواقع العملي^(٣)، حيث شاعت الرذائل والجرائم، ولم يكن للعبادة أثر في الحد منها عند كثير من الناس بل إنها لا تتجاوز أن تكون شكلاً يؤديه الإنسان على وجه العادة، ولك أن تتمعن جيداً في كثير من المصلين، تجد الساهي واللاهي أثناء الصلاة، يقرأ التشهد بين السجدةين، وينهض عند التشهد الأول قائماً، يسهو الإمام فلا يجد من يذكره، يخرج من المسجد فيغش الناس في متجره، ويكذب في حديثه، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿... إِنَّكَ الصَّكُورَةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٤).

وما ذاك إلا لأن قلبه وروحه في منأى عن حقيقة الصلاة الشرعية، وإن لا يسها بجوارحه، ولأنه في تصور خاطيء لمفهوم العبادة، قد عاش بعيداً عن أثر ذكر الله، والتزم بمظاهر الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٥)، يأخذه إلى متاهات الحيرة والضلال، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٦)، فيزين له سوء عمله، ويحسب أنه على صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَّاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٧).

من كل ذلك يلمس المتمعن لحال المسلمين اليوم مدى التراخي والركود الذي أصاب الأمة؛ فأبطل الحاسة الدينية عندهم، وجعل من الإسلام جسداً بلا روح^(٨).

(١) سورة غافر، الآية ٥٦.

(٢) انظر محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، الطبعة السابعة، ص ١٧ - ١٧١.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٧٣ - ٢٥٣؛ وانظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ١ ص ٥٨٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٣٦.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٦٨.

(٧) سورة فاطر، الآية ٨.

(٨) انظر محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، ص ١٤ - ١٤؛ وانظر الندوي علي الحسني، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة السابعة، ص ٢٣٠.

ثانياً: الجراءة على الدين .

وهذا ما أحدثه كثير ممن ساروا في فلك الأعداء، من جراءة على الله ورسوله ﷺ، وعلى كتابه وأتباعه، فألفوا الكتب، ونشروا المقالات، وتحدثوا عبر وسائل الإعلام، وتمادوا في استخفافهم بالدين، بل إنهم أكثروا من الدعوة إلى الجراءة على الدين صراحة^(١)، حتى قال قائلهم: (حرّزُ فكرك، واتبعه حيثما يذهب بك)^(٢)، وقال آخر داعياً إلى تحكيم العقل في أصول الدين وفروعه: (إن إقامة أحكام الإسلام في عصرنا تحتاج إلى اجتهاد عقلي كبير، وللعقل سبيل إلى ذلك، لا يسع عقلاً إنكاره... والاجتهاد الذي نحتاج إليه اليوم، ويحتاج إليه المسلمون، ليس اجتهاداً في الفروع وحدها وإنما هو اجتهاد في الأصول كذلك، وكم من مسألة تواجه المسلمين اليوم فإذا بحثوها وأعملوا الجهد طلباً لحكم الإسلام فيها، أفضى بهم بحثهم إلى وقفة مع الأصول... وليس ما تردده الكثرة الغالبة من المعاصرين من امتناع في الاجتهاد في الأصول إلا التراماً بما لا يلزم، وتقصيراً في بذل الجهد بحثاً عما ينفع الناس... الأمر أخطر وأجل من أن يسلم فيه لفقيه مهما علا قدره)^(٣).

وفي الجانب الآخر كثر المفتون والمتحدثون عن الدين دون علم شرعي يؤهلهم لذلك^(٤)، فعند طرح قضية معينة عبر وسائل الإعلام، أو في المجالس الخاصة، تجد السباق محموماً بين متعالمين لم يصلوا بعد إلى مستوى الإفتاء والإدلاء بحكم شرعي؛ يدفعهم لذلك الرغبة في الظهور، والجهل بخطورة الفتيا

(١) انظر محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الطبعة التاسعة، ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣، ٢٩٩؛ وانظر يوسف كمال، العصريون معتزلة اليوم، الطبعة الأولى، ص ٧ - ٧٢.

(٢) (... (إميل زيدان، «الافتتاحية»، مجلة الهلال (نوفمبر/ ١٩٢٤ م))...)، محمد حسين، المرجع السابق، ٢٩٣.

(٣) أحمد كمال أبو المجد، «مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر»، الكويت، مجلة العربي العدد ٢٢٢ (٥ - ٦ / ١٣٩٧ هـ): ص ١٨.

(٤) انظر محمد بن صالح العثيمين، خطر الإفتاء بغير علم، الطبعة الأولى، ص ١٨ - ٢٠؛ وانظر عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعية، المفتي في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر، الطبعة الأولى، ص ٦٠.

يقول ﷺ: ((من سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، ومن رَأَى رَأَى اللَّهِ بِهِ))^(١). وبين فئة لا علم لها بالشرع وأحكامه، دفعها الاستخفاف والجرأة على الخصوص في ما لا تعلم، دون اعتبار لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢).

ويدخل في تلك الجرأة التعرض لعلماء الإسلام ورموزه، وللحركات الإسلامية ونشاطها، بإثارة الشبهات حولها، والتنقص من دورها تارة^(٣)، وتارة بالسخرية والاستهزاء.

لقد اتخذ أولئك المجترؤن الدين هزواً ولعباً، فأصبح الدين عندهم طبعاً ومزماراً، شعائره تستقبل بالأغاني، وتمتهن بالبدع والخرافات^(٤).

ثالثاً: المداهنة في الدين.

مداهنة أمام الحكام ووجهاء المجتمع في بعض البلاد، فلا تجد من يتجرأ على توجيههم، أو نصحهم أو إطلاعهم على حقيقة قد تُغضبهم، مع ما في ذلك من مخالفة شرعية، يقول ﷺ: ((من أرضى النَّاسَ بسخطِ الله وكَلَمَةُ اللَّهِ إلى النَّاسِ، ومن أسخطَ النَّاسَ برضا الله، كفاهُ اللَّهُ مُؤَنَةَ النَّاسِ))^(٥). كما تأخر البعض في مجال الدعوة وقول الحق حياءً وخجلاً من الآخرين، أو لإيهام نفسه له بعدم تقبل الناس للحق نظراً لتأثرهم بواقع سيء مسيطر على أفكارهم^(٦)، يقول ﷺ: ((ألا، لا يَمْنَعَنَّ رجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ، أن يقولَ بِحَقِّ، إذا عَلِمَهُ))^(٧)، ومن ذلك مجاملة الأعداء داخل

(١) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٨٧٥٩].

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٣) انظر عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عرض ونقض، الطبعة الأولى؛ وانظر عبد العظيم المطعني، الفراغ، وأزمة التدين عند الشباب المعاصر، الداء والدواء، الطبعة الأولى، ص ٧٠ - ٧١.

(٤) انظر كيف تستقبل وسائل الإعلام الإسلامية المعاصرة المناسبات الإسلامية.

(٥) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٨٣٩٤].

(٦) انظر مصطفى خالد، عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، (صيدا، بيروت: منشورات المكتبة العصرية)، ص ٢٨ - ٣٠.

(٧) حديث صحيح الألباني، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ٢٠.

بعض البلاد الإسلامية بترك الحرية لهم في الالتزام بالمظاهر الدينية، مع إلزامهم باحترام المظاهر المنظمة لأمر الحياة الدنيوية.

رابعاً: تعظيم شأن الكفار.

يرد كثير من المسلمين أسباب ومؤثرات ما أصاب الأمة في عصرنا الحاضر إلى خطط الأعداء وتفوقهم في مجالات الحياة المختلفة، مما جعل الأمة تسير دون إرادة منها، وفي ذلك تعظيم لشأن الكفار، فلكم مقولة توحى بأنهم قد تفوقوا على المسلمين مع قيام المسلمين بمتطلبات النصر الإلهي وهذا خطأ فاضح، ومخالف للمنهج الصحيح في النظر والتصحيح، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾^(١)، ففي أحد وحين لم يلق سبحانه باللائمة على المشركين، وإنما حملها المسلمين؛ لما أحدثوه في أنفسهم، قال تعالى: ﴿... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَابْتَأْتُم مَّدِيرِينَ﴾^(٢).

خامساً: الركون إلى الدنيا.

حيث أصبحت الشغل الشاغل لكثير من المسلمين، فسيطرت على طاقاتهم الروحية، والفكرية والبدنية، وشغلت جل أوقاتهم^(٣)، ويبرز ذلك في:

أ: حب المال، مما دفع الكثيرين إلى البحث عنه بجميع الوسائل الممكنة، سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، بل إن الوسائل المحرمة قد انتشرت أكثر من غيرها، فالربا، والغش، والاحتكار، والمصادرة والنهب، والرشوة، واستغلال المراكز والنفوذ، كلها وسائل منتشرة في هذا العصر، رغم حرمتها والتغليظ في النهي عنها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤)، ومن سلم من ذلك وقع في البخل والشح، والحرص، ومنع حق الله في ما أعطاه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٥.

(٣) انظر الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٢٣٢ - ٢٣٣، ٢٤٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٨٨.

رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ .

ب: الاعتماد على المقتنيات المادية والحديثة في ملء الفراغ النفسي والفكري، رغبة في طلب السعادة الوقتية، وقتلاً للوقت الزائد عن الأعمال الدنيوية؛ لذلك انتشرت الهوايات المتعددة، فهذا يتابع وسائل الإعلام وما فيها من محرقات، وآخر بالهوس الرياضي منشغل، وهذا يقضي جل وقته في جمع الطوايع والصور والمقتنيات النادرة، ونحو ذلك من الهوايات والملهيات التي لا معنى لها سوى تبليد فكر المسلم، حتى يصبح عاجزاً عن تحمل المسؤولية، فاقداً القدرة على التفكير الجاد الذي يهرب منه إلى دنيا الشهوات والملذات التي تضع حائلاً بينه وبين الدين (٢).

ج: الاعتماد على المادة في طلب النصر، حيث اعتمد الكثير على الأسلحة المادية، والكثرة العددية عند الإعداد لمواجهة الأعداء، ظناً منهم أن النصر مرتبط بمدى تقدم تلك الأسلحة، وتطور التدريب البدني للجندي، وأهملوا مقابل ذلك الناحية الروحية، وذلك منهج مخالف للمنهج الإسلامي، القائم على البناء الروحي للجندي، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ... ﴿٣﴾ .

د: الظهور الدنيوي، حيث الاتجاه إلى كل ما هو مادي، أو يوصل إلى جاه يُبرزه بين أفراد المجتمع ويجعل له مركزاً مرموقاً يشار به إليه، يُقدم ذلك على كل ما سواه، حتى لو تعارض مع الأخوة الإيمانية، أو صلة الرحم وحق الجوار.

هـ: التصور الخاطيء للحياة (٤)، وهذا ما أدى إلى تعبيرات قولية وفعلية خاطئة، فهناك من يجعل الحياة مرادة بذاتها، فينغمس في مشكلاتها اليومية، وتستهلك عليه حياته، فيقع في متاهات الخوف من الفقر والموت، وتصبح حياته

(١) سورة يس، الآية ٤٧ .

(٢) انظر المطعني، الفراغ، ص ٢٤٢ - ٢٥٢ .

(٣) سورة الأنفال، الآيتان ٤٧ - ٤٨ .

(٤) انظر سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، الطبعة السابعة، ص ١١ - ١٦ .

قلقاً وحيرة، وشعوراً دائماً بالضيق والضعف، ويستمر في ذلك حتى ينهار أمام المشكلات الحياتية المتعددة، وآخر يتصور الحياة مجهولة المصدر والمصير، فيقضيها في لهو وضياح يتفق مع ذلك التصور، يقول أحدهم:

لبست ثوب العمر لم أستشر وحررت فيه بين شتى الفكر
وسوف انضوه برغمي ولم ادرك لماذا جئت أين المفر
حتى قال:

أفق وصب الخمرة أنعم بها واكشف خبايا النفس من حجبها
سأنتحي الموت حيث الورود وينمحي اسمي من سجل الوجود
هات اسقنيها يا سنى خاطري فغاية الأيام طول الهجود^(١)

يقول أحد المعاصرين مصوراً هذه الظاهرة: (موجة من الجفوة والجفاء أشعر أنها أخذت تتسرب إلى نفوسنا وقلوبنا، بصورة جعلتنا لا نتوقف كثيراً عند الأشياء الروحية، والأشياء الحسية، التي تمر في حياتنا. . . ومن المؤسف أن هذه الموجة الجديدة التي بدأت تسيطر حتى على عقولنا أيضاً، انعكست آثارها السلبية على نظرتنا للحياة. . . حيث طغت الماديات على جميع تصرفاتنا. . . وجعلتنا نركض في كل اتجاه، بحثاً عن شيء ما. . . التاجر تجده حزينا على الأوضاع التي يعيشها. . . وكبار السن من الرجال والنساء نراهم قلقين على مستقبلهم، بعد أن انعدمت المودة والحب بين الناس، وأصبح الكل يبحث عن مصلحته الشخصية. . . وهكذا نجد أن الحالة أصبحت تعم مناحي شتى في حياتنا. . . لقد تحولت حياتنا إلى نوع من الركض المستمر)^(٢).

سادساً: غياب الروح الجهادية

بل قد غاب الاسم والرسم عن أذهان كثير من المسلمين، عندما أوحى لهم شياطين الإنس والجن بأن الأمة قد تبني لها مجدداً، وتحقق عزاً بوسائل مادية أخرى، وعملت على إبعاد ذلك الاسم عن المسامح وإلا فأين ذكر الجهاد في كتب التعليم المختلفة؟! وماذا يعني الجهاد في مفهوم الإعلام؟! وأين موقع هذا الاسم من تلك

(١) المرجع السابق، ص ١٢ - ١٤.

(٢) محمد عبد الستار، «حياتنا بين التأمل، والجفوة»، جدة: جريدة المدينة المنورة، ١٥/٨/١٤١٤ هـ، العدد ١١٢٥٨، ص ٤٠.

التجهيزات والاستعدادات العسكرية؟! وأين موقف الأمة من الأعداء؟! وأين مفهوم
الولاء والبراء؟!

إن طبيعة هذه الأمة تختلف عن الأمم الأخرى، فهي أمة لا عِزة لها إلا
بالجهاد، ولا تَقَدُّم إلا بعلو رايته؛ وتبعاً لهذه الخاصية فإن في غياب الجهاد خطورة
عظمى، حذر منها ﷺ بقوله: ((إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم
بالزرع، وتركتُم الجهاد؛ سلطَ اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم))^(١)،
وهذا ما تعيشه الأمة اليوم، بعد أن عملت على إماتة الروح الجهادية، وأصبح ذلك
الاسم من الألفاظ التي تدل على الهمجية، والعدوانية التي يسعى الغالبية إلى تبرئة
الأمة منها.

سابعاً: المجاهرة بالمعاصي.

الذنب بحد ذاته مؤذن بنزول المصائب المختلفة، على مستوى الفرد والأمة،
قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(٢)،
ومؤذن بهلاك الشعوب والقلوب والأنفس والأفكار ودمارها، وذلك وفق السنن
الإلهية، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فدمَرْنَاهَا
تَدْمِيرًا ﴾^(٣)، ومؤشر صريح بقرب الدمار والانهار، قال تعالى: ﴿ ... فَأَهْلَكْنَاهُمْ
يَذُوبِينَ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾^(٤).

أما الإعلان عنها، وعدم إنكارها، فمؤشر لظهور أوجاع متعددة، يقول ﷺ:
((يا معشرَ المهاجرين! خصالٌ خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذُ بالله أن تدركوهنَّ: لم
تَظْهَرِ الفاحِشَةُ في قومٍ قطُّ؛ حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم
تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين
وشدَّة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من
السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم يُنقضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسوله، إلا سلطَ اللهُ
عليهم عدوَّهُم من غيرِهِم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكُم أئمتهم

(١) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٥١٤].

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية ١٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٦.

بكتاب الله عزَّ وجل، ويتحرَّوا فيما أنزل الله، إلا جعل اللُّهُ بأسهم بينهم))^(١)، ومع هذا التحذير إلا أن الأمة اليوم تجاوزت المجاهرة بالمعاصي إلى رعايتها وتنظيمها، وتبرير العناية بها^(٢)، فأصابها الذل والصغار، مصداقاً لقوله ﷺ: ((... وجُعِلَ الذُّلُّ والصغارُ على من خالف أمرِي...))^(٣). وضافت بهمومها وأحزانها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٤). ومحقت بركة المال، والولد، والوقت، حتى كأنها فاقدة لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنًا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٥). وأصابتها نفرة ووحشة من الحق، قال تعالى: ﴿... يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ...﴾^(٦).

ثامناً: الاهتمام بصغائر الأمور.

وذلك على مختلف المستويات الفردية والاجتماعية، الرسمية والشعبية، قل أن تجد من يعالج مشكلة قائمة بنظرة جادة وعميقة، ومن يخطط ويرسم بعمق، الكل اتجه إلى السطحية في فكره. ومنهجه حتى مقتنيات الحياة تأخذ منها ما نريد ليومنا هذا، بغض النظر إلى الغد وما يحمله من مفاجآت. ولك على سبيل المثال أن تتمعن في واقع الإعلام الإسلامي باعتباره أحد الأدوات الفاعلة في النقد والتصحيح، أصبح تركيزه على المقلدين، والمغنين، والغافلين، والملهين عموماً، وأصحاب الفكر الوافد، والماجن^(٧)، يناقش واقعهم، ويعالج قضاياهم، وكأنهم القضية الشاغلة والرئيسة للأمة.

تاسعاً: اختلال المقاييس.

أصبحت المقتنيات المادية الحديثة مقياس التقدم والرقي، وما عداها عنوان

(١) حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [٧٩٧٨].

(٢) انظر المطعني، الفراغ، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣) حديث صحيح. الألباني، مرجع سابق، رقم الحديث: [٢٨٣١].

(٤) سورة طه، الآية ١٢٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية ٩٦.

(٦) سورة المنافقون، الآية ٤.

(٧) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٣٥١، ٣٥٥ - ٣٥٦.

التخلف والرجعية؛ لذلك تسابق المسلمون في الحصول على كل حديث في دنيا العلم والصناعة، وأهملوا الجوانب الإنسانية الأخرى، التي تضع الإنسان في المكانة اللائقة به^(١). كما أصبحت المكانة والمنزلة الرفيعة، لذوي الجاه، والمال، والحسب، والنسب، وسيطر ذلك على كثير من أفراد المجتمع^(٢)، متناسين المقياس الصحيح للفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ...﴾^(٣)، فكان أن تنافسوا في الحصول على هذه المميزات الدنيوية، واستهلكوا الحياة لأجل ذلك.

عاشراً: الفراغ^(٤).

حيث فشا الفراغ العقلي، ففرغت العقول من العلم والمعرفة، وامتلات أذهان الكثير بأمور دنيوية أبعدتهم عن معرفة الحق^(٥)، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٦)، ففرغت القلوب من الإيمان، وتفشت فيها الأمراض القلبية، كالغل والحقد والحسد وأشغلت الأنفس باللهو واللعب، والبعد عن ما يزيكها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾^(٧)، يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى: (إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد فتلهو في أخطر المواقف، وتهزل في مواطن الجد، وتستهتر في مواقف القداسة... والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال والقداسة، تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب

(١) انظر محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، الطبعة السابعة، ص ١٧؛ وانظر محمد

قطب، التطور والثبات في حياة البشر، الطبعة الخامسة، ص ٢٥١.

(٢) انظر الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٤) انظر جاسم المطوع، الوقت عمار أو دمار، الطبعة السادسة، ج ١ ص ١٩ - ٢٦.

(٥) انظر حسن حجاجي، «أحدث تقليعة في الأسواق، استثمار الوقت بالتسكع»، جريدة عكاظ،

١٦/٦/١٤١٤ هـ، العدد ٩٩٨٠، ص ١؛ وانظر «الواد سيد الشغال، يعطل الحركة المرورية

في تونس»، الرياض: جريدة الرياض، ١٢/٧/١٤١٤ هـ، العدد ٩٣١٥، ص ٣٩؛ وانظر

عبد الرحمن المنصور، «السلع الكمالية هدر للأموال، لا بد من التوعية حتى لا يكون همّ

الشباب الأول: مظاهرهم»، المرجع نفسه، ٢٦/٨/١٤١٤ هـ، العدد ٩٣٥٨، ص ٢٠.

(٦) سورة الملك، الآية ١٠.

(٧) سورة الشمس، الآيتان ٩ - ١٠.

والانحلال، فلا تصلح للنهوض بعبء، ولا الاضطلاع بواجب، ولا القيام بتكليف، وتغدو الحياة فيها عاطلة، هينة رخيصة^(١).

وفي هذا الضياع للوقت ضياع للحياة التي هي محطة التزود للدار الآخرة، قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾^(٢).

هذه المظاهر في مجملها جعلت من الأمة الإسلامية أمة دنيوية في تعاملاتها المتعددة مع مجالات الحياة المختلفة، وأمة انشغلت بدنياها عن غاياتها، لا ريب أنها في منأى عن القيام بواجبها الجهادي.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤ ص ٢٣٦٧.

(٢) سورة غافر، الآية ٣٩.

المطلب الثالث

التقويم

جاء الإسلام بعدة عوامل لتقوية الروح المعنوية، شاملة لجوانب الحياة المختلفة، غايتها استغلال الطاقات الإنسانية وتسخيرها في سبيل الخير والصلاح، جمعها ﷺ في وصيته لابن عباس عندما قال له: ((يا غلامُ: إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: إِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ إِلَّا قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))^(١)، هذا الشحن المعنوي حين يستقر في النفس البشرية (فإنه يستحيل عليها أن تبقى ساكنة، يستحيل أن تظل مجرد شعور وجداني في أعماق الضمير، إنها لا بد أن تندفع لتحقيق ذاتها في عالم الواقع، ولتتمثل حركة إيجابية إبداعية في عالم المنظور، حركة تبدع الحياة كلها، وما ينشأ عنها من ألوان وأطياف وتعمير)^(٢)، هذه العوامل هي البلمس الشافي بعد الله لِمَا أصاب الأمة في روحها، وتبرز إجمالاً في عدة عوامل منها:

أولاً: الصلة الدائمة بالله^(٣).

صلة حية بين القلب وخالقه، عن طريق القيام بالواجبات والفروض، ومراقبته في السر والعلن، في السراء والضراء، في أمور الدين والدنيا، وفي كل فكرة

(١) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ٢٢.

(٢) سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، ص ٢٣.

(٣) انظر محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج ١ ص ٣٤ - ٣٧.

وشعور، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، أمام ذلك فالفرد المسلم لا وقت للفرغ عنده، لأنه في عبادة مستمرة، إن تكلم ففي الحق وله، يقول ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل: خيراً أو ليصمت))^(٢)، وإن صمت ففي الفكر والتدبر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣).
 يحتسب حركاته وسكناته، ففي طعامه أجر، يقول ﷺ: ((إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهُ إِلَّا أَجْرَتْ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ))^(٤)، وفي سعيه لطلب رزق عياله أجر، يقول ﷺ: ((السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ))^(٥).

وهكذا في جميع أفكاره وأقواله وأفعاله، إذا قصد بها الاستعانة على العبادة، حتى الراحة يرتاحها له فيها من الأجر كما لو كان في عمله^(٦)، يقول ﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَّا نَوَى...))^(٧).

ثانياً: عدم الركون للأعداء.

فالمؤمن مستقل في إيمانه، يسير وفق منهج إلهي يحفظ له شخصيته المميزة^(٨)، التي لا تركز ولا تستكين للأعداء، فهو لا يتخذ من الكافرين حكماً وأولياء، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٩). ولا يلقي إليهم بالمودة فيستغلوها في بث أحقادهم وسمومهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تَتَّخِذُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

- (١) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.
- (٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٣١.
- (٣) سورة آل عمران، الآية ١٩١.
- (٤) المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب ٤١.
- (٥) المصدر السابق، كتاب الأدب، باب ٢٥.
- (٦) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٧ ص ٦٥٩.
- (٧) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٤٥.
- (٨) انظر أحمد ناز، القتال في الإسلام، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة)، ص ٣٣ - ٤٥.
- (٩) سورة المائدة، الآية ٥١.

خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ . لا يتخذ منهم بطانة من دون الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوًا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتْ الْأَبْغَضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ، ولا يثق بما جاؤوا به، وإن أحسنوا القول، وزينوا العمل، ما لم يكن موافقاً لأمر الله، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثُرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٣﴾ .

ثالثاً: عدم الركون إلى ظلمة الأمة وفساقها .

بعدم تقليدهم، والاعتماد عليهم في أمور المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٤﴾ ، يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى: (لا تستندوا ولا تطمئنوا إلى الذين ظلموا، إلى الجبارين الطغاة الظالمين، أصحاب القوة في الأرض، الذين يقهرون العباد بقوتهم، ويعبدونهم لغير الله من العبيد، لا تركنوا إليهم فإن ركونكم إليهم يعني إقرارهم على هذا المنكر الأكبر الذي يزاولونه، ومشاركتهم إثم ذلك المنكر الكبير) (٥) .

رابعاً: الصبر والثبات .

فالحياة دار ابتلاء واختبار، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا... ﴿٦﴾ ، وغاية الابتلاء كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر، وعلو المنزلة) (٧) ، ويقول سيد قطب

(١) سورة الممتحنة، الآية ١ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٨ .

(٣) سورة التوبة، الآية ٨ .

(٤) سورة هود، الآية ١١٣ .

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤ ص ١٩٣١ - ١٩٣٢ .

(٦) سورة هود، الآية ٧ .

(٧) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، تصحيح، وتحقيق، وتعليق: محمد عفيفي، ج ٢ ص

رحمه الله تعالى: (ولا بد من تربية النفوس بالبلاء . . . لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف. والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها، لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها، كانت أعز عليهم، وكانوا أضن بها، كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها، وصبرهم على بلائها . . . ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى؛ فالشدائد تستجيش مكنون القوى، ومذخور الطاقة وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد. والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون والران عن القلوب)^(١).

هذا الابتلاء يأتي بأشكال متعددة^(٢)، فقد يكون في النفس، أو العرض، أو البدن، أو المال، أو الأهل والولد، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرْمَتِ وَبَشِيرِ الضَّالِّينَ﴾^(٣).

وقد يكون في الدين، من مؤمنين، أو كافرين، قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٤).

وقد يكون بإدالة العدو على المؤمنين، عسكرياً وفكرياً وسياسياً، قال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

وقد يكون الابتلاء عن طريق تأخير النصر، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٦).

(١) مرجع سابق، ج ١ ص ١٣٩.

(٢) انظر ابن القيم، مصدر سابق، ص ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢١٤.

هذا الابتلاء أحد مقدمات النصر الإلهي ومؤثراته، فالمؤمن في ابتلاء على حسب إيمانه، كلما اشتد عوده اشتد البلاء؛ لذا فالأنبياء أكمل الناس إيماناً، وهم أشد الناس بلاءً، ولا يزال المؤمن في ابتلاء حتى يتحقق النصر^(١).

والمؤمن في كل ذلك مأمور بالصبر على كل ما أصابه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

هذه القوة الإيمانية التي يقول عنها ابن القيم رحمه الله تعالى: نصف الإيمان^(٣)، هي الطريق إلى النصر الإلهي، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(٤)، بفعل ما تمليه من قوة تحمل للبلاء، وحسن تعامل معه، وثبات على ما جاء به الكتاب والسنة.

خامساً: التوكل على الله.

حيث الركون في كل أمر إلى من بيده الأمر، والاعتماد عليه في تحقيق الأهداف، وذلك بعد الأخذ بالأسباب المشروعة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٥) هنا يطمئن المؤمن ويرضى، ويستسلم لأمر الله، ثقة منه بأن الخير في ما آل إليه الأمر، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٦)، ويقول ﷺ: ((لو أنكم توكّلون على الله تعالى حقّ توكّلِهِ؛ لرزقكم كما تُرزقُ الطيرُ: تغدّوا خماصاً، وتروحُ بطاناً))^(٧).

سادساً: تيقنه شرف الهدف.

فالمؤمن قد خلق لهدف سام، وغاية شريفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

(١) انظر المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

(٣) انظر ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢ ص ١٥٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٢٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٦) سورة الطلاق، الآية ٣.

(٧) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٧٤٢٠].

لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴿١﴾، استخلاف يُدرك منه الدور الحقيقي له في هذه الحياة، يسعى في منابها متعظاً بعظمة مستخلفه، ومبرزاً إبداعه وعجائبه في هذا الكون، عامراً الأرض بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٢﴾.

وهو في ذلك يمثل حزب الله في مقابل حزب الشيطان، قال تعالى: ﴿أَسْتَعْوَذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٣﴾، وحزب الله هم المفلحون، لهم العاقبة، والمكانة العالية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْتَفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤﴾.

سابعاً: الإيثار والتضحية.

تسيطر على المؤمن في علاقته بأخيه المؤمن الرحمة والمودة، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ ﴿٥﴾؛ لذلك فهو يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ بل يؤثره ويقدمه ولو كان به خصاصة، قال تعالى: ﴿... وَيُؤْتُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ ﴿٦﴾، ويقول ﷺ: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ (أو قال): لجاره، ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) ﴿٧﴾.

ثامناً: الشجاعة والإقدام.

الحياة والموت لا يقدم فيهما التأخر والجبين، ولا يعجل فيها الإقدام؛ لأن للموت أجلاً كائن لا محالة قال تعالى: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّرَةٍ...﴾ ﴿٨﴾.

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

(٥) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٦) سورة الحشر، الآية ٩.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ١٧.

(٨) سورة النساء، الآية ٧٨.

تاسعاً: إدراكه شرف الشهادة.

فالمؤمن يقابل حزب الشيطان في ميدان الدعوة والجهاد بكل عزم وقوة، غير مبال بما يواجه من متاعب وعوائق؛ لأنه يدرك حقيقة منزلة الشهداء عند الله ومكانتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ﴾^(١)، وتلك منزلة يصلها المسلم الصادق في إيمانه، القائم بدوره الحقيقي في هذه الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢) وقال ﷺ: ((من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه))^(٣).

عاشراً: الثقة بالنصر.

المؤمن على ثقة ويقين بأن النصر له؛ لإيمانه بحقيقة النصر الإلهي للمؤمنين، قال تعالى: ﴿... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، ووعد الله حق، قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾^(٥) لمن قام بواجب ذلك الوعد، قال تعالى: ﴿... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِذَا مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَنِ الْأُمُورِ﴾^(٦).

ويؤمن المؤمن بأن النصر قد يتأخر لحكمة إلهية، فقد يتأخر لأن البناء لم يكتمل، فالإيمان يحتاج إلى تمام نضح، والأفراد إلى تجرد، والقوة إلى شحذ، لكنه واقع ولو بعد حين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَاتِنَا الْعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾^(٧).

أحد عشر: الإطمئنان على الرزق.

فالأرزاق مكفولة لكل مخلوق، قال تعالى: ﴿... وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٣) المصدر السابق، كتاب الإمارة، باب ٤٦.

(٤) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٩.

(٦) سورة الحج، الآيات ٤٠ - ٤١.

(٧) سورة الصافات، الآيات ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤.

رَزَقَهَا وَيَعْلَمُ مَسْنَقَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾، وما عليه إلا الأخذ بالأسباب المشروعة، والرضا بما قدر له من الرزق الذي لن يموت حتى يستوفيه، يقول ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حُرِّمَ)) (٢).

إثنى عشر: الاستعداد والإعداد الدائم للقوة.

الأمة الإسلامية أمة ذات دعوة جهادية؛ لذلك فالمسلم يعيش الجهاد في كل خطواته؛ لإدراكه أنه السبيل الوحيد لتحقيق غاياته في هذه الحياة، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ (٣)، ولأجل القيام بهذا الواجب على الوجه الأمثل أمرت الأمة بالإعداد الدائم والشامل للقوة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾ (٤)، ويدخل في هذا الأمر تعبئة القوى والطاقات البشرية والطبيعية، وكل ما يُلقِي في قلب العدو الرهبة والرعب، سواء كان معنوياً، أو مادياً.

تلك من أبرز العوامل التي تسهم في تقوية الروح المعنوية، وفي تصحيح ما قد يطرأ عليها من وهن حتى يمتلئ القلب إيماناً يحكم التوجهات، ويحرك الطاقات والقدرات، ويدفع الجوارح للتضحيات ليصبح الجهاد غاية تدور في فلكه أنشطة الأمة المختلفة على المستويات كافة.

(١) سورة هود، الآية ٦.

(٢) حديث صحيح. الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب ٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٧١.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

المطلب الرابع التطبيق العملي

من تلك المعاني الإسلامية التي سبق بيانها، انطلق المسلمون عبر مراحل التاريخ، يعالجون ما قد يطرأ من وهن روحي في جسد الأمة، فما أن يلحظ أحدهم أمراً حتى يتذكر تلك المعاني الفاضلة، فيكون لها وقع روحي يزيل ذلك الأمر الطارئ، فهذا صلاح الدين يلمس من أحد قادة المسلمين حب الراحة والدعة، فيجده قد أقام بناءً يطيب فيه المقام، وترك مجالدة الأعداء، فالقدس في أيدي الكفار والأمة تستجمع طاقاتها، وتسخر إمكاناتها لأجل استعادتها، ومثل ذلك العمل يطيء في الاستعداد الجهادي، فيخاطبه صلاح الدين قائلاً: (إنا لم نخلق للمقام بدمشق، ولا بغيرها من البلاد، وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل، والجهاد في سبيله، وهذا الذي عملته مما يشبط النفوس، ويقعدها عما خلقت له)^(١)؛ لتعلقها بالحياة الدنيا وزخرفها الذي يعيق الجهاد.

هكذا كان موقف الولاة من طوارئ الوهن الروحي، الذي يصيب جسد الأمة بين الحين والآخر عودة إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح؛ لاقتباس المنهج، وأخذ قيس النور لإضاءة الطريق، وإزالة العوائق، يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: (لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا، ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(٢)، فكانت التهلكة: الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا للغزو)^(٣).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٣٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

(٣) حديث حسن غريب صحيح. سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ٣.

كما كان الرجوع إلى العلماء، وسؤالهم عن أسباب تأخر النصر الإلهي، والضعف الإرادي لدى الأمة، منهجاً إسلامياً اتخذه المسلمون كوصفة طيبة للدواء والدواء، تعالج بها الأمة نفسها، فتخرج من حالة الضعف، إلى القوة، ومن الهزيمة إلى النصر، ففي سنة [٥٨٦ هـ] طال حصار الإفرنج لعكا، فسأل المسلمون القاضي الفاضل عن سبب تأخر النصر، وطول الحصار، فقال محدداً الأسباب: (سبب هذا التطويل في الحصار: كثرة الذنوب، وارتكاب المحارم بين الناس، فإن الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه، وامثال أمره، فكيف لا يطول الحصار والمعاصي في كل مكان فاشية، وقد صعد منها ما يتوقع بعده الاستعاذة منه)^(١)، وقال في إجابة أخرى: (إنما أتينا من قبل أنفسنا، ولو صدقنا لعجل الله لنا عواقب صدقتنا، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدونا، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره، لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به، فلا يختصم أحد إلا نفسه وعمله، ولا يرج إلا ربه، ولا يغتر بكثرة العساكر والأعوان، ولا فلان الذي يعتمد عليه أن يقاتل ولا فلان، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها، وإنما النصر من عند الله، ولا نأمن أن يكفنا الله إليها، والنصر به، واللفظ منه ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا، فلولا أنها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل، وفيض دموع الخاشعين قد غسل، ولكن في الطريق عائق)^(٢)، هو البعد عن طريق الله، ذلك البعد الذي يؤخر النصر، ويجلب الهزيمة.

وقام العلماء بمباشرة دورهم بكل صدق وأمانة، فعندما يشتد الخطب، وترتجف القلوب، ينبري العلماء لممارسة دورهم الطبيعي في تطيب القلوب، وتقوية العزائم، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في حديثه عن أحداث سنة [٧٠٠ هـ]: (وفي مستهل صفر، وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام، وأنهم عازمون على دخول مصر، فانزعج الناس لذلك، وازدادوا ضعفاً على ضعفهم، وطاشت عقولهم وألبابهم وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر، والكرك والشوبك، والحصون المتينة)^(٣)، هذا الموقف الذي يدل على وهن روحي، انبرى لمعالجته شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فجلس وحرص الناس على الجهاد مبيناً لهم ما فيه من الثواب العظيم في الدنيا والآخرة، ورغبهم في النفقة في سبيل الله؛ لما

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٣٣٩.

(٢) المصدر السابق، ج ١٤ ص ١٤.

لذلك العمل الجهادي من دور في حفظ كيان الأمة، والذب عن حرمتها، وأوجب عليهم الجهاد في هذه المرحلة وحذرهم من الفرار عن مواجهة العدو، مبيناً لهم خطورة ذلك العمل في الدين والدنيا، وتابع ذلك القول بالعمل، فخرج مع الجند في مواجهة الكفار، يقضي ليله مع نهاره مذكراً القلوب، وواعظاً النفوس، ومقاتلاً الأعداء، فكان لذلك الجهد^(١) دور عظيم في رفع الروح المعنوية، وإبدال الحال من الضعف إلى القوة، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الفرار إلى الثبات والصبر، حتى تحقق النصر للأمة والعزة للإسلام.

هكذا قوم سلف الأمة مظاهر الوهن الروحي، وهم في ذلك القدوة، والمثال الذي يجب أن يحتذى عند إرادة تقويم ما ظهر من مظاهر أوهنت الأمة روحياً، فأعاقبتها عن القيام بفريضة الجهاد.

(١) انظر المصدر السابق، ص ١٤ - ١٦.

المبحث الثالث الهزيمة النفسية

تواجه الأمة الإسلامية حملات نفسية متعددة، تستهدف التأثير على مقومات الأمة الذاتية؛ لتفقدتها إرادة المقاومة والتأثير، ولتعيش تحت ضغط نفسي، يساعد على صهرها في دائرة الانحراف والهوى هذه الحملة أحد الأسلحة الطبيعية في المواجهة بين أنصار الحق وأنصار الباطل.

وفي هذا المبحث أكتب عن أبرز المظاهر الانهزامية المسيطرة على أنفس كثير من أبناء المسلمين، مما أقعد الأمة عن القيام بواجبها الجهادي، وذلك في عدة مطالب:

المطلب الأول التعريف

أولاً: الهزيمة .

الهِزْمُ في اللغة غَمَزَكَ الشيءَ تَهَزَمَهُ يَدُكَ فَيَنْهَزِمُ في جوفه . وَهَزَمَ الشيءَ يَهْزِمُهُ هَزْماً فَانْهَزَمَ : غَمَزَهُ بِيَدِهِ فَصَارَتْ فِيهِ وَقْرَةٌ . وَقَصَبْتُ مُتَهَزِّمٌ وَمُهَزِّمٌ ، أَي : قَدْ كَسَّرَ وَشَقَّقَ . وَالْهَزِيمَةُ فِي الْقِتَالِ : الْكِسْرُ وَالْفَلُّ^(١) .

إذا فالهزيمة في اللغة تعني : كسر الشيء وتحطيمه .

ثانياً: النفس .

تطلق في كلام العرب على أضرب متعددة، من أبرزها^(٢) :

أ : نفس الرُّوحُ : وهي التي بها الحياة ، فإذا زالت زالت الحياة .

ب : نفس العقل : وهي النفس المميزة ، فتزول مثلاً بزوال العقل ، ويتوفاها الله عند النوم . وهي النفس التي تأمر الإنسان وتنهاه ، وتبعاً لذلك الأمر والنهي تكون :

النَّفْسُ : الْعِظَمَةُ وَالْكَبِيرُ . وَالنَّفْسُ : الْهَمَّةُ . وَالنَّفْسُ : الْعِزَّةُ . وَالنَّفْسُ : الْأَنْفَةُ .
وَالنَّفْسُ : الْإِرَادَةُ .

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، «هزم»؛ وانظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، «هزم»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «هزم» .

(٢) انظر ابن منظور، المصدر السابق، «نفس»؛ وانظر الفيروز آبادي، المصدر السابق، «نفس»؛ وانظر أبا البقاء، الكليات، ص ٨٩٧ .

المطلب الثاني التحليل

تسود الأمة الإسلامية اليوم على كافة المستويات الفردية والجماعية، الدينية والفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، كثير من الحركات والسكنات النفسية المتفاوتة في الظهور والغموض يلحظ المتمعن فيها دورانها في إطار انهزامي^(١)، من أبرزها:

أولاً: التذبذب وعدم الوضوح.

على مستوى الأمة والأفراد، تجد التراجع وعدم الثبات على موقف معين، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يصاحب ذلك غموض في السلوك والغاية، أدى إلى التناقض والاضطراب في الأقوال والأفعال والأفكار، فتجد المسلم في آن واحد، يحل ويحرم، يبرم وينقض في جميع شؤونه.

ويعيش بعض العلماء هذه الظاهرة بعدم قدرتهم على تحديد أولويات العمل الإسلامي^(٢)، فمن مقتنع بالواقع، راض في رغد العيش، حتى لو اضطر إلى التنازل عن كرامته الإسلامية، إلى فئة ترى الاندفاع والعمل العشوائي طريقاً لإصلاح الأمة، وخروجها من حالة الانهزام والتأخر.

(١) لمزيد من الاطلاع حول مظاهر الهزيمة النفسية، انظر عبد الله بن حمد الشبانه، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، (الرياض: دار طيبة)، ص ٦٣ - ١٢٢.

(٢) انظر يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، الطبعة الأولى، ص ١٥ - ٢٤؛ وانظر محمد عبد الجبار، «عن أوليات الحركة الإسلامية»، جريدة الحياة، ١٨/٧/١٤١٤ هـ، العدد ١١٢٧٨، ص ١٥.

ثانياً: الانبهار.

انبهر كثير من أبناء المسلمين بما عند الغرب من تقدم علمي وفني وإداري^(١)، جعلهم يسلمون القيادة والريادة للأعداء، مع الامتنان للأعداء عند قبول تبعيته الكاملة لهم.

وتبرز هذه الظاهرة في ذلك الإعجاب الذي يبديه أبناء المجتمع المسلم بما عند الغرب، ويعبرون عنه بتلك الرغبة الجامحة في الذهاب إلى تلك البلاد؛ بغرض التعلم والعمل، والسياحة.

ثالثاً: الذل والذنية.

حيث المهادنة الجاهلية، والرضى بالواقع، والاستجابة لما يطلبه الأعداء، حتى في الأمور التعبيرية، كما في هذه الأيام: حيث التخلي عن إطلاق لفظ العدو على إسرائيل، تمشياً مع متطلبات المرحلة الراهنة.

وكذا حذف عبارة الجهاد من قرارات المؤتمر الإسلامي التاسع^(٢)، وفي هذا يقول طه حسين: (بل نحن قد خطونا خطوات أبعد جداً مما ذكرت، فالتزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كله أمام أوروبا، وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال، ومعاهدة إلغاء الامتيازات، إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع؟ فلو أننا هممنا الآن أن نعود أدراجنا، وأن نحبي النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، ولوجدنا أمامنا عقاباً لا تجتاز ولا تذلل، عقاباً نقيمها نحن؛ لأننا حراس على التقدم والرفي، وعقاباً نقيمها أوروبا؛ لأننا عاهدناها على أن نسايرها، ونجاريها في طريق الحضارة الحديثة)^(٣)، وهذا هو واقع أغلب بلدان العالم الإسلامي، والتي يصفها الشاعر بقوله:

بلغت أمتي من الذل حداً فاق في سوءه جميع الحدود

(١) انظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢١٢ - ٢١٣، ٣٠٣؛ وانظر الشبانة، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) انظر المركز العالمي للكتاب الإسلامي، حاضر العالم الإسلامي عام [١٩٩١ م - الموافق ١٤١١/٦ - ١٤١٢/٦ هـ]، ص ٦٣.

(٣) مستقبل الثقافة، (القاهرة: دار المعارف)، ص ٣٤.

فلقد أصبحت تجر خطاها مثقلات في ذلة وكنود
خلف كل الورى تجرب ما قد جربوه من طارف وتليد
بعد أن كانت العزيزة صارت رمز ذلّ وأمة التشريد^(١)

وفي كل المقابلات والمحاورات التي تتم مع الأعداء، لا تجد للإسلام ذكراً،
حتى وإن أطال العدو في الاستشهاد والرجوع إلى تعاليم دينه^(٢).

رابعاً: الاستسلام، بعد سيطرة اليأس والقنوط.

يشعر بعض المسلمين باليأس من إمكانية تغيير الواقع الإسلامي، فمثلاً
عندما تحدث أحدهم عن الدعوة لله ووجوب الجهد فيها، يطأطئ الرأس ويقول:
الله المستعان، لا أحد يسمع، لا أحد يجيب أنت كمن ينفخ في قربة مخروقة،
ونحو ذلك من العبارات الانهزامية، التي تدل على سيطرة اليأس وعندما تنظر في
أحد الفتاوى الصادرة من بعض العلماء، تجدها تبريراً للواقع الإسلامي، لا
لتغييره^(٣).

وفي مواجهة الأعداء، سيطر اليأس من تحقيق النصر، وشاعت العبارات
الانهزامية التي تدعو إلى الرضا بالواقع، فتسمع كثيراً من يصف الأعداء بالقوة
العظمى، ويصف المسلمين بالعالم الثالث وكيف ينتصر المسلمون على القوى النووية
وهم لا يملكونها، وهكذا حتى تسمع من يقول: القتال لن يُجدي مع الأعداء،
وحروب المسلمين مع إسرائيل دليل ذلك؛ إذاً فنحن أمام واقع يفرض نفسه علينا،
ولا بد من الرضى بما يُعرض من حلول لمشكلاتنا مع الأعداء، فترضى بالمعروض
منها وإن قل.

لقد سيطر القنوط حتى ظهر من يرى التقدم والرقي في تقليد الأعداء عموماً في

(١) عبد الله الشبانة، الزفرات الحرّى، الطبعة الأولى، ص ٦٠.

(٢) انظر فوزي الأسمر، أحمد الياامي، طلعت وفا، الخطوات الأولى للسلام، أبو مازن ويبريز
وقعا الاتفاق، وعرفات صافح رايبين مرتين. كلينتون: يتعهد باستمرار دعم السلام، وعدم
السماح بفشل الاتفاق. عرفات: شعبي يأمل بطي صفحة الآلام والعذاب، وفتح عهد السلام
والتعايش. رايبين: حان وقت السلام، ووداع السلاح، إننا محكومون بالعيش معاً، جريدة
الرياض، ٢٨/٣/١٤١٤ هـ، العدد ٩٢١٣، ص ١، ٢٠ - ٢٣.

(٣) انظر عبد الله الخاطر، الهزيمة النفسية عند المسلمين، الطبعة الأولى، ص ١٤ - ١٥، ١٨ -

جوانب الحياة المختلفة^(١)، وهذا أمر واضح وجلي في أيامنا هذه، حيث الدعوات المتكررة لتقبل نظريات الأعداء الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، تمعن في قول أحدهم: (لا يمكن أن يكون لنا علم، ولا فكر ولا فن، إلا بالانفتاح على جميع التيارات الغربية)^(٢).

خامساً: الذوبان وفقدان الشخصية والهوية الإسلامية.

حيث فقد الكثيرون ثقتهم بأنفسهم، وبما عندهم من مقومات للحياة، فانهاروا أمام ذلك الضغط الفكري الشامل^(٣)، يقول المنفلوطي: (أصبح السيد في منزله يستحي من خادمة مطبخه الأوربية أن تطلع منه على جهل ببعض عاداتها، وعادات قومها، حتى في لبس الرداء، وخلع الحذاء، أكثر مما يستحي من الله، ومن الناس أن يهجموا منه على أرذل الرذائل، وأكبر الكبائر)^(٤).

وتجاوز الأمر ذلك إلى عمق الحياة، وأسسها، يقول طه حسين: يجب علينا (أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها ما يجب منها وما يكره، وما يحمد وما يعاب)^(٥).

وفي كل الأعمال لا تجد للإسلام ذكراً، بل تجد المنطلق فيها أمراً مخالفاً للتعاليم الإسلامية، مع التنكر لكل ما هو إسلامي، وهذا ما دفع الكثير إلى التنازل عن الذاتية الإسلامية المميزة، فبحث عن بدائل لتلك الهوية، فظهرت الشعوبية، والوطنية، ونحوها.

وتبرز هذه الانهزامية عند كثير من المعاصرين في ابتعادهم عن كل ما فيه إبراز لهويتهم الإسلامية، في الكلام، والملبس، والمأكل، والمركب، والأشد في ذلك

(١) انظر أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٧٩.

(٢) ... «جريدة الوفد، ١٤٠٩/٥/٥ هـ العدد ٢٥٠»... محمد عبد العليم مرسي، «لا، الغزو الفكري ليس أكذوبة»، مجلة الدعوة العدد ١١٨٩ (٢٢/٩/١٤٠٩ هـ): ص ٢٤.

(٣) انظر شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة)، ص ١٤١ - ١٤٢؛ وانظر عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، الطبعة الرابعة، ص ١٠٥.

(٤) صفوة المؤلفات الكاملة، النظرات، الطبعة الأولى، ص ٤٦.

(٥) مستقبل الثقافة، ص ٣٩.

إخفاء الالتزام بأداء الشعائر الدينية والتستر بأمور ثانوية^(١).

سادساً: خلو الساحة للدخلاء والمأجورين^(٢).

خلت الساحة من علماء الإسلام في بعض البلاد، وسيطر متعاملون انهزاميون يناقشون أوضاع الأمة السياسية والفكرية والاجتماعية، يُبرزون الحلول، ويضعون الخطط المستقبلية لها، ويروجون لأفكارهم الهدامة وهم في كل ذلك في بعد عن الإسلام وتعاليمه، ولك أن تنظر نظرة عابرة إلى ما تشاء من قضايا العالم الإسلامي المختلفة، تجد المصلحين المفسدين في صدارة المُنظِّرين؛ بل قد تجد أعداء الإسلام في مقدمة الباحثين عن الحلول، كما في قضية المسلمين الأولى.

سابعاً: التخاذل وعدم الفاعلية.

فغالب المسلمين اليوم اقتصروا على أهداف غير مؤثرة، وأمور سطحية محدودة، وتركوا الأهداف السامية؛ لذلك فقد أصبح مسلم اليوم في بعض البلاد الإسلامية متخاذلاً غير فاعل في كثير من أمور الحياة^(٣)؛ فعلى المستوى المادي والمعنوي هو دائم التقليد لا يُفكر، ولا يبتكر^(٤)، يخلد إلى الراحة والدعة والمهادنة، طمعاً في العاجلة، ونفوراً من الجد وتحمل المسؤولية؛ فالداعية هدفه نشر علمه في عالم ضيق، وقل أن تجد من يصل تفكيره إلى نشر الإسلام في أنحاء العالم كافة.

والطالب هدفه الحصول على وظيفة تدر له مبلغاً من المال يقتات منه، أو الحصول على مكانة اجتماعية مرموقة، وقل أن تجد من يفكر في عمل يحقق للأمة مجداً وسؤدداً.

وصاحب المال هدفه الكسب المادي، وقل أن تجد من يبحث عن كسب يخدم الأمة، ويسهم في تقدمها.

(١) انظر الخاطر، الهزيمة النفسية، ص ١٩ - ٢٥.

(٢) انظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٣٢٤ - ٣٣٢ انظر الشبانة، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، ٨١.

(٣) انظر محمد قطب، التطور والثبات، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٤) انظر الخاطر، مرجع سابق، ص ١٦، ٢٥، ٣٠.

وهكذا في جوانب متعددة، حتى أصبح التخلف عنواناً لكثير من البلاد الإسلامية^(١).

ثامناً: عقدة الأجنبي.

يحظى كل ما هو أجنبي بمنزلة خاصة عند أغلب المسلمين، وعناية ورعاية لا ينالها سواه، وذلك على كافة المستويات الفردية والجماعية، الرسمية وغير الرسمية، فالثقافة واللغة الأجنبية مطلب الجميع ومحل إعجابهم، ولك أن تلاحظ الرغبة الجامحة في ذلك بين السواد الأعظم في المجتمع الإسلامي، بل إن الحصول على بعثة علمية إلى بلاد الكفر، وتعلم لغة أجنبية مطلب وأمنية للغالبية من أبنائنا، وليس أدل على كل ذلك من الدعم المادي والمعنوي الذي يحظى به التعليم الديني، في مقابل إهمال التعليم الديني وعدم الاكتراث به^(٢).

وفي المجال الاقتصادي والإداري عموماً، يتم البحث عن كل ما هو أجنبي، فهو محل الثقة والإعجاب والجدير بلقب الخبير في كل أمور الحياة، وفي مجال الإنتاج الصناعي والزراعي، يلقي الأجنبي قبولاً ورواجاً عشوائيين، كما تجد الاهتمام بأراء الأجانب ونظرياتهم، وإبرازها عبر وسائل الإعلام، في مقابل إهمال آراء علماء الإسلام، وكأنهم لا يفقهون شيئاً في هذا المجال^(٣).

وفي المجال الفكري ما أن يثني أحد الكفار على الإسلام خيراً، حتى يتطير البعض فرحاً، وكأنه قد حقق نصراً للأمة، فيُمدد بالمقالات والكلمات الرنانة، وكأن الإسلام بحاجة إلى هذه الدفعة الكافرة^(٤).

تاسعاً: التفاعل مع شبهات الأعداء.

إنساق كثير من العلماء مع شبهات الأعداء من حيث لا يدرون، حيث سيطرت

(١) انظر نبيل صبحي الطويل، الحرمان والتخلف في ديار المسلمين، الطبعة الأولى، ص ٢٣ - ١٤٠.

(٢) انظر الشبانة، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، ٦٤.

(٣) انظر أرسلان، لماذا تأخر المسلمون، ص ١٤٨ - ١٤٩؛ وانظر العلياني، أهمية الجهاد، ص ٣١٦.

(٤) انظر رد الفعل الذي أحدثته وتحديثه مواقف ولي عهد بريطانيا في الإسلام.

عليهم روح الاعتذار^(١) في أغلب كتاباتهم، وهذا ظاهر في ردود كثير منهم، تلك الردود التي تصور الإسلام وكأنه متهم يحتاج إلى من يُدافع عنه؛ لذلك تجد الردود تبريراً لتلك الشبهات^(٢).

من ذلك ما قام به بعض المنهزمين نفسياً ممن وقعوا تحت تأثير الهجمة الاستشراقية، وضغط واقع المسلمين البائس من وجهة نظرهم، حيث عملوا على الدفاع عن شبهة انتشار الإسلام بالسيف عن طريق القول بأن الجهاد للدفاع، وأن الإسلام دين المحبة والموعظة والسلام، وعملوا على تأويل النصوص الشرعية لأجل ذلك^(٣)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (المهزومون روحياً وعقلياً ممن يكتبون عن الجهاد في الإسلام؛ ليدفعوا عن الإسلام هذا الاتهام، يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه . . . ومن أجل هذا التخليط، وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمة، يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم: الحرب الدفاعية)^(٤).

كما يبرز ذلك في بحث الكثير عن الحكمة من بعض التشريعات التي يحاربها الأعداء؛ لأجل مواجهة الأعداء بذلك، وتبرير الموقف الإسلامي من ذلك الشريع^(٥).

تلك إجمالاً هي أبرز مظاهر الهزيمة النفسية، والناظر لها يجد أنها تشكل انهياراً نفسياً عاماً تعاني منه أمتنا الإسلامية، ومن أعجزته نفسه وانهزم أمامها، فهو عن جهاد أعدائه أعجز.

(١) انظر أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ١١٦.

(٢) انظر خاطر، الهزيمة النفسية، ص ٢٨.

(٣) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣ ص ١٥٧٩ - ١٥٨٢؛ وانظر معالم في الطريق، الطبعة الثالثة، ص ٨١؛ وانظر أبا الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله، الطبعة الثانية، ص ٦ - ٧؛ وانظر محمد ياسين، افتراءات حول غايات الجهاد، الطبعة الأولى، ص ١١٣ - ١١٤؛ وانظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ١ ص ٦١١؛ وانظر العلياني، أهمية الجهاد، ص ٣١١.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٥) انظر خاطر، الهزيمة النفسية، ص ٢٩.

المطلب الثالث التقويم

عمل الإسلام على تهيئة النفس المسلمة لمواجهة ما قد يعثرها ويوجه لها في طريق الصراع بين الحق والباطل؛ فجعل منها مصدر قوة واطمئنان، من خلال معاني عدة بثها في قلوب أتباعه، تتمثل في:

أولاً: الإخلاص لله.

ومنطلق ذلك قوة الإيمان التي يحملها الفرد المسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١) فندفعه إلى التجرد من الغايات الدنيوية، وإرادة وجه الله في عموم تبعات حياته، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

وهذا ما يجعل المسلم في قوة نفسية لا تهتز ولا تضطرب عند تبدل حال أو موقف في مواجهة الباطل معنوياً أو مادياً، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

ثانياً: الاستعلاء بالإيمان.

المؤمن هو الأعلى سنداً ومصدراً بين كائنات الأرض كلها، قال تعالى:

(١) سورة الحجرات، الآية ١٥.

(٢) سورة القصص، الآية ٧٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٩٦.

﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وتلك قوة ومنعة مستمدة من الله سبحانه وتعالى، لا تجلب بالمال والاتباع^(٢)، تفرض على صاحبها القوة والشموخ في أخرج اللحظات؛ بل إن الإسلام يأبى على أتباعه عيشة الذل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)؛ لذلك شرع لهم البحث عن أسباب العزة والمنعة التي تجعل المسلم عزيز الجانب، متبوعاً لا تابعاً، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^(٤).

وتلك طبيعة الأمة الإسلامية، فهي أمة تأبى الذل والهوان، وترفض الدنية والاستسلام، وتستعصي على الذوبان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (إنه يمثل حالة الاستعلاء التي يجب أن تستقر عليها نفس المؤمن إزاء كل شيء، وكل وضع وكل قيمة، وكل أحد، الاستعلاء بالإيمان وقيمه على جميع القيم المنبثقة من أصل غير أصل الإيمان... الاستعلاء مع ضعف القوة، وقلة العدد، وفقر المال، كالاستعلاء مع القوة والكثرة والغنى على السواء. الاستعلاء الذي لا يتهاوى أمام قوة باغية، ولا عرف اجتماعي، ولا تشريع باطل، ولا وضع مقبول عند الناس ولا سند له من الإيمان)^(٦).

ثالثاً: الكشف عن حقيقة الأعداء.

بيان زيفهم وضلالهم وواقعهم الخاطيء، وكشف ذلك بالأدلة والبراهين الساطعة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٧).

مع بيان عاقبة الانسياق خلف الكافرين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن

(١) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٢) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨ ص ١٢٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٤.

(٤) سورة النساء، الآية ١٠٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

(٦) معالم في الطريق، ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٧) سورة الأحقاف، الآية ٤.

تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١﴾ .

رابعاً: إعداد القوة والاستعداد المتواصل .

عن طريق استنفاد طاقات الأمة المختلفة في إعداد القوة الشاملة مادياً ومعنوياً، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾ (٢) ، هذا الاستعداد لا يعني جلب السلاح وتكديسه؛ بل هو أشمل من ذلك بكثير، فإعداد المجاهد المؤمن المحافظ على عقيدته وذاته المسلمة، مدار هذه القوة والاستعداد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (٣) .

عند ذلك يكون المجاهد في قوة نفسية تتحطم عندها جميع محاولات الأعداء في التأثير والتخديل .

خامساً: عدم القبول أو اليأس .

تلك الحالة التي يفقد معها المرء القدرة على المقاومة والإقدام، عالجه الإسلام بالتحذير من قطع الأمل والرجاء بالله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤) ، يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى: (فأما القلب الندي بالإيمان، المتصل بالرحمن، فلا ييأس، ولا يقنط، مهما أحاطت به الشدائد، ومهما ادلهمت حوله الخطوب، ومهما غام الجو وتلبد، وغاب وجه الأمل في ظلام الحاضر، وثقل الواقع الظاهر، فإن رحمة الله قريب من قلوب المؤمنين المهتدين وقدرة الله تنشيء الأسباب كما تنشيء النتائج، وتغير الواقع كما تغير الموعود) (٥) .

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٠ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠ .

(٣) سورة التوبة، الآية ٢٥ - ٢٦ .

(٤) سورة يوسف، الآية ٨٧ .

(٥) سيد قطب، ج ٣ ص ٢١٤٨ .

سادساً: بذل أقصى غايات الجهد والطاقة .

مع عدم التفريط في الوقت والمال والجهد، قال تعالى: ﴿... الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...﴾^(١)، ويقول ﷺ: ((إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ))^(٢).

سابعاً: إدراك عدم تكليف الله سبحانه للإنسان ما لا قدرة له عليه .

فالتكليف بحدود الاستطاعة^(٣)، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾^(٤)، فإذا بذلت الأمة جهدها، ولم تدخر ما في وسعها في سبيل الإعداد المعنوي والمادي لجندها، فقد قامت بواجب الإعداد المأمور به على الوجه الأمثل، حتى لو كان ذلك الإعداد في مستوى أقل من قدرات الأعداء العسكرية.

ثامناً: الثقة بالله .

فالمؤمن على ثقة بأن الله سيجعل له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٥).

وذلك يجعله ينظر إلى قوة الأعداء ومكايدهم، بنظرة إيمانية تعتمد على الثقة بنصر الله لأوليائه، تلك الثقة التي حولت النار الملتهبة إلى برد وسلام، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٦).

(١) سورة التوبة، الآية ٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب ٢٠.

(٣) انظر يعقوب عبد الوهاب الباحسين، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، دراسة أصولية تأصيلية، الطبعة الثانية، ص ١٤٩ - ١٦٩؛ وانظر صالح بن حميد، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، الطبعة الثانية، ص ٣٣ - ٤١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٥) سورة الطلاق، الآيتان ٢ - ٣.

(٦) سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

تاسماً: الرجوع إلى الكتاب والسنة عندما يطرأ جديد على الساحة الإسلامية.

فالمؤمن في معاملته مع المستجدات الحياتية، ينطلق من مصادر إسلامية، سواء كانوا رجالاً، أو كتباً أو أخباراً، فهي المرجعية التي يُحتكم إليها، ويتعامل بموجب حكمها مع الأحداث، قبولاً ورفضاً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَوْا بِهِمْ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

عاشراً: الرضاء بالقضاء والقدر^(٢).

وفي ذلك تهذيب للغرائز الإنسانية، كحب المال والحياة والجاه، والخوف من الضرر، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (وإذن فلا فرع من الموت، ولا خوف من الفقر، ولا محيد عن الرجعة إلى الله، وإذن فليجاهد المؤمنون في سبيل الله، وليقدموا الأرواح والأموال، وليستيقنوا أن أنفاسهم معدودة، وأن أرزاقهم مقدرة، وأنه من الخير لهم أن يعيشوا الحياة قوية طليقة، شجاعة كريمة، ومردهم بعد ذلك إلى الله)^(٤).

أحد عشر: الأخوة الإيمانية.

تلکم الرابطة الإيمانية، التي تجمع بين أبناء المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾^(٥)، بما تمليه من رابطة قوية، وألفة حقيقية، تجعل المسلم يعيش هم أخيه المسلم يقول ﷺ: ((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتِعَاطِفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالشَّهْرِ وَالْحُمَى))^(٦)، فيشاركه حسيماً ومعنوياً، في السراء والضراء، مما يخفف الكثير من الآلام والمتاعب، ويقضي على كثير من العوامل النفسية المفضية إلى النزاع والشقاق

(١) سورة النساء، الآية ٨٣.

(٢) انظر محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ٢٥٥ - ٢٨٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ٥١.

(٤) في ظلال القرآن، ج ١ ص ٢٥٩.

(٥) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٢٧.

وليصبح المسلم مصدر خير وأمن، وعدل وسلام، ومحبة وعطف ينعم بها أفراد المجتمع المسلم.

تلك هي أبرز العوامل التي تحفظ للنفس المسلمة قوتها الذاتية، واستقلاليتها العملية، حتى تحقق من القوة والاستقلالية ما يجعلها تتجاوز جميع العقبات والعوائق، بهمة عالية، وفاعلية منتجة، مما يجعلها نقطة انطلاق رئيسة لمواجهة الأعداء وجهادهم.

المطلب الرابع التطبيق العملي

أمام تلك الظاهرة المتفشية في كيان الأمة، ومع الرغبة في معالجة تعيد للأمة سابق مجدها، نسبر التاريخ، ونبحث فيه عن تجربة نأخذ منها العبر والمنهج في المعالجة والخروج من الأزمات النفسية فليس على أمة أو فرد أشد من وقع الهزيمة النفسية التي تعني الخسران، قال تعالى: ﴿... إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١)، أما المؤمنون فهم على ثقة من نصر الله، مهما حل بهم من هزائم ونكبات مختلفة، أو اتحد العالم الكافر ضدهم.

ففي الأحزاب اتحاد الكفار ضد المسلمين، وجاءوا إلى المدينة بخيلهم ورجلهم، وحدهم وحديدتهم من كل حذب وصوب، وجاء المرجفون من كل مكان، يزلزلون ويرجفون بحمل أخبار التحزب الكافر ضد المسلمين، كل ذلك لم يزدتهم إلا إيماناً على إيمانهم، وقوة على قوتهم، ولم يدر في خلدتهم استسلام أو تضعف^(٢)، وكان منهجهم في ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣).

وفي تاريخية أخرى أصيب المسلمون في دينهم، عندما خرج القرامطة عليهم يوم التروية، فقتلوا وسلبوا واستباحوا في رحاب مكة، والمسجد الحرام، وجوف الكعبة المشرفة، وبلغ الطغيان بقائدهم إلى قول: أنا الله وبالله، أنا أنا أخلق الخلق

(١) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٢) انظر الواقدي محمد بن عمر، كتاب المغازي، الطبعة الثالثة، ج ٢ ص ٤٤٣ - ٤٩٦؛ وانظر ابن سيد الناس محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر)، ج ٢ ص ٥٥ - ٦٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

وأفنيهم أنا، وكان يقتل الطائفين، والمتعلقين بأستار الكعبة، وردم بهم بئر زمزم، وختموا أعمالهم وأقوالهم الكافرة بأخذ الحجر الأسود، والقول أثناء اقتلعه: أين الطير الأبايل، أين الحجارة من سجيل، وبقي الحجر في بلادهم ثنتين وعشرين سنة^(١).

وفي سنة [٤٩٢ هـ]، دخل الصليبيون بيت المقدس في مليون مقاتل، وقتلوا من المسلمين ما لا يقل عن سبعين ألفاً، وجاسوا خلال الديار فساداً، فخرج علماء الإسلام يحرضون على الجهاد، إلا أن ذلك لم يقد شيئاً، وبقيت القدس تحت سيطرة الكفار لأكثر من واحد وتسعين عاماً، كانت الأمة خلالها كما قال الشاعر^(٢):

فأيها بني الإسلام إن وراءكم	وقائع يُلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملء جفونها	على هفوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشام يُضحى مقلهم	ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى	رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفاً من الردى	ولا يحسبون العار ضربةً لازم
أترضى صنائيد الأعراب بالأذى	ويغضى على ذل كماء الأعاجم
فليتهم إذ لم يذودوا حميةً	عن الدين ضنوا غيرةً بالمحارم ^(٣)

ومع كل ذلك لم يتزعزع الإيمان، ولم تنصهر الأمة في الأمم الأخرى، وواصلت العمل بجد واجتهاد وثقة بنصر الله، جاهدوا جميعاً بالمال والنفس والجهد، وكان منهجهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْشَوْا فِي أَيْتَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٤).

حتى تحقق النصر لدينهم، والعلو والقيادة لأمتهم.

(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١ ص ١٦٠ - ١٦١، ٢٢٣.

(٢) انظر المصدر السابق، ج ١٢ ص ١٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨ ص ١٨٩ - ١٩٠؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ص ١٥٦ -

١٥٧.

(٤) سورة النساء، الآية ١٠٤.

المبحث الرابع الغزو الفكري

مدخل :

الصراع بين حزب الرحمن وحزب الشيطان قديم قدم الإنسانية، ومستمر حتى يوم الدين، قال تعالى: ﴿... وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١). يأخذ أشكالاً وأسلحة مختلفة باختلاف الزمان والمكان، والظروف المعاصرة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَبِيبُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٢).

وهو في شكله المادي: أظهر وأوضح، مما يجعل الاهتمام والاستعداد له يأخذ عناية أكثر.

أما في شكله المعنوي: فعلى النقيض من ذلك، فهو يسير ببطء، بعيداً عن الأنظار، متخذاً العقول والأفكار ميداناً له، محدثاً آثاراً ذات عمق جوهرى، وهنا تكمن خطورته!

وفي هذا المبحث أكتب في أحد جوانب هذا الصراع، وهو ما اصطلح على تسميته بالغزو الفكري باعتباره أحد معوقات الجهاد، وذلك في عدة مطالب:

(١) سورة البقرة، الآية ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧.

المطلب الأول حقيقة الغزو الفكري وأهدافه

عند إطلاق هذا اللفظ على ما يجري اليوم بيننا وبين الأعداء، أو على ما يوجهه لنا الأعداء من حرب فكرية، يتبادر إلى الذهن أمور منها:

١ - عدم حدة هذه المواجهة، فقد يقول قائل: إن كان الأمر فكراً فمجال الفكر واسع، والأخذ والعطاء فيه في سعة من الأمر.

٢ - الاعتقاد بأن هذا موضوع مخالف للمواجهات السابقة والحالية التي جرت وتجري بيننا وبين الأعداء، من الحروب الصليبية، والتنصير، والاستشراق، والاستعمار.

لذلك فلا بد من تسمية تحمل في معناها حقيقة هذا الغزو، ومدى صلته بتلك الصراعات، وذلك لا يتأتى إلا بعد بيان عدة أمور لها أبلغ الأثر في بيان حقيقته، وذلك في الفروع التالية:

الفرع الأول حقيقة الغزو الفكري

أولاً: التعريف.

أ: الغَزْوُ، في اللغة: القصد، تقول: غَزَا الشيءَ غَزْوًا، أي: أرادته وطلبه وقصده، ومَغَزَى الكلام: مَقْصِدُهُ^(١). والغَزْوُ: السير إلى قتال العدو وانتهابه في داره^(١).

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، «غزا»؛ وانظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط «غزا»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «غزا».

ب: الفكري، الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في شيء معلوم؛ للوصول إلى معرفة المجهول، والتَّفَكُّر: التأمل، تقول: لي في الأمر فِكْرٌ، أي: نَظْرٌ وروية^(١).

من هذا المعاني اللغوية لمادة غزا وفكر، يتبين أن الغزو الفكري أحد المجالات القهرية المعنوية التي قد يسلكها البشر ضد بعضهم البعض بهدف الإخضاع والسيطرة، وهذا ما يتفق مع مفهوم الغزو الفكري، ذلك المصطلح العصري الحديث^(٢) الذي عرفه محمد قطب بقوله: (يقصد بالغزو الفكري الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك)^(٣)، ويُفصّل محمود زقزوق في بيان ذلك المفهوم قائلاً: (مفهوم الغزو الفكري يقصد به: كل التيارات الفكرية الهدامة الواردة من الغرب الرأسمالي، أو الشرق الماركسي، سواء تمثلت في نظريات فلسفية أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو تربوية، أو سياسية، أو دينية، أو دراسات استشراقية، أو غير ذلك من نظريات تتصل بحقل الدراسات الإنسانية على وجه الخصوص)^(٤).

إذاً فالغزو الفكري عمل عدائي، يفرض بأسلوب قهري، يشمل جوانب الحياة المعنوية المختلفة، سلاحه: فكرة وكلمة، رأي وحيلة، نظرية وشبهة.

ثانياً: طابعه الديني.

مرت الأمة الإسلامية في صراعها مع الأعداء بعدة مواجهات من الشرق والغرب فالحروب الصليبية كانت بدوافع دينية بحتة، وما ذهب إليه البعض من القول بأنها ذات أهداف سياسية، أو اقتصادية، أو علمية^(٥) مجانِب الصواب، فمدار

(١) انظر المصادر السابقة، «فكر»؛ وانظر الراغب، المفردات، ص ٣٨٤.

(٢) انظر علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر، الطبعة الأولى، ص ٩.

(٣) واقعنا المعاصر، ص ١٩٥.

(٤) قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، الطبعة الأولى، ص ٢٠٩.

(٥) انظر مصطفى خالد، عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، (صيدا، بيروت:

المكتبة العصرية)، ص ٣٦؛ وانظر مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم، الطبعة الثالثة، ص ١٧؛ وانظر علي محمد جريشة، محمد شريف الزبيق، أساليب =

الصراع مع أعداء الإسلام قد حدده الله سبحانه وتعالى بما لا يدع مجالاً للاجتهاد، أو التأويل، بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(١)، يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى: (فتلك هي العلة الأصلية، ليس الذي ينقصهم هو البرهان، وليس الذي ينقصهم هو الإقناع بأنك على الحق، وأن الذي جاءك من ربك الحق، ولو قدمت إليهم ما قدمت، ولو توددت إليهم ما توددت، لن يرضيهم من هذا كله شيء، إلا أن تتبع ملتهم، وتترك ما معك من الحق... هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض، وفي كل وقت، ضد الجماعة المسلمة)^(٢)، ويقول دجوفارا أحد وزراء رومانيا في كتابه مئة مشروع لتقسيم تركيا، محدداً أصل الصراع من وجهة نظرهم: (إن أصل العداوة المزمنة التي يشعر بها الأوروبيون للأتراك، ويميلون أبدأً من أجلها إلى حصرهم في آسية، هي راجعة إلى العداوة الشديد الواقع بين النصرانية والإسلام)^(٣)، يؤكد ذلك تلك التعبئة الدينية التي قام بها عدد من قساوسة النصارى ومفكريهم، والحملة التحريضية التي سبقت الحروب الصليبية؛ بل إن تقديسهم الديني لها دفعهم إلى تسميتها بالحرب المقدسة^(٤).

وعندما فشلت تلك الحملات العسكرية ذات الصبغة الدينية البحتة، عملوا على دراسة الأسباب لإعادة الكرة مرة أخرى، وتباروا في تقديم الدراسات والاقتراحات المناسبة، حتى بلغت أكثر من مئة مشروع^(٥)، من أبرزها: التحول من المواجهة الدينية المادية إلى:

= الغزو الفكري للعالم الإسلامي، (القاهرة: دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع)، ص ١٦ - ١٧.

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٢) ج ١ ص ١٠٢.

(٣) شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، الطبعة الرابعة، ج ٣ ص ٢١٨.

(٤) انظر روم لاندو، الإسلام والعرب، الطبعة الثانية، ص ١١٥، ١٢٢؛ وانظر أرسلان، المرجع السابق، ص ٢١٥ - ٢١٨، ٢٢٧؛ وانظر سعيد أحمد برجوي، الحروب الصليبية في المشرق، الطبعة الأولى، ص ٨٤ - ٩٣.

(٥) انظر أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج ٣ ص ٢١٨؛ وانظر محمد العبد، تعليق على التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي؟ مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية، [١٢٨١ م - ١٩١٣ م]، الطبعة الأولى، ص ٢٨ - ١٩٩.

- ١ - الحرب الاقتصادية، ويعرف عندهم بمشروع كارلوس الثاني^(١).
- ٢ - الحرب الثقافية والعلمية.
- ٣ - التنصير، وهو ما يعرف ببرنامج ريموندلول^(٢).

وهذا ما ذهب إليه لويس التاسع قائد الحملة الصليبية السابعة، عندما قال: (إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هُزمتُم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم؛ فهي مكن القوة فيهم)^(٣)، وعن طريق الحملات الصليبية السلمية؛ لأن طريق القوة المادية يصطدم بالروح الجهادية، التي لا طاقة لهم بها^(٤).

من هنا بدأت المواجهة تأخذ طابعاً آخر كله مكر ودهاء، فظهرت المواجهة بأسماء مختلفة، فتارةً تعرف بالاستشراق، وأخرى بالتبشير والاستعمار، واليوم الغزو الفكري، وتلك الأسماء تأويلات هدفها التمويه على المسلمين، وتخفيف حدة المواجهة؛ وإلا فهي امتداد لتلك الحملات الصليبية الرامية إلى إخراج المسلمين من دينهم^(٥).

ومهما أظهروا من خلاف بين تلك الحملات، فهو لا يعدو أن يكون مخدراً للمسلمين، يُعبر عن هذه الحقيقة صاحب معاول الهدم والتدمير بقوله: (المبشرون هم طلائع الاستعمار، وهم عيونهم، وأرصاده مهمتهم الأساسية هي توطئة ظهورنا لدولهم وشعوبهم، وترويضنا؛ لنكون مطايا يركبونها، وأبقاراً يحتلبونها)^(٦).

ولك أن تعرف ما يجري في مؤتمراتهم الاستعمارية، التي يقول شاتليه عن أحدها: (أفاض المبشرون وتوسعوا في القول، حتى نُخيلَ للجميع أن المؤتمر

(١) انظر أرسلان، المرجع السابق، ص ٢١٩.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٢١.

(٣) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ١٩٦.

(٤) انظر محمد الغزالي، معركة المصحف، الطبعة الأولى، ص ٢٠٤ - ٢٠٧؛ وانظر جريشة، الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ص ١٩.

(٥) محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ١ ص ١٨؛ وانظر محمد قطب، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٦) إبراهيم الجبهان، معاول الهدم والتدمير، في النصرانية وفي التبشير، الطبعة الرابعة، ص ١٢٧.

الاستعماري، تحول إلى مؤتمر تبشير^(١)؛ لأنهم متفوقون على وجوب العمل جنباً إلى جنب، يقول م. ك. اكسفولد رئيس المؤتمر الاستعماري الألماني: (إن المؤتمر الاستعماري امتاز بمزيتين، الأولى: أنه بحث في الشؤون الصناعية، والاقتصادية. والثانية: إجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية، والاقتصادية، إلى الأعمال الأخلاقية الدينية، في سياسة الاستعمار الألماني)^(٢).

بل إن الجانب الديني، هو الأهم في كل هذه المحاولات، وهو اللبنة الأساسية في تحقيق أغراضهم ومقاصدهم المختلفة، يقول رئيس غرفة التجارة في همبرغ: (إن نمو ثروة الاستعمار متوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمانة، إدخال الدين المسيحي في البلاد المستعمرة؛ لأن هذا هو الشرط الجوهري للحصول على الأمانة المنشودة، حتى في الوجهة الاقتصادية^(٣))، ويقول السياسي الاستعماري المنصر اللورد بلفور: (إن المبشرين هم ساعدٌ لكل الحكومات في أمور هامة، ولولاها لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات، وعلى هذا فنحن في حاجة إلى اللجنة دائمة، يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين)^(٤).

وفي أكثر من مؤتمر تنصيري، يطلب المنصرون من المستشرقين مضاعفة الجهد، وإعداد دراسات في أمور معينة يحددها المنصرون^(٥)، وعند انتداب أحد المنصرين إلى البلاد الإسلامية، فلا بد من تزويده بمجموعة من كتب المستشرقين^(٦)، ذات الطابع الديني البحث، يقول مصطفى السباعي رحمه الله تعالى: (لا نحتاج إلى استنتاج وجهه في البحث؛ لتتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين، وهو الدافع الديني)^(٧).

-
- (١) الغارة على العالم الإسلامي، لخصها ونقلها إلى العربية: محبّ الدين الخطيب، مساعد اليافي، ص ١٣٤ - ١٣٥.
 - (٢) المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٤.
 - (٣) المرجع السابق، ص ٣٤.
 - (٤) المرجع السابق، ص ١٢٨.
 - (٥) انظر المرجع السابق، ص ١٥٩، ٢٤٣.
 - (٦) انظر الجيهان، معاول الهدم والتدمير، ص ١٣٠.
 - (٧) الاستشراق والمستشرقون، الطبعة الثالثة، ص ١٥ - ١٦.

كما أرادوا بتلك التسميات المختلفة لمشاريع تقسيم العالم الإسلامي^(١)، إبعاد الطابع الديني عن تلك الحملات، بعد أن أدركوا أن المسلم لا يعادي من لا يظهر العداء لدينه، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّهِكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢)، يقول أحدهم: (إن الخطة العدائية التي انتهجها الشبان المتعلمون اضطرت المبشرين في القطر المصري إلى محاولة إعادة ثقة الشبان المسلمين بهم، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات في موضوعات اجتماعية، وخلقية، وتاريخية، لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين رغبة في جلب قلوب المسلمين إليهم)^(٣)، وبذلك يكون بعض تلك الحملات أهون من بعض، مما يجعل لها شيئاً من القبول لدى المسلمين.

هذا التمويه الذي قصده الكنيسة انطلى على كثير من أبناء المسلمين في هذا العصر، فظهر من يقول إن الشرق والغرب ليسوا متدينين في أنفسهم، وأن كل ما يصدر منهم لا يأخذ الطابع الديني، فكيف يعمل على التعرض للإسلام بشيء^(٤).

ولهؤلاء نقول دعوا عنكم ما يقومون به لأنفسهم، فهم على يقين من ضلالتهم وخرافاتهم، وانظروا إلى موقفهم من الحملات الموجهة إلى العالم الإسلامي، فهذا اللنبي قائد جيوش الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى، يدخل القدس مزهواً وهو يقول: (الآن انتهت الحروب الصليبية)^(٥)، وهو بلا شك يقصد نهاية أحد جوانب المواجهة في رأيه الشخصي، وهو الجانب العسكري.

وهذه حكوماتهم تسهم بفاعلية في الدعم المادي للحركات التنصيرية التي

(١) انظر أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج ٣ ص ٢١٨؛ وانظر العبد، تعليق على التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي؟، ص ٢٨ - ١٩٩.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٣) شاتليه، الغارة، ص ٥٤ - ٥٥.

(٤) انظر أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٦٢؛ وانظر محمد الغزالي، حصاد الغرور، الطبعة الثانية، ص ١٧١؛ وانظر محمد محمود الصواف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، (الدمام: دار الإصلاح)، ص ٢٠١.

(٥) الجبهان، معاول الهدم والتدمير، ص ٢١؛ وانظر محمد قطب، واقعا المعاصر، ص ٣١٦.

تقوم بها كنائسهم^(١)، مما جعل دولة الفاتيكان من أغنى دول العالم^(٢).

وهؤلاء قادتهم يشاركون عملياً في الحركات التنصيرية، فقد كان بلفور عضواً فاعلاً في حركات التنصير^(٣)، وبعض رؤساء أمريكا لهم أنشطة تنصيرية بارزة، فقد كان روزفلت منصرأ^(٤)، أما كارتر فقد أثبت في هذه الأيام بنشاطه وحماسه التنصيري تفوقه على أقرانه.

ولك أن تتمعن في موقفهم من الجماعات الإسلامية في كل مكان، فما يفعله الصليبيون اليوم في مسلمي بلادهم في: الفلبين، وأثيوبيا، وتايلند^(٥)، وغيرها من بلدان العالم الكافر، يحمل الكثير من المعاني والدلائل على مواقف الحكومات الكافرة من المسلمين وما يوجه لهم.

وما نعيشه اليوم من صراع مع الأعداء، لا يخرج عن ذلك بشيء بالنسبة لهم، يقول محمد أسد: (إن روح الحروب الصليبية - في شكل مصغر على كل حال - ما زال يتسكع فوق أوروبا، ولا تزال مدينتها تقف من العالم الإسلامي موقفاً يحمل آثاراً واضحةً لذلك الشبح المستميت في القتال)^(٦).

يؤكد ذلك ما ذهب إليه أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس الأمريكي جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام (١٩٦٧ م - الموافق ١٣٨٦/٩ - ١٣٨٧/٩ -) عندما قال؛ (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب

(١) انظر شاتليه، مرجع سابق، ص ٢٠٥ - ٢٠٧؛ وانظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٢٤١؛ وانظر «علاقة البابا بالمخابرات الأمريكية» مجلة المجتمع العدد ١٩٨، (١٣٩٤/٤/٨): ص ٩.

(٢) انظر الصواف، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(٣) انظر شاتليه، مرجع سابق، ص ١٢٥، ١٢٨.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ١٠٩؛ وانظر الصواف، مرجع سابق، ص ١٩١.

(٥) انظر الجبهان، معاول الهدم والتدمير، ص ٢١؛ وانظر جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبدوأ أهله، الطبعة الثانية، ص ١٥ - ٢٣؛ وانظر جريشة، الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ص ٩٣؛ وانظر عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ٣٤ - ٣٨.

(٦) الإسلام على مفترق الطرق، ص ٦١.

العربية، ليست خلافات بين دول أو شعوب؛ بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية، والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصورة مختلفة^(١).

ثالثاً: بواعثه .

لماذا الغزو الفكري؟! وهم دول علمانية لا تلقي للتدين بالأل! ولا تحفل به فيما ظهر؟

نقول لهؤلاء: على فرض أن هذا صحيح! هل هم في عالم مستقل لا يخشى عدواً؟ العدو لا بد من أخذ الحيطة والحذر الدائم منه، وهذه توجيهات إسلامية .

والأعداء يعرفون حقيقة الإسلام أكثر من كثير من مسلمي اليوم، كمن ظهر عنده مثل هذا التساؤل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

عن طريق هذه المعرفة أدرك الأعداء أن في الإسلام قوة قاهرة، قادرة على إزالة معادل الباطل من جذورها، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾^(٣).

هذا الإدراك سيطر على مجموعة من الأعداء، لم يستطيعوا كبح جماحه، وصرحوا به في مقدمة كتاب زعيمهم المنصر زويمر (العالم الإسلامي اليوم) بقولهم: (لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي، الذي اقتحم قارتي آسيا وأفريقية الواسعتين، وبث في مائتي مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية، فأصبحوا كالأنقاض والآثار القديمة المترامية على جبل المقطم، أو هم كسلسلة جبال تناطح السحاب، وتطاول السماء مستنيرة ذراتها بنور التوحيد)^(٤) هذه الحقيقة المدركة هي أخشى ما يخشاه أعداء الإسلام، يقول غاردنر: (إن القوة التي تكمن في الإسلام، هي التي تخيف

(١) سعد جمعة، المؤامرة ومعرفة المصير، الطبعة الثالثة، ص ٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٨.

(٤) شاتليه، الغارة، ص ٧٨.

أوربية)^(١)؛ لأنها القوة الوحيدة التي يملكها المسلمون، ولا يستطيع الأعداء منعها عنهم، يقول أشعيا يومان: (إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي؛ لهذا الخوف أسباب منها: أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل هو دائماً في ازدياد واتساع، ثم إن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إن من أركانه الجهاد، ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً)^(٢).

إن الخطر الوحيد الذي تهون معه جميع المخاطر، يقول لورنس براون: (لقد كنا نخوفُّ بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف. لقد كنا نخوفُّ من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر (باليابان وتزعمها على الصين) وبالخطر البلشفي. إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق، (لم نجده، لم يتحقق) كما تخيلناه، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهدٍ لهم عدونا الألد. ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا. أما الشعوب الصفرة فإن هنالك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتها... ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته: إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي)^(٣)، ويقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام [١٩٥٢ م - الموافق ١٣٧١/٤ هـ - ١٣٧٢/٤ هـ]: (ليست الشيوعية خطراً على أوربا، فيما يبدو لي... إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة إلى الاستغراب، أي دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة في الشخصية الحضارية الغربية، وفرصتهم في تحقيق أحلامهم هي في اكتساب التقدم الصناعي الذي أحزته الغرب، فإذا أصبح لهم علمهم، وإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع، انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الغني، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الروح الغربية، ويقذفون رسالتها إلى متاحف التاريخ... إنه في عين التاريخ عملاق مقيد عملاق لم يكتشف نفسه بعد اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق...

(١) خالدي، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٤.

فلنعط هذا العالم ما يشاء ولتقو في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي، والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من قيود جهله، وعقدة الشعور بعجزه عن مجارة الغرب في الإنتاج، فقد بؤنا بالإخفاق الذريع، وأصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطراً داهماً يتعرض به التراث الحضاري الغربي لكارثة تاريخية، ينتهي بها الغرب، وتنتهي معه وظيفته القيادية^(١).

وهم يعملون ما في وسعهم اليوم في حرب الإسلام؛ ليس خوفاً من واقع المسلمين اليوم، وإنما خوفاً من تبدل الأحوال، وخروج جيل مسلم يعود إلى تلك القوة المرعبة، يقول البرمشادور: (من يدري؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء؛ لغزو العالم مرة ثانية، في الوقت المناسب - حتى قال: - لست متنبأً، لكن الاحتمالات كثيرة... ولن تقوى الذرة، ولا الصواريخ على وقف تيارها... إن المسلم قد استيقظ وأخذ يصرخ، ها أنذا، إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها)^(٢)، ويقول سالازار: (إن الخطر الحقيقي إنما هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون من تغيير في نظام العالم. (فقيل له: إنهم في شغل عن أن يفكروا في هذا بخلافاتهم ونزاعاتهم؟). قال: إني أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافاتهم إلينا)^(٣)، ويقول جب: (الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة، تدعوا إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين من جديد)^(٤).

رابعاً: مصدره.

من الخطأ التمييز بين مصادر الغزو، بأن يقال هذا يهودي، وهذا نصراني،

(١) ... (جودت سعيد، لم هذا الرعب كله من الإسلام، ص ٢٢ - ٢٣) ... (سعيد حوى، جند الله ثقافة وأخلاقاً، الطبعة الأولى، ص ١٦ - ١٧).

(٢) ... (جودت سعيد، المرجع السابق) ... (جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، ص ٣٨ - ٣٩).

(٣) ... (جودت سعيد، المرجع السابق، ص ١٩) ... (حوى، مرجع سابق، ص ١٧).

(٤) محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢٢٠.

وهذا آسيوي، وهذا غربي، وهذا شرقي؛ لأن في هذا التمييز إحياء بأن خطورته تتفاوت، كما أن الواقع السياسي والإعلامي الذي يصور درجة العداء السائدة لهؤلاء؛ قد يتحكم في مبدأ القبول والرفض.

فأعداء الإسلام ملة واحدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَصْمِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ...﴾^(١)، والاتحاد بين ملل الكفر المختلفة ضد الإسلام أمر لا مرأى فيه، قديم قدم الأحزاب في عهد الرسول ﷺ، يتجدد بين الحين والآخر، تبعاً للحال والموقف من الإسلام، فقد كان أحد نتائج الحروب الصليبية، التي خرج بها الأعداء من حملاتهم على البلاد الإسلامية، يقول محمد أسد: (إن الحروب الصليبية هي التي عينت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوروبا من الإسلام لبضعة قرون تتلو... لقد اتفق في ذلك الحين، وللمرة الأولى في التاريخ، أن أوروبا أدركت في نفسها وحدة، ولكنها وحدة في وجه العالم الإسلامي...)^(٢)، أقول: ليست هي المرة الأولى، فالأولى كانت في الأحزاب، لكنه التاريخ يجدد نفسه، فينسى الكافر خلافه وعدائه مع الكفرة الآخرين، ويعمل معهم بجد من أجل الوحدة والعمل الجماعي ضد الإسلام، يقول أحدهم: (ينبغي للمبشرين أن يتظافروا، ويتعاونوا؛ لتكون ثمرات مجهوداتهم وهم متحدون أربعة أمثالها وهم متفرقون)^(٣).

واليوم يجدد العالم الكافر وحدته مع بعضه ضد الإسلام، يوجه حرابه المسمومة بكل حرية، ينسى أحقاده وعداواته القديمة، فهذه الكنيسة النصرانية تتخلى عن عقائدها بعد أكثر من [١٩٠٠] سنة لأجل الاتحاد مع الصهيونية ضد المسلمين^(٤)، وقاعدتهم في ذلك: التعاون المستمر، تحت قيادة القادر، ودعم العاجز، ففي البداية كانت القيادة والريادة بأيدي الأوربيين عموماً، على اختلاف مذاهبهم^(٥)، ثم ورثت أمريكا النفوذ البريطاني والفرنسي في أغلب مناطق العالم

(١) سورة الأنفال، الآية ٧٣.

(٢) الإسلام على مفترق الطرق، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣) شاتليه، الغارة، ص ١٢٣.

(٤) انظر الغزالي، حصاد الغرور، ص ٦٧ - ٧١؛ وانظر إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي، «علاقة اليهود الدينية والسياسية بالفاثيكان»، جريدة العالم الإسلامي، ١٠/١٤١٤ هـ، العدد ١٣٥، ص ١٣.

(٥) انظر شاتليه، مرجع سابق، ص ٣٠ - ٣٤، ١٩٨ - ٢٠٠؛ وانظر أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج ٣ ص ٢١٥.

الإسلامي، بعد عجزهما عن القيام بالدور المطلوب منهما على الوجه الأمثل^(١)، يقول أيوجين روستو: (إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل لتاريخ العالم الغربي، فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف على الطرف النقيض الآخر من تاريخ العالم الشرقي، بفلسفته، وعقيدته المتمثلة في الدين الإسلامي، وليس في وسع أمريكا التنكر لانتمائها للعالم الغربي، إذ إنها بذلك إنما تنكر للغتها، ودينها، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام، وإلى جانب العالم الغربي، والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها)^(٢).

إذا فهم وحدة متماسكة، تتعاون وتتعاقد في سبيل تحقيق الهدف المنشود، فقبل حرب (١٩٦٧ م - الموافق ٢٧/٢/١٣٨٧ هـ-) بين المسلمين وإسرائيل، قام الصهاينة بمظاهرة لجمع التبرعات في باريس وكتبوا لافتة تحمل عبارة: (قاتلوا المسلمين)، فالتهب حماس الصليبيين، وجمعوا خلال أربعة أيام مليار فرنك، دعموا بها الصهيونية في مواجهتها للمسلمين^(٣)، ويقول الأنبا شنودة زعيم أقباط مصر: (ليعلم الجميع، وخاصة ضعاف القلوب، أن الدول الكبرى في العالم تقف معنا، ولسنا نعمل وحدنا، ولا بد أن نحقق الهدف)^(٤)، إنه الهدف الذي يسعى لأجله العالم الكافر غريبه وشرقيه على حد سواء، ورد في تقرير لوكالة فيدس الفاتيكانية في عام [١٩٨٥ م - الموافق ٤/٤/١٤٠٥ - ٤/٤/١٤٠٦ هـ-]: أن للعمال الآسيويين في منطقة الخليج دوراً بارزاً، ومؤثراً في أعمال التنصير^(٥)؛ لأن سياستهم التنصيرية تعتمد على أنه: (ما لم يشترك الناس العاديون في عملية التنصير العالمي، فإن المهمة سوف لن تكتمل أبداً)^(٦)؛ لذلك قالوا: (يجب أن نشجع اشتراك

(١) انظر مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، الطبعة الأولى، ص ٥٧ - ٥٨؛ وانظر جريشة، الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ص ٤٨.

(٢) سعد جمعة، المؤامرة ومعركة المصير، ص ٨٢.

(٣) محمد جلال كشك، طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية، (بيروت: دار الإرشاد، الكويت: مكتبة الأمل)، ص ٢٠ - ٢١؛ وانظر زهدي الفاتح، لورنس العرب على خطى هرتزل، الطبعة الرابعة، ص ٢٣.

(٤) الجبهان، معاول الهدم والتدمير، ص ٢٩.

(٥) انظر عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٢٢.

(٦) انظر الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري، بولاية =

المغتربين من غير الغربيين في مهام كهنوتية^(١)، كل هذا العمل الجماعي، والوحدة المشتركة؛ لأجل مواجهة الإسلام، والتصدي لنوره. أمام هذه الحقائق حول ما اصطلاح عليه بالغزو الفكري، هل ينطبق هذا الاسم، على ما مر معنا وهل يُعبرُ عنه التعبير الحقيقي الذي يحمل كل مخاطره؛ لأن من الواجب علينا الأخذ بالاسم المعبر عن هذا الواقع المليء بالعداوة السافرة، والخطط الماكرة، فهل يمكن للعدو أن يقدم خيراً لعدوه، يجيب على ذلك من يعلم السر وأخفى بقوله: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٢).

ولا أشك في أن هذه التسمية تتمشى مع غاية الأعداء في إبعاد الصفة الدينية عن ما يدور بيننا وبينهم، وتبرز اليوم بصفة أكثر من ذي قبل، فالعالم اليوم يعيش في صراع فكري مادي بين أممه وشعوبه، فهذه فرنسا تحارب الغزو الثقافي الأمريكي، وتحاول إبراز استقلاليتها الثقافية المادية المنحرفة^(٣)، فهل ما يجري بيننا وبين الأعداء من صراع كهذا الغزو الذي يدور بين أممهم؟!.

الفرع الثاني

الأهداف

معرفة العدو جزء من مواجهته والاحتياط له، والله سبحانه وتعالى الأعلّم بأعداء المسلمين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾^(٤)، بين لعباده أعداءهم، فقال تعالى: ﴿... إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُرُودًا مُؤَيَّنًا﴾^(٥)، وأنها متأصلة في حركاتهم وسكناتهم، وفي كافة أنشطتهم، مهما أظهروا من مودة ظاهرة

= كولورادو، في الولايات المتحدة الأمريكية، سنة [١٩٧٨ م]، التنصر: خطة لغزو العالم الإسلامي، نشر: دار MARC، ص ٧٠٢.

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

(٣) انظر «الثقافة تلت الزراعة في خلاقات الجات، فرنسا تخشى من مظاهر الغزو الثقافي

الأمريكي»، جريدة الرياض، ١٨/٥/١٤١٤ هـ، العدد ٩٢٦٢، ص ٢٩.

(٤) سورة النساء، الآية ٤٥.

(٥) سورة النساء، الآية ١٠١.

قال تعالى: ﴿إِنْ يَشْفِقُوا كَلِمَ أَعدَاءِ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾^(١).

والعدو في صراعه مع عدوه يهدف إلى غاية محددة، وهي الموافقة على السير وفق رغبته وهواه والكفار كذلك في صراعهم مع المسلمين يهدفون إلى غاية معينة، بيّنها تعالى بقوله: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ...﴾^(٢)، وهذا أعلنوه في أكثر من مؤتمر تنصيري يقول أحدهم: (قد أزف الوقت الذي يُزعزع فيه الإسلام من أركانه، وينتشر الإنجيل بين الشعوب الإسلامية)^(٣)، هذا هو الهدف من صراعهم مع المسلمين، لكنهم ومن خلال تجاربهم العديدة قد أدركوا استحالة تنصير المسلمين، وإخراجهم من دائرة الإسلام إلى النصرانية، يقول المنصر رايد: (ثم إن ذلك الحاجز العظيم الذي يُدعى عادة بالتعصب، وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات، ومن الكره، قد بناه الإسلام حول أتباعه؛ ليحميهم في داخله، وليترك المبشر خارجه، إنه جدار طالما أثبت مع الأسف أن تسلقه، أو اختراقه مستحيل، إن رجالاً من المبشرين قد عملوا سنين متوالية، وفي مدينة واحدة، ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقاً، أو صديقين)^(٤).

إذا فهم على قناعة تامة بأن نشاطهم التنصيري قد خاب، ولم يبق لهم سوى ما يكون من آثار التضليل^(٥)، أمام هذه الحقيقة المُزعجة لهم، ومع إدراكهم لعدة حقائق منها:

١ - عدم قبول الكنيسة عند كثير من النصارى، مما يعرضها للاهتزاز أكثر في ما لو صرحت بفشل خطط تنصير المسلمين^(٦).

٢ - تدرك الكنيسة أن ما وصلت إليه أوروبا من علوم كان بفضل علماء الإسلام

(١) سورة الممتحنة، الآية ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٣) شاتليه، الغارة، ص ١٠٨.

(٤) خالدى، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٤٧.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٤٦؛ وانظر الصواف، المخططات الاستعمارية، ص ١٦١؛ وانظر

«على ذمة صنداى إكسبريس: [٢٥٪] من رواد الكنيسة، لا يؤمنون برواية الإنجيل عن مولد

المسيح»، جريدة المدينة، ١٤/٨/١٤١٤ هـ، العدد ١١٢٥٧، ص ١١.

(٦) انظر أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٤٧.

في الأندلس، وهذا ما يؤكد كثر من علمائهم الواقعيين^(١)، يقول بريفولت: (ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي، إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة)^(٢) ويعترفون به في مؤتمراتهم الخاصة، يقول أحدهم: (إن الثقافة الغربية مدينة للثقافة الإسلامية، التي تمكن علماءها من حفظ تراث العصور القديمة، وترجمته للأجيال المتعاقبة، بالإضافة إلى إسهامات المسلمين الأصلية في الرياضيات، والعلوم)^(٣)، وتدرك أيضاً أن الاعتراف المعلن بهذا الدور البارز والمؤثر للإسلام في بناء الحضارة الغربية المعاصرة، سيجعل من العسير جداً مواجهة المد الإسلامي داخل البلاد النصرانية فضلاً عن مواجهته خارجها.

٣ - أن الكنيسة على يقين من خرافاتها وضلالاتها المتعددة، ومن عدم قدرتها على مواجهة الروح الإسلامية^(٤).

أمام هذه الحقائق كان على الكنيسة مواجهة المد الإسلامي الذي وصل إلى مشارف أوربا، وكيف لها ذلك وهي في موقف لا يسمح لها بالإعلان عن ما أسفرت عنه الصراعات والمحاولات السابقة لذلك لجأت إلى أسلوب التمويه والمخادعة مع أتباعها، فهي تحدد لهم الهدف وتعلن بأنه: التبشير بالنصرانية، وأن طابع هذه الحروب، الدعوة إلى دين التسامح والخلاص، في الوقت نفسه، وأمام هذا الإعلان، فالحقائق السابق ذكرها لا تغيب عن أذهان القائمين على تلك الحملات، يعملون على إخفائها، حتى عن الكثير من المنصرين، الذين يجهلون الأبعاد الحقيقية لأعمالهم، يقول زويمر: (لقد أدبتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن الأداء، ووفقتم لها أسمى التوفيق، وإن كان يخيل إليّ أنه مع إتمامكم العمل على أكمل وجه، لم

(١) انظر زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوربة، الطبعة الثامنة؛ وانظر محمد أسد، المرجع السابق، ص ٤٣، ٥٩؛ وانظر الفاتح، لورنس العرب، ص ٣٠ - ٣١، ٨٤ - ٨٥.

(٢) ... ((بناء الإنسانية))... محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، الطبعة الثالثة، ص ١٥٠.

(٣) الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٢٠٢.

(٤) انظر لماذا أسلمنا، مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناقهم الإسلام، ترجمة: مصطفى جبر، ص ١١٦، ١٣٧، ١٧٢، ١٧٩.

يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه^(١)، ويقول ويتبر تشت: (أجل إذا تصفحنا الإحصائيات، يتبين لنا أن عدد المسلمين الذين تنصروا وتعمدوا، هو عدد غير مسر وغير مرض؛ إلا أن هذا العدد مهما يكن قليلاً بذاته، فإن أهميته أعظم مما يتصور المتصورون)^(٢).

لقد ضللوا أبناءهم، وحجبوا عنهم تلك الحقيقة التي فرزتها لهم الحروب الصليبية، والصراعات التالية لها، وهي: استحالة تنصير المسلمين، وأسروا في أنفسهم الهدف الحقيقي لهم، والذي لا يتجاوز إفساد عقائد المسلمين، وتغيير العقلية الإسلامية^(٣)، يقول شاتليه: (ولاشك في أن إرساليات التبشير من بروتستانية، وكاثوليكية، تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك إلا بيث الأفكار)^(٤).

هذه الحقيقة حُجبت عن أذهان كثير منهم؛ بل إن الكنيسة تعمل على تشويه الإسلام في نظر أبنائها إمعاناً في ترسيخ ذلك الهدف المُعلن، يقول ادوارد ميد ايرل، أحد أساتذة التاريخ في جامعة كولومبية في أميركا: (الرأي العام الأمريكي، قد طويت عنه بعض المعلومات، أو غُذي بمعلومات خاطئة، أو دُفع إلى موقف عدائي)، وعلل ذلك بما قُدم لهم من: (صورة ناقصة مشوهة، أو ساخرة في بعض الأحيان للمسلمين وللإسلام)^(٥)، ويقول أمريكي أسلم حديثاً: (نظرتي للإسلام كانت خاطئة ومشوشة، بالإضافة إلى ما ينقله التلفزيون الأمريكي من أخبار الحروب بينهم، وهكذا كان كل شيء حولي يزعم أن الإسلام سييء، والمسلمين إرهابيون)^(٦).

إذاً فهدفهم الحقيقي من صراعهم مع المسلمين هو ما صرّحوا به في

(١) عبد الله التل، جذور البلاء، الطبعة الثالثة، القسم الأول، ص ٢٧٥.

(٢) شاتليه، الغارة، ص ٩٣.

(٣) انظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٤٦؛ وانظر أنور الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ص ٣٤ - ٤٠.

(٤) شاتليه، مرجع سابق، ص ١٧.

(٥) خالد، فروخ، المرجع السابق، ص ٢٣ - ٢٤.

(٦) «قصة أمريكي أسلم في أثناء التحضير للماجستير»، جدة: جريدة المسلمون، ١٤١٤/٩/٢٢ هـ، العدد ٤٧٤، ص ١٢.

مؤتمراتهم، وبين الخواص منهم وهو القضاء على الإسلام في النفوس، وترك المسلمين بلا دين^(١)، يقول المنصر زويمر في أحد المؤتمرات: (مهمتكم: أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها. . . إنكم أعددتُم نشأً لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أرادته الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز في سبيل الشهوات. . . إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه، وقد انتهيتُم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم)^(٢)، ويقول فاسكو دي جاما بعد رحلته الاستكشافية، وعند وصوله إلى المحيط الهندي: (الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الجبل ليختنق ويموت!)^(٣)، فهدف رحلته دراسة مداخل العالم الإسلامي ومخارجه، وهي اليوم تدرس على أنها رحلة علمية استكشافية عظمى.

(١) انظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٩٢ - ١٠٦.

(٢) التل، جذور البلاء، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ١٨٩.

المطلب الثاني التحليل

وذلك في الفروع التالية :

الفرع الأول الوسائل والأساليب

سلك الأعداء في مواجهتهم للمسلمين جميع الوسائل الممكنة والمتاحة لهم، وعملوا على تطويرها مع الأيام، فاستغلوها أفضل استغلال بفضل عنايتهم الفائقة بتلك الوسائل التي من أبرزها :

١ - إجراء الدراسات والبحوث .

فجميع خطواتهم تتم بعد تخطيط مسبق، وفق منهج علمي مدروس، يعطي وزناً لنتائج المراحل السابقة، ويضع رؤية للمرحلة القادمة، ويُعد الأشخاص للقيام بهذه المهمة، بما يزرع في نفوسهم من قدرة على فهم روح الشرق، ومعارفه^(١)، دراسة تختلف باختلاف العصر، والمكان، والظروف فلكل حال، وزمان، وبلد ما يناسبه، كانت البداية تلك الدراسة المتخصصة التي قام بها الراهب بطرس الفنرابلي، رئيس دير طولونيا بفرنسا عندما دعا إلى دراسة القرآن الكريم، وترجمته باللغة اللاتينية^(٢)، وامتدت حتى أيامنا هذه التي تشهد المؤتمرات والندوات المتعددة^(٣).

(١) انظر شاتليه، الغارة، ص ٥٣ - ٥٥، ١٢٩؛ وانظر خالدي، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٤٧، ٢١٧؛ وانظر عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٩٧ - ١١٧؛ وانظر محمد

الحداد، الإسلام في وجه التحديات، الطبعة الأولى، ص ٥٠ - ٦٨.

(٢) انظر الصواف، المخططات، ص ٨٥.

(٣) انظر الترجمة الكاملة، التنصر؛ وانظر الصواف، المرجع السابق، ص ٥٥ - ٥٩.

أما الدراسات الاستشراقية المختلفة فقد كان لها أثر بارز في فهم الإسلام، والمسلمين، وبلادهم، مما كان له أبلغ الأثر في نجاح كثير من الخطط^(١)، يقول محمد نعيم ياسين: (ومن أساليب هذه الحرب الفكرية التي يستعملها الأعداء، أنهم يبعثون بجواسيسهم الخبراء في شؤون الفكر والنفس الإنسانية إلى البلاد الإسلامية، ليكتشفوا لهم مصادر الفاعلية، ومنابع القوة المعنوية عند الإنسان المسلم، وكان من مظاهر ذلك في القرون المتأخرة: الحركة الاستشراقية الواسعة التي داهمت الشرق المسلم، ومن ورائها الحركة التبشيرية المتعصبة الحاقدة)^(٢).

ومن أبرز الموضوعات التي حظيت وتحظى بعنايتهم: دراسة القرآن الكريم؛ للوقوف على آيات المناقشة فيه. ومنها الإلمام التام بلغات المسلمين نظرياً وعملياً. ومنها معرفة خفايا النفس الإسلامية من حيث الأفكار والشعور، والعواطف، والميول؛ ليستطاع بذلك الوصول إليها من أقرب الطرق. ومنها معرفة أحوال البلاد الإسلامية، ومعرفة أسباب نمو الإسلام وانتشاره، تمهيداً لوقفها، والحيلولة دون استمرارها^(٣). ومنها الاعتناء بالحال، واختيار الموضوعات، يقول أحدهم: (يجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة، وأن يخطف المبشر وهو جالس؛ ليكون أشد على السامعين، وأن لا تتخلل خطباته كلمات أجنبية عنهم، وأن يبذل عنايته في اختيار الموضوعات)^(٤).

إذاً فكل خطواتهم تتم بعد دراسة شاملة، يعقد لها مؤتمرات تنصيرية، واستعمارية^(٥) خاصة بذلك ويجعل لها مركز أعصاب، مهمته خدمة الحركة التنصيرية^(٦)، يقول زويمر: (شعر زعماء التبشير بأن الكنيسة لا بد لها من سبر غور

(١) انظر عمر فروخ، المستشرقون ما لهم وما عليهم، سلسلة كتب الاستشراق، العدد الأول، كانون الثاني، ١٩٨٧ م، ص ٥٤.

(٢) افتراءات حول غايات الجهاد، الطبعة الأولى، ص ٥.

(٣) انظر شاتليه، الغارة، ص ٥٣ - ٥٥، ١٢٠، ١٥٤، ١٦٩ - ١٧٣، ١٩٤، ١١٠ - ٢١٢؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٣٦، ٤٧ - ٥٠، ٢٧١ - ٢٨٦، ٥٧٠ - ٥٨٦، ٦٦٩ - ٦٨٨، ٧٩٣؛ وانظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢١١ - ٢٢٠.

(٤) شاتليه، المرجع السابق، ص ٥٣؛ وانظر الترجمة الكاملة، المرجع السابق، ص ١٢١.

(٥) انظر شاتليه، المرجع السابق، ص ٤٩، ١٠٦، ١٣٣، ١٤١.

(٦) انظر الترجمة الكاملة، مرجع سابق، ص ٢٠، ٦٧.

المسألة الإسلامية، وأن تحسن العناية بتربية المبشرين، وتتوقع خيراً من أعمالهم، ومهمة تنصير المسلمين تقضي بإيجاد ميدان مشترك للعمل، تتصافر فيه الأفكار، والأبحاث والمجهودات^(١)، وجاء في كلمة الأنبا شنودة، في أحد الاجتماعات المغلقة التي عقدها مع قساوسة وأثرياء الكنيسة المرقسية في الإسكندرية: (يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية، على أن الخطة التبشيرية التي وضعت، بنيت على أساس أن الهدف الذي اتفق عليه من التبشير في المرحلة القادمة هو التركيز على التبشير بين الفئات والجماعات، أكثر من التبشير بين الأفراد)^(٢). هذه الدراسات والخطط جعلتهم يجعلون من الأصول الإسلامية غرضاً لحراهم المسمومة، وسهامهم الكيدية، سواء في ذلك القرآن الكريم والعقيدة، أو الرسول ﷺ والسنة النبوية، أو السيرة والجهاد يقول بالكراف: (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه)^(٣)، ولعدم قدرتهم على إبعاد هذه الأصول كما مر معنا، فقد عمدوا إلى التشكيك فيها، ومحاولة زعزعتها في نفوس المسلمين، يقول المنصرتكلي: (يجب أن نستخدم كتابهم وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه؛ لنقضي عليه تماماً. يجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً)^(٤).

ووجهوا سهامهم صوب الخلافة الإسلامية الممثلة في العصر الحديث في الخلافة العثمانية حتى أسقطوها، يقول المنصر لبيوس رئيس إرساليات التبشير الألمانية: (وبما أن كل الشعوب الإسلامية تولي وجوها نحو الأستانة عاصمة الخلافة؛ فإن كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة إذا لم نتوصل إلى قضاء لبانتنا فيها. ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية إرساليات التبشير الألمانية، هو: بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة، وهي قلب العالم الإسلامي)^(٥).

كما عمدوا إلى محاربة مدارس المسلمين المؤثرة، كالأزهر الذي وجهوا له

(١) شاتليه، مرجع سابق، ص ١١٤ - ١١٥.

(٢) الجبهان، معاول الهدم والتدمير، ص ٢٧ - ٢٨.

(٣) شاتليه، مرجع سابق، ص ٩٣ - ٩٤.

(٤) خالدي، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٤٠.

(٥) شاتليه، الغارة، ص ٢٤٢.

السهام، وسلطوا عليه الحراب؛ لأنه يقف في طريق تحقيق مقاصدهم^(١).

وللجهاد نصيب وافر من تلك الحملات المسمومة، فبعد أن أدركوا مدى القوة التي يزرعها في قلوب جند الإسلام، عملوا على تشويبه، ووصفه بكل الصفات الهمجية والممقوتة، وجعلوه مظهراً من مظاهر التعسف والقهر التي لا تليق بالحياة العصرية كما زعموا، على أمل تحقيره في أذهان أبناء المسلمين، وتفجيرهم منه، فقالوا الجهاد حرب عدوانية همجية، تقوم على القهر والغلبة، يقول جب: (إن الحروب الإسلامية عدوانية، توسعية)^(٢). وادعوا أن الجهاد دعوة عصبية، حيث يقول أحدهم: (الذي انتصر في الفتح الأولى، لم يكن الإسلام الذي هو الدين، بقدر ما كان الإسلام الذي هو الأمة الدولة التي أنشأها محمد [ص] - ﷺ - أي: العصبية العربية)^(٣). ومنهم من وصف الجهاد بأنه حركة تبحث عن رغد العيش، وخصوبة الحياة، حيث يقول: (اتفق لشبه جزيرة العرب القاحلة - والمحاطة بالماء من ثلاث جهات - مراراً كثيرة من قبل أن يبلغ سكانها مبلغاً احتاجوا معه إلى أن ينساحوا في بلاد الهلال الخصيب، طلباً لحياة أكثر خصباً، أما في الزمان الذي نؤرخه، فإن الدين هو الذي جاء بالشرارة التي أشعلت برميل البارود)^(٤)، ويقول آخر: (إن مناخ الجزيرة أصيب بجفاف في القرن السابع، مما دفع العرب إلى الهجرة منها، ومهاجمة البلاد التي تناخمها)^(٥). وجعلوا الجهاد حركة ذات أهداف مادية، يقول جولد تسهير: (... كان عليه - ﷺ - أن يقوم بكفاح مادي... وكان هذا الجهاد المادي العالمي، هو الوصية التي تركها محمد [ص] لخلفائه)^(٦).

(١) انظر المرجع السابق، ص ٥٧، ٢٥٤؛ وانظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢، ص

٣٠٨ - ٣٠٩؛ وانظر محمد قطب، واقعا المعاصر، ص ٢١٧.

(٢) (... (دراسات في حضارة الإسلام، ص ٥٠)). كامل الدقس، آيات الجهاد في القرآن

الكريم، دراسة موضوعية، وتاريخية، وبيانية، (الكويت: دار البيان)، ص ٩٩.

(٣) فيليب حتى، الإسلام منهج حياة، الطبعة الثالثة، ص ١٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٦١.

(٥) محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، دحض شبهات ورد مفتريات،

الطبعة الثالثة، ص ١١٨.

(٦) العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، نقله إلى

العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق،

ص ٣٥.

ورمونه بأنه حركة تهدف إلى نشر الإسلام بالسيف، فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية: (الجهاد: نشر الإسلام بالسيف)^(١)، ويقول جولد تسهير: (مهمة المجاهدين في الإسلام لم تكن هداية الكافرين فحسب، بل وإخضاعهم أيضاً)^(٢).

لقد غاب عن أذهان أولئك، أو هم تجاهلوا تلك الآداب والفضائل التي يتحلى بها الجندي المسلم في جهاده، وتلك الغايات السامية، والأهداف النبيلة للجهاد. إن ما نسب للجهاد من تهم باطلة، تنفيها توجيهات الإسلام، وحقائق السيرة النبوية، والتاريخ سئل ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة؟ والرجل يقاتل حمية؟ والرجل يقاتل رياء؟ والرجل يقاتل للمغنم؟ والرجل يقاتل ليذكر؟ والرجل يقاتل ليُرى مكانه؟ فمن من هؤلاء في سبيل الله؟^(٣) فقال ﷺ: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله))^(٤)، هذا هو الجهاد الإسلامي، أما ما خرج عن هذه القاعدة، فليس من الجهاد في شيء يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: الإسلام (لا يعد القتال غاية لذاته، ولا يأذن به إلا لغاية أكبر من المهادنة والموادعة... إن السلام هو غاية الإسلام... ولكنه السلام الذي لا اعتداء فيه، ولا ظلم ولابغي ولا عدوان، أما حيث يقع البغي والعدوان على أي مقوم من مقومات الإنسانية الفاضلة، كحرية العقيدة وحرية العبادة، والعدل في الحكم، والعدل في الجزاء، والعدل في توزيع المغنم والمغارم، والحقوق والواجبات، واستقامة السلوك الفردي والجماعي على حدود الله... أما حيث يقع البغي على أي مقوم من هذه المقومات، في أية صورة من الصور، سواء وقع من فرد على فرد، أو من فرد على جماعة، أو من جماعة على فرد أو جماعة، أو من دولة، فالإسلام لا يرضى حينئذ بسلام يقوم على هذا العدوان)^(٥)، هذه حقيقة الجهاد، إن لله وفي سبيله^(٦).

(١) يصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، مادة جهاد.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٤٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في ظلال القرآن، ج ٥ ص ٦٠٤؛ وانظر السلام العالمي والإسلام، (دار الشروق)، ص ١٦٩ - ١٧٧.

(٦) انظر المودودي، الجهاد في سبيل الله، ١٣ - ١٩.

أمّا ما قالوه حول الجهاد، فقد حكم فيه أحد المتميزين بحسن النية والفهم عندهم، توماس كارليل الملقب عندهم بنبي الكتاب، حيث انتهى بحكمه إلى أن ذلك الزعم غاية في السخف، والغثاثة، وأنه أضعف من أن يعتبر كذباً يحتاج إلى تصحيح، وأظهر بطلاناً من أن يناقش ويرد عليه^(١).

وحقيقةً، ماذا ينتظر من العدو تجاه عدوه؟! أيبين خصال خصمه الحميدة؟! أم يرضي عليه ما ينفر منه، ويشوّهه؟! وتلك أمور بدهية للإنسان السوي^(٢).

٢ - التعليم .

بعد إدراكهم لمكانة العلم لدى المسلمين، ولما له من أثر فاعل في حياتهم، جعلوا منه وسيلة ومدخلاً لأجل الوصول إلى أهدافهم، حتى قال قائلهم: (إن المبشر الأول هو: المدرسة)^(٣)؛ لذلك جعلوه مقياساً لمعرفة مدى تأثير المسلمين بالأفكار الأجنبية، ووضعوا فيه الكثير من خططهم الماكرة^(٤) والتي من أبرزها:

أ: إنشاء المدارس الكافرة في البلاد الإسلامية، ليس بهدف التعليم، وإنما لأجل مزاحمة المدارس الإسلامية، وإخراج الطلبة منها، وتهيئة جو نصراني، وسلوك مسيحي، يُشئء المتعلم ومعه فلسفة الحياة النصرانية^(٥)، يقول المنصر داني عن التعليم: (وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية، والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب)^(٦)، ويقول هوارد ويلس أحد الرؤساء السابقين للجامعة الأمريكية في بيروت: (التعليم في مدارسنا، وجامعاتنا، هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم، وانتزاعه من قبضة الإسلام)^(٧).

(١) انظر عباس محمود العقاد، ما يقال عن الإسلام، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية)، ص ١١٠.

(٢) انظر تفنيد الشبه حول غايات الجهاد، عند: ياسين، افتراءات حول غايات الجهاد.

(٣) خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٧١.

(٤) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢١٦ - ٢١٧؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٢١٣.

(٥) انظر شاتليه، الغارة، ص ٩٢؛ وانظر خالد، فروخ، مرجع سابق، ص ٦٧ - ٦٨، ٧٨؛ وانظر محمد حسين، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٧.

(٦) خالد، فروخ، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٧) عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٧٩.

ولمَّا لم تنجح مثل هذه المدارس النجاح المأمول في البلاد الإسلامية، بحثوا عن خطة أخرى، فاهتدوا إلى: تشجيع ازدواجية التعليم، يقول اكسنفلد: (إن الحكومة لا بد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين في المدارس العلمانية، ما دام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية)^(١)، وجعلوا منها خطوة أولى في الطريق إلى القضاء على الروح الإسلامية التي يحييها التعليم الإسلامي^(٢)، الذي وجد ويجد منهم كل تضيق، في مقابل دعم التعليم اللاديني بكل الوسائل الممكنة والمتاحة^(٣).

ب: تقديم المنح التعليمية لأبناء المسلمين، من خلال ابتعائهم للدراسة في البلاد الأجنبية، أو احتواء المبتعثين الموجودين في البلاد الأجنبية، وفي ذلك اكتساب لأساليب الحياة الكافرة، واقتباس عشوائي لطريقة التفكير والمعرفة والسلوك^(٤).

ج: تعليم اللغات الأجنبية، واستغلال ذلك في تسريب الأفكار الكافرة^(٥).

د: استغلال التربية الكافرة كقوة بها تنحل عرى الروابط الإسلامية^(٦).

هـ: فتح مكاتب علمية، بهدف بيع الكتب بأسعار زهيدة، ونشر الكتب ذات الموضوعات الدينية الخاصة^(٧).

و: الترجمة، على أن تكون الأولوية لتحقيق أهدافهم^(٨)؛ يقول القسيس

(١) شاتليه، الغارة، ص ١٣٦.

(٢) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢١٧.

(٣) انظر المرجع السابق، ٣٠٨ - ٣٠٩؛ وانظر محمد جلال كشك، الغزو الفكري، ص ٤٨؛ وانظر سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، الطبعة الثانية، ص ١٨٢.

(٤) انظر شاتليه، مرجع سابق، ص ٨٩؛ وانظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٨٨.

(٥) انظر شاتليه، المرجع السابق، ص ١٧ - ١٨؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٥٤٦؛ وانظر الحداد، الإسلام في وجه التحديات، ص ٤٤.

(٦) انظر شاتليه، المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٧) انظر المرجع السابق، ص ٥٥، ٥٩، ٧٩، ٨١، ٩١، ١٦١، ١٨١؛ وانظر خالد، فروخ، مرجع سابق، ص ٢١٠.

(٨) انظر المرجع السابق، ص ٤٨.

هاريك: (أما ترجمة الإنجيل وكتب التبشير إلى اللغة التركية بدون مناقشة ومجادلة، فكانت أكثر فائدة، وأعم نفعاً، وقد تبين أنه بمجرد اشتراء المسلمين لهذه الكتب، ومطالعتهم لها، صارت تدد أوهامهم القديمة)^(١).

هكذا استغلوا التعليم في جميع المراحل والمستويات، في تحقيق أغراضهم، وتنفيذ مخططاتهم الكافرة في زعزعة العقيدة، وتقريب الحياة الكافرة للنفوس؛ لتكون البذرة التي تؤتي ثمرتها بعد حين، يقول المنصر تكلي: (يجب أن نشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي، إن كثيرين من المسلمين قد زُرع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانكليزية، إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس، أمراً صعباً جداً)^(٢)، ويقول هوارد بلس: (إن الجامعة توفر مناخاً نفسياً لا يستطيع واحد الإفلات من تأثيره، والطالب لا يعي حقاً التغييرات الحاصلة دائماً في داخله، وقد ينكر بكل نية حسنة أنه يتأثر تأثيراً شديداً بمحيطه، وثمره هذه البذرة قد لا تأتي إلا بعد مدة طويلة من مغادرة الطالب للكلية)^(٣).

والناظر لأحوال التعليم في البلاد الإسلامية يلحظ عدة أمور، منها: أن المواد الدينية مواد ثانوية بالنسبة لغيرها، سواء بالنسبة للمنهج، أو النجاح والرسوب. كما يلحظ مزيداً من التركيز والعناية بالمواد الكمالية، التي لا تفيد الطالب في حياته العلمية والعملية، ويلحظ أيضاً استغلال العلوم الاجتماعية والنفسية والاقتصادية، في بث النظريات الأجنبية. مع البعد عن كل ما ينمي الروح الإسلامية. كما يلحظ الناظر أيضاً العمل على ربط الطالب بالحياة الكافرة من خلال النظام المطبق في المدارس والجامعات، واللغة التي يدرس بها، والتاريخ الذي يدرسه^(٤).

كل ذلك أسهم ويسهم في قتل الروح الجهادية عند الفرد المسلم، بعد تربيته وإعداده بما يقضي على كل أثر للقوة الروحية التي قد تدفعه إلى ميادين الجهاد المختلفة.

(١) شاتليه، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٢) خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٨٨.

(٣) . . . (حتى تكون لهم حياة، ص ١٩٣) . . . نبيل صبحي، «تخريب منظم، لعقول الناشئة في المجتمعات الإسلامية»، قطر: مجلة الأمة العدد الخمسون (صفر/ ١٤٠٥ هـ): ص ٣١.

(٤) انظر السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ١٨١ - ١٨٢.

استغلوا حاجة المسلمين إلى الطب، فجعلوا منه مدخلاً إلى القلوب، ونواة أولى لأجل التنصير، أولوها جُلَّ عنايتهم، يقول أحدهم: (حيث تجد بشراً، تجد آمناً، وحيث تكون الآلام، تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب، فهناك فرصة مناسبة للتبشير)^(٢)، فجعلوا من الحاجة الماسة للطب، وسيلة لتحطيم العقبات التي تعترض طريقهم، يقول القسيس الألماني سيمون عن الإرساليات الطبية، هي: (مثل الشوك في أجسام زعماء المسلمين، الذين يسلون أنفسهم قائلين: إن الله أرسل هؤلاء الأطباء ليخدمونا)^(٣)، وذلك تعبير دقيق عن أثرها الحقيقي الذي يجهله كثير من المسلمين. وتبعاً لذلك فالطبيب المنصر على صلة دائمة بالجمهور، مما يجعل له أبلغ الأثر في النفوس لذلك أقاموا المستشفيات، والمراكز الصحية الثابتة والمتحركة، واستقبلوا المرضى، وكان هدفهم الأساس دائماً ليس الخدمة الصحية، وإنما كما قالوا: (نحن متفوقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات، أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة، معرفة ربنا يسوع المسيح، وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية)^(٤)، وتلك الغاية الرئيسة من البعثات الطبية، التي لا تفتقر لحظة واحدة من أجل تحقيق الغاية الرئيسة، يقول أحدهم: (يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا يَنسى ولا في لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء، ثم هو طبيب بعد ذلك)^(٥)؛ لأجل تهيئة المسلمين وتخديرهم؛ لتَقَبَّل ما يُلقى إليهم من أفكار وشبهات، يقول زويمر: (والمرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة إلى مستشفيات المبشرين في الموصل، وبغداد، والبصرة والبحرين، والشيخ عثمان، وعدن، وعندما يرحل الأطباء جائبين البلاد، ينثرون في النفوس بذوراً يمكن

(١) انظر شاتليه، الغارة، ص ٦٠ - ٦٣، ٩١؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٢١٣،

٦٩٥؛ وانظر خالدى، فروخ، مرجع سابق، ص ٤٨، ٥٨ - ٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٣) شاتليه، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٤) خالدى، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٥٩ - ٦٠.

(٥) شاتليه، الغارة، ص ٦٢.

للمبشرين وبائعي الكتب أن يحصدوها بعد ذلك، وينمو غراسها^(١).

واليوم هم منتشرون في أغلب بقاع العالم الإسلامي، ففي الشرق الأوسط ما يربو على [١٣٠٠] منصر متفرغ، معظمهم يديرون مراكز طبية^(٢).

٤ - الأعمال الاجتماعية.

الخدمة الاجتماعية وسيلة جديدة، تناسب بعض الأحوال والبلدان، عمد إليها الأعداء فدعموا وشجعوا إقامة المناسبات واللقاءات التي تجمع أكبر عدد من أفراد المجمع الإسلامي، كما في الأنشطة الاجتماعية المتعددة التي تقام في الأندية الرياضية والأدبية والاجتماعية، وكما في الرحلات الترفيهية والأنشطة الكشفية، ونحو ذلك مما يكون فيه المجال رحباً لبث الحياة الأجنبية وتحبيبها للقلوب^(٣). كما يتم أيضاً استغلال المناسبات الرياضية والاجتماعية^(٤) ونحوها في الدعوة إلى الفكر الكافر، ولك أن تتمعن كيف أصبحت الرياضة متنفساً لهم داخل بعض البلدان الإسلامية، فمن خلال الرياضة يمارس الكافر صلاته وكأنه في معبده، فهذا نصراني قبل أن يهيم في دخول الميدان لأداء لعبة رياضية يؤدي صلاته في اللحظة التي توجه فيها أنظار المسلمين إليه من خلال أجهزة تصوير النقل المباشر للحدث الرياضي^(٥)، وهذا حديث رياضي آخر يتم معه بث لقطات تعبر عن دعوة ماجنة للإباحية والسفور.

٥ - الأعمال الخيرية.

من خلالها يتم تصوير النصرانية على أنها مصدر الأعمال الخيرية^(٦)، بفعل ما تقوم به من إقامة الملاجىء، وتقديم المساعدات المالية، والغذائية، والكسائية، والصحية، في الأحوال العادية عامة، وعند وقوع الكوارث خاصة، وجعلوا من كل ذلك وسيلة إلى تغيير النظرة والفكرة السائدة عنهم، يقول زويمر: (كان يُنظر في

(١) المرجع السابق، ص ٩٦ - ٩٧.

(٢) انظر عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٢٣.

(٣) خالد، فروخ، مرجع سابق، ص ١٩١ - ١٩٣، ٢٠٨.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٤٨.

(٥) انظر «امنوعهم، حفظاً لتقاليدنا»، جريدة المدينة، ٢٧/٧/١٤١٤ هـ، العدد ٩٧٣١،

ص ١٧.

(٦) انظر شاتليه، الغارة، ص ١٠٠؛ وانظر الترجمة الكاملة، التصوير، ص ٢١٣.

سابق الأيام إلى المبشرين نظر قوم يشنون حرباً صليبية ترمي إلى التنصير فقط فتحوّلت الأفكار، وصارت الأعمال التبشيرية تشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعي، وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية^(١)، هذه الخدعة ذهب ضحيتها كثير من أبناء المسلمين؛ لأنها الطعم الذي يصطاد به الأعداء ضحاياهم، حتى إذا وقعوا في الشراك، تركوهم وحالهم، يقول أحدهم: (أما أعمال الإحسان، فيجب أن تستعمل بحكمة، كيلا تذهب في غير سبيلها، يجب أن تعطى الأموال أولاً للبعدها عن الكنيسة، ثم تقل تدريجاً كلما اقترب أولئك من الدخول في الكنيسة، فإذا دخلوها، منع عنهم الإحسان مرة واحدة)^(٢).

٦ - العمل على إثارة الفتن والقتال.

استغل الأعداء تعلق بعض المسلمين بالبدع والخرافات فعملوا على تنمية هذا الاتجاه بإحياء بعض الفرق الضالة ودعمها، مع تنمية الفتن الدينية^(٣)، وإذكاء روح العداوة، وإيقاد شعلة الفتن والحروب بين المسلمين^(٤)، يقول أحدهم: (لا بد من وجود أزمات معينة، ومشاكل وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها، وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كال فقر، والمرض، والكوارث، والحروب، وقد تكون معنوية، مثل التفرقة العنصرية أو الحساسية بسبب تسامح المجتمع تجاه النفاق، أو الوضع الاجتماعي المتدني، وفي غياب مثل هذه الأوضاع فلن تكون هنالك تحولات كبيرة إلى النصرانية)^(٥). كما عملوا على إحياء الحضارات القديمة؛ لزعزعة ولاء المسلم لدينه، وإخوانه، يقول أحدهم: (إننا في كل بلد إسلامي دخلناه، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائده ما قبل الإسلام، ولكن يكفيننا تذبذب ولاءه بين الإسلام وبين تلك الحضارات)^(٦).

(١) شاتليه، المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٢) انظر خالددي، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٤٨.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٢٦، ١٢٨، ١٥٩؛ وانظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ١ ص ١٨ - ١٩.

(٤) انظر خالددي، فروخ، المرجع السابق، ص ١٣٥ - ١٤٣.

(٥) الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٢٣٠.

(٦) ((Near East: Culture and Society, Edited by T. Cuyler Yaunq)...)) محمد قطب، واقعنا =

٧ - التركيز على المرأة المسلمة .

أدرك الأعداء مكانة المرأة في الإسلام، وأن عليها مدار الأسرة المسلمة، فأحاطوها بخصوصية كبيرة يقول أحدهم: (بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها - ذكوراً وإناثاً- حتى السنة العاشرة من عمرهم، بالغ في الأهمية، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات، على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية)^(١)؛ لذلك أعد لها منصرات على معرفة تامة بخفايا المرأة المسلمة، وأعطى هذا الجانب عناية ورعاية خاصة، فجعلوا له شعاراً براقاً، تحت مسمى: تحرير المرأة، كما زعموا^(٢).

كما عنوا بتوفير الكتب والصحف التي تجعلها تحت تأثيرهم وتعودها الحياة الكافرة. وسعوا لأجل تعليمها ما يكفل لها دخلاً مادياً مستقلاً، تشجيعاً لها على الاستقلالية، والخروج من المنزل^(٣). وتجاوزوا ذلك إلى توفير كل ما من شأنه إغراء المرأة المسلمة بالخروج من بيتها متبرجة بالزينة التي عنوا بتوفيرها والدعاية لها في أسواق المسلمين، حتى فُتنت المرأة المسلمة بها، وبذلك أمكن إشغالها عن أداء رسالتها، في إعداد النشء، ورعايتهم في جو إسلامي، ينمي فيهم الروح الإسلامية.

٨ - التدرج .

المتبع لهذا الصراع يلمس ذلك التدرج جلياً في جُل أعمالهم، فمن الحروب الصليبية، إلى الاستشراق والتنصير، والاستعمار، إلى الصراع المعاصر، ما أن تخف حدة أحد هذه المحاولات، حتى تظهر من جديد بصورة أخرى، يقول أحد المخططين في أحد مؤتمراتهم: (إن هذا الارتقاء التاريخي، وما نعمله في أرمينيا،

= المعاصر، ص ٢٠٢ .

(١) خالد، فروخ، التبشير، ص ٢٠٣ .

(٢) انظر شاتليه، الغارة، ص ٦٣ - ٩٢ - ١٨٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤؛ وانظر خالد، فروخ، المرجع السابق، ص ٢٠٣ - ٢٠٤؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٨١٢ - ٨٢٨؛ وانظر جريشة، الزيبق، أساليب الغزو الفكري، ص ٨٥ - ٩١ .

(٣) انظر مريم جميلة، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص ٢٣٨ - ٢٣٩؛ وانظر الحداد، الإسلام في وجه التحديات، ص ٤٧ .

وسوريا، وروسيا، قد جعلنا نزيد في اسم مجلة الشرق المسيحي، وندعوها بعد الآن: الشرق المسيحي، وإرسالية التبشير الإسلامية^(١).

فبث الأفكار يتم عن طريق التدرج، حتى لا يشعر المسلمون بالطريقة التي يتم بها التغيير؛ ولئلا يصدموا بالواقع الإسلامي الراض للفكر الكافر، ولأجل أن يتعود المسلمون على الاقتباس التدريجي للأفكار، بعد تذويب الحس الإسلامي^(٢)، فمن نظرياتهم في ذلك: (الشعب البسيط يلزمه إنجيل بسيط)^(٣)، ووجوب: (أن يخاطب العوام المسلمون، على قدر عقولهم، ومستوى علمهم)^(٤).

أما التوجه إلى أماكن الصراع، فقد كانوا يتحينون الفرص، فإذا سنحت لهم تكالبوا على فريستهم فهذا زويمر يتسائل في كتابه العالم الإسلامي اليوم عن التنصير في جزيرة العرب وجدواه، فيقول: (ولكننا نتسائل عما إذا كان قد حان الوقت للعمل بها، وعما تكون نتيجة التبشير حيثئذ)^(٥) وخفّف على سامعيه وطمأنهم؛ لأنهم في الطريق إلى جزيرة العرب، فقال: (إن المبشرين في بلاد العرب اتخذوا لهم مراكز، تمهد لهم سبيل التوغل في داخل الجزيرة)^(٦).

هكذا هم في سبيل الوصول إلى غاياتهم، وقد عنوا بذلك عناية فائقة، فقد كانت مراكز التنصير في البلاد الإسلامية في بدايتها الأولى عبارة عن مراكز طبية، عمل المبشرون بجانبها، ومع مرور الأيام تحولت إلى مراكز للتنصير^(٧).

٩ - سرية العمل والتكتم على أغراضه .

فجميع أعمالهم يبحثون لها عن أعطية مشروعة، تحجب الحقيقة عن المسلمين، وتعطيهم الحرية في العمل كما يريدون بسرية تامة، يقول الأنبا شنودة في أحد مؤتمراتهم: (الخطأ الذي يحدث، هو تسرب أنباء هذا النجاح إلى المسلمين؛

(١) شاتليه، مرجع سابق، ص ١٠٨ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٨٢؛ وانظر الترجمة الكاملة، مرجع سابق، ص ١٤١؛ وانظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢٤٤ .

(٣) شاتليه، المرجع السابق، ص ٧١ .

(٤) المرجع السابق، ص ٥٣ .

(٥) المرجع السابق، ص ٩٤ .

(٦) المرجع السابق، ص ٩٦ .

(٧) انظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٦١ .

لأن ذلك من شأنه تنبيه المسلمين ويقظتهم، وهو أمر قد ثبت من تأريخهم معنا أنه ليس بالأمر الهين، وهذه النقطة بالذات، من شأنها أن تفسد علينا مخططاتنا المدروسة، وتؤثر في نتائجها، وتضيع جهودنا هباءً^(١)؛ لذلك فهم يسترون تحت أسماء وغايات براقة، يكون لها أبلغ الأثر في قبول ما يروجون له، فقد أصدر الفاتيكان في عام [١٩٨٥ م - الموافق ١٤٠٥/٤ - ١٤٠٦/٤ هـ -]، توجيهاً بوجوب العمل على دخول المنصرين إلى المناطق التي يمنعون منها، وتبرير ذلك بأنهم فنيون لديهم عقود مع شركات تعمل في تلك المناطق^(٢).

بل إن حرصهم على العمل السري، يجعلهم على حذر دائم من سب الإسلام، أو ما له صلة به^(٣).

١٠ - التحدث بلغة عصرية .

حيث اللجوء إلى منافذ متجددة مع العصر لمخاطبة المسلمين، تظهرهم بمظهر الصديق المحب لصديقه، فالعلم، والإصلاح، والتطور، والتقدم^(٤)، عبارات تتكرر دائماً على ألسن القائمين على هذا الصراع، يقول أحدهم: (يجب على الكنيسة أن تبتعد عن الأساليب غير المثمرة، وتسلك طرقاً ثقافية ملائمة من أجل تقديم عيسى المسيح بكل إخلاص وقوة إلى المسلمين)^(٥)، ويقول آخر: (لا يمكننا بعد اليوم أن نعتمد الأساليب القديمة في مواجهة الإسلام الذي يتغير بسرعة، وبصورة جوهرية)^(٦).

١١ - استغلال الواقع المعاصر للعالم الإسلامي .

يدرك الأعداء قوة الإسلام الحقيقية، وأثرها في المسلمين؛ لذلك فهم يعملون على استغلال ما قد يمر به المسلمون من ظروف تمنعهم من أداء الأمانة على وجهها،

(١) الجبهان، معاول الهدم والتدمير، ص ٢٨ .

(٢) انظر عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٢٢ .

(٣) انظر شاتليه، مرجع سابق، ص ١٨٥؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ١٩ - ٢٠ .

(٤) انظر محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ص ٩ - ١٠؛ وانظر الصواف، المخططات الاستعمارية، ص ٩٩ .

(٥) الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٧ .

(٦) المرجع السابق، ص ٢٦ .

ويُجدون في استغلال الفرص كلما سنحت لهم؛ بل إنهم يعملون على إيجاد فرص حقيقية، أو خيالية، تمكنهم من توجيه السهام، وبث السموم^(١)، يقول الأنبا شنودة: (يجب أن نتتهز ما هم فيه من نكسة ومحنة؛ لأن ذلك في صالحنا ولن نستطيع إحراز أية مكاسب، أو أي تقدم إذا انتهت المشكلة مع إسرائيل، سواء بالسلم أو بالحرب... إذا لم يكسب شعب الكنيسة في هذه المرحلة بالذات أية مكاسب على المستوى الرسمي فإنهم ربما لا يستطيعون إحراز أية مكاسب، أو تقدم بعد ذلك)^(٢)، وهذا ما يجعلهم أكثر جدية في نشاطهم، يقول أحدهم: (العالم الإسلامي يمر اليوم بحالة من التمزق الاجتماعي والسياسي، ولذلك يوجد لدى المسلمين اليوم استعداد قلبي وعقلي لتقبل رسالة المسيح)^(٣).

ومن الأمثلة الحية على ذلك، الاستغلال السيء لما يمر به مسلمو فلسطين، والصومال، والبوسنة والهرسك، وشمال العراق، وغيرها من مناطق العالم الإسلامي، في دخول المنظمات التنصيرية إلى تلك المناطق بداعي المساعدة، والقيام بترحيل أبناء المسلمين إلى بلاد الكفر بداعي الرعاية والتعليم^(٤).

١٢ - بناء القيادات العلمية والسياسية.

من أجل ضرب الإسلام من الداخل وعبر أبنائه؛ لذلك تم اصطناع العملاء من أبناء المسلمين، عملاً بمقولة المنصر زويمر: (تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها)^(٥)، ولأنهم على إدراك بأنهم الأقدر على التغيير المطلوب، نظراً لسرعة الاستجابة لهم، وعدم النفور منهم^(٦)، يقول أحدهم مبيناً سبب نجاح أحد

(١) انظر أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٥٤؛ وانظر التنصير، مرجع سابق، ص ٢٧ -

٢٩.

(٢) الجيهان، معاول الهدم والتدمير، ص ٢٩.

(٣) الترجمة الكاملة، مرجع سابق، ص ٦.

(٤) انظر «على أرض صلاح الدين الأيوبي، تسرح وتمرح [٤٥] منظمة تنصيرية، بميزانية [٦٠٠] مليون دولار، وخدمات لكل كردي»، جريدة المدينة، ١٤١٤/٧/١ هـ، العدد ٩٧٠٥، ص ١٤.

(٥) شاتليه، الغارة، ص ٨٠؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ١٢٠، ١٢٢، ٧٩٢.

(٦) انظر جريشة، الزيق، أساليب الغزو الفكري، ص ٤٩؛ وانظر العلياني، أهمية الجهاد،

ص ٣١٢.

الإرساليات التنصيرية: (لأن المبشرين كانوا يستعينون بالزواج المتنصرين في ارتياد البلاد، وتأسيس مراكز التبشير، وتوطيد النفوذ الانكليزي)^(١).

ولهم في الوصول إلى ذلك عدة أساليب، منها: إعداد أجيال مسلمة تقوم بحمل المهمة المناطة بها ذلك المعنى الذي عبر عنه نابليون بونابرت بقوله: (إنه لقادر أن يفتح بخمسين قلماً، ما لا يستطيع فتحه من البلاد بمئات الأساطيل، وأشد أنواع الأسلحة فتكاً)^(٢)، والتركيز في ذلك على الطلاب والمتعلمين، من خلال التربية والتعليم في بلاد الكفر، أو في مدارسهم المعدة لأجل ذلك في بلاد المسلمين، يقول هوارد بلس مبيناً الطريقة المثلى في ذلك: (بين آلاف الطلاب، وكلهم يستحقون التربية، فئة صغيرة من المتحمسين الجادين... قادة المستقبل في الشرق الأدنى... هؤلاء هم الذين يدرّبهم مبشرنا ليصبحوا أساتذة وأطباء، وتجاراً، وصيادلة، وأطباء أسنان، ومهندسين، وممرضين من الرجال والنساء، الذين يتجاوبون بوعي أكثر، واستعداد أكبر من باقي زملائهم، مع المناخ النفسي للكلية، وهم يُحضّرون بطريقة محددة؛ ليصبحوا مراكز الأضواء والقيادة في كل هذه المنطقة)^(٣).

ومنها توجيه جل اهتمامهم بالنشء من أبناء المسلمين، ويستغل في ذلك ظروف المسلمين الطارئة لأجل أخذ أبنائهم بدواعي إنسانية، ومن ثم إعادتهم بعد إعدادهم؛ لأداء المهمة^(٤)، يقول المنصر جون موط: (يجب أن نؤكد في جميع ميادين جانب العمل بين الصغار وللصغار، وبينما يبدو مثل هذا العمل وكأنه غيرية، ترانا مقتنعين لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية، إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن يُحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية)^(٥).

ومنها دعم وتأييد من يسير في فلکهم ويحقق مآربهم، من القادة والحكام،

(١) شاتليه، مرجع سابق، ص ٢٠٩ - ٢١٠ . ٢٤٣ .

(٢) المطعني، الفراغ، ص ٦٨ .

(٣) (... ((حتى تكون لهم حياة، ص ١٩٣ - ١٩٤))...)) نبيل صبحي، «تخريب منظم، لعقول الناشئة في المجتمعات الإسلامية»، مجلة الأمة العدد الخمسون (صفر/١٤٠٥ هـ): ص ٣١ .

(٤) انظر جميلة، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص ٢٣٨ .

(٥) خالدي، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٦٨ .

والعمل على إظهارهم بمظهر الأبطال الذين يدافعون عن الأمة^(١)، يقول سارتر محدداً طريقة صناعة المفكر في بلاد المسلمين: (كنا نحضر رؤساء القبائل، وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة، من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام، ولندن، والنرويج، وبلجيكا، وباريس، فنتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو ويتعلموا لغاتنا، وأساليب رقصنا، وركوب عرباتنا، وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجات أوربية، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوربا، ثم نرسلهم إلى بلادهم)^(٢).

١٣ - العمل على كسب ثقة المسلمين^(٣).

وهذا أسلوب وقع كثير من أبناء المسلمين المعاصرين في حباله، فهو يظهر براءة المنطق، وشرف العمل، ونبيل الغاية، وقاعدتهم في ذلك مقولة زعيمهم المنصر زويمر: (لتكن لكم نعومة الأفعى في الزحف إلى قلوب المسلمين، إن المسلم لا يغير دينه بسهولة؛ لذلك كان لا بد من تخديره قبل فتح بطنه كما يفعل الجراحون)^(٤)، ولهم في ذلك التخدير عدة أحوال، منها: المسالمة، والتواضع، حيث الظهور أمام المسلمين بالمظهر البريء، والشخص العامي؛ لأن ذلك أدهى لقبول المسلمين لهم^(٥) يقول أحدهم: (اكتسب المبشرون محبة الناس لهم؛ بسبب أعمالهم الطيبة التي تصدر عن المبشرين فتجعل الأعداء أيضاً يعترفون بأن النصرانية مصدر عمل صالح)^(٦)، فهم يظهرون عند الاحتكاك بالمسلمين مزيداً من التواضع واللباقة^(٧)، يقول الأنبا شنودة محدداً ضوابط هذا الأسلوب: (على أن يراعى في تنفيذ هذا المخطط، أن يتم بطريقة (لبقة. ذكية)، حتى لا يكون ذلك سبباً في إثارة

(١) انظر جريشة، الزيتي، أساليب الغزو الفكري، ص ٩٥ - ٩٧.

(٢) عبد القادر عبار، «شبابنا في وجه الإعصار الغربي»، مجلة الأمة العدد الخمسون (صفر/ ١٤٠٥ هـ): ص ٢١.

(٣) شاتليه، الغارة، ص ٥٥؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٣٩ - ٤٠.

(٤) عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٢٩.

(٥) خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٥٠؛ وانظر الترجمة الكاملة، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٦) شاتليه، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٧) انظر المرجع السابق، ص ١٩٥؛ وانظر الترجمة الكاملة، مرجع سابق، ص ١١١ - ١٢٧.

حفيظة المسلمين، ويقظتهم...؛ لذلك فقد أصدرت التعليمات بهذا الخصوص، وستنشر في جميع الكنائس لكي يتصرف الجميع من شعبنا مع المسلمين بطريقة ودية، لا تثير غضبهم، وإقناعهم بكذب هذه الأنبياء^(١)؛ لذلك نلاحظهم في هذه الأيام يتلونون بما يجعلهم قريبين من قلوب المسلمين، وأصبح الفرد منهم يتقبل بعض الحقائق الفرعية التي تخالف العقيدة النصرانية؛ بل يتقبل الطعن فيها عند الحاجة، ويقدم انتقاداته للإسلام، أو مفاهيم النصرانية بأسلوب أقل حرارة، مع البعد عن كل ما فيه إثارة ونزاع^(٢)، يقول تشارلس واطسون: (يجب أن يظلوا (المبشرين) براء كالحمام، ولكن هذا لا يمنعهم أيضاً من أن يكونوا حكماء كالحيات)^(٣)، ويقول آخر: (إن الظرفية تلزمننا أن نبدأ العمل وفق شروطهم، وليس وفق شروطنا، وبمعنى آخر فإن الموقف يتطلب منا أن نرتكب عن عمد أنواعاً من أعمال الخيانة لأمننا، ومجتمعاتنا، علينا أن نتخلى عن الروح الانتصارية، وأن نكون أكثر احتراماً وحساسية للمسلمين، ولعقيدتهم، وطريقة حياتهم)^(٤).

ومن أساليبهم أيضاً المجاملة^(٥) لكل ما هو إسلامي، وطريقهم لذلك التصنع والمراء، يقول أحدهم: (يجب على المبشر أن يحترم في الظاهر جميع العادات الشرقية، والإسلامية، حتى يستطيع أن يتوصل إلى بث آرائه بين من يصغي إليها)^(٦)، ويقول الأنبا شنودة: (تم التنبيه على رعاة الكنائس، والآباء، والقساوسة؛ لمشاركة المسلمين احتفالاتهم الدينية، وتهنئتهم بأعيادهم، وإظهار المودة والمحبة لهم وعلى شعب الكنيسة في المصالح، والوزارات، والمؤسسات، وكل أماكن الاحتكاك، إظهار هذه الروح لمن يخالطونهم من المسلمين)^(٧)، بل إنهم يوجبون على أتباعهم عدم تحريض المسلمين مباشرة على اتباع النصرانية، والأخذ بأسلوب العرض المحجب للنفس، مع الابتعاد قدر المستطاع عن كل ما قد يؤدي إلى سوء التفاهم

(١) الجبهان، معاول الهدم والتدمير، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) انظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٥٢؛ وانظر الجندي، إطار إسلامي للفكري المعاصر، ص ٦٧.

(٣) خالد، فروخ، المرجع السابق.

(٤) الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٢٠٥.

(٥) شاتليه، الغارة، ص ١٧٦.

(٦) خالد، فروخ، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٧) الجبهان، معاول الهدم والتدمير، ص ٢٩.

ومنها أيضاً التمويه والمخادعة، من خلال إظهار الحرص على تحقيق ما فيه مصلحة المسلمين مادياً ومعنوياً، يقول أحدهم: (إن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرههم في وداد المسلمين، وميلهم إلى ما تطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسي، والاجتماعي، والنشأة القومية، يمكنهم أن يدخلوا إلى قلوبهم)^(٢)، ويقول آخر في بيان الوجهة العملية في ذلك: (نفتح للمسلم مدارسنا، ونتلقاه في مستشفياتنا، ونعرض عليه محاسن لغتنا، ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر، وتعلق بأهداب الأمل)^(٣)، مثلهم في هذا الأسلوب نابليون بونبارت، الذي مارسه عملياً، حينما خاطب أهل مصر قائلاً: (قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح، فلا تصدقوه! وقولوا للمفتريين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى، وأحترم نبيه، والقرآن العظيم)^(٤)، هذا هدفه المعلن في بداية حملته^(٥)، وبعد تمكنه كثر عن أنيابه، فدك الأزهر بالقذائف، وجعله ميداناً للخيل.

ومنها الابتعاد عن الجدل والمناظرة، فهم على معرفة حقيقية بأنفسهم، وعند المناظرة يتبين ما يسيء لهم، ويكشف باطلهم، يقول زويمر: (يجب أن لا نثير نزاعاً مع مسلم)^(٦)، وبدلاً من ذلك يتم اللجوء إلى عمل موازنة بين حياة الأمم الإسلامية والكافرة وأخلاقهما^(٧)؛ ليصلوا بذلك إلى تفضيل الأجنبي على المسلم، ويستغلون في ذلك بُعد المسلمين في واقعهم عن الأخلاق الإسلامية^(٨).

(١) انظر شاتليه، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٠.

(٤) عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، في التراجم والأخبار، (بيروت: دار الجيل)،

ج ٢ ص ١٨٣.

(٥) انظر أبا أحمد جلّ الوحيد، نابليون المسلم الطبعة الأولى.

(٦) شاتليه، الغارة، ص ٧١؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٣٦؛ ٣٩.

(٧) انظر شاتليه، المرجع السابق، ص ٦٨ - ٦٩.

(٨) انظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٢٤؛ وانظر الحداد، الإسلام في مواجهة

التحديات، ص ٤١ - ٤٢.

١٤ - عدم القنوط أو اليأس .

فالثقة بالنصر، والتحلي بالسكينة والصبر، صفة لازمة لهم، وضابط لحركاتهم في جُلِّ أعمالهم^(١) ينطلقون في ذلك من حكمتهم الإنجيلية المزعومة (في النمو التدريجي، وهي تبتدىء بالعشب، ثم بالسنبلة، ثم يتبعها انتظار طويل ريثما ينضج الحب)^(٢)، فمهما كانت النتائج مخيبة للآمال، ومهما حصل لهم من عوائق وصعوبات، إلا أن التعلق بالأمل دافعهم إلى مضاعفة الجهد، والإصرار على تحقيق الغاية، دون ملل أو كلل^(٣)، يقول زويمر: (ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء)^(٤).

١٥ - إبقاء الأمة الإسلامية في سباتها .

حيث يعملون على تخدير الأمة، وتنويم مشاعرها؛ لتبقى على حالها دون البحث عن عوامل النهضة وأسباب التأخر، فهم تارة يوحون للمسلمين بأن الإسلام بخير، وأنه في مكانه الطبيعي، يؤدي رسالته كما أريد لها. وفي أخرى يعملون على إيهام المسلمين بأن ما يعيشونه اليوم هو الإسلام الصحيح وأنه الأصل الذي يجب أن يُتبع^(٥). وتارة يقولون بعدم وجود عداوة بين الإسلام وملل الكفر الأخرى، وأن الكفار يُضمرون للإسلام والمسلمين كل محبة وتقدير^(٦)، يقول أحدهم: (يجب أن نعرض بصورة واضحة روح النصرانية الحقيقية، فالمسلمون يعتبرونا أعداء، وعلينا أن نقنع المسلمين بطريقة أو بأخرى، بأن النصارى أصدقاؤهم، وليسوا أعداءهم... ليس هنالك إلا قليل من الوسائل التي يمكن أن تكون أكثر إقناعاً للمسلمين بصدق

(١) انظر شاتليه، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٣) انظر الترجمة الكاملة، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٤) شاتليه، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٥) انظر محمد قطب، حول تطبيق الشريعة، ص ٢٥؛ وانظر «قراءة لمحاضراته في جامعة اوكسفورد، أمام ٥٠٠ من المسلمين: ولي العهد البريطاني ينتقد الصحافة البريطانية على تشويهها صورة الإسلام»، جريدة الشرق الأوسط، ١٥/٥/١٤١٤ هـ، العدد ٥٤٥٠، ص ٢٧.

(٦) انظر شاتليه، مرجع سابق، ص ٧٩؛ وانظر «قراءة لمحاضراته»، المرجع السابق.

نوايا النصارى، من المجهودات الموجهة توجيهاً صحيحاً، والهادفة إلى تحسين أوضاعهم المالية، ومساعدتهم على حل مشكلاتهم الاقتصادية^(١).

١٦ - إيجاد إسلام جديد يتمشى مع آرائهم.

لأنهم على يقين من عدم ترك المسلمين لدينهم، فهم ومن خلال ما تقدم في سبيل إيجاد جماعة تنتسب للإسلام، تعمل جنباً إلى جنب مع النصرانية، بكل ود واحترام، يقول أحد أعضاء مجلس المستعمرات الألمانية: (السياسة التي ينبغي الجري عليها في معاملة المسلمين، تحتم علينا وضع خطة جديدة... ويجب على حكومتنا في هذه الخطة الجديدة التي أشير إليها، أن تستعين بالوجهة الوطنية لا بالوجهة الدينية، كيما تتوصل إلى مقاصدها، وعندئذ يتسنى لها أن تعلم حق العلم أن الإسلام وإن يكن عدواً للنصرانية، إلا أنه مستعد للارتقاء والتقدم في سبيل المدنية الحاضرة)^(٢)، تلك السياسة تؤدي إلى جعل الإسلام يتمشى مع الحياة الغربية، يقول القسيس ينغ محمداً الغاية من هذا الشكل الجديد للإسلام: (سيدخل الإسلام في شكل جديد على الحياة والعقيدة، ولكن هذا الإسلام الجديد سينزوي في النهاية ويتلاشى بالنصرانية)^(٣)، فهم يرون أن المسلمين أمام ضغط الواقع الكافر عليهم سيتعاملون بأسلوب آخر، يقول أحدهم: (إن أشياع الإسلام الجديد! يريدون أن يرموا من السفينة مشحونها؛ لينقذوها من الغرق)^(٤)؛ لذلك عملوا على تشجيع بعض الحركات الإصلاحية واعتبروها مهدئة، وأخذة بالتحول البطيء إلى التعاليم الكنسية^(٥).

واليوم يعمل الكفار على تشجيع المسلمين على مثل هذا التحول، وهذا ما تؤكد كلامة الأمير تشارلز^(٦)، حينما حدد الإسلام المناسب للكفار بأنه: إسلام

(١) الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٥٥٨ - ٥٥٩.

(٢) شاتليه، مرجع سابق، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٥) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٦) انظر «في محاضرة في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية، الأمير تشارلز... يدعو إلى

تعاون مشترك بين الإسلام والغرب»، جريدة الشرق الأوسط، ١٣/٥/١٤١٤ هـ، العدد

٥٤٤٨، ص ٤.

التسامح والتبعية للكفار، وهو ما تعيشه أغلب بلدان العالم الإسلامي اليوم، أما الإسلام الذي يرفض عبودية العباد، والمتمثل في إسلام القرون الأولى الإسلامية، فهو الإسلام المرفوض من الكفار، حيث يقول: (نحن ننظر في الغرب إلى الإسلام كخطر تمثل في القرون الوسطى بالفتح العسكري)^(١).

١٧ - إبعاد الصبغة الإسلامية عن أنشطة وقضايا المسلمين المختلفة .

حتى لا تأخذ طابعاً دينياً، يحيي القلوب، وينهض بالهمم، فتصعب السيطرة عليه، فقضية المسلمين الأولى قضية القدس، عملوا على جعلها قضية عربية، لا دخل لعموم المسلمين فيها، وعملوا على إضفاء الصبغة القانونية لترسيخ ذلك المفهوم^(٢)، يقول كاسترو الزعيم الشيوعي الكوبي لأحد الإسرائيليين: يجب (أن لا تترك إسرائيل حركات الفداء تتخذ طابعاً إسلامياً دينياً؛ لأن اكتساب حركات الفداء الفلسطيني هذا الطابع العقائدي الديني، سيجعل من حركتهم شعلة من نار الحماس... وأن هذا الحماس الديني العربي، سيستقطب جماعات، ودولاً إسلامية أخرى، مما يجعل من المستحيل على إسرائيل أن تصون كيانها)^(٣)؛ لذلك عمل كثير منهم على تحريف غايات الجهاد وصورها على أنها أهداف غير دينية، أملاً في التخلص من تلك القوة الدافعة والمحركة للمسلمين في مواجهة الأعداء.

١٨ - استغلال وسائل الإعلام .

استغل الأعداء الكتب والمكتبات كمنفذ أولي ووحيد في بداية أمرهم، ثم بُدئ في إصدار مجلة تعنى بالشؤون الاجتماعية والتاريخية، وتطور الحال^(٤) مع مرور الأيام وتطور الأساليب، حتى أصبح الإعلام وكما يقرر جب: أقوى الأدوات

(١) «قراءة لمحاضراته في جامعة أوكسفورد أمام [٥٠٠] من المسلمين والمسيحيين، ولي العهد البريطاني ينتقد الصحافة البريطانية على تشويهها صورة الإسلام»، المرجع السابق، ١٥/٥/١٤١٤ هـ، العدد ٥٤٥٠، ص ٢٧.

(٢) انظر محمد مصطفى رمضان، الشعبية الجديدة، ص ٧٠-٧٨.

(٣) (... ((عمر حليق، الحياة))...)) محمد الصواف، معركة الإسلام، ص ٢٠٢.

(٤) انظر شاتليه الغارة، ص ٥٥؛ وانظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٢١٢؛ وانظر الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٤١٩-٤٠٨، ٥٣-٥٤٧، ٥١٦، ٦١١، ٧٥٩-٧٧٣؛ وانظر عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٢١.

الأوربية، وأعظمها نفوذاً داخل البلاد الإسلامية^(١).

وفي هذه الأيام أصبح الإعلام المرئي الوسيلة القاصمة للظهر^(٢)، فقد صار بثاً مباشراً من بلاد الكفر بالصوت والصورة، مع دعمه بالتسهيلات المادية التي تضمن وصوله لكل منزل مسلم^(٣)، وبذلك اعتبر الوسيلة الرئيسة في هذا الصراع؛ لأنه القوة القادرة على تجاوز الحواجز المادية مهما كانت والدخول إلى كل منزل مسلم، والمشاركة في التربية والتعليم.

ولأجل استغلاله كما ينبغي، عمل الفاتيكان على إعداد مشروع ضخمة، يتمثل في إنشاء محطة تليفزيونية كبيرة، تتوافر لها إمكانات تجعلها قادرة على السيطرة على جميع قارات العالم، وتعمل على تحقيق أهداف مجلس الكنائس العالمي^(٤).

كما استغلوه بأسلوب خادع، يخفي الهدف الحقيقي له؛ لئلا ينفر منه المسلمون، يقول أحدهم متحدثاً عن أحد مراحل البث الإعلامي: (. . . في هذه المرحلة لم تقدم أية رسالة نصرانية، ولكنها برامج فقط، تكون بمثابة طعم لجعل المسلمين يستمرون في الاستماع إلى برامجنا)^(٥).

وعندما يمعن الناظر، ويدقق المتأمل في هذه الأساليب والوسائل، يجد أنها تسهم في نشر الفكر الكافر وعوامل تعمل على نشر الفساد والانحلال الخلقي، وأساليب تنأى بالمسلم عن تعاليم دينه، إجمالاً هي وسائل وأساليب تحارب الإسلام في عقر داره، بدلاً من أن يجاهدها الإسلام في عقر دارها.

(١) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢١٧.

(٢) «اختراق يقضم الظهر»، الرياض: مجلة الإمامة العدد ١٠٣٨ (٤/٦/١٤٠٩ هـ): ص ١٦ - ٢٢.

(٣) «عدد الصحون اللاقطة في تونس يرتفع إلى [١٢] ألفاً، والشركات تنشر إعلانات؛ يومية للتشجيع على الشراء»، جريدة الحياة، ٢٩/٨/٢٤٢٤ هـ، العدد ١١٣١٧، ص ١٢.

(٤) انظر «الأقمار الصناعية في خدمة التنصير»، مجلة المجتمع العدد ٨٨٧ (٧/٣/١٤٠٩ هـ): ص ٤ - ٥.

(٥) الترجمة الكاملة، التنصير، ص ٥٤٥.

الفرع الثاني

آثاره

ترك الصراع مع الأعداء آثاراً متعددة، في جوانب مختلفة، وأبلغ من يصور لنا ذلك، هم المنظرون لتلك الحملات، والقائمون عليها، فهذا جب يبين بوضوح الأثر العملي لذلك الغزو، فيقول: (الواقع أن الإسلام بوصفه عقيدة، لم يفقد إلا قليلاً من قوته وسلطانه، ولكن الإسلام بوصفه قوة مهيمنة على الحياة الاجتماعية، قد فقد مكانته، فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه، وهي في كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليده، وتعاليمه، تعارضاً صريحاً، ولكنها تشق طريقها، بالرغم من ذلك، إلى المجتمع الإسلامي في قوة وعزم، فيألى عهد قريب، لم يكن للمسلم من عامة الناس، وللصلاح، اتجاه سياسي، ولم يكن له أدب، إلا الأدب الديني، ولم تكن له أعياد إلا ما جاء به الدين، ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الدين. كان الدين هو كل شيء بالقياس إليه. أما الآن: فقد أخذ يمد بصره إلى ما وراء عالمه المحدود، وتعددت ألوان نشاطه الذي لم يعد مرتبطاً بالدين... وأصبح الرجل من عامة المسلمين يرى أن الشريعة الإسلامية لم تعد هي الفيصل فيما يُعرض له من مشاكل... وبذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً، حتى انحصرت في طقوس محدودة، وقد تم هذا التطور تدريجياً، عن غير وعي وانتباه... وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، وقد يبدو الآن من المستحيل مع تزايد الحاجة إلى التعليم، ومع تزايد الاقتباس من الغرب أن يُصد هذا التيار، أو يعاد الإسلام إلى مكانته الأولى من السيطرة التامة)^(١).

ومع دلالة هذا الكلام على واقع المسلمين، إلا أن كاتبه في بعد عن معرفة قدرة العقيدة الإسلامية على معالجة ومعايشة الواقع المحيط بها، مع ما يحمله هذا الواقع من مشكلات وعقبات، لا تجعل النصر وتحقيق الأمل مستحيلاً كما زعم الكاتب. وما ذهب إليه جب يؤكد روستو المستشار الأول للرئيس الأمريكي جونسون، في تقرير كتبه في عام [١٩٦٤ م - الموافق ١٣٨٣/٨ - ١٣٨٤/٨ هـ -] وجاء فيه: (لقد كان الحوار بين المسيحية والإسلام محتملاً على الدوام، منذ القرون

(١) محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩.

الوسطى بصورة أو بأخرى ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، أي خضعت الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية والتراث الإسلامي للتراث المسيحي، وتركت هذه السيطرة آثارها البعيدة في المجتمعات الإسلامية حتى بعد انتهاء أشكالها السياسية، بحيث جعلت المواطن العربي يواجه معضلات ومشكلات هائلة وخطيرة، في السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والعلم، لا يدري كيف يتفاعل معها في علاقاته الداخلية والخارجية على السواء^(١)، ويقول ولفرد كانتول سمث: (إن من أهم أسباب حركة الحرية والإباحية التي تسود اليوم في العالم الإسلامي، ومن أكبر عواملها، نفوذ الغرب، فقد بلغت هذه الحركة أوجها في أوروبا)^(٢)، هذه أبرز الآثار إجمالاً، ومنها على سبيل التفصيل:

أولاً: التشكيك في صلاحية الشريعة الإسلامية، هذا التشكيك أخذ ويأخذ أشكالاً مختلفة منها:

أ: وصف الأحكام الإسلامية بالقسوة، من خلال تصويرها بالأحكام القاسية والجاثمة، يقول فؤاد زكريا عن الحدود الإسلامية: (لا أعتقد أنها عقوبة عادلة)^(٣)، وذهب البعض إلى القول بأن مصلحة المجتمع تتحقق بصورة أفضل عبر القوانين الوضعية، يقول فرج فودة: (ورأيي أن القانون الوضعي يحقق صالح المجتمع في قضايا الزنا مثلاً، أكثر مما ستحققه الشريعة لو طبقت)^(٤)،

ب: القول بعدم صلاحية الشريعة^(٥)، حيث ظهر من يقول وبكل بساطة، وبصوت مرتفع، بأن التشريعات الإسلامية بدائية، مناسبة للبدو، وأنها ذات نصوص ثابتة، وظروف الزمان والمكان متغيرة ومن المتعذر تحكيم ثابت بمتغير^(٦)، يقول

(١) سعد جمعة، المؤامرة ومعركة المصير، (دار الكاتب العربي)، ص ٨٧.

(٢) ... ((الإسلام في التاريخ الحديث، ص ٦٤))... أبو الحسن الندوي، التربية الإسلامية الحرة، الطبعة الثانية، ص ٣٤ - ٣٥.

(٣) صلاح الصاوي، تهافت العلمانية في مناظرة نقابة المهندسين بالإسكندرية، (القاهرة: الآفاق الدولية للإعلام)، ص ٢٢.

(٤) ... ((إقبال بركة، حوار حول قضايا إسلامية، ص ١٧٨ - ١٧٩))... المرجع السابق، ص ٢٤.

(٥) انظر محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ١٣١.

(٦) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٣٠٥؛ وانظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢٢٥؛ وانظر الصاوي، مرجع سابق، ص ١٩.

محمد نور فرحات: (قولهم: إن هناك نصوصاً ثابتة، صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، فإذا ألقينا الضوء على هذه النصوص، وبيننا أنها متغيرة تتغير باختلاف الزمان والمكان، سنكون قد خطونا خطوة كبيرة)^(١)، ويقول فؤاد زكريا: (إن قضية الصلاحية لكل زمان ومكان تحتاج إلى إعادة تفسير شاملة في ضوء تلك الحقيقة التي أصبحت الآن من بديهيات العقل والعلم، وهي: أنه في الميدان البشري، لا شيء ثابت أو نهائي)^(٢).

ب: وصف كل ما هو إسلامي بالرجعية، وتلك صفة أطلقها دعاة التغريب والتبعية، على كل من خالفهم الرأي، ويقصدون بذلك دعاة التمسك بالكتاب والسنة^(٣)، يقول أحدهم: (نحن في عاداتنا وتقاليدينا أشبه ما نكون بأصحاب التوكيلات التجارية، والمفكر عندنا إذا لم يتأثر بأفكار أجنبية فهو تقليدي، وربما يكون أقرب إلى الجانب الرجعي)^(٤)، فالتقليدي والرجعي هو كل من يجعل الإسلام مرجعاً، ومنهجاً له في الحياة، يقول هيكل: (وكيف لا أنقلب عندهم رجعيًا وقد جعلت القرآن حجتي، وما جاء فيه عن السيرة سندي، ولم أضعه كما يقولون موضع النقد العلمي، وكيف لا أنقلب عندهم رجعيًا وقد دفعت بالحجة ما طعن به على النبي العربي جماعة من المستشرقين ومن تابعهم من شباب المسلمين... أفرجعية أن يقف الإنسان في منزل الوحي يحاول السمو إلى أن يفهم كيف كانت صورته؟! أم رجعية أن يقف الإنسان عند آثار صاحب الوحي يلتمس فيه الأسوة والعبرة؟! إن يكن ذلك ظن أصحابي، فأحبب بها إليّ من رجعية أستيغها)^(٥).

ج: الربط بين تخلف المسلمين وضعفهم، وبين تعاليم الدين الحنيف^(٦)، ظهر

(١) المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١.

(٣) انظر محمد حسين، مرجع سابق، ص ٢٠؛ وانظر محمد قطب، التطور والثبات، ص ٢٦٤.

(٤) ... (عاطف العراقي، جريدة الوفد، ١٤٠٩/٥/٥ هـ العدد ٢٥٠)... محمد عبد

الحليم مرسى، «لا، الغزو الفكري ليس أكذوبة»، مجلة الدعوة العدد ١١٨٩

(٢٢/٩/١٤٠٩ هـ): ص ٢٤ - ٢٥.

(٥) في منزل الوحي، (القاهرة: مطبعة دار الكتب العربية)، ص ٢١.

(٦) انظر عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا القانونية، الطبعة السادسة، ص ٥٠ - ٥١؛ وانظر

محمد قطب، واقعا المعاصر، ص ٢٣١، ٢٩٧؛ وانظر محمد الشعراوي، «عار على المسلم

أن يهاجم دينه بدعوى حرية الرأي»، جريدة العالم الإسلامي، ١٤ - ٢٠/٧/١٤١٤ هـ، العدد=

من يقول بأن الإسلام حجر عثرة في طريق التقدم والرقي، يقول طه حسين: (إنه شرقي مثل سائر مواطنيه، ولكنه ثار على الشرق عندما أيقن أن عاداته تعوق ارتقاءه)^(١)، ويقول آخر: (. . . نحن نرجع إلى الوراء، أو نصعد إلى الهاوية، وإلا فكيف نبرر ظهور قضايا زائفة، مثل الغزو الثقافي مثلاً، وإعلان الحرب على الفلسفة في بعض البلدان)^(٢)، ويقول آخر: (. . . من ينادون بدراسة الأدب الشعبي، مثلهم مثل شعراء الحدائق، والفنانين التشكيليين، وغيرهم من الفقراء والمساكين، الذين تحوم حولهم الشبهات، وتوجه إليهم الطعنات، ليسوا في الحقيقة إلا أناس آلمتهم أعناقهم من النظر إلى الخلف، ومن الطأطأة أمام سلطان التاريخ، وتجرحت معاصمهم من قيود العادة والتقليد فحاولوا كسر الأغلال، وتجراًوا على رفع الرؤوس، والتطلع إلى المستقبل، إنهم أناس سئمو الرخص في الطرقات المسدودة، وملوا الرقص على الأسطوانة المسحولة. . . إنهم أناس بادروا بإلقاء المزيد من الحطب على النار ليرتفع سناها، حتى يشع الدفء والنور؛ لتحترق الشعور المزيفة، وتسقط الأقنعة، وتميع الأصباغ. . . إنه لمن دلائل العقم الفكري، والقحط الثقافي، أن نبذر الوقت، ونهدر الجهد في بحث شرعية هذه الاتجاهات، واستصدار فتاوى بحق من يتعاطاها. . . متى نصحو من هذا الكابوس المزعج؟! متى يتبدل هذا المناخ الاستفزازي، الذي يعرقل المسيرة، متى ننتقل إلى آفاق أرحب من الفكر، والسلوك والتعامل. . . أيها الأوصياء والأولياء، اتركونا نقفز، ونلعب، ولا تخافوا علينا من السقوط، دعونا نأكل التفاحة^(٣) ولا تسارعوا بوضع أيديكم على أعيننا، واتشاح مآزركم؛ فلقد كبرنا وأصبحنا نعرف ما تخفيه المآزر. . . تعالوا نخرج من دائرة المجهول، وعداد المفقود، ونغادر مستشفى العزل الحضاري)^(٤)، إن التمسك بالكتاب والسنة تأخر ونظر إلى الخلف، وخضوع وقيود تكبل المعاصم، وتدميها،

= ١٣٤١، ص: ٥.

(١) الأدب للشعب، ص ١٣١.

(٢) «. . . د. عاطف العراقي في حوار مع المسلمون: . . . لا خطر على الشخصية العربية من التيارات الفكرية»، جريدة المسلمون، ٧-١٣/٥/١٤٠٩ هـ، العدد ٢٠٢، ص ٩.

(٣) أكل التفاحة في مفهوم الحدائين: أكل الحرام، والوقوع في ارتكاب الإثم. انظر عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، الطبعة الثالثة، ص ١١١.

(٤) سعد الصويان، «ويلي منك، ويلي عليك»، مجلة اليمامة العدد ٨٧٩ (١/٣/١٤٠٦ هـ) ص: ٨١.

ومن رام التقدم ورجب فيه، فعليه تحطيم تلك الحدود الإلهية، إن نظر علماء الإسلام في مستجدات الحياة وإصدار رأي الإسلام فيها، عقم فكري، يجب تجاوزه حتى يتسنى للمرء تناسي أمر الله كما شاء ول يتمكن من اللحاق بالركب الحضاري، هكذا أراد من يُعوّل عليهم في الذود عن حياض الأمة والعمل على إعادتها لدورها القيادي للعالم.

ثانياً: الابتعاد عن المظاهر الإسلامية .

واعتبارها عادات بائدة، وهامشية لا مكان لها في حياتنا اليوم، يقول أحدهم ساخرًا من أحد العلماء: (... ينسلخ عن الجوهر بما فيه من المثل والقيم والمبادئ؛ ليغرق في هامشيات، وأقول يغرق لأنه للأسف الشديد ما زال غريقاً حتى اليوم، يغرق في ماذا؟! في تحريم، أو استكراه لبس الجلباب وتقصيره إلى ما فوق الكعبين، وضرورة الأكل باليمين، وكراهية استعمال الملعقة والشوكة والسكين واستحباب لعق الأصابع، وكراهية الشرب واقفاً، وكراهية الأكل على منضدة، وهذه إضافة إلى مسائل أخرى، منها: الاحتفال بالمولد النبوي، والتوسل بالصالحين...^(١)، وتجاوزوا ذلك إلى ما هو أبعد عمقاً، وأثراً، يقول فرج فودة: (أنا ضد تطبيق الشريعة الإسلامية فوراً، أو حتى خطوة خطوة)^(٢)، يريدون البعد عن الإسلام شكلاً ومضموناً، يقول مثلهم، وقدوتهم، طه حسين: (حياتنا المادية أوربية خالصة في الطبقات الراقية، وهي في الطبقات الأخرى تختلف قرباً وبعداً من الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات... ومعنى هذا أن المثل الأعلى للمصري في حياته المادية إنما هو المثل الأعلى للأوربي في حياته المادية... وحياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها وألوانها أوربية خالصة)^(٣)، وهكذا حتى أُطلق على كل ما هو إسلامي وصفاً ينفر الناس منه، مع محاربتة والوقوف ضده، وما خالف الإسلام يأخذ وصفاً محبباً للنفس^(٤).

(١) عزيز ضياء، «الغزو الفكري»، الدمام: جريدة اليوم، ١٤٠٦/١١/٦ هـ، العدد ٤٧٧٦، ص ١١.

(٢) (... (أحمد جودت، حوارات حول الشريعة، ص ١٤ - ١٥))... الصاوي، تهافت العلمانية، ص ١٦، ١١٩.

(٣) مستقبل الثقافة، ٣١ - ٣٢.

(٤) انظر المطعني، الفراغ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

وفي هذا الجانب يتم إبعاد كل ما له صبغة إسلامية في ما يجري بيننا وبين الأعداء، من مناقشات ومفاوضات في مختلف المجالات، لها أن تأخذ ما تشاء من الأسماء والأشكال، إلا الاسم الإسلامي حتى وإن كان منطلق الأعداء، ومدار حديثهم من الديانة اليهودية أو النصرانية^(١)؛ بل إن ذلك هو مطلب بعض المسلمين في حواراتهم الإسلامية، يقول فرج فودة (أرفض حوار الدولة مع المتطرفين على أساس ديني، وإنما الفيصل هو الدستور والقانون)^(٢).

ثالثاً: الدعوة إلى التجديد والتحديث في أمور الحياة كافة.

حيث ظهرت دعاوي التمدن والتقدم، والتحرر ومسايرة العصر في ترك الماضي بثوابته الراسخة والأخذ بكل جديد على علاته، فما دام مصدره بلاد الكفر، فهو عنوان الرقي والتحضر^(٣)، يقول أحدهم: (إن الحضارة الآن يملكها الغرب، ومن هنا فإننا يمكننا أن نأخذ من التراث بعض الأفكار التي لا تتعارض مع الحضارة الأوروبية الآن، أما بقية الأفكار فنقول لها وداعاً)^(٤)؛ لأنها عقبة في طريقهم التحرري من كل ما هو إسلامي، يقول أحدهم: (إننا في مجمل الأحوال، نسير في اتجاه معاكس لما هو سائد ومكرس في بنية المجتمع، وذلك هو المأزق الثقافي الشائك، الذي لا تدري كيف يمكن بالكاد تجاوزه، وتخطيه، أنت في كل هذا، وعبر كل الرؤى الحبيسة... تصطدم مرة أخرى بجملة حقائق، ومسلمات اجتماعية ثابتة، راسخة رسوخ الجبال الرواسي في أذهان الناس، أن لا بديل لما هو سائد ومكرس

(١) انظر الغزالي، حصاد الغرور، ص ٣٣، ٧٤ - ٧٦، ٩٠؛ وانظر «حفل توقيع الاتفاق الفلسطيني، الإسرائيلي»، تلفزيون المملكة العربية السعودية، القناة الأولى، الإثنين ١٤١٤/٣/٢٧ هـ، الساعة السادسة مساءً.

(٢) الصاوي، تهافت العلمانية، ص ١٨.

(٣) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥؛ وانظر محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ١٢٠؛ وانظر عدنان النحوي، الحدائق في منظور إيماني، الطبعة الثانية، ص ٢٢؛ وانظر عبد الله نور، «كنت أسعى إلى إثارة الغبار، وأتلذذ عندما أرى الناس يتقاتلون»، جريدة المدينة، ١٤١٤/٥/٢٦ هـ، الأربعاء الأسبوعي، ص ٢٠ - ٢١.

(٤) ... (جريدة الوفد، العدد ٢٥٠، ١٤٠٩/٥/٥ هـ) ... محمد عبد العليم مرسي، «لا، الغزو الكفري ليس أكذوبة»، مجلة الدعوة العدد ١١٨٩ ١٤٠٩/٩/٢٢ هـ: ص ٢٤.

أيضاً، إذ كيف يمكنك أن تمرر ما تحلم به، وما تود أن تقوله علناً؟^(١)؛ لأن الباطل لا يظهر إلا في غفلة من أهل الحق الذي يهوي على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

من هنا ظهر من يتعذر بأعذار وحجج واهية ضد تطبيق الشريعة الإسلامية، ووقف آخرون ضد كل ما هو إسلامي، معللين ذلك بافتراضات باطلة، القصد منها الحيلولة دون تمكين الإسلام من الحياة يقول فرج فودة: (إذا كان عدم تطبيق الشريعة معصية، فلتكن معصية نسعد بارتكابها؛ ارتقاء لما هو أسوأ، وهو الفتنة الطائفية)^(٢)، وهذا فؤاد زكريا يعلل رأيه بعدم إمكانية تطبيق الشريعة، إلى تدخل الأهواء والمصالح في التطبيق، فيقول: (ولكن من يطبقون هذا المنهج، من ينقلونه إلى حيز الواقع ويحولونه إلى سياسة وإلى حكم، هم بشر، وهؤلاء البشر يختلفون فيما بينهم أشد الاختلاف)^(٣) فكان من جراء ذلك ظهور إسلام عصري جديد، اعتمد في تكوينه على:

أ: تطوير وإصلاح المؤسسات الدينية، كما في تطوير الأزهر؛ بل تطويره^(٤)، وقد ظهر لأجل ذلك اتجاه فكري بداعي الإصلاح وتقريب المفاهيم الإسلامية من المفاهيم الأجنبية، وقد عُرف هؤلاء بأصحاب المدرسة العقلية، أو الإصلاحية. وهم في حقيقة أمرهم دعاة تبعية للكفار، ونقض لعرى الإسلام وتمييعه^(٥)، يقول أحدهم مبيناً دور الأزهر وخطورته: (كان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة، يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني، ولا يصيبون إلا قدراً ضئيلاً جداً من مرونة التفكير، والتقدير، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبع من داخله هو، لكانت خطوة جلييلة الخطر، فليس من اليسير أن نتصور أي

(١) أحمد فقيه، «الوعي الغائب»، جريدة عكاظ، ١٤٠٦/١٢/٢٨ هـ، العدد ٧٣٧١، ص ١٠.
(٢) ... (أحمد جودت، حوارات حول الشريعة، ص ١٨) ... الصاوي، تهافت العلمانية، ص ١٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٧١.

(٤) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢، ص ٢٦٧ - ٢٧٠.

(٥) انظر محمد البهي، الفكر الإسلامي، وصلته بالاستعمار الغربي، الطبعة الثانية عشرة، ص ٥٩ - ١٤٦؛ وانظر فهد الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، الطبعة الثالثة، ص ٨٠٤ - ٨٠٨.

تقدم، طالما ظل الأزهر متمسكاً بأساليبه الجامدة^(١).

ب: الدراسة العصرية للإسلام، دراسة تتفق مع ظروف العصر، ومتطلبات الأهواء والرغبات^(٢) ولا يعني ذلك عرض المستجدات على الشريعة، بل عرض الشريعة على الحياة؛ ليؤخذ منها ما يتفق مع الحياة المعاصرة، وي طرح ما سواه، يقول طه حسين: (وليس من شك في أن طبيعة الحياة المصرية تقتضي أن تُعنى كلية الآداب عناية خاصة بالدراسات الإسلامية، على نحو علمي صحيح - وهذا المنهج الصحيح، هو ما عبر عنه بقوله: - لأن كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوربية، وهي تعرف جهود المستشرقين في الدراسات الإسلامية)^(٣)، فهذا المنهج هو الذي يحدد الإسلام المناسب للعصر.

هذه الدراسة تقوم بها الآن مدارس غير متخصصة في العلوم الشرعية، تمنح الإجازات العلمية الشرعية للمتخرجين، كما هو الحال في كثير من الجامعات اللادينية^(٤).

ومن ذلك الدعوة إلى الاجتهاد المستنير؛ لتحقيق روح الإسلام وجوهره في تحري المصلحة التي يجب أن تكون فوق النص عموماً^(٥)، يقول فؤاد زكريا: (كل الحقائق الدينية قابلة للتغيير!! وما الاجتهاد إلا محاولة لتغيير الثوابت الدينية؛ لمواجهة عصور جديدة)^(٦).

هذا التطوير غايته خدمة أغراض الأعداء، ومسايرة حياتهم، وجعل الدين مستجيباً للحياة، يستقيم ويعوج بها، تقوده وتطوعه الأهواء والرغبات^(٧)، لذلك وجدت هذه الحركة كل تشجيع ودعم من المستعمرين والمنصرين والمستشرقين؛ لما فيها من أفكار تحقق مطامعهم وطموحاتهم^(٨)، يقول كرومر مثنياً على هذا العمل:

(١) محمد حسين، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٣٠٩ - ٣١١؛ وانظر عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص ١١٠.

(٣) مستقبل الثقافة، ص ٢٥٧.

(٤) انظر محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ٢١٢ - ٢١٧.

(٥) انظر الصاوي، تهافت العلمانية، ص ٣٣.

(٦) المرجع السابق، ص ٣٤.

(٧) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٨) انظر محمد حسين، المرجع السابق، ص ٢١٣ - ٢١٤، وانظر البهي، الفكر الإسلامي، ص =

(لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد إليه المرحوم الشيخ محمد عبده، هو السبيل الذي يؤمل رجال الإصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملتهم، إذا ساروا فيه فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف، وتنشيط من الأوربيين)^(١).

رابعاً: الانطلاق من تصورات غير إسلامية.

حيث الأخذ بنظريات الأعداء ونظمهم، وآرائهم، في تسيير أمور الحياة ومعالجتها، وما يطرأ عليها ففي أحكام الدين الإسلامي، مثلاً ينطلق البعض من نظرة ضيقة، توحى بأن في الشريعة قصوراً تعوضه تلك البدع والخرافات التي يدعون لإحيائها، تذكيراً وشحذاً للهمم، وهم متبعون في ذلك طريق الأعداء، الذين جعلوا من الأعياد المتعددة وسيلة إلى التذكير الذي لا سبيل له عندهم، إلا مثل هذه المناسبات، يقول أحدهم: (الأعياد والمناسبات، وقفات في حياة الأمم، يتصل فيها حاضر القوم بماضيهم، لبناء مستقبلهم، وهي تمثل في جملتها لحظات الإبداع والإشراق التي توجه مسار التاريخ ويستمد منها الناس قواهم الدافعة كلما رجعوا إليها بقلوبهم، وتأملوها بعقولهم، وبذلك تتجدد الحياة، وتنشط الهمم، ويستعيد الناس مع الذكرى فعالية الأفكار الكبرى التي صاغت وجودهم على الزمن)^(٢).

وفي مجال القضايا الإسلامية، تم تحريف وتحويل قضايا المسلمين من وجهتها الدينية، إلى وجهة دنيوية، ف قضية فلسطين أصبحت عربية؛ لتفقد قدسيتها، وانتماءها الإسلامي الكبير والحركات الجهادية حركات وطنية^(٣)، وفي ذلك ترسيخ للقومية التي جاء بها الأعداء لتفتت الصف الإسلامي، ومن الأمثلة الحية في هذا المجال، ما يقال الآن عن الجهاد في فلسطين، حيث يعبر عنه البعض بالانتفاضة، والبعض الآخر بالثورة الشعبية، أو ثورة أطفال الحجارة، وكل هذه العبارات هدفها إبعاد الجانب الديني عن هذا الجهد الجهادي. وكما في معالجة هزائم العرب من اليهود في حروبهم لتحرير فلسطين، وتعليلها بالتفوق الفني لقوات العدو، أو بعدم

= ٨٧، ١٤١ - ١٤٢.

(١) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، الطبعة الأولى، ج ٣ ص ٤٢٦.

(٢) عون الشريف قاسم، في الطريق إلى الإسلام، الطبعة الأولى، ص ٢٤٣.

(٣) انظر محمد الغزالي، حصاد الغرور، ص ٨٤، ١٣٧، ١٤٠؛ وانظر محمد قطب، واقعنا

المعاصر، ص ٢٠٤، ٣٢٠، ٣٢٣؛ وانظر الصواف، المخططات الاستعمارية، ٢٣٤ -

التطبيق الكامل للاشتراكية^(١)، أما الجانب الديني فلا علاقة له بتلك الهزائم كما زعموا.

وفي مجالات أخرى يتم الأخذ بنظم الكفار وتصوراتهم في المجالات الفكرية، الاجتماعية والخلقية، والاقتصادية، والسياسية^(٢)، حيث ظهر الفكر المادي، والاشتراكي، والعلماني والحدائي ونحوه، جاء في البروتوكولات: (إن نجاح داروين، وماركس، ونيتشه، قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لانتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي)، سيكون واضحاً لنا على التأكيد)^(٣)، نعم فقد ظهر من أبناء المسلمين من يقول بمعارضة الدين للعلم، ووجوب استقلالية العلم عن الدين، مستشهداً لذلك بما حصل بين النصرانية والعلم من صراع لم ينته إلا بالخروج على الكنيسة، يقول حبيب أمين كوراني، رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية في بيروت: (نجد أنفسنا في هذا الوضع مرغمين على إعادة النظر في مؤسساتنا التي تكونت ضمن الوضع القديم، وفي المبادئ والافتراضات والأهداف التي بنيت عليها تلك المؤسسات، وتعديلها على ضوء الوضع العلمي والحضاري الحديث، والوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي القائم في مختلف مجتمعاتنا، كي نتمكن من إعادة بناء حياتنا على أساس مبادئ وآراء ومثل بناءة، منسجمة، تتماشى مع الحضارة الإنسانية الراقية)^(٤).

كل ذلك يتم بداعي الحرية الفكرية والعقلية^(٥)، التي تجد لها دعاء إلى التحرر من عبودية التقليد كما زعموا، يقول أحدهم: (فكل الأنبياء والمصلحين كانوا أحرار الذهن، معتقي الفكر، كل الأنبياء كانوا من أعداء القديم البالي)؛ لذلك فعلى الناس أن ينظروا إلى الأشياء كما هي، لا كما رأها أسلافهم، ولا كما رأها من حولهم،

(١) انظر محمد الغزالي، المرجع السابق، ٢١، ٧٤، ١٠٥.

(٢) انظر محمد حسين، الانتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢٧٢؛ محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٣٤١ - ٣٥١.

(٣) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، الطبعة السادسة، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٤) محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ٢٧.

(٥) انظر البهي، الفكر الإسلامي، ص ١٥٧؛ وانظر محمد الغزالي، «عار على المسلم أن يهاجم دينه بدعوى حرية الرأي»، جريدة العالم الإسلامي، ١٤ - ٢٠/٧/١٤١٤ هـ، العدد ١٣٤١،

ولا كما يرونها بمنظار أميالهم، وعواطفهم، ومصالحهم^(١) إنها دعوة صريحة لأخذ كل ما يُلقى به الكفار دون تردد، وهذا ما صرّح به أحدهم بصورة أكثر وضوحاً، حينما قال: (إن السبيل إلى الوصول إلى مثل ما وصلت إليه الحضارة الغربية، لا يكون إلا بأخذنا بأسباب هذه الحضارة الغربية، في مادتها وروحها)^(٢). نتلقف ما تُلقى به إلينا جملة وتفصيلاً. فكان أن تلقى المسلم كل ما يُلقى الأعداء، وسلّم له دون الرجوع إلى الأصول الإسلامية؛ لتمحيصه ومن ذلك: قضية التطرف، فهم أطلقوها على جماعات إسلامية، وأخذ المسلمون هذه التسمية دون تمحيص لها، حتى أصبحت رمزاً للإسلام وأهله. ومنه أيضاً تجاهل علماء الإسلام، وإبراز رواد اللهو والغناء، والاحتفاء بهم. ومن ذلك تسمية قلب العالم الإسلامي بالشرق الأوسط، تقبلنا هذه التسمية دون تمحيص أو معرفة لأبعادها، والتي لا تخرج عن: إبعاد اسم العالم الإسلامي عن هذه المنطقة لإدخال إسرائيل فيها، وجعلها أصلاً، والإيحاء بأن الأصل الذي يدور حوله العالم هو العالم الغربي.

خامساً: التناقض الثقافي.

تعيش الأمة تناقضاً في أغلب مجالات الحياة، وسائر مرافقها الشعبية والرسمية، هذا التناقض سد أغلب أبواب الإصلاح والتغيير الفكري، والاجتماعي، والسياسي، فعلى مستوى العلماء تجد التناقض بين أقوال الغالبية منهم، وبين مجالات حياتهم العامة، وفي الإعلام تجد الخلط بين الجد والهزل، حتى أصبح الحق مجالاً للسخرية والاستهزاء، وفي مجالات الحياة العامة: في المنازل، والأسواق، والهوايات، حيث قلة الاهتمام بالحلال والحرام، ومن كل ذلك يبرز التناقض الثقافي في تيارين، أحدهما عقائدي إسلامي، تجده في المنابر والندوات، وبعض الصحف والمؤلفات، والآخر حضاري دنيوي تجده في أغلب شؤون الحياة العامة، ويمس صميم المجتمع، يُبرزه الإعلام عموماً، وتشعر معه بأنك في أحد البلدان الأجنبية^(٣).

(١) محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٢) ... (سامي جردان، مجلة الهلال، مايو ١٩٢٥ م) ... المرجع السابق، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٣) محمد الحسني، تناقض تحار فيه العيون، وتطابق يسر به المؤمنون، تقديم وترتيب: أبو الحسن الندوي، ص ١٩ - ٢٩.

سادساً - الابتعاد عن التعليم الديني .

السياسة التعليمية في أغلب البلاد الإسلامية قامت على أسس غير دينية، فجعلت التعليم موجهاً لا موجهاً، يخدم غايات معينة، عندها منظرو التعليم، يقول طه حسين: (التعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه، ووضعنا مناهجه، وبرامجه منذ القرن الماضي؟ على النحو الأوربي الخالص، ما في ذلك شك، ولا نزاع، نحن نكون أبناءنا في مدارسنا الأولية، والثانوية، والعالية، تكويناً أوربياً، لا تشويه شائبة)^(١)، مثل هذه السياسة التعليمية مطلب عدو، وغاية رئيسة لكافر، يقول جب: (السبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب أو الفرنجة، هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي. والأساس الأول في كل ذلك هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي، هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره)^(٢).

هذه السياسة تفرض على التعليم روحاً وضميراً تتجلى فيه توجهات المنظرين، وعقائد المؤلفين، يكون ضحيتها التعليم الديني، الذي واجه ويواجه حصاراً مادياً ومعنوياً، أدى إلى إبعاد المواد الشرعية عن المكانة اللائقة بها، فمثلاً أسوأ أوقات الدوام الدراسي وأثقلها، من نصيب المواد الإسلامية، ومدرستها الأقل مرتباً، والأقل فرصاً تدريبية وتشجيعية؛ بل قد يصل الأمر إلى اختيار نوعية معينة لتدريس المواد الإسلامية، هم الأسوأ هيئة وملبساً، ومستوى علمياً. ومقر المدارس الإسلامية الأبنية القديمة، أو ذات الشكل المنفر. أما خريج الدراسات الدينية، فهو الأقل بين زملائه فرصاً وظيفية، وقيادية.

وهذا ما جعل التعليم الإسلامي إن وجد في بعض البلاد الإسلامية مثار السخرية والاستهزاء، والنظر له بعين الازدراء والتهكم من قبل أبناء المسلمين، مما أدى ويؤدي إلى انصراف الناس إلى ألوان التعليم التي تجر المغانم، والمراكز القيادية^(٣)،

(١) مستقبل الثقافة، ص ٣٤.

(٢) ((Whither Islam ص ٣٢٩ - ٣٣٤)). . . محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٣) انظر محمد رشيد رضا، «السياسة ورجال الدين في مصر»، مجلة المنار ج ٧ المجلد ٢٢ =

يقول كرومر: (المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوربيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الأيام؛ لذلك سيكون المستقبل الوزاري للمصريين المترين تربية أوربية)^(١).

يقابل ذلك العناية بالتعليم الكافر واللاديني، والعمل على نشره من خلال المدارس الكافرة والعلمانية تلك المدارس التي عُتيت بالتشجيع والدعم المادي والمعنوي، حيث المباني الفخمة، والوسائل الحديثة والعناية بالأساتذة والطلاب تحفيزاً وتشجيعاً.

كل ذلك أسهم في سيطرت التعليم اللاديني والكافر على التعليم في بعض البلاد الإسلامية، فتمت عقول أغلب الطلاب على الأزدراء بالإسلام وأهله، وتمجيد الحياة الكافرة وروحها^(٢).

ذلك داخل المؤسسات التعليمية على مختلف المستويات، أما خارجها فقد أبعد أصحاب العلم الشرعي عن الواجهة القيادية للأمة، وذلك على مختلف المستويات الحياتية، مع حصرهم في دائرة ضيقة، وقصر نشاطهم على الوعظ والإرشاد، والإمامة والتدريس، والقضاء في الأمور الشخصية فقط^(٣)، في مقابل إبراز علماء العلم الدنيوي، وجعلهم المنظرين لمسيرة الأمة، ولك أن تتدبر ما يدور هذه الأيام عبر الوسائل الإعلامية، والرسمية في كثير من أنحاء العالم الإسلامي؛ بل أصبح التعرض للرموز الإسلامية أمراً سائغاً، حيث عمد ويعمد بعض المعاصرين إلى التعرض للرموز الإسلامية عامة، والمجاهدة خاصة، سواء في ذلك العلماء، أو

= (٢٩/٩/١٣٣٩ هـ): ص ٥٢٢ - ٥٢٤؛ وانظر محمد حسين، المرجع السابق، ص ٢٧٠ - ٢٧١؛ وانظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢١٩ - ٢٢٥، ٣١٣؛ وانظر جريشة، الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ص ٦٢ - ٦٤؛ وانظر الصواف، المخططات الاستعمارية، ص ١٥٢ - ١٥٣؛ وانظر الشبانه، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، ص ٦٤ - ٦٥.

(١) محمد حسين، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

(٢) انظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٩٠ - ١١٢؛ وانظر الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، الطبعة الرابعة، ص ١٧٥ - ١٨٢؛ وانظر جريشة، الزبيق، مرجع سابق، ص ٦٦ - ٦٧.

(٣) انظر عبد القادر عودة، الإسلام بين جهل أبنائه، وعجز علمائه، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص ٦٣؛ وانظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١.

الجماعات، أو الحكومات، أملاً في النيل منهم، وحجبهم من الظهور، أو الحد من حجم تأثيرهم، وقد تفاوت مصدر هذا التعرض، وأسبابه لكنه في الجملة خدمة للأعداء، وتنفيذاً لأهدافهم، التي تتعمد القضاء على المرتكزات الإسلامية، يقول محمد نور فرحات: (أحد المرتكزات الرئيسية للتأثير في الأغلبية الصامتة (الجماهير)، هو ضرب المرتكزات الأساسية، التي تنطلق منها هذه الاتجاهات الدينية)^(١)، وتمشياً مع هذا الاتجاه، يقول حسن حنفي: (لقد كانت معظم الحركات الإصلاحية القديمة حركات سلفية، تحافظ على القديم أكثر مما تبغي من تحليل الواقع، فقد كان الواقع جزءاً من القديم؛ لأننا جميعاً مسلمون، كانت الحركات الإصلاحية القديمة دفاعاً عن القديم ضد الجديد الممثل في النظريات الجذرية للتغيير، سواء في الفكر، مثل التيارات العلمية والمادية، أو في الواقع، مثل النظم الاشتراكية، واتهامها بالإلحاد والشيوع)^(٢).

هذه السياسة إجمالاً وغيرها، أسهمت وتسهم في بروز قادة للصراع الفكري من أبناء المسلمين، بعد أن نجح الأعداء في التأثير على مجموعة منهم، صنعوا فكرهم، ودعموا مكائنتهم؛ ليكونوا قادة في بلاد المسلمين، يمثلون الأعداء فيها، ينفذون رغباتهم، ويسيروا حسب توجيهاتهم، يقول هوارد بلس: (لقد نجح التنصير في طبخ قادة كثيرين تسللوا - ولا يزالون - إلى مراكز السلطة في العالم المسلم كله تقريباً، ولقد وصل خريجون الجامعة الأمريكية، ممن غُسلت أدمغتهم، إلى المناصب القيادية في أكثر البلاد العربية)^(٣)، فكان أن تسلّم جيل مسلم مهام الصراع، وقاموا بدور الأعداء في كافة المجالات الفكرية، والاجتماعية^(٤)، والسياسية^(٥)، فمع انتسابهم إلى الإسلام، إلا أنهم في بُعد عنه، وقُرب من الأجنبي^(٦)، الذي أولاهم

(١) الصاوي، تهافت العلمانية، ص ٢٠.

(٢) التراث والتجديد، الطبعة الرابعة، ص ٥٧.

(٣) عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٨٧.

(٤) انظر أبا الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص ١٠٠ - ١٧٠؛ وانظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢٥٩ - ٢٦٠؛ وانظر أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين؛ وانظر عوض بن محمد القرني، الحدائث في ميزان الإسلام.

(٥) انظر ضابط تركي سابق، الرجل الصنم كمال أتاتورك، ترجمة: عبد الله عبد الرحمن؛ وانظر محمد قطب، المرجع السابق، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٦) انظر العقاد، ما يقال عن الإسلام؛ وانظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٢٥ =

العناية والرعاية، يقول القائد الفرنسي الجنرال بيير كيللر: (إن انتشار لغتنا، وإشعاع ثقافتنا، وأعمالنا الإنسانية، وعظمة الأفكار والعبقرية الفرنسية، هي الأعمال المكتملة لنا، وسوف لن نهملها أبداً)^(١)، فعملوا على تركيزهم في المراكز المؤثرة، والمسموعة، فهذا جب يقرر بأن الصحافة أقوى الأدوات وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي، وتبعاً لذلك فمديرو الصحف في البلاد الإسلامية قد وقعوا تحت تأثير الأفكار الأجنبية، وهم الآن يقومون بالدور الذي يريده الكفار، من جعل المسلمين يبدون في مظهرهم العام بعيدين عن تعاليم الإسلام^(٢)، وهذا هو واقع المراكز القيادية عموماً في أغلب البلاد الإسلامية، حتى أصبح الكافر يردد ما يريد في بلاده والبيغاوات في بلاد المسلمين تنعق بما لا تعلم، يقول سارتر: (منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم، كنا نصيح من أمستردام، أو برلين، أو باريس، الإخاء البشري، فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي أفريقيا، أو الشرق الأوسط، أو شمالي أفريقيا، كنا نقول: ليحل المذهب الإنساني، أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة، وكانوا يرددون، هذه أصواتنا من أفواههم، وحين نصمت يصمتون إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم)^(٣).

ومن النادر في عالمنا الإسلامي أن تجد نظرية، أو رأياً لعالم كافر، دون وجود من يتبناه من أبناء المسلمين، طرحاً، ودفاعاً، وتنفيذاً^(٤)، وقضية الحدائث في أيامنا هذه خير شاهد ودليل^(٥)، يقول الرافي عن هذه الفئة: (رجعوا إلى بلادهم ومنبتهم، ينكرون الميراث العربي بجملته، في لغته وعلومه وآدابه، ويقولون: ما هذا الدين

= وانظر عبد الله علي المطوع، «بورقية يشارك في الحملة العالمية ضد الإسلام»، مجلة المجتمع العدد ١٩٨ (١٣٩٤/٤/٨ هـ): ص ١٦ - ١٨؛ وانظر محمد قطب، مرجع سابق، ص ٢٠٨ - ٢١٠؛ وانظر الصواف، المخططات الاستعمارية، ص ٩٥.

(١) القضية العربية، ص ١٢٠ - ١٢٣.

(٢) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٣) عبد القادر عبار، «شبابنا في وجه الاعصار الغربي»، مجلة الأمة العدد ٥٠ (١٤٠٥/٢ هـ): ص ٢١.

(٤) انظر محمد حسين، مرجع سابق.

(٥) انظر النحوي، الحدائث من منظور إيماني؛ وانظر القرني، الحدائث؛ وانظر حسن الهويمل، الحدائث بين التعمير والتدمير.

القديم؟ وما هذه اللغة القديمة؟ وما هذه الأساليب القديمة؟^(١).

وتبعاً لهذا البروز تلاحظ هذه الأيام خفة حدة المواجهة مع المستشرقين والمنصرين، وبعدهم عن الواجهة في ما يوجه للإسلام من تهمة وشبهات، يقوم بها أبناء المسلمين، ممن صنعهم الأعداء في معاقلة الفكرية، ولك أن تتمعن في ما يكتبه العلمانيون اليوم في كثير من بلدان العالم الإسلامي.

سابعاً: محاربة اللغة العربية^(٢).

وقد أخذت هذه الحرب عدة أشكال منها: التطوير والإصلاح، حيث جعلوا من مسaire العصر غطاءً لأهدافهم التي لا تتجاوز التخلص من لغة القرآن الكريم، فأكثروا من وصفها باللغة الميتة، ذات القواعد المعقدة، وعملوا على ترسيخ ذلك المفهوم، واحتجوا بوضع المتون الجافة لبعض المؤلفين إمعاناً في تنفير الناس منها^(٣).

وحاربوها بالدعوة إلى العامية؛ لأجل إيجاد فجوة بين أبناء المسلمين وفهم القرآن الكريم، الذي نزل بلسان عربي مبين، وليكون فهمه محصوراً في رجال معدودين، كما في رجال الدين النصراني، الذين يقتصر عليهم في قراءة وفهم الإنجيل^(٤)، يقول المنفلوطي: (ويهدمون اللغة العربية هدماً بهذه اللهجة العامية الساقطة التي يكتبون بها رواياتهم، وينظمون بها أناشيدهم، وينشرونها في كل مكان ويفسدون بها الملكات اللغوية في أذهان المتعلمين، ثم يزعمون بعد ذلك أنهم

(١) مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن، صحح أصوله: محمد سعيد العريان، ص ٢١.

(٢) انظر المرجع السابق؛ وانظر محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ١٣٩ - ١٥٩، ١٦٦ - ١٧٦، ١٩٩ - ٢١٢؛ وانظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢٩٥ - ٢٦٠؛ وانظر عبد السلام المفتاحي، «خلال ندوة الرباط: الباحثون والعلماء يتدارسون هموم اللغة العربية: اللغة العربية تعاني من فقر في توافقها مع مستجدات الحياة»، جريدة المدينة، ١/٨/١٤١٤ هـ، ص ١٤ - ١٥؛ وانظر «لأنه مرتبط بالناس: الأكاديميون يغيبون الأدب الشعبي، الاهتمام بالأدب الشعبي تعزيز للفصحى، ودعم لها، نحن نسيء للغة الفصحى إذا قلنا أنها ليست شعبية»، جريدة الرياض، ١/١١/١٤١٤ هـ، العدد ٩٤٢٣، ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٣٦٣، ٣٦٥ - ٣٧٢.

(٤) انظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٢٢٤ - ٢٣٢؛ وانظر محمد حسين، المرجع السابق، ص ٣٧٠.

أنصار اللغة العربية وحماتها^(١).

وفي هذا المجال نجد الاهتمام بما يسمى بالأدب الشعبي، حيث إبراز كل ما هو عامي^(٢) وشاذ عن القواعد الأصلية، ويلمس المتابع ما يحظى به هذا الجانب من اهتمام في صحافتنا المعاصرة، وبعض الجهات الرسمية، مما رفع من شأن هذه الدعوة، وروج لبضاعتها المسمومة.

وعملوا على محاربة اللغة العربية بالدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، واستطرد المؤيدون في تمجيد ذلك، حتى ناقشته المجمعات اللغوية بتأثير منهم، ووصل الحال ببعض البلاد الإسلامية إلى تطبيق ذلك، مما أسهم في القضاء على اللغة العربية في تلك البلاد^(٣).

هذه المحاولات ظاهرة الخطورة، مكشوفة الأهداف، لكن الأخطر في كل ذلك هو محاولات التوفيق بين هذه الدعوات، والثوابت اللغوية التي ينادي بها أصحاب أنصاف الحلول، ففي ذلك الحل تحول هادئ لا يسترعي الانتباه، نحو العبث باللغة وإفسادها، ومن ذلك ما ينادي به البعض من تطعيم اللغة ببعض الألفاظ العامية^(٤)، ومن حفظ الأدب الشعبي من الضياع، ففي كل ذلك خطورة على اللغة لا تبرز أخطاره إلا مع مرور الأجيال، فالانتقال إلى الخطوة التالية من سنن الحياة.

كل هذه المحاولات تهدف إلى تفريق المسلمين إلى وحدات فكرية متناحرة، وقطع الصلة بينهم وبين القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكتب الدين، والتاريخ الإسلامي^(٥).

ثامناً: النظر بعين الازدراء للتاريخ الإسلامي.

فمع العناية بالتاريخ الأجنبي، والإسهاب في عرض مواده، نجد إهمال التاريخ

(١) المنفلوطي، النظرات، ص ٢٧٩.

(٢) انظر محمد حسين، مرجع سابق، ص ٣٦٨، ٣٨٢ - ٣٨٤؛ وانظر حصوننا مهددة، ص ١٩٠.

(٣) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٣٦٣، ٣٧٦ - ٣٨٢.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

(٥) انظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٢٢٤؛ وانظر محمد حسين، المرجع السابق، ص ٣٨٤.

الإسلامي عموماً^(١) فالتاريخ عموماً قسموه إلى: قديم، ووسيط مظلم، وحديث. فالوسيط المظلم يعني عصور الازدهار الإسلامي، والعصر الحديث، ذلك العصر الذي بدأ فجره بقدوم نابليون إلى مصر^(٢). زادوا على ذلك بأن ركزوا في التاريخ الإسلامي على المسائل الخلافية اليسيرة فضخموها، وجعلوها مداراً للحدث التاريخي الإسلامي، كما عرضه على أنه مجرد حروب طاحنة، وصراعات دامية. يصاحب ذلك العرض التاريخي تصوير خاطيء للرموز الإسلامية، كالذي تعرض له بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين، ولا تزال تتعرض له الخلافة العثمانية. وفي كل ذلك يتم إغفال دور الجهاد في التأثير على التاريخ الإسلامي، وكذا إهمال تاريخ الجهاد عبر التاريخ الإسلامي.

كل ذلك أسهم ويسهم في تحقير التاريخ الإسلامي^(٣)، وجعل الفرد المسلم في بُعد ذهني وروحي عن تمثل ذلك الدور التاريخي فيه.

تاسعاً: سقوط الإعلام.

حيث أصبح بأدواته المختلفة، الأداة المسيطرة على عقول كثير من أبناء المسلمين، فهوى بهم إلى مدارك الانحلال، وأشاع بينهم الفساد كأفضل مما أراد الأعداء. فإلى جانب إهمال الدين، وعدم الاكتراث به، هاجم الدين وعمل على تشويه حقائقه، وإشغال الناس عنه بالمظاهر الفارغة^(٤)، وأبلغ تصوير لأثره اليوم، ذلكم البيان الذي صدر عن المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، المنعقد في المدينة المنورة في عام [١٣٩٧ هـ]، ومما جاء فيه: (يندد المؤتمر بالهوة

(١) انظر أنور الجندي، سموم الاستشراق، في العلوم الإسلامية، الطبعة الثانية، ص ٢٧ - ٦٣، ١١٤.

(٢) انظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢٢٤ - ٢٢٩، ٢٩٧ - ٣٠١؛ وانظر السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ١٨٤ - ١٨٧.

(٣) انظر أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٧٦.

(٤) انظر محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ٤٣ - ٥٨؛ وانظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢٣٥؛ وانظر المطعني، الفراغ، ص ١٥٣ - ١٩٥؛ وانظر الشبانة، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، ص ٧٣ - ٨٢؛ وانظر الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، «الصوم يعمق قيم التكافل الاجتماعي في حياة المسلمين»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٤/٩/١١ هـ، العدد ٥٥٦٤، ص ٢٢.

السحيفة التي تردى فيها إعلامنا ولا يزال يتردى، عن علم من القائمين به، أو عن جهل منهم، فبدلاً من أن يكون الإعلام في البلاد الإسلامية منبر دعوة للخير، ومنار إشعاع للحق، صار صوت إفساد وسوط عذاب، وسكت القادة فأقروا بسكوتهم، أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا، وزلزل الناس في إيمانهم، وقيمهم، ومثلهم، ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق^(١).

عاشراً: الدعوة إلى الارتقاء في أحضان الغرب.

بأن نكون جزءاً منهم، بعد أن نسلخ من كل مقومات الحياة الإسلامية، يقول طه حسين محدداً طريق الحضارة: (نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوة من يوم إلى يوم، حتى نصبح جزءاً منها لفظاً ومعنى، وحقيقةً وشكلاً)^(٢)، ويقول آخر: (الغزو الفكري أتصور حدوثه فقط في حالة الاستعمار، ولو كان يسمى الانفتاح على الدول الغربية غزواً، فأنا أقول بصراحة: مرحباً بهذا الغزو)^(٣)؛ لأنه يقتلع المسلم من أصوله كما أرادوا، ويكونه غريباً في فكره، وفي سلوكه، وفي سائر شؤون حياته. هذه الدعوة تأخذ أشكالاً منها الدعوة إلى الأخوة الإنسانية العالمية، فتحت الشعار اليهودي الأجوف: الحرية، الإخاء، المساواة، والذي يقول اليهود عنه: (كنا قديماً أول من صاح في الناس: الحرية، والمساواة، والإخاء، كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر... إن صيحتنا الحرية، والمساواة، والإخاء، قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم الأربع، عن طريق وكلائنا المغفلين، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نشوة، بينما كانت هذه الكلمات... مدمرة بذلك أسس الدول)^(٤)، تلقف بعض أبناء المسلمين تلك الدعوة، وراحوا يدعون لها^(٥)، مع ما تحمله من قضاء على الروح الجهادية، يقول الدكتور محمد البهي في حديثه عن السيد أحمد خان، أحد أشهر

(١) جريشة، الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ص ٧٣.

(٢) مستقبل الثقافة، ص ٣٣.

(٣) ... (عاطف العراقي، جريدة الوفد، ١٤٠٩/٥/٥ هـ العدد ٢٥٠)... محمد عبد العليم مرسي، «لا، الغزو الفكري ليس أكذوبة»، مجلة الدعوة العدد ١١٨٩ (٢٢/٩/١٤٠٩ هـ): ص ٢٤.

(٤) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد التونسي، ص ١١٠ - ١١١.

(٥) انظر تفصيل ذلك ومناقشته عند: العلياني، أهمية الجهاد، ص ٤١٦ - ٤٤٨.

الدعاة إلى الإنسانية: (في شرحه لآيات القرآن، أضعف من فرضية الجهاد في الوقت الحاضر، كما أنه في الآيات الأخرى الخاصة بأهل الكتاب، عبر في غير لبس عن توهين الفجوة بين أهل الكتاب من جانب، والمسلمين من جانب آخر وطلب التعاون بين المسلمين والغربيين، ودعا إلى ما أسماه: إنسانية الأديان، أي: المعنى الإنساني العام الذي تدعو الأديان السماوية إلى اعتباره وحفظه... وفي هذه الفكرة تتمحي كل الفوارق بين الأوطان، والقوميات، والأديان، والمذاهب)^(١)، ويقول أبو زهرة: (وإنه في الوقت الذي يشعر الإنسان فيه بالأخوة الإنسانية، وأن التعاون مطلوب في كل صورته، وأحواله، تختفي روح النزاع)^(٢).

ومن أشكال الدعوة للارتقاء في أحضان الغرب الدعوة إلى المسالمة والتقارب مع الكفار، فبدلاً من الدعوة إلى مجاهدة الأعداء، ظهرت جمعية التقريب بين الأديان، تحقيقاً لهدف الأعداء، ومخالفةً لتوجيه رب العالمين^(٣)، قال: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمُ * وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُم دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٤)، في مقابل هذا التوجيه الإلهي، يقول جمال الدين الأفغاني: (وجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان، أن الأديان الثلاثة الموسوية، واليسوعية، والمحمدية، على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في الواحدة شيء من أوامر الخير المطلق، استكملته الثانية، وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير، أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثل ما اتحدت الأديان في جوهرها، وأصلها، وغايتها)^(٥).

وقد وجد أصحاب هذه الدعوات كل عون وتشجيع من الأعداء، بل إنهم قد اعتبروا الحلفاء الطبيعيين لهم؛ لأنهم يعملون على تقريب الهوة الفاصلة بين

(١) الفكر الإسلامي، ص ٣٧.

(٢) العلاقات الدولية، ص ٢٥.

(٣) مصطفى غزال، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، الطبعة الأولى، ص ٢٤١ - ٢٤٨؛ وانظر عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٤٠ - ٦٤؛ وانظر غازي التوبة، الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، ص ١٧ - ١٨؛ وانظر جريشة، الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ص ٢٠١ - ٢٠٣.

(٤) سورة الكافرون.

(٥) الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، الطبعة الأولى، ج ١ ص ٧٠.

المسلمين وأعدائهم^(١)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية، يخطئون في فهم معنى الأديان، كما يخطئون فهم معنى التسامح، فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله، والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي، إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم، بأن الله لا يقبل ديناً إلا الإسلام)^(٢).

ولأجل هذه الغاية المسمومة عقدت ولا تزال تعقد الاجتماعات الدورية، التي تجد الدعوة، والدعم المادي والمعنوي من منتسبين للإسلام، على مستوى الأفراد، والعلماء، والحكومات^(٣).

وتحت ستار نبذ التعصب والطائفية، تمكن الكفار من بلوغ مناصب عليا في كثير من الدول الإسلامية المعاصرة، بل إنهم اليوم يدافعون عن المقدسات الإسلامية، ويتفاوضون بشأنها، في ظل غياب الإسلام وأهله عن ذلك.

حادي عشر: تعطيل الجهاد.

وذلك عبر دعوات، وممارسات، وأفكار، متفاوتة في القوة والتأثير، من أبرزها:

أ: تمييع الجهاد، وذلك من خلال تكرار الدعوة للجهاد قولاً لا عملاً، حتى يُبتذل، ويصبح لفظاً تلوكة الألسنة، يفقد توجهه وحرارته على المسامح، والأذهان. أو من خلال التسمي به، مع البعد عن الواقع الجهادي الصحيح، فيصبح عنواناً للنكبات والهزائم، كل ذلك ونحوه يسهم في إماتة عاطفة الجهاد لدى المسلمين.

ب: رفض الجهاد المادي، والاكتفاء من الجهاد بالجهاد النفسي، عن طريق

(١) انظر محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ص ٨١٩ - ٨٢٩؛ وانظر محمد حسين،

الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٣٠٧؛ وانظر محمد قطب، واقعا المعاصر، ص ٣١٢.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ٩١٢.

(٣) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٠؛ وانظر خالد القاسم،

الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، ص ١٢٣ -

١٣٣.

مجاهدة النفس بالتركية ومجاهدة الناس والحكام من خلال الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، واعتبار ذلك بديلاً لمجاهدة الأعداء جهاداً مادياً^(١)، يقول أحدهم: (إن العمل الصالح هو العمل المنتج، مثل أن يكون هو العبادة، إن هذا العمل الصالح لهو اليوم أفضل جهاد في سبيل الله)^(٢).

ج: تقسيم الجهاد إلى هجومي ودفاعي، وتلك قضية أشبعت بحثاً ومناقشة، فلا أرى سائغاً لإعادة ما كتب فيها^(٣)، لكن الذي أراه، هو أن أساس هذا التقسيم هو ما طرأ من حرب فكرية، وسهام عدوانية وجهت للجهاد، انقسم المسلمون بعدها إلى فريقين، ينظر كل منهما إلى أدلة الجهاد وأقوال العلماء فيه تحت تأثير تلك الحرب الشعواء، وكرد فعل لها، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (يجب أن لا نخدعنا، أو تفزعنا حملات المستشرقين على مبدأ الجهاد، وألا يتقل على عاتقنا ضغط الواقع وثقله في ميزان القوى العالمية، فنروح نبحث للجهاد الإسلامي عن مبررات أدبية، خارجة عن طبيعة هذا الدين)^(٤).

من هنا أخذ كل فريق من الأدلة والأقوال ما يناسب ويدعم ما ذهب إليه في مواجهته لأقوال الأعداء، فمن قال بأن الجهاد دفاعي، دفعه إلى ذلك: الغيرة على الإسلام من تلك الهجمة الشرسة للأعداء، وتشويهم للجهاد، والرغبة في إيضاح ما يتمتع به الإسلام من سماحة، ودعوة أمن وسلام.

ومن قال بأنه هجومي، دفعه إلى ذلك: الحماسة الدينية، والغضب من جرأة الأعداء، وبيان قوة الإسلام وأهله في مواجهة الباطل، وأعوانه، مع أنهم في أقوالهم وأدلتهم يجمعون بين الأمرين، يقول أحد القائلين بأن الجهاد للدفاع: (الجهاد المشروع في الإسلام، هو الدفاع عن الدين، ودفع أذى المعتدين على المؤمنين، وأن الإسلام يسالم من يسالمه، ولا يقاتل إلا من يقاتله، أو يمنع نشر دعوته، أو

(١) انظر فتحي يكن، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، الطبعة العاشرة، ص ٨١.

(٢) عبد اللطيف غزالي، نظرات في الدين، ص ٣٧.

(٣) انظر صالح اللحيدان، الجهاد بين الطلب والدفاع، الطبعة الرابعة، ص ٩٧ - ١٢٣؛ وانظر عبد الله بن زيد آل محمود، الجهاد المشروع في الإسلام، الطبعة الثانية، ج ٢؛ وانظر ظافر القاسمي، الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، الطبعة الأولى، ص ١٦٠ - ٢٥٠؛ وانظر العلياني، أهمية الجهاد، ص ٣١٨ - ٣٤٩.

(٤) معالم في الطريق، ص ٧٧.

يلقي الفتنة بين أهلها^(١)، وهنا يكون الجهاد ابتداءً.

وقد غاب عن أذهان الفريقين أن الجهاد مصطلح إسلامي، لا يصح إطلاق المفاهيم الضيقة للحرب عليه، يقول المودودي رحمه الله تعالى: (إن ما اصطلحوا عليه اليوم من تقسيم القتال إلى القتال الهجومي والدفاعي لا يصح إطلاقه على الجهاد الإسلامي البتة، وإنما يصدق هذا المصطلح على الحروب القومية والوطنية)^(٢)، ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (الجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم، ولا بواعثها، ولا تكييفها)^(٣)، حتى قال: (وقد غشي على أفكار الباحثين العصريين... ذلك التصور الغربي لطبيعة الدين، وأنه مجرد عقيدة في الضمير، لا شأن لها بالأنظمة الواقعية للحياة، ومن ثم يكون الجهاد للدين، جهاداً لفرض العقيدة على الضمير)^(٤).

والقول الفصل في ذلك ما قرره العلامة المودودي رحمه الله تعالى بقوله: (لا ينطبق هذا التقسيم على الجهاد الإسلامي بحال من الأحوال، فإن الجهاد الإسلامي إذا أردت الحقيقة، هجومي ودفاعي معاً هجومي لأن الحزب الإسلامي يصاد ويعارض الممالك القائمة على المبادئ المناقضة للإسلام، ويريد قطع دابرها، ولا يتحرج في استخدام القوى الحربية لذلك، وأما كونه دفاعياً؛ فلأنه مضطر إلى تشييد بنيان المملكة وتوطيد دعائمها، حتى يتسنى له العمل وفق برنامج وخطته المرسومة)^(٥)، وإلى ذلك ذهب سيد قطب رحمه الله تعالى بقوله: (الذي يدرك طبيعة هذا الدين... يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف، إلى جانب الجهاد بالبيان، ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح الحرب الدفاعية... إنما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير الإنسان في الأرض، بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري، وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة)^(٦).

(١) آل محمود، الجهاد المشروع، ص ٤٣.

(٢) الجهاد في سبيل الله، ص ٤٢.

(٣) معالم في الطريق، ص ٥٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٨١.

(٥) الجهاد في سبيل الله، ص ٤٢ - ٤٣.

(٦) مرجع سابق، ص ٦٤.

د: القول بإمكانية تحقيق غايات الجهاد عبر المفاوضات، والتعايش السلمي، دون اللجوء إلى جعل الجهاد في تنظيم معين في أرض الواقع العملي^(١)، يقول أحدهم: (لقد صار البديل عن الجهاد هو العمل، ولقد صار البديل عن الحرب هو التعايش السلمي بين الدول والشعوب)^(٢).

هـ: القول بعدم قبول الجهاد في هذا العصر المتمدن، وتبعاً لذلك يجب على الأمة اللجوء إلى وسائل أخرى كالاقتصاد والعلم ونحوها^(٣)، يقول أحدهم معاتباً من غضبٍ لحذف كلمة الجهاد في مؤتمر القمة الإسلامي: (لا يريد أن يعترف بأن الدنيا تغيرت، وأن ما كان مقبولاً في نصف القرن الماضي لم يعد مستساغاً ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين)^(٤).

و: الإيحاء بأن الجهاد دعوة إلى العنف والهمجية، وضد السلام، يقول أحدهم: (من استمع إلى مؤذني القاهرة خلال حرب عام [١٩٦٧ م - الموافق ١٣٨٧/٢/٢٧ هـ] يدعون المؤمنين إلى الجهاد يصعب عليه كما صعب على الغرب خلال التاريخ، ألا يصدق أن الجهاد المخيف ليس إلا دعوة إلى المذابح... وليس من الأمانة القول بأنه لا أساس لهذه المخاوف، فللجهاد مظهره العنيف، ولا يمكن القول بأن المحاولات الأخيرة لنفي جانب العنف، وللتأكيد على أن الجهاد لم يكن إلا تشدداً في نشر الإسلام، هي محاولات متزنة)^(٥)؛ لذلك فهو خطر على الحركات السلمية المزعومة، التي من مبادئها المشروطة، الابتعاد عن الجهاد قولاً وذكراً، فضلاً عن كونه واقعاً ميدانياً مشاهداً.

ز: التحريف في أحكام الجهاد، ومن ذلك الدعوة إلى موالاتة الكفار ومحبتهم، حيث جعلوا مودة الكافرين أصلاً من أصول الإسلام^(٦)، يقول أحدهم: (الإسلام يعتبر الناس جميعاً أمة واحدة، لا تفرقها الألوان، ولا الأقاليم، ولا

(١) انظر يكن، أبجديات التصور الحركي، ص ٨٢.

(٢) غزالي، نظرات في الدين، ص ٣٦.

(٣) انظر محمد قطب، تطبيق الشريعة، ص ١٢٦.

(٤) ... ((١٤١٢/٦/٨))... الصاوي، تهافت العلمانية، ص ٨٥.

(٥) مجيد خوري، بحوث في الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ٦٩.

(٦) انظر محمد عبده، الإسلام والنصرانية، مع العلم والمدنية، الطبعة السادسة، ص ١٤٨ -

الجنسية، وإذا اختلفت الأديان، فهو أهل كل دين لهم أن يدعو إلى دينهم بالحكمة، والموعظة... وإذا كان الناس أمة واحدة، فإن الأخوة الإنسانية ثابتة يجب وصلها ولا يصح قطعها، وقد أمر الله بأن توصل القلوب بالمودة... إن المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ولا الاختلاف^(١)، وهذا كلام صريح^(٢) في مخالفة مفهوم الولاء والبراء، يفضي إلى إماتة الروح الجهادية لدى الفرد والمجتمع المسلم.

ومن التحريف أيضاً الإيحاء بمفهوم خاطيء لدار الحرب^(٣)، حيث جعلوا مدار ذلك حالة الحرب بين المسلمين والكفار، يقول أحدهم: (إن دار الحرب هي مجرد منطقة حرب، ومسرح معركة بالنسبة لدار الإسلام التي فرضت عليها الأوضاع في الماضي أن تتكفل، وأن تعتبر البلاد غير الإسلامية في مركز العدو الذي برهنت الأحداث على نظرتة العدائية للمسلمين، فهو تقسيم طارىء بسبب قيام حالة الحرب، أو الحرب نفسها، فهو ينتهي بانتهاء الأسباب التي دعت إليه^(٤)) ويقول مرة أخرى: (والخلاصة في رأينا: أن أساس اختلاف الدارين، هو: انقطاع العصمة، وأما تغير الدينين - الإسلام وعدمه - فليس هو مناط الاختلاف)^(٥)، وعلى هذا الرأي، فلا دار حرب اليوم في ظل التوقيع على معاهدات المنظمات الدولية المعاصرة. وتبعاً لهذا الرأي، وفي ظل الواقع المعاصر، فقد أصبح الجهاد من بقايا الأمس التي انتهت صلاحيتها، وذلك قول يسهم في تحقيق رغبة الأعداء، وفي القضاء على جذوة الجهاد، واقتلاعها من القلوب، بتخدير المشاعر تجاه الأعداء، فهم في دار واحدة، يُكفل لهم فيها الأمن والسلام، ما لم يتعرضوا لكفر تلك البلاد.

وهذا خطأ فاضح، وانحراف مخل، يخالف ما جاء به الإسلام من تحديد لدار الحرب^(٥)، يقول عبد القادر عودة رحمه الله تعالى: (تشمل دار الحرب كل البلاد

(١) محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر)، ص ٤٢.

(٢) انظر مناقشة مستفيضة لأقوال وأدلة أصحاب هذا القول عند: العلياني، أهمية الجهاد، ص ٣٥٠ - ٣٦٢.

(٣) انظر مناقشة لهذا الفهم الخاطيء، وعرضاً لمزيد أقوال حول هذا الموضوع، عند: القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ١ ص ٥٩٩ - ٦٠٨؛ وانظر العلياني، المرجع السابق، ص ٣٦٢ - ٣٧٠.

(٤) وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، الطبعة الثالثة، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٥) انظر ص ٥٧٦ من هذه الرسالة.

غير الإسلامية التي لا تدخل تحت سلطان المسلمين، أو لا تظهر فيها أحكام الإسلام، سواء كانت هذه البلاد تحكمها دولة واحدة، أو تحكمها دول متعددة ويستوي أن يكون بين سكانها المقيمين بها إقامة دائمة مسلمين، أو لا يكون، مادام المسلمون عاجزين عن إظهار أحكام الإسلام^(١).

تلك هي أبرز آثار الصراع المعاصر مع الأعداء، ومنه نلمس أنه لم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا وترك له أثراً واضحاً فيه، وأن خطورته تزداد على مر الأيام؛ لما يحمله من شُبُهٍ مدروسة، تُعرض بأسلوب قريب إلى النفس، وفي ظل غياب الأسلوب المناسب عند البيان والكشف عن حقيقة تلك الشبه، وقد أصبح اليوم، وكأنه صراع داخلي بين أفراد المجتمع الإسلامي، وبلغ مداه أوجه، فقد شارك في توجيه النشء المسلم وتربيته، فهو معهم في المنزل والمدرسة، والشارع.

ومن تمثلت فيه هذه الآثار سيعاني ولا ريب من التناقض والاضطراب الفكري الذي يمنعه من الاستجابة لنداء الجهاد، فهل سيجاهد من في قلبه شك حول التشريع الإسلامي فضلاً عن من يحاربه؟ أم سَيُجَاهِد من يعمل على نشر فِكْرٍ من يجب جهاده؟ أم سيجاهد من اتهم الجهاد؟.

(١) التشريع الجنائي الإسلامي، مقارناً بالقانون الوضعي، الطبعة الثامنة، ج ١ ص ٢٧٧.

المطلب الثالث

التقويم

هذا النوع من الصراع لم يكن جديداً على الأمة، فعلى أثر الفتوحات الإسلامية، واحتكاك المسلمين بغيرهم من شعوب العالم، وترجمة الفلسفة اليونانية، تعرض الإسلام إلى كثير من حملات الزندقة والإلحاد، بهدف التشكيك والتشويه للعقيدة الإسلامية، وخاض المسلمون ذلكم الصراع الذي امتد لأكثر من ثلاثة قرون، وجدّ خلالها الدعم السياسي والمعنوي ممن تأثر به وتبناه من رجال السياسة والفكر^(١)، وأثمر كل ذلك عن نشوء ما يسمى بعلم الكلام، أو الفلسفة.

وكان أن انبرى علماء الإسلام لمناهضة تلك المستجدات، وبيان موقف الإسلام منها، معتمدين في ذلك على التوجيه القرآني الكريم، والبيان النبوي الشريف^(٢)، والذي يدور بين:

١- الدعوة للعودة إلى منابع الصافية في تلقي العلم، والنظر في الحوادث^(٣)، فقرأنا الكريم كتاب جامع للعلوم والمعارف، إليه يرد كل طارئ فكري، وحادث دنيوي.

٢- التأسّي بسلف الأمة في مواجهة المستجدات^(٤).

-
- (١) انظر أبا حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، الطبعة الرابعة، ص ٧-٨.
(٢) انظر تفصيل ذلك المنهج في جميع المجالات، في مباحث التقويم من هذه الرسالة.
(٣) انظر ابن تيمية، كتاب الرد على المنطقيين، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر)، ص ٢٦، ٣٧١، ٣٨٤؛ وانظر نقض المنطق، حقق الأصل المخطوط وصححه: محمد بن عبد الرزاق حمزة، سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، ص ٤٨، ٩١.
(٤) انظر المصدر السابق، ص ١-٨.

- ٣ - النقد الصريح، والنقل الصحيح، في بيان المثالب والمحاسن^(١).
٤ - النقض بأسلوب الغزاة، وبيان تناقض أفكارهم ونظرياتهم واضطرابها^(٢).

هذا المنهج يؤكد على عنصرين رئيسين:

أ : استقلالية الفكر الإسلامي من خلال انطلاقه من منطلقات إسلامية في التصور والتعامل؛ لذلك فهو يضع معايير شرعية يؤخذ بها عند التعامل مع مستجدات الحياة، تلك المعايير التي يتحصن بها الفرد والمجتمع الإسلامي؛ لمواجهة ما قد يصله من الأعداء.

ب: انفتاح الفكر الإسلامي على المفيد من العلوم والمعارف الأخرى، فالحكمة ظالة المؤمن أنى وجدها فهو الأحق بها.

(١) انظر المصدر السابق، ص ١٥، ١٨، ٦٠، ٢٠٠؛ وانظر أبا حامد الغزالي، مرجع سابق، ص ٤١.

(٢) انظر ابن تيمية، المصدر السابق، ص ٤٢؛ وانظر كتاب الرد على المنطقيين، ص ٤٠٢ - ٤٣٠ - ٤٣٢؛ وانظر أبا حامد الغزالي، المرجع السابق.

المطلب الرابع التطبيق العملي

في مواقف بعض ولاة المسلمين من حملات الزنادقة والملحدين نماذج تطبيقية حية لمواجهة الغزو الفكري المعاصر، فمن ذلك على سبيل المثال:

موقف المهدي والرشيد والمتوكل وغيرهم من تلك الحملات الشعواء للزنادقة والملحدين، تلك المواقف التي تعبر بجلاء عن موقف المؤمن المدرك لعواقب الأمور، الحريص على معتقده، وأداء أمانته حيث عملوا على إعزاز أهل السنة، وإذلال أهل البدع والخرافات من المبتدعين وأهل الذمة^(١) وذلك من خلال:

أ : تتبع الزنادقة وقتلهم^(٢) .

ب : منع بيع كتب الكلام والفلسفة والجدل^(٣) .

ج : منع الزنادقة من التحدث إلى الناس عبر الوسائل، كالمساجد، والطرق^(٤) .

د : منع تعليم تلك العلوم، أو الكلام فيها^(٥) .

هـ : الرفع من شأن أهل السنة، وأمر الناس بالاشتغال فيها^(٦) .

و : تمييز أهل الذمة، ووضعهم في المكان اللائق بهم بين أفراد المجتمع الإسلامي^(٧) .

فكان في تلك الأعمال قضاء على كثير من الشرور والفتن التي كادت أن تعصف بالأمة .

(١) انظر ابن تيمية، نقض المنطق، ص ١٨ - ٢٠ .

(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٤٩ ، ٣١٤ .

(٣) انظر المصدر السابق، ج ١١ ص ٦٤ .

(٤) انظر المصدر السابق .

(٥) انظر المصدر السابق، ج ١٠ ص ٣١٦ .

(٦) انظر المصدر السابق .

(٧) انظر المصدر السابق، ص ٣١٣ .

الفصل الثاني في المجال الاجتماعي والخلقي.

المبحث الأول: الترف والتفكك الاجتماعي.

المبحث الثاني: التفرق والاختلاف.

المبحث الثالث: الفساد الخلقي.

المبحث الأول

الترف والتفكك الاجتماعي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

الترف.

مدخل:

الجهاد رحلة طويلة، وقودها الطاقة البدنية، وزادها الصبر على الرزية، وسلاحها القدرة العقلية. وهي رحلة شاقة ومظنية للنفس والبدن، يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١)، يقول صالح بن حميد عن مشقة الجهاد: (تمثل قمة المشاق في المطلوبات الشرعية، إذ يتعرض المجاهد إلى إزهاق روحه)^(٢)، وهذا يتطلب نوعية من الرجال مدربة تمتاز بخصائص معينة، وقدرات مميزة، تسهم في تجاوز تلك المشاق المظنية، والمخاطر المهلكة.

وبسبر واقع مجتمعنا المعاصر لمعرفة مدى قدرته واستعداده لتحمل مشاق

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٤.

(٢) رفع الحرج، ص ٣١.

الجهاد، تبرز لنا ظاهرة الترف كمعوق يحول بين المسلمين وبين القيام بهذه الفريضة الشرعية.

وفي هذا المطلب أكتب في شيء من البيان والتفصيل حول هذه الظاهرة، باعتبارها أحد عوائق الجهاد. وذلك في عدة فروع على النحو التالي:

الفرع الأول

التعريف، والسمات.

أولاً: التعريف:

أ - في اللغة، بالرجوع إلى مادة ترف^(١) نجد المعاني التالية: الترفُّ: التَّعَمُّ، والتَّرفَةُ: التَّعَمَّةُ، والطعام الطيب. والتَّرفُّ: حُسْنُ الغِذاء. وتَرَفَ الرجلُ، وأتَرَفَهُ: دَلَّهَ ومَلَّكَهُ. ورجل مُتَرَفٌ، ومُتَرَفٌ: إذا كان مُنَعَمَ البدنِ مُدَلِّلاً، ومُوسِعاً عليه. وأتَرَفَ الرجلُ: أعطاه شهوته. والمُتَرَفُ: المُتَنَعَّمُ، المُتَوَسِّعُ في مَلَاذُ الدنيا وشهواتها، وأتَرَفَتُهُ التَّعَمَّةُ، أي: أطعته.

من هذه المعاني يتبين أن الترف يعني: وفرة النعم، وسهولة العيش، والبعد عن المشاق، مما يعني النعمومة في متطلبات الحياة عموماً.

ب - في الاصطلاح، يعني: الانسياق خلف رغبات النفس وحاجاتها الحسية والمعنوية، ومجاوزة حد الاعتدال في متع الحياة الدنيا وملذاتها، يقول ابن خلدون: (الأمة إذا تغلَّبتْ، وملكت ما بأيدي أهل المُلْك قبلها، كثر رياشُها، ونعمتُها، فتكثر عوائدهم، ويتجاوزون ضرورات العيش، وخشونته، إلى نوافله ورقته، وزينته، ويذهبون إلى اتباع من قبلهم في: عوائدهم، وأحوالهم، وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها، وينزعون مع ذلك إلى رِقَّة الأحوال، في: المطاعم، والملابس، والفرش والآنية، ويتفاخرون في ذلك، ويُفاخرون فيه غيرهم من الأمم في أكل الطيب، ولبس الأنيق، وركوب الفاره، ويُناغي خَلْفُهُم في ذلك سَلْفُهُم)^(٢).

(١) انظر الراغب، المفردات، ص ٧٤؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب، «ترف».

(٢) المقدمة، ص ١٦٧.

ثانياً: سمات المترفين .

الرغبة في متاع الحياة الدنيا فطرة الإنسان عليها، قال تعالى: ﴿رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَتَابِ﴾^(١)؛ لمن أخذ هذا المتاع بحقه، وجعله في مكانه الصحيح، وفقاً لحده الشرعي كسباً، ونفقة .

وقد تتدرج هذه الرغبة حتى تسيطر على ملكات الإنسان وقدراته، في الكسب والإنفاق، فتصبح همه وشغله الشاغل، يقول ﷺ: ((... فوالله! ما الفقر أخشى عليكم، ولكنني أخشى أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتُهْلِكُكُمْ كما أهلكتهم))^(٢)، وهذه مرحلة من مراحل الترف المذموم في عمومه، حيث لم يرد له ذكر في القرآن الكريم إلا على وجه الذم، يقول تعالى: ﴿... وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٣)، وما ذاك إلا لأن الترف لا يكون إلا لمن تحققت أهدافه، وحصل على غاياته^(٤).

يقول ابن خلدون: (فإذا حصل المُلْكُ، أقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه، وآثروا الراحة، والسكون والدعة، ورجعوا إلى تحصيل ثمرات المُلْكِ، من: المباني، والمسكن، والملابس فينون القصور، ويُجْرُونَ المياه، ويغرسُونَ الرياض، ويستمتعون بأحوال الدنيا، ويؤثرون الراحة على المتاعب، ويتأنقون في: أحوال الملابس، والمطاعم، والآنية، والفُرُشِ ما استطاعوا)^(٥).

والمسلم ليس كذلك، فرغبته سامية، وغايته عالية، يتجاوز الدنيا بنعيمها إلى الحياة الباقية، والنعمة الدائمة، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ * وَأَبْقَى﴾^(٦)، والمؤثرون للحياة الدنيا هم أولئك المترفون في حياتهم، ممن يظهر عليهم:

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ١٢ .

(٣) سورة هود، الآية ١١٦ .

(٤) انظر عفيف طبارة، الخطايا في نظر الإسلام، الطبعة التاسعة، ص ١٥٨ .

(٥) المقدمة، ص ١٦٧ .

(٦) سورة الأعلى، الآيتان ١٦ - ١٧ .

أ: الإغراق في الباطل، فهم في غيهم وضلالهم يعمهون، يسارعون في تكذيب الحق من غير بيان ويصدون الناس عن سماع القرآن، يمنعون انتشاره، ويسوؤهم علو سلطانه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(١)؛ لأن زخارف الحياة قد شغلتهم عن النظر الصحيح، وسيطرت على أفكارهم، وعدّوا زينة الحياة دلالة على مكانتهم، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (المترفون: تخدعهم القيم الزائفة، والنعيم الزائل، ويغرهم ما هم فيه من ثراء وقوة فيحسبونه مانعهم من عذاب الله؛ ويخالون أنه آية الرضى عنهم، أو أنهم في مكان أعلى من الحساب والجزاء)^(٢)، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾^(٣).

ب: حب الراحة والدعة، توفرت لهم الغاية من البهارج والنعيم، فركنوا إليها، يرعون منها كما ترعى الأنعام، ويتمتعون تمتع الصبيان، لا العمل يحيرهم، ولا همّ الأمة يقلقهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِزُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى: (المترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة)^(٥).

ج: الإفساد والتخريب للمجتمع، فهم مصدر الفتن والشور، ورعاة المفسد والفواحش، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٦)، يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى: (المترفون... تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم، عاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا

(١) سورة سبأ، الآية ٣٤.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٥ ص ٢٩١٠.

(٣) سورة سبأ، الآية ٣٥.

(٤) سورة التوبة، الآية ٩٣.

(٥) المرجع السابق، ج ٤ ص ٢٢١٧.

(٦) سورة الإسراء، الآية ١٦.

تعيش الشعوب إلا بها ولها، ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحاتها^(١).

الفرع الثاني

التحليل

وبيان ذلك في عدة نقاط :

أولاً: مظاهر الترف .

وهي ظاهرة للعيان في حياة بعض مسلمي اليوم^(٢)، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، بنسب متفاوتة، بداعي الراحة والتمتعة، والرغبة في السعادة الآنية، وهذا شيء من التفصيل حول ذلك :

أ: الترف الفكري، حيث تعريف الفكر إعداداً وإنتاجاً، فعند الإعداد والتوجيه حُصر الفكر في زاوية ضيقة، وأبعد عن العمق والشمولية، يظهر ذلك في أغلب المناهج الدراسية، التي يُعتمد فيها على تقرير كتاب معين، يعرض بطريقة إلقاء نظرية، تعتمد على التلقين الممل، والحشو المخل، وتناهى بالفكر عن الواقع الذي يشحذه، والتطبيق الذي ينميه، يقول زهير السباعي: (ما موقفنا أمة العرب والإسلام من العلوم والتقنية الحديثة؟. هل نحن مستهلكون لها، أم نحن مخترعون ومكتشفون ومطورون لها؟ الجواب حاضر بدهي: نحن مستهلكون لها! وأتساءل، وقد تساءل معي... ما الأسباب؟. انظر إلى مجتمعاتنا الإسلامية وقد قارب تعداد سكانها البليون نسمة، تجدنا متفرقين في أمور شتى، ولكن يجمع بيننا أننا لسنا في مقدمة ركب التقدم العلمي والتقني، أو حتى في منتصفه. انظر إلى أساليبنا في التربية وتساءل معي، هل ترانا نشجع أبناءنا وبناتنا على الحوار والنقاش والانطلاق الفكري؟... هل ترانا نأخذ أبناءنا في مدارسنا وجامعاتنا في دروس العلوم الطبيعية والتطبيقية إلى ساحل البحر، والصحراء والجبل، والحقل، والغابة؛ ليدرسوا

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر ناصر العمار، الترف وأثره على الفرد والمجتمع، ص ٢٥ - ٤٠؛ وانظر فيصل البعداني،

«الترف وخطره على الدعوة والدعاة»، مجلة البيان العدد ٨٥ (رمضان/١٤١٥ هـ):

ص ١٠ - ١٣.

ويلمسوا ويتحسسوا ويجربوا؟. لا تجد من ذلك إن وجدت إلا القليل!! كثير من شبابنا أصبح يمضي الساعات الطويلة مع البرامج التلفزيونية، وأشرطة الفيديو!. ترى إلى أي مدى تسهم هذه وتلك في إيقاظ فكرنا؟. هناك أسباب وأسباب ترتبط بأسلوبنا في التربية والتعليم، وكسب العيش، وقضاء وقت الفراغ. علينا أن نبحثها ونبحث عن حلول لها، وإلا فالهوة تزداد اتساعاً^(١).

وصاحب هذا التعطيل الفكري^(٢) في التربية والتعليم، إبعاد الفكر الشاب عن الأمور الجادة، والمؤثرة في مسيرة الأمة، وإشغاله بأمور ثانوية وسطحية نشأ عليها، وتربى في محيطها، حتى أخذت لب عقله، وجُل فكره، وغاية أمله، يقول محمد كنعان: (ليس صحيحاً ما يظنه الكثيرون من الشباب هدفاً، فهم فهموا الأمور كما صوروها لهم... فهكذا علموهم في المدارس، والمعاهد، وهكذا لقنوهم عبر وسائل الإعلام... فغرسوا في عقولهم: أن هدفهم الأخير... والأعلى... والأسمى... هو شهادة عالية... أو: وظيفة... محترمة... براتب كبير... إن الولد منذ يدخل المدرسة في مرحلة الحضنة.. حتى يتخرج من الجامعة... ماذا يقال له؟؟ وفي أي شيء يطلب منه أن يفكر؟... يقال له: اهتمّ بنفسك ومستقبلك... ولا تهتم بسواك... فلا فائدة لك في ذلك... أمّن لنفسك: الشهادة... والوظيفة... والراتب العالي.. والعروس... والسيارة... وعش حياتك... ودع سواك... يقال له ماذا يعينك أنت غير نفسك؟... أما مصالح الأمة... فليس ذلك شغلك...)^(٣).

وتبعاً لذلك أصبح الفكر فكراً ناعماً، فاقداً لمقومات الفكر الجاد والمؤثر في خدمة الغايات السامية فكان أن ظهر للعيان عموماً: سطحية الفكر، فرغم توافر القدرات والمواهب، إلا أنها غير قادرة على النظر والتدبر بعمق وشمولية^(٤)؛ لأنها لم تجد الرعاية والتوجيه السليم، الذي ينميها ويشحذها.

(١) «في ركني»، جريدة المدينة، ١٤١٥/١١/١ هـ، العدد ١١٦٨٣، ص ٥.

(٢) انظر صلاح عبد الفتاح، «في ندوة الثقافة الإسلامية في عالم متغير: «الغزالي» يحذر من البطالة الفكرية...»، جريدة عكاظ، ١٤١٥/٨/٢٢ هـ، العدد ١٠٣٩٥، ص ٢٢.

(٣) أزمات الشباب، أسباب وحلول، الطبعة الأولى، ص ٧٩.

(٤) انظر محمد الصفراني، «اتهامات «مدبية»، وأحلام بيضاء: أيتها «الملاحق»: أنت قشرة»، جريدة المدينة، ١٤١٥/٩/١٤ هـ، العدد ١٠٤١٦، ص ٣٥.

وظهر التذبذب الفكري، حيث عدم الثبات على رأي معين، وتداخل الآراء بعضها مع بعض. ومرد ذلك عدم الثقة بالقدرات الفكرية التي يحملها، والتي لم تُمرّن المران الكافي على اتخاذ القرار الفكري الجاد، والوقوف دونه.

من جراء ذلك انتشر عملياً في واقع مجتمعنا الإسلامي ظواهر متعددة على مستوى بعض العامة وبعض المفكرين، فعلى مستوى العامة شاعت الأساطير والخرافات، التي لا يقبلها عقل ولا منطق ولاقت قبولاً ورواجاً منقطع النظير^(١). وانتشرت الأمية الفكرية، بفقدان عنصرها الرئيس القراءة والتي ملها كثير من المعاصرين^(٢). وابتعد بالفكر عن الجدية في النظر، والدقة في الطرح، فعندما تتطلب الحياة من الفرد عملاً جاداً، ونظراً دقيقاً، يمل ويفر، إلى ملهيات عصرية باطلة، ومزجيات وقتية فارغة^(٣). وظهر التقليد بوجهه البشع لكل ما ظهر على الساحة الاجتماعية من جديد، وفي ميادين الحياة المختلفة، كما ظهر الفكر البيغوي، الذي ينعق بما لا يعلم، ويردد ما لا يفقه^(٤). وازدادت أوقات الفراغ

(١) انظر «الزار والنساء: حفلات طرد الأرواح الشريرة!»، الرياض: مجلة اليمامة العدد ١٢١٧ (١٤/٢/١٤١٣ هـ، ص ١، ٤٢ - ٤٥؛ وانظر «السحر والشعوذة وقصص أكثر غرابة»، الرياض: جريدة الجزيرة، ١٤١٥/١/٢٠، العدد ٧٩٤٤، ص ٢٣؛ وانظر حنان حجاج، «حملة على المشعوذين. السعودية: هيئة الأمر بالمعروف مخولة بالقبض على المشعوذين، الكويت: الجمارك تصدر التائمم والرقي، القاهرة: مشعوذ يدعي قدرته على شفاء القلب في ٣ أيام»، لندن: مجلة المجلة العدد ٧٨٤ (٢٠ - ٢٦/٩/١٤١٥ هـ): ص ٨٨ - ٨٩.

(٢) انظر محمد الصفراني، «المكتبات العامة، ما لها، وما عليها. القراءة لا يعرفونها، والمسؤولون عنها يلومونهم»، جريدة عكاظ، ١٤١٥/٩/٦ هـ، العدد ١٠٤٠٨، ص عكاظ الثقافي؛ وانظر تحقيق: أحمد الأحمد، محمد بابكير، صالح الدويسان، سعد الحربي، سليمان الهذيلي، «المكتبات العامة في المملكة تعاني قلة الرواد؟... انصراف الأبناء عن المكتبات، ساعد على الركود الفكري»، جريدة البلاد، ١٤١٥/١٠/٢٠ هـ، العدد ١١٢٠٠، ص ٥.

(٣) انظر «قضية الأسبوع: إحياء التراث: من ينقض الغبار عن المخطوطات؟!»، مجلة اليمامة العدد ١٢٤٢ (١٢/٨/١٤١٣ هـ، ص ٢٢ - ٢٧؛ وانظر إعداد: صالح فراج الحربي، «قضية مطروحة للنقاش: عزوف الشباب عن قراءة كتب التراث»، جريدة المدينة، التراث الأسبوعي، ١٤١٥/١/١٤ هـ، العدد ١١٤٠٦، ص ٤.

(٤) انظر تحقيق: شباب الزلامي، «قصة الأسد» و«الكابوريا»،... والبقية تأتي: مراهقون لا «يستحون»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/١/٩ هـ، العدد ٧٩٣٣، ص ٢١؛ وانظر «كل يوم لهم =

بكثافة بين أفراد المجتمع عموماً، ولدى الشباب خصوصاً^(١)، وتزجيتها في ملهيات ضارة، وألعاب فارغة، وسفريات لبلاد كافرة، وتسكع في ميادين عامة، ومعاكسة سافلة^(٢).

أما على مستوى المفكرين فقد أُنْجِهَ بالجهد الفكري إلى الحصول على الكماليات، والبهاج والزخارف الدنيوية، والمقتنيات غير المؤثرة في مسيرة الأمم^(٣). وأصبحت القضايا الفكرية المطروحة للنقاش في غالبها قضايا سطحية ومفتعلة، وغير مؤثرة في مسيرة الأمة، وتحقيق غاياتها السامية^(٤).

= تقليعة. رؤوس شبابنا و«كابات» الغرب»، المرجع نفسه، ١٤١٥/٧/٢٠ هـ، العدد ٨١٢٠. ص ٢٣؛ وانظر صلاح الحسن، «تقليعات وافدة، وتقليد أعمى بلا حدود: شباب الستينات يعود من جديد»، المرجع نفسه، ١٤١٥/٧/٢٧ هـ، العدد ٨١٢٧، ص ٢٠.

(١) انظر عبد المنعم بدر، مشكلاتنا الاجتماعية، أسس نظرية ونماذج خليجية. الكتاب الرابع: مشكلة أوقات الفراغ واتجاهات الترويح، ص ٣٤ - ٣٦؛ وانظر عبد الله بن ناصر السدحان، وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب، الطبعة الأولى، ص ٥٥ - ٥٨.

(٢) انظر المراجع السابقة، ص ٣٩ - ٤٣؛ ص ٥٨ - ٦٣؛ وانظر تحقيق: موسى الأنصاري، «ديننا» تساءل: تسكع الشباب، لماذا؟! العلماء يؤكدون: سوس التسكع ينخر شباب الأمة، ويغرقها في بحر التخلف!!»، جريدة المدينة، ١٤١٥/١/٢٤ هـ، العدد ١١٤١٦، ص ١٥؛ وانظر تحقيق: حمد الجمهور، فرحان العنزي «التخصصي، والنهضة، والعقارية، أماكن للتجمع وقضاء أوقات الفراغ: متسكعون بدعوى التسوق. أكثرهم مراهقون لن يَمروا بسلام من محطة المراهقة... معاكسات ومضايقات، والآباء يكتفون بشراء السيارات، وتأمين المصروف اليومي»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/٧/٢٥ هـ، العدد ٨١٢٥، ص ٨.

(٣) انظر «قضية الأسبوع: العلم في خطر: بحوث علمية لبيع!»، مجلة اليمامة العدد ١٢٣٩ (١٤١٣/٧/٢٠ هـ، ص ٢٢ - ٢٦؛ وانظر «قضية الأسبوع: كثرة المطبوعات: انثر مدادك... يرزقك الله!!»، المرجع السابق العدد ١٣١٦ (١٤١٥/٢/٢٦ هـ، ص ٢٨ - ٣٢؛ وانظر «هل تصبح تركيا أكبر مركز للأزياء وصناعة الملابس في الشرق الأوسط؟»، لندن: جريدة الشرق الأوسط ١٤١٥/٥/٢٠ هـ، العدد ٥٨١٠، ص ٢٠؛ وانظر محمد الرشيد، وعبد المحسن الديبخي، «رسائل ماجستير ودراسات لوضع مواصفات قياسية للأزياء السعودية»، جريدة الرياض، ملحق مستلزمات المرأة، ١٤١٥/٧/١٩ هـ، العدد ٩٦٧٦، ص ٢١؛ وانظر «قضية الأسبوع: الأكاديميون والمجتمع: العقول ثرية والمساهمات فقيرة!»، مجلة اليمامة العدد ١٣٥٢ (١٤١٥/١١/١٩ هـ، ص ١٨ - ٢٣).

(٤) انظر «٥٠٠ عالم دولي يبحثون في القاهرة علاج التجاعيد بدون جراحة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٣/٢٣ هـ، العدد ٥٧٥٤، ص ٢٣؛ وانظر هناء البنهاوي، «شهادة تقدير =

وظهرت سطحية النظر، وعدم الجدية في العمل^(١). وطرحت الحلول الوقتية للقضايا المطروحة على الساحة؛ لعدم القدرة أو الرغبة في الاجتهاد الفكري، فظهر التقليد والنقل الفكري^(٢)، والابتعاد عن الإبداع والتأمل، ويتأتى ذلك ويتأكد عندما يحتاج الحل إلى جهد فكري، يتطلب وقفات مضنية ونظرات دقيقة، ووقت طويل، بالإمكان اختصاره عن طريق الحصول على نتيجة أفكار الآخرين يقول عبد الحميد إبراهيم: (كان أمام نقاد الحداثة في العالم العربي خياران: أولهما وأولاهما: أن يبدؤوا من هذا التراث العربي، الذي يحمل من الإمكانيات ما يمكن أن ينطلقوا منها لتأسيس حداثة ذات جذور. والآخر والأخير: أن ينقلوا الحداثة الغربية بكل فلسفتها ونتائجها، ويزرعوها في كتبهم تحت عناوين الحداثة والجدة وما شابه ذلك. ولم يكن بنيانهم مهياً لتقبل الخيار الأول، فهو يحتاج إلى: صبر وضبط، وبعده عن الأضواء، وعمل دون انتظار جزاء، بل ربما يقابل بتطور. أما الحل الآخر فهو: يُثير البريق، ويُغري أجهزة الإعلام، ويحتل صاحبه مكانة خاصة؛ لأنه يرطن بلغة الغالبيين، وبين قوم أرهقتهم عقد المغلوبين. فاختاروا الحل الأخير، ونقلوا الإطار الغربي)^(٣).

ب: الترف النفسي.

والمعيار في ذلك مدى تعلق النفس بالمعالي، وقدرتها على مواجهة الأزمات،

= للدعيجي، واحتجاج أردني.. الملتقى العلمي يوصي بإنقاذ المسرح العربي»، جريدة عكاظ، ١٤١٥/٧/٢٣ هـ، العدد ١٠٣٦٦، ص ٢١؛ وانظر أيمن خطاب، «عمر أبو الهول يثير جدلاً بين علماء آثار أمريكيين ومصريين»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٨/١١ هـ، العدد ٥٨٨٩، ص ١٩.

(١) انظر تحقيق: زياد الهذلول، «الأساتذة الجامعيون يصفون الطلبة بعدم الجدية، والطلبة يشكون من غياب الأساتذة»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/١١/٣ هـ، العدد ٨٢٢٢، ص ٧.

(٢) انظر حوار: محمد الغامدي، «سعاد الصباح بعد التجربة المرة لدارها: النقاد العرب نقلت لما تفرحه مدارس الغرب»، جريدة عكاظ، ١٤١٥/١٠/١٢ هـ، العدد ١٠٤٣٩، ص ٣٣؛ وانظر أجرى الحوار: عمر عبد الرحمن، «الفائز بجائزة الملك فيصل - د. حسن الساعاتي -: العلماء العرب: كسالى، وعازفون عن الاطلاع!»، مجلة اليمامة العدد ١٢٥٢ (٢٩/١٠/١٤١٣ هـ): ص ٦ - ١٠.

(٣) نقاد الحداثة وموت القارىء، (بريدة: نادي القصيم الأدبي)، ص ٤٤.

وتجاوز العوائق. فمن الشائع اليوم النظر للحياة نظرة دونية لا تتفق مع الدور العظيم للإنسان في هذه الحياة، فدارت الاهتمامات والنشاطات في أمور دنيوية تافهة، ذات صبغة شهوانية. فالشهوة هي المعيار والغاية والوقود والطاقة؛ لحركات الفرد وسكناته. وأصبح البعض صاحب نفس مرهفة المشاعر والأحاسيس، غير قادرة على العمل الجاد ومشاقه، ولا على مواجهة الأزمات والمشاكل، فلا تتصدى ولا تصمد لما يواجهها، حتى أصبحت المنغصات اليسيرة، والمواقف الصغيرة، مصدر قلق للكثير^(١). وتهرب البعض من المسؤولية، وتضجروا منها في حال حملها، يقول ابن محمود: (وإن أشد ما ابتلي به الشاب هو العطالة والبطالة، اللتان ينشأ عنهما العجز، ثم حديثه نفسه بأنه لا يستطيع هذا العمل لمشاقته، أو لا يستطيع عمل هذه الصنعة؛ لمشقتها، أو لا يستطيع الجهاد والتمرن على وسائل القتال لصعوبتها وخطر النفس فيها، أو لا يستطيع التجند؛ لصعوبته، وغير ذلك من حديث النفس الذي يقضي على الشخص بالمهانة والحرمان)^(٢).

وهناك من اتَّجَه إلى توافه الأمور، والملهيات، واعتبرها من اللهو المباح، والهوايات المنشطة^(٣).

كل ذلك جعل كثيراً من المعاصرين يلجأ في أحيان كثيرة إلى وسائل الترفيه والترويح عن النفس والخروج في رحلات ونزهات متعددة، بقصد ترقية الوقت والترفيه عن النفس^(٤)، ويتجاوز في ذلك حد الاعتدال^(٥). ولجأ آخرون إلى البحث

(١) انظر تحقيق: سلمان العُمري، «الاكتئاب: مرض النساء!... الاكتئاب هو أحد الأمراض النفسية الناتجة عن اضطرابات في العاطفة، أو الشعور بالحزن... من أسباب الاكتئاب: الضغوط، وعدم القدرة على التكيف، وفقدان عزيز، وخسارة مادية»، مجلة اليمامة العدد ١٢١٢ (١٤١٣/١/٨) هـ، ص ٤٢ - ٤٥.

(٢) الجنديّة، عموم نفعها وحاجة المجتمع إليها، الطبعة الثانية، ص ١١.

(٣) انظر بدر، مشكلة أوقات الفراغ، ص ٥١ - ٥٨.

(٤) انظر سميرة الصديقي، «أربعة ملايين ليلة سياحية في تونس خلال ثلاثة أشهر»، جريدة الحياة، ١٤١٤/١٢/٢٤ هـ، العدد ١١٤٣٠، ص ١٢؛ وانظر «مهرجان العين: أنشطة فنية متميزة في أكبر مدينة ترفيهية في الشرق الأوسط»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٧/٢٢ هـ، العدد ٥٨٧٠، ص ٣٣.

(٥) انظر ابن جماعة الكناني، تذكرة السامع والمتكلم، في آداب العالم والمتعلم، الطبعة الأولى، ص ١٢٥ - ١٢٦.

عن الرخص الفقهية، وتبع الأقوال الشاذة والنادرة التي توافق متطلبات النفس والهوى.

ج: الترف البدني.

حيث انشغل الكثير بمتطلبات الجسم وضروراته، فحرصوا على اقتناء الملابس الفاخرة^(١)، والمآكل المتعددة، والمراكب الفارهة، والمساكن المزخرفة، والبيوت الشاهقة، ووسائل الترفيه الملهية، وتجاوزوا في ذلك الحد المشروع، طلباً واستهلاكاً وحرصاً^(٢)، يقول محمد قطب: (قام المسلمون المعاصرون يتحضرون!... يتحضرون على النهج الغربي، منسلخين أو نافرين من منهج الله. قاموا يأخذون ببعض أسباب القوة المادية على فتور ظاهر وتقاعس، بينما يغرقون في الترف الغربي إلى أذقانهم، في صورة بيوت حديثة، وفرش وثيرة، وسيارات وطائرات، وأفران وثلاجات، وملابس مزوقة، وخمر وميسر، وفوضى جنسية تسمى الانطلاق!)^(٣)، ولأجل ذلك أشغل كثير من الناس بتحقيق تلك المتطلبات للمتترف، والقيام على إعدادها وتهيئتها^(٤)، وأشغل المترف نفسه في البحث عن وسائل وأساليب للتخلص من الآثار البدنية للترف^(٥).

(١) انظر تحقيق: إيناس محمد، «الستان الأبيض... بين «مطرقة» الأحلام و«سندان» الأسعار فستان الـ ٥ ساعات، بـ ٦٠ ألف ريال! العرائس: نحلم بفستان لم ترتده الأخريات»، جريدة المدينة، ٢٤/٢/١٤١٥ هـ، العدد ١١٤٤٥، ص ٢٠.

(٢) انظر «الانجليز يرونهم مبذرين واستهلاكيين: العرب يحتلون الحي الغربي في لندن»، مجلة الإمامة العدد ١٢٣٩ (١٤١٣/٧/٢٠ هـ): ص ٥٠ - ٥٣؛ وانظر «قضية الأسبوع: إسراف مع سبق الإصرار: هدر يقصم الجيوب!»، المرجع السابق العدد ١٣٠٢ (١٤١٤/١١/٩ هـ): ص ٢٨ - ٣١؛ وانظر تحقيق: نوال اللحياني، إيناس محمد، «المبذرون مدعوون للدفاع عن أنفسهم: ميزانية الأسرة راکبها عفريت!»، جريدة المدينة، ٥/٧/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٧٣، ص ١٢؛ وانظر تحقيق: عبد الله محمد الحواس، «تسوق بلا تفكير، اشتر ما لا تريد...!!»، جريدة الجزيرة، ٢٥/١/١٤١٥ هـ، العدد ٧٩٤٩، ص ٢١.

(٣) مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ٣٥٦.

(٤) انظر عبد المنعم بدر، مشكلاتنا الاجتماعية، أسس نظرية، ونماذج خليجية، مشكلة العمالة الناعمة، ص ٦٤ - ٧٢.

(٥) انظر تحقيق: صالح المسلم، «رياضة خمس نجوم: الجسم السليم في الجيب السمين. ادفع ٦ آلاف ريال لينقص وزنك... مسؤولو أندية الفنادق: أغلب روادنا من الوزن الثقيل»، مجلة الإمامة العدد ١٢٧٨ (١٤١٤/٥/١٢ هـ): ص ٧٠ - ٧٣.

ومن الترف البدني الخلود إلى الراحة الجسدية المميّنة، وقلة الحركة المفيدة، والعمل على نعومة الجسم وطرأوته^(١)، وانتهى الأمر بكثير من أولئك إلى الاسترخاء والكسل والعجز، والقعود عن أداء العمل على الوجه الصحيح^(٢)، نتيجة زيادة الوزن، وترهل الجسم^(٣). ولجأ آخرون إلى تناول المنشطات والمنبهات؛ لتساعده على القيام بأداء عمله.

هذه المظاهر بصفة إجمالية تشكل عائقاً في طريق الجهاد، ذلك الطريق المُجهد للمُجاهد، والذي يحتاج إلى نوعية معينة من الرجال، تمتاز بقوتها البدنية، وقدرتها الفكرية، ونفسيّتها الجادة؛ لتتجاوز عقبات الجهاد ومشاقه، وتلك سمات لا تتوافر فيمن شاعت بينهم، وتمثلت فيهم تلك المظاهر.

ثانياً: أسباب الترف.

هي في مجملها^(٤) لا تتجاوز:

أ: طول الأمل، حيث التعلق بالحياة الدنيا وزخارفها، ونسيان الآخرة وأهوالها، يقول تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيَلْهَمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾^(٥)، وهذا ما يجعل الفرد ينشغل في متع الحياة الدنيا، من مال، وجاه، وزوج وأولاد،

(١) انظر «قضية الأسبوع عن مراكز التجميل والتدليك: جمال مع وقف التنفيذ»، المرجع السابق، العدد ١٢٣٢ (١٤١٤/٦/١) هـ، ص ٢٢ - ٢٦.

(٢) انظر تحقيق: خالد الراشد، «في رمضان: «إنتاجية» العمل صعود أم هبوط؟!»، جريدة المدينة، ١٤١٥/٩/٧ هـ، العدد ١١٦٣٤، ص ١٥؛ وانظر استطلاع: صالح الغامدي، علي السبيعي، «لا مذاكرة، لا تحصيل، ولا نوم! شهر رمضان إجازة «بأمر» الطلاب!»، جريدة المدينة، ١٤١٥/٩/٨ هـ، العدد ١١٦٣٥، ص ١٤.

(٣) انظر عدنان باجابر، زيادة الوزن والسمنة، التعريف الخطورة العلاج، الطبعة الأولى، ص ١١؛ وانظر صبحي رخا، «ندوة علمية سعودية تحذر من انتشار السمنة»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٥/٩ هـ، العدد ١١٥٦٢، ص ٢٤؛ وانظر عبد الرحمن العرابي، «البدانة في المجتمع السعودي»، جريدة المدينة، ١٤١٥/١٠/٦ هـ، العدد ١١٦٥٨، ص ٤.

(٤) انظر العمار، الترف، ص ٩ - ٢٣؛ وانظر البعداني، «الترف وخطره على الدعوة والدعاة»، مجلة البيان العدد ٨٥ (رمضان/١٤١٥ هـ): ص ١٣ - ١٧.

(٥) سورة الحجر، الآية ٣.

ونحوها، قال تعالى: ﴿... وَأَتَّبِعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(١)، يقول الطبري رحمه الله تعالى: (واتبع الذين ظلموا الشيء الذي أنظرهم فيه ربهم من نعيم الدنيا ولذاتها، إيثاراً له على عمل الآخرة وما ينجيهم من عذاب الله)^(٢)، فيغفل عن ذكر الله ومراقبته، وتذكر الآخرة وعذابها، قال تعالى: ﴿... وَلَا نُنْطِعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَاتَ أَمْرَهُ فُرْطًا﴾^(٣).

ب: التنافس، عندما يغفل الفرد عن نصيبه من الآخرة، وينشغل في الدنيا، يقع في متاهات التنافس الدنيوي، ولجة الشهوة البدنية، وتسخير القدرات والإمكانات لتلك الأغراض، قال تعالى: ﴿أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾^(٤)، ويقول ﷺ: ((أخشى عليكم أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم))^(٥).

ج: الكبر، الاغترار بالنفس وقدراتها، يجعل الفرد في إحساس من التفوق على الآخرين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾^(٦)، هذا الشعور النفسي يجعل الفرد في حال من البطر والجبروت، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءَ كَافِرُونَ﴾^(٧)، يقول قتادة رحمه الله: (أي أغنياؤها، ورؤسائها، وجبارتها، وقادة الشر)^(٨)، مترفون يتعالون على الحق، ويأنف أحدهم من سماعه، بل يقف في طريقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ...﴾^(٩).

د: الخلل في التربية، للتربية والتعليم دور مؤثر في التعامل مع زينة الحياة،

(١) سورة هود، الآية ١١٦.

(٢) تفسير الطبري، ج ٧ ص ١٣٦.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٨.

(٤) سورة التكاثر، الآيتان ١ - ٢.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق.

(٦) سورة المؤمنون، الآيتان ٣٣ - ٣٤.

(٧) سورة سبأ، الآية ٣٤.

(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤ ص ٣٠٥.

(٩) سورة البقرة، الآية ٢٠٦.

فالانحراف فيها عن المنهج السليم، يجعل الفرد إمعة، ينقاد باتجاه رغباته وشهواته البدنية، بلا عقل ولا روية، قال تعالى: ﴿ حَقَّ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخْرُوتُونَ * لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ ﴾ (١)، يقلد قذوته، ويتبع أرباب نعمته، فيأخذ ولا يعطي، وينظر فلا يدرك، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهُمَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ (٢).

هـ: مجازاة العصر، أحد مسببات الترف ودواعيه، بحجج واهية، وأقوال فارغة، يزينها الشيطان ويحسنها أعداء الإنسان. فمن عباراتهم المنفوثة، وكلماتهم المسمومة، ما يتناقله البعض في مجالسهم اليومية، ومنتدياتهم اللهوية، بأسلوب لاذع، ونقد جارح، بقولهم: (إن طاعك الزمان، وإلا طعه) بمعنى أن تأخذ ولا تدع من زخارف الحياة ومتع النفس كل ما لذ وطاب ودعت له النفس والشيطان. وقولهم: (محروم)، و (الإنسان: ابن بيئته، أو عصره) (٣)، أي أن على المرء أن يظهر بالمظهر الشائع في عصره، فيقلد في مظهره، ويتهاوى أمام واقع مجتمعه، ويتخلى عن مبدئه.

ثالثاً: آثار الترف.

من أبرزها (٤):

أ: البلادة وضعف الحواس، فالسمنة تُذهب الفطنة، وتبعد الحس عن إدراك هدفه في هذه الحياة يقول الطبري رحمه الله عن الإسراف: (أكل أكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه، وينهك قواه ويشغله عن طاعة ربه، وأداء فرائضه) (٥)، والترف كذلك يمنع القوى عن القيام بمهامها في عمارة الأرض، والسعي في مناكبها، عجزاً

(١) سورة المؤمنون، الآيات ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٢٣.

(٣) انظر الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، ص ٧٧؛ وانظر البعداني، «الترف وخطره على الدعوة والدعاة»، مجلة البيان العدد ٨٥ (رمضان/١٤١٥ هـ): ص ١٤.

(٤) انظر العمار، الترف، ص ٤١ - ٤٩؛ وانظر البعداني، المرجع السابق، ص ١٧ - ٢٠.

(٥) تفسير الطبري، ج ٩ ص ٤١٢.

وكسلًا، يقول ابن القيم رحمه الله: (التنعم: يخنث النفس ويكسبها الأثوثة والكسل، ويكون صاحبه أحوج ما يكون إلى نفسه... الرجل قد يحتاج إلى نفسه فيجد عنده خشونة وقوة وصبراً، ما لا يجدها صاحب التنعم والترفة، بكل يكون العطب إليه أسرع)^(١)، ويقول سيد قطب رحمه الله: (الترف يغلظ القلوب، ويفقدها الحساسية، ويفسد الفطرة ويغشيتها، فلا ترى دلائل الهداية، فتستكبر على الهدى، وتصر على الباطل، ولا تتفتح للنور)^(٢).

ب: تفشي الأمراض، فالمتترف عرضة للآفات والأمراض النفسية والبدنية المتعددة، يقول القرطبي رحمه الله تعالى: (كثرة الأكل كظَّ المعدة، وتنت الثُّخمة، ويتولَّد منه الأمراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه القليل الأكل)^(٣)، وهذا ما يؤكد واقعا المشاهد، ففيه دليل حي على تفشي الأمراض المختلفة بين المترفين^(٤)، يقول ابن محمود: (من المشاهد بالتجربة والاعتبار، أن الغرق في الترف والميل إلى الميوعة في النعيم والراحة والرفاهية، أنها غاية في إفساد الجسم، وعدم صحته)^(٥)، ويقول صالح الفوزان (ومن نتائج المدينة والترف وتويع المآكل: الإصابة بالسمنة، والسمنة سبب للإصابة بتصلب الشرايين، وجلطات القلب، وموت الفجأة، وقد قرر الأطباء أن السمنة تأتي نتيجة للإفراط في الطعام والشراب وقلة الحركة. ومن نتائج المدينة والترف: الإصابة بضغط الدم، ومرض

(١) الفروسية، ص ١٥ - ١٦.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٥ ص ٢٩١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج ٧ ص ١٩٢.

(٤) انظر حوار: عبدالله الشلهوب، «محمد المفرح استشاري الأمراض الباطنية لـ «اليمامية»:

أمراض الرخاء والنعمة الأكثر انتشاراً بالمملكة، مجلة اليمامة العدد ١٢٧١

(٢٢/٣/١٤١٤ هـ، ص ٣٦ - ٣٩؛ وانظر «قضية الأسبوع: الأمراض النفسية في المملكة:

مع زوال الحرج، تكاثر المراجعون... الاكتئاب، واضطراب الوجدان، والوسواس القهري:

أكثر الأمراض شيوعاً في المملكة... هناك (١٥) مستشفى، و (٤٧) عيادة نفسية ملحقة

بالمستشفيات العامة»، المرجع نفسه العدد ١٢٩٨ (١١/١٠/١٤١٤ هـ): ص ٢٤ - ٢٩؛

وانظر محمد عريف، «الرفاهية، وأمراض العصر»، جريدة المدينة، ١٨/٢/١٤١٥ هـ، العدد

١١٤٣٩، ص ٩؛ وانظر حسن محمد، «الأطباء يصرخون محذرين من الكولسترول. «تصلب

الشرايين» يتسلل إلى أصحاب «الكروش» وعاشقي المكاتب»، السعودية: جريدة السياسة،

٤/٨/١٤١٥ هـ، السنة ٢٧ - ١٢٥٣ - ١٣٦١، ص ١.

(٥) الجندية، ص ١٠.

السكر وهذه الأمراض وغيرها حدثت في مجتمع المسلمين نتيجة لمخالفة سنة نبهم وهدية في تقليل الطعام والشراب، والتحرك المفيد للبدن^(١).

ج: التخدير، الاهتمام بزخارف الحياة الفانية، والعمل لها، يجعل الأمة تستشعر وكأنها قد حققت المجد، أو أنها تسير في الطريق الصحيح، وهي في حقيقتها تعيش في وهم، وخدعة، زينها الشيطان وأولياؤه للمترفين، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (المترفون تخدعهم القيم الزائفة، والنعيم الزائل، ويغرمهم ما هم فيه من ثراء وقوة، فيحسبونه مانعهم من عذاب الله، ويخالون أنه آية الرضى عنهم، أو أنهم في مكان أعلى من الحساب والجزاء)^(٢).

د: الوقوع في الباطل؛ لتجاوز المترف الحد الشرعي في متطلبات الحياة، ولقصوره عن أداء الواجب المناط به، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ...﴾^(٣)، يقول القرطبي رحمه الله تعالى: (وقوله: ﴿إِخْوَانَ﴾ يعني أنه في حكمهم، إذ المبذر ساع في إفساد كالشياطين)^(٤).

ويقول الشاعر:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتتهت ولم ينهها تافت إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي دعت إليه من حلاوة عاجل^(٥)
فمن السرف المذموم أن يحصل الإنسان على كل ما يريد من كماليات الحياة،
يقول عمر رضي الله عنه: (كفى بالمرء سرفاً، ألا يشتهي شيئاً إلا اشتراه فأكله)^(٦).

هـ- الاخلال بتوازن المجتمع، وجود الترف في جانب، يقابله في الجانب الآخر الحرمان، فأناس مترفون، وآخرون يعيشون على الكفاف أو أقل، بدون رابط أو عطف يجمع الطرفين، من هنا تبرز الطبقة بين أفراد المجتمع^(٧)، يقول محمد

(١) الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، الطبعة الأولى، ج ١ ص ٣٦٤.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٥ ص ٢٩١٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٧.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠ ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٥) المصدر السابق، ج ١٣ ص ٧٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٧٣.

(٧) انظر فهمي هويدي، القرآن والسلطان، الطبعة الأولى، ص ١٨٢؛ وانظر ضاحي عثمان، «في عصر العلم والتكنولوجيا وغزو الفضاء: الجوع يفترس [٩٠] دولة في العالم الثالث»، جريدة =

عرجون: (الترف عامل من أقوى وأسرع وأخبث عوامل التفتت الاجتماعي، وانحلال روابط المجتمعات البشرية)^(١)، ويقول عفيف طيارة: (الترف يؤدي إلى أخطار جسام في داخل الأمة، فاستئثار طبقة معينة بخيرات المجتمع، وانكبابها على ملذاتها وشهواتها يولد الحقد في الطبقات المحرومة، مما يجعلها تتكتل، وتتحين الفرص؛ للانقضاض على الطبقة المترفة والاستيلاء على ما استأثرت به من أموال وقصور ومزارع)^(٢).

و: إشغال الأمة عن معرفة السوس الناخر في عظامها، فالمترفون في نعيمهم لاهون، وعن البلايا والفتن غافلون، دنياهم أشغلتهم عن النظر في أفعالهم الفاسدة وعواقبها، وفي السنن الإلهية ووقائعها قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتِيمٍ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ آمَنَّا مِنْهُمْ وَأَتَّبِعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٣)، يقول الشوكاني رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَالَ مَتَرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(٤): (خصص المترفين تنبيهاً على أن التمتع هو سبب إهمال النظر)^(٥)، ويقول الماوردي رحمه الله تعالى في عاقبة الترف: (وربما فتحت عليهم خزائن الدنيا فمالوا إليها، حتى صارت مملكتهم على مر الأيام دنيا تيه تتداولها أيدي أبنائها، وسياستهم شهوانية، تشح عليها أنفس طلابها، ويتعادي عليها أربابها. . . ثم ربما جعل الملوك ممالكهم وراثه منهم يرثها الأخلاف الأسلاف. . . يعهد بعضهم إلى ولده من غير امتحان له في عقله، ولا معرفة منه بفضله، ولا وقوف على علمه. . . فإذا وقع فيها الغرُّ الممتحن بسُكر الشباب والثروة، وسُكر العز والمملكة، والفراغ والقدرة، ورأى أن ليس فوقه يدُ قابضة، ولا عينٌ راقبة، ولا قوة قاهرة، أمن حوادث الزمان، واغتر بمساعدة الأيام. . . فخال الدنيا كلها سروراً بحتاً، ولذة صرفاً، فاتبع فيها اللذات، وآثر فيها الشهوات، ونسي ما صنع الله بمن كان قبله من أمثاله ممن هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً، وعمي عما يشاهده في أيامه وساعاته من حوادث الزمان، ونوائب الليالي

= الشرح الأوسط، ٢٥/٤/١٤١٥ هـ، العدد ٥٧٨٥، ص ٢٣.

(١) سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، ص ٣٦.

(٢) الخطايا، ص ١٥٨.

(٣) سورة هود، الآية ١١٦.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٢٣.

(٥) فتح القدير، ج ٤ ص ٥٥٢.

والأيام... إذا صار كذلك صارت همته من الملك التمتع حلالاً كان أو حراماً، وبعيته من المقدرّة التطاول والتسلط حقاً أم باطلاً... إذا كانوا كذلك صار الحكماء والعلماء والبصراء بالعيوب في صورها، والمذام بأعيانها، بين ذليل مقموع، ومطروود محجوب، ومن بين متحرج تمنعه ديانته عن إتيانه، وحكيم يترفع عن صحبته، وخائف يرى أنه إن واجهه فيما فيه صلاحه ونصحته، وقابله بما فيه نجاته ورشده، عاقبه عليه أشد العقاب، وعذبه ألم العذاب^(١).

ز: الهلاك، فالمترفون ضعفاء العقول والإرادة، ضعفاء الأجسام، منشغلون في تحقيق مآربهم الدنيوية غافلون عن أهداف الأمة، وهذه مؤشر ونذر انحلال الأمم وفنائها^(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٣)، يقول محمد قطب: (حين يبدأ الترف يبدأ الانهيار، وتجيء الأخطار، والأمة لاهية في ترفها، مشغولة بمتاع الأرض القريب، غير مُقدّرة للخطر الذي يقترب منها، مخدوعة بقوتها، أو مستنيمة لهواتف الراحة والسلامة والإخلاق إلى الأرض، مُبعدة عنها صوت النذير! وتمضي السنة الربانية بتدمير المترفين)^(٤).

هذه الآثار وغيرها من الآثار المترتبة على الترف بمظاهره المختلفة، تبين أن بين حياة الترف والجهد تضاد وتنافر، وأن الأمة المترفة، أمة تسير في الاتجاه المضاد لمطالبات الجهاد.

رابعاً: دور الأعداء.

عمل الأعداء على استغلال الرغبة الفطرية في زينة الحياة، والتفنن في متعها وملذاتها، وحرصوا على توفير كل ما يرسخ هذه الرغبة، وينميها بين أفراد الأمة الإسلامية^(٥).

(١) نصيحة الملوك، الطبعة الأولى، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) انظر ابن رجب، آفة الأمم حب الدنيا، تحقيق: إيهاب غيث، ص ١١ - ٩٧؛ وانظر مصطفى الغلاييني، عظة الناشئين، الطبعة الثانية عشرة، ص ٦٢؛ وانظر أحمد نار، القتال في الإسلام، ص ٩ - ١٠؛ وانظر هويدي، القرآن والسلطان، ص ١٨٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية ١٦.

(٤) مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ٣٥٢.

(٥) انظر محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ١٠٢ - ١٠٢؛ وانظر محمد الوكيل، أسباب الضعف في الأمة الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ٢٩٦.

فقد جاء في القرار الأول من بروتوكولات حكماء صهيون، دعوة إلى تشجيع حياة الترف والفسق بين الأمميين^(١)؛ حتى يتم تدمير البنية النفسية والبدنية للفرد المسلم.

وفي الجانب الفكري جاءت الدعوة إلى تليد الحس والفكر، والقضاء على عوامل تنمية الفكر عن طريق نشر وسائل التسلية المتعددة، والعمل على تزجية الفراغ بملهيات جوفاء، فمما جاء في القرار الثالث عشر من البروتوكولات: (نوافق الجماهير على التخلي والكف عما تظنه نشاطاً سياسياً، إذا أعطيناها ملاهي جديدة... ولكي نبعتها عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد، سنلهدها أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب، ومزجيات للفراغ والمجامع العامة، وهلم جرا. وسرعان ما سنبداً الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى، في كل أنواع المشروعات: كالفن، والرياضة، وما إليهما، هذه المتع الجديدة ستلهدى ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه، وحالما يفقد الشعب تدريجاً نعمة التفكير المستقل بنفسه، سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد: هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيديين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة)^(٢).

وهذا ما عمله الأعداء بالفعل في أغلب بلدان العالم الإسلامي، يقول زويمر: (أنا لا أهتم بالمسلم كإنسان... إنه لا يستحق شرف الانتساب إلى المسيح... فلنغرقه بالشهوات، ولنطلق لغرائزه العنان، حتى يصبح مسخاً لا يصلح لأي شيء)^(٣).

حتى جاءت النتيجة في غالبها كما أراد الأعداء، وكما قال زويمر في تقييمها: (جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة

(١) انظر المرجع السابق، ص ٢٦٥؛ وانظر بروتوكولات حكماء صهيون،، ترجمة وتقديم: إحسان حقي، الطبعة الثانية، ص ٣٦ - ٣٧؛ وانظر حسن الباش، بروتوكولات صهيون، من التنظير إلى التدمير، الطبعة الثانية، ص ١٨.

(٢) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد التونسي، ص ١٥١؛ وانظر بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة وتقديم: إحسان حقي، ص ٨٤؛ وانظر حسن الباش، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٣) عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، ص ٩٥.

والكسل، فإذا تعلمت للشهوات؛ وإذا جمع للشهوات، وإن تبوأ أسى المراكز ففي سبيل الشهوات وجود كل شيء^(١).

الفرع الثالث

التقويم

الحياة قائمة على العمل، والعمل شريان تسري فيه روح الحياة، فلا يمكن لمخلوق أن يحيا، أو يحصل على المراد دون عمل. ونتيجة العمل وثمرته تتفاوت بتفاوت الغاية منه، فمن كان هدفه كفاف العيش رضي بيسير العمل، ومن كان هدفه رغد العيش وزخرف الحياة، أضنى نفسه في سبيل ذلك.

وهكذا الحياة صراع بين العاملين في حزب الله وحزب الشيطان، كل يعمل لصالح حزبه. ولأن نجاح العمل متوقف على جودة الأداء وحسنه، فقد بث الإسلام روح الجدية والعزيمة عند المسلم، فوجهه إلى اليقظة المستمرة، والعمل المتواصل، والحرص على استغلال الفرص والطاقات دون تعطيل أو تسويف، فالأمة المجاهدة، طريقها طويل، وزاها قليل، غايتها شاقة، وجائزتها عالية، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢)، وهذا ما يجعل الفرد المسلم في عمل متواصل، واستعداد دائم، قد أعد للأمر عدته، وأخذ له أهبته، مستهيناً بمحتته ومنتظراً تفريج كربته، يقول الرافي: (العمل الدائم هو أساس النظام، وأن روح العمل الدائم تكون فيما يشق بعض المشقة، ولا يبلغ العسر والخرج، كما تكون فيما يسهل بعض السهولة ولا يبلغ الكسل والإهمال... وللعمل الدائم طريقتان: إحداهما طريقة الجاد يعمل للعاقبة يستيقنها، فلا يجد مما يشق عليه إلا لذة المغالبة للنصر، كل مرارة من قبله، هي حلاوة فيه من بعد، ولا يعرف للمحنة يبتلى بها، إلا معناها الحقيقي، وهو إيقاظ نفسه^(٣)، وتجديد عزيمته، فهو في سباق محموم مع أنصار الشيطان وحزبه، قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْ

(١) التل، جذور البلاء، ص ٢٧٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٤.

(٣) وحي القلم، ج ٢ ص ٩.

أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلَبَ عَلَيْهِمْ بِحَيْكَ وَرَجَلِكَ وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١﴾ .

وفي غمرة هذا السباق وشدته، وطوله ودقته، قد تنأى بالمسلم عن الطريق نزغات وأوهام، وتحيد به فكر وشطحات، وتثبته هموم وغموم، لذلك جاءت التوجيهات الإسلامية شاحنة الهمم، ومستنفرة الطاقات والعناصر، ومحذرة من القعود والتكاسل، في سبيل أن يستحضر المسلم غايته عند كل فكره ويقيد حركته عند كل خطوة، فلا يطغى الفاني على الباقي، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢) .

وفي هذا الفرع أكتب في لمحات موجزة، وعبارات مختصرة، عن هذا التوجيه الإسلامي، والبيان الرباني لبعض جوانب الحياة، وذلك في عدة نقاط:

أولاً: الجانب الفكري (٣) .

حينما أنعم الله على الإنسان بنعمة العقل، وميزه عن غيره من الكائنات بنعمة الفكر، جعل التفكير أحد طرق المعرفة والعلم (٤)، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٥)، فجاءت النصوص الشرعية داعية إلى النظر بحثاً وتأملاً في ملكوت الله وحوادثه لاكتشاف السنن والقوانين، ومعرفة أحوال الخلق أجمعين، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٦)، محدداً ذلك النظر بحد يتفق مع قدرات العقل وطاقاته، يقول ﷺ: ((تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله)) (٧) .

(١) سورة الإسراء، الآية ٦٤ .

(٢) سورة القيامة، الآيتان ٢٠ - ٢١ .

(٣) انظر العقاد، التفكير فريضة إسلامية، (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع)، ص ٣ - ١٦؛ وانظر علي عبد الحليم محمود، تربية الناشء المسلم، الطبعة الأولى، ص ٢٧٠ - ٢٨٥؛ وانظر عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، الطبعة الأولى، ص ١٣ - ١٤ .

(٤) انظر المرجع السابق، ص ١٥ - ١٨؛ وانظر محمد الجوزو، مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، الطبعة الأولى، ص ٢٢ - ١٨٤ .

(٥) سورة الملك، الآية ١٠ .

(٦) سورة الحج، الآية ٤٦ .

(٧) حديث حسن . الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [٢٩٧٦] .

فكان في ذلك إيقاظ للعقول، واستثارة للأفكار، ودعوة لاستخدام القوى المدركة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١).

وبهذا التحرير والتوجيه للفكر الإنساني، تفتتح أمامه المدارك والآفاق؛ لبيدع نظراً واستدلالاً، فينمو ويزداد علماً ومعرفة، ويكتسب قوة حاسمة في التمييز بين الحق والباطل، والخرافة والحقيقة (٢)، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَحْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ وَمَنْ يُنْفَكِرْهُمَا فَعِندَ اللَّهِ مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ حِنَّةٍ...﴾ (٣). وليؤدي الفكر دوره كما أريد له فهماً وتصوراً، فقد جاءت التوجيهات الإسلامية محذرة من تعطيل الفكر، وإلغاء العقل (٤)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلْأَنْفُسِ أُولَئِكَ هُمْ أَغْفَلُونَ﴾ (٥)، أو السير في طريق التبعية والتقليد والتجمد في نظريات معينة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٦). كما حذر من استخدامه في أمور ضارة، أو تافهة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٧)، يقول ابن سعدي: (العقل الذي منحكم الله إياه من أفضل العطايا، فما بالكم تستعملونه في ركوب الدنيا، خلق الله لكم العقول؛ لتعقلوا بها ما ينفعكم من المعارف، والعلوم النافعة، وترتقوا بها إلى مدارج الفلاح، بهمم قوية، وقلوب واعية، فقاوموا بها ما يضركم من الأخلاق الرذيلة، فلا خير فيمن غلبت شهوته عقله، فألقته في المهالك الوبيلة، فكروا في المصالح والمنافع، فإذا توضحت فاسلكوها، وزاحموا بها النفوس العالية

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٢) انظر عمر الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، ص ٢١٤ - ٢١٨.

(٣) سورة سبأ، الآية ٤٦.

(٤) انظر العقاد، مرجع سابق، ص ١٧ - ٢٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٧٠.

(٧) سورة آل عمران، الآيتان ١٩٠ - ١٩١.

المقبلة على الخير وناقسوها وإياكم أن تكون هممكم في تحصيل الأغراض الدنية فتخسروا عقولكم وتضيعوها^(١).

ثانياً: الجانب النفسي .

النفس البشرية مدار كل طاعة ومعصية، وعز وخذلان، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٢)، من طبيعتها الميل إلى الراحة، وكره المشقة والتكليف، والجنوح إلى رغبات الجسم وملذات الحياة وشهواتها، قال تعالى: ﴿... إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمَ رَبِّي...﴾^(٣) لذلك عني بها الإسلام توجيهاً وتقويماً، تزكية وترغيباً، فحذر من الاندفاع خلف الرغبة والشهوة قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٤)، وأمر بجهادها على الحق تعليماً وتعليماً والتزاماً؛ لتستقيم على الطريق المستقيم^(٥)، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٦). ولأنها متعددة النوازع والرغبات، ومحاطة بالقيود والحدود، فقد يتتابها القلق والضجر^(٧)؛ لمصيبة تحل، أو نعمة تزل؛ لذلك هيأها الإسلام لمواجهة الأزمات، والصمود أمام تقلبات الحياة وظروفها، قال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَّوْا لَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٨).

وأرشدنا إلى العلاج الشافي، والدواء الكافي، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٩).

كما وجه إلى جعل همتها عالية، تتعلق بمعالي الأمور وتنشدها، وتشعر

(١) الخطب المنبرية، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) سورة المدثر، الآية ٣٨.

(٣) سورة يوسف، الآية ٥٣.

(٤) النازعات، الآيتان ٤٠ - ٤١.

(٥) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ ص ١٠.

(٦) سورة الشمس، الآيات ٧ - ٨ - ٩ - ١٠.

(٧) انظر زهير السباعي، شيخ إدريس عبد الرحيم، القلق وكيف تتخلص منه، الطبعة الأولى، ص

٧٥ - ١٠٠.

(٨) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

(٩) سورة الرعد، الآية ٢٨.

بالرفعة والعلو على من حولها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ليسمو المسلم، فيظهر نفسه وينأى بها عن الأدران الحيوانية، يكبح جماح شهواته، وغرائزه، ويهذبها بتوجيهها نحو الخير، ويعمل على تنمية غرائز الخير، عن طريق البذل والعطاء، يقول محمد قطب: (النفوس عرضة للاستغراق في تلك الشهوات ما لم تلتزم بالطيب الحلال من ناحية، وما لم تنشغل من ناحية أخرى بالقيم العليا التي تستوعب مشاعر النفس، وترتفع بها عن المتاع الحسي الغليظ)^(٢).

ثالثاً: الجانب البدني .

لأن الإنسان مجبول على حب الدنيا وما فيها من متع قد يستغرق فيها، فقد جاء الإسلام موجهاً إلى الأسلوب الأمثل في التعامل مع زينة الحياة^(٣)، قال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ فِي مَاءِ آتِنَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤)، وذلك منهج الأمة في جلِّ أمورها الدينية والدينية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾^(٥)، وتبعاً لهذا الاعتدال العام في أمور الإسلام، فقد وُجِّه المسلم إلى الأخذ من طيبات الحياة الدنيا بعدل وقسط يضمن له الكفاية، ويحقق له الغاية، وحذره من الإسراف والتبذير^(٦)، قال تعالى: ﴿... وَلَا بُذْرٌ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(٧).

ففي مجال الأكل والشرب أمر المسلم بالاعتدال^(٨) في تناول الطعام، وفي

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٩ .

(٢) مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ٢٣٩ .

(٣) انظر ابن أبي الدنيا، كتاب ذم الدنيا، تحقيق: محمد عطا .

(٤) سورة القصص، الآية ٧٧ .

(٥) سورة البقرة، الآية ١٤٣ .

(٦) انظر ابن سعدي عبد الرحمن، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، الطبعة الأولى، ص ٦٠ -

٦١؛ وانظر محمد البهي، من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك، (القاهرة: مكتبة وهبي)،

ص ٢٤٧ - ٢٥٢ .

(٧) سورة الإسراء، الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

(٨) انظر عبد الله بن محمد الطريقي، الإسراف، دراسة فقهية مقارنة بين المذاهب الأربعة، الطبعة =

صناعته، في طعامه اليومي وعند ولائم المناسبات، قال تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١) وحُدِّرَ من الأكل والشرب فوق الحاجة؛ لما يُحدثه من تخمة، وإفساد للمعدة^(٢)، يقول ﷺ: ((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكالات يُقمن ضلبه، فإن كان لا محالة فنُلت لِعَاطِمِهِ، ونُلت لِشَرَابِهِ، ونُلت لِنَفْسِهِ))^(٣).

وفي مجال اللباس والزينة، شُرِعَ للمسلم التجميل والاستمتاع بأحسنها، فيلبس أحسن لباسه ويتنظف، ويتطيب، ويكتحل، ويستاك عند الصلاة، وفي الجمع والأعياد، وعند التزاور، ولقاء الناس^(٤)، قال تعالى: ﴿... يَبْنِيءَ آدَمَ حُدُودَ زِينَتِكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ...﴾^(٥)، تقول عائشة رضي الله عنها: (كنت أطيّب النبي ﷺ بأطيب ما يَجِدُ، حتى أجدَ وبيضَ الطيب في رأسه ولحيته)^(٦).

ونهى عن السرف والخيلاء في اللباس والزينة، يقول ﷺ: ((كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير إسرافٍ ولا مخيلة))^(٧)، وكذا كل ما يفضى إلى شهرة أو تكبر، يقول ﷺ: ((من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله، ثم يلهب فيه النار))^(٨).

والمرأة كذلك، على أن لا تستغرق بالتزين، وتجعله هدفاً لذاته، وإنما على اعتباره وسيلة تلبى رغبة التزين، وحب الجمال، عند المرأة وزوجها، وفق الحد

= الأولى، ص ١٥١ - ١٦٠.

(١) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٢) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧ ص ١٩٤.

(٣) حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ٣٤.

(٤) انظر ابن قدامة، المغني، ج ١ ص ٨٥ - ٩٣؛ ج ٢ ص ٣٤٥ - ٣٤٦، ٣٧٠؛ وانظر القرطبي،

مصدر سابق، ص ١٩٦؛ وانظر الطريقي، مرجع سابق، ص ١٦١ - ١٧٦؛ وانظر عبد الله

الفوزان، زينة المرأة المسلمة، الطبعة الأولى، ص ٢٣ - ١١٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية ٣١ - ٣٢.

(٦) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ٧٤.

(٧) المصدر السابق، باب ١.

(٨) حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩٠٠٤].

الشرعي، قال تعالى: ﴿... يُبَيِّنُ لَكُمْ رِبِّيَّتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...﴾ (١).

وفي مجال النفقة أمر المسلم بالاعتدال والقصد^(٢)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٣)، يقول القرطبي رحمه الله تعالى: (التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات، فأدب الشرع فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقاً آخر، أو عيالاً ونحو هذا، وألا يضيق أيضاً ويقتصر حتى يجيع العيال، ويفرط في الشح، والحسن في ذلك هو القوام، أي: العدل، والقوام في كل واحد بحسب عياله، وحاله، وخفة ظهره، وصبره، وجلده على الكسب، أو ضد هذه الخصال وخير الأمور أوسطها)^(٤).

ووجه المسلم إلى المحافظة على صحته الجسدية، فأمر بالمحافظة على الطهارة، والعناية بالنظافة، قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٥)، ويقول ﷺ: ((عشرٌ من الفطرة: قصُّ الشَّارِبِ، وإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، والسَّوْكِ، واستنشاقُ الماءِ، وقصُّ الأظفارِ، وغسلُ الرَّجَمِ، ونتفُ الإِبْطِ، وحلقُ العانةِ، وانتِقاصُ الماءِ))^(٦).

كما حرّم عليه خبائث الطعام والشراب، قال تعالى: ﴿... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...﴾ (٧)، وكل ما يلحق ضرراً ببدنه، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْرَضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ...﴾ (٨).

ومع أن هذا المنهج الإسلامي يحفظ للجسم قوامه، ويكسبه قوة ونشاطاً لمواجهة متطلبات الحياة فقد أكد الإسلام على ضرورة إعطاء الجسم حقه من الراحة

(١) سورة النور، الآية ٣١.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٣٨؛ وانظر الطريقي، الإسراف، ص ٢١٧ - ٢٢٢.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣ ص ٧٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب ١٦.

(٧) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٨) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

والعناية، وأخذه بالممارسات التي تضمن له النشاط والحيوية، والقوة والتمرن على الشدائد^(١)، يقول ﷺ: ((... وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))^(٢).

هذه التوجيهات الإلهية في مواجهة الترف والمترفين، تُحوّل الحياة الإسلامية إلى ميدان عمل إلهي ميدان طبيعة عمله تدور بين هموم الأمة وآمالها، وسمة العمل فيه الجد والعزيمة، ومميزات العاملين فيه القدرة على مواجهة الشدائد، وتجاوز العقبات، وتلك بحق هي حياة المجاهدين.

الفرع الرابع

التطبيق العملي.

مرت على الأمة الإسلامية فترات من الزمن توافرت فيها دواعي الترف، فكان يظهر بين الحين والآخر، على مستويات متفاوتة، وبين عناصر متباينة. فكان للعلماء والولادة دور بارز في بيان خطورته، والتحذير من عواقب الاستغراق فيه، وما نشأة التصوف إلا رد فعل على تلك الظاهرة.

ومن أول من فطن لهذه الداء عمر رضي الله عنه، فعندما توافرت الأموال للمسلمين، خشى عليهم الميل إلى الترف، وإيثار التنعم، والمداومة على الشهوات؛ لما في ذلك من إقبال على الدنيا، ونسيان للآخرة فكان دائم التحذير والتذكير، يقول رضي الله عنه: (إياكم واللحم، فإن له ضراوة كضراوة الخمر)^(٣)، ولم يُرد بذلك تحريم^(٤)، وإنما أراد التنبيه إلى خطورة التنعم، وما يحدثه من كسل وعجز عن القيام بالواجب.

ووجه المجاهدين إلى ما يحفظ لهم قوتهم البدنية، ويجنبهم الانزلاق في الرفاهية والدعة^(٥)، فكان مما قال: ((... إياكم والتنعم، وزِي العجم، وتمعددوا،

(١) انظر ابن جماعة الكناني، تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٢٥ - ١٢٦؛ وانظر محمود، تربية الناشئ المسلم، ص ٢٩٢ - ٣٠٠.

(٢) صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الصيام، باب ٣٥.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧ ص ١٩٩.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) انظر ابن القيم، الفروسية، ص ١٥.

واخشوشنوا، واخلولقوا^(١).

وهذا صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى يقف بكل حزم ضد هذه الظاهرة، فعندما وجد أحد رجاله قد بنى له داراً هائلة في دمشق، رأى أن ذلك أحد مظاهر الترف المعوّقة عن الجهاد، فقال له معاتباً وموجهاً: (إنا لم نخلق للمقام بدمشق، ولا بغيرها من البلاد، وإنما خلقنا لعبادة الله عزّ وجل، والجهاد في سبيله وهذا الذي عملته مما يشبط النفوس ويقعدها عما خلقت له)^(٢).

هكذا واجه سلف الأمة هذه الظاهرة، فكان تعاملهم معها وفق المنهج الإسلامي المتزن، يقول أبو الفرج رحمه الله تعالى: (كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة، لا المترفعة، ولا الدون، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد، ولللقاء الإخوان، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحاً)^(٣).

(١) ابن الجعد علي، مسند ابن الجعد، تحقيق: عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، رقم الحديث: [١٠٣٠]؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب ٢؛ وانظر ابن القيم، المصدر السابق؛ وانظر القرطبي، مصدر سابق.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٣٢٩.

(٣) القرطبي، مصدر سابق، ص ١٧٧.

المطلب الثاني التفكك الاجتماعي

مدخل :

المجتمع الإنساني عبارة عن مجموعة من الخلايا، مختلفة الأنماط، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾^(١)، ترتبط بروابط وعلائق تحكم وتنظم صلتها ببعضها البعض، في ظلها يسود المجتمع جو من المحبة والتواد، والقوة والتماسك، وعند فقدانها ينهدم البناء الاجتماعي، بفعل ضعف الروابط وتهالكها.

والجهاد أشد ما يكون حاجة إلى تماسك خطوطه الخلفية، ووحدة جبهته الداخلية، إذ لا يمكن أن تعلق للجهاد راية، ولا تتحقق للمجاهد غاية، في ظل انقسام عرى الروابط الاجتماعية. فهمُّ الأهل والأولاد، وبعد الصحب والإخوان، وخيفة الخذل والحرمان، عوائق مانعة، وعقبات صارمة، في طريق النهوض للجهاد.

في هذا المطلب أكتب في بيان موجز عن مظاهر التفكك الاجتماعي، باعتباره أحد عوائق الجهاد وذلك في عدة فروع:

(١) سورة الفرقان، الآية ٥٤.

الفرع الأول

التعريف

أولاً: في اللغة .

عند الرجوع إلى مادة جمع في كتب اللغة، نجد من معانيها أنها تُعَبَّرُ عن: جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقَةٍ تقول جمعتُ الشيءَ: إذا جئت به من ههنا وههنا. وتَجَمَّعَ القومُ: اجتمعوا من ههنا وههنا. والجُمَاعُ: كلُّ ما تَجَمَّعَ وانضمَّ بعضُه إلى بعض. والمَجْمَعُ: اسم للناس، وللمكان الذي يجتمعون فيه. والإجماعُ: الإعداد والعزيمة على الأمر. والرجل المُجْتَمِعُ: الذي بلغ أشدَّه. واجْتَمَعَ الرجلُ: بلغ غاية شبابه^(١).

إذاً فالمفهوم اللغوي للمجتمع، يعني: ضم أشتات متفرقة، وأشلاء ممزقة، إلى بعضها البعض، وجعلها في غاية القوة والشدة.

ثانياً: في الاصطلاح.

عرفه العلماء بأنه: مجموعة من الأفراد، بينهم روابط ووشائج، يضبطها ويحكمها نظام واضح، لهم غاية واحدة يسعون لأجلها جميعاً، يقول مالك بن نبي رحمه الله تعالى: (تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، ويعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة)^(٢)، وعرفه محمد المبارك بقوله: (مجموعة من الأفراد، يربط بينها رابط مشترك، يجعلها تعيش عيشة مشتركة، وتنظم حياتها في علاقات منتظمة معترف بها فيما بينهم)^(٣).

ويقول محمد أمين المصري معرفاً للمجتمع الإسلامي: (هو ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة، وقوانينه القرآنية، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع وإن تكون من أقوام متعددة، وألسنة متباينة، خصائص مشتركة، وأعراف عامة وعادات موحدة)^(٤).

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، «جمع»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «جمع».

(٢) ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ص ١٣.

(٣) المجتمع الإسلامي المعاصر، الطبعة الخامسة، ص ٧.

(٤) المجتمع الإسلامي، الطبعة الرابعة، ص ١٧.

الفرع الثاني التحليل

تسود شبكة العلاقات الاجتماعية المعاصرة حالة من التفكك والتمزق عند بعض المسلمين^(١) باعدت بين بعض أفراد المجتمع وأضعفت الروابط، ففقد المجتمع بذلك قوة معنوية ومادية، ووحدة حسية وفكرية، وتماسك بناء وأبناء^(٢)، ومن أبرز هذه المظاهر:

أولاً: في محيط الأسرة.

أ: المفاهيم الخاطئة لغاية الزواج عند بعض المسلمين، حيث اختلال المفاهيم الصحيحة حول فكرة الزواج، والابتعاد به عن المفهوم الإسلامي إلى مفاهيم دنيوية بهيمية، جعلت الزواج هدفاً لذاته، رغبة في ملذاته، وبعداً به عن غاياته السامية. فأصبحت الأولوية في مقاييس اختيار الزوجة، المتع الدنيوية من مال وجمال وحسب، والأولوية في مقاييس اختيار الزوج تتجه إلى الجاه والمتاع الدنيوي^(٣).

ب: إهمال الحقوق الزوجية^(٤)، سواء من الرجل أو المرأة، فالمرأة أهملت حق الطاعة لزوجها، فلم تر له مكانة وقدرة، ولم تسمع له جوابه وأمره، لم تقدر مكانته الاجتماعية، أو العلمية، أو العملية وتبرم لقيامه بها على الوجه الأمثل^(٥)،

(١) انظر تحقيق: خالد غازي، «علماء النفس يدقون ناقوس الخطر، الروابط الأسرية تشكو «جليد» القلوب»، جريدة المدينة، ١٤١٥/٨/٨ هـ، العدد ١١٦٠٦، ص ١٦.

(٢) انظر ابن نبي، ميلاد مجتمع، ص ٧٦ - ٨٧؛ وانظر ماجد الكيلاني، إخراج الأمة المسلمة، ص ٤٠.

(٣) انظر مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، الطبعة الخامسة، ص ١٢٣؛ وانظر نضال الموسوي، ملامح الوعي الاجتماعي عند المرأة الخليجية، الطبعة الأولى، ص ٢٣٤ - ٢٤٠، ٢٦١؛ انظر سارة السبيعي، «شبح يهدد بعض الفتيات، «العنوسة»... الفتيات: لا نرفض الزواج، ولكن أين الزوج المناسب؟» جريدة المدينة، ١٤١٥/٣/١٢ هـ، العدد ١١٤٦٣. ص ١٢ - ١٣؛ وانظر الحسين بن الحاج نصر، «الوضع الاجتماعي قبل المال في اختيار شريك الحياة بتونس»، جريدة الرياض، ١٤١٥/١١/٢٩ هـ، العدد ٩٨٠٥، ص ٣٨.

(٤) انظر الموسوي، المرجع السابق، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٥) انظر مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص ١٢٤.

تتجاوز في طلباتها مكانته المالية، فترهق كاهله بطلبات تتبارى فيها مع غيرها من النساء في مناسبات المجتمع المختلفة^(١).

والزوج يهمل دور زوجته في حياته الخاصة، فلا يسمع لها مقالاً، ولا يعتبر لها وجوداً^(٢)، يعتبرها من بقية المتاع، فيعاملها معاملة الضياع، ويعاقبها عند كل زلة وهفوة، بالغفلة والجفوة.

ومن الأزواج من تخلى عن القوامة الشرعية، وجعل الأمر كله بيد المرأة، حتى أصبح لها حياتها الخاصة بها، وفي منأى عن تدخلات الزوج، وتوجيهاته.

ج: خروج بعض النساء من بيوتهن^(٣)، حيث تتجاوزن الحقوق الشرعية، وخرجن من بيوتهن دون إذن وليهن، أملاً في محاكاة الرجل، ومشاركته في ميادين الحياة المختلفة.

د: انتشار المربين والخدم^(٤)، أهمل بعض الآباء والأمهات أبناءهم، وعهدوا بتربيتهم إلى مربين معظمهم من الكفار، يقومون بدور الأب والأم في التنشئة، فتعلق بهم الأبناء، وأصبحوا القدوة والموجه، ومعيار الحسن والقبح^(٥).

هـ: التجاوز في التربية^(٦)، وذلك من خلال تلقين بعض الأبناء ألفاظاً وعادات

(١) انظر عبد الرحمن إدريس، «قضية اليوم: شرائيات نسائية مترفة باسم الفرح، تخريب ميزانية الأسرة بالنهم»، جريدة عكاظ، ١١/١٠/١٤١٥ هـ، العدد ١٠٤٣٨، ص ٢.

(٢) انظر تحقيق: إيناس محمد، «غرباء، تحت سقف واحد، أنا في وادٍ، وزوجي في وادٍ آخر! سيدة: زوجي أناني يعيش لنفسه فقط» جريدة المدينة، ٣/١١/١٤١٥ هـ، العدد ١١٦٨٥، ص ١٦.

(٣) انظر محمد سلامة آدم، المرىة بين البيت والعمل، الطبعة الأولى، ص ٤٨ - ٥٠، ٢٨٥ - ٢٨٦؛ وانظر الموسوي، ملامح الوعي الاجتماعي، ص ٢٠٥ - ٢٠٨، ٢٤٤، ٢٤٩ - ٢٥٤.

(٤) انظر عبد الله القصير، ظاهرة استقدام السائقين والخدم وخطرها على الأسرة والمجتمع، الطبعة الرابعة، ص ١ - ٤؛ وانظر الموسوي، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٥) انظر «الخدمات، شرٌّ لا بد منه: نحن نزرع الألغام في بيوتنا! ٧٠٠ ألف خادمة، يزرعون الأشواك في حياتنا»، جريدة المدينة، ٣/٦/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٤٢، ص ٨ - ٩.

(٦) انظر عبد الله نجيب سالم، المراهقون، ظاهرة الانحراف أسبابها وعلاجها، الطبعة الأولى، ص ١٠٣ - ١٨٢؛ وانظر محمد السحيم، من أخطائنا في تربية أولادنا وطرق علاجها في =

جاهلية، تنمي فيهم التفاخر بالأنساب والأوطان. وترك الحرية لوسائل الإعلام في توجيه الأبناء^(١)، مما كان له أبلغ الأثر في تنمية معارف وقدرات النشء، وفق رسائل المنظرين لأجهزة الإعلام، وجار بعض الآباء في معاملة الأبناء، بتفضيل بعضهم على بعض معنوياً ومادياً^(٢). وأهمل دور التربية بجعله أمراً ثانوياً، فلا ب مشغول في أعماله، والأم في اهتماماتها داخل المنزل وخارجه^(٣).

و: ارتفاع نسب الطلاق، وذلك مؤشر على عمق المشاكل التي تحيط بالأسر، والتي بدورها تسهم في تحلل الروابط الاجتماعية، ومعاناة المجتمع من مشاكل تالية^(٤).

ز: العقوق، جاهر بعض الأبناء في عقوق آبائهم، فلا سمع، ولا طاعة، واعتبر الوالدان من بقايا الأمس البالية، التي عفا عليها الزمن، وأصبحت عقبة

= الإسلام، الطبعة الأولى، ص ٢١ - ١٤٦.

(١) انظر نبيل صبحي، طفل الخليج بين رفاهية البترول ونيران الحرب، ص ٤٣ - ٦٤.
(٢) انظر حسين الحجاجي، «براءة الأطفال تدلي للصحفي الخفي باعترافات خطيرة: فيصل: أنا أكره أبي»، جريدة المدينة، ١٤١٤/١٢/٢٦ هـ، العدد ١٠١٦٤، ص ٢٤؛ وانظر تحقيق: آمال رتيب، «من الزواج الثاني تبدأ المشكلة: أشقاء بشهادة الميلاد فقط، الخصومة بين أبناء «المعددين» لغم يهدد الحياة الأسرية»، المرجع نفسه، ١٤١٥/٥/١٢ هـ، العدد ١١٥٢٢، ص ١٨.

(٣) انظر «في بيتنا منحرف! أبناء يسقطون ضحية إهمال الأبوين. بعض أساليب التربية، تؤدي للانحراف»، المرجع السابق، ١٤١٥/٥/١٨ هـ، العدد ١١٥٢٨، ص ٢٠؛ وانظر تحقيق: عبد الرحمن المالكي، فهد الشريف، «هل هي محاولة اختراق المجتمع من الداخل؟ «تغريب» شبابنا تحت ستار المدنية الحديثة... أساتذة الجامعات: الآباء أهملوا مسؤوليتهم في رعاية أبنائهم»، المرجع نفسه، ١٤١٥/٦/٢ هـ، العدد ١١٥٤١، ص ٧؛ وانظر تحقق: ياسين قاسم، «أطفال «هائمون» فوق الأرصفة، غياب «الضبط الأسري» مضیعة للصغار. «مشاغل الحياة» مبرر بليد، يتذرع به المفرطون»، المرجع نفسه، ١٤١٥/٧/٨ هـ، العدد ١١٥٧٦، ص ١٠.

(٤) انظر تحقيق: فهد العبد الكريم، عمر عبد الرحمن، «الطلاق السريع: يا فرحة ما تمت!»، مجلة اليمامة العدد ١٢٣٩ (١٤١٣/٧/٦ هـ): ص ٦ - ١٠؛ وانظر سهام حرب، «الكويت اجتماعياً إلى أين؟ الأسرة الكويتية واقع ومرتجى. الطلاق أجيال تعيش المعاونة، والأخطار تتزايد، ومحاولات الإصلاح نظرية. استنهاض القيم والعادات الأصلية، خطوة لوقف التفكك»، الكويت: جريدة القبس، ١٤١٥/٧/١٣ هـ، العدد ٧٧٢٠، ص ١٠.

مستعصية في طريق الأبناء، تزال عن طريق التهديد والوعيد^(١)، أو إلقائها في دور رعاية المسنين^(٢)؛ بل قد وصل الحال إلى قتل الوالدين، رغبة في التخلص منهم^(٣). وتبعاً لذلك شاعت ألفاظ: متمزمت، متأخر، معقد، ونحوها مما يطلقه الأبناء على آبائهم، تعبيراً عن عدم الرضى عليهم، واستنكاراً لمواقفهم التربوية معهم. وعبر بعض الأبناء عن مواقف الأهل تجاه بعض سلوكياتهم، بالهرب من المنزل احتجاجاً^(٤).

ثانياً: في محيط ذوي الأرحام.

تحظى صلة ذوي الأرحام عند بعض المسلمين بإهمال فاضح، وانفصام واضح^(٥)، فهي أمر ثانوي الأهمية، حيث لا معنى لها ولا قيمة، يقول القرضاوي: (أصبح الناس في البلد الواحد، بل في الأسرة الواحدة، يخاصم بعضهم بعضاً، ويخاف بعضهم بعضاً، ويكره بعضهم بعضاً. بعد أن كانوا من قبل - بفضل الإيمان - كالبنيان المرصوص، أو كالجسد الواحد، في تعاطفهم، وتوادهم، وتراحمهم، وبعد

(١) انظر عليان البيهاني، «عجوز التسعين: نار العزلة، ولا جنة أنثائي!»، جريدة المدينة، ١٤١٥/٣/٧ هـ، العدد ١١٤٥٨، ص ٣٢؛ وانظر «قلب أم يتفطر دماً: ابني يرفع السكين في وجهي»، جريدة عكاظ، ١٤١٥/٧/١٧ هـ، العدد ١٠٣٦٠، ص ٢٦.

(٢) انظر طه حسين، موسى الأنصاري، «... بيوت المسنين هل تدخل في نطاق عقوق الوالدين؟ والعلماء يجيبون: نعم، إذا كان الهدف التخلص من الآباء فقط!» جريدة المدينة، ١٤١٤/٨/١٢ هـ، العدد ١١٢٥٥، ص ١٩.

(٣) انظر تحقيق: محمود عبد العزيز، «اليمامة تقطع ٢٥٠ كيلومتراً لتسجيل جريمة هزت المجتمع المصري: ومن الحب ما ذبح... القاتلة: لو عاد أبي إلى الحياة لقتلته بيدي»، مجلة اليمامة العدد ١٠٨٧ (١٤١٠/٦/٦ هـ): ص ٤٠ - ٤١؛ وانظر «قتل قاتلي أبويهما»، جريدة عكاظ، ١٤١٥/٨/٢٧ هـ، العدد ١٠٤٠٠، ص ٣٢.

(٤) انظر أحمد المجذوب، «الهروب من الأسرة في العالم العربي»، مجلة اليمامة العدد ١٣٣٣ (١٤١٥/٦/٢٧ هـ): ص ٤٦ - ٤٩؛ وانظر «غالبيتهم شبان في مقتبل العمر: انتشار ظاهرة «خرج ولم يعد» في الأردن»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٦/٢٥ هـ، العدد ٥٨٤٤، ص ٢٧.

(٥) سألت أحد الأطباء في مدينة الرياض عن علاقته بأحد الأسماء المشابهة لاسمه، فأجابني بأنه أحد أفراد عائلته، وسألته عن الصلة بينهم، فأجاب: كُفَّ عن هذا البعيد، فأنا لم أر أبناء أختي منذ ختانهم، وهم الآن بين أبنائهم.

أن كانت الأخوة هي شعارهم، والراية التي تجمعهم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ... ﴾ (١). ولقد بات الأب في واد، وأبناؤه في واد: انفصال نفسي وفكري بين الجيلين. وبات الإخوة الأشقاء أولاد الأب الواحد، والأم الواحدة، وكأنهم أجانب بعضهم عن بعض... (٢)، وإن حدث شيء من الصلة فهو لا يتجاوز: الزيارات الموسمية في المناسبات والأعياد؛ لأجل تقديم الهدايا (٣).

ثالثاً: في محيط الجيران (٤).

عدم التعارف بين الجارين المتلاصقين، سمة العلاقة الاجتماعية بين بعض الجيران في هذا العصر، بل يتجاوز البعض ذلك بقطع كل أسباب المعرفة، ودواعي العلاقة، بالرفض المتواصل، والإعراض الدائم. وتبعاً لذلك فقد عامل الأخوة بين الجيران تأثيره، وأصبح المرء غريباً في حيه، وداخل بيته، إن غاب قلق على بيته وأهله، وإن حضر اغتم وأرق. كما انتشرت المشكلات الدنيوية بين الجيران المتعارفين، بسبب تباين وجهات نظر دنيوية، أو مشاكل عائلية، أو تفاوت مكانة علمية أو اجتماعية، كل ذلك بسبب عدم الإدراك والوعي لمفهوم الجوار، وحقوق الجار (٥).

رابعاً: في علاقة المسلم بالمسلم.

مدار العلاقة بين بعض الأفراد ومنشؤها يقوم على المعرفة الشخصية، والمصلحة النفعية، بدءاً وانتهاءً، فمن النادر عند البعض تحكيم مبدأ الأخوة الإيمانية

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢) درس النكبة الثانية، لماذا انهزمنا، وكيف نتصبر، الطبعة الثالثة، ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) انظر حسن عبد الحميد عويضة، النظم الإسلامية، الطبعة الثانية، ص ١٥١؛ وانظر إيناس محمد، «في العيد، الأغلبية رسبت في الاختبار. صلة الرحم تشكو أصحاب القلوب الجليدية»، جريدة المدينة، ١٢/١٠/١٤١٥ هـ، العدد ١١٦٦٤، ص ١٦.

(٤) لتحديد مفهوم الجوار، انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠ ص ٤٤٧.

(٥) انظر تحقيق: محمد الحقباني، «البعد الديني والاجتماعي في التواصل بين الجيران». «الجار قبل الدار» مثل شعبي قضت عليه المدينة. مجتمع المدينة يتسم بضعف العلاقات الاجتماعية...»، جريدة الرياض، ٢/١١/١٤١٤ هـ، العدد ٩٤٢٤، ص ٨.

في تعامله، فيقوم بزيارة مريض، أو يتبع جنازة^(١)، أو يجيب دعوة، أو يحسن معاملة، دون معرفة سابقة، أو وجود مصلحة ظاهرة.

خامساً: في علاقة الفرد بالمجتمع.

يعمل بعض الأفراد وكأن له مجتمعه الخاص به، الذي يجعله لا يعبأ بالمجتمع الإسلامي، فأحداث المجتمع وقضاياها أبعد ما يكون عنها، فلا تفاعل، ولا تعاطف.

ينظر للأشياء من منظور فردي، فتضحياته يجب أن تكون لنفسه، ومردود أعماله لشخصه ومن في محيط دائرته، أما حاجة المجتمع ومصلحته فشان لا يعنيه، وتضرره أمر لا يشقيه^(٢).

يفرح ويلهو وإخوانه في مصائبهم يعانون، يسرف في شؤون حياته وهم يتكفون، لا مشاعر تؤرقه ولا أحاسيس تحركه، يقول أحد من يعيش وينادي بذلك الواقع: (تسأل بعض الناس عن العيد فيروح يسرد عليك ملحمة طويلة من المآسي بدءاً من فلسطين، وانتهاءً بالشيشان، مروراً على معارك البوسنة والهرسك، ومجاعات أفريقيا، وتمزق العالم العربي، وتخلف العالم الإسلامي. وليس هناك أشد بؤساً من أولئك الذين يجعلون قلوبهم مأوى لأحزان العالم، أو لأولئك الذين جعلوا صدورهم إسفنجة تمتص كوارث الدنيا، فإذا ما سألتهم عن العيد عصروا صدورهم، فسأل منها حزن كريحه الرائحة وواربوا قلوبهم، فتفلتت منها وحوش الأسى... هؤلاء الذين ينسون أو يتناسون أن الله قد وهبهم ما يستحق أن يشكروا الله عليه، ينسون أو يتناسون أنهم هم أحياء يرزقون، إنهم ينعمون بالأمن

-
- (١) حدثني أحد الإخوة بأنه ذهب مع صحب له لدفن جنازة أخيه المتوفى في إحدى مدن المملكة الريفية، فأعلن لأهل البلد عن وجود جنازة سيصلى عليها في الفريضة القادمة، ولما حان وقت الصلاة، فوجيء بنفر قليل، وقليل جداً، ولما ذهب لدفنها لم يتبعها أحد.
- (٢) انظر تلك الفجوة الكبيرة بين نجاح كثير من أبناء المسلمين في أعمالهم الخاصة، حتى أصبح بعضهم على مستوى عالمي، وبين متطلبات الأمة، وهل أسهم ذلك النجاح في معالجة مشكلة من مشكلات الأمة، أو سد وجه من أوجه النقص التي تعاني منها الأمة في المجالات الحياتية المختلفة، لقد زاد بعضهم في تسخير تلك الإمكانيات الفردية، في جلب وتوفير كل ما يخدم أهداف الأعداء، ويحقق مآربهم في زعزعة وتفسخ المجتمع الإسلامي.

إنهم معافون في أبدانهم وأموالهم... (١).

في ظل هذا الواقع الاجتماعي الذي تعاني منه أمتنا، تباعدت الأحاسيس والمشاعر بين أغلب أعضاء الجسد الإسلامي على كافة المستويات، وبالتالي انقطعت الروابط الإيمانية، مما أسهم في فقْد المجتمع للمعاني الاجتماعية الدافعة للجهاد، فضلاً عن الإسهام في إعداد ودعم المجاهدين.

الفرع الثالث

التقويم

جاء الإسلام بنظام اجتماعي يضبط العلاقة بين أفرادها ويحددها^(٢)، ويصوّف لهم شؤون حياتهم العامة مع تجددتها، يحقق لهم الأمن الاجتماعي، ويضمن لهم القوة والوحدة، وهذا ما يُعرّفه الفقهاء بفقهِ المعاملات، أحد الجوانب الرئيسة للشريعة الإسلامية، والتي يعتمد عليها المجتمع المسلم بعد الله في حفظ مصالحه، ودفع مضاره، وتحديد سماته ومقوماته، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (في ظل هذه الشريعة، تم نمو الجماعة الإسلامية، ووجدت ارتباطات العمل والإنتاج والحكم، وقواعد الآداب الفردية والاجتماعية، ومبادئ السلوك، وقوانين التعامل... وسائر مقومات المجتمع الخاصة، التي تحدد نوعه وترسم طريق النمو والتطور)^(٣)؛ ليصبح (مجتمعاً فكرياً خلقياً، مستنداً إلى مبدأ وغاية، لا يتحد فيه أفراد البشر على أساس النسل والسلالة، بل على عقيدة معينة، وضابط خلقي بعينه، فكل من آمن بالله رباً ومالكاً، ورضي بما جاءت به الرسل من الهدى ودين الحق منهجاً عملياً لحياته، فقد أصبح جزءاً من أجزاء هذا المجتمع، وفرداً من أفرادها. سواء عليه أكان من بلاد أفريقية أو أوربا، أم كان ينتسب إلى السلالة السامية، أو الآرية، أم كان أسود اللون أو أبيضه، أم كان ينطق بالسنسكريتية أو بالعربية، فكل

(١) سعيد السريحي، «بالحبر الفصيح»، جريدة عكاظ، ١٤١٥/١٠/٥ هـ، العدد ١٠٤٣٢، ص ٣٢.

(٢) انظر ابن الجوزي، كتاب البر والصلة، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، ص ٣٥ - ٢٥٩؛ وانظر أبا الأعلى المودودي، نظام الحياة في الإسلام، الطبعة الخامسة، ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) نحو مجتمع إسلامي، الطبعة التاسعة، ص ٦٣.

من اشترك في هذا المجتمع هم سواسية كأسنان المشط في حقوقهم، ومكانتهم الاجتماعية... لا توجد بينهم العقبات والحواجز في شؤون زواجهم، وأرحامهم، ومجالستهم ومخالطتهم، ومؤاكلتهم، ولا يكون الرجل فيهم شريفاً، أو ضيعاً، بسبب سلالة التي ينتمي إليها، أو المهنة التي يتعاطاها... مجتمع لا يحد بالحدود النسلية واللونية، ولا بالحدود الجغرافية^(١).

ومنهج الإسلام التنفيذي لهذه الصورة الوضاعة، ينطلق بصور متناسقة، ومترابطة، تبدأ من حيث تنتهي، وتنتهي من حيث بدأت، وهذا شيء من التفصيل حول ذلك:

أولاً: الأسرة.

فهي اللبنة الرئيسة في البناء الاجتماعي^(٢)، يستمد منها المجتمع قوته وضعفه؛ لذلك عني الإسلام بمكوناتها المتعددة، ومجالاتها المختلفة على النحو التالي:

أ: الزواج، حيث شرع الزواج، وعُدَّ سنة من سنن الأنبياء، يقول ﷺ: ((أربعٌ من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والنكاح، والسواك))^(٣)، حدد له غاية تتمثل في تحقيق العبودية لله، وجعل له رسالة حيث تحقيق استخلاف الإنسان في الأرض؛ ليعمرها كما أراد الله، يقول ﷺ موجهاً إلى ضرورة السمو بغاية الزواج: ((تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة))^(٤).

وجعل له قواعد محددة تنأى بالمسلم عن العزوف، أو الانهماك في الجنس، قال تعالى: ﴿... فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٍ وَثُلَّةٍ وَرُبْعٍ فَإِنَّ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلَمُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَانُكُمْ أَلَّا تَعْلَمُوا﴾^(٥).

(١) المودودي، مرجع سابق، ص ٣٧ - ٣٨.

(٢) انظر عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص ٢٥٩ - ٢٧٤؛ وانظر عمر فروخ، الأسرة في الشرع الإسلامي، مع لمحة من تاريخ التشريع إلى ظهور الإسلام، (بيروت: المكتبة العصرية)، ص ٨٩.

(٣) حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩١٩].

(٤) صحيح. الألباني، إرواء الغليل، في تخريج أحاديث منار السبيل، الطبعة الأولى، رقم الحديث: [١٧٨٤].

(٥) سورة النساء، الآية ٣.

وجعل لاختيار الزوج والزوجة قواعد وضوابط تضمن تكوين الأسرة الفاضلة، والمجتمع المترابط يقول ﷺ: ((إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ))^(١)، وقال ﷺ: ((تُنكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِحِمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَظَفِرَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ))^(٢).

وشرع للخاطب النظر إلى المخطوبة، وحُدِّدَ النظر بضوابط شرعية^(٣) تسهم في تحقيق الزواج لغاياته يقول ﷺ: ((انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما))^(٤).

ب: العلاقة الزوجية، حدد الشارع الحكيم العلاقة بين الزوجين، وجعل لكل منهما حقوقاً تجاه الآخر، قال تعالى: ﴿... وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥)، فعلى الزوج أن يحسن العشرة في معاشرته زوجته، وأن يحسن القوامه، برعايتها معيشياً ودينياً، قال تعالى: ﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٦)، فيصبر على المثالب إن وجدت، يقول ﷺ: ((استوصوا بالنساء خيراً فإنهنَّ خلقنَّ من ضلع، وإنَّ أعوجَّ شيءٍ في الضلعِ أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوجَّ، فاستوصوا بالنساء خيراً))^(٧)، ويسدد ويقارب بين صفاتها الحسنة والسيئة يقول ﷺ: ((لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خلقاً، رضي منها آخر))^(٨). وأن يعدل بين الزوجات في أموره الظاهرة التي يستطيع التحكم بها، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ...﴾^(٩).

وللزوج على زوجته الطاعة بالمعروف، وحفظ ماله وعرضه، قال تعالى:

(١) حديث حسن غريب. سنن الترمذي، أبواب النكاح، باب ٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب ١٥.

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٩ ص ٢١٠.

(٤) حديث حسن. الترمذي، مصدر سابق، باب ٥.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

(٦) سورة النساء، الآية ١٩.

(٧) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ٨٠.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب ١٨.

(٩) سورة النساء، الآية ١٢٩.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَدِّكَ حَفِظْتَهُ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيَّ نَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعُظُّوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنَّ أَطَعْنَاكُمْ فَلَا نَبْعُؤْ عَلَيْهِنَّ سَكِينًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^(١)، وأن تكون عوناً له في هذه الحياة يقول ﷺ: ((الدنيا كلها متاعٌ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصالحةُ))^(٢).

كل ذلك مما يسهم في دوام العشرة، وبناء الأسرة المتماسكة.

ج: العلاقة بالوالدين.

جعل للوالدين حقاً عظيماً، تدل عليه تلك العناية والاهتمام الذي أولاه إياه الإسلام، حيث قرن حقهما بحق الله، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾^(٣)، فقد بذلا جهداً كريماً، وعانيا أشد المعاناة في سبيل الرعاية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(٤)؛ لذلك عُدَّ برهما، والإحسان إليهما، في مقام الجهاد، جاء رجل إلى النبي ﷺ، يستأذنه في الجهاد، فقال: ((أَحْيِ وَالِدَاكَ؟)) قال: نعم. قال: ((فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ))^(٥)، وقدم برهما على صلاة التطوع^(٦)، وجعله سبباً رئيساً في دخول الجنة، يقول ﷺ: ((رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ))، قيل: من يا رسول الله! قال ﷺ: ((من أدرك أبويه عند الكبر، أو أحدهما، أو كليهما، فلم يدخل الجنة))^(٧)، وجعل عقوقهما أكبر الكبائر، يقول ﷺ: ((أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟)) قيل بلى يا رسول الله. قال: ((ثلاثاً: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ

(١) سورة النساء، الآية ٣٤.

(٢) صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٤٢٧٩].

(٣) سورة الإسراء، الآيتان ٢٣ - ٢٤.

(٤) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٥) صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١.

(٦) انظر المصدر السابق، باب ٢.

(٧) المصدر السابق، باب ٣.

الوالدين، وكان مُتَكِنًا فجلسَ، فقال: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ...))^(١).

د: علاقة المسلم بأولاده، وهي علاقة تبدأ من الكسب الحلال، فاختيار الأم الصالحة، ثم التأدب بأدب الإسلام في المعاشرة الزوجية، ثم اختيار الاسم الحسن للمولود، وبعدها تبدأ العلاقة العملية مع الأولاد، بتعليمهم أمور دينهم، وتنشئتهم تنشئة إسلامية^(٢) يحكمها البصيرة النيرة بأمر الدين والدنيا، يقول ﷺ: ((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ...))^(٣)، فالندب هنا لأجل التعليم والتعويد أولاً، وهي مرحلة يعقبها الأمر بقوة؛ عند عدم الاستجابة؛ لإشعاره وتبصيره بأهمية الصلاة، وعِظَم مكانتها. ويحكمها أيضاً القدوة الصالحة من الوالدين، أو وليّ أمر التربية والتوجيه، فمعيار الناشئ للحُسن والقُبْح السلوكي: قدوته التي يتشرب منها الخصال، يقول ﷺ: ((مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنِ))^(٤).

ثانياً: علاقة المسلم بذوي رحمه^(٥)

حقيقة الصلة كما حددها العلماء: العطف والرحمة، بدرجات متفاوتة بعضها أرفع من بعض^(٦).

والأرحام: أقارب المرء، ومن بينه وبينهم نسب، من محارم وغيرهم، من يرث منهم ومن لا يرث^(٧). حيث عمل الإسلام على تقوية أوامر الرحم^(٨)،

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٦.

(٢) انظر محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح.

(٣) صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٨١٧٤].

(٤) صحيح. المصدر السابق، رقم الحديث: [٨١١٨].

(٥) انظر محمد مجاهد طبل، إبراهيم محمد، صلة الرحم فضلها أحكامها إثم قاطعها.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٦ ص ١١٢ - ١١٣.

(٧) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠ ص ٤٢٨؛ وانظر مسلم، مصدر سابق، ص ١١٤.

(٨) انظر ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، مكارم الأخلاق، (تحقيق وتعليق: مجدي السيد

إبراهيم)، ص ٧١ - ٨٨؛ وانظر الخرائطي محمد بن جعفر بن سهل، المنتقى من كتاب مكارم

الأخلاق ومعاليتها ومحمود طرائقها، الطبعة الأولى، ص ٧٣ - ٢٤٩؛ وانظر الطبراني، مكارم

الأخلاق، الطبعة الثالثة، ص ٤٠ - ١٢٩، ٦٢ - ٦٥.

ووشائج القربة داخل المجتمع الأسري الصغير للفرد، فحث على الصلة، وما تمليه من مشاركة وجدانية في حال الفرح، أو الحزن، وحذر من القطيعة، وما يترتب عليها من تفكك، وتباعد أسري، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١)، ورغب في الصلة كثيراً، ببيان ما فيها من خير عظيم، يقول ﷺ: ((من أحبَّ أن يُسَطَّ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُسَأَّلَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))^(٢) وحذر من القطيعة، مبيناً ما فيها من شر عظيم، يقول ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قِطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهوَ لِكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَافْرُؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٣)))^(٤)، وهذا ما يجعل المسلم يتجاوز ما قد يطرأ من مشكلات دنيوية عارضة، برحابة مجردة عن الرياء والسمعة، يقول ﷺ: ((لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَّهَا))^(٥).

ثالثاً: علاقة المسلم بجاره^(٦).

للجار معاملة خاصة، تحكمها الطبيعة الاجتماعية للواقع، فهو الأقرب داراً، والأعلم بما قد يحدث للجار في ساعات الغفلة، والأسرع إجابة عند الحاجة، فكأنه الحارس الأمين لجاره، والملجأ بعد الله عند الحاجة؛ لذلك غني الإسلام بالعلاقة بين الجيران، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾^(٧)، فحث على المعاملة الحسنة، ومراعاة المشاعر المعنوية والحسية

(١) سورة النساء، الآية ١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ١٢.

(٣) سورة محمد، الآية ٢٢.

(٤) المصدر السابق، باب ١٣.

(٥) المصدر السابق، باب ١٥.

(٦) انظر ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، ص ١٠١ - ١٠٩؛ وانظر الخرائطي، المنتقى، ص ٥٥ -

٦١؛ وانظر الذهبي، حقوق الجار، تحقيق: مبروك إسماعيل، ص ١٧ - ٤٢.

(٧) سورة النساء، الآية ٣٦.

للجار، والمشاركة الوجدانية والبدنية في فرحه وحزنه، يقول ﷺ: ((من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فلا يؤذِ جارَه))^(١)، وجعل العلاقة بين الجيران مؤشر قوة الإيمان وضعفه، قال ﷺ: ((والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمنُ جارُه بوائِقه))^(٢).

رابعاً - علاقة المسلم بالمسلم.

وهي علاقة تقوم على مبدأ الأخوة، تلك الرابطة الإيمانية، التي تربط بين أفراد المجتمع الإسلامي^(٣) يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾^(٤)، بما تمليه هذه الأخوة على الفرد والمجتمع المسلم، من أحاسيس صادقة تجاه بعضهم البعض، تقضي على جميع صور البغض والأثرة الفردية والجماعية وتنمي فيهم الشعور الأخوي بدرجة متوازنة بين الفرد والمجتمع^(٥)، قريباً كان أو بعيداً، وأنه جزء حي من ذلك الجسد المترامي الأطراف في أجزاء المعمورة، يقول ﷺ: ((مثلُ المؤمنينَ في توادِّهِم وتراحُمِهِم، وتعاظِفِهِم، مثلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهَرِ والحُمى))^(٦). أخوة تتحطم معها جميع الحواجز الدنيوية، من جنس، ولون، وحدود جغرافية^(٧) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٨)، وتجعل المسلم بجانب أخيه المسلم، في كل حركاته وسكناته، يشاركه في سرائه وضرائه، ويتحسس أفراحه وأحزانه، فيفرح لفرحه، ويحزن لحزنه. يشاركه معنوياً، فيحب له من خير

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٣١.

(٢) المصدر السابق، باب ٢٩.

(٣) انظر محمد الخطيب، خصائص المجتمع المسلم، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية)، ص ١٥٩ - ١٧٤؛ وانظر علي عبد الحليم محمود، فقه الأخوة في الإسلام، الطبعة الأولى، ص ١٥ - ٤٠؛ وانظر عبد رب النبي علي أبو السعود، الأخوة الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ١٢ - ٥٠؛ وانظر حسني جرار، الأخوة والحب في الله، الطبعة الثالثة، ١١ - ٨٣.

(٤) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٥) انظر عمر الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٤١.

(٦) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٧.

(٧) انظر سيد قطب، نحو مجتمع إسلامي، ص ٩٩ - ١٠١.

(٨) سورة الحجرات، الآية ١٣.

الدنيا والآخرة ما يحب لنفسه، يقول ﷺ: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))^(١)، محبة يرتقي بها حتى يصل إلى درجة المتحابين في الله الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة، يقول ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي))^(٢). ينصح أخاه في سبيل الخير، ونشره، ومنع الأذى، وقطعه، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . . . ﴾^(٣)، ويقول ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)) قيل: لمن؟ قال: ((لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))^(٤)، وبذا يصبح المسلم مرآة لأخيه، تُظهِرُ له عيوبه فيتجنبها ويبدي له النصح والمشورة في طريق الخير، بحكمة ودراية، يقول ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ))^(٥). يعفو ويستر لأخيه الهفوة والزلة، ويقبل له العثرة والجفوة، يلتمس له العذر في خطئه، ويتحسس حسن النية في معاملته، يقول ﷺ: ((مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا، أَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَثْرَتَهُ))^(٦)؛ لذلك فهو يستر على ذوي الزلات زلاتهم، ويكره فضحهم وافتضاحهم، يقول ﷺ: ((. . . مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^(٧). يبر بأخيه ويصل؛ لأجل التعاون على ما فيه البر والتقوى، والنفع والخير للإسلام والمسلمين، يقول تعالى: ﴿ . . . وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . . . ﴾^(٨)، وهذا ما يملي الابتعاد عن ما يثير الضغائن والأحقاد، ويورث التنافر والتباغض، والتقاطع والتدابير، يقول ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالتَّظَنُّ، فَإِنَّ التَّظَنُّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِيعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))^(٩). يناصر أخاه ويدافع عنه في حال حضوره أو غيابه، بعدم احتقاره أو خذلانه أو ظلمه، في دمه أو ماله أو عرضه، يقول ﷺ:

(١) صحيح البخاري، البخاري، مصدر سابق، كتاب الإيمان، باب ٧.

(٢) صحيح مسلم، مصدر سابق، باب ١٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٢٣.

(٥) صحيح. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: [٩٢٦].

(٦) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٨٤٩٦].

(٧) صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٥.

(٨) سورة المائدة، الآية ٢.

(٩) المصدر السابق، باب ٩.

((...)) المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا... بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه))^(١)، ويقول ﷺ: ((من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يقيه من النار))^(٢). ويتفاعل وجدانياً مع كل مسلم في حال الفرح كإجابة الدعوة، وحضور المناسبة، يقول ﷺ: ((إذا دُعِيَ أحدكم إلى طعام فليجِب، فإن كان مُفطراً فليأكل، وإن كان صائماً فليدعُ بالبركة))^(٣)، ويشاركه في حال حزنه، كعيادته مريضاً يقول ﷺ: ((من عادَ مريضاً، لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع))^(٤)، أو الشفاعة له عند أرباب الحاجات يقول ﷺ: ((اشفَعُوا فلتؤجروا، وليقض الله على لسان رسوله ما شاء))^(٥).

ويشارك المسلم أخاه المسلم مادياً، فيحسن إلى المحتاجين، كاليتامى، والضعفاء، وابن السبيل والمساكين، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٦)، ويقول ﷺ: ((الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل))^(٧) ويقول: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا))، وقال بإصبعه السبابة والوسطى^(٨). ويفرح كرب المكروبين، ممن يمر بضائقة طارئة، وبلوى جارحة، احتاج معها إلى وقفة صادقة ومساعدة عاجلة، في الغذاء، أو الكساء، أو السلاح، ونحو ذلك. يقول ﷺ: ((...)) من فرج عن مسلم كربةً، فرج الله عنه بها كربةً من كُرب يوم القيامة...))^(٩)، ويقول ﷺ: ((من أعان مُجاهداً في سبيل الله، أو غارماً في عُسْرته، أو مُكاتباً في رقبته، أظله الله في ظلِّه،

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ١٠.

(٢) حديث حسن. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٨٦٧١].

(٣) حديث صحيح. المصدر السابق، رقم الحديث: [٦١٠].

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب باب ٣٧.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢١٥.

(٧) المصدر السابق، باب ٢٥.

(٨) المصدر السابق، باب ٢٤.

(٩) صحيح مسلم، مصدر سابق، باب ١٥.

يومَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ»^(١). يتخذ من الهدية طريقاً لتأليف قلوب، وتقريب نفوس، يقول ﷺ: ((تَهَادُوا تَزَادُوا حُبًّا...))^(٢).

ولبيان مدى أثر هذه المشاركة وفعاليتها في توثيق الصلة بين أفراد المجتمع المسلم، لك أن تتدبر سهولة ويسر تلك الأعمال التي قد يقوم بها المسلم تجاه أخيه، في مقابل ذلك الثواب العظيم، والمنزلة الرفيعة التي أعدها الله لمن شارك أخاه في سرائه وضرائه.

خامساً: الفرد والمجتمع.

الفرد أساس المجتمع، ولبنته الأساسية، وأول ما ينشأ المجتمع في ضمير الفرد؛ لذلك عمل الإسلام على ترسيخ مبدأ التفاعل بين الفرد والمجتمع^(٣)، في الحقوق والتبعات، وكان من منهجه في ذلك:

أ: حفظ شخصية الفرد، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾^(٤).

ب: تحديد حرية الفرد وضبطها^(٥)، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٦).

ج: تنمية شعور الفرد بحق الجماعة، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٧).

(١) حديث صحيح. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٨٤٧٠].

(٢) حديث حسن. المصدر السابق، رقم الحديث: [٣٣٧٥].

(٣) انظر سيد قطب، العدالة الاجتماعية، الطبعة الحادية عشرة، ص ٥٢ - ٦٢؛ وانظر أبا الأعلى المودودي، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص ٥٥ - ٥٦؛ وانظر عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص ٢٧٦ - ٢٨١؛ وانظر عمر الخطيب، المسألة الاجتماعية، الطبعة الثانية، ص ٢٠٠ - ٢٠٢؛ وانظر لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٣١ - ٢٥٠؛ وانظر محمد عرجون، سنن الله في المجتمع، ص ٢٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٥) انظر محمد الخضر حسين، الحرية في الإسلام، (القاهرة: دار الاعتصام)، ص ١٥ - ٧٤؛ وانظر عبد العزيز الخياط، المجتمع المتكافل في الإسلام، الطبعة الثالثة، ص ٦٦ - ٨١.

(٦) سورة ق، الآية ١٨.

(٧) سورة المائدة، الآية ٧٨.

د: مراعاة الفرد لمصلحة الجماعة وحقوقها عليه، يقول ﷺ: ((مثل المدهن في حدود الله، والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يَمُرُّونَ بالماءِ على الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذَ فأساً، فجعلَ ينقرُ أسفلَ السفينةِ فأتوه، فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتُم بي، ولا بُدَّ لي من الماءِ، فإن أخذوا على يديه أنجوه، ونجوا أنفسهم، وإن تركوه، أهلكوه، وأهلكوا أنفسهم))^(١).

ه: حق الفرد على الجماعة، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٢).

و: تقييد حرية وحركة التعاون الاجتماعي والفردى بما يحقق الخيرية لهما، قال تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾^(٣).

ز: غاية الفرد والمجتمع واحدة؛ لذلك فلا بد من التوازن بينهما، لئلا يحدث شيء من التصادم والتنافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٤).

ومن هذه المنطلقات يكون العمل الجماعي كوحدة متساندة ومتصلة ببعضها البعض، تعمل في أوجه متعددة، تكفل للجميع^(٥) أمورهم الضرورية والحيوية، وتسهم في:

١ - البناء الاجتماعي، حيث الحياة المستقرة، والتعاون المثمر، والعمل المجدي، قال تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾^(٦).

٢ - البناء الأمني^(٧)؛ لأجل المحافظة على البقاء، وردع المعتدين، قال تعالى:

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ٣٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٥.

(٣) سورة المائدة، الآية ٢.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(٥) انظر عبد الله ناصح علوان، التكافل الاجتماعي في الإسلام، الطبعة الخامسة، ص ١٥ - ٢١.

(٦) سورة المائدة، الآية ٢.

(٧) انظر صلاح الدين المنجد، المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، الطبعة الثالثة، ص ٤١ - ٤٤.

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمُ وَلَا تَقْسِدُوا إِيَّاكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(١)،
ويقول ﷺ: ((... لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا...))^(٢).

٣ - البناء العلمي^(٣)، في سبيل نشر العلم، بتعليم الجاهل، وتوقير العالم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾^(٤).

٤ - الضمان المعيشي، عن طريق رعاية المحتاجين، والنظر في أحوال الضعفاء والمساكين، والرفع من مستواهم المعيشي^(٥)، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾^(٦).

٥ - الإحساس الوجداني، بأحوال المجتمع والتفاعل معها، يقول ﷺ: ((المؤمنُ للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُهُ بعضاً، ثمَّ شبَّك بين أصابعه))^(٧)، ومبادلة الآخرين شعور الود والعطف، يقول ﷺ: ((المسلمُ أخو المسلم، لا يخونُهُ، ولا يكذبُهُ، ولا يخذلُهُ، كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ عِرضُهُ، وماله، ودمُهُ التقوى ههنا، بحسبِ امرئٍ من الشرِّ أن يحترقَ أخاهُ المسلمِ))^(٨).

٦ - الأمن الصحي^(٩)، بعدم تعريض المجتمع لمخاطر صحية، يقول ﷺ: ((لا يوردنَّ مُمرِضٌ على مُصِحِّ))^(١٠).

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب ٨.

(٣) انظر المنجد، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٥٨.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٩.

(٥) انظر الخياط، المجتمع المتكافل، ١٨٥ - ٢٢٩.

(٦) سورة المعارج، الآية ٢٤ - ٢٥.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٣٦؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٧.

(٨) حديث حسن غريب. سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ١٨.

(٩) انظر المنجد، المجتمع الإسلامي، ص ٥٩ - ٦٠؛ وانظر علوان، التكافل الاجتماعي، ص ٦٣ - ٦٧.

(١٠) البخاري، مصدر سابق، كتاب الطب، باب ٥٣.

سادساً: التفاضل .

المسلمون داخل مجتمعهم في درجة واحدة، لا مجال فيه للمقاييس الدنيوية، يتفاضلون بتقوى الله وطاعته، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)، هذه القاعدة الشرعية تجعل أفراد المجتمع المسلم جميعاً على درجة واحدة من المساواة، فلا قيود ولا استثناءات، ولا مميزات بين الأفراد والجماعات، يتعاملون بالحسنى، الكبير مع الوضيع، والمخدوم مع الخادم، يقول ﷺ: ((إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم))^(٢).

بهذه التوجيهات الإلهية يزداد أفراد المجتمع الإسلامي ترابطاً وتماسكاً، تعاوناً وتعااضداً، حتى يصبحوا رحماً بينهم، أشداء على غيرهم، وهذا ما يزرع وينمي فيهم المسؤولية الجهادية التي تجعلهم قاعدة إمداد وتموين معنوي ومادي للجهاد، ودار رعاية وعناية بالمجاهدين وذويهم .

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣ .

(٢) المصدر السابق، كتاب العتق، باب ١٥ .

المبحث الثاني

الاختلاف والتفرق

مدخل:

الائتلاف والاجتماع قوة ذاتية لكل حي، ومطلب ملح عند كل عمل، فُقَدَانَهُ يُفْتَتِ القُوَّةَ، ويشتت الجهد، ويبقي النتيجة سلبية، بل عكسية على غير ما أُريد لها.

وهو كذلك عند إرادة الجهاد، تلکم الفريضة التي لا تقوم إلا بالعمل الجماعي، المعتصم بحبل الله المتين، مستمداً منه وحدة الكلمة والهدف، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنِينَ مَرْضُوضًا﴾^(١)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (لا بد لجنود الإسلام أن يواجهوا أعداءه صفاً، صفاً سوياً منتظماً، صفاً متيناً راسخاً، ذلك إلى أن طبيعة هذا الدين حين يغلب ويهيمن، أن يهيمن على جماعة، وأن ينشئ مجتمعاً متماسكاً متناسقاً، فصورة الفرد المنعزل الذي يعبد وحده، ويجاهد وحده ويعيش وحده، صورة بعيدة عن طبيعة هذا الدين، وعن مقتضياته في حالة الجهاد، وفي حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة... هذه الصورة التي يحبها الله للمؤمنين)^(٢)، من هنا أكتب عن الاختلاف والتفرق، باعتباره أحد عوائق الجهاد، وذلك في عدة مطالب:

(١) سورة الصف، الآية ٤.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٦ ص ٣٥٥٥.

المطلب الأول التعريف والأنواع.

وبيان ذلك في فرعين:

الفرع الأول التعريف

أولاً: الاختلاف.

بالرجوع إلى مادة خلف في كتب اللغة نجد تمييزاً بين الاختلاف والخلاف:

فالاختلاف: لفظ مشترك بين معانٍ يظهر فيها عدم الاتفاق والمماثلة، تقول
تَخَالَفَ الأمرانِ واختَلَفَا: لم يتفقا، ويطلق على كل ما لم يتساو^(١)، ومن ذلك قوله
تعالى: ﴿... وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ
مُتَشَكِّبٍ...﴾^(٢)، فالاختلاف هنا: شكلي نوعي.

وفي الاصطلاح الفقهي عُرِّفَ بأنه: (إذا ذهب كل واحدٍ إلى خلاف ما ذهب إليه
الآخر، وهو ضد الاتفاق)^(٣).

بينما الخِلافُ: يعني المُضادَّةُ، والضدُّ: كُلُّ شَيْءٍ ضَادٌّ شَيْئاً لِيُغْلِبَهُ، فتقول
خالفه إلى الشيء: عصاه إليه، أو قصده بعدما نهاه عنه^(٤)، ومن ذلك قوله تعالى:

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، «خلف»؛ وانظر أبا البقاء، الكليات، ص ٦٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٤١.

(٣) المقري، المصباح المنير، ج ١ ص ١٧٠.

(٤) انظر ابن منظور، مصدر سابق.

﴿... وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْتُكُمْ عَنْهُ...﴾^(١)، فكأن الخلاف هنا: أمر عملي يقوم به فاعل المضادة، يخالف فيه غيره منهجاً وغاية.

وفي الاصطلاح عرفه الجرجاني رحمه الله تعالى بقوله: الخلاف: (منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق، أو إبطال باطل)^(٢)، أي أن فيه نتيجة متضادة: حق، أو باطل.

وعليه فقد فرق بعض أهل العلم بين الاختلاف والخلاف بعدة أمور منها^(٣):

- الاختلاف يبنى على دليل، بينما الخلاف لا دليل عليه.

- الاختلاف يكون في المنهج دون الغاية، بينما الخلاف في المنهج والغاية.

- الاختلاف من آثار الرحمة، بينما الخلاف من آثار البدعة.

- الاختلاف لا يجوز نقض الحكم فيه عند رفعه لغير من حكم فيه، بينما الخلاف يجوز.

- الاختلاف يكون في محل يجوز فيه الاختلاف، بينما الخلاف يكون في محل لا يجوز فيه الاختلاف.

- الاختلاف يتمشى مع الإجماع، بينما الخلاف خلاف الإجماع؛ لثبوت الضعف في جانبه.

- المرجوح في مقابلة الراجح، خلاف.

وبين الاختلاف والخلاف عموم وخصوص: فكل خلاف اختلاف، بينما ليس كل اختلاف خلاف يقول الراجح رحمه الله تعالى: (الاختلافُ والمخالفةُ: أن يأخذ كلُّ واحدٍ طريقاً غيرَ طريقِ الآخرِ في حاله، أو قوله والخلافُ أعمُّ من الضدِّ؛ لأنَّ كلَّ ضِدِّينِ مُختلفان، وليس كلُّ مختلفينِ ضدينِ)^(٤).

(١) سورة هود، الآية ٨٨.

(٢) التعريفات، (مكتبة لبنان)، ص ١٠٦.

(٣) انظر التهانوي محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، حققه: لطفي عبد البديع، ترجم النصوص الفارسية: عبد النعيم محمد حسنين، راجعه: أمين الخولي، ج ٢ ص ٢٢٠؛ وانظر أبا البقاء، مصدر سابق، ص ٦١.

(٤) المفردات، ص ١٥٦؛ وانظر الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف =

من هذه المعاني يتبين أن الاختلاف أساس ومرحلة محددة، يقول الحسن رحمه الله تعالى: (أما أهل الرحمة فإنهم لا يختلفون اختلافاً يضرُّهم)^(١)، فهذا حد الاختلاف: عدم تضرر الأمة منه، فإذا وقع الاختلاف واشتدت الخصومة، وتجاوزت الحد الشرعي، أصبح خلافاً، كنتيجة طبيعية لوصول الاختلاف إلى مرحلة من الشدِّ والتنازع والمغالبة، تكون نتيجتها: أساساً مخالفاً يحاول الدفاع عن ما ذهب إليه وفرعاً مخالفاً، يعمل على فرض ما ذهب إليه، وهذا يعني: الشقاق والتفرق.

ثانياً: التفرق.

بالرجوع إلى مادة فرق نجد: الفَرَقُ: خلافُ الجمع^(٢)، أي: الخروج عن المجموعة بوجه عام، سواء كان بداعي الإصلاح، أو الإفساد. فيقال: فَرَقَ: للصلاحِ فَرَقاً، وفَرَّقَ: للإفسادِ تَفْرِيقاً.

وأنْفَرَقَ الشيء: تَفَرَّقَ، وأفْتَرَقَ. والتَّفَرَّقَ، والافْتِرَاقُ: بمعنى واحد، وقيل التَّفَرَّقَ: في الأبدان. والافْتِرَاقُ: في الكلام. والفُرْقَةُ: مصدر الِافْتِرَاقِ، تقول: تَفَارَقَ القَوْمُ: فَارَقَ بعضهم بعضاً، وفَارَقَ الرجل امرأته مُفَارَقَةً وفِرَاقاً: بايئها. والفِرْقُ والفِرْقَةُ والفِرِيقُ: الطائفة من الشيء المْتَفَرِّقِ^(٣).

من هذه المعاني يتبين أن التفرق قد يكون نظرياً علمياً، وهو التفرق في الكلام والمعاني، فيدخل في دائرة الاختلاف. وقد يكون تطبيقاً عملياً، وهو التفرق في الأبدان، فيدخل في دائرة الخلاف.

= الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، ج ٢ ص ٥٦٢؛ وانظر أبا البقاء، المصدر السابق، ص ٤٢٦.

(١) تفسير الطبري، ج ٧ ص ١٤٠.

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، «فرق».

(٣) انظر الراغب، مصدر سابق، ص ٣٧٧ - ٣٧٨؛ وانظر ابن منظور، المصدر السابق؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، ص ٦٨٥ - ٦٨٦.

الفرع الثاني أنواع الاختلاف

حصول ظاهرة الاختلاف أمر بديهي، وواقع طبيعي؛ كيف لا؟ وقابليته في الناس فطرية؛ فهم مختلفون في صورهم الخلقية، ومداركهم العقلية، وقدراتهم العملية، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ آيَنُهُ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، يقول ابن كثير رحمه الله: (أي ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم، واعتقادات مللهم، ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم)^(٢)، فيترتب على ذلك الاختلاف في وجهات النظر، وتقدير الأمور، والحكم عليها كنتيجة طبيعية لدواعي الاختلاف، ومبرراته الفطرية، المتأصلة في التكوين الإنساني^(٣)، يقول ﷺ لأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما، عندما بعثهما إلى اليمن: ((يَسْرًا، وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشْرًا، وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا))^(٤) اختلافاً يفضي إلى: المشقة، والفرقة؛ لأن الله قد جعل لهم مخرجاً قبل الوقوع في المنهي عنه، قال تعالى: ﴿... فَإِن نَّزَعْنَم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾^(٥).

إذاً فالاختلاف سنة إلهية، يسير وفق الإرادة الكونية القدرية في هذه الحياة التي تتصارع فيها القلوب والأجسام؛ لإحقاق حق، أو إقرار باطل، يقول تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٦)، يقول صاحب المنار: (لم يخلق الله الناس بقوى محدودة متساوية في أفرادهم... بل خلق الإنسان كما نعرفه الآن، جعل له عقلاً يتصرف في أنواع شعوره، وفكراً يجول في طرق حاجاته البدنية والنفسية، وجعل ارتقاءه في إدراكه وأفكاره كسبياً، ينشأ ضعيفاً فيقوى بالتدرج حسب التربية التي يحاط بها، والتعليم الذي يتلقاه، وتأثير حوادث الزمان والمكان والأسوة والتجارب

(١) سورة الروم، الآية ٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٤٦٦.

(٣) انظر ابن قتيبة، كتاب تأويل مختلف الحديث، الطبعة الأولى، ص ٤٤؛ وانظر ابن قدامة،

المغني، ج ١ ص ١٧؛ وانظر جمال سلطان، فقه الخلاف، ص ٩ - ١٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٦٤.

(٥) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥١.

فيه، وجعل هداية الدين له أمراً اختيارياً، لا وصفاً اضطرارياً؛ فهي معروضة أمامه يأخذ منها بقدر استعداده وفكره، كما هو شأنه في الأخذ بسائر أنواع الهداية والاستفادة من منافع الكون، هذه سنته تعالى في الإنسان، وهي منشأ الخلاف^(١).

وتبعاً لذلك يظهر الاختلاف للعيان بصور متفاوتة، أمراً طبيعياً^(٢) تتطلبه طبيعة الحياة، وما فيها من سنن، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمُ﴾^(٣)، كما أخبر ﷺ في عدة أحاديث صحيحة وصریحة، بأن الخلاف واقع في أمته لا محالة^(٤)، وحذرهم من عواقبه المهلكة.

هذا الاختلاف الظاهر ينقسم في مجمله إلى عدة أنواع، لا تخرج عن:

النوع الأول: خلاف محمود، وهو مخالفة كل ما خالف الشرع، كمخالفة الكفار، وأهل البدع، في أقوالهم، وأفعالهم، في أشكالهم، ومناسباتهم^(٥)، قال تعالى: ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ...﴾^(٦).

النوع الثاني: اختلاف سائغ^(٧)، وهو اختلاف تنوع في الأمور الاجتهادية

(١) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم، الشهير بتفسير المنار، الطبعة الثانية، ج ٣ ص ٧.

(٢) انظر عبد الله التركي، أسباب اختلاف الفقهاء، الطبعة الأولى، ص ٩.

(٣) سورة هود، الآية ١١٨ - ١١٩.

(٤) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ١٤٧؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٧٥؛ وانظر محمد العبد، طارق عبد الحليم، أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، الطبعة الثانية، ص ٢١ - ٢٥.

(٥) انظر ابن تيمية، المصدر السابق، ص ١٣٣؛ وانظر ابن أبي العز، المصدر السابق، ص ٧٨١؛ وانظر طه العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، الطبعة الثانية، ص ٣٠؛ وانظر صالح الحميد، أدب الاختلاف، الطبعة الثالثة، ص ٩ - ١٠.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

(٧) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ١٣ ص ٣٣٣ - ٣٣٧؛ وانظر ابن أبي العز، المصدر السابق، ص ٧٧٨؛ وانظر السبكي، الإبهاج، في شرح المنهاج، على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاظمي البيضاوي المتوفى سنة ٦٥٧ هـ، الطبعة الأولى، ج ٣ ص ١٩؛ وانظر الحميد، المرجع السابق، ص ١٠؛ وانظر عمر الأشقر، فقه الاختلاف، الطبعة الثانية، ص ٣٢ - ٣٣.

الفرعية، التي لا يترتب عليها تكفير متبع، ولا تبديع مجتهد، ولا مخالفة نص، أو بغي على مخالف، خلاف لا يفضي إلى شقاق أو نزاع، اختلاف فكري يدور في فلك قوله ﷺ: ((إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أخطأَ فَلَهُ أَجْرٌ))^(١).

هذا الاختلاف ظاهر بما لا يستدعي مزيد بيان، في ما جرى ويجري بين علماء الإسلام وفقهائه، من اجتهادات في مسائل فرعية، حده البحث عن الأصوب، والحق أينما كان، ومع من وجد^(٢)، يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: (فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة، ولا بغضاء، ولا فرقة، علمنا أنها من مسائل الإسلام)^(٣).

هذا الخلاف يحمل في مجمله كثيراً من معاني الرحمة بالمسلمين، ويظهر أن الشريعة مدارها التيسير والسعة، ورفع الحرج عن العباد^(٤)، قال تعالى: ﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...﴾^(٥)، ويقول ﷺ: ((... إِنْ اللَّهُ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيسِّرًا...))^(٦).

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (إن الله شرع الدين فجعله سهلاً سمحاً، واسعاً، ولم يجعله ضيقاً)^(٧).

ومن هذا التيسير: السعة في الأحكام الشرعية الفرعية، التي تحتمل أكثر من معنى، يصل إليه المجتهد باجتهاده؛ لذلك عدَّ بعض السلف الصالح الاختلاف ما لم يُعلم أنه خطأ، ضرب من ضروب الرحمة بالمؤمنين؛ لما فيه من سعة، ورفع

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ٢١.

(٢) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط، ج ١ ص ١٢٨ - ١٣٠.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، عني بضبطه، وترقيمه، ووضع تراجمه: محمد عبد الله دراز، ص ٤ ص ١٨٦.

(٤) انظر السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعي، الطبعة الثانية، ٣٥ - ٣٨؛ وانظر صالح الحميد، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، ضوابطه وتطبيقاته، الطبعة الأولى، ص ٢٥ - ١٣٦.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب ٤.

(٧) السيوطي، مصدر سابق، ص ٨٥.

مشقة^(١)، يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: (ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنه لو كان قولاً واحداً؛ كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يُتَدَى بهم، ولو أخذ رجل بقول أحدهم؛ كان في سعة)^(٢). يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى موضعاً هذا المعنى، ومبيناً الحد الشرعي لتلك الرحمة: (النزاع في الأحكام قد يكون رحمة؛ إذا لم يُفَضَّ إلى شر عظيم من خفاء الحكم؛ ولهذا صنف رجل كتاباً سماه: كتاب الاختلاف، فقال أحمد: سمه كتاب السعة، وإن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه؛ لما في ظهوره من الشدة عليه، ويكون من باب قوله تعالى: ﴿... لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوَأٌ...﴾^(٣).

وهكذا ما يوجد في الأسواق من الطعام والثياب، قد يكون في نفس الأمر مخصوباً، فإذا لم يعلم الإنسان بذلك كان كله له حلالاً لا إثم عليه فيه بحال؛ بخلاف ما إذا علم، فخفاء العلم بما يوجب الشدة قد يكون رحمة، كما أن خفاء العلم بما يوجب الرخصة قد يكون عقوبة، كما أن رفع الشك قد يكون رحمة، وقد يكون عقوبة، والرخصة رحمة، وقد يكون مكروه النفس أنفع كما في الجهاد: ﴿... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾^(٤)^(٥)، هذا هو وجه الرحمة في الاختلاف: خفاء الحق بعد الاجتهاد، وليس الأخذ بالأقرب للنفس عند الاختلاف مع بيان الحق يقول إسماعيل القاضي رحمه الله تعالى: (التوسعة في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: توسعة في اجتهاد الرأي؛ فأما أن تكون توسعة؛ لأن يقول الناس بقول واحدٍ منهم من غير أن يكون الحق عنده فيه، فلا، ولكن اختلافهم يدل على أنهم اجتهدوا، فاختلَفوا)^(٦).

(١) انظر ابن عبد البر يوسف، جامع بيان العلم وفضله، الطبعة الأولى، ج ٢ ص ٩٠٠ - ٩٠٢؛ وانظر الشاطبي، الاعتصام، ج ٢ ص ٦٧٦.

(٢) ابن عبد البر، المصدر السابق، ص ٩٠٢؛ وانظر الشاطبي، المصدر السابق، ص ٦٧٧؛ وانظر سنن الدارمي، المقدمة، باب ٥٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ١٠١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٥) الفتاوى، ج ١٤ ص ١٥٩.

(٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ٢ ص ٩٠٦ - ٩٠٧.

وما ذهب ويذهب إليه البعض من نسبة قول: (اختلاف أمتي رحمة)، إلى أنه حديث عن الرسول ﷺ فهو قول باطل، يقول السبكي رحمه الله تعالى: (اعلم أن الحديث المشار إليه غير معروف، ولم أقف له على سند ولا رأيت أحداً من الحفاظ ذكره، إلا البيهقي... ولم يذكر له إسناداً^(١))، وقال عنه العلامة المحدث محمد الألباني: (لا أصل له، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند، فلم يوفقوا)^(٢) وعلى ذلك لا تصح نسبته إلى الرسول ﷺ، لكن معناه يُحمل على الاختلاف المحمود وعلى سعة الشريعة، يقول السبكي: (أرى أن الحديث محمول على الاختلاف في الفروع، وهذا لا شيء فيه وإنما يدل على اتساع الشريعة الإسلامية، وشمولها لكل ما يجد من حوادث ونوازل)^(٣).

وقد ذهب بعض العلماء إلا أنه لا سعة في الاختلاف^(٤)؛ لأن الحق واحد، يقول مالك والليث بن سعد رحمهما الله: (ليس كما قال ناس فيه توسعة، ليس كذلك، وإنما هو خطأ وصواب)^(٥).

ويقول ابن حزم رحمه الله: (هذا من أفسد قول يكون؛ لأنه لو كان الاختلاف رحمة، لكان الاتفاق سخطاً)^(٦)، وإجمالاً فهذه الأقوال وغيرها مما يحتمل هذا المعنى^(٧)، يُرد على من احتج بها بدم الاختلاف عموماً، بعدة أوجه:

أ : أن القول بالسعة في الاختلاف، يُقصد به الاختلاف، لا الخلاف.

ب : أن هذه الأقوال تُحتمل كما حملها أصحابها، على ما إذا تبين الحق عند الاختلاف، يقول ابن حزم رحمه الله: (فإن قال قائل: إن الصحابة قد اختلفوا وأفاضل الناس، أفيلحقهم هذا الدم؟ قيل له، وبالله التوفيق: كلا، ما يلحق أولئك شيء من هذا؛ لأن كل امرئ منهم تحرى سبيل الله، ووجهة الحق فالمخطيء منهم مأجور أجراً واحداً؛ لئنه الجميلة في إرادة الخير، وقد رفع

(١) الإبهاج، ج ٣ ص ١٨.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، رقم الحديث: [٥٧].

(٣) مصدر سابق.

(٤) انظر التركي، أسباب اختلاف الفقهاء، ٣٠ - ٣٦.

(٥) ابن عبد البر، مصدر سابق، ص ٩٠٦.

(٦) الإحكام في أصول الأحكام، الطبعة الأولى، ج ٥ ص ٦١.

(٧) انظر الألباني، مرجع سابق، ج ١ ص ١٤١ - ١٤٤.

عنهم الإثم في خطئهم لأنهم لم يتعمدوه، ولا قصدوه، ولا استهانوا بطلبهم،
والمصيب مأجور منهم أجرين. وهكذا كل مسلم إلى يوم القيامة فيما خفي
عليه من الدين ولم يبلغه^(١).

ج : أن دائرة الحق أرحب مما ذكر، فهو لا يتعدد في ذاته، لكنه يتفاوت في النفس
البشرية قوة وضعفاً، معرفةً وجهلاً، فهماً وإدراكاً، بحسب الوسائل، والجهد
المبذول لإدراك الحق، وقد يكون ذلك وجهاً من أوجه التعدد، يقول ﷺ،
للمختلفين في قراءة آية: ((كلاهما محسن))^(٢)، مما يعني الحق في تعدد أوجه
القراءة، كوسيلة إلى الحق الواحد.

د: أن الصحابة والسلف الصالح لم يُعْتَفَ بعضهم بعضاً عند الاختلاف^(٣).

هـ: أن هذه الأقوال لا تخرج عن ما أوردناه؛ لأن الأقوال عند المختلفين، حق في
نظر أصحابها.

النوع الثالث: خلاف مذموم^(٤)، وهو خلاف التضاد، ويأتي بصور بعضها
أوضح وأخطر من بعض، منها: خلاف يؤدي إلى الكفر، كمخالفة ما جاء عن الله
وعن رسوله ﷺ، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن
رَّحِمَ رَبُّكَ...﴾^(٥)، وهو مضاد للخلاف المحمود. وقد يكون خلافاً مادياً يؤدي إلى
شق عصا الجماعة الإسلامية فكراً، أو قولاً أو فعلاً، في الأصول، أو الفروع، كما
حدث ويحدث من الفرق الضالة قديماً وحديثاً، كالخوارج والرافضة، والمعتزلة،
والصوفية، وأصحاب الاتجاهات والمذاهب المعاصرة المنحرفة، وغيرهم من أهل
الأهواء والبدع والتعصب. وهذا النوع في أساسه اختلاف تنوع سائق، تجاوز حده

(١) الإحكام، ج ٥ ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٥٤.

(٣) انظر التركي، أسباب اختلاف الفقهاء، ص ١٠ - ٢٢، ٤٠.

(٤) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ١٢٦ - ١٣٢؛ منهاج السنة النبوية في
نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ص ٢٥٧، ٢٦٠؛ وانظر السبكي،
الإبهاج، ج ٣ ص ١٩؛ وانظر الحميد، أدب الاختلاف، ص ٨ - ٩؛ وانظر الأشقر، فقه
الاختلاف، ص ٢٦.

(٥) سورة هود، الآية ١١٨ - ١١٩.

الشرعي، فالإلى الذم بفعل قاعدته التي تقول: المصيب واحد^(١)؛ ولما يُفضي إليه من تفرُّقٍ وشقاق، يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: (كل مسألة طرأت، فأوجبت العداوة والتنافر والتنازع والقطيعة، علما أنها ليست من أمر الدين في شيء، وأنها التي عني رسول الله ﷺ بتفسير الآية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^{(٢)(٣)}. وقد يكون خلافاً في الأمور العسكرية الجهادية، ويتأكد أثناء المعركة، لما فيه من تفويت الفرصة، وتضييع المصلحة، وتشتيت الطاقة.

(١) انظر ابن تيمية، مصدر سابق، ص ١٣٠ - ١٣١؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٧٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

(٣) الموافقات، ج ٤ ص ١٨٦.

المطلب الثاني التحليل

وذلك في عدة فروع:

الفرع الأول مظاهر الخلاف والتفرق

يشهد المجتمع الإسلامي اليوم حالة من الفرقة والانقسام، على كافة المستويات الحياتية، الجماعية منها والفردية، الرسمية والشعبية، الدينية والدينية^(١)، تتباين تبعاً لها المواقف والغايات، ومن أبرز ذلك:

أولاً: التجزئة.

أصبح المجتمع الإسلامي عدة مجتمعات، لكل منها شخصية مستقلة، وسياسة دنيوية مختلفة في الأهداف والغايات. تحمل أسماء متباينة، فهذا: مجتمع شمالي، وهذا جنوبي، هذا تركي، وهذا عربي، هذا فارسي، وهذا أفريقي، وهذا آسيوي، إلى غير ذلك من الأسماء المُمزَّقة والمُميّزة^(٢)، يقول رضا الشيببي مصوراً جزءاً من حال الفرقة بين أبناء العالم الإسلامي:

بيغداد أشتاق الشأمَ وها أنا إلى الكرخ من بغداد جم التشوقِ
فما أنا في أرض الشأمَ بمُشَّم ولا أنا في أرض العراق بمُعَرِقِ

(١) انظر إبراهيم رفعت، «واقع الأمة الإسلامية: المسلمون يتفننون في طرق ومظاهر الفرقة!»، الرياض، مجلة الدعوة العدد ١٤٥٣ (٤/٣/١٤١٥ هـ): ص ١١.

(٢) يبلغ تعداد البلدان الإسلامية المعاصرة، أكثر من [٥١] بلداً. انظر المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، ص (IX).

هما وطنٌ فردٌ وقد فرقوهما رعى الله بالثشيت شمل المفروق^(١)

ثانياً: الحزبية الضيقة.

بأشكالٍ مختلفة، منها الجماعات والأحزاب المتعددة، حيث علت شعارات الحزبية والطائفية، تحت أسماء متعددة مبتدعة، وشعارات متفاوتة براءة، ذات طابع ديني، وأخرى دنيوي، تسمع وترى كثيراً بالصوفي، والماسوني، والخارجي، والقومي، والتبليغي، والأصولي، والتحريري، والمعتزلي، والإخواني والعلماني، واليميني، واليساري، والاشتراكي، والبعثي، والثوري^(٢)، أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، قيّدت أتباعها، وباعدت بينهم وبين إخوانهم المسلمين. ففي أغلب البلدان الإسلامية يوجد اليوم عدد من الأحزاب والتنظيمات والهيئات، ففي أحد البلدان الذي لا يتجاوز فيه المسلمون مليون ونصف، يوجد عشرات من الأحزاب، ذات الطابع الإسلامي^(٣) فقط، فضلاً عن غيرها من الاتجاهات الدنيوية.

ولم يتوقف أمر تلك الأحزاب على ذلك، بل تجاوز إلى تعددية داخل الأحزاب نفسها، مما يعرضها للانشقاق والانقسام الداخلي^(٤).

ثالثاً: الشقاق والنزاع.

أحد تبعات الابتعاد عن مفهوم الأخوة الإيمانية الصحيحة، كما قال تعالى:

(١) رفائيل بطي، الأدب العصري في العراق العربي، (القاهرة: المطبعة السلفية)، ج ١ ص ١٢٦.

(٢) انظر فتاوى اللجنة، ج ٢ ص ١٤٤، ١٥٩، ١٦١ - ١٦٢؛ وانظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة؛ وانظر الألباني، فقه الواقع، ص ٣٢ - ٣٣؛ وانظر حسين بن محسن بن علي جابر، الطريق إلى جماعة إسلامية، الطبعة الرابعة، ص ٣٦٢ - ٣٩٥؛ وانظر العبد، عبد الحلیم، أسباب اختلاف المسلمين، ص ٣٤ - ٣٥؛ وانظر جمال سلطان، فقه الخلاف، ص ٤٣؛ وانظر بكر أبو زيد، حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، الطبعة الثانية، ص ٧.

(٣) انظر يكن، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، ص ٦٧ - ٦٨.

(٤) انظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ١ ص ٣٦٥؛ وانظر، «محسوب في تأسيسه على الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين: انشقاق في حزب حشد الأردني»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٤/٤ هـ، العدد ٥٧٦٤، ص ٤؛ وانظر، «انشقاق في حزب الأحرار في مصر»، المرجع نفسه، ١٤١٥/٤/١٣ هـ، العدد ٥٧٧٣، ص ٢، ٤.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ...﴾^(١)، وتبعاً لذلك تسود عالمنا الإسلامي اليوم موجة من التقاطع والتدابير، التخاصم والتباغض، التقاتل والتناحر على عدة أمور، تذهبُ بالكثير من مقدرات وإمكانات الأمة المادية والمعنوية، من أبرزها:

أ : الحدود، فهي بركان قابل للانفجار في أية لحظة؛ لأن كل بلد يدعي حقاً له في أجزاء من أراضي الطرف المجاور له، وقلَّ أن تجد بلداً إسلامياً يخلو من هذه المشكلة الحدودية^(٢)، يقول أحد الكتاب المعاصرين: (الخلافت الحدودية هي القاعدة في التعامل بين الدول العربية من المحيط إلى الخليج... المغرب والجزائر لا يزالان على خلاف حول الصحراء الغربية... ليبيا اختلفت على الحدود مع تونس، إلا أن خلافها مع تشاد طغى على كل خلاف آخر... نصل إلى مصر... نجد أنها على خلاف مع السودان على منطقة حلايب الحدودية... إذا انتقلنا إلى المشرق العربي وجدنا ثمة خلافاً حتى عندما لا تكون هناك حدود بالمعنى التقليدي... ننظر إلى الجزيرة العربية ونجد أن ثمة خلافت حدودية بين بلدانها كافة)^(٣).

ب : المصالح، تبعاً لتباين الوسائل والغايات، فلكل بلد طريقته المستقلة في تحقيق أهدافه، بغض النظر عن ظروف الآخرين، ومصالحهم.

ج : التدخل، فلكل بلد خصوصيته التي لا تُعطي الآخرين حق التدخل في شؤونه الخاصة، حتى وإن كان ذلك من باب النصيحة^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٧.

(٢) انظر حاتم البطوي، «مراكز الحدود بين المغرب والجزائر ترمومتر حرارة علاقات البلدين»، المرجع السابق، ١/٤/١٤١٥ هـ، العدد ٥٧٦١، ص ١.

(٣) جهاد الخازن، «عيون وأذان»، جريدة الحياة، ١٥/٣/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٠٩، ص ٢٠.

(٤) انظر لإذكاء نار الحرب الأهلية: وزير أفغاني يشكو من تدخل دول أجنبية في أفغانستان»، جريدة الجزيرة، ٧/٤/١٤١٥ هـ، العدد ٨٠١٩، ص ٣؛ وانظر محمد الأشهب، «الرباط: التحقيقات مع المتورطين في التفجيرات، تشير إلى علاقة مع منظمات متطرفة في الخارج»، جريدة الحياة ٧/٤/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٣٠، ص ٤؛ وانظر «الجزائر ترد على الترابي: لا نسمح بتدخل السودان في شؤوننا الداخلية»، المرجع نفسه، ١٣/٤/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٣٦، ص ١.

د : الأقليات، فوجود طائفة تنتمي إلى بلد آخر، يجعل من ذلك مدعاة لإثارة المشكلات بين البلدين بتهمة الإهمال وعدم إعطاء الحقوق كاملة، ونحو ذلك مما يسهم في إثارة المشاكل المتعددة^(١).

كل ذلك يصوره بجلاء سعيد حوى بقوله: (عملية التمزيق والتشتيت التي ورثها العالم الإسلامي عن مرحلة التجزئة والضعف، وزادها الكافرون في مرحلة الاستعمار عمقاً، وبعداً، قد بلغت الآن ذروتها. والأفطع من هذا، أن الكافرين المستعمرين راعوا خلال مرحلة الاستعمار، وقبل الجلاء أن يجعلوا في كل قطر جيوب مشاكل سياسية، تستنفد طاقة القطر من ناحية، ومن ناحية أخرى تؤثر على سير الإسلام سياسياً: مشاكل حدود، مشاكل جوار، مناطق وضعها الطبيعي أن تكون لأقطار وضعت بيد أقطار أخرى، أليات يوضع في يدها الحكم، إقامة دول غير عادية، تقوية الاتجاهات الممزقة لوحدة المسلمين. . . كما روعي في عملية التمزيق وإقامة الحكومات، أن يعمق في العالم الإسلامي الصراع بين الأقطار المتجاورة، والتفكير العازل بين هذه الأقطار، مع ملاحظة عدم إعطاء الآمال الشعبية محتوياتها، وآمالها. صنعوا دولاً ليست لها مقومات الحياة المستقلة، وجعلوا بين الكيانات عقداً، وأطلقوا قضية المصلحة من عقالها، وعملوا على إيجاد الأنظمة المختلفة المتجاورة: نظام رأسمالي بجانبه نظام اشتراكي، نظام ملكي بجانبه نظام جمهوري بجانبه نظام ديكتاتوري. . . وفي النهاية تجد حواجز هائلة بين القطر والقطر، وأوضاعاً مختلفة ما بين قطر وقطر)^(٢).

رابعاً: الحنين إلى الحضارات القديمة .

تسود أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي اليوم العديد من الدعوات لإحياء الحضارات القديمة، أملاً في طمس المعالم الإسلامية، وإبعادها عن الأنظار؛ لأجل فتح النوافذ لتلك الحضارات، واعتبارها مهد الانطلاق الحضاري لتلك البلدان، يقول أحد الكتاب: (من حق المصريين، ومن الواجب عليهم، أن يستثيروا دفاثن

(١) انظر «اتهام عراقي لسورية وتركيا وإيران بتشجيع المتمردين الأكراد»، المرجع السابق، ١٤١٥/٣/٢٩ هـ، العدد ١١٥٢٣، ص ٣؛ وانظر «المغرب يعرب عن أسفه لسوء معاملة

رعاياه في تونس»، جريدة المدينة، ١٤١٥/٤/٧ هـ، العدد ١١٤٨٧، ص ٣.

(٢) جند الله ثقافة وأخلاقاً، ص ١٤ - ١٥.

الفراغة جميعاً، وأن يربطوا حاضرهم وماضيهم رباطاً ظاهراً لكل عين، وإنهم إذن ليُضيفون إلى قوتهم قوة، وليُضاعفون مجدهم أضعافاً، وليزِدَادون لذلك بالحياة استمتاعاً، ولها تذوقاً... بالبحث عن موضع الاتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة في ميادين الأدب، وكتب العقائد، وطقوس العبادة^(١)؛ لذلك عمل على إحياء الفرعونية في مصر، والطورانية في تركيا والفراسية في إيران، والآشورية في العراق، والحميرية في اليمن، وغيرها^(٢)، يقول قائلهم مفاخرأ:

وقف الخلق ينظرون جميعاً كيف أنبي قواعد المجد وحدي
وبناة الأهرام في سالف الدهر سر كَفَوْنِي الكلام عند التحدي^(٣)

ويقول آخر: (إن الدرس الذي تعلّمه أعضاء تركيا الفتاة، هو أن الرجوع بالشعب التركي إلى مؤسساته الاجتماعية قبل دخوله الإسلام، من شأنه أن يعود بهم إلى إحياء الروح الوطنية، وفي الوقت نفسه يكون أساساً للتقارب، والتعاون بين الأتراك، وبين الشعوب التركية الأخرى خارج الحدود العثمانية)^(٤). وأظهرت للعيان عملياً في أكثر من جانب مشاهد، فجُعِلت شعاراً رسمياً للدُّول، وللمؤسسات الرسمية والأهلية، ورسوماً للعملات، وطوابع البريد^(٥)، عُقدت لها الندوات وأقيمت الاحتفالات^(٦)، حتى ملأت الأبصار والأذهان، وارتبطت بحياة الصغير والكبير، الجاهل والمتعلم. كل ذلك في مقابل إهمال كل ما له أصل إسلامي، مع عدم الاعتناء، أو الاعتداد به^(٧).

-
- (١) محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ١٤٩.
 - (٢) انظر أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج ١ ص ١٥٦ - ١٦٠؛ زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، الطبعة الثانية، ص ٨١ - ١٤٦؛ وانظر محمد حسين، المرجع السابق، ص ٩٩ - ١٣٧، ١٤٥ - ١٥٨؛ وانظر صالح العبود، فكرة القومية على ضوء الإسلام، ص ١٠٥ - ١١٣.
 - (٣) ديوان حافظ إبراهيم، الطبعة الأولى، ج ٢ ص ٣٣٩.
 - (٤) زين، مرجع سابق، ص ٨٧.
 - (٥) وانظر محمد حسين، مرجع سابق، ص ١٤٥ - ١٤٦. انظر زين، المرجع السابق، ص ٨٩.
 - (٦) انظر «عروس تستقل عربية رمسيس الثاني.. وتلقي بالزهور في نيل القاهرة»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٥/٢/١٤١٤ هـ، العدد ٥٣٧٢، ص ٢٣.
 - (٧) انظر «ثروة لا مثيل لها: آثار القاهرة الإسلامية مهددة بالدمار!»، جريدة الرياض، ٢٦/٤/١٤١٥، العدد ٩٥٩٥، ص ٣٩.

خامساً: العصبية .

حيث أصبح لها الولاء، بدلاً من الولاء العقدي، وذلك في أشكالها المختلفة :

أ : للوطن، تلك القطعة من الأرض جعلوها رابطاً يجمع حوله الساكنين مهما كانت ديانتهم، وتُبعد عنهم غيرهم من مسلمي البلدان الأخرى^(١)، هي غايتهم، ومجالهم، جعلوا لها قدسية تستحق العبادة كما زعموا، يقول أحمد شوقي :

وجهُ الكنانةِ ليس يُغضبُ ربَّكم أن تجعلوه كوجهه معبوداً
ولوا إليه في الدُّروس وجوهكم وإذا فرغتم وعبدوه هُجوداً
إن الذي قَسَمَ البلاد حباكمُ بلداً كأوطان النجوم مَجيداً^(٢)

هذا اللون من ألوان العصبية القبيحة رائده سعد زغلول بمقولته الشهيرة :
(الدين لله، والوطن للجميع)^(٣)، ومعنى ذلك عدم الاكتراث بالدين، وبال دعوة إليه، في مقابل الوطن الذي يجب أن يتحد الجميع لأجله، وأن يعملوا يداً واحدة في سبيل ترابه .

لقد كانت هذه الدعوة بديلاً عن الجهاد، أرادها الأعداء؛ لأجل صرف المسلمين عن مواجهة أعدائهم بروح جهادية، ودوافع إسلامية^(٤) .

ب : للجنس والقبيلة، من خلال الإيحاء بأنهم يملكون من الطاقات والمواهب ما يميزهم عن غيرهم ويجعل لهم الدور القيادي والمكانة العالية، والأفضلية المطلقة؛ بل إن هؤلاء يعملون على ترسيخ تلك المفاهيم بصياغة فكر جديد، يُضفي الشرعية على ما ذهبوا إليه^(٥)، ويمنع قبول ما جاءهم من الآخرين، يقول محمد رشيد رضا رحمه الله : (ابتلينا في دعوتنا إلى الإصلاح بمن كانوا يصدون الناس عنا، وعن نصيحتنا لأهل ملتنا؛ بأننا لم نولد في بلادهم، ولا ننتمي إلى أحدٍ من أجدادهم)^(٦) .

(١) انظر عبد القادر حاتم، وآخرين، القومية العربية والاستعمار .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، (بيروت: دار العودة)، ج ١ ص ١١١ .

(٣) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٣٢١؛ وانظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ١٠٧ .

(٤) وانظر المراجع السابقة، ص ٣١٩ - ٣٢٣؛ ص ١٣٦ .

(٥) انظر جمال سلطان، فقه الخلاف، ص ٤٠ .

(٦) تفسير المنار، ج ٩ ص ١٠ .

ففي نيجيريا مثلاً تسيطر الروح القبلية على البلاد، كل قبيلة تدعي الفضل على الأخرى، بعصية عمياء تزكي نفسها عقيدة وعملاً، وتتهم الآخرين في دينهم، مما جعل لكل قبيلة مسجداً خاصاً بها، حتى وإن تجاوزت المساجد؛ لأنهم في الغالب لا يصلون خلف بعضهم^(١).

ج: للجماعة، والمذهب^(٢)، فكل جماعة تهاجم الجماعة الأخرى طعناً وقدحاً، بل قد يصل الأمر إلى التكفير، والتفسيق، إمعاناً في تزكية النفس، وأنها على الحق وما عداها على الباطل، مما يجعلها الأولى في التواجد على الساحة الإسلامية^(٣).

وعند المناداة بالوحدة والاتلاف، كل جماعة ترى سبيل ذلك الانضمام إليها؛ لأنها الوحيدة السائرة على درب النبوة منهاجاً وتخطيطاً، وصاحبة الفهم الصحيح، متناسية كل ما مع الطوائف الأخرى من أوجه الحق والصواب^(٤)، يقول ابن عثيمين: (كون الأمة تتفرق شيعاً، وكل حزب يقول: الحق معي، ومع ذلك لا يقتصر على هذا القول، بل يضلل غيره، ويبدع غيره، وينفر منه، فلا شك أن هذا وصمة عار وعيب على الأمة الإسلامية)^(٥).

وعند الطرح الفكري يكون الإطار فكر الجماعة، شرحاً، وإبرازاً، وتمجيداً، أملاً في إعطائها مضموناً عقدياً^(٦).

وإمعاناً في تعميق التعصب، يميز البعض نفسه عن الآخرين بهيئة وعمل خاص

(١) انظر آدم عبد الله الألوري، الإسلام وتقاليد الجاهلية، الطبعة الثانية، ص ٥٤.

(٢) انظر الوكيل، أسباب الضعف في الأمة، ص ٨٧؛ وانظر الفوزان، الخطب المنبرية، ج ٤ ص ٤٠٠.

(٣) انظر محمد العثيمين، إلى متى هذا الخلاف، علق عليه وخرج أحاديثه: أحمد الحمدان، ص ٤٦؛ وانظر محمد سرور، الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، الطبعة الثالثة، ص ١١، ١٣.

(٤) انظر أبا زيد، حكم الانتماء، ص ١٣٥؛ وانظر عبد الله الرفاعي، مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، ص ٤٤؛ وانظر محمد بدري، نحو وحدة العمل الإسلامي، ص ٦.

(٥) اللقاء الشهري، إعداد عبد الله الطيار، الطبعة الأولى، ج ١ ص ٣١.

(٦) انظر عدنان زرزور، القومية والعلمانية، مدخل علمي، الطبعة الأولى، ص ٩٧.

به^(١)، يقول بكر أبو زيد: (فمن الناس من يتقيّد بلباس لا يلبسه غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها، أو بزّي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبّد بغيرها - وإن كانت أعلى منها - أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره - وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه -)^(٢).

د: للمشائخ والعلماء، حيث ظهر من يقدّسهم، ويظفي عليهم صفة العِصمة، يُنكّرُ ويُعظّم على من يخالفهم، يقول أحد الكتاب المعاصرين: (دُعيت إلى ندوة في الجامعة، ووصل أمير جماعة بموكب ضخم، وحوله أتباعه يَفسحون له الطريق، ويهيئون المكان، ويُسلطون عليه الأضواء، فلما بدأ كلمته أخطأ في القرآن، وذكر أحاديث موضوعة، هيجت العقلاء، كادت تشب فتنة كبرى بين أتباعه وهؤلاء الذين ردوا عليه الحديث الموضوع، ويصرخون قائلين: كيف تعارضون الرجل؟)^(٣).

إجمالاً لم تقف هذه العصبية عند حد معين، بل هي دائماً في شقاق ونزاع مستمر، ولم تحقق شيئاً من أهداف المتعصين، يقول الندوي: (نشأت عصبية في داخل العصبية، وتلك طبيعة العصبية تلك تقوم على أساس غير المبادئ الصالحة، وانقسمت الجامعات على نفسها، وتكونت فيها جامعات صغيرة، ثم تكونت في هذه الجامعات الصغيرة جامعات صغرى، قد لا ترى إلا بالمكبّرة، وحيثها وأساسها: حجة الجامعات الأم وأساسها. فسلالة أفضل من سلالة، والوطن الخاص أفضل من وطن عام، وأبناء قرية أفضل من أبناء بلد، وأبناء بلد أحب من أبناء مديرية، وأبناء مديرية أعز من أبناء ولاية، وهذا كله مما يسوغه منطق الوطنية، وتغري به فلسفة تقديس السلالة، أو تمجيد الوطن. ولون إذا خف في السواد كان أفضل من لون قاتم، وأسود جالك، أو سواد إذا أغرق في الحلّكة، كان أفضل وأدل من سواد يشبه السمرة، وأبناء الجد الخامس، أفضل من أبناء الجد الثامن. والهدليون والناطقون بلغتهم أكرم من بني طيء، وبنو عبد شمس أفضل من بني عبد الدار، وبنو مخزوم أحق بالسيادة من بني تميم، ولكل حجة تعتمد على المآثر والروايات، وعلى فلسفة فضل الدم، وأصالة النسب، وحسن الأرومة، وطيب

(١) انظر بدري، مرجع سابق، ص ٣٠ - ٣١.

(٢) مرجع سابق، ص ١١١.

(٣) عبد الرشيد صقر، سلبات الحركات الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ٦٩.

الأعراق، وفصاحة اللهجات، وهكذا كل حرب على صاحبه، يعامله معاملة العدو البغيض، والأجنبي الغريب^(١).

سادساً: التعرض لولاية الأمر.

عن طريق الوقوع في أعراض ولاية الأمر من العلماء والحكام، حيث تتبع زلاتهم، ونشر هفواتهم وإظهار ذلك للملأ، بهدف الفضيحة، والتشهير، يقول ابن عثيمين: (يقع الناس في أعراض العلماء أو يقعون في أعراض الأمراء، فإن هذا لا شك عنوان على التفرق، وتمزق الأمة)^(٢).

سابعاً: تصنيف الناس.

عمد ويعمد البعض إلى تصنيف الناس بحسب موقفهم من بعض الأمور الطارئة على الساحة الإسلامية، ويتكلف في ذلك كثيراً، حتى إن لم يجد ما يُصنف به المسؤول عنه، اكتفى بإشارة أو حركة تنقص من مكانته، وتحط من قدره، يقول بكر أبو زيد عن هذه الطائفة: (غَمَسُوا ألسنتهم في رُكाम من الأوهام والآثام، ثم بسَطُوا بإصدار الأحكام عليهم... وتوزيعهم أشتاتاً وعِزِينَ في: عقائدهم، وسلوكهم، ودواخل أعمالهم، وخلجات قلوبهم، وتفسير مقاصدهم، ونياتهم... وإن نقبوا في البلاد وفتشوا عنه العباد، ولم يجدوا عليه أيّ عثرة، أو زلة، تصيّدوا له العثرات، وأوجدوا له الزلّات، مبنية على شبه واهية، وألفاظ محتملة. أما إن أفلست جهودهم من كل هذا، رموه بالأخرى، فقالوا: مُتَسَرَّرٌ، مُحَايِدٌ)^(٣).

الفرع الثاني

أسباب الخلاف والتفرق

للخلاف والتفرق الذي تعيشه الأمة اليوم، أسباب متعددة، ومقدمات متقدمة،

من أبرزها:

(١) العرب والإسلام، الطبعة الثانية، ص ١١١ - ١١٢.

(٢) اللقاء الشهري، ج ٢ ص ٢٢.

(٣) تصنيف الناس بين الظن واليقين، الطبعة الأولى، ص ٩ - ١٠.

أولاً - اتباع الهوى^(١).

سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار؛ لميله إلى ما تشتهيئه النفس، ويهواه القلب، بإفراط^(٢) يجعله الخطوة الأولى في طريق الابتداع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ...﴾^(٣)، فصاحب الهوى يتكلم بغير هدى، ولا حسن قصد، يجزم بغير علم، فيحرف النصوص ويجتهد في غير موضع، يجعل من الهوى أصلاً، يضع النتيجة، ثم يبحث لها عن مقدمة ودليل^(٤)، يقول الشاطبي رحمه الله: (وكذلك الأمر أبدأ في كل مسألة يُتَّبَع فيها الهوى أولاً، ثم يُطلب لها المخرج من كلام العلماء أو من أدلة الشرع وكلام العرب أبدأ)^(٥)، ويقول: (سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك)^(٦). وقد لا يدرك البعض أنهم يسرون في فلك أهوائهم، فقد يكون خافياً على صاحبه في بدايته^(٧)، فيعتقد بأنه مخلص في عمله، وهو لا يدرك أن الإخلاص وحده لا يكفي، بل لا بد من العلم، والتجرد من الآراء السابقة^(٨).

(١) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط، ص ١٣٤؛ منهاج السنة، ص ٢٥٦؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٧٨؛ وانظر عزت عطية، البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، الطبعة الثانية، ص ٢٣٩ - ٢٤٤؛ وانظر الأشقر، فقه الاختلاف، ص ٢٩؛ وانظر العبد، عبد الحليم، أسباب اختلاف المسلمين، ص ٤٣ - ٧٨؛ وانظر جمال سلطان، فقه الخلاف، ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) انظر سنن الدارمي، ج ١ ص ١٢٠ - ١٢١؛ وانظر ابن الجوزي، ذم الهوى، صححه وضبطه: أحمد عطا، ص ١٨ - ٣٥؛ وانظر الماوردي، أدب الدنيا والدين، الطبعة الثالثة، ٣٣ - ٣٩.

(٣) سورة القصص، الآية ٥٠.

(٤) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٩ ص ٤١ - ٤٤؛ وانظر الشاطبي، الاعتصام، ج ٢ ص ٦٧؛ وانظر محمود شلتوت، أسباب البدع ومضارها، تحقيق: عبد الآخر حماد، ص ٢٨ - ٣٢؛ وانظر بكر أبو زيد، تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال.

(٥) مصدر سابق، ج ١ ص ٢٨٥.

(٦) المصدر السابق، ج ٢ ص ٦٨٣.

(٧) انظر الماوردي، مصدر سابق، ص ٣٧.

(٨) انظر العبد، عبد الحليم، أسباب اختلاف المسلمين، ص ٥٠ - ٥١.

ثانياً: الظلم والبغي .

فسبب التباغض والتحاسد، يترك العدل في القول والعمل^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَقِيًّا...﴾^(٢)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (أكثر سبب الأهواء الواقعة بين الناس في البوادي والحواضر، إنما هو البغي وترك العدل)^(٣) وذلك عام في ما يحدث بين عامة الناس بعضهم البعض، وبين طلبة العلم، والولاة يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة، علمائها، وعبادها، وأمرائها ورؤسائها، وجدت أكثره من هذا الضرب الذي هو البغي بتأويل، أو بغير تأويل)^(٤).

ثالثاً: التعالم .

فئة تدعي العلم وهي الأبعد عنه، تنصدر ميادينه وهي الأولى بهوامشه الخلفية، جهلهم بالكتاب والسنة ظاهر، وبالأمور الشرعية ومقاصدها سافر، أصول العلم عندهم ضعيفة، وروافده مفقودة تعنتهم واضح، وتشددهم فاضح، تسرعهم مهلك، وسطحيتهم تريبك، تشهد عليهم تأويلاتهم الفاسدة، واجتهاداتهم الخاطئة^(٥)، يقول ابن القيم رحمه الله عن الخلاف: (سببه اشتباه الحق وخفاؤه وهذا لعدم العلم الذي يميز بين الحق والباطل)^(٦)، وهذا ما يدفع هؤلاء المتعالمين إلى البحث عن وسائل وأساليب وأدلة باطلة يرونها دلالة على صحة ما قالوا به، وما ذهبوا إليه، يقول عنهم عمر رضي الله عنه: (أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا

(١) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٢٧ - ١٢٨؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٧٧، ٧٧٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩ .

(٣) الفتاوى، ج ٢٨ ص ٣٧٧ .

(٤) المصدر السابق، ج ١٤ ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

(٥) انظر عزت علي عطية، البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، الطبعة الثانية، ص ١٩١؛ وانظر العبدية، عبد الحليم، مرجع سابق، ص ٩٧ - ١٠٧؛ وانظر الأشقر، فقه الاختلاف، ص ٢٦؛ وانظر جمال سلطان، فقه الخلاف، ص ٥٥ - ٥٨ .

(٦) إعلام الموقعين، الطبعة الأولى، ج ١ ص ٢٢٨ .

نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم^(١)، ويقول الشاطبي رحمه الله: (كثيراً ما ترى الجهال يحتجّون لأنفسهم بأدلة فاسدة، وبأدلة صحيحة؛ اقتصاراً بالنظر على دليل ما واطّراحاً للنظر في غيره من الأدلة الأصولية، والفروعية، العاضدة لنظرة، أو المعارضة له)^(٢).

وما ذاك إلا لضعف في إيمانهم، جعلهم يعرضون عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣)، فيقعون في أخطاء يكون لها أكبر الأثر في انتشار الفساد والانحراف، يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: (من عمِل في غير علم، كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح)^(٤)، والتفرق أحد تبعات الخلاف الناشئ عن ادعاء العلم والمعرفة، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى عن سبب ظهور الفرق المبتدعة: (هؤلاء الأجناس، وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان. فلقلة دعاة العلم والإيمان)^(٥)، الذين يبصرون الناس على بينة وهدى.

زد على ذلك الفهم السقيم الذي يتصف به الكثير، ولأن البيان يحكمه الحال والمقام، ويرتبط بأمور قد لا تُعلم عند النقل، فقد يقع من بعض المتعلمين أو غيرهم فهم خاطيء لبعض أقوال العلماء، تفسر بغير مقاصدهم، وتؤخذ على غير ما أريد لها، يتمثل فيهم قول القائل:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَفْتُهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرِيحَةِ وَالْعُلُومِ^(٦)

يقول علي عليه السلام لكميل النخعي: (يا كميل بن زياد! إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة: فعالمٌ ربّاني، ومتعلّمٌ على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن

(١) المصدر السابق، ص ٥٩؛ وانظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ٢ ص ١٠٤١ - ١٠٤٢.

(٢) الاعتصام، ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ١٣١.

(٥) الفتاوى، ج ٣٥ ص ١٦٥.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتيبان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ج ٤

ص ١٢٠.

وثيق . . . أفّ لحامل حقّ لا بصيرة له، ينفدح الشك في قلبه بأوّل عارضٍ من شبهة، لا يدري أين الحق، إن قال خطأ، وإن أخطأ لم يدر، مشغوفٌ بما لا يدري حقيقته، فهو فتنة لمن فتن به^(١)؛ لأنه قد يستزل بزلة عالم، ويخطيء بخطأ مجتهد، ويقول بقولٍ لا يُعلم وجهه، ومدى ثبات قائله عليه، يقول ابن القيم رحمه الله: (الخلافُ قد يكون قولاً ضعيفاً، فيتولّدُ من ذلك القول الضعيف الذي هو من خطأ بعض المجتهدين، وهذا الظنّ الفاسد الذي هو خطأ بعض الجاهلين: تبديل الدين وطاعة الشيطان، ومعصية رب العالمين، فإذا انضافت الأقوال الباطلة، إلى الظنون الكاذبة، وأعاتتها الأهواء الغالبة، فلا تسأل عن تبديل الدين بعد ذلك، والخروج عن جملة الشرائع بالكلية)^(٢). وقد يكون صاحب الرأي قد تراجع عنه؛ لبيان الحق له: يقول ابن عمر رضي الله عنهما لمن سأله القول برأيه في مسألة لم تتضح له: (لعلي أخبرك برأيي، ثم تذهب فأرى بعدك رأياً غيره فلا أجذك)^(٣)، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ويل للأتباع من عثرات العالم، قيل له: كيف ذلك؟ قال: يقول العالم شيئاً برأيه، ثم يجد من هو أعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه، فيترك قوله ذلك، ثم تمضي الأتباع)^(٤).

وبعض المتعلمين يلجأ إلى تشقيق الكلام؛ ليخرجه أحسن مخرج، فيتصنع الفصاحة والبلاغة ويتلاعب بالألفاظ كما أراد، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا أيها الناس: قولوا بقولكم، فإنما تشقيقُ الكلام من الشيطان))^(٥). ويقول صلى الله عليه وآله وسلم محذراً من المبالغة في ذلك: ((إنَّ الله تعالى يَبْغُضُ البليغَ من الرجال، الذي يتخلَّلُ بلسانه، تَخَلَّلَ الباقرة بلسانها))^(٦)، يقول النووي رحمه الله تعالى: (الترثارُ: هو كثيرُ الكلام تكلفاً. والمُتَشَدِّقُ: المتناولُ على الناس بكلامه، ويتكلمُ بملء فيه تفاصُحاً وتعظيماً لكلامه. والمُتَفَيِّهَةُ: أصلُهُ من الفَهْقِ، وهو: الامتلاء، وهو: الذي يملأ فمهُ بالكلام، ويتوسّعُ فيه، ويُغْرِبُ به تكبُّراً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على

(١) ابن عبد البر، مصدر سابق، ج ٢ ص ٩٨٤ - ٩٨٥.

(٢) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، الطبعة الأولى، ج ٢ ص ٢٠٥.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ٧٧٧.

(٤) المصدر السابق، ج ٢ ص ٩٨٤.

(٥) إسناده صحيح. مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، ج ٨ ص ٥٥ - ٥٦، رقم الحديث:

[٥٦٨٧].

(٦) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٨٤٩].

غيره^(١)، مما يجعل المتلقي ينخدع بتلك العبارات الرنانة، والجمل الخلافة فيأخذ بقول هذا المتعالم دون تثبت.

هذا السبب قد يتمثل في جاهل، أو طالب علم مبتدىء، أو عالم نحري في فن معين مع قلة علمه في جوانب علمية أخرى، وقد يكون في أحد الجوانب العلمية دون غيرها، يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: (يعتقد الإنسان في نفسه، أو يُعْتَقَد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين - ولم يبلغ تلك الدرجة - فيعمل على ذلك، ويعد رأيه رأياً، وخلافه خلافاً. ولكن تارة يكون ذلك في جزئي وفرع من الفروع وتارة يكون في كليٍّ وأصل من أصول الدين - كان من الأصول الاعتقادية، أو من الأصول العملية - فتراه آخذاً ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها، حتى يصير منها إلى ما ظهر له بادي رأيه، من غير إحاطة بمعانيها، ولا رسوخ في فهم مقاصدها)^(٢). ويعد هذا السبب من أبرز أسباب ترسيخ الخلاف في عصرنا الحاضر، حيث كثرة أدعياء العلم والمتشبهين به، يقول بكر أبو زيد عن تكاثرهم: (ساموا بأمة البُقُول عدداً، ولم يبق منهم من يحسن الجمع بين كلمتين إلا استطال على منازل العلماء! فهؤلاء المنازلون في ساحة العلم، وليس لهم من عُدَّة فيه سوى القلم والدواة، هم: الصحفية المتعالمون من كل من يدعي العلم وليس بعالم... فهذا القطيع حقاً هم غُولُ العلم)^(٣).

رابعاً: الابتعاد عن المنهج الإلهي في العلم والعمل^(٤).

بتجاوزه في مجال العبادة الموقوفة، عن الرسول ﷺ، يقول ﷺ: ((قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالكٌ، من يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سُنتي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا

(١) رياض الصالحين، حققه وخرج أحاديثه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) الاعتصام، ج ٢ ص ٦٧٩.

(٣) التعالم وأثره على الفكر والكتاب، الطبعة الثانية، ص ٨ - ٩.

(٤) انظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٩٩؛ وانظر الشوكاني محمد بن علي، أدب الطلب ومنتهى الأرب، دراسة وتحقيق: محمد الخشت، ص ١١٢ - ١١٤؛ وانظر شلتوت، أسباب البدع، ص ٢٢ - ٢٨.

عليها بالنواجذِ...))^(١).

وتجاوزه في المنهج العلمي للمعرفة والعلم، يقول ﷺ: ((اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه))^(٢)، يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: (المبتدع معاند للشرع، ومشاقق له؛ لأن الشارع قد عيّن لمطالب العبد طرقاً خاصة، على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعيد، وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها... إلى غير ذلك؛ لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين، فالمبتدع راذٌ لهذا كله؛ فإنه يزعم أن ثمَّ طرقاً أُخر، ليس مما حصره الشارع بمحصور، ولا عيّنهُ بمتعيّن، كأن الشارع يعلم ونحن أيضاً نعلم، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع؛ علم ما لم يعلمه الشارع، وهذا إن كان مقصوداً للمبتدع؛ فهو كفر بالشرعية والشارع، وإن كان غير مقصود؛ فهو ضلال مبين)^(٣).

ومن ذلك التجاوز في أخذ العلم من فئة المتعالمين، والمبتدئين في طلب العلم، والاعتماد في التعلم على الكتب والوسائل الحديثة لنشر العلم، دون الرجوع إلى العلماء ومجالستهم^(٤)، ومن صار شيخه كتابه، أصبح خطؤه أكثر من صوابه، يقول ناصر العقل: (الناس صاروا يأخذون العلم عن كل من دعاهم إلى التعلم، وكل من رفع فوق رأسه راية الدعوة، وقال أنا داعية، جعلوه إماماً في الدين وتلقوا عنه، وقد لا يفقه من الدين شيئاً، فلذلك ظهرت في العالم الإسلامي دعوات كبرى، ينضوي تحت لوائها الفئام من الناس، خاصة الشباب، وقادتها ورؤساؤها جهلة في بديهيّات الدين، فيفتون بغير علم، ويضلون ويضلون)^(٥).

خامساً: التعصب.

بأن يجعل الحق ما جاء وفق رأيه، أو مذهبه، وجاء عن طريق شيخه، أو

(١) حديث صحيح. الألباني، صحيح سنن ابن ماجة المقدمة، باب ٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب ٢٦.

(٣) الاعتصام، ج ١ ص ٦٥.

(٤) انظر ناصر العقل، الافتراق، مفهومه، أسبابه، سبل الوقاية منه، الطبعة الأولى، ص ٤٢،

٤٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٢.

بلده، أو من يوافقه في نسب، أو مذهب، أو بلد، أو صداقة^(١)، وتلك دعوة جاهلية؛ لما تُقضي إليه من نهج جاهلي يَحْكُم علاقة الفرد بالآخرين، وبالحق، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (الدعاء بدعوى الجاهلية، كالدعاء إلى القبائل، والعصية للإنسان، ومثله التعصب للمذاهب، والطوائف، والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض في الهوى، والعصية، وكونه منتسباً إليه يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي ويزن الناس به فكل ذلك من دعوى الجاهلية)^(٢)، هذا التعصب يجعل من معيار الحق واحداً لا يتجزأ، وهو ما يكون تبعاً لقولهم، ومصدره وطريقه تبعاً لعصبتهم، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم، أو الدين، من المتفهمة، أو من المتصوفة، أو غيرهم، أو إلى رئيس مُعْظَم عندهم في الدين - غير النبي ﷺ - فإنهم لا يقبلون من الدين رأياً وروايةً، إلا ما جاءت به طائفتهم، ثم إنهم لا يعلمون ما توجه طائفتهم. مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقاً: روايةً ورأياً، من غير تعيين شخص أو طائفة - غير الرسول ﷺ)^(٣).

هؤلاء المتعصبون جعلوا منهجهم حاكماً على الشريعة، وإطاراً يتحكم في مدى قبولهم لها، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (أما المتعصبون فإنهم عكسوا القضية، ونظروا في السنة فما وافق أقوالهم منها قبلوه، وما خالفها تحيلوا في رده، أو رد دلالاته، وإذا جاء نظير ذلك، أو أضعف منه سنداً ودلالة، وكان يوافق قولهم قبلوه، ولم يستجيزوا رده، واعترضوا به على منازعتهم، وأشاحوا وقرروا الاحتجاج بذلك السند ودلالته، فإذا جاء ذلك السند بعينه، أو أقوى منه، ودلالته كدلالة ذلك، أو أقوى منه في خلاف قولهم، دفعوه ولم يقبلوه)^(٤).

(١) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ٧٦، ١٢٧؛ منهاج السنة، ص ٢٥٤ - ٢٥٥؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٨٢؛ وانظر ابن القيم، إعلام الموقعين، ج ١ ص ١٦؛ وانظر الشاطبي، الاعتصام، ج ١ ص ٣٢٩؛ وانظر عطية، البدعة، ص ٢٤٥؛ وانظر العبدية، عبد الحليم، أسباب الاختلاف، ص ٧٩٩٥؛ وانظر الأشقر، فقه الاختلاف، ص ٧٦ - ٧٨.

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد، الطبعة الخامسة، ص ٥١٥.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ٧٣ - ٧٤.

(٤) إعلام الموقعين، ج ١ ص ٧٦.

والتعصب أمر قائم على مبدأ التحدي والازدراء للخصوم^(١)، مما يجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً.

يقول الغزالي رحمه الله: (أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحق أظهروا الحق في معرض التحدي والإذلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعدّر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها، حتى انتهى التعصب بطائفة إلى أن اعتقدوا أن الحروف التي نطقوا بها في الحال بعد السكوت عنها طول العمر قديمة، ولولا استيلاء الشيطان بواسطة العناد والتعصب للأهواء؛ لما وجد مثل هذا الاعتقاد مستنفراً في قلب مجنون؛ فضلاً عن قلب عاقل)^(٢).

ويبالغ البعض فيقدم على تعميق هذا التعصب في قلوب الآخرين، فيقصر الدعوة والتعليم على طريقته، وما يوافق مذهبه، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها، غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي، غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة، ويوالون به على ذلك الكلام، أو تلك النسبة، ويعادون)^(٣).

ومع ما في ذلك من مخالفة صريحة، إلا أنه داء قد استشرى في جسد الأمة، يقول الشوكاني رحمه الله تعالى: (الأسباب التي تؤدي إلى البعد عن الحق والتعصب: . . . أكثرها وقوعاً وأشدّها بلاءً: أن ينشأ طالب العلم في بلد من البلدان التي تمذهب أهلها بمذهب معين، واقتدوا بعالم مخصوص، وهذا الداء قد طبق في بلاد الإسلام، وعم أهلها، ولم يخرج عنه إلا أفراد قد يوجد الواحد منهم في المدينة الكبيرة، وقد لا يوجد؛ لأن هؤلاء الذين ألفوا هذه المذاهب، قد صاروا يعتقدون أنها هي الشريعة)^(٤)، ويقول صاحب المنار رحمه الله تعالى: (أما الرؤساء فإنهم

(١) انظر أبا حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١ ص ٢٤، ٣٦.

(٢) الشاطبي، الاعتصام، ج ٢ ص ٧٣٢.

(٣) الفتاوى، ج ٢٠ ص ١٦٤.

(٤) أدب الطلب، ص ٤٠.

ينصرفون إلى حب الامتياز والشهرة والاستعلاء على الأقران، ولا يكون ذلك إلا بالخلاف، وانتصار كل رئيس لمذهب، والذب عنه بالجدل، والتأويل، وأما المرؤوسون: فإن كل فريق منهم ينتمي إلى رئيس يعتر به، ويقلده دينه، ولا يستمع قولاً لمخالفه^(١).

سادساً: المغالاة في الإنكار على المخالفين^(٢).

بتجاوز بعضهم على بعض قولاً: كتكفير المخالف، أو تفسيقه، أو إنكار ما معه من الحق وعدم إنصامه أو اتباعه بعدما يتبين الصواب. وفعلاً: كقتاله، أو حبسه، أو ضربه^(٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة، الذي يورث الأهواء، تجده من هذا الضرب، وهو: أن يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبته، أو في بعضه، مخطئاً في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئين كل منهما كان مصيباً في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئاً في نفي حرف غيره^(٤))، فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود، والتكذيب، لا في الإثبات؛ لأن إحاطة الإنسان بما يثبته، أيسر من إحاطته بما ينفيه^(٥).

سابعاً: التشدد والتعمر في الرأي^(٦).

لما أحدث ويحدث من تأويلات محدثة، وأحكام مضيقة، لا أساس لها من

(١) تفسير المنار، ج ٢ ص ٢٧٠.

(٢) انظر الشوكاني، أدب الطلب، ص ١١٤ - ١١٥؛ وانظر محمد عيد عباسي، المذهبية المتعصبة هي البدعة، أو بدعة التعصب المذهبي، وأثارها الخطيرة في جمود الفكر وانحطاط المسلمين، الطبعة الثانية، ص ٨.

(٣) انظر ابن تيمية، منهاج السنة، ص ٢٥١ - ٣٥٢؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٩٦ - ١٠١، ج ١٠ ص ٣٣٢ - ٣٣٥؛ وانظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٧٩؛ وانظر محمد ناجي مشرح، الأهواء المذهبية وطرق معالجتها، الطبعة الأولى، ص ٣٧ - ٣٩، ٦٩، ٧٠، ٧٧.

(٤) إشارة إلى قوله ﷺ لابن مسعود ومن خالفه في قراءة آية: «كلاهما محسن... لا تختلفوا...». صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب ١.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٦) انظر ابن بطة عبيد الله بن محمد، الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، الطبعة الثانية، ج ١ ص ٣٩٠، ٤٠٥؛ وانظر ابن رجب عبد الرحمن، فضل علم السلف على الخلف، جمع وتحقيق: محمد القاضي، ص ٣٢.

الكتاب والسنة، بفعل المبالغة في البحث والتنقيب، يقول ﷺ: ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ))^(١). وهم: المتعمقون قولاً وفعلاً في: البحث والاستقصاء^(٢)، يقول ابن عطية رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ...﴾^(٣): (هذه الآية تعمُّ أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعقُّق في الجدل، والخوض في الكلام، هذه كلُّها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد)^(٤)؛ لذلك كان السلف أشد الناس تحذيراً واحترازاً منه^(٥)، يقول ابن وهب رحمه الله تعالى: (أيها الناس! لا تبدعوا، ولا تنطعوا، ولا تعمقوا، وعليكم بالعتيق، خذوا ما تعرفون، ودعوا ما تنكرون)^(٦).

ثامناً: كثرة الجدل والمساءلة^(٧).

يجادل ويخاصم بغير حق، معتمداً على الشبه والاحتمالات الافتراضية، يسأل من غير مسألة في أمور عرضية، ليست بذات بال، ولا أهمية، وإنما التواءً على الحق، وصدأً له من أي طريق، يقول ﷺ: ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى، إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ))، ثم تلا ﷺ هذه الآية: ﴿... مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^{(٨)(٩)}، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تعلموا العلم لثلاث: لتماروا به السفهاء، وتجادلوا به العلماء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم ما عند الله)^(١٠)، فللجدل آثار يورثها على مستوى الفرد والأمة، يقول مالك رحمه الله تعالى

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب ٤.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٦ ص ٢٢٠؛ وانظر ابن أبي العز، مصدر سابق، ص ٢٣٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

(٤) الشاطبي، الاعتصام، ج ١ ص ٧٩ - ٨٠.

(٥) انظر سنن الدارمي، المقدمة، باب ١٩.

(٦) المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٧) انظر ابن رجب، فضل علم السلف، ٣٣؛ جامع العلوم والحكم، ص ٩٢؛ وانظر الأشقر،

فقه الاختلاف، ص ٧٩ - ٨٠.

(٨) سورة الزخرف، الآية ٥٨.

(٩) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، سورة الزخرف.

(١٠) سنن الدارمي، المقدمة، باب ٢٧.

مبيناً أثر المرء والجدل في العلم: (يقسي القلب ويؤثر الضغن)^(١) لذلك كره السلف الصالح الإكثار من المسائلة في ما لا يعني، وما لا يضر الجهل به، من صعاب المسائل، وشرارها^(٢)، باعتبارها باباً من أبواب الشر، فالرسول ﷺ يقول: ((دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم...))^(٣)، من هنا قال سلفنا الصالح: (إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً، أغلق عنه باب العمل، وفتح له باب الجدل)^(٤).

وأخطر الجدل ما كان مع صاحب هوى؛ لما يحدثه في قلب المُجَادَل، يقول أبو قلابة رحمه الله تعالى: (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)^(٥).

ومن ذلك البحث والاستقصاء في أمور افتراضية لم تقع، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ...﴾^(٦)، يقول معاذ ؓ: (لا تسألوا عن البلاء قبل نزوله، فيذهب بكم هنا وهنا، وإنكم إن لم تسألوا، لم تبتلوا؛ فإنه لا ينفك أن يكون في المسلمين من إذا قال وفق وسدد)^(٧).

تاسعاً: تكلف العلم.

حيث يعتمد البعض إلى تحميل نفسه فوق طاقتها وقدرتها العلمية والعملية، فيقع في ما لا يعلم، يقول ابن مسعود ؓ: (ما علمك الله في كتابه فاحمد الله، وما استأثر به عليك من علم فكله إلى عالمه ولا تتكلف)^(٨)، ويقول أبو موسى

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص ٩٢.

(٢) انظر ابن بطة، الإبانة، ج ١ ص ٣٩٠ - ٤٢٤؛ وانظر الشاطبي، الموافقات، ج ٤ ص ٣١٣ - ٣٢١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ٢.

(٤) ابن رجب، مصدر سابق، ص ٣٤.

(٥) الدارمي، مصدر سابق، باب ٣٥؛ وانظر الشاطبي، الاعتصام، ج ١ ص ١١٢.

(٦) سورة المائدة، الآية ١٠١.

(٧) ابن بطة، مصدر سابق، ص ٣٩٦؛ وانظر السيوطي جلال، أدب الفتيا، (بيروت: المكتب

الإسلامي، عمان: دار عمان)، ص ٥١.

(٨) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج ١ ص ٦٠؛ وانظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ٢ =

الأشعري رحمه الله : (من كان عنده علم فليعلمه الناس، وإن لم يعلم فلا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين)^(١)، فالتكلف يقع في مسائل مفرقة، وخصوصة مشتتة، يقول ابن رجب رحمه الله تعالى: (ومن فقهاء أهل الرأي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها، ما يقع في العادة منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكلف الجواب عن ذلك، وكثرة الخصومات فيه، والجدال عليه، حتى يتولد من ذلك افتراق القلوب، ويستقر فيها بسببه الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء)^(٢).

لذلك كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين، أبعد الناس عن التكلف، وأحوط عند الفتيا، يقول ابن أبي ليلي رحمه الله تعالى: (أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ فما كان منهم محدث إلا ودَّ أن أخاه قد كفاه الحديث، ولا مفتي إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا)^(٣)، رغم علمهم، وبعدهم عن الشبهات، وكان لهم في ذلك منهج واضح، فيكثرون من قول: لا أدري لمن سألتهم، ويعملون على تلقينها لتلاميذهم^(٤)، يقول مالك رحمه الله تعالى: (ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول: لا أدري)^(٥)، فلا غضاضة ولا عيب ولا تنقيص في حق العالم عند إجابته بلا أدري، فهذا الإمام مالك يُسئل في مجلس واحد عن ثمان وأربعين مسألة، فيقول في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري^(٦)، بل ربما سُئل عن خمسين مسألة لم يجب فيها^(٧)، وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول: (لا أدري نصف العلم)^(٨)؛ بل إنهم جعلوها دلالة على العمق العلمي لدى العالم، يقول ابن عجلان رحمه الله تعالى: (إذا أغفل

= ص ٨٣٢، ١٠٤٤.

(١) ابن القيم، المصدر السابق، ص ٦٣؛ وانظر سنن الدارمي، المقدمة، باب ٢١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٩٢ - ٩٣.

(٣) ابن عبد البر، مصدر سابق، ١١٢٠ - ١١٢١.

(٤) انظر الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٨٢ - ٨٣؛ وانظر ابن القيم، مصدر سابق، ص ٤٠؛

وانظر النووي يحيى بن شرف، آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طلب العلم،

الطبعة الأولى، ص ١٥؛ وانظر السيوطي، أدب الفتيا، ص ٥٦ - ٥٧.

(٥) ابن عبد البر، الانتقاء، ص ٣٨.

(٦) انظر أبا حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١ ص ٢٤.

(٧) انظر النووي، مصدر سابق، ص ١٦.

(٨) الدارمي، مصدر سابق؛ وانظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ٢ ص ٨٣٦ - ٨٤٢.

العالم لا أدري، أصيبت مقاتله^(١).

عاشراً: حب الظهور.

وهو المقصود بالمرءة في العلم والعمل عموماً، فالعالم قد يطلب بجدله المرءة، وإظهار قدرته على غلبة الخصوم والمخالفين، وكأنه عالم فح، فيعمد إلى تصيد الزلات وفلتات اللسان، وتتبع الهفوات وعرثات الأفكار، ويُظهر ذلك للناس؛ لأجل أن يُعرف بذلك ويشتهر^(٢)، يقول الخطابي رحمه الله تعالى: (يُعترض العلماء بصعاب المسائل التي يكثر فيها الغلط؛ لِيُسْتَرْزَلُوا بها، وَيُسْتَسْقَطَ رأيهم فيها^(٣))، ويقول الماوردي رحمه الله تعالى: (. . . .) يَقصد من العلم ما اشتهر من مسائل الجدل، وطريق النظر، وبتعاطى علم ما اخْتُلِفَ فيه، دون ما اتَّفَقَ عليه؛ ليناظر على الخلاف، وهؤلاء يعرف الوفاق، ويجادل الخصوم، وهو لا يعرف مذهباً مخصوصاً، ولقد رأيت من هذه الطبقة عدداً قد تحققوا بالعلم تحقق المتكلمين، واشتهروا به اشتهار المتبحرين، إذا أخذوا في مناظرة الخصوم، ظهر كلامهم، وإذا سُئِلوا عن واضح مذهبهم ضلَّتْ أفهامهم، حتى إنهم ليخيطون في الجواب خبط عشواء، فلا يظهر لهم صواب، ولا يتقرَّر لهم جواب، ولا يرون ذلك نقصاً^(٤)؛ بل يرونه طريقاً للشهرة^(٥)، مع ما في ذلك من سوء الطبع ولؤمه، عُرفاً وعقلاً، يقول ابن القيم رحمه الله: (أحس همم طلاب العلم، قصر همته على تتبع شواذ المسائل، وما لم ينزل، ولا هو واقع، أو كانت همته معرفة الاختلاف، وتتبع أقوال الناس، وليس له همة إلى معرفة الصحيح من تلك الأقوال، وقلَّ أن يتنفع واحد من هؤلاء بعلمه^(٦)).

فتتبع العورات، والسقطات، سمة مميزة لمن يريد بعمله وعلمه الظهور، يقول

-
- (١) المصدر السابق، ص ٨٤٠ - ٨٤١؛ وانظر النووي، مصدر سابق، ص ١٥.
- (٢) انظر الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٥٦؛ وانظر أبا حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١ ص ٤٠ - ٤٣؛ وانظر ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص ٩٣؛ وانظر السيوطي، أدب الفتيا، ص ٥٢؛ وانظر عبد الرشيد صقر، سلبات الحركة الإسلامية وعلاجها، الطبعة الأولى، ص ١٠٠.
- (٣) حمد بن محمد، معالم السنن، شرح سنن أبي داود، الطبعة الأولى، ج ٤ ص ١٧٢.
- (٤) مصدر سابق.
- (٥) انظر المصدر السابق؛ وانظر أبا حامد الغزالي، مصدر سابق، ص ٣٦.
- (٦) الفوائد، بيروت: المكتبة الثقافية، ص ٦١.

الفضيل رحمه الله: (ما من أحدٍ أحبَّ الرئاسة، إلا حَسَدَ ويغى، وتتبع عيوب الناس، وكَرِهَ أن يُذكر أحدٌ بخير)^(١)، ويقول أبو العتاهية رحمه الله: (أَخِيَّ من عشق الرِّئاسة؟! خفت أن يطغى ويُحدِّث بدعةً وضلالاً)^(٢).

ومن ذلك ما يحصل من البعض عندما يحقق شهرة في علم، أو جاهاً في منصب، أو مكانة في جماعة، فإنه لا يقر بخطئه، وإن بان له، خوفاً على تلك المكانة المرموقة، والمنزلة الرفيعة من الزوال، أو الاهتزاز في نظر الآخرين^(٣)، يقول الشاطبي رحمه الله: (وأما إن لم يصح بمسبار العلم أنه من المجتهدين؛ فهو الحرِّيُّ باستنباط ما خالف الشرع... إذ قد اجتمع له مع الجهل بقواعد الشرع الهوى الباعث عليه في الأصل، وهو التَّبعية، إذ قد تحصَّل له مرتبة الإمامة والاقْتداء، وللنفس فيها من اللذة ما لا مزيد عليه، ولذلك يعسرُ خروج حب الرئاسة من القلب إذا انفرد، حتى قال الصوفية: حبُّ الرئاسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين!)^(٤)، ويقول أحد المعاصرين: (غالباً ما يكون قد اشتهر في الناس بقوله الذي ينصره، والتف حوله الكثير من الأتباع يتخذونه معلماً وقائداً، فيكون ذلك مانعاً له من التراجع، فيزين له الشيطان البقاء على قوله، وتصرفه كبريائه عن الاعتراف بالخطأ، فتراه يغض النظر عن الأدلة المضادة لقوله، ويرمقها من طرف العين، ولا تدفعه نفسه إلى دراستها، وتفحصها ومعرفة مدلولاتها، فيتبع هواه وهو عالم بما هو واقع فيه)^(٥).

ومن ذلك إرادة الرياسة له^(٦) ولأصحابه، عندما يخالف في قول، أو رأي، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى عن تفسيق السلف للخوارج: (روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال فيهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَلْسِيقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ٥٧١.

(٢) ديوان أبي العتاهية، بيروت: دار صادر، دار بيروت، ص ٣٤٨.

(٣) انظر الشوكاني، أدب الطلب، ص ٥٨، ٨٨ - ٨٩.

(٤) الاعتصام، ج ١ ص ١٩٧.

(٥) العبدية، عبد الحلیم، مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، ص ٥٢.

(٦) انظر ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٤٣؛ وانظر فهيم الحامد، «معارك كابول، صراع

على السلطة»، جريدة عكاظ، ٢٣/٧/١٤١٤ هـ، ١٠٠١٧، ص ٢٠.

الْخَسِرُونَ ﴿١﴾ - فقد يكون هذا قصده، لا سيما إذا تفرق الناس، فكان - منهم (٢) - من يطلب الرياسة له ولأصحابه (٣).

وقد يتمثل ذلك في مجاملة العلماء، أو الولاة، أو العامة، بقول ما يناسبهم من الحق، والبعد عما يغضبهم، ويثير القلوب عليه، يقول محمد رشيد رضا: (قد يشوب طلب الحق شيء من الرغبة في عزة الرئاسة، أو ميل مع أربابها، أو خوف منهم، أو شهوة خفية في منفعة أخرى، فيلج ذلك بصاحب الرأي حتى يكون شقاق، ويحدث افتراق) (٤).

أحد عشر: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فضعف هذا الجانب بين العامة والخاصة، مدعاة إلى انتشار البدع والخرافات المفرقة، والتي تظهر في بدايتها بأغطية تحجب حقيقتها، حتى إذا ألفتها الناس ولم ينكروها، ظهرت حقيقتها للعيان وأصبحت ذات أهلية، وعادة مألوفة، يؤمن بها بعض الناس؛ بل إن عدم اجتثاث البدع في بدايتها، واستمرار وجودها، يجعل منها أمراً هيناً عند ظهور بدعة أخرى، أعظم من سابقتها، وهذا هو ترقيق الفتن بعضها لبعض، كما قال ﷺ: ((... وتجيء فِتْنَةٌ فَيُرْقَقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مَهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ. وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ...)) (٥)، يقول محمد رضا: (فلو كان أهل البصيرة والفقهاء الحقيقي في الدين، يععمون دعوتهم، وإرشادهم في الأمة، ويواصلونها لكانوا موارد لحياتها، ومعاهد لرابطة وحدتها... فإن أفراد الأمة إذا قام كل واحد منهم بنصيحة الآخر، دعوة، وأمراً، ونهياً، امتنع فشو الشر والمنكر فيهم، واستقر أمر الخير والمعروف بينهم، فكيف تجد الفرقة منفذاً إليهم؟ أم كيف يستقر الخلاف في الدين بينهم؟ وناهيك إذا قام كل على طريقه المستقيم، العلماء والحكماء في مساجدهم، ومعابدهم، وجميع الأفراد في منازلهم، ومساكنهم ومعاهدهم) (٦).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦ - ٢٧.

(٢) زيادة في بعض النسخ التي اعتمد عليها المحقق، ولعلها الأصح.

(٣) منهاج السنة، ص ٢٥٠.

(٤) تفسير المنار، ج ٢ ص ٢٨٨.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ١٠.

(٦) تفسير المنار، ج ٤ ص ٢٨ - ٢٩.

أما الاختلاف، فمن أبرز أسبابه^(١) :

أولاً: التفاوت في القدرات الفكرية والعملية .

فالناس يتفاوتون في استعداداتهم ومواهبهم وملكاتهم، فمن ذكي إلى أذكي، ومن حافظ إلى أحفظ ومن فقيه إلى أفقه^(٢) .

ثانياً: التفاوت في المادة العلمية .

فبعض العلماء أعلم من بعض، ومرد ذلك إلى وفرة المادة العلمية، المُعِينة على الفهم والإدراك^(٣) .

ثالثاً: الاختلاف في أصول وضوابط القواعد العلمية .

فترتب على ذلك اختلاف المنهج والدليل والحجة، التي يؤخذ بها عند البحث والنظر والتحصيل^(٤) .

وقد أجملها ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله: (يتنوع شرعهم ومناهجهم، مثل: أن يبلغ أحدهم الأحاديث بألفاظ غير الألفاظ التي بلغت الآخر، وتفسر له بعض آيات القرآن بتفسير يخالف لفظه لفظ التفسير الآخر ويتصرف في الجمع بين النصوص واستخراج الأحكام منها بنوع من الترتيب والتوفيق ليس هو النوع الذي سلكه غيره،

(١) انظر التركي، أسباب اختلاف الفقهاء؛ وانظر خلدون الأحذب، أسباب اختلاف المُحدِّثين، دراسة نقدية مقارنة حول أسباب الاختلاف في قبول الأحاديث وردها.

(٢) انظر ابن قدامة، المغني، ج ١ ص ٢١؛ وانظر محمد الزحيلي، مرجع العلوم الإسلامية، الطبعة الثانية، ص ٧٤٠؛ وانظر التركي، مرجع سابق، ص ١٥؛ وانظر الأشقر، فقه الاختلاف، ص ٣٤.

(٣) انظر ابن تيمية، التفسير الكبير، الطبعة الأولى، ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١١؛ وانظر ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج ١ ص ١٦٤؛ وانظر ابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد، الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، الطبعة الثالثة، ص ١٠ - ١١؛ وانظر ابن عثيمين، الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه، (مكتبة الوعي الإسلامي)، ص ٩ - ١٨؛ وانظر التركي، مرجع سابق، ص ١٦؛ وانظر العلواني، أدب الاختلاف، ص ١٠٧ - ١١١؛ وانظر الأشقر، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٤) انظر مصادر ومراجع سابقة؛ وانظر العلواني، مرجع سابق، ص ٨٩ - ١١٤؛ وانظر الأشقر، مرجع سابق، ص ٥٥ - ٥٦؛ وانظر الزحيلي، مرجع العلوم الإسلامية، ص ٧٤٠ - ٧٤١.

وكذلك في عباداته وتوجهاته، وقد يتمسك هذا بأية أو حديث، وهذا بحديث أو آية أخرى. وكذلك في العلم، من العلماء من يسلك بالاتباع طريقة ذلك العالم، فتكون هي شرعهم حتى يسمعوا كلام غيره، ويروا طريقته، فيرجح الراجح منهما، فتنوع في حقهم الأقوال والأفعال السالفة لهم من هذا الوجه^(١).

الفرع الثالث

دور الأعداء في إحياء بذور الفرقة وبثها بين المسلمين^(*)

لقد كان ولا يزال تمزيق الأمة الإسلامية هدفاً يعمل له الأعداء^(٢)، منذ أيام الإسلام الأولى، عندما اعترضوا على بعثته ﷺ لمقاييس دنيوية يؤمنون بها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣). منذ ذلك الحين قام ويقوم بالعمل لتحقيق ذلك الهدف فئة من المنافقين، ومن دار في فلکهم، من العملاء المتمسكين، يساندهم في ذلك دخلاء كائدون، وكفار ناقمون، سواء من أسلم أو من بقي على كفره ودفع الجزية، فبدوافع حقدية، كانوا أشد الأفاعي نفاثاً للسموم، وأشد المعاول هدماً للمبادئ الشرعية.

ففي المدينة عمل اليهود والمنافقون ما في وسعهم لشق الصف الإسلامي، وإذكاء نار الفتنة بين المسلمين، في غزوة أحد، وفي غزوة بني قينقاع، وفي غزوة بني النضير، وبحديث الإفك، وفي غزوة تبوك، وغيرها من المحاولات^(٤) التي

(١) الفتاوى، ج ١٩ ص ١٢٦ - ١٢٧.

(*) أحد الأسباب الرئيسة في التفرق والخلاف، ولأهميته أفرد في مبحث خاص.

(٢) لم ينجح الأعداء في ما قاموا به، ولن ينجحوا، إلا بفعل المسلمين أنفسهم، ومدى قابليتهم للتغيير، قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ سورة الرعد، الآية ١١. والبيان هنا لما قام ويقوم به الأعداء، من باب الكشف عن نواياهم، ومعرفتهم؛ لأجل الحيلة والحذر منهم، وللمعرفة الجهد المبذول من قبلهم.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٣١.

(٤) ابن إسحاق، كتاب السير والمغازي، الطبعة الأولى، ص ٣٢٤ - ٣٢٥؛ وانظر ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، الطبعة الثانية، ص ١٥٧، ١٨٣، ٢١٩ - ٢٢٠، ٢٨٨؛ وانظر سليمان العودة، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام. الطبعة الثالثة، ص ٢١ - ٢٤.

تجاوزها المسلمون بما معهم من إيمان راسخ، يملي عليهم التعاون والإخاء الصادق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(١).

ولا يزال الأعداء يكيدون حتى يومنا هذا، يقول مسؤولون إنجليز: (من حق بريطانيا أن تنظر بعين الاهتمام إلى سقوط الامبراطورية العثمانية، الذي كان يعني دعوة خطيرة بالنسبة إليها، خصوصاً وأن هذه الامبراطورية كانت عبارة عن وحدة دينية متماسكة، يحكمها السلطان كخليفة للمسلمين وزعيم لمسلمي العالم)^(٢)، ويقول لورانس براون: (أهدافنا الرئيسية: تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الامبراطورية العثمانية، وتدميرها. . . وإذا عرفنا كيف نعامل العرب، وهم الأقل وعياً للاستقرار من الأتراك، فسيقون في دوامة من الفوضى السياسية، داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة، غير قابلة للتماسك)^(٣)، يسعون لذلك؛ لأنهم يدركون آثار الوحدة على الأمة الإسلامية، يقول أحدهم: (إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية)^(٤)، ويقول آخر: (يجب محاربة الإسلام؛ للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي إلى قوة العرب؛ لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام، وعزته، وانتشاره)^(٥). كما يدركون آثارها على الكفر وأهله، يقول براون: (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم، وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً، أما إذا ظلوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير - حتى قال: - يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين؛ ليقوا بلا قوة، ولا تأثير)^(٦)؛ لذلك صارت الأمة شغلهم الشاغل في الكثير من حركاتهم، يقول لورانس براون: (أخذت طول الطريق أفكر في سوريا وفي الحج وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٠ - ١٠١.

(٢) الفاتح، لورنس العرب، ص ٧٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٤.

(٤) جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، ص ٥٥.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٦) إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، الفجالة: مكتبة

الوعي العربي، ص ٣٧.

وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني؟^(١)، وهذا جب يتساءل: (هل روابط الوحدة من القوة، أو يمكن جعلها من القوة بحيث تستطيع أن تحتفظ بتضامن العالم الإسلامي؟... هل تبقى الروابط القديمة التي كونت هذه الوحدة ثابتة دون أن تتغير؟ أو تتطور؟... هل ستكون هناك ميول مشتركة بين الشعوب الإسلامية؟ وهل سيقوم إحساس بوحدة العمل؟ ووحدة الهدف؟ أم أن الآراء الجديدة، وحاجات الحياة الجديدة، ستنجح آخر الأمر في تشتيت المجتمع الإسلامي، وتحطيم وحدته؟^(٢). وفي هذه الأيام يتابع الأعداء على أعلى المستويات ما يجري على الساحة الإسلامية من خلافات يرصدون حركاتها، ويدرسون مخططاتها، يحللون المواقف عبر دراسات علمية موثقة؛ لاتخاذ ما يرونه مناسباً لهم في مواجهة الإسلام^(٣)، ومن أبرز ما قاموا ويقومون به في هذا المجال:

أ: استغلال الخلافات؛ لإيجاد فرق داخل العالم الإسلامي، ودعمها لأجل ضرب الإسلام من قلبه كما فعل الانجليز في الهند، وفي غيره من بلدان العالم الإسلامي^(٤).

ب: الإيقاع بين الفرق والطوائف الإسلامية^(٥)، ويبرز ذلك في قاعدتهم الشهيرة: (فرق تسد) حيث ضرب الفرق والطوائف والقوميات بعضها ببعض، جاء في البروتوكول الثاني عشر لحكام صهيون: (ما هو الدور الذي تمثله الصحافة اليوم؟ أهي دائبة العمل على الإثارة والتحريض، وإشعال العواطف التي تخدم غايتها، أم هي في خدمة أغراض الأناية للأحزاب؟ ومن هنا هي على الغالب تافهة، تأخذ جانب الشطط، كاذبة مختلقة، وجمهور الشعب يجهل الأغراض التي تتخبط

(١) الثورة العربية، تعريب كامل مسبحة، ص ١٤ - ١٥.

(٢) محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٣) انظر أحمد إبراهيم خضر، «الإسلام والكونجرس، الحلقات من: ١ - ٤٧»، مجلة المجتمع العدد ٩١٤ - ٩٦٤ (١٤٠٩/٩/٢٠ هـ - ١٤١٠/٩/٢٩ هـ)؛ وانظر جمال سلطان، فقه الخلاف، ص ٥٣.

(٤) انظر أحمد موفق زيدان، «الإسماعيلية في أفغانستان خطر يتنامى»، مجلة البيان العدد ٢٩ (١٤٠٩/١١ هـ): ص ٧٨ - ٨٤؛ وانظر يكن، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، ص ٧٢.

(٥) انظر «تقرير خطير للمخابرات الأمريكية، ينصح بخطة جديدة لتصفية الحركات الإسلامية»، مجلة المجتمع العدد ٤٢٨ (١٣٩٩/٢/١٧ هـ): ص ٣٠ - ٣١.

وراءها الصحافة. أما نحن فنسرجها ونلجمها ونأخذها بعنان شديد، ومثل هذا نصنع إزاء جميع ما تخرجه دور الطباعة والنشر من إنتاج مختلف الألوان^(١).

ب: تعميق الخلافات، من خلال تصيد الحوادث النادرة، والزلات العابرة، والمواقف الفردية، عبر التاريخ الإسلامي، لتسليط الأضواء عليها وإبرازها وتضخيمها^(٢).

ج: طرح الأفكار المتباينة، والدعاية لها بأنها طريق التقدم والرقي، والإيحاء بأنها الأنسب للواقع الإسلامي، كما في دعم التيارات الفكرية المعاصرة، في مجالات الحياة المختلفة^(٣).

د: بث روح القومية بين المسلمين، وإشعال الحماس القومي. ففكرة القومية العربية فكرة يهودية دعمها النصارى فكرياً وعملياً^(٤)، يقول جورج كيرك، مؤلف كتاب موجز تاريخ الشرق الأوسط: (إن القومية العربية، ولدت في: دار المندوب السامي البريطاني!!)^(٥)، ويقول فيليب حتي: (كان من نتيجة الاحتكاك بين العقلية السورية، والتناج الفكري الغربي، أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة، واستمدت وحيتها بالأكثر من النظريات السياسية الأمريكية، بخلاف القومية التركية التي جاءت متأخرة عن العروبة، والتي استمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية، وإنما كان ظهور مبادئ القومية العربية، في العقد السابع من القرن الفائت، على يد رجال الفكر السوريين وغالبهم من اللبنانيين المسيحيين، الذين تثقفوا في المدارس الأمريكية في بلادهم)^(٦).

(١) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، الطبعة السابعة، ج ٢ ص ٢٣٣.

(٢) انظر خضر، المرجع السابق.

(٣) انظر البهي، الفكر الإسلامي، ص ٥٠ - ٥٢؛ وانظر عبد القادر عبار، «قراءة في واقع العالم الإسلامي، شبابنا في وجه الإعصار الغربي»، مجلة الأمة العدد الخمسون (صفر/ ١٤٠٥ هـ): ص ٢٠.

(٤) حاضر العالم الإسلامي، ج ١ ص ٣٤٢؛ وانظر الفاتح، لورنس العرب، ص ٦٣ - ٦٤، ٦٩، ٩٣؛ وانظر الندوي، العرب والإسلام، ص ١٢؛ وانظر صالح العبود، فكرة القومية العربية، الطبعة الأولى، ص ١٤٢؛ وانظر عدنان زرزور، القومية والعلمانية، الطبعة الأولى، ص ٣٣ - ٤٥.

(٥) محمد قطب، قضايا فكرية معاصرة، ص ٥٨٥.

(٦) العرب تاريخ موجز، الطبعة الخامسة، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

هـ - إحياء الحضارات القديمة . عن طريق نبشها، ولفت الأنظار إليها، وإحياء الصلة بها؛ لذلك نصت مواثيق عصبة الأمم وأكدت على: (أن تضع الدولة المنتدبة، وتنفذ في السنة الأولى من تاريخ هذا الانتداب، قانوناً خاصاً بالآثار، والعاديات...^(١))، وهذا ما قام به الكفرة في أغلب بلاد المسلمين التي استعمروها، يقول أحدهم: (إننا في كل بلد إسلامي دخلناه، نبشنا الأرض؛ لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفيننا تذبذب ولاءه بين الإسلام، وبين تلك الحضارات)^(٢).

حتى عامتهم عملوا الإسهام في ذلك، فهذا مليونير يهودي أمريكي، يعرض عشرة ملايين دولار لإنشاء معهد للدراسات الفرعونية في مصر^(٣)؛ ليوهم المسلمين بأهمية هذه الدراسة، مما يدفعهم إلى الاهتمام بها، ومنافسته على ذلك بكل فخر واعتزاز، فهم الأولى والأحق بماضيهم، كما زُخرف لهم.

الفرع الرابع

آثار الخلاف والتفرق

للخلاف والتفرق تبعات حذّر منها الشارع الحكيم، وهي واقعٌ مشاهد في عالمنا الإسلامي المعاصر كنتيجة حتمية لتلك المظاهر المستشرية في الجسد الإسلامي، ومن أبرزها:

أولاً: التأخر والتخلف.

فالخلاف جعل الأمة في شغلٍ شاغلٍ عن همومها، وتحقيق غاياتها، فهي في خصوماتٍ وتحدياتٍ^(٤) استنفدت طاقتها، وأبقتها في مكانها متأخرة عن العاملين

(١) محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ١٣٨.

(٢) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢٠٢؛ وانظر حسين، مرجع سابق.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٣٩.

(٤) انظر محمد الغزالي، حصاد الغرور، ص ٨؛ وانظر وكالات الأنباء، «عصي وحجارة وقنابل في المعمعة، الإضرابات تعم مدن بنغلاديش، واندلاع العنف ينذر بأفاق مظلمة»، جريدة الشرق الأوسط، ٨/٤/١٤١٥ هـ، العدد ٥٧٦٨، ص ١٠.

بجد في سبيل الوصول إلى أهدافهم المرسومة، قال تعالى: ﴿... وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(١)، يقول ابن سعدي رحمه الله: (وهل أخطر المسلمين في هذه الأوقات إلا تفرقهم، والتعادي بينهم، وخورهم، وتقاعدهم عن مصالحتهم، والقيام بشؤونهم، حتى صاروا عالة على غيرهم)^(٢).

ثانياً: الفشل والهزيمة، وذهاب الهيبة.

فالخلاف والفرقة يُذهب البأس والقوة، ويجلب الضعف والوهن^(٣)، قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤)، وهذا واقع أمتنا اليوم^(٥)، خلافاً جعلها هامشية التأثير في المسيرة العالمية على المستويات كافة، بعد أن كانت تتحقق النصر بالرعب، واسمها يرجف الأبدان، ويملاً القلوب مهابة وروعة.

ثالثاً: الفسوق والكفر.

قال تعالى: ﴿... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٦)، وهنا يبدأ كل فريق في التعرض للطرف المعارض، مندفعاً بعصبية تجعله يتجاوز الغيبة والبهتان، إلى السب الصريح، والقذف القبيح، يقول ﷺ: ((سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر))^(٧)، ويقول ابن عثيمين: (ربما يحمل بعضهم على الكذب والغيبة، والطعن في الآخرين فتحصل الفرقة بعد الاجتماع، والعداوة بعد الائتلاف، ويحصل الشر - حتى قال في تناقل ما

(١) سورة النمل، الآية ٢٤.

(٢) المجموعة الكاملة، ج ٥ ص ١٨٨.

(٣) انظر تفسير الطبري، ج ٦ ص ٢٦١.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٥) انظر «كابل تهدد بنسف قواعد حكمتيار رداً على قصفه المدينة دون هوادة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٣/٢٤ هـ، العدد ٥٧٥٥، ص ٧؛ وانظر «كابول، حصيلة أسبوع من المعارك [٣٥٠] قتيلاً وأكثر من ألف جريح» جريدة الحياة، ١٤١٥/٤/١٩ هـ، العدد ١١٥٤٢، ص ٨.

(٦) سورة الروم، الآية ٣١ - ٣٢.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٦٧، ٤٤.

فيه التعرض للآخرين -: أدنى ما يقال فيه أنه غيبة؛ لأنه ينطبق عليه تماماً حدّ الرسول عليه الصلاة والسلام للغيبة... هذا إذا كان ما ينشر صحيحاً ثابتاً، أما إذا كان غير صحيح؛ بمشاهدة العيان، وسماع الآذان، فإنه ينضّاف إلى كونه غيبة أن يكون بهتاناً... إنّي أشهد الله ثم أشهدكم، أن اعتقادي في نشر هذه المنشورات التي ليس فيها إلا الغيبة والسب، من كبائر الذنوب، وأن الإنسان لا يزداد بها إلا إثماً، وأن أي فساد يحصل في المجتمع من جراء هذه المنشورات؛ فإنه سيئو هذا بإثمه^(١).

وربما تجاوز الأمر إلى تقاتل الطرفين^(٢)، يقول ﷺ: ((لا تَرَجِعُوا بعدي كَفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))^(٣).

الخلاف والفرقة أحد عوامل هلاك الأمة^(٤)؛ بأيدي أبنائها، يقول ﷺ: ((... لا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا))^(٥)، نظراً لما يترتب على الخلاف من محن، وحروب، تقضي على مقدرات الأمة المادية والمعنوية^(٦)، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُوءًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ... ﴾^(٧)، ويقول ﷺ: ((إِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ! إِذَا قَضَيْتَ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أُعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بَسَنَةً عَامَّةً، وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا - حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا))^(٨)، فالأمة إذا انشغلت بنفسها عن السعي في تحقيق غاية وجودها، فهي في عداد الهالكين قال

(١) الباب المفتوح، اللقاء التاسع والستون.

(٢) انظر الواقع المشاهد في: أفغانستان، الصومال، البوسنة والهرسك، اليمن، الجزائر، وغيرها في أنحاء متفرقة من عالمنا الإسلامي.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ٤٣.

(٤) انظر ابن تيمية، الوصية الكبرى، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، ص ٥٢.

(٥) البخاري، مصدر سابق، كتاب الخصومات، باب ١.

(٦) انظر «مصراع ٤٦ شخصاً في معارك بالجزائر»، جريدة الرياض، ١٤١٥/٣/٢٨ هـ، العدد ٩٥٦٨، ص ١؛ وانظر «عدن تعاني مضاعفات الحرب الأهلية: أسعار جنونية، وسوق السلاح تنتعش»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٤/٨، العدد ١١٥٣١، ص ٦.

(٧) سورة الأنعام، الآية ٦٥.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ٥.

تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْهَلَكَةِ...﴾ (١).

خامساً: تعطيل الجهاد.

حيث الانشغال بالخلافات الداخلية عن مواجهة الأعداء، فكل فريق همه الدفاع عن نفسه، وتأکید مصداقيته، فينشغل بذلك بحثاً وتفكيراً، عملاً وتطبيقاً^(٢)، يقول مانع الجهني: (يعتبر الجهاد الأفغاني من أفضل ما حدث في هذا العصر، وعندما حان قطاف الثمرة، أفسده إخواننا الأفغان، وحولوه إلى مأساة جديدة من مآسي المسلمين التي نعيشها في هذا العصر... ولا زلنا حتى الآن نشاهد المأساة على أرض الجهاد الأفغاني، حيث التناحر، والفرقة بين الإخوة)^(٣).

وفي الفرقة تكتمل تحت رايات متباينة، تحمل أهدافاً متفاوتة، وفي ذلك صرف للحركات الجهادية عن سبيل الله، إلى غايات قومية ووطنية، ذات طابع سياسي، مما يُسهّل في تفاهم الأعداء معها، والتفاهم عليها؛ لاحتوائها، والقضاء على منابع القوة فيها^(٤). ومعلوم من الدين أن القتال لا يكون جهاداً إلا إذا كان في سبيل الله، يقول ﷺ: ((...)) ومن قاتل تحت راية عُمِيَّة^(٥)، يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصرُ عَصْبَةً، فقتل، فقتلُ جاهلية^(٦)...))^(٧).

سادساً: تسلط الأعداء.

فالخلاف والفرقة أحد الموجبات الرئيسة لتسلط العدا، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وهذا التفريق الذي حصل من الأمة، علمائها، ومشائخها، وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

(٢) انظر أبا زيد، حكم الانتماء، ص ٧؛ وانظر «نواز شريف يبدأ جولة داخلية لحشد الدعم ضد حكومة بينظير بوتو»، جريدة الحياة، ٨/٤/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٣١، ص ٨.

(٣) إبراهيم رفعت، «المسلمون يتفنون في طرق ومظاهر الفرقة»، مجلة الدعوة العدد ١٤٥٣ (٤/٣/١٤١٥ هـ)، ص ١٢.

(٤) انظر محمد قطب، قضايا فكرية معاصرة، ص ٥٧٧ - ٥٧٨.

(٥) الأمر الأعمى، لا يستبين وجهه، كالقتال للعصبية. انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٣٨.

(٦) أي على صفة موت أهل الجاهلية. انظر المصدر السابق.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ١٣.

ورسوله^(١)، وهذا واقع أمتنا المعاصر، حيث تسلط الأعداء من كل حذب وصبوب^(٢)؛ لأن الأمة كغناء السيل، في كثرة عددها، وقلة فاعليتها، يقول ﷺ: ((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قُضْعَتِهَا))، قيل: (ومن قلة نحن يومئذ؟) قال ﷺ: ((بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاءً كغناء السيل...))^(٣).

سابعاً: الشقاق.

حيث المشاققة لله ورسوله ﷺ؛ بمفارقة ومباينة ما جاء به الكتاب والسنة^(٤)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٥)، هذه المشاققة أسهمت وتسهم في ترسيخ الشقاق البعيد بين المسلمين، حيث الخصام الدائم، والفرقة المشتتة، والمحاربة المؤذية^(٦)، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٧)، يقول محمد رضا: (كان يجب أن يحذر المسلمون من هذا الاختلاف أشد الحذر؛ لكثرة ما نهاهم الله عن الاختلاف، وأندرهم العذاب عليه في الدنيا والآخرة، وقد امثلوا أمره تعالى بالاتحاد والاعتصام، وانتهوا عما نهاهم الله عنه من التفرق والاختلاف، في عصر صاحب الرسالة، وطائفة من الزمن بعده، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، ثم لم يلبثوا أن ذهبوا في الدين مذاهب، وفرقوا دينهم، فكانوا في شريعته مشارب، فاقتتلوا في الدين قليلاً، وفي السياسة التي صبغوها بصبغة الدين كثيراً، وقد تهادوا في هذا الشقاق والاختلاف، فانتهوا إلى زمن صاروا فيه أبعد الأمم عن الاتفاق والائتلاف)^(٨).

(١) الفتاوى، ج ٣ ص ٤٢١.

(٢) انظر معالجة القضايا الإسلامية في الهيئات العالمية، وتحكم الكفار في الشؤون الداخلية للبلاد الإسلامية.

(٣) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: [٩٥٨].

(٤) انظر الحركات الأدبانية المنتشرة في عالمنا الإسلامي، وكيف هي حرب على الله سبحانه وتعالى، وعلى رسوله ﷺ.

(٥) سورة النساء، الآية ١١٥.

(٦) انظر الصوف، المخططات الاستعمارية، ص ٧١-٧٨؛ وانظر «معارك ضارية في كابول، بين الفصائل الشيعية المتناحرة»، الشرق الأوسط، ١٣/٤/١٤١٥ هـ، العدد ٥٧٧٣، ص ٤.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٧٦.

(٨) تفسير المنارج ٣ ص ٨.

ثامناً: تضيق دائرة الانتماء^(١).

في ظل الفرقة التي تعيشها الأمة خرج الفرد المسلم من سعة دائرة الإسلام؛ إلى ضيق التجزئة، وغربة الهوية؛ لوجود تلك الموانع والعوائق بين مختلف لبنات المجتمع الإسلامي. فالوطن أصبح رقعة ضيقة من الأرض. والجنسية يشترك فيها مجموعة قليلة من المسلمين، والعلم الدعوي محاط بسياج فكري ينسجم مع الاتجاه.

وفي ذلك تحجيم للإسلام، وتضييق لمتسعه، فبدلاً من أن يقال هذا مسلم، يقال هذا أجنبي، وهذا صوفي، ونحوه، يقول صاحب تفسير المنار رحمه الله: (جعلوا الدين جنسية، وصار الانتصار له عندهم عبارة عن مقاومة من لم يكن من جنسهم، وإن كان أقرب منهم إلى ما جاء في كتابهم... وهكذا يفعل أشباه اليهود من المسلمين اليوم، يعدون أنصار الدين والمتعصبين له من لا معرفة له بعقائده، وأصوله ولا بفروعه، إلا ما هو مشهور عند العامة، ولا هو يعمل بما يعلم من ذلك، وإنما يعدونه كذلك إذا هو عادى من لا يعدون من المسلمين، ولو بسبب سياسي، أو دنيوي، لا علاقة له بالإسلام)^(٢).

عاشراً: مجال للدخلاء.

فمن دائرة الخلاف، تدخل أحزاب تحمل شعار الإسلامي؛ لتخدع المسلمين، وهي حرب عليه، بما تحمله من أفكار ودعوات هدامة، كما في القاديانية، والبهائية، وغيرها من الطوائف الموالية للكفرة^(٣)، يقول صالح الفوزان: (تأثر بعض شباب هذه البلاد وخصوصاً بعض المتدينين منهم بأفكار غريبة، تفد إليهم من مجتمعات أخرى، ومن جماعات تنتسب إلى الإسلام والدعوة إليه، لكن عندها جهل كثير، وفيها أخلاط مشبهون مندسون بين تلك الجماعات)^(٤).

(١) انظر أبا زيد، حكم الانتماء، ص ١٣٨، ١٤١ - ١٤٢.

(٢) محمد رشيد رضا، ص ٣٤٤.

(٣) انظر جميل روفائيل، أيوب شتيكوفاتس، «عديتس»: يعقد اتفاقاً مع الصرب، وسرايغو: تتهمه بالايغال في الخيانة»، جريدة الحياة، ١٤١٤/٥/٩ هـ، العدد ١١٢١١، ص ٧.

(٤) الخطب المنبرية، ج ٤ ص ٤٠٠.

حادي عشر: التباس الحق بالباطل .

حيث خفي الحق على عامة الناس؛ لما يروونه حولهم من عدة ألوان للإسلام، كلها تحاط بالأدلة والبراهين، التي يقف معها المؤمن العادي موقف المحتار من أمره، يقول سيد قطب مصوراً ذلك: (أشق ما تعانيه هذه الحركات، هو: الغش والغموض واللبس الذي أحاط بمدلول: لا إله إلا الله، ومدلول الإسلام في جانب، وبمدلول الشرك، وبمدلول الجاهلية في الجانب الآخر. أشق ما تعانيه هذه الحركات هو: عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين، وطريق المشركين المجرمين، واختلاط الشارات والعناوين والتباس الأسماء والصفات، والتيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطريق)^(١).

وكان من نتيجة ذلك ظهور من يقول: (ما للدين ونظام المجتمع؟ ما للدين والاقتصاد؟ ما للدين وعلاقات الفرد بالمجتمع وبالذولة؟ ما للدين والسلوك العملي في واقع الحياة؟ ما للدين والتقاليد؟ ما للدين والملبس - وخاصة ملابس المرأة -؟ ما للدين والفن؟ ما للدين والصحافة والإذاعة والسينما والتلفزيون؟ وباختصار: ما للدين والحياة؟ ما للدين والواقع الذي يعيشه البشر على الأرض؟)^(٢).

ومثل ذلك ما ذهب إليه عباس محمود العقاد بقوله: (. . . فما الذي يمنع المسلم أن يعمل للديمقراطية أو يعمل للاشتراكية، أو يعمل للوحدة العالمية؟ وما الذي يمنع المسلم من أحكام دينه أن يقبل مذهب التطور، أو يقبل الوجودية في صورتها المثلى؟)^(٣).

ويظهر هذا الالتباس في بعض الفتاوى الفقهية التي تُصدَّرُ بأنها رأي الإسلام في تلك المسألة، وكأنه متفق عليه لا يخضع للاجتihad، فيقول أحدهم: حكم الإسلام في هذه المسألة: كذا، وكذا، وهذا يجعل المتلقي للحكم في حيرة. والأولى في ذلك الإشارة إلى أن هذا الحكم اجتهادي قابل للخطأ والصواب، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (لا يجوز أن يقول لما أداه إليه اجتهاده، ولم يظفر فيه بنص عن الله

(١) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ١١٠٦ .

(٢) محمد قطب، هل نحن مسلمون، ص ١١٠ .

(٣) التفكير، ص ١٣٢ .

ورسوله ﷺ: إن الله حرم كذا، وأوجب كذا، وأباح كذا، وإن هذا هو حكم الله^(١).
تلك هي أبرز مظاهر وآثار الخلاف والتفرق، ومعها يُدرك المتأمل المخاطر
المهلكة لهذا الواقع الذي جعل الأمة أشلاء ممزقة، وأجزاء متباعدة متنافرة، انشغلت
بنفسها عن عدوها، فأصبح التناحر والخصام صفة لازمة لها، وذلك واقع يتعارض
مع وحدة الصف والكلمة كأحد المتطلبات الرئيسة للجهاد.

(١) إعلام الموقعين، ج ١ ص ٤٩.

المطلب الثالث التقويم

وذلك في فرعين :

الفرع الأول أسس الوحدة الإسلامية

الأصل في الأمة الإسلامية الوحدة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(١)، وقال ﷺ: ((مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمى))^(٢)؛ لذلك جاء الإسلام بأسس وقواعد تكفل لتلك الوحدة استمرارية القوة والنفاذ، في مجالات الحياة المختلفة، وذلك على النحو التالي:

الأساس الأول: وحدة العقيدة^(٣).

من أعظم دواعي الوحدة، تلك العقيدة الخالدة، التي جمعت بين عباد الله الأولين والآخرين، فهي الأساس الأول، والركيزة الجامعة، بوحدتها تجتمع الأمة، وبدرجة تصدعها يكون الخلاف والتفرق قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ دِينَكَ كَدِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى﴾^(٤)، ﴿لَا تَجْعَلْ دِينَكَ كَدِينِ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٥)، ﴿لَا تَجْعَلْ دِينَكَ كَدِينِ الْفِرْعَوْنِ﴾^(٦)، ﴿لَا تَجْعَلْ دِينَكَ كَدِينِ الْكُفْرَانِ﴾^(٧)، ﴿لَا تَجْعَلْ دِينَكَ كَدِينِ الْكُفْرَانِ﴾^(٨)، ﴿لَا تَجْعَلْ دِينَكَ كَدِينِ الْكُفْرَانِ﴾^(٩)، ﴿لَا تَجْعَلْ دِينَكَ كَدِينِ الْكُفْرَانِ﴾^(١٠).

(١) سورة المؤمنون، الآية ٥٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٧.

(٣) انظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ٢ ص ٣٨٤.

(٤) سورة الشورى، الآية ١٣.

يقول صاحب الظلال رحمه الله: (يدعو المسلمين لإعلان الوحدة الكبرى للدين، من لدن إبراهيم أبي الأنبياء، إلى عيسى بن مريم، إلى الإسلام الأخير. ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بهذا الدين الواحد: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١)).

تلك الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعاً، وبين الرسل جميعاً، هي قاعدة التصور الإسلامي، وهي التي تجعل من الأمة المسلمة، الأمة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله في الأرض، الموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة في الدرب على هدى ونور، والتي تجعل من النظام الإسلامي: النظام العالمي الذي يملك الجميع الحياة في ظلّه دون تعصب ولا اضطهاد، والتي تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعاً مفتوحاً للناس جميعاً، في مودة وسلام^(٢).

الأساس الثاني: وحدة الاسم والشعار.

فالأمة تحمل اسماً واحداً، يعبر عن وحدتها، وأخوة أبنائها، يتمثل في تسمية الله لهم بالمسلمين، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا...﴾^(٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الله تعالى قد سمّانا في القرآن: المسلمين، المؤمنين عباد الله، فلا نعدل عن الأسماء التي سمّانا الله بها، إلى أسماء أحدثها قوم - وسمّوها هم وأباؤهم - ما أنزل الله بها من سلطان)^(٤)؛ بل إن تجاوز ذلك خطر عظيم وبلاء يحق بأهله، يقول ﷺ: ((من تعرّى بعزى الجاهليّة، فأعضوه بهن أبيه، ولا تكنوا))^(٥)، يقول البغوي رحمه الله تعالى: (أي: انتسب، وانتمى، كقولهم: يا لفلان، ويا لبني فلان)^(٦)، حتى وإن كانت تلك التسميات تسميات ظاهرها أسماء

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٦.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١ ص ١١١ - ١١٢.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٤) الفتاوى، ج ٣ ص ٤١٥.

(٥) صحيح الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: [٢٦٩].

(٦) الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، زهير الشاويش، ج ١٣

ص ١٢١، شرح الحديث رقم: [٣٥٤١].

إسلامية، فالرسول ﷺ سمع في بعض مغازيه قائلاً يقول: يا للمهاجرين، وآخر يقول: يا للأَنْصار، قال: ((ما بالُ دعوى الجاهليَّة!.. دعوها فإنَّها مُنتنة))^(١) فمع كون هذه الأسماء شريفة ومباحة، إلا أن التعزي بها في مثل هذا الموقف يفضي إلى معصية وبدعة مفرقة، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (هذا وهما اسمان شريفان سَمَّاهم الله بهما في كتابه، فنهاهم عن ذلك وأرشدهم إلى أن يتداعوا بـ (المسلمين) و (المؤمنين) و (عباد الله) وهي الدعوى الجامعة، بخلاف المفرقة كـ (الفلانية) و (الفلانية)^(٢)).

الأساس الثالث: وحدة التشريع.

فالشريعة واحدة، نظرياً، وعملياً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣). ليس لأحد معها حق في الشرع، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا﴾^(٤).

تتجلى وحدتها عملياً في العبادات التي تأخذ الطابع الوجداني، صفةً، وأداءً، دون تفريق بين صغير وكبير، شريف ووضيع، غني وفقير، أبيض وأسود. فالصلاة تؤدي جماعة في مكان واحد، ووقت واحد، في كل يوم وليلة خمس مرات، وفي الأسبوع وعلى نطاق أوسع، تؤدي صلاة الجمعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾^(٥). والحج عبادة يتحد فيها المسلمون مع تباعد ديارهم، وتباين لغاتهم، واختلاف أشكالهم، في وقت واحد ومكان واحد، بلباس واحد وعمل واحد، وإحساس واحد، وغاية واحدة. وفي الصوم يتحد المسلمون في وقت واحد، إمساكاً وإفطاراً، فيتحد الشعور، ويتقارب الإحساس. وفي الزكاة والصدقة يتعاضد أفراد المجتمع وكأنه جسد واحد، الغني يعطف على الفقير، والفقير يحمد للغني، كل منهم يحس بالآخر، وكأنه جزء منه.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٦؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ٨.

(٢) مدارج السالكين، ج ٢ ص ٣٨٥.

(٣) سورة الجاثية، الآية ١٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

(٥) سورة النساء، الآية ١٠٣.

الأساس الرابع : وحدة المنهج^(١) .

فالمسلم بإسلامه قد سلم أمره لله، وانقاد لأوامره ونواهيه طائعاً مختاراً؛ وتبعاً لذلك فهو يسير في هذه الحياة وفق نظام محدد، صادر من عليم حكيم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بِيكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) .

وحذر من التجاوز في ذلك، فقال تعالى: ﴿... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣) .

وبين عاقبة من تجاوز ذلك المنهج الإلهي، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءٌ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٤)، أي: (وأخذنا من النصراري الميثاق على طاعتي وأداء فرائضي، واتباع رسلي والتصديق بهم، فسلكوا في ميثاقي الذي أخذته عليهم منهاج الأمة الضالة من اليهود، فبدلوا كذلك دينهم، ونقضوه نقضهم، وتركوا حظهم من ميثاقي الذي أخذته عليهم بالوفاء بعهدي، وضيعوا أمري)^(٥)، ويقول قتادة رحمه الله تعالى: (إن القوم لما تركوا كتاب الله، وعصوا رسله، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، بأعمالهم أعمالِ السوء، ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره، ما افترقوا، ولا تباغضوا)^(٦) .

فمنهج أهل الإسلام لا يتجاوز السير على مدارج النبوة، وامتدادها الطبيعي، من السلف الصالح الذين لم يتميزوا باسم ولا رسم يخالف الكتاب والسنة .

الأساس الخامس : وحدة الدار .

فدار الإسلام واحدة لا تتعدد، وهي التي تهيمن عليها شريعة الإسلام، عقيدة

(١) انظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٢٩ .

(٤) سورة المائدة، الآية ١٤ .

(٥) تفسير الطبري، ج ٤ ص ٤٩٩ .

(٦) المصدر السابق، ص ٥٠٠ .

ومنهجاً شاملاً للحياة وما عداها فدار حرب، أو مهادنة^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكَيْلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

هي دار واحدة مهما اختلف الجنس البشري فيها، لا اعتبار للأرض، ولا للقرابة، دار ينتسب لها من يعتنق الدين الإسلامي^(٣)، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلِيَّكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلِيَّكَ جَزَبَ اللَّهُ إِلَيْنَا أُولَٰئِكَ لِيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾^(٤)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (وطن المسلم الذي يحن إليه ويدفع عنه، ليس قطعة أرض، وجنسية المسلم التي يُعرف بها ليست جنسية حكم، وعشيرة المسلم التي يأوي إليها، ويدفع عنها، ليست قرابة دم، وراية المسلم التي يعتز بها ويستشهد تحتها، ليست راية قوم، وانتصار المسلم الذي يهفو إليه، ويشكر الله عليه، ليس غلبة جيش، إنما هو كما قال الله عنه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٥)، إنه النصر تحت راية العقيدة دون سائر الرايات، والجهاد لنصرة دينه وشريعته، لا لأي هدف من الأهداف، والزيادة عن دار الإسلام بشروطها تلك، لا أية دار، والتجرد بعد هذا كله لله^(٦)، ويقول المودودي رحمه الله مصوراً رحلة ابن بطوطة داخل الدار الإسلامية: (سافر فيه من شاطئ المحيط الأطلسي إلى شاطئ البحر الهاديء، ولم يُعتبر في أي قطرٍ مر به أجنبياً، بل وافته الفرص حيثما حلّ؛ لأن يصبح قاضياً، أو وزيراً، أو سفيراً، ولم يراقب في حركاته وسكناته، ولم يسأله أحد عن هويته، أو جنسيته، أو مهنته، أو وطنه)^(٧).

(١) انظر المطلب الثاني، من المبحث الثالث، في الفصل الثالث من هذا الباب.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٣) انظر سيد قطب، معالم في الطريق، ص ١٣٦ - ١٤٠.

(٤) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٥) سورة النصر.

(٦) مصدر سابق، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٧) الإسلام والمدنية الحديثة، الطبعة التاسعة، ص ٤٤.

الأساس السادس : الابتعاد عن مداخل الخلاف والتفرق .

فقد كان ﷺ يحذر من الاختلاف عموماً؛ لما قد يفضي إليه من قطيعة وتدابير، يقول ﷺ: ((... لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ...))^(١) . وكلما بدا له مظهر من مظاهر الخلاف، كفته، وأوصد بابه وحذر أصحابه منه، فعندما جاءه ابن مسعود رضي الله عنه مختلفاً مع أحد الصحابة حول آية من القرآن، قال لهما: ((كِلَاكُمَا محسن، فاقراً - قال راوي الحديث: أكبر علمي قال: - فَإِنَّ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَأَهْلَكَهُمْ))^(٢) .

كما نهى عن الحسد والبغضاء والقطيعة، باعتبارها منافذ للفرقة، فقال ﷺ: ((لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباعدوا، ولا تحاسدوا، وكونوا إخواناً، كما أمركم الله))^(٣) ، يقول ابن رجب: (فيه إشارة إلى أنهم إذا تركوا التحاسد، والتناجش، والتباغض، والتدابير، وبيع بعضهم على بعض، كانوا إخواناً، وفيه أمر باكتساب ما يصير المسلمون به إخواناً على الإطلاق، وذلك يدخل فيه أداء حقوق المسلم على المسلم، من رد السلام، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، وتشجيع الجنازة، وإجابة الدعوة، والابتداء بالسلام عند اللقاء، والنصح بالغيب)^(٤) .

كما نهى عن التجسس وسوء الظن، وذكر المرء بما يكره، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا يَحْسَسُوا وَلَا يَخْتَفُونَ بَعْضًا مِّنَ بَعْضٍ﴾^(٥) ، وقال ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحْسَسُوا، وَلَا تَحْسَسُوا...))^(٦) ، يقول ابن عثيمين عندما سُئِلَ عن تناقل ما فيه التعرض للآخرين: (الواجب إخماد الفتنة، وإزالة ما به الفرقة، فلا أرى أن يتناقل هؤلاء، أن يتناقل الناس هذا الكلام)^(٧) ؛ لما يفضي إليه ذلك من تفكك، وتشتت، قال تعالى: ﴿إِنَّ

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ٢٨ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب ٣٧ .

(٣) مسلم، مصدر سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب ٩ .

(٤) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص ٣٣١ .

(٥) سورة الحجرات، الآية ١٢ .

(٦) مسلم، مصدر سابق .

(٧) الباب المفتوح، اللقاء التاسع والستون .

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَنتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾ .

الأساس السابع: مبدأ الإصلاح .

الإصلاح بالعدل بين المتخاصمين والمتنازعين، أحد الواجبات الرئيسة التي تركز عليها الوحدة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٢)، ويقول ﷺ: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالفة))^(٣) .

بل إنه ﷺ عدَّ الكذب للإصلاح كذباً مباحاً، يقول ﷺ: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً، أو يقول خيراً))^(٤)، يقول صاحب تفسير المنار: (أصلحو نفس ما بينكم، وهي: الحال والصلة التي بينكم، تربط بعضكم ببعض، وهي: رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بالوفاق والتعاون، والمواساة، وترك الأثرة، والتفوق، وبالإيثار أيضاً... وأمرنا في الكتاب والسنة بإصلاح ذات البين، فهو واجب شرعاً يتوقف عليه قوة الأمة، وعزتها، ومنعتها، وتحفظ به وحدتها)^(٥) .

ومنهج الإصلاح في ذلك كما بينه العلماء بقولهم: (لا تخلو الفتان من المسلمين في اقتتالهما، إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعاً، أو لا، فإن كان الأول، فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح ذات البين، ويثمر المكافأة والموادعة. فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا، وأقامتا على البغي، صير إلى مقاتلتها. وأما إن كان الثاني، وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى، فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب؛ فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل. فإن التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما، وكلتاها عند أنفسهما محقة، فالواجب إزالة الشبهة بالحجة النيرة، والبراهين القاطعة على مرشد الحق. فإن ركبتا متن اللجاج، ولم تعملتا على شاكلة ما هُديتا إليه، ونصحتا به، من اتباع الحق بعد وضوحه لهما، فقد لحقتا بالفتن الباغيتين)^(٦) .

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٩ .

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٠ .

(٣) حديث صحيح . السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٢٨٦٦] .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب ٢ .

(٥) محمد رشيد رضا، ج ٩ ص ٥٨٧ .

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦ ص ٣١٧ .

هذا المنهج الإسلامي في الإصلاح أحوج ما تحتاجه الأمة اليوم، حيث النزاع والشقاق بين طوائف المسلمين، في ظل غياب المُصلح الإسلامي، الذي يتخذ من ذلك المنهج قاعدة وطريقاً يقضي به على المنازعات والشقاقات^(١).

الفرع الثاني

التزام أدب الاختلاف

للحوار بين المختلفين أدب^(٢) مبني على أسس شرعية، يتمشى بموجبها الإنسان ويتعامل مع نفسه ومع مُخَالِفه^(٣)، ومع المادة العلمية المُخْتَلَف فيها، فيُنضِب الحوار، وتوضح الأهداف، وتقبل النتيجة. وفقدانه يجعل الاختلاف خلافاً، والنتيجة نزاعاً وشقاقاً. وهذا شيء من التفصيل حول هذا الأدب:

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة^(٤).

بجعلهما مرجع النقاش ومداره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَردُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٥)، ويقول ﷺ: ((تركْتُ فيكم شيئين، لن تضلُّوا بعدهما: كتاب الله، وسُنَّتِي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض))^(٦).

فلا يُعدل عن الكتاب والسنة إلى معقولٍ، أو قولٍ، أو هوى، سئل الشافعي رحمه الله عن مسألة، فقال: (قضى فيها رسول الله ﷺ كذا، وكذا، فقال رجل: ما تقول أنت؟! فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة! تراني في بيعة! ترى على وسطي زناراً؟! أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟!)^(٧)، ويقول

(١) انظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ١ ص ٤٠٩ - ٤١٣.

(٢) انظر يحيى ززمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة.

(٣) انظر عبد الله الطريقي، فقه التعامل مع المخالف.

(٤) انظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٧٧؛ وانظر الأشقر، فقه الاختلاف، ص ٥٨ - ٦١.

(٥) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٦) حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم حديث: [٢٩٣٧].

(٧) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٠٠؛ وانظر البيهقي، مناقب الشافعي، الطبعة =

صاحب المنار رحمه الله تعالى: (فطاعة الله هي: الأخذ بكتابه كله، وفيه ما رأيت من النهي عن الاختلاف والتفرق في الدين، وإطاعة رسوله بعد وفاته هي: الأخذ بسنته، وطاعة أولي الأمر هي العمل بما يتفق أهل الحل والعقد، وأولو الشأن من علمائنا ورؤسائنا، بعد المشاورة بينهم في أمر اجتهادي، على أنه الأصلح لنا، الذي يستقيم به أمرنا، فإن وقع التنازع والاختلاف، وجب رده إلى الله ورسوله، وتحكيم الكتاب والسنة فيه، ولا يجوز أن يتمادى المسلمون على التفرق والاختلاف بحال)^(١).

ثانياً: إرجاع الحق إلى أهله^(٢).

وعلماء الأمة، وولاة الأمر من الأمراء، والولاة العالمون، هم الأولى في حسن الفهم والشرح والتدبير، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَكَوَرُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَالْحَيِّ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (أي لو أنهم ردوا ما يبلغهم من أبناء الأمن أو الخوف إلى الرسول ﷺ إن كان معهم، أو إلى أمرائهم المؤمنين، لعلم حقيقته القادرون على استنباط هذه الحقيقة واستخراجها من ثنايا الأنبياء المتناقضة، والملابسات المترابطة)^(٤)، فالعلماء أمناء الله على هذه الأمة يقول ﷺ: ((العلماء أمناء أمتي))^(٥)، وهم الظاهرون على الحق، يقول ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق))، يقول البخاري رحمه الله تعالى مبيناً هذه الطائفة الظاهرة: (هم أهل العلم)^(٦)؛ لذلك قدمهم الولاة، وجعلوهم أهل الرأي والمشورة، يقول البخاري رحمه الله تعالى: (كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة؛ ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة، لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ... وكان القراءة

= الأولى، ج ١ ص ٤٧٤.

(١) محمد رشيد رضا، ج ٣ ص ٩ - ١١.

(٢) انظر الأشقر، فقه الاختلاف، ص ٩٣ - ٩٨.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٣.

(٤) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ٧٢٤.

(٥) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٥٧٠٢].

(٦) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب ١٠؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣

ص ٣٠٦.

أصحاب مشورةٍ عمر كهولاً كانوا أو شباناً. . . (١).

ودورهم بارز في حماية ما فيه حياة المجتمع، وصيانتته من المؤثرات المنحرفة، يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة) (٢).

أما الولاية فسلطان الله في الأرض، يقول ﷺ: ((السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، يَاوِي إِلَيْهِ الضَّعِيفُ وَبِهِ يَنْتَصِرُ الْمَظْلُومُ، وَمَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (٣).

بهم قوام الدين، وحفظه، يقول الحسن رحمه الله تعالى في الأمراء: (هم يلون أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا، أو ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن الله إن طاعتهم لغيظ، وإن فرقتهم لكفر) (٤).

ثالثاً - التزام المنهج الإسلامي نظرياً وعملياً (٥).

فلسف الأمة الصالح منهج مُحدد في النظر والاستدلال من الكتاب والسنة (٦)، يقول الشافعي رحمه الله: (لا يجوز له أن يقضي ويفتي حتى يكون عالماً بالكتاب، وبما قال أهل التأويل في تأويله، وعالماً بالسنن والآثار، وعالماً باختلاف العلماء،

(١) المصدر السابق، باب ٢٨.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة، الطبعة الثانية، ص ٨٥.

(٣) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٤٨١٧].

(٤) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج ٢ ص ٢٧٨.

(٥) انظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ٧٥١ - ٧٧٥؛ ج ٢ ص ٨٠٧ - ٨٢٥، ١١٢٩ - ١١٤٥.

(٦) انظر ابن القيم، إعلام الموقعين، ج ١ ص ٣٦ - ٤٠؛ وانظر العبد، عبد الحليم، أسباب اختلاف المسلمين، ص ٦٧ - ٧٢.

حسن النظر، صحيح الأود^(١)، ورعاً، مشاوراً فيما اشبهه عليه^(٢)، ويقول ابن تيمية رحمه الله: (لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية، يردُّ إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل بالجزئيات، وجهل وظلم في الكلّيات، فيتولد فساد عظيم)^(٣)، يلتزم هذا المنهج الإلهي فيسير وفق معالمه، ويقف على حدوده لا يتجاوزه إلى غيره بحال من الأحوال، يقول عمر رضي الله عنه: (إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به، ولا يلتفتك عنه الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله، فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله، ولم يكن فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله، ولم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتكلم فيه أحدٌ قبلك فاختر أيّ الأمرين شئت: إن شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدّم فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيراً لك)^(٤).

ومن ذلك البعد عن المغالطات، كشرار المسائل ونحوها، مما فيه تكلف وتعمق لا يحتاجه المسلم^(٥).

تلك بعض القواعد والمناهج التي سار عليها فقهاء الإسلام، واشتروطوا في القضاة والمفتين^(٦).

رابعاً: التأسى بالسلف الصالح.

فهم القدوة لمن رام الطريق السوي، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٧)، يقول مجاهد رحمه الله

(١) الأود: العوج. انظر ابن منظور، لسان العرب، «أود».

(٢) ابن عبد البر، مصدر سابق، ص ٩٠٨.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال، في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص ٣٢٠.

(٤) سنن الدارمي، المقدمة، باب ٢٠؛ وانظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ٨٤٦ - ٨٤٧.

(٥) انظر الخطابي، معالم السنن، ج ٤ ص ١٧٢.

(٦) انظر ابن عبد البر، مصدر سابق، ص ٩٠٨.

(٧) سورة الفرقان، الآية ٧٤.

تعالى: (أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا)^(١)، ويقول عمر بن عبد العزيز: (خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم، فإنهم أعلم منكم)^(٢). وما ذاك إلا لأن الفضل والخير في من سلف، يقول ﷺ: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...))^(٣)، فهم الأتقى، والأبعد عن مواطن الخلل ودواعيه^(٤)، يقول الشاطبي رحمه الله: (لا يمكن أن يبلغ المتأخرون أبداً مبلغ المتقدمين، فخير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وهكذا يكون الأمر أبداً إلى قيام الساعة فأقوى ما كان أهل الإسلام في دينهم، وأعمالهم، وبيعتهم، وأحوالهم، في أول الإسلام، ثم لا زال ينقص شيئاً فشيئاً، إلى آخر الدنيا. لكن لا يذهب الحق جملة، بل لا بدّ من طائفة تقوم به وتعتقده)^(٥).

وهم الأعلام، والأصح منهجاً، والأقوم طريقاً، يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (قف حيث وقف القوم، وقل كما قالوا، واسكت كما سكتوا، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر ناقد كفوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أخرى، أي فلتن كان الهدى ما أنتم عليه فلقد سبقتموهم إليه، ولئن قلت حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من سلك غير سبيلهم، ورجب بنفسه عنهم، وإنهم لهم السابقون، ولقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، ولا فوقهم مجسر ولقد قصر عنهم قوم فجفوا، وطمح آخرون عنه فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم)^(٦)، ويقول ابن القيم رحمه الله: (لا ريب أنهم كانوا أبر قلوباً، وأعمق علماً، وأقل تكلفاً، وأقرب إلى أن يوقفوا فيها، لما لم نوفق له نحن؛ لما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوى الرب تعالى... أما المتأخرون فقواهم متفرقة، وهممهم متشعبة، فالعربية وتوابعها

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣ ص ٢٦٥.

(٢) ابن رجب، فضل علم السلف، ص ٣٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ٩.

(٤) انظر ابن عبد البر، مصدر سابق، ج ٢ ص ٩٤٦ - ٩٤٧.

(٥) الاعتصام، ج ١ ص ٣٢٩.

(٦) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج ٤ ص ١٢٢؛ وانظر السيوطي جلال الدين، الأمر بالاتباع

والنهي عن الابتداع، الطبعة الأولى، ص ٢٢.

قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به، قد أخذ منها شعبة، إلى غير ذلك من الأمور، فإذا وصلوا إلى النصوص النبوية إن كان لهم همم تسافر إليها، وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها، وأوهن قواهم مواصلة السرى في سواها فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب القوة^(١).

خامساً: إخلاص النية^(٢).

بترك المراءاة، وقصد غير الحق، يقول ﷺ: ((من طلب العلم ليُجاري به العلماء، أو ليُماري به الشُّفهاء، أو يَصْرِفَ به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار))^(٣)، فضالة المؤمن الحق للحق، يجتهد في طلبه من مظانه، أينما وجده اتبعه، فهذا عمر يقبل قول المرأة في مهور النساء، ويتراجع عن رأيه أمام المسلمين بعدما تبين له الحق، ويطلق عبارته الشهيرة: (أصابت امرأة، ورجلٌ أخطأ)^(٤).

فكان ذلك منهج السلف الصالح، قبول الحق ممن بذله وإن كان ضيعاً، أو ضعيفاً، أو صغيراً، مع سرعة الخضوع له والالتزام به^(٥)، يقول ابن تيمية رحمه الله: (أنا أمهل من يخالفني ثلاث سنين، إن جاء بحرف واحد عن أحد من أئمة القرون الثلاثة يخالف ما قلته، فأنا أقر بذلك)^(٦)، ويقول الشافعي رحمه الله: (ما كلمت أحداً قط، إلا أحببت أن يوفق، ويسدد، ويعان، ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحداً قط، وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني، أو على لسانه) وقال: (ما ناظرت أحداً قط، فأحببت أن يخطيء)^(٧)؛ لأن هدفهم الحق، وهذا ما

(١) المصدر السابق، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٢) انظر أبا حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١ ص ٣٨؛ وانظر الشوكاني، أدب الطلب، ص ٢٨؛ وانظر الحميد، أدب الاختلاف، ص ٣٥؛ وانظر الطريقي، فقه التعامل مع المخالف، ص ٣٠ - ٣١.

(٣) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٨٨٤٠].

(٤) ابن رجب، الفرق بين النصيحة والتعبير، الطبعة الأولى، ص ١٠.

(٥) انظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ٢ ص ٩٢٠؛ وانظر ابن رجب، المصدر السابق.

(٦) الفتاوى، ج ٣ ص ٢٢٩.

(٧) انظر أبا حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١ ص ٢٤.

جعل أحد السلف يقول عندما تبين له الحق: (إذا أرجع وأنا صاغر؛ لأن أكون ذنباً في الحق، أحبُّ إليَّ أن أكون رأساً في الباطل)^(١).

أما المرءة فكانوا منها على حذر؛ لأنها مدخل للشيطان، ومظنة زلة العالم، يقول مسلم بن يسار رحمه الله تعالى: (إياكم والمرءة، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته)^(٢).

وهذا ما تحتاجه الأمة اليوم، يقول ابن عثيمين: (. . . ماذا نصنع مع قوم قد يخالفوننا في العقيدة، أو قد يخالفوننا في السلوك؟ . . . أعتقد أنه متى صلحت النية، وخلص القصد، وحسن الطريق، اعتقد أنهم سيفتقون، ولا يمكن أن يكون اختلاف)^(٣).

سادساً - إدراك أن الاختلاف أمر طبيعي .

فتحت دائرة الاجتهاد الشرعي، لكل شخص رأيه الخاص، وتفكيره الحر، قال تعالى: ﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾^(٤)، مما يدل على أن لكل فرد حقاً في أن يكون له موقف فكري، لا يتعدى به عملياً موقف الجماعة.

واحتمال الخطأ في ذلك الموقف الفكري، وارد عند الجميع، يقول ﷺ: ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ))^(٥)، يقول مالك رحمه الله تعالى: (إنما أنا بشر أخطيء وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه)^(٦).

وتبعاً لذلك فكل شخص يؤخذ من قوله، ويرد عليه، وإن علت منزلته العلمية والمكانية بين أفراد المجتمع، يقول مجاهد رحمه الله: (ليس أحدٌ من خلق الله، إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ)^(٧).

(١) الشاطبي، الاعتصام، ج ١ ص ١٩٦.

(٢) سنن الدارمي، المقدمة، باب ٣٥.

(٣) إلى متى هذا الخلاف، ص ٣٤ - ٣٥.

(٤) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٥) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٦٢٩٢].

(٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ٧٧٥.

(٧) المصدر السابق، ج ٢ ص ٩٢٥ - ٩٢٦.

ويبقى الدم والحذر من ذلك مقيداً بما يترتب على الاختلاف من آثار سلبية، ونتائج عكسية على واقع الأمة الوجودي^(١)، يقول عبد الله التركي: (وعلى المسلمين أن لا يروعهم الاختلاف، وأن لا يفرق بينهم، ما دامت الآراء لأصحابها، وليست هي الدين الذي يجب على المرء اتباعه)^(٢).

سابعاً: حسن الظن بالآخرين، نيةً وعملاً.

وهذا هو الأصل في العلاقة بين المختلفين، وما يطراً من شكوك وشبهات حول موقف معين، فتلك ظنون لا تأخذ صفة الحكم، بل إن غالبها الإثم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾^(٣)، ويقول ﷺ: ((إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ))^(٤).

وقد يظن المرء ظناً، لكنه لا يدخل في دائرة الدم ما لم يتكلم به، يقول سفيان الثوري رحمه الله: (الظَّنُّ ظَنَانٌ: فَظَنُّ إِثْمٌ، وَظَنٌّ لَيْسَ بِإِثْمٍ، فَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي هُمَ إِثْمٌ: فَالَّذِي يَظُنُّ ظَنًّا وَيَتَكَلَّمُ بِهِ، وَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي لَيْسَ بِإِثْمٍ: فَالَّذِي يَظُنُّ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ)^(٥).

يقول صاحب الظلال رحمه الله متفيئاً في ظلال الآية السابقة: (هذا النص يقيم مبدأ في التعامل، وسياجاً حول حقوق الناس الذين يعيشون في مجتمعه النظيف، فلا يؤخذون بظنة، ولا يحاكمون بريبة؛ ولا يصبح الظن أساساً لمحاكمتهم... يظل الناس أبرياء، مصونة حقوقهم، وحررياتهم، واعتبارهم، حتى يتبين بوضوح أنهم ارتكبوا ما يؤاخذون عليه، ولا يكفي الظن بهم لتعقبهم بغية التحقق من هذا الظن الذي دار حولهم!)^(٦).

ويدخل في ذلك التماس العذر للمخالف، وقد كان ذلك منهج سلفنا الصالح، كل يعذر الآخر فيما ذهب إليه^(٧)، يقول ﷺ: ((أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ، إِلَّا

(١) انظر جمال سلطان، فقه الخلاف، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) أسباب اختلاف الفقهاء، ص ٢٢٥.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٤) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، كتاب ٥٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) في ظلال القرآن، ج ٦ ص ٣٣٤٥.

(٧) انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٤ ص ٢٤؛ وانظر التركي، مرجع سابق، ص ٤٤.

(الْحُدُودِ))^(١)، يقول المناوي رحمه الله تعالى: (المأمور به العفو عن هفوة، أو زلة، لا حدَّ فيها)^(٢).

ثامناً: عدم تزكية النفس.

باتهامها بقصور الفهم والجهد، وهذا هو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فقد كان اتهام النفس في التقصير، مُقدّم على قول الرأي، وكثيراً ما قالوا: هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأً، فمني، ومن الشيطان^(٣)، يقول سهل بن حنيف رضي الله عنه: (أيها الناس! اتهموا رأيكم والله! لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أنني أستطيع أن أورد أمر رسول الله ﷺ لرددته، والله! ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر قط، إلاّ أسهَلْنَا بنا إلى أمر نعرفه، إلا أمركم هذا)^(٤)، وكان ابن سيرين إذا سُئِلَ عن شيء قال: (ليس عندي فيه إلاّ رأي أتَّهمه)^(٥).

كما كان أبو الدرداء وغيره من الصحابة إذا حَدَّثُوا عن رسول الله ﷺ، قالوا: (... هذا ونحوه.. أو شبهه... أو شكله... هكذا... أو كما قال رسول الله ﷺ)^(٦)؛ اتهاماً للنفس في قصور الفهم والحفظ، ولم يكن أحد منهم يقطع في قوله تزكية لنفسه، يقول الحسن رحمه الله تعالى: (اتهموا أهواءكم ورأيكم على دين الله، وانتصحو كتاب الله على أنفسكم)^(٧).

تاسعاً: سعة الأفق، وحسن المعاملة مع المخالفين.

فيصغي بكل تمعن ومتابعة للمخالف، حتى يتدبر قوله ورأيه، مشعراً إياه بالاحترام والجدية، وإعطائه الفرصة كاملة في إبداء رأيه، والتعبير عما يريد، مع ما

(١) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٣٦٣].

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، الطبعة الثالثة، ج ١ ص ١٩٧.

(٣) انظر ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٤٨؛ وانظر ابن القيم، إعلام الموقعين، ج ١ ص ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ٣٤؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب ٢٨.

(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ٧٧٧.

(٦) سنن الدارمي، المقدمة، باب ٢٨.

(٧) ابن بطة، الإبانة ج ١ ص ٣٨٩.

يصاحب ذلك من مودة وألفة، فهذا رسول الله ﷺ يظهر الاستعداد للاستماع لمن طلب محاورته، بكل تواضع، فعندما قال له الأعرابي: (إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك)، قال له ﷺ: ((سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ))^(١) فسأل بكل جرأة وحرية رأي وتعبير، ورسول الله ﷺ يستمع بإنصات حسن، وصبر على ما بيديه الأعرابي من تعد على حق التعظيم اللائق بمنزلته ﷺ^(٢).

فكان بذلك ﷺ قدوة للمتحاورين، يقول ابن تيمية رحمه الله: (كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿... فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٣)، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة. وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة، وأخوة الدين)^(٤)؛ لأن التعنيف والتغليظ مدخل للقطيعة والتهاجر، وفي ذلك خروج على مقاصد الإسلام الأخوية، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى (لو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا، لم يبق بين المسلمين عصمة، ولا أخوة)^(٥). وعند عرض ومناقشة آراء المخالفين، يتأدب بأدب الإسلام بعدم التجاوز في النقد والإنكار على المخالفين، والتعامل عليهم. فيلتزم العدل والإنصاف، يرد بالطف إشارة، وأنبأ عبارة، مبتعداً عن الكلمة الجارحة، والعبارة اللاذعة^(٦)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٧)، فالمسلم ليس بالسباب، ولا اللعان، ولا الفاحش البذيء في القول والفعل، مثله في ذلك القدوة المصطفى ﷺ^(٨)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (لا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم، أو ذمهم، أو نهيمهم، أو هجرهم، أو عقوبتهم؛ بل يقال لمن اعتدى عليهم: عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت... فإن كثيراً

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ٦.

(٢) انظر المصدر السابق، وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ١ ص ١٨٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) الفتاوى، ج ٢٤، ص ١٧٢.

(٥) المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٦) انظر العلواني، أدب الاختلاف، ص ٥٠؛ وانظر الحميد، أدب الاختلاف، ص ٣٧.

(٧) سورة فصلت، الآية ٣٤.

(٨) انظر البخاري، الأدب المفرد، الطبعة الثانية، ص ١٥٤.

من الأمرين الناهين، قد يتعدى حدود الله، إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكافرين، والمنافقين والفاستقين والعاصين... يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع: من العلم، والرفق، والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل^(١)، وحد هذه المعاملة الحسنة دائرة الاختلاف السائغ، أما المخالف المذموم: فيعامل معاملة أهل البدع والأهواء^(٢).

عاشراً: العمل على التآليف والتقريب بين وجهات النظر والآراء المتباينة.

بالاتبعاد عن الإسراف الجدلي، والتعمق في الاختلاف، حسماً لمادة الشقاق، يقول ﷺ: ((اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا اتَّخَلَفَ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فقوموا عنه))^(٣)، وقال عندما اختلف بعض الصحابة حول آية قرآنية كريمة: ((مهلاً يا قوم! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكدب بعبئه بعضاً، بل يصدق بعبئه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه))^(٤).

أحد عشر: الاعتراف بما مع المخالفين من حق^(٥).

قد يكون مع بعض المخالفين شيء من الصحة، وهنا لا بد من العدل في ذلك، والاعتراف بوجه الحق الذي يحتمله رأي المخالف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾^(٦)، يقول الطبري رحمه الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم، القيام لله شهداء بالعدل، في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي، في أوليائكم؛ لولايتهم لكم ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه

(١) الفتاوى، ج ١٤ ص ٤٨١ - ٤٨٢.

(٢) انظر المصدر السابق، ج ٢٤، ص ١٧٢، ١٧٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب ٢٦.

(٤) إسناده صحيح. مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر، رقم الحديث: [٦٧٠٢].

(٥) انظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٦) سورة المائدة، الآية ٨.

بأمري^(١)؛ لذلك وجه ﷺ إلى عدم جحد ما مع المخالفين من أوجه الحق^(٢)، عندما قال للمختلفين في القراءة: ((كلاكما محسن))^(٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله: (المختلفون المذمومون: كل منهم يبغى على الآخر، فيكذب بما معه من الحق، مع علمه أنه الحق، ويصدق بما معه من الباطل، مع العلم^(٤) أنه باطل)^(٥).

اثني عشر: إنزال الناس منازلهم.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٦)، ويقول ﷺ: ((أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))^(٧)، فلكل ذي حق حقه المشروع اللائق بمكانه العلمي، والسلطاني، والإيماني، والاجتماعي، في جميع المعاملات والمخاطبات^(٨)، من غير غلو، ولا تفريط، يقول ﷺ: ((لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ))^(٩)، فإذا كان ذلك كذلك في رسول الله ﷺ، فكيف بالإفراط في غيره من العلماء والأمرء، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (يعطى كل شخص أو نوع من أنواع العالم، من الحقوق: ما أعطاهم إياه الرسول، فالمقرب من قربه، والمقصى من أقصاه، والمتوسط من وسطه. ويحب من هذه الأمور: أعيانها وصفاتها، ما يحبه الله ورسوله منها، ويكره منها ما كرهه الله ورسوله منها، ويترك منها - لا محبوباً ولا مكروهاً - ما تركه الله ورسوله كذلك - لا محبوباً ولا مكروهاً. ويؤمر منها بما أمر الله به ورسوله، وينهى عما نها الله عنه ورسوله، ويباح منها ما أباحه الله ورسوله، ويعفي عما عفى الله عنه ورسوله، ويفضل منها ما فضله الله ورسوله، ويقدم ما قدمه الله ورسوله، ويؤخر ما أخره الله ورسوله، ويرد ما تنوزع منها إلى الله ورسوله، فما وضح اتبع، وما اشتبه

(١) تفسير الطبري، ج ٤ ص ٤٨٢.

(٢) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ١٢٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب ١.

(٤) في بعض النسخ التي اعتمد عليها المحقق: مع علمه. ولعله الأصوب.

(٥) منهاج السنة، ج ٥ ص ٢٦٤.

(٦) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٧) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٢٧٣٥].

(٨) انظر المناوي، التيسير، ج ١ ص ٣٨٠؛ وانظر ابن سعدي، المجموعة الكاملة، ج ٢

ص ٣٥؛ وانظر العثيمين، الباب المفتوح، اللقاء التاسع والستون، ١٣/٣/١٤١٥ هـ.

(٩) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ٤٨.

بين فيه^(١). وفي مقابل ذلك لكل حقه ومكانته، وما لها من تبعات تفرض عدم التعرض له بسوء، يقول ﷺ: ((السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ أكَرَمَهُ أَكْرَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللَّهُ))^(٢)، يقول ابن سعدي رحمه الله: (يعاشر الخلق بحسب منازلهم، فالكبير له التوقير والاحترام، والصغير يعامله بالرحمة والرفقة المناسبة لحاله، والنظير يعامله بما يجب أن يعامله به، وللأم حق خاص بها، وللزوجة حق آخر، ويعامل من يُدِلُّ عليه ويثق به، ويتوسع معه، ما لا يعامل به من لا يثق به، ولا يدل عليه. ويتكلم مع الملوك وأرباب الرئاسات بالكلام اللين المناسب لمراتبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿^(٣). ويعامل العلماء بالتوقير والإجلال والتعلم، والتواضع لهم، وإظهار الافتقار والحاجة إلى علمهم النافع، وكثرة الدعاء لهم)^(٤).

هكذا يجعل الإسلام من الاختلاف وسيلة اجتهاد للوصول إلى أفضل ما يُسهم في تحقيق غايات الأمة دون أن يصل ذلك الاجتهاد إلى مرحلة الخلاف المؤدي إلى الخصام، والنزاع المعطل للجهد.

(١) الفتاوى، ج ٣ ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٢) صحيح السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٤٨١٥].

(٣) سورة طه، الآية ٤٣ - ٤٤.

(٤) المجموعة الكاملة، ج ٥ ص ٣٥ - ٣٦.

المطلب الرابع التطبيق العملي

واجه علماء الإسلام مستجدات الحياة العلمية والعملية بالبيان والإيضاح عموماً، وفي ما يفضي إلى الخلاف والفرقة خصوصاً، بالتأكيد على الوحدة الإسلامية، وأنه لا انتماء إلا للإسلام، فكانوا يتعهدون الأمة بالتحذير من كل ما قد يسهم في نشوء وترسيخ أسماء محدثة، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الانتساب إلى جنس معين من أجناس بعض شرائع الدين، كالتجند للمجاهدين، والفقهاء للعلماء والفقر والتصوف للعباد، أو الانتساب إلى بعض فرق هذه الطوائف، كإمام معين، أو شيخ، أو ملك أو متكلم من رؤوس المتكلمين، أو مقالة، أو فعل تتميز به طائفة، أو شعار هذه الفرق، من اللباس من عمام، أو غيرها، كما يتعصب قوم للخرق، أو اللبسة، يعنون الخرق الشاملة للفقهاء، والفقراء، أو المختصة بأحد هذين، أو بعض طوائف أحد هؤلاء، أو لباس التجند، أو نحو ذلك. كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة، وأهلها: خارجون عن السنة والجماعة، داخلون في البدع والفرقة)^(١).

وكان يقول: (التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله به، ولا رسوله، مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلي، أو قرفندي، فإن هذه أسماء باطلة، ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ، ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأئمة، لا شكيلي، ولا قرفندي؛ بل أنا مسلم)^(٢).

وبين في ذلك الوجه الجائز في حال وقوعه، وحده الشرعي^(٣) بقوله:

(١) الفتاوى، ج ٣ ص ٣٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١٥؛ وانظر الوصية، ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ٢١١.

(الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها، مثل: انتساب الناس إلى إمام، ك: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، أو إلى شيخ: ك: القادري، والعدوي، ونحوهم، أو مثل الانتساب إلى القبائل، ك: القيسي، واليماني، وإلى الأمصار ك: الشامي، والعراقي، والمصري. فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء، ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم، من أي طائفة كان^(١) - حتى قال: - ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنون، وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة، سواء كان من أهل نسبة أو بلدة، أو مذهب، أو طريقة، أو لم يكن^(٢)).

وهذا يجعلها أسماء تدور في فلك مفهوم الأمة الإسلامية، ولأء وبراء، اسماً ورسماً، لا تفضي ولا تدعو إلا بدعة، أو تعصب، الكتاب والسنة مصدرها، ومنهج النبوة طريقها، والحق غايتها.

وعلى هذا المنهج سار المسلمون وهم يواجهون تلك الدعاوي المفرقة، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن العباد: (إن سُئِلَ عن شيخه؟ قال: الرسول ﷺ. وعن طريقه؟ قال: الاتباع. وعن خِرْقَتِهِ؟ قال: لباس التقوى. وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة. وعن مقصوده ومطلبه؟ قال: ﴿... يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾^(٣). وعن رباطه وعن خاناكاه؟ قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمَاءُ سَبَّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾^(٤). وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم وعن مأكله، ومشربه؟ قال: «مالك ولها، معها حذاؤها، وسقاؤها، ترد الماء، وترعى الشجر، حتى تلقى ربها»^{(٥)(٦)}.

كما حكموا على البدع ودعاتها بحسب جنائهم على الدين، وعلى الجماعة،

(١) الفتاوى، ج ٣ ص ٤١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١٨؛ وانظر الوصية، ص ٤٨ - ٥٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٢.

(٤) سورة النور، الآية ٣٦ - ٣٧.

(٥) يشير بذلك إلى جوابه ﷺ لمن سأله عن لقطه الإبل. انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب

٢٨.

(٦) مدارج السالكين، ج ٣ ص ١٨٢ - ١٨٣.

يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: (إن القيام عليهم: بالثريب، أو التنكيل، أو الطرد، أو الإبعاد، أو الإنكار؛ هو بحسب حال البدعة في نفسها؛ من كونها: عظيمة المفسدة في الدين أو لا، وكون صاحبها مشتهراً بها أو لا، وداعياً إليها أو لا، ومستظهاً بالاتباع أو لا، وخارجاً عن الناس أو لا، وكونه عاملاً بها على جهة الجهل أو لا)^(١)؛ لذلك تفاوت موقف العلماء والولاة من هؤلاء المخالفين المبتدعين، حسب حالهم^(٢). وفيما يلي بيان مختصر لشيء من تلك الأحكام والمواقف:

١ - الإرشاد والتوجيه؛ لإبطال الحججة، وإقامة الدليل^(٣)، ومن ذلك ما قام به علي بن أبي طالب وابن عباس مع الخوارج، حيث ناظروهم، وأرشدوهم إلى خطأ ما قالوا به، وبطلان ما ذهبوا إليه وكان من نتيجة ذلك رجوع ما بين ألفين إلى أربعة آلاف^(٤)، عرفوا الحق فاتبعوه. ومن ذلك مناظرة عمر بن عبد العزيز للقدرين: غيلان، وإياس، حتى أعجزهما، وأظهر عليهما الحججة، فأظهد التوبة حتى توفي عمر^(٥).

٢ - الهجر، فقد ذهب بعض العلماء إلى هجر المبتدع، بعدم مجالسته، وترك كلامه^(٦)، أو السلام عليه، وعدم مناكحته، أو عيادته إذا مرض، أو حضور جنازته وغسله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، أو ورثه. ومن ذلك الهجر هجر عمر رضي الله عنه لصبيغ عندما تأول في القرآن، وأمر المسلمين بهجره^(٧). ومنه قول ابن عمر رضي الله عنه لمن قال له: إن فلاناً يقرأ عليك السلام، فقال: (بلغني أنه قد أحدث،

(١) الاعتصام، ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٧.

(٣) انظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ٢ ص ٩٥٣ - ٩٧٤.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٦٤ - ٦٥، ٧٢ - ٧٤؛ وانظر ابن عبد البر، المصدر السابق،

ص ٩٦٢ - ٩٦٥؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧ ص ٢٧٩ - ٢٨٢.

(٥) انظر المصدر السابق، ج ٩، ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

(٦) انظر سنن الدارمي، المقدمة، باب ١٩؛ وانظر ابن بطة، الإنابة، ج ١ ص ٣٩٠، ٤٠٤،

٤١٤؛ وانظر اللالكائي هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة من الكتاب

والسنة وإجماع الصحابة؛ تحقيق: أحمد حمدان، ج ١ ص ١٢١، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٩،

١٤٠.

(٧) انظر أبا حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١ ص ٢١.

فإن كان أحدث، فلا تقرأ عليه السلام^(١)، كما كان ابن سيرين يحذر الناس من المخالفين ويوجههم نظرياً وعملياً إلى ما يجب القيام به تجاههم، فكان يقول: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم)^(٢)، وكان منهجه الدائم معهم يتمثل في قوله لهم: (لتقومان عني أو لأقومن)^(٣).

٣ - التشهير بهم، وبيان حكم الشرع فيهم^(٤)، بيان حالهم، وما هم عليه من البدع؛ ليحذرهم العامة، ويكونوا أشد نفوراً منهم عند سماع حكم الشرع فيهم، يقول الشافعي رحمه الله في معرض بيان حكمه على أهل الكلام: (يحملوا على الإيل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام)^(٥). فجملة منهم يُجرَّحون، فلا تقبل لهم شهادة، ولا رواية. وجملة يُبعدون عن المراكز القيادية والشرعية، فلا يولون إمارة ولا إمامة. ومنهم من حكم عليه بالكفر بعد أن دلَّ الدليل على كفره، كما في الحكم على دعاة الحلولية، والإباحية ونحوهم.

٤ - التغريب، وذلك بنفيه عن المواطن التي يُؤثَّر فيها، ببدعته في الدين، ودعوته المفرقة للجماعة^(٦).

٥ - الضرب، فقد ضرب عمر رضي الله عنه صبيغاً بالدرّة عندما تأول القرآن خطأ^(٧)، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: (حكمتي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد...)^(٨).

٦ - الحبس، فقد يكون في السجن حدّاً لنشاط المبتدع، فقد سجن الحلاج قبل قتله^(٩).

٧ - القتل والصلب، لمن أظهر ما فيه كفر، أو يفضي إلى الكفر، فبعد تعريفه

(١) الدارمي، المصدر السابق، باب ٣٥.

(٢) انظر ابن بطة، مصدر سابق، ص ٤١٥؛ وانظر ابن تيمية، منهاج السنة، ص ٢٧٥ - ٢٨٥.

(٣) البيهقي، مناقب الشافعي، ج ١ ص ٤٦٢؛ وانظر ابن عبد البر، الانتقاء، ص ٨٠.

(٤) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٢٧٥.

(٥) انظر ابن بطة، مصدر سابق، ص ٤١٥ - ٤١٧؛ وانظر أبا حامد الغزالي، مصدر سابق، ص

٢١.

(٦) البيهقي، مصدر سابق؛ وانظر ابن عبد البر، مصدر سابق؛ وانظر الذهبي، مصدر سابق.

(٧) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١ ص ١٣٦.

بخطئه وضلاله، يستتاب فإن رجع، وإلا قتل وصلب، كما في قتل وصلب الحارث الكذاب^(١)، وغيلان القدري^(٢)، والجعد بن درهم^(٣)، وغيرهم^(٤).

٨ - القتال، لمن خرج على الجماعة، وناصبها العدا، كما في قتال الخوارج، وغيرهم ممن اشتهر أمرهم، وعُلم خبرهم.

كما واجه ولاة المسلمين ما يطرأ على الأمة من تفرق ونزاع بكل حزم وعزم يعيد للأمة قوتها ووحدتها. لقد عاش المسلمون فترات من الانقسام، نتيجة خلافات فرقت صفهم، وأضعفت كلمتهم، فتفتت المجتمع إلى مجتمعات، والكلمة إلى كلمات، ودخلوا في صراعات دموية^(٥)، استغلها الأعداء بالغزو والاحتلال لمقدسات المسلمين وديارهم^(٦)، وعانى المسلمون من جراء ذلك الذل والهوان، يقول الشاعر مصوراً بعض ما أصاب المسلمين:

أحلّ الكفر بالإسلام ضيماً	يطولُ عليه للدين النحيب
فحقُّ ضائعٌ وجميٌّ مباحٌ	وسيفٌ قاطعٌ ودمٌ صيب
وكم من مسلم أمسى سليماً	ومسلمة لها حرمٌ سليب
أمورٌ لو تأملهنَّ طفلٌ	لطفَّل في عوارضه المشيب
أُتسبى المسلماتُ بكل ثغرٍ	وعيشُ المسلمين إذاً يطيب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا	أجيبوا الله ويحكم أجيبوا ^(٧)

عندها رأى المسلمون أنه لا سبيل لاستعادة القدس من أيدي الصليبيين، وتطهير ديار المسلمين من رجسهم؛ إلا بتوحيد الصف، واجتماع الكلمة، فعملوا

(١) انظر المصدر السابق، ج ٩ ص ٢٧ - ٢٩.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٣٣٦.

(٣) انظر المصدر السابق، ج ٩ ص ٣٥٠؛ ج ١٠ ص ١٩.

(٤) انظر المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٥) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٨ ص ١٢٣ - ١٣٧، ١٤٠، ١٥٠، ١٦٠، ١٦٦، ١٧١، ١٧٥،

١٨٢ - ١٨٤؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٢ ص ١١٤، ١١٩، ١٢٦، ١٣٠،

١٣٤، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٨.

(٦) انظر المصادر السابقة، ص ١٥٥ - ١٥٦؛ ص ١٣٨، ١٥٧، ١٨٥ - ١٩٠.

(٧) ابن تغري يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والترجمة والطباعة، ج ٥ ص ١٥١ - ١٥٢.

لذلك بقيادة قائدهم عماد الدين زنكي، ثم ابنه نور، فصلاح الدين الأيوبي^(١)، يقول عماد الدين الأصبهاني:

لله درك نور الدين من ملك
اغز الفرنج فهذا وقت غزوهم
وطهر القدس من رجس الصليب وثب
فملك مصر وملك الشام قد نظما
أضحى بعدلك شمل الملك ملتئماً
والسنة اتسقت والبدعة انمحقت
عدل لحفظ أمور الدين ملتزم
واحطم جموعهم بالذابل الحطم
على البغات وثوب الأجدل القطم
في عقد من الإسلام منتظم
وهل بعدلك شيء غير ملتئم
وعاودت دولة الإحسان والكرم^(٢)

فكان في ذلك قوة أسهمت في سرعة تحرير القدس، والديار الإسلامية^(٣).

وتكرر الموقف عند مواجهة التتار في فترات زمنية متفاوتة، منها ما حدث في سنة [٦٥٨ هـ]، حيث كان ولاية المسلمين في حالٍ من الفرقة، فهذا سلطان دمشق، وملك الكرك، والشوبك، على خلاف مع ملك مصر، جعلهم يعقدون العزم على قتاله، والسيطرة على المصريين، وفي هذه الأثناء تواترت الأخبار عن وصول التتار إلى بلاد الشام، فكان من نتيجة ذلك الخلاف والفرقة، أن جاس التتار في الشام فساداً، جعلوا أعزة أهلها أذلة. ورأى المسلمون أن لا مخرج لهم من هذا الذل إلا بالقضاء على خلافاتهم، واجتماع كلمتهم، وتوحيد صفوفهم، فعملوا لتحقيق ذلك، وكان من نتيجته تلك المعركة الخالدة: معركة عين جالوت، التي دُحر فيها التتار، وكُسرت شوكتهم، بعد أن عانوا في الشام فساداً؛ نتيجة تفرق المسلمين، واختلاف كلمتهم^(٤).

وفي سنة [٧٠٢ هـ] وصل التتار إلى حمص وبعلبك، فخاف المسلمون وقلقوا، حتى قالوا: لا طاقة لجيش الشام مع من معه من جيش مصر بقتال التتار،

(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٣١ - ٣١٦؛ ج ٩ ص ٨، ٩٨، ١٠٩، ١٢٠، ١٣١، ١٣٧، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٧، ١٦١، ١٦٧.

(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي؛ الروضتين في أخبار الدولتين، (بيروت: دار الجيل)، ج ١ ص ١٧٥.

(٣) انظر الأثير، الكامل، ج ٨ ص ١٧٥ - ١٨٦؛ وانظر ابن كثير، مصدر سابق، ص ٣٢٠ - ٣٢٨.

(٤) انظر المصدر السابق، ج ١٣، ص ٢١٨ - ٢٢٢.

عندها اجتمع الولاة والعلماء وعامة الناس للنظر في كيفية مواجهة التتار، فرأى الجميع أن لا مخرج من ذلك إلا: باجتماع الكلمة، ووحدة الصف وأن في ذلك قوة قاهرة للعدو^(١)، فكان من نتيجة تلك الوحدة: نصر المسلمين مع قلتهم، ودحر التتار على كثرتهم.

هذه نماذج مضيئة، ومواقف فريدة، عبق بها التاريخ الإسلامي وازدان، فيها قيس يضيء الغسق، وأمل يبعد عن النفس القلق، ودافع إلى وضع معالم الفلق.

(١) انظر المصدر السابق، ج ١٤ ص ٢٣ - ٢٦.

المبحث الثالث الفساد الخلقي

مدخل:

للأخلاق دور كبير ومؤثر في تماسك المجتمع، وحفظ كيانه، وفي استقامة الحياة، واتزانها، وترويض الطباع الإنسانية، واعتدالها، فالطباع البشرية مختلفة وقد تتناقض، والميلول متفاوتة وقد تتصادم والنفس أمارة بالسوء، وعدم وجود ضوابط وقواعد تحدد العلاقة والإرادة، خلل يُخلُّ بأمن الحياة ويأخذ بها إلى متاهات الخراب والدمار، وسيادة حياة الغاب^(١). ويقدر سلامة هذه الضوابط والقواعد واستقامتها، تصلح الحياة، وتحقق للإنسان كرامته وسعادته، قال تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

إذا فالأخلاق طريق السعادة الدنيوية والأخروية^(٣)، يقول ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَحْبَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالمُتَشَدُّونَ، وَالمُتَفِيهُونَ، قالوا: قد علمنا (الثَّرَاوُونَ، وَالمُتَشَدُّونَ)، فما (المُتَفِيهُونَ؟) قال: (المُتَكَبِّرُونَ))^(٤). بها تقاس الأمم، فيأخذ الفرد والمجتمع أهميته وقيمه من قيمه التي يتحلى بها وفي ظلها تترقى الأمم وتنمو، يقول مقداد يالجن: (الأخلاق أمر لا غنى عنه؛ لأنها شرط في دوام

(١) انظر عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص ٣٨٢؛ وانظر مبشر الحسيني، الأخلاق في الإسلام، القاهرة: (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص ٩ - ١٠؛ وانظر أسعد السحمراني، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، الطبعة الأولى، ص ٢٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠٠.

(٣) انظر يالجن، علم الأخلاق. ص ١٠٤.

(٤) صحيح. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: [٧٩١].

الحياة الاجتماعية وتقدمها، وتقدم الحضارة^(١).

والأخلاق عند إرادة الجهاد من الأهمية بمكان، فهي عنوان لما يحمله المجاهد من معان، ودلالة على ما استقر في قلبه من مبادئ وإيمان، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا...﴾^(٢)، تتحقق معها غاية الجهاد دون سلاح مادي؛ لأنها مفتاح القلوب ومدخل النفوس، يقول ﷺ: ((إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحَسَنُ الْخُلُقِ))^(٣).

وفي هذا المبحث أكتب عن الفساد الخلقي، باعتباره أحد عوائق الجهاد، وذلك في عدة مطالب:

(١) مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٨.

(٣) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٢٥٤٥].

المطلب الأول التعريف، والمعيار الخلفي

أولاً: التعريف:

أ: لغة، بالرجوع إلى مادة خلق في كتب اللغة، نجد: الخُلُقُ، والخُلُقُ بمعنى: الدِّين، والطبع والسجية والمروءة^(١)، وتلك صفات وقوى باطنية للنفس البشرية، تُدرك بالبصيرة النيرة^(٢)، يقول عنها ابن منظور رحمه الله تعالى: هي حقيقة (لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها، ومعانيها المختصةُ بها، بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة، وأوصافها، ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة، أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، بهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع)^(٣). والخُلُقُ: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه^(٤). وتَخَلَّقَ بِخُلُقٍ كَذَا: استعمله من غير أن يكون مخلوقاً في فطرته، وفلان يتخَلَّقُ بغير خلقه أي: يتكلفه^(٥).

من هذه المعاني يتبين أن للإنسان صورتين يتحكم فيهما، صورة باطنة يزيناها أو يشينها بما تحمل من معان ومبادئ، وصورة ظاهرة يزيناها أو يشينها بما تتحلى به من لباس ونظافة.

ب: اصطلاحاً، عبر العلماء عن الأخلاق: بالصفات الراسخة في النفس،

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب. «خلق»؛ وانظر أبا البقاء، الكليات، ص ٤٢٩.

(٢) انظر الراغب، المفردات، ص ١٥٨.

(٣) مصدر سابق، ج ١٠ ص ٨٦ - ٨٧.

(٤) انظر الراغب، مصدر سابق.

(٥) انظر ابن منظور، مصدر سابق.

والتي بها القوام، واستحقاق المدح والذم^(١)، يقول الجرجاني رحمه الله: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة، يصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر، من غير حاجة إلى فكر، وروية، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سُمِّيت الهيئة: خُلُقاً حَسَناً، وإن كان الصادر منها الأفعالُ القبيحة، سُمِّيت الهيئة: التي هي المصدر خلقاً سيِّئاً)^(٢)، ويقول الغزالي رحمه الله: (هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية)^(٣). ويقول مسكويه: هي (حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية)^(٤).

وعُرِّف علم الأخلاق^(٥) بأنه: (علمٌ يُعَلِّمُ منه: أنواعُ الفضائل، وكيفية اكتسابها، وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها)^(٦).

من هذه التعاريف الاصطلاحية يتبين أن الأخلاق: قوة داخلية تنطلق من مبادئ وعقائد، تتحكم في قوى الإنسان الباطنة والظاهرة، دون تكلف، أو اضطرار وقتي.

ثانياً: المعيار الخلقي.

أ: الشعور الخلقي عند الإنسان^(٧).

الحياة الاجتماعية قائمة على المعاملة بين الأفراد، وهذا يحتم وجود قواعد ضابطة للسلوك الإنساني هذه القواعد تتفاوت في الحسن والقبح، والقبول والرفض. والإنسان مناط ذلك فُطِر على الميل إلى صفات معينة، هي أساس في طبيعته

(١) انظر الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج ٢ ص ٥٦٨.

(٢) التعريفات، ص ١٠٦.

(٣) إحياء علوم الدين، ج ٣ ص ٤٦.

(٤) تهذيب الأخلاق، الطبعة الثانية، ص ٥١.

(٥) انظر محمد بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، الطبعة الرابعة، ص ٢٢١ - ٢٢٤.

(٦) ابن الأكفاني، أبو عبد الله محمد بن ساعد الأنصاري، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، تقديم ومراجعة: محمد عوامة، اعتناء وضبط: حسن عبيجي، ص ١٧٣.

(٧) انظر المودودي، نظام الحياة في الإسلام، ص ٥ - ٨؛ وانظر محمود زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، الطبعة الثالثة، ص ٣٠ - ٤٣؛ وانظر السحمراني، الأخلاق في الإسلام والفلسفة، ص ٢٤ - ٢٧.

الخلقية، في مقابل النور من صفات أخرى، بدرجة متفاوتة. كما أن هناك صفات محببة للنفس البشرية، فالصدق والعدل من الصفات المحببة للإنسان على مر العصور، والكذب والظلم صفات تنفر منها النفس الإنسانية، لم يأت عصر استحسنت فيه الخيانة والغدر^(١)، وهذا ما جعل الأخلاق على نوعين: جبلي طبع عليه الإنسان كالصفات الأساسية والضرورية لوجود الإنسان عموماً. ومكتسب عن طريق التقويم والتوجيه لتلك الأخلاق الأساسية عند الإنسان^(٢). يقول أشج عبد القيس رضي الله عنه : (قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ)). قلت: وما هما يا رسول الله؟ قال: ((الحلم والحياء))، وفي رواية: ((الحلم والأناة))^(٣). قلت: قديماً كان أو حديثاً؟ قال: ((قديماً)). قلت: الحمد لله الذي جبلكني على خلقين أحبهما الله^(٤)، يقول ابن حجر رحمه الله تعالى في سياق كلامه على هذا الحديث: (فترديده السؤال، وتقريره عليه، يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي، وما هو مكتسب)^(٥).

ب: المعيار الخلقي، تختلف النظرة للأخلاق تبعاً للمعيار الذي يُحدِّدُ به حَسُنُها وقبيحها، وذلك حسب نظرة الإنسان للكون والإنسان والحياة، فكلُّ يُعرِّف ويحدد المفهوم والخصائص تبعاً للاتجاهات التي يدين بها^(٦)، يقول المودودي

(١) انظر مسكويه علي بن أحمد، تهذيب الأخلاق، الطبعة الثانية، ص ٣٤ - ٣٥، ٥١؛ وانظر ابن القيم، الفوائد، ص ١٤٣ - ١٤٥؛ وانظر عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص ٢٨٣؛ وانظر بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٢٢٦ - ٢٣٥.

(٢) انظر مسكويه، المصدر السابق، ص ٥١؛ وانظر المودودي، الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص ٢٠ - ٢٩؛ وانظر محمد دراز، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، الكويت: دار القلم، ص ٨٧ - ١٠٠؛ وانظر يالجن، علم الأخلاق، ص ٢٠٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٦.

(٤) حديث صحيح. الألباني، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، باب ٢٣٤.

(٥) فتح الباري، ج ١٠ ص ٤٧٤.

(٦) انظر أرسطو طاليس، علم الأخلاق، إلى نيقوماخوس، ترجمة من اليونانية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهيلير، ترجمة إلى العربية: أحمد لطفي السيد، ج ٢ ص ١٦٧ - ٢٠٤؛ وانظر مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٨٣ - ١٠٢؛ وانظر المودودي، نظام الحياة، ص ٩ - ١٠؛ وانظر محمد قطب، التطور والثبات، ص ٤٤ - ٤٦؛ وانظر السحمراني، الأخلاق في الإسلام والفلسفة، ص ٤٩ - ٩٦؛ وانظر يالجن، علم الأخلاق، ص ٣٤ - ٤٢، ٢٩٢ - ٢٩٦؛ وانظر =

رحمه الله تعالى: (قوة مجردة، يمكن استخدامها في الخير والشر معاً، وإنما مثلها كمثل السيف الصارم، هو آلة للظلم والإرهاق والجور إن كان في يد اللص السارق، وأداة للخير والحق إن كان في يد المجاهد في سبيل الله، فلا يحكم على هذه الأخلاق بالخير والصلاح لمجرد وجودها في فرد معين، أو جماعة بعينها، بل يتوقف خيرها وصلاحها على كونها مستخدمة في السبيل الأقوم)^(١).

ففي الإسلام مثلاً تنطلق النظرة للأخلاق من تصوره للكون والإنسان والحياة^(٢)، فللكون إله واحد يسير بقدر محكم، وفق إرادة الله له، قال تعالى: ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾^(٣) والإنسان جزء من هذا الكون العظيم، خُلِقَ لهدف معين، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٤)، فضل على غيره من المخلوقات بقدرات ومميزات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٥)؛ ليسير في هذه الحياة مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره، في مختلف الميادين، وفق سلوك معين، حُدِّدَ وَبُيِّنَتْ معالمه، وفق ضوابط معينة، واعتبارات مبينة، تتفاوت في صورها المكانية والزمانية العملية والنظرية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٦).

والحياة دار ممر للتزود لدار المعاد، غايتها تحقيق السعادة الأخروية، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ

-
- = بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٢٥٩ - ٢٧١؛ وانظر زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، ص ٦١ - ٧٠؛ وانظر محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، ص ٢٣ - ٥٥، ١٥٧ - ١٦٤.
- (١) الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، ص ٢٥.
- (٢) انظر المودودي، نظام الحياة، ص ١٣ - ١٤؛ وانظر عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص ٢٨٨؛ وانظر بيسار، مرجع سابق، ص ٢٤١ - ٢٤٦.
- (٣) سورة الفرقان، الآية ٢.
- (٤) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.
- (٥) سورة الإسراء، الآية ٧٠.
- (٦) سورة فصلت، الآية ٣٤.

الظلمة يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَةِ أُؤْتِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿١﴾ .

إذاً: فلا معنى من حياته، وما يصدر منها، إلا إرادة وجه الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ
صَلَاحِي وَنُصْحِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وفق ما جاء عن الله، يقول تعالى:
﴿... وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣)،
وهذا هو ضابط الأخلاق الإسلامية.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

(٣) سورة الحشر، الآية ٧.

المطلب الثاني التحليل

بنظرة سريعة، ورؤية عابرة، يدرك المتأمل مدى الفساد الذي أصاب الأخلاق عند مسلمي اليوم حيث يجد الفساد أينما نظر، ويلمسه دون عناء وسفر، له أشكال متفاوتة، ومداخل متكاثرة، صغير القوم له يحابي، وكبيرهم له يراعي، والأمة منه تعاني، ومن ضرباته المتعددة تنهاوى، يقول ماجد الكيلاني: (تجد المجتمعات العربية والإسلامية نفسها أمام أعراض خطيرة من الأزمات الأخلاقية والمناعة الاجتماعية، فهي ترى بين ناشئتها المحدثين أفواجاً غير قليلة تفترسهم عدوى الانحلال الأخلاقي، بمظاهره المختلفة)^(١).

وهذه محاولة في عدة فروع؛ لبيان أبرز أوجه هذه المعاناة والآلام السائدة، في عبارات موجزة، ونقاط مختصرة، كالتالي:

الفرع الأول مظاهر الفساد الخلقي

من أكثرها شيوعاً، وأبرزها:

أولاً: الفهم الخاطيء لمفهوم الأخلاق:

والناس في ذلك على أصناف^(٢)، فصنف يسرف في نظرتة للأخلاق، حتى إذا

(١) اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية، جامعة أم القرى، سلسلة بحوث التعليم الإسلامي (٣٢)، ص ٧.

(٢) انظر سليمان الغصن، صلة الأخلاق بالعبقيدة والإيمان، الطبعة الأولى، ص ٩ - ١١.

رأى شخصاً على خلق حسن، ومعاملة نبيلة، اعتبره قائماً بحقوق الله عليه، حتى وإن كان يرتكب شيئاً من الفواحش والمنكرات، ويقصر في أداء الشعائر والعبادات، ويحتج هؤلاء بمقولة (الدين المعاملة)، فإذا حسنت المعاملة، تحقق مراد الدين. وصنف ينظر للأخلاق على أنها أمرٌ ثانوي، فمع محافظته على ما لله من حقوق، إلا أنه سبىء المعاملة للآخرين، بذيء الخلق، فالكبر، والكذب، وحب الذات، وسوء الظن ونحوها، سمات ظاهرة في من ظاهرهم الصلاح والفلاح.

ثانياً: الغرور.

ابتلي البعض بهذا المرض الفتاك^(١)، الذي يقضي على الأمم والأفراد، لا يتحقق معه غاية ولا يُحصل به على تقدم، ومن مظاهر الغرور المشاهدة للعيان: احتقار الآخرين، والازدراء بهم، والتنقيص من مكانتهم، سواء كانوا من عامة الناس، أو من علمائهم، أو ولائهم. ومنها أيضاً عدم معرفة قدر النفس، فلكل إنسان إمكانات يتميز بها عن غيره، وتجعله في المكان المناسب، لكن هذه الفئة لم تعرف قدر نفسها، فراحت تتناول على ما ليس في قدرتها، وتتداخل في ما ليس من أمرها، ترى نفسها فريدة يومها، وعالمة عصرها، هي الأعلم في الدين، وفي الطب، وفي الفلك، وفي التجارة، وفي الصناعة، وفي جميع شؤون الحياة^(٢). ومن مظاهر الغرور أيضاً عدم قبول الحق ممن بذله، بل إن البعض ليرتفع عن سماع رأي الآخرين، أو يخضع لعالم أو لكبير سن أو مكانة.

ثالثاً: النفاق الاجتماعي.

حيث التظاهر بالأخلاق الفاضلة، والبعد عن الرذائل، مع ممارستها عن البعد عن الأعين، في السر أو عند السفر، يقول عبد المحسن الداود: (. . . الاهتمام بالمظاهر لم يتوقف فقط على المظاهر الخارجية التي بدأنا نشهد كثيراً منها لدى البعض . . . البعض من هؤلاء تجاوزوا هذا المفهوم إلى مفهوم أخطر وأكثر عمقاً، وهو التظاهر بالسلوكيات التي لا شك أنها تعني تحولاً في النفسيات، قد يحدث خلخلة في تماسك المجتمع، وشرخاً في قيمه الجميلة. فما أكثر ما تتظاهر هذه الفئة

(١) انظر مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، ص ١٠ - ١١.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٠٩ - ١١٤.

بسلوكيات ملتزمة في مكان ما، وتمارس عكسها تماماً حينما تكون في مجتمع آخر، وفقاً لقيم هذا المجتمع. وليس من الصعب التدليل على أمثلة... فالمجاملة والتملق مظاهر واضحة، ويلمسها كثيرون، والابتعاد عن السلوكيات المتزنة عندما يسافر البعض إلى مجتمعات أخرى، دليل آخر على التظاهر بالسلوكيات التي أقل ما يمكن أن يطلق عليها أنها ازدواج في الشخصية، وسعي إلى تحصيل أشياء محددة، لا تستطيع هذه الفئة الحصول عليها، إلا بهذه السلوكيات المظهرية الخادعة^(١).

رابعاً: رواج النظريات والأفكار الهدامة^(٢).

ظهرت دعوات متعددة تحت مسمى دراسات نفسية، تروج لتلك النظريات الكافرة، كنظرية داروين التي تهدر كرامة الإنسان^(٣)، ونظرية فرويد مع ما تحمله من إفساد للفطر السليمة^(٤). من ذلك مثلاً تلك الدعوات التي وجهت إلى الآباء والمدرسين، روج لها وأشرف على نشرها والتقديم لها رجالُ تربيةٍ وتعليم، من أبرز أفكارها القول: بأنه من الواجب أن (يعود الطفل على الشعور بأن الجنس ليس أمراً مشيناً)^(٥)، والقول بأن: (خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها - في الوقت المناسب على أي حال - باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمراهق)^(٦). والزعم بأن دواعي الممارسة الجنسية المحرم

(١) «مظاهر اجتماعية مقلوبة»، جريدة الرياض، ١٢/٧/١٤١٥ هـ، العدد ٩٦٦٩، ص ١٣.

(٢) انظر محمد قطب، الإسلام كبديل عن الأفكار والعقائد المستوردة وأبحاث أخرى، الطبعة الأولى، ص ١١٣؛ وانظر عبد الله العريني، «أدب الخرافات الوثنية.. ما حاجتنا إليه؟! لماذا جلجامش في نادي الرياض الأدبي»، جريدة الجزيرة ٣/٦/١٤١٥ هـ، العدد ٨٠٤٧، ص ٢٢.

(٣) انظر توفيق الطويل، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، الطبعة الثالثة، ص ٢٦٣ - ٢٧٤.

(٤) انظر محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ١٩ - ١٠٩، وانظر الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، ص ٨١ - ١٠١؛ وانظر السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٢٤٧؛ وانظر «في ندوة برشلونة العالمية، حاول العلماء فك اللغز: كيف بدأت الحياة على وجه الأرض؟!... بركة داروين تحولت إلى محيط ابتلع نظرية النشوء والارتقاء»، جريدة المدينة، ٢١/٨/١٤١٥ هـ، العدد ١١٦١٩، ص ٤.

(٥) كيف نفهم الأطفال، سلسلة دراسات سيكولوجية (١٢)، الطفل والأمور الجنسية، الطبعة الثانية، ص ٤٦.

(٦) المرجع السابق، ص ٧٨.

أمر طبيعي، يقول أحدهم: (فالشوق إلى القبلة، أو بعض الغزل الرقيق، أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية، كل هذه ليست أموراً شائنة، فليهدأ الشباب بالأهـ، فليس كل ما يدور حول الجنس يدخل في باب المحرمات)^(١). والقول بأن أبرز حلول الكبت الجنسي عند المراهقين الاختلاط بين الجنسين، حيث يقول قائلهم: (فبدلاً من فصل البنين عن البنات، يجب علينا أن نعمل على إشراكهم معاً في الأعمال الممتعة، ومواقف اللعب وأن نحاول مساعدتهم على تكوين مشاعر طبيعية مريحة نحو أفراد الجنس الآخر. وعلى الآباء تشجيع أطفالهم على المساهمة في نواحي النشاط المشتركة بين البنين والبنات... فهذا النشاط المشترك ليس مواعيد غرامية، بل هو فرص لاشتراك البنين مع البنات في متع الرياضة... وإذا حدث استلطاف بين بعض البنين والبنات، فينبغي النظر إليه على أنه نوع من الصداقة، وليس غراماً أو عشقاً، والمعاكسات البريئة... قد تبعث في صداقتهما دفئاً كانا يفتقران إليه)^(٢).

وعن أصل الإنسان، يقول أحدهم: (في القرآن الكريم نجد آيات عديدة تتحدث عن التطور، وتلقي المزيد من الأضواء على هذه الظاهرة... ومنها ما جاء على لسان نبي الله نوح عليه السلام، فيقول: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^(٣)، والإشارة هنا واضحة تماماً إلى أن الخلق قد تم على مراحل، أو في أطوار متلاحقة، مع الانتباه إلى أنه ليس في هذه الآية أية قرينة تجعلنا نحصر معنى (الأطوار) في الأطوار التي يمر بها الجنين داخل رحم أمه، كما فعل كثير من المفسرين الذين تناولوا هذه الآية!... الحديث عن التطور لم يبدأ من عند داروين، فإن داروين (الذي سار في الأرض، ونقب وبحث عن مبدأ الخلق)، لم يكن أول ولا آخر الذين قالوا بالتطور... فإن مذهب التطور قديم في التاريخ البشري، إذ ورد الحديث عنه فيما خلفه حكماء بابل، وأشور، والفرعنة، واليونان والرومان. ويوحى الحديث عن التطور في ذلك الوقت المبكر جداً في التاريخ، أن الذين قالوا بالتطور في ذلك الحين ربما أخذوه عن بعض الرسائل السماوية التي لم تصل إلينا نصوصها، وإلا فكيف نستطيع أن نفسر اهتمام الإنسان منذ فجر تاريخه بمثل هذه

(١) ... (كيف تتكامل الشخصية، ص ٧٥)... محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ٣٩.

(٢) كيف نفهم الأطفال، مرجع سابق، ص ٦٢ - ٦٣.

(٣) سورة نوح، الآية ١٣ - ١٤.

القضية الشائكة، التي تعد حتى يومنا الحاضر من أكثر قضايا الحياة تعقيداً وغموضاً؟!... وتخلص من هذا... أنه قد آن الأوان لكي ننظر إلى هذه الظاهرة نظرة موضوعية، تعزلها عن أشكال (الكفر - الإيمان)؛ لأن مثلها مثل الظواهر الكونية الأخرى، التي يرى فيها بعضهم دلائل على الإيمان بالخالق سبحانه، وقد يتذرع بها آخرون لنسف فكرة الإيمان من أساسها^(١).

فكان أن أسهم كل ذلك في انحراف الشباب^(٢)، فتياناً وفتيات، وبدرجة متفاوتة^(٣)، بلغت ذروتها عند من أطلق على نفسه الجنس الثالث، نساءً يسترجلن، وذكور يتخشون، في حركاتهم وفي كلامهم وفي أشكالهم^(٤)، يقول عبد القادر عودة رحمه الله تعالى: (إن الكثير من شباب اليوم فارغو النفوس والقلوب والرؤوس، فلا علم ولا عمل، ولا دين، ولا إيمان، وهم لا يجيدون إلا تزجيج الحواجب وتصنيف الشعر، واختيار الملابس والتشبه بالمثلين والممثلات، ولا عمل لهؤلاء الشباب إلا ارتياد المحلات العامة، والاندفاع وراء الشهوات)^(٥).

خامساً: ظهور الأخلاق السيئة.

بأشكال مختلفة، وألوان متباينة^(٦)، فظهر حب النفس، حيث الأثرة والأنانية،

(١) أحمد كنعان، «تأملات مستقبلية: نظرية النشوء والارتقاء في ميزان النصوص»، جريدة المدينة: ملحق الأرباء، ٢٨/١٠/١٤١٥ هـ، العدد ١١٦٨٠، ص ١٠.

(٢) انظر عبد الله سالم، المراهقون، ص ١٩ - ١٠٢.

(٣) انظر تحقيق: عبد الرحمن المالكي، فهد الشريف، «هل هي محاولة اختراق المجتمع من الداخل؟ «تغريب» شبابنا تحت ستار المدينة الحديثة. قصص الشعر العجيبة، والملابس الخليعة، لماذا تستهوي بعض الشباب؟ هل من الفخر ارتداء ملابس تحمل صور صلبان أو حيوانات أو مايكل جاكسون؟ الشباب: هذه التقاليع تسللت إلى القرى أيضاً، بعض الشباب يتباهى بابتكار قصص شعر عجيبة، أصدقاء السوء يسهمون في نشر هذه البدع»، جريدة المدينة، ٢/٦/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٤١، ص ٧.

(٤) انظر المطعني، الفراغ، ص ١٣٢؛ وانظر محمد المطوع، قاتل الأخلاق، (الرياض: مطابع دار طيبة)، ص ٢١ - ٢٧؛ وانظر تحقيق: أمواج جهينة، «الأسرة» تقتحم حقل ألغام «اجتماعي» جديد: لماذا «تسترجل» الفتاة؟! قصص شعر غريبة.. وتقليد أعمى للموضة والشباب»، المرجع السابق، ٢١/١١/١٤١٥ هـ، العدد ١١٧٠٣، ص ١٠.

(٥) الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص ١٢٦.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ١٢٤ - ١٣٠.

مما يجعل الفرد محتكراً للمصالح، يستغل نفوذه ومسؤوليته في دعم خصوصياته، وخدمة أقرانه وخلانه، يقول مصطفى السباعي: (الحق أن هذه الحياة التي نعيشها اليوم، تكاد تمحى فيها آثار هذا الخلق الإنساني الجميل فأنت أين ما سرت، وأينما فتشت في زوايا مجتمعنا الحاضر، وجدت أنانية تغطي على كل شيء وجدت أنانية الأب تغطي على علاقته مع أولاده، وأنانية الزوج تغطي على علاقته مع زوجته، وأنانية الزعيم تطبع كل علاقته مع الجمهور، وأنانية الأغنياء والموسرين واضحة في موقفهم من البؤساء والعمال والفلاحين، أنانية طغت على كل فئة في الشعب، فالتاجر لا يفكر إلا في تجارته، والزارع لا يهتم إلا بزراعته، والموظف لا يبالي إلا بوظيفته)^(١).

حب الفرد لذاته يدفعه إلى البخل عموماً^(٢)، حيث انتشر البخل على النفس وعلى من ولي أمره. وظهر من يبخل على من ولي أمره من زوجة وأولاد، ويُعنى على نفسه بما لذ وطاب، يمنعهم النفقة الشرعية؛ ليحقق مآربه الشخصية، فيلبس أحسن الثياب، ويركب أفضل مركوب، ويتفصح في أرجاء المعمورة. وهناك من يبخل في حق الله، يستكثره فلا يخرج، يلقي المحتاج والضعيف، والمسكين، فلا تتحرك مشاعره. كل ذلك أسهم في فتور العلاقة بين المرء وأهله، وبقية أفراد مجتمعه^(٣). وظهر الحسد بين أفراد الأمة، ذلكم الداء الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، استشرى في جزء كبير من جسد الأمة، فلم يبق معه سمة حسنة، ولم يذر بذرة خيرة. تشاحن الناس في أمور الحياة، وتنافسوا في البحث عن المال، والوجاهة، والمكانة، وبدلوا في ذلك جل طاقتهم وجهدهم؛ لذلك احتقنت القلوب بالغيظ، وامتألت النفوس بالكيد، فصار الفرد يتحين الفرصة لبث أحقادها، ويتنهب الموقف ليأخذ بثأره، ليشفي غل صدره، ويهدي ثورة نفسه. وهذا ما يزرع الحسد بين الأفراد، فيجعلهم مصدر كل فتنة، وأساس كل بلاء، حولهم إلى وحوش كاسرة، تحمل قلوباً قاسية، ونفوساً جافية وطباعاً غاية في الشراسة، حياتهم نغص

(١) أخلاقنا الاجتماعية، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٦ - ١٨.

(٣) انظر تحقيق: عزة رشاد قطورة، «يخاضمون المجتمع من أجل حفنة ريبالات: البخل، هل تنبض قلوبهم بالحب؟». الرجال: علاقة وثيقة بين البخل المادي والعاطفي. السيدات: البخل سبب رئيسي في فشل الحياة الزوجية»، جريدة المدينة، ٢٧/٧/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٩٥، ص ١٢.

وكمد، وعيشهم هم وغم، راحتهم في زوال النعم، وحلول النقم، يقول عبد القادر عودة رحمه الله تعالى: (الناس اليوم يستحلون كل شيء ما دام يؤدي للغاية . . . وكل فرد يحسد غيره، ويتمنى ما بيده، فالمستوزر يحسد الوزير ويتمنى أن يحل محله، والفلاح الصغير يحسد المزارع الكبير، والعامل يحسد صاحب العمل، والفقير يحسد الغني، ويتمنى كل أن يكون له ما للمحسود من مال ونعمة)^(١).

وتفشى في المجتمع الهجر الدنيوي؛ لأسباب دنيوية، وأمور ثانوية، فسادت البغضاء، وعمت الشحنةاء، فهجر الابن أباه، وطرده الأب ابنه وقاطع الأخ أخاه، وتفرق ذوو الرحم. يغضب أحدهم ويهجر لأجل ماله، ويرضى ويحب من عصى من إليه ماله.

وظهرت الخيانة بوجهها القبيح بين بعض أفراد المجتمع، ففقدت الأمانة عند كثير من المعاصرين، على كافة المستويات العلمية^(٢)، والمادية^(٣)، الرسمية والعامية، فعدم النصح، والخداع، والمؤامرات والنصب، والغش، والاحتيال، والتزوير^(٤)،

(١) الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) انظر «المعلمون والتربويون يؤكدون: وراء كل «غشاش». أسرة متخاذلة! خطورة الظاهرة، أن تمتد لحياة الطالب المهنية»، جريدة المدينة، ١٩/١/١٤١٥ هـ، العدد ١١٤١١، ص ١٩؛ وانظر «الكتابة خارج الأقواس» لسعيد السريحي، أكثر السرقات بالأفكار . . . سرقات السريحي بالأفكار والعبارات والتوجه»، جريدة الجزيرة، ٩/٦/١٤١٥ هـ، العدد ٨٠٨٠، ص ٧؛ وانظر عبد الله السمطي، «أحمد عبد المعطي حجازي منتحلاً!! قصائد كاملة، وتعبيرات وعناوين يستلها ويضمونها نصوصه. الصور الشعرية تتعدى حدود التناس إلى اعتبارها سطواً شعرياً»، جريدة الرياض، ٢٧/٧/١٤١٥ هـ، العدد ٩٦٨٤، ص ٢٤؛ وانظر متابعة: نايف رشدان، «في المحكمة الكبرى بالرياض: حكم شرعي في قضية سرقة كتاب أستاذ جامعي»، المرجع نفسه، ٢٨/١١/١٤١٥ هـ، العدد ٩٨٠٤، ص ٩.

(٣) انظر حسن الحجاجي، «الشهية انفتحت للطعام والملابس معاً: «الغشاشون» يكسبون جولة الأسبوع الأول»، جريدة عكاظ، ٧/٩/١٤١٥ هـ، العدد ١٠٤٠٩، ص ١؛ وانظر تحقيق: خالد الخضري، «أسرع طريق للربح، وتكلفة أقل: احتراف الغش!»، جريدة المدينة، ١٢/٩/١٤١٥ هـ، العدد ١١٦٣٩، ص ٧.

(٤) انظر فارس سليمان، «الحكم بالسجن على [٣] كويتيين ولبناني وأردنية؛ لارتكابهم جرائم نصب واحتيال في الكويت»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠/٥/١٤١٥ هـ، العدد ٥٨١٠، ص ٣٢؛ وانظر خالد الأصمعي، «القبض على عاطل يزور أختام الداخلية بالقلبية»، القاهرة: جريدة الأهرام، ٢٥/٥/١٤١٥ هـ، ص ٢٠؛ وانظر «في بيانات لوزارة الداخلية: =

والسرقة^(١)، ونقض العهود والمواثيق، أمراض خلقية تفنن فيها كثير من المعاصرين، ومن أبرز أوجه الخيانة المعاصرة، يقول مصطفى السباعي: (لقد تخلى العالم عن أمانة العلم، فإذا هو - إلا من عصمه الله - يبيع علمه لمن يشتره من طغاة، وحكام، وظالمين ومفسدين. وتخلي الحاكم عن أمانة الشعب فإذا هو - إلا من عصمه الله - يفرق بين المواطنين ويتجاوز عن أخطاء أتباعه من الموظفين، ويهمل القانون ويتلاعب بنصوصه؛ لأن له هوى قد ملك عليه لبه وغرضاً لا يجد غير الحكم وسيلة لتحقيقه. وتخلي الشعب عن أمانة المراقبة لزعمائهم فتملقهم، وأغفى عن خطيئاتهم، وسار وراءهم - إلا من عصمه الله - يصفق لهم بيده، وهو ينحرف عنهم بقلبه ويؤيدهم بلسانه، وهو ينكر عليهم في نفسه. وتخلي الموسرون عن أمانة المال فاكتنزوه واحتبسوه عن الفئات المتخلفة في المجتمع، ثم رضوا أن يتقلبوا في النعيم، ومن حولهم يشقى في البؤس والجحيم، وتخلي الرجل عن أمانة الأسرة فلم يبال بما يتعلم ولده، وما تلبس زوجته، وما يفعل أخوه حتى اجتمع في البيت الواحد التقى والفاجر، والمتزمت والمتحرر، والجنة والسعير، والشمال واليمين)^(٢).

أما هتك أعراض بعض أفراد المجتمع غيبة ونميمة وبهتاناً، وهمزاً ولمزاً، فقد اعتبرها بعض المعاصرين فاكهة المجالس، بتأويلات فاسدة، كقولهم: [نريد أن نتعرف على فلان]، رغم عدم وجود مصلحة له في تلك المعرفة. أو قولهم: [نتناقش في عملنا]، فيتجاوزون حدود إمكاناتهم، وقدراتهم المعرفية والعملية.

واستشرى الكذب وظهر عند الخاصة والعامة، وأصبحت الحياة في غالبها عند البعض قائمة على الكذب، كذب في النيات، وفي الأقوال، وفي الأفعال، وفي المظاهر^(٣)، يقول مصطفى السباعي: (لو استعرضت مشاكل العالم كله، لوجدتها

= أحكام بالسجن والغرامة على عدد من مرتكبي جريمة الرشوة والتزوير»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/٧/٣٠ هـ، العدد ٨١٣٠، ص ٦.

(١) انظر «ارتكب ١٦ حادث سرقة! تنفيذ الحكم قصاصاً وتعزيراً في مجرمين بينهم... متعادو سرقات»، جريدة المدينة، ١٤١٥/٩/١ هـ، العدد ١١٦٢٨، ص ٩.

(٢) أخلاقنا الاجتماعية، ص ١٠٧-١٠٨.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٨٤؛ وانظر الغصن، صلة الأخلاق بالعقيدة والإيمان، ص ٢٩-٣٢.

ترجع إلى شيء واحد هو: الكذب: كذب السياسي على شعبه، وكذب الرئيس على أمته، وكذب الحزب على أتباعه، وكذب النائب على ناخبه، وكذب الصديق على صديقه، ولو صدق هؤلاء جميعاً لاستقامت الحياة واستفاضت الثقة^(١)؛ لأن المسؤول يزعم ويعد بأداء العمل على الوجه الأمثل، وفي الواقع لا تجد غير الوعود الكاذبة، والمبالغة المصطنعة. والتاجر في متجره ينفق سلعته ويروجها بالآيمان الكاذبة. وصاحب الحاجة يلجأ إلى الكذب استجداءً ومبالغة في عرض مسألته. والمقصر في عمله يلجأ للاعتذار، فيستسيغ الكذب. والمربي في بيته ومدرسته ينشئ النشء على الكذب، يقول فلا يفعل، ويعد فلا يصدق. وناقل الخبر متحدثاً وكاتباً يحرف ويقدم ويؤخر في الخبر رغبة في الإثارة، والتشويق. بل إن البعض يتباهى بالكذب، ويعتبره شطارة ذهنية، وفكاهة وقتية، فظهرت [كذبة أبريل]، و [كذبة بيضاء]، وهب البعض يتبارى مع غيره في ذلك.

وظهر الظلم الاجتماعي عياناً، ففرّق في المعاملة وإيصال الحقوق بين أفراد المجتمع، فالمسؤول يستغل منصبه للإساءة والإذلال، ومنع الحق من أصحابه. وصاحب العمل يستغل جهد عماله وكامل طاقتهم، ثم يبخسهم أجرهم. وآخر يتلاعب بمشاعر أصحاب الحاجات، مستغلاً مركزه وحاجة الآخرين إليه^(٢).

أما الكبر والاستخفاف والازدراء على أفراد المجتمع فسمّة متفشية بين كثيرين، حيث التعالي لشعور داخلي بأنه الأفضل والأحق في التقديم والتقدير، وأن منزلته فوق الجميع، ويتبع ذلك حرمان الناس من حقوقهم المالية والمكانية، وهذا المرض موجود بين مختلف طبقات المجتمع، فالابن يستخف بكلام والده وتوجيهه؛ لأنه يرى نفسه الأكثر تعليماً، والأفهم في أمور الحياة، والزوجة تتعالى على زوجها بمالها وجمالها، وذو الجاه والمكانة الاجتماعية يرى ضرورة أن يعامل معاملة خاصة بين العامة، بسبب منصبه أو وفرة ماله، أو نسبه. وهكذا بين أغلب أفراد المجتمع.

أما مقاييس التعامل بين الأفراد، فقد فسدت الذمم عند بعضهم، فأصبح أحدهم لا يبالي في حلال أو حرام، بل الحلال ما حل في اليد وإن كان حراماً. يبيع

(١) المرجع السابق، ص ٨١.

(٢) انظر «قضية الأسبوع: الوظائف الشاغرة: الأقربون أولى... لا مبررات لإخفاء الوظائف وعدم الإبلاغ عنها»، مجلة اليمامة العدد ١٢٩١ (١٥/٨/١٤١٤ هـ): ص ٢٦ - ٣٠.

دينه بحفنة مال، وينظر للآخرين بمنظار دنيوي يرفع ويخفض بمقاييس دنيوية. يقول عبد القادر عودة رحمه الله تعالى: (إن حياتنا الاجتماعية قائمة على المنفعة، وعلى التحلل من كل القيود)^(١).

سادساً: تفسير^(٢) المرأة^(٣).

وجعل لهذا الموضوع عنواناً مثيراً، وهو تحرير المرأة، حيث أُبرز، وجُعل قضية أُشغل بها أفراد المجتمع من علماء ومفكرين وعامة^(٤)، واختير هذا العنوان إمعاناً في الإثارة والخداع بأن المرأة في الإسلام مسلوبة الحرية والإرادة^(٥)، وأن هذا الطرح غير علة عليها، ورغبة في تكريمها بوضعها في مكانها اللائق بها كما زعموا، يقول كبيرهم ومنظرهم في ما ذهبوا إليه: (المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث، بدأ ظهورها في الغرب على أثر الاكتشافات العلمية التي خلّصت العقل الإنساني من سلطة الأوهام والظنون والخرافات، وسلمته قيادة نفسه، ورسمت له الطريق التي يجب أن يسلكها)^(٦) فكان أن أوهموا المجتمع بمبررات ومزاعم واهية^(٧)، من أبرز آثار هذا النعق الكافر، ظهور عدة ظواهر متفشية بين نساء

(١) الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص ١٢٧.

(٢) سَفَرَت المرأة فهي سافر: إذا أَلَقَتْ خمارها عن وجهها، والسَفَرُ: كشف الظاهر، وسَفَرَ سُفُوراً: وضح وانكشف. وقيل: الكشف عن أخلاق المرء وأحواله. انظر ابن منظور، لسان العرب، «سفر»؛ وانظر أبا البقاء، الكلبيات، ص ٥١١.

(٣) انظر محمد قطب، واقعا المعاصر، ص ٢٥٠ - ٢٩٥؛ وانظر محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ٨١ - ٩٦؛ وانظر جريشة، الزيق، أساليب الغزو الفكري، ص ٨٥ - ٩١؛ وانظر السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٢٤٧ - ٢٦٢.

(٤) انظر تهاني القيعي، «الاحتفال بيوم المرأة المصرية»، جريدة الأهرام، ١٤١٦/٤/٢٢ هـ، العدد، ص ٦.

(٥) انظر فادية خطاب، «رئيس تحرير «الأهرام» ونقيب الصحفيين المصريين للمدينة: سلبية المرأة العربية، مرفوضة. لا مجتمع بدون مشاركة المرأة. أرفض لافتة «للنساء فقط»، والنزعة النسوية في العمل الصحفي»، جريدة المدينة، ١٢/٣/١٤١٥ هـ، العدد ١١٤٦٣، ص ١٢ - ١٣.

(٦) قاسم أمين الأعمال الكاملة لقاسم أمين، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ج ١ ص ١١٩.

(٧) انظر المرجع السابق، ص ١١٥ - ٢٣٠؛ وانظر أبا الأعلى المودودي، الحجاب، ص ٤٩، وانظر أحمد السماوي، الاستبداد والحرية في فكر النهضة، الطبعة الأولى، ص ٧٤ - ٧٦؛ وانظر صلاح جوهر، المرأة العربية المعاصرة... إلى أين؟!، الطبعة الأولى، ص ١٩ - ١٥١.

المسلمين، حيث التبرج^(١)، والمجاهرة في نزع حجاب الحشمة والوقار وطرح الحياء في أمور حياتية مختلفة، منافسة بذلك المرأة الكافرة في إظهار مفاتها، وملاحقة ما يسمى الموضة في ملابسها وزينتها^(٢)، يقول المودودي رحمه الله تعالى عن حرية النساء المتفاقمة اليوم، والتي منها: (انسياقهن إلى التجمل والتبرج، والأزياء شبه العارية، وانجرفهن وراء الموضة، ومنها أن الفتيات في هذه الأيام يبدن زينتهن من خلال ملابسهن الشفافة، المتقلصة المغرية، المعطرة بالروائح المثيرة، وخدودهن المزينة بالمساحيق، وشفاهن المصبغة بأحمر الشفاه، ويبرزن مفاتن أجسادهن، ويعرضنها في الأماكن العامة)^(٣)، فكان أن ابتذلت المرأة حين خرجت من البيت مترجلة، فوجدت في كل مكان، في الشوارع والبيادين، في الملاعب والملاهي، في أماكن العمل والمواصلات، في مواقع اللقاءات والمناسبات، فسرقتها النظرات الجائعة، واسترسلتها الكلمات الهابطة، حتى ابتذلت مفاتها، ورخص جسدها، وفقدت أنوثتها، واسترجلها الرجال.

فخرجت بعض النساء من قوامة الرجل^(٤)، سواء كان أباً، أو زوجاً، أو ولي أمر شرعي، خرجت المرأة عن طاعته، وأصبح لها الحرية المطلقة في تدبير شؤونها خارج البيت وداخله، تتعامل مع الرجال بلا قيود أو حدود، لا تُسئل عن غياب أو حضور، أو دخول أو خروج. وعملت على مشاركة الرجال ومساواته في العمل والإنتاج^(٥)، فظهرت مزاحمة المرأة للرجل في مجالات الحياة العامة، ومنافسته في الحقوق والواجبات، حتى ظهر من ينادي بالمساواة في الميراث^(٦)، بداعي أنها نصف المجتمع، الذي لا يمكن للمجتمع أن ينهض دونه، فشاركت الرجل خارج المنزل، وشاركتها الرجل داخل المنزل. وبلغ الأمر مبلغه بمشاركة بعض النساء في

(١) التبرُّج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال. انظر ابن منظور، لسان العرب، «برج».

(٢) انظر نعمت صدقي، التبرج، ص ١٢؛ وانظر السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٢٤٨ - ٢٤٩؛ وانظر محمد الحرباوي، بدع وعادات يجب أن تزول من المجتمع الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ٧٣.

(٣) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، الطبعة الثالثة، ص ٢٥٧؛ وانظر الحجاب، ص ٥١ - ٥٢.

(٤) انظر السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٢٥١.

(٥) انظر محمد آدم، المرأة بين البيت والعمل، ص ٤٨ - ٥٠.

(٦) كما تنادي بذلك أمينة السعيد، والكاتب أحمد بهاء الدين على صفحات الأهرام.

الأنشطة الشبابية، حيث شاركت المرأة الرجل وأظهرت تلك المشاركة بتميز في المهرجانات الشبابية، والألعاب الرياضية، والمعارض الثقافية، والبرامج التمثيلية، والرقص والأفلام، كما أُقيم لها مسابقات ملكات الجمال، بإشراف الرجال وتقييمهم^(١).

سابعاً: اتباع الشهوة.

أصبح كثير من الأفراد أسير شهوته الجسدية والنفسية، يتبعها حيث تقوده بكل نهم وبهيمية، حتى سيطر إشباعها على أقواله وأفعاله، وسخر لأجلها جلّ أفكاره، يقول القرضاوي: (وكان من نتائج التخلي عن الإسلام، انطلاق الغرائز الدنيا، وطغيان الشهوات البهيمية، وانتشار المجون والفسق والتحلل من عقدة الفضائل والمثل العليا، فالعفاف، والإحصان، والاحتشام، والحياء، من أخلاق الرجعية المتزمتة، وخصائص المجتمعات المتخلفة، التي لم تر نور القرن العشرين. أما اللهو والخلاعة والصور العارية، أو شبه العارية، والقصص الخليعة، والأدب المكشوف، والغناء الفاحش، والأزياء المثيرة، فهذه هي سمات الحضارة، وعنوان التمدن، وشارة التحرر من ربقة التقاليد العتيقة البالية)^(٢).

من جراء ذلك وغيره شاعت الفاحشة في مظاهر مختلفة^(٣)، فمظاهر البغاء والاتجار به، وانتشار دور الدعارة، وبيوت العهارة، وأماكن اللهو والمجون، في أغلب بلاد العالم الإسلامي ظاهرة للعيان^(٤).

يقول محسن عبد الحميد مبيناً أبرز مظاهر الانحراف المعاصر في حياة

(١) انظر محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ٨٠؛ وانظر الحرباوي، بدع وعادات، ص ٧٤؛ وانظر لينا خوري، «ملكستان للجمال في لبنان، ووزارة السياحة تتدخل»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٦/٥ هـ، العدد ١١٥٨٧، ص ٢٠؛ وانظر «مشروع مصري لإقامة دوري «حريمي»». ماذا يقول الدين في كرة القدم «النسائية»؟»، جريدة السياسة، ١٤١٥/٨/٤ هـ، السنة ٢٧ - ١٢٥٣ - ١٣٦١، ص ١.

(٢) درس النكبة الثانية، ص ٣٩.

(٣) انظر جريشة، الزبيق، أساليب الفوز الفكري، ٧٠ - ٧٣؛ وانظر ناصر العقل، التقليد والتبعية وأثرهما في حياة الأمة، الطبعة الثانية، ص ١٢٣؛ وانظر كتعان، أزمات الشباب، ص ٩٨ - ١١٢.

(٤) انظر أنور الجندي، عقبات في طريق النهضة، (القاهرة، دار الاعتصام)، ص ٢٢٤ - ٢٢٧.

المسلمين: (من إدمان للخمر، إلى نوادي القمار، إلى دور البغاء العلني والسري، إلى الخلاعة الجنسية على شواطئ البحار والأنهار وأحواض السباحة، والاستعراضات الرياضية المختلطة، إلى تسهيل الإجراءات في الملابس، وتشجيع دورها، ومحلاتها، وصحفها، وحفلات عرضها، تلك الفصائح الاجتماعية والأخلاقية التي قتلت الرجولة والشهامة، والمروءة والاستقامة، وروح الجهاد والكفاح في الحياة لدى الأجيال المسلمة)^(١). وانتشرت المخدرات والمسكرات بأنواعها في عالمنا الإسلامي^(٢)، حتى وصلت إلى كل يد وبيت^(٣).

يقول أبو بكر الجزائري: (وباللقاء نظرة خاطفة أيها القارئ الكريم على بلاد المسلمين من أندونيسيا إلى المملكة المغربية غرباً، تجد وكأن المذكورات في الحديث الشريف - قوله ﷺ: ((لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ))^(٤) - قد استحلّت فعلاً. فالخمر تصنع وتصدر وتشرب في كثير من بلاد المسلمين، وتستورد وتباع وتشتري وتشرب في بلاد أخرى من ديار المسلمين^(٥)، ومن الطبيعي تبعاً لذلك أن تنتشر الجريمة، وتتصاعد في عمومها، حيث تمادى المجرمون في الاعتداء على الأعراس والأنفس والأموال، اغتصاباً وقتلاً وسرقة^(٦).

(١) المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، الطبعة الثانية، ص ٣٣.

(٢) انظر مصطفى الرافي، الإسلام ومشكلات العصر، الطبعة الثانية، ص ١٦٩؛ وانظر محمد يسري دعبس، الإدمان بين التحريم والمرض، (علم الإنسان وقضايا المجتمع، الكتاب الثالث)، ص ١٩ - ٢٢؛ وانظر عبد المجيد دريقة، المخدرات وشباب الأمة، الطبعة الأولى، ص ٦ - ٧؛ وانظر رشيد محمد الرشيد، أضرار المخدرات الاجتماعية، الطبعة الأولى، ص ١٨ - ٢٣.

(٣) انظر الرافي، المرجع السابق، ص ١٦٦ - ١٦٧؛ وانظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٣٤٩؛ وانظر دريقة، المرجع السابق، ص ٩ - ١٠؛ وانظر الرشيد، المرجع السابق، ص ٣١، ٣٧، ٣٩ - ٤٢، ٤٦ - ٤٩؛ وانظر «أصبحوا هدفاً لشرطة مكافحة، طلبة الصعيد في مصر مدمنون على المخدرات»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٢/٢٠ هـ، العدد ٥٧٢١، ص ٢٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ٦.

(٥) رسائل الجزائري الثالثة، ص ٣٣.

(٦) انظر «إعدام [٤] أشخاص في قضيتي حراية واغتصاب في الشارقة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٤/٢٣ هـ، العدد ٥٧٨٣، ص ٣٥.

وأصبحت الجريمة تتم وفق عمليات منظمة، وبواسطة جماعات مدربة، وخطط محكمة، يقول المودودي رحمه الله تعالى: (الفتيان في هذا الزمان لتأثرهم بأفلام (هوليوود)، هم الآخرون كذلك تحولوا إلى عصابات المجرمين)^(١).

ثامناً: أكل الأموال بالباطل .

فمثلاً فشت الرشوة والتزوير بين بعض أفراد المجتمع، رغبة في أكل أموال الناس بالباطل، والحصول على مميزات وامتيازات لا حق للمرتشي والمزور فيها، يقول عبد القادر عودة: (الناس اليوم يستحلون كل شيء ما دام يؤدي للغاية، السرقة والرشوة، والاختلاس، وبيع الأعراض والكرامات، والمساومة على المصالح العامة، والتستر على الخيانة والفساد، وإسكات صوت الحق، كل ذلك جائز ما دام يؤدي إلى المال، أو الجاه، أو كراسي الحكم)^(٢).

تاسعاً: إقرار الفساد .

فبعض الأفراد مع إقراره بخطورة الفساد الخلقي، وتحديده في أمور معينة يحذر منها، إلا أنه يقرها عملياً، ويسر بها في قرارة نفسه، ويطلب المزيد منها، ويعمل لأجل أن تصبح أمراً مسلماً به^(٣). كما تقوم بعض الدول الإسلامية من خلال قوانينها المنحرفة برعاية أندية القمار، والمسكرات، وحراسة بيوت الزنا والملاهي الليلية، بل تجعل منها أحد الموارد المالية التي تعتمد عليها^(٤)، ولأجلها تعقد

(١) الإسلام في مواجهة التحديات، ص ٢٥٧؛ وانظر الحجاب، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص ١٢٦ .

(٣) انظر محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ٣٥٦؛ وانظر أنور الجندي، الصحافة والأفلام المسمومة، ص ٨٥ - ٨٦؛ وانظر سالم البهناوي، تهافت العلمانية في الصحافة العربية، الطبعة الثانية، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٤) انظر المودودي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص ١٣٧؛ وانظر (...)) (إبراهيم سعده، ((الأموال الضائعة فوق المائدة الخضراء))، جريدة الأهرام، ١٠/٨/١٣٩٨ هـ)) (...))؛ وانظر (...)) ((الدولة تخسر، وتجار الوسكي يكسبون))، (القاهرة: جريدة الأخبار، ٢٥/٦/١٣٩٨ هـ)) (...))؛ وانظر (...)) ((مصر تخسر سنوياً مليار جنيه من نقد مهرب مهدر وتكاليف مكافحة المخدرات)) جريدة الأهرام، =

المؤتمرات، والندوات، والمهرجانات المنظمة؛ لدواعي ذلك الفساد^(١). في مقابل منع: حجاب المرأة المسلمة، وتعدد الزوجات، والطلاق، وفرض السفور والاختلاط^(٢).

وعلى مستوى الأفراد يجاهر البعض في الدعوة إلى الفساد، والخروج عن المثل الإسلامية السائدة بين أفراد المجتمع. وينادي آخرون بضرورة رعاية الفساد من خلال توفير وسائل الفساد ودواعيه، يقول أحدهم: (عندما انطلقت عدة رصاصات في صعيد مصر، انخفض عدد السياح بشكل ملحوظ ولكن في فلوريدا يقتلون كل يوم سائحاً، وفي الوقت نفسه يتضاعف عدد السياح، لماذا يزداد عدد السياح في فلوريدا بالرغم من الرصاص الذي ينطلق كل يوم؟ ولماذا يتناقص عدد السياح في مصر مع أن الرصاص ينطلق في بعض الأحيان. السبب الحقيقي أن السياحة... في مصر: نزهة في النيل وفرجة على أهرامات الجيزة، وجولة في معابد الأقصر... ولكن السياحة في فلوريدا على كل لون: شواطئ للعرايا، وشواطئ للمتقمشين، ومسارح تعرض أحدث المسرحيات، ودور سينماء تعرض آخر ما أنتجته استديوهات هوليوود. كازينوهات لألعاب القمار، ونواد لسباق الخيل، وأخرى لسباق الكلاب... تجربة فلوريدا تثبت أن الرصاص لا يمنع السياح، ولا يقضي على السياحة. وعندما توجد حركة سياحية حقيقية، لا يمكن أن يعرقلها الرصاص... والمطلوب الآن من عباقرة السياحة في بلدنا، وضع النقط على الحروف، واكتشاف السر من الكساد الذي أصاب الحركة السياحية في بلادنا، والذي جعل السياح يعزفون عن السياحة في بلادنا، ولسان حالهم يقول: بركة يا جامع^(٣).

= ١٤٠٢/٦/٨ هـ...))، الجندي، عقبات في طريق النهضة، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(١) انظر «القاهرة: المهرجان الثالث للموسيقى العربية يبدأ أعماله»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٥/٢٧ هـ، العدد ١١٥٨٠، ص ٢٠.

(٢) انظر عودة، الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص ٣٣.

(٣) محمود السعدني «السياحة والإرهاب»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٣/١٠/٦ هـ، العدد ٥٤١٩، ص ٢٦.

الفرع الثاني وسائل الفساد الخلقي

للإفساد الخلقي وسائل مادية ومعنوية متعددة، من أبرزها:

أولاً: الإعلام^(١).

فكثير من وسائل الإعلام المرئية^(٢)، والمسموعة^(٣)، والمقروءة^(٤)، سُخرت في جُلِّ ما تقدمه من برامج ومقالات، لهدم الأخلاق الفاضلة، ونشر الأفكار المنحرفة وتكريسها^(٥)، حتى إنها: (قلبت المنكر معروفاً، وأمرت به، وقلبت

(١) انظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٢٣٥ - ٢٥٠؛ وانظر المطعني، الفراغ، ص ١٥٣ - ١٩٥؛ وانظر جريشة، الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ص ٧٠ - ٧٣؛ وانظر القحطاني، الولاء والبراء، ص ٤٠٤ - ٤٠٧؛ وانظر العقل، التقليد والتبعية، ص ١٢٢؛ وانظر محمد بدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ص ٦٥.

(٢) انظر سعيد عبد الستار، «الدكتور محمد عبده يماني لـ المدينة الإسلامية: [٢٥٠٠] قمر للبت الفضائي تجوب السماء...»، جريدة المدينة، ١٥/٧/١٤١٤ هـ، العدد ٩٧١٩، ص ١٣.

(٣) انظر حوار: عبد الله الكناني، «محمود الزواوي رئيس القسم العربي بإذاعة صوت أمريكا: لن نستسلم لـ.. غزو القنوات الفضائية!... قريباً.. محطات لتقوية إرسال الإذاعة بالخليج»، جريدة المدينة، ٣٠/٨/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٩٨، ص ٢٣.

(٤) انظر تحقيق: صلاح الحسن، «المجلات في السوق السعودية. مدير عام المطبوعات بوزارة الإعلام: أكثر من ٢٥٠٠ مجلة وافدة...»، جريدة الجزيرة، ٩/٨/١٤١٥ هـ، العدد ٨١٣٩، ص ١٢.

(٥) انظر الجندي، عقبات في طريق النهضة، ص ١٧٥ - ١٨٠؛ وانظر الصحافة والأفلام المسمومة، ص ٦٧ - ٨٧؛ وانظر عبد الرحمن عيسوي، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر)، ص ٧٨ - ٨٣؛ وانظر محمد كامل عبد الصمد، التلفزيون بين الهدم والبناء، الطبعة الثانية، ص ٣٥ - ٥٢؛ وانظر مساعد المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، دراسة تحليلية وصفية مقارنة لعينة من المسلسلات التلفازية العربية، الطبعة الأولى، ص ١٥٩ - ٢٤٦؛ وانظر محمد علي المطوع، قاتل الأخلاق، حكمه، أسبابه، علاجه، (الرياض: مطابع دار طيبة)، ص ٤١ - ٤٤؛ وانظر عامر الأسدي، تحذير الخلف مما في التلفاز من التلف، الطبعة الأولى، ص ١٣ - ١٢٨؛ وانظر سعيد بن مبارك آل زعير، التلفزيون والتغيير الاجتماعي في الدول النامية، (القاهرة، بيروت: دار الشروق)، ص ٢٣٤ - ٢٧٩؛ وانظر «أطفالنا على الشاشة الصغيرة (٣ من ٤): مضامين فارغة، وقصص مفتعلة، وأجنبية مترجمة للمشاهدين الصغار على الشاشة الأردنية»، جريدة =

المعروف منكرأ ونهت عنه^(١)، فأشاعت الفاحشة بين الناس وأغرت بالجريمة^(٢)، بفعل ما تقدمه من كلمة هابطة، وصورة عارية، ودعوة فاسدة، يقول محمد حسين: (خذ لذلك مثلاً من الإذاعة: فالسياسة التي تجري عليها هي إشباع الشهوات لا الإرشاد وهي في كثير مما تهز به أجواء الأرض من كلمات، أو أصوات، تُفسد ولا تصلح، وتغوي ولا تهدي، وتحتاج للمرشد مع أن مهمتها هي الإرشاد، فقصاصها المسلسلة مثار للفرع الذي يقلق النفوس، ويسقم الناشئة، ويجنح بطبائعهم إلى الانحراف، بما يدور حوله سياقها من جرائم تظهر عتاة الأشقياء في مظهر الأبطال، وبما تعرضه من نماذج لنفوس فظة مريضة، وبما توحى إلى أبنائنا وبناتنا من سلوك منحط سافل يتحدى خلقنا الإسلامي)^(٣)، يقول أحد المعاصرين: (دخلت إلى إحدى المكتبات الكبرى لأفاجأ بكم هائل من المجلات والمطبوعات الأجنبية التي تصدر أغلفتها صور نسائية شبه عارية، وتحتوي صفحاتها على موضوعات تصطدم بمفاهيمنا الأخلاقية، وتتعارض مع حقيقة ما تعلمناه عن الأطر المثالية للعلاقات الاجتماعية!! وليت الأمر توقف في هذه المجلات على نشر الصور الفاضحة، والمواضيع الإباحية، بل إن الأمر تعداه إلى نشر إعلانات تجارية عن كتب وأشرطة تلفزيونية، تروج لتعلم فنون الممارسات الجنسية، وكيفية إقامة العلاقات الغرامية!! الأمر الذي جعل إعلانات الخمور أهون شر احتوته تلك المجلات، والأخطر من ذلك كله، أنني وجدت مجلة تدعى „ID“، تعنى بقضايا الشذوذ الجنسي، وتخصص مواضيعها لاهتمامات أنصاره!!)^(٤).

- = الشرق الأوسط، ٢٠/١١/١٤١٥ هـ، العدد ٥٩٨٧، ص ٢١
- (١) القحطاني، الولاء والبراء، ص ٤٠٧؛ وانظر «التلفزيون ينكر نصاً صريحاً في القرآن الكريم عبر برنامج «بين الحقيقة والخيال». القرآن يؤكد نهاية «قارون» والتلفزيون ينكرها»، مجلة المجتمع العدد ١٨٦ (١٣/١/١٣٩٤ هـ): ص ١٢ - ١٣.
- (٢) انظر عيسوي، مرجع سابق، ص ١٠٧ - ١١٠؛ وانظر سعد زينهم، «الدراسات العلمية: التلفزيون وراء اتجاه الشباب للعنف»، جريدة المدينة، ١٥/٢/١٤١٥ هـ، العدد ١١٤٣٦، ص ٢٢؛ وانظر علي مكي، «في دراسة علمية» أستاذ إعلام كويتي يؤكد: «باباي» يكرس العنف في عالم «صغار الخليج!»، جريدة عكاظ، ٢/٦/١٤١٥ هـ، العدد ١٠٣١٦، ص ٢٢.
- (٣) حصوننا مهددة، ص ٤٥ - ٤٦.
- (٤) خالد حمد السليمان، «حروف وسيوف: صرخة أخلاقية لوزارة الإعلام»، الكويت: جريدة الوطن، ٣٠/١/١٤١٥ هـ، العدد ٦٦١٤/١٠٦٠، ص ٢٣.

وخطورة هذه الوسائل الإعلامية تكمن في أنها قد شاركت في تربية الأبناء وتوجيههم، بفعل تواجدها في كل بيت، وفي كل وقت^(١)، وفي كل مناسبة، وتكمن في أساليب الطرح والاختيار حيث يقف خلف وسائل الإعلام في أغلب البلدان الإسلامية أناس سخروا أنفسهم لخدمة الشيطان وأعوانه، فوقعوا تحت نفوذ السيطرة الإعلامية للأعداء^(٢)، بل إن من القائمين منهم من الأعداء الألداء، فمخالفة المنهج الإسلامي أمرٌ مراد، يجهدون أنفسهم لأجل تلك المخالفة، فيُخضعون ما يراد تقديمه لدراسات نفسية واجتماعية، إمعاناً في تقديمها وعرضها عبر أساليب غاية في الإيهام والتأثير^(٣)، وإحاطتها بعوامل إغراء وإقناع، تجعلها الأقرب لرغبات النفس وأهوائها، والأفضل في الطرح والعرض، وهذا ما جعل لها أكبر الأثر في نفوس الغالب من المتلقين، خاصة النشء^(٤) الذين طبعوا على آثارها، حتى صارت جزءاً من تكوينهم الفكري، والنفسي^(٥)، وهو ما أثبتته الدراسات العلمية المتخصصة^(٦).

أما المسرح متمثلاً بدور العرض السينمائي، والمسرحي، والمراقص الليلية^(٧)

-
- (١) انظر «جدل حاد حول مد الإرسال التلفزيوني المصري [٢٤] ساعة متصلة»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٢/٣٠ هـ، العدد ١١٤٩٤، ص ٢٤.
- (٢) انظر محمد حسين، مرجع سابق، ص ٤٥ - ٤٦؛ وانظر زياد أبو غنيم، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، الطبعة الأولى، ص ٢٣ - ١١٤؛ وانظر فؤاد الرفاعي، النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية، (المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع)، ص ٣٦ - ٥٩.
- (٣) انظر محمد حسين، المرجع السابق، ص ٤٥؛ وانظر آل زعير، التلفزيون والتغيير الاجتماعي، ص ١٧٥ - ١٩٦.
- (٤) انظر عيسوي، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون، ص ٣٠ - ٣١؛ وانظر «[٩٦٪] من أطفال مصر معتقلون أمام الشاشة الصغيرة. في أحدث دراسة ميدانية...»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٤/٦/٢٥ هـ، العدد ٥٤٨٩، ص ٣٢.
- (٥) انظر محمد حسين، مرجع سابق، ص ٤٦.
- (٦) انظر عيسوي، مرجع سابق، ص ٢٥ - ٤٦، ٩٥ - ١٠٦؛ وانظر أشرف السحار، «أفلام الكرتون وراء الفرع الليلي للأطفال»، جريدة المدينة، ١٤١٤/٧/٢٢ هـ، العدد ٩٧٢٦، ص ٢٣؛ وانظر محمود موسى، «استنتاج خرجت به دراسة ميدانية: الجريمة في الأفلام المصرية تقود الأحداث إلى الوقوع في مصيدة الانحراف؟»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٤/٣ هـ، العدد ١١٥٢٦، ص ٢٠.
- (٧) انظر الجندي، عقبات في طريق النهضة، ص ١٧٤؛ وانظر الصحافة والأفلام المسمومة، =

ونحوها، فهو إحدى الوسائل الإعلامية التي سَخَّرت نشاطها للإفساد الخلقي، عبر عنها بجلاء مصطفى المنفلوطي بوصف ميادينها بالملاعب الهزلية^(١)، حيث قال: (هي مقابر المجد والشرف، ومدافن الفضائل والأخلاق ومصارع الأعراض والحرمان... لا أرى في هذه المجامع التي تفتنون بها، وتهافتون عليها حسنة تغتفر سيئة، أو جمالاً يفي بقبح، أو خيراً يعزي عن شر، فتمثيلها سخيف بارد، لا يستطيع من أوتي حظاً قليلاً من الذوف الأدبي أن يصبر نفسه ساعة واحدة على النظر إليه)^(٢)، وعبر عن روادها بقوله: (لا يطرب لمثلها إلا أصحاب الأذواق العامة الخسنة، الذين يطربون لنشيد الأذكار، وطبول الزار، وتعداد النائحات في المآتم والمناحات)^(٣)، وعبر عن فحواها المنحرفة^(٤) بقوله: (فيها: الهزء والسخرية بالطبقات الشريفة العاملة في الأمة... تمثيل الشهوات البدنية والنفسية بجميع ألوانها وضروبها على مشهد من رجالنا ونسائنا وأطفالنا، وتصويرها بتلك الصورة القبيحة... فيها من ألفاظ السب والشتم وجمل الفحش والهجر التي لا يترك أذنه مثلها في أي موقف من مواقف حياته أو مشهد من مشاهدتها)^(٥).

ثانياً: الجمعيات والمؤسسات والأندية المشبوهة^(٥).

التي تمارس فيها أنشطة مختلفة، منها الاجتماعي، أو الرياضي، أو الثقافي، وهي أنشطة لا تتجاوز أن تكون ستاراً يحجب حقيقتها المنحرفة، والتي يدركها صاحب البصيرة النيرة، والنظرة الثاقبة، والرؤية الصادقة. ويدخل في ذلك تلك المعسكرات الشبابية التي يُعمد فيها إلى ضم الشاب المنسلخ من دينه أو الكافر،

= ص ١١٣ - ١٣٠؛ وانظر العقل، التقليد والتبعية، ص ١٢٣.

(١) انظر النظرات، ص ٢٧٦ - ٢٧٩؛ وانظر «عبد الله غيث لـ «اليمامة»: المسرح المصري بلا قضية ولا هدف!»، مجلة اليمامة العدد ١٢٤٢ (١٢/٨/١٤١٣ هـ): ص ٦٢ - ٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٧.

(٣) انظر الجندي، مرجع سابق، ص ١٣٥ - ١٣٨.

(٤) النظرات، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٥) انظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٢٠١ - ٢٠٣، ٢٠٨؛ وانظر الموسوعة الميسرة، ص ٢٤٦ - ٢٤٧، ٤٣٤؛ وانظر علي الستراوي، «عرض نادي المعامير أضحك الجمهور، وأضاع «البصمة» في الأداء المسرحي»، البحرين: جريدة الأيام، ١٤١٥/٦/٢ هـ، العدد ٢٠٧١، ص ٨.

وبين الشباب الملتزم بتعاليم دينه، فتنظم لهم الرحلات الجماعية، واللقاءات الثقافية والرياضية ونحوها، بغرض التأثير والإغراء.

ثالثاً: الأدب غير الملتزم.

بشقيه القديم والحديث، ففي ما يسمى تراثنا الأدبي، تجد سفيراً من الحكايات التاريخية والأسطورية، التي تحمل في طياتها كثيراً من العادات الخرافية، والطقوس التقليدية، والمعتقدات الشيطانية، يُنظر لها على أدب الأمة، تراثها الذي يجب الانطلاق منه، والمحافظة عليه، رغم ما يحمله من أساليب ساقطة وعادات بائدة، وألوان شائنة^(١). وليس أدل على ذلك من تلك الكتب التي تحمل السم الزعاف في طياتها^(٢)، والمهرجانات التي تظلل النشء، وتطبع آثارها في القلوب.

وفي الحديث تجد الرواية المنحرفة والمثيرة^(٣)، والقصيدة الماجنة، والمقالة المخدرة، والنشاطات والدراسات المتعددة تحت مسمى الأدب الشعبي، أو الفولكلور^(٤)، وهي لا تتجاوز في غالبها تلك الأعمال الرخيصة والمنهزمة.

رابعاً: الفن.

هذه الكلمة التي أسيء استخدامها، وجعلت شعاراً خادعاً لحقيقة ما يدور في محيطها، حيث أطلقت على نشاط المقلدين، والمغنين، والعاملين على إفساد الذوق لا الرقي به^(٥)، يقول المنفلوطي: (لقد رأيت في حياتي صنوف الحيل والكيد،

(١) انظر المودودي، الحجاب، ص ١٣٤ - ١٤١؛ وانظر محمد حسين، حصوننا مهددة،

ص ٤٧ - ٤٨؛ وانظر عبد العظيم المطعني، أوروبا في مواجهة الإسلام، الوسائل..

والأهداف، الطبعة الأولى، ص ٣٠٠ - ٣٠٩.

(٢) انظر كتاب ألف ليلة وليلة؛ وانظر الأصفهاني، كتاب الأغاني.

(٣) انظر روايات عبير؛ وانظر نجيب محفوظ، حكاية أولاد حارتنا.

(٤) انظر محمد حسين، مرجع سابق، ص ٤٨ - ٥٦.

(٥) انظر الجندي، عقبات في طريق النهضة، ص ١٧١ - ١٧٣؛ وانظر الصحافة والأقلام

المسمومة، ص ١٣١ - ١٣٤؛ وانظر المطعني، أوروبا في مواجهة الإسلام، ص ٣١١ - ٣١٦؛

وانظر الفراغ، ص ١٠٨ - ١٢٢؛ وانظر حلمي القاعود، أهل الفن وتجارة الغرائز، الطبعة

الأولى، ص ١١ - ٢٣؛ وانظر محمود عبد العزيز، «محاكمة «الايديز الفني»!»، مجلة اليمامة

العدد ١٠٩٩ (٢/٩/١٤١٠ هـ): ص ٦٦ - ٧٠.

وضروب السماجة والوقاحة، فلم أر بين المحتالين والمتوقحين من هو أعظم كيداً، ولا أسمح وجهاً، من هؤلاء القوم، إنهم يحاولون دائماً أن يلبسوا مفاستهم وشروهم ثوب الفضيلة والجد^(١). لابعوه فئة من ذوي الطبائع المنحرفة، فمن الحشاشين والسجناء، إلى المنحرفين، والبلهاء^(٢)، يقول عنهم المنفلوطي: (أتدرون أيها الأصدقاء من هم أولئك القوم الذين يسمون أنفسهم ممثلين... والذين يدعونكم معشر المتعلمين الراقين إلى حضور مجامعهم باسم الآداب والفنون؟ لو أن جماعة من الزامرين، وآخرين من الطبالين، وآخرين من القرادين وجماعات غيرهم من الرمالين، والمداحين، والصفاعين، والبهلوانية، والحواة والرقاة، وبقية السائلين المستجدين الذين يمرون بأبواب منازلنا كل يوم ضاجين صارخين... اتفقوا فيما بينهم على أن يكونوا جماعة واحدة تعمل يداً واحدة، في مكان واحد؛ لكانوا هم بعينهم^(٣)). ويقول محمد صلاح الدين: (إن عدداً كبيراً من الطبقة التي تعمل في مجالات السينما والتلفزيون والغناء والتمثيل في بلادنا العربية والإسلامية، هم في الأغلب غربيون على دينهم، مسارعون في التنكر لكل قيم وموارث مجتمعهم، موغلون في الاستغراب والتفرنج في كل مظاهر حياتهم وسلوكهم، مولعون بالسخرية والطعن فيما لا يروق لنفوسهم المريضة من أحكام الشرع وآداب الإسلام^(٤)). إذاً فمادته إسفاف وتفاهة، تدور حول العشق والغرام، وإثارة الغرائز، وتحقيق الشهوات^(٥). وهدفه إفساد الطباع السليمة، وإشاعة الفاحشة والجريمة^(٦)، يقول أنور الجندي: (هذا الفن يخدم هدفين: هدف عقائدي وهو: إفساد إيمان الناس بالله وبالقيم. هدف اجتماعي، وهو: بذور بذور القلق والحقد والتمزق في عقول الناس وأفئدتهم، وظهر أن هيئات المسرح، وشركات السينما، في سباق حاد لقتل روح الأمة وتشويه شخصيتها في الأقطار العربية، بما ينتجه من فن رخيص مهرج داعر،

(١) النظرات، ص ٢٧٨.

(٢) انظر القاعود، مرجع سابق، ص ٤١ - ٥٢.

(٣) مرجع سابق.

(٤) انظر القاعود، مرجع سابق، ص ٢٥ - ٣٧.

(٥) «الفلك يدور»، جريدة المدينة، ١٤١٤/٦/٢٩ هـ، العدد ٩٧٠٣، ص ٢٤.

(٦) انظر القاعود، المرجع السابق، ص ٥٣ - ٦٦؛ وانظر عبد اللطيف خاطر، «سينما قرن

الغزال، السينما المصرية تقلد أفلام العنف الأجنبية وتساهم في إفساد الشباب»، جريدة

المدينة، ١٤١٥/١/١٧ هـ، العدد ١١٤٠٩، ص ٣١.

يسرق البقية الباقية من أخلاق الشرف والقوة في الأمة، ويفسد ذوقها، ويحطم رجولتها، ويزيل عفاف نساءها^(١).

خامساً: الحرية^(٢).

بميادينها الواسعة، ومفاهيمها المتعددة، جعلت مدخلاً لكل شر، ومنفذاً لكل فتنة، فمن معناها الكريم انطلق المغرضون والمتلاعبون لنصب شراكمهم، وإيقاع ضحاياهم^(٣)، فجعلوا الحرية الفكرية التعرض للدين سباً وشتماً واستخفافاً. وجعلوا الحرية الشخصية عمل ما تشاء حتى وإن كان منكراً بدون قيود، أو ضوابط، أو مراعاة لحقوق المجتمع. وجعلوا الحرية الأدبية التحدث والكتابة بما تشاء، همزاً ولمزاً، وهتكاً للمشاعر والأعراض^(٤)؛ يقول أحدهم: (سيكون خطأً تاريخياً أيضاً أن نبقى أسرى حالة التردد الديمقراطي، نتقدم خطوة، ونتراجع خطوة، في طريق التنوير والتحديث القائم على إعمال العقل، وحرية الرأي، والاعتقاد، والاجتهاد... بينما التيارات المضادة تقوى يوماً بعد يوم عائمة فوق أزماننا ومآزقنا، وترددنا وعجزنا، فتفتي وتكفر، وتضرب وترهب)^(٥). ويقول الشاعر محمداً حد الحرية في عُرف دعائها:

يقاد للسجن إن سب الزعيم وإن سب الإله فإن الناس أحرار^(٦)

سادساً: الاختلاط.

حيث اختلاط الذكور بالإناث في ميادين الحياة المتعددة، في المدرسة، وفي البيت، وفي ميادين العمل المختلفة، في الشوارع والممرات، وفي وسائل

(١) عقبات في طريق النهضة، ص ١٧٢.

(٢) انظر العقل، التقليد والتبعية، ص ١٥٩ - ١٦٠؛ وانظر علي العماري، أدياء التجديد... مبددون لا مجددون، الطبعة الأولى، ص ٢٠.

(٣) انظر المودودي، الإسلام في مواجهة التحديات، ص ٢٥٧ - ٢٥٨؛ وانظر مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، ص ٦٨ - ٦٩.

(٤) انظر سليم ناصر بركات، مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث.

(٥) صلاح الدين حافظ، «دفاعاً عن حرية الرأي واجتهاد العقل»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٥/٢٦ هـ، العدد ١١٥٧٩، ص ١٥.

(٦) وليد الأعظمي، الزواج (١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م)، ص ٢٥.

المواصلات^(١). يقول أحد دعاة الاختلاط مبرراً دعوته ومبيناً الغايات المرجوة منها: (التربية المختلطة، وهي تعليم البنين مع البنات ضرورية للتربية الجنسية في جميع مراحل التعليم، فإن كان يراد بالمدرسة أن تكون صورة من المجتمع، فيجب أن تكون صورة حقيقية منه... حيث إن البنين والبنات يختلطون في المجتمع، فيجب أن يختلطوا قبل ذلك تحت ظروف المدرسة، خاضعين لبعض التوجيه، وفي هذا إشباع لحاجات الفرد الحالية، وإعداد له في نفس الوقت لمواجهة المواقف المستقبلية)^(٢). وهذا آخر يحدد اللبنة الأساسية للاختلاط، ويبين المنهج التطبيقي لفكرته، فيوصي بوجوب: (١ - تحقيق الاختلاط الصحي السليم منذ مراحل التعليم المبكرة والتوسع فيه تدريجياً، كلما وجد القائمون على مؤسسات التعليم الفرصة لذلك.

٢ - إعادة النظر في الكتب الدراسية مثل كتب القراءة والتربية الاجتماعية؛ لتخليصها من الاتجاهات التقليدية نحو المرأة والرجل، وإضافة اتجاهات إيجابية جديدة، تدعم التساوي والمشاركة)^(٣).

فكان أن ظهر فئة من الرجال المخشّين، لبسوا لباس النساء، وتزينوا بزيتتهن. وظهر إناث مسترجلات، لبسن لباس الرجال وتخلقن بأخلاقهم^(٤).

(١) انظر محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ٦١ - ٩٦؛ وانظر عبد الله بن زيد المحمود، الاختلاط وما ينجم عنه من مساوئ الأخلاق، الطبعة الثالثة، ص ٥، ٩ - ١٥، ٢٣، ٢٦؛ وانظر السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٢٤٩ - ٢٥٠؛ وانظر الحرباوي، بدع وعادات، ص ٨٩ - ٩٣؛ وانظر الموسوي، ملامح الوعي الاجتماعي، ص ٢٤٢ - ٢٤٤؛ وانظر فؤاد الرفاعي، مآسي الانحلال، ص ٩ - ٢٥.

(٢) عبد العزيز القوسي، أسس الصحة النفسية، الطبعة الثالثة، ص ٥٢٠.

(٣) محمد آدم، المرأة بين البيت والعمل، ص ٢٩١.

(٤) انظر السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٢٤٩ - ٢٥٠؛ وانظر المطوع، قاتل الأخلاق، ص ٢١ - ٢٧.

الفرع الثالث آثار الفساد الخلقي

من أبرز الآثار المتفشية للفساد الخلقي:

أولاً: انتشار الأمراض .

وهذا أمر مشاهد في كثير من بلدان العالم الإسلامي وغيره من بلاد العالم، حيث الأمراض الجنسية والنفسية، والبدنية، والتي وقف الطب معها عاجزاً^(١)، يقول ﷺ: ((يا معشر المهاجرين! خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذُ بالله أن تدركوهنَّ: لم تظهرَ الفاحشةُ في قوم قطُّ، حتى يُعلنوا بها، إلا فُشاً فيهم الطَّاعونُ، والأوجاعُ التي لم تكن مَضت في أسلافهم الذين مضوا...))^(٢).

ثانياً: الجذب والقحط .

حيث تشتكي أغلب بلدان العالم الإسلامي من نظوب المياه، وقلة الأمطار، وتعاني من التصحر والجفاف^(٣)، يقول ﷺ في تكملة الحديث السابق: ((... ولم ينقُصوا المكيالَ والميزانَ، إلا أخذوا بالسَّنينَ، وشِدَّةِ المئونةِ، وجورِ السلطانِ عليهم. ولم يمنَعوا زكاةَ أموالهم، إلا مُنِعوا القطرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمطرُوا...))^(٤).

ثالثاً: تسلط الأعداء .

وما الاستعمار المادي والمعنوي، وتكالب الأمم الكافرة على الأمة الإسلامية إلا شاهد حي على شدة التسلط، يقول ﷺ في تكملة الحديث السابق: ((... ولم

(١) انظر «بمناسبة اليوم العالمي للايدز، الشعوب الفقيرة الضحية الأولى للمرض»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٦/٢٨ هـ، العدد ٥٨٤٧، ص ٢٤.

(٢) حديث حسن. الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ٢٢.

(٣) انظر فهد الشريف، «خبراء سعوديون وأمريكيون يناقشون مشكلة التصحر بالمملكة»، جريدة المدينة، ١٤١٥/١١/٢٥ هـ، العدد ١١٧٠٧، ص ٢٣؛ وانظر محمد فكري، «الانتهاء من تقرير مكافحة التصحر في الوطن العربي»، جريدة عكاظ، ١٤١٥/١١/٢٧ هـ، العدد ١٠٤٨٤، ص ١٩.

(٤) حديث حسن. الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ٢٢.

يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ...»^(١).

رابعاً: فساد النشء.

وتلك نتيجة بديهية؛ لتربية النشء في جو مليء بالمعاصي والمنكرات والمتناقضات، مما أفسد فطرته وأخرجه متشعباً بالفكر الهابط، والسلوك المنحرف.

خامساً: ترفيق المنكر.

ظهور المنكر في المجتمع، والسكوت عليه، يجعله أمراً هيناً ومألوفاً بعد برهة من الزمن، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة، والمحاکمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان، وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم، حتى ربي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير، فلم يروها منكراً)^(٢).

سادساً: اختلال المعايير.

تنقلب الموازين بفعل كثرة الباطل، والاحتفاء به وبأهله، وفرض قبوله على الناس، في مقابل ضمور الحق، وتغييب أهله، وعدم الاكتراث بهم^(٣)، وهذا ما يصور الحق باطلاً، والباطل حقاً^(٤)، كما هو واقع اليوم، حيث أصبح الرقص فناً، والتبرج والاختلاط تقدماً، والخلق السليم تزمناً.

سابعاً: غربة الحق.

ففي وسط مجتمع منحل، يشعر المرء بالغربة والمعاناة، والبعد عن الناس،

(١) حديث حسن. المصدر السابق.

(٢) الفوائد، ص ٨٨.

(٣) انظر عادل عبد العليم، «أم كلثوم، وألقابها، ومعاركها، في الذكرى الـ [١٩] لغيابها: من «الأسطى»، إلى «كوكب الشرق»، إلى «مطربة الأفاعي»... إلى «جامعة الدول العربية»، جريدة الحياة، ١٤١٤/٩/٦ هـ، العدد ١١٣٢٤، ص ١.

(٤) انظر القاعد، أهل الفن، ص ١٣.

وكانه موبوء ينأى عنه أهل بيته ومجتمعه^(١)، يقول محمد عرجون: (الانغماس في مراتع الشهوات وإشباع الغرائز المنهومة، يमित الشعور بالنخوة، ويقتل الإحساس بالعزة والغيرة، ويجعل الرذائل من مألوفات الحياة في هذه المجتمعات المنحدرة إلى هاوية الانهيار، بل يجعل الرذائل ميداناً للتنافس الفاجر... وتصبح الفضائل الخلقية، والقيم الروحية، غرائب في نظر المجتمع المنحل المتحلل)^(٢).

ثامناً: الجرأة على الحق وأهله.

حيث يتمادى أهل الباطل في باطلهم، وتناولهم على الحق وأهله؛ لوجود من يشجعهم، ويدفعهم إلى مضاعفة الجهد في نشر الفساد، إما بسكوته على باطلهم، أو لمشاركته لهم، ودعمه إياهم^(٣).

تاسعاً: صعوبة التغيير.

يحتاج المرء إلى جهد مضاعف عند إرادة التغيير في وسط مجتمع منحرف الفكر والتوجه، يرى الباطل حقاً، والحق باطلاً^(٤).

عاشراً: الصد عن سبيل الله.

للوابع الخلقى المعاصر دور بارز ومؤثر في صد الملايين عن الدخول في دين الله، فلسان حال المدعوين يقول: (إذا كان الإسلام بهذه الصورة الجميلة التي تعرضونها، فلماذا أنتم هكذا؟! لماذا أنتم كذابون غشاشون، مخادعون، مخلفون للوعد، غير مستقيمين في تعاملكم، فضلاً عن كونكم فيما بينكم وبين أنفسكم متعادين، متباغضين، لا تجتمعون على شيء!؟)^(٥)، ويقول أحد الكتاب

(١) انظر جودت سعيد، فقدان التوازن الاجتماعي، مشكلة الزني والمجتمع، الطبعة الأولى، ص ٤٥ - ٤٦، ٦٧ - ٧١.

(٢) سنن الله في المجتمع، ص ٣٦ - ٣٧.

(٣) انظر نجيب محفوظ، حكاية أولاد حارتنا؛ وانظر سمير شحاته، «فيلم «المهاجر» ينال [٥] جوائز في مهرجان جمعية فن السينما»، جريدة الأهرام، ١٩/١٠/١٤١٥ هـ، العدد، ص ٣٢.

(٤) تحدثت مع أحد مشايخ الأزهر عن بعض المنكرات التي تحدث قرب الأزهر، فقال: لو تكلمت بمثل هذا الكلام عند أولئك النفر، لقطعوك إرباً.

(٥) محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

المعاصرين: (حدثني أحد الأصدقاء، أن أحد العمال الفلسطينيين المقيمين في المملكة، سمع عن الدين الإسلامي، وأحب الدخول فيه، ويوم أن استلم من أحد أصدقائه كتيباً عن الدين الإسلامي، وذهب إلى منزله ليقراه كانت في تلك الليلة إحدى مباريات الكرة، والتي فاز فيها فريق على آخر، وخرج الشباب في الشارع الذي يسكن فيه، وبدأت ممارسات غير مسؤولة، فهذا يفحط، وهذا يستعرض بسيارته، وهذا يضايق المارة، وهذا يرقص فوق السيارة، وهكذا. ودخله شعور بالإحباط - كما يقول - إن كان هؤلاء وما يصنعونه من نتاج الإسلام، - كما يعتقد ويظن -، ولم ينم تلك الليلة حتى إذا ما أصبح ذهب إلى صديقه يعرض عليه ما شاهده في الليلة الماضية، وعندها شرح له الصديق واقع الأمر، والفرق بين تعليمات الدين ومدى الالتزام بها، وهكذا، هدى الله هذا الأخ للإسلام^(١).

أحد عشر: تحلل الأمة.

الفساد الخلقي مؤذن بنهاية الأمة، وزوال سلطانها، يقول ابن خلدون رحمه الله تعالى: (العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها؛ لما يروونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها، انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، وعلى قدر الاعتداء ونسبته، يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب... فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب، كسدت أسواق العمران، وانتقضت الأحوال)^(٢). ويقول: (العدوان على الناس في أموالهم وحرمتهم ودمائهم، وأسرارهم، وأعراضهم... يفضي إلى الخلل والفساد دفعةً، وتنتقص الدولة سريعاً)^(٣).

هذا الفساد الخلقي بمظاهره وأساليبه وآثاره، يحمل دلالة واضحة على أن الأمة قد فقدت دعامة رئيسة للجهاد، وأن الفجوة قد أصبحت كبيرة وكبيرة جداً بين الأمة وبين أخلاق المجاهدين، فهل ستجاهد أمة اختلت معاييرها الخلقية؟ أم سيجاهد الباطل من جاهر به ورعاه؟.

(١) «رحاب الإيمان»، مجلة الإمامة العدد ١٣٣٥ (١٢/٧/١٤١٥ هـ): ص ٣٩.

(٢) المقدمة، ص ٢٨٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٠.

الفرع الرابع

دور الأعداء

اهتم الأعداء بهدم الأخلاق الإسلامية، وعملوا لذلك ما أمكنهم، حيث أقاموا لذلك المؤسسات والجمعيات التي تحمل أسماء براقية، ظاهرها الصلاح، وباطنها الفساد والانحلال. أعدوا الدراسات وأقاموا الندوات^(١)، يقول حسن البنا رحمه الله: (عمل الأوربيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية، بمظاهرها الفاسدة، وجرائمها القتالة، جميع البلاد الإسلامية التي امتدت إليها أيديهم. . . .)

جلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات العاريات، وخمورهم، ومسارحهم، ومراقصهم، وملاهيهم وقصصهم، وجرائدهم، ورواياتهم، وخيالاتهم، وعبثهم، ومجونهم، وأباحوا فيها من الجرائم ما لم يبيحوه في ديارهم، وزينوا هذه الدنيا الصاخبة العابثة، التي تعج بالإثم وتطفح بالفجور، في أعين البسطاء الأغرار من المسلمين الأغنياء، وذوي الرأي فيهم، وأهل المكانة والسلطان. ولم يكفهم هذا حتى أنشأوا المدارس والمعاهد العلمية والثقافية في عقر ديار الإسلام، تقذف في نفوس أبنائه الشك والإلحاد، وتعلمهم كيف ينتقصون أنفسهم، ويحتقرون دينهم ووطنهم، وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم، ويقصدون كل ما هو غربي. . . . ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم العنيف، أعظم النجاح، فهو غزو محبب إلى النفوس، لاصق بالقلوب، طويل العمر، قوي الأثر^(٢)، كل ذلك لأجل التخطيط لسلخ الفرد المسلم من دينه وخلقه، وصبغه الصبغة الكافرة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا يقول زويمر موجهاً أعوانه، ومحدداً لهم أغراضه: (مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها)^(٣). وفي البروتوكولات الصهيونية جاءت الدعوة للعمل على تدمير النفس البشرية، واستخدام الوسائل غير الأخلاقية للوصول إلى الهدف الكافر، حيث (تشجيع الإدمان على الخمر والفساد؛ لتبليد الأذهان، ويصاب الشباب بالعتة.

(١) انظر محمد حسين، حصوننا مهددة، ص ١٩ - ٢٨.

(٢) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، (دار الشهاب)، ج ١ ص ٢٣٢ - ٢٣٤.

(٣) التل، جذور البلاء، ص ٢٧٥.

الاستعانة على نشر الفسق والخمر، بالمدرسين، والخدم، والمرييات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء... والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو، ونساء المجتمع اللواتي يقلدن سواهن في حياة الفسق والترف^(١).

وفي أرض الواقع المشاهد اليوم، هذه إسرائيل تقوم بحملات منظمة، وعمليات مرتبة، بهدف تدمير أخلاق الشباب المسلم، من خلال نشر وسائل التفسخ الخلقي، وجعلها في متناول جميع أفراد المجتمع مجاناً^(٢). كما تسهم مع غيرها من الأعداء في الدعم المادي؛ لأجل توفير وسائل الفساد، ورعايتها في أغلب بلدان العالم الإسلامي^(٣)، يقول محمد صلاح الدين: (تعددت الأفلام السينمائية الجزائرية والتونسية التي تجعل موضوعها السخرية من التقاليد الإسلامية، والأحكام الشرعية، تعبيراً عن ضيق أصحابها ومن وراءهم بكل ما هو إسلامي، وبغية الفوز بجوائز المهرجانات السينمائية الأجنبية، التي يهيم القائمين عليها تشجيع المستغربين من أبناء العرب والمسلمين العاملين في هذا الحقل الخطير على نقد دينهم، والسخرية من موارث مجتمعاتهم)^(٤).

ويكسر الأعداء جهدهم في الدعم المعنوي لوسائل الفساد، من خلال الدعوة لعقد مؤتمرات مشبوهة، وندوات موبوثة، جعلوا لها شعارات أخاذة مثيرة، وعناوين محببة، وعلى النفوس عزيزة عنوانها بها فئة من أفراد المجتمع، هي الأكثر حاجة لتلك الشعارات، والأقل وعياً وإدراكاً لتلك الألاعيب والمخططات)^(٥).

(١) المرجع السابق، ص ٢٦٥؛ وانظر بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة وتقديم: إحسان حقي، ص ٣١ - ٣٩.

(٢) انظر جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمرُوا الإسلام، ص ٦٠ - ٦١.

(٣) انظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ١٩٨ - ٢٠٠؛ وانظر القاعود، أهل الفن، ص ٢٠ - ٢٢ - ٧٧ - ٧٨، ٨٧، ٨٩؛ وانظر «فيلمان فلسطيني وإيطالي، يتقاسمان الجائزة الكبرى لمهرجان سينما المتوسط»، جريدة الحياة، ٢٧/٥/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٨٠، ص ٢٠.

(٤) «الفلك يدور»، جريدة المدينة، ٢٩/٦/١٤١٤ هـ، العدد ٩٧٠٣، ص ٢٤.

(٥) انظر «أكبر مؤتمر عالمي للسكان والتنمية يبدأ أعماله اليوم بالقاهرة بمشاركة أكثر من [١٧٠] دولة ومنظمة دولية...»، جريدة الأهرام، ٢٨/٣/١٤١٥ هـ، العدد ٣٩٣٥٤، ص ١؛ وانظر «العالم يصنع مستقبلاً أفضل للبشرية في القاهرة... المؤتمر نقطة وفاق بين الحضارات...»، المرجع السابق، ٢٩/٣/١٤١٥ هـ، العدد ٣٩٣٥٥، ص ١.

وإمعاناً في ترسيخ مبادئ تلك الدعوات الفاسدة، ولإبعاد الشُّبه عن محاولاتهم المضللة^(١)، عقدوا مؤتمراتهم في معاقل إسلامية^(٢)، وأحاطوها بتغطية إعلامية^(٣)، وإثارة كلامية^(٤).

(١) انظر بدر محمد بدر، «المؤتمر الدولي للسكان والتنمية: مؤامرة غربية على سكان العالم الإسلامي»، مجلة المجتمع العدد ١١٢ (١٤١٥/٣/٨ هـ): ص ٢٦ - ٢٨؛ وانظر إعداد: خالد المطرفي، «المدينة تنشر نصوص وثيقة مؤتمر السكان التابع للأمم المتحدة: النصوص تشوبها المخالفة الصريحة لأحكام الشرع والأخلاق في الأسرة والمجتمع. توفير إمدادات كافية من وسائل منع الحمل للخدمات، والعمل على تخفيض عدد حالات حمل المراهقات»، جريدة المدينة، ١٠/٣/١٤١٥ هـ، العدد ١١٤٦١، ص ١١، وانظر «مجلس هيئة كبار العلماء في ختام دورته الاستثنائية بالطائف: المؤتمر الدولي للسكان مواجهة عنيفة للمجتمع الإسلامي...»، جريدة الجزيرة، ٢٥/٣/١٤١٥ هـ، العدد ٨٠٠٨، ص ١؛ وانظر محمد سالم محمد، «المجلس التأسيسي للرابطة: يشجب بشدة برنامج مؤتمر السكان. البرنامج هدفه إصدار قرارات تتنافى مع الشريعة الإسلامية»، المرجع السابق، ٢٨/٣/١٤١٥ هـ، العدد ٨٠١١، ص ٦؛ وانظر «توصيات الوثيقة النهائية للمؤتمر الدولي للسكان والتنمية...»، جريدة الأهرام، ٨/٤/١٤١٥ هـ، العدد ٣٩٣٦٣، ص ٣ - ٤.

(٢) انظر متابعة: عائشة عبد الغفار، إيناس نور، أهداف البنداري، يحيى غانم، «البرت جور نائب الرئيس الأمريكي: القاهرة أفضل وأنسب مكان للقيام بالعمل الذي نبدؤه من أجل مستقبل أفضل للشعوب، التنمية والإصلاح السياسي، ومحو أمية المرأة، وتنظيم الأسرة، كلها وسائل حاسمة لخفض الزيادة السكانية»، المرجع السابق، ٢٩/٣/١٤١٥ هـ، العدد ٣٩٣٥٥، ص ٧.

(٣) انظر «صحف العالم: مؤتمر القاهرة نجح في التوفيق بين الثقافات»، المرجع السابق، ٩/٤/١٤١٥ هـ، العدد ٣٩٣٦٤، ص ٧.

(٤) انظر محمود بيومي، «على هامش مؤتمر السكان العالمي... الدكتورة نفيس صادق لـ الشرق الأوسط: النمو العشوائي لسكان العالم الإسلامي يعرقل جهود التنمية»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٤/٣/١٤١٥ هـ، العدد ٥٧٥٥، ص ١٦؛ وانظر أحمد الأسواني، عماد حجاب، «وزير الإدارة المحلية: مستقبل القرن الحادي والعشرين يحدده مؤتمر السكان»، جريدة الأهرام، ٢٩/٣/١٤١٥ هـ، العدد ٣٩٣٥٥، ص ٢٢.

المطلب الثالث التقويم

مدخل:

مكانة الأخلاق في الإسلام

جاءت الشريعة مرغبة في الأخلاق الفاضلة، وداعية إلى تزكية النفوس، وكان ذلك أحد المقاصد الرئيسة للشريعة^(١)، التي عنيت بتوطيد أركان الأخلاق الأساسية لدى الإنسان، والرقي بها إلى أعلى درجات الفضيلة، يقول ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))^(٢)، وتمثلت تلك الأخلاق بالمعاني النبيلة، والآداب الرفيعة التي جاء بها القرآن الكريم، فصارت للنبي ﷺ جيلة وطبيعة لا تفارقه^(٣)، سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ، فقالت: (القرآن)^(٤)، ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (حسن الخلق: هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان، وشرائع الإسلام)^(٥).

وقد أثنى جلّ وعلا على ما تمتع به ﷺ من كرم الأخلاق، ونبل السجايا، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٦)، يقود صاحبه المتحلي به إلى الخيرية، والأفضلية

(١) انظر أبا الحسن الندوي، العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، الطبعة الثانية، ص ١٣٣ - ١٣٤؛ وانظر يالجن، علم الأخلاق، ص ٥٤ - ٥٥؛ وانظر ماجد الكيلاني، اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية، ص ١٥١.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٢٥٨٤].

(٣) انظر ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج ٢ ص ٢٥٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ١٨.

(٥) مدارج السالكين، ج ٢ ص ٣١٩.

(٦) سورة القلم، الآية ٤.

على غيره، يقول ﷺ: ((إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا))^(١)، وما ذلك إلا لأنها ترفع صاحبها إلى منازل العباد يقول ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ الصَّائِمِ))^(٢)، فتجعله أكمل الناس إيماناً، يقول ﷺ: ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))^(٣)، وهذا ما يجعل أعماله الأثقل في الميزان، يقول ﷺ: ((مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ))^(٤) لذلك فالأخلاق من أكثر ما يدخل الإنسان الجنة: سئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: ((تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ...))^(٥).

على ضوء هذه المكانية العالية، والمنزلة الرفيعة للأخلاق في الإسلام، أكتب بإيجاز أعبّر فيه عن قوة الأخلاق الإسلامية وعمقها، في مواجهة الفساد الخلقي، وذلك في عدة فروع:

الفرع الأول أصول الأخلاق

من الصعب الإحاطة بالأخلاق الإسلامية؛ لتعددتها، وشموليتها لجوانب الحياة المختلفة. لكن في الإشارة إلى بعض جوانبها وجوانبها، إضاءة يهتدي بها المهتدون، ويستدل بها المستدلون، فأقول: الأصل في الأخلاق الإسلامية ما حدده الرسول ﷺ بقوله: ((الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ))^(٦). وبقوله ﷺ: ((الْبِرُّ مَا سَكَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَطْمئنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ))^(٧).

ومنه يتبين أن جامع الأخلاق الحسنة وأساسها: صفة الخيرية، وجامع

-
- (١) مسلم، مصدر سابق، كتاب الفضائل، باب ١٦.
 - (٢) حديث حسن. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٢٠٩٨].
 - (٣) حديث حسن. المصدر السابق، رقم الحديث: [٢٠٩٨].
 - (٤) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ٦١.
 - (٥) حديث صحيح غريب، المصدر السابق.
 - (٦) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ٥.
 - (٧) حديث حسن، السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٣١٩٨].

الأخلاق السيئة وأساسها: صفة الشر. من هذا المعنى ذهب الفيروز آبادي إلى القول بأن: (الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين)^(١)، فما أمر به الدين فهو خلق حسن، وما نهى عنه فهو خلق سيء، بينما حصر بعض العلماء والحكماء الفضائل بخصال أربع^(٢)، عدوها الغماد والركن الذي لا يتصور قيام الخلق إلا عليها، وهي: الصبر، العفة، الشجاعة، العدل، اعتبروها جوامع كل فضيلة، وأصل كل مزية، تتفرع عنها أنواع متعددة من الفضائل.

ومع أن هذه الصفات صفات محببة للنفس؛ لما فيها من الخير، فقد يتحلى بها إنسان، أو مجتمع على شكل عادة، أو سمة وقتية، لهدف معين تنتهي بانتهائه. وهنا تكون الخيرية والفضيلة وقتية ومحدودة بل قد تكون مذمومة. فالبذل خلق محمود، لكنه قد يكون مذموماً في أحد معانيه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَكُمْ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾^(٣)، بينما أساس الأخلاق في الإسلام أعم وأشمل من ذلك التحديد؛ لذلك لا بد من توجيه كل فضيلة الوجهة الإسلامية؛ لتؤتي الثمرة لصاحبها ولأفراد المجتمع بصورة أعم وأنفع.

وحتى يأخذ الخلق الوجهة الإسلامية لا بد من توافر شرطين:

أ: إخلاص النية، سئل ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ قال ﷺ: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله))^(٤).

ب: الفقه، بأن يكون الخلق وفق حده وضابطه الشرعي، يقول ﷺ: ((خياركم إسلاماً، أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهاوا))^(٥)، ويقول ﷺ: ((الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))^(٦)،

(١) بصائر ذوي التمييز، ج ٢ ص ٥٦٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٥٦٨ - ٥٦٩؛ وانظر مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٣٨ - ٤٩؛ وانظر ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، الطبعة الثانية، ص ٥٩.

(٣) سورة النساء، الآية ٣٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٤٢.

(٥) صحيح. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: [١٨٤٦].

(٦) مسلم مصدر سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب ٤٩.

فلأخلاق الحسنة حد محدد، إن تجاوزه، أو قصرت عنه أصبحت خلقاً ذمياً^(١)، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (للأخلاق حد متى جاوزته صارت عدواناً، ومتى قصرت عنه كان نقصاً ومهانة)^(٢).

وبهذا يكون الأساس في الخلق الفاضل: تحقيق الخيرية والبر للمتخلق، أو لغيره من المخلوقات، وعلى هذا الأساس جاءت الشريعة داعية ومرغبة في الأخلاق الحسنة^(٣)، منفرة ومحذرة من الأخلاق السيئة^(٤)، فأمرت المؤمن بمراقبة الله في سره وعلايته، في سرائه وضرائه، وأن يقدم أمر الله على أمر النفس وهوها، قال تعالى: ﴿... يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٥). يتوكل على الله^(٦) ويعتمد عليه في جُلِّ أمره، ثم يأخذ بالأسباب المشروعة بجِدِّ وصدق، معتبراً إياها أسباباً ثانوية لا تقدم ولا تؤخر مع إرادة الله، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٧). وهذا ما يجعله مخلصاً لله في كل معاملاته وسلوكياته مع نفسه ومع الآخرين، وكأنه يتعامل مع الله مباشرة، ينتظر منه الثواب لا من المخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾^(٨).

هذا الإخلاص يجعله متخلقاً بالغيرة^(٩)، فيغار على محارمه خصوصاً،

(١) انظر ابن القيم، الفوائد، ص ٢٥٠ - ٢٥٤؛ وانظر ابن حزم، الأخلاق والسير، ص ٣١ - ٣٢، ٤١.

(٢) مصدر سابق، ٢٥٠.

(٣) انظر الخرائطي، المنتقى، ص ٤٠ - ١٢٩؛ وانظر الطبراني سليمان بن أحمد، مكارم الأخلاق، الطبعة الثالثة، ص ٤٠ - ١٢٩؛ وانظر البيهقي، الأدب، الطبعة الأولى، وانظر الشيزري عبد الرحمن بن عبد الله، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، الطبعة الأولى، ص ٢٤١ - ٣٥٧؛ وانظر عبده عباس الوليدي، جامع الآداب الإسلامية.

(٤) انظر الخرائطي، مساويء الأخلاق ومذمومها، دراسة وتحقيق: مجدي السيد إبراهيم؛ وانظر الشيزري، المصدر السابق، ص ٣٥٨ - ٤٦٣؛ وانظر عبد اللطيف محمد العبد، الأخلاق في الإسلام، (المدينة المنورة: مكتبة أنوار السعودية)، ص ٢٢٧ - ٢٩٢.

(٥) سورة الحديد، الآية ٤.

(٦) انظر السبتي محمد بن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ١٥٣ - ١٥٧.

(٧) سورة الطلاق، الآية ٣.

(٨) سورة الإنسان، الآية ٩.

(٩) انظر ابن تيمية، مكارم الأخلاق، الطبعة الأولى، ص ١٥٤ - ١٦٤.

ومحارم الله عموماً أن تنتهك يقول ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، غَيْرُهُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ))^(١)، غيرة تدفعه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢)، تلك السجية التي تميزت بها الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾^(٣). مما يجعل المؤمن رحيماً بإخوانه، فيفضل عليهم بإسداء المعروف الديني والدنيوي دلالة وإرشاداً، أمراً ونهياً، نائياً بنفسه عن مبدأ الانتقام من إخوانه المؤمنين، ويقول ﷺ: ((ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ))^(٤). يلاطف^(٥) إخوانه، ويتودد إليهم بما يقربه منهم ويداريهم بما يجعل له مكانة في قلوبهم، ويقول ﷺ: ((مُدَارَاةُ النَّاسِ صِدْقَةٌ))^(٦). يحسن الظن بهم فلا يجعله طريقاً لإصدار الأحكام على الآخرين بغير دليل يجوز الاعتماد عليه^(٧)، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّكُمْ...﴾^(٨). وهذا ما يجعله يعفو^(٩) عند المقدرة، فيصفح عن ظلم، ويقيل من عثر، لتزول الضغائن، وتصفو القلوب، وتسود المحبة، قال تعالى: ﴿حُذِرَ الْعَفْوُ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١٠). وما ذاك إلا لأنه متخلق بالحياء^(١١) تلك الإرادة التي تضبط

- (١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب ٦.
- (٢) انظر العبد، الأخلاق في الإسلام، ص ٢١٤ - ٢٢٦؛ وانظر أحمد حقي، الأربعون حديثاً في الأخلاق مع شرحها، الطبعة الأولى، ص ٦٧ - ٦٩.
- (٣) سورة آل عمران، الآية ١١٠.
- (٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩٤١].
- (٥) انظر ابن أبي الدنيا، قضاء الحوائج، تحقيق: مجدي إبراهيمي، ص ٣٢؛ انظر الخرائطي، المنتقى، ص ٢٠٠ - ٢٠٤؛ وانظر البستي، روضة العقلاء، ص ٦٣ - ٨١؛ وانظر الطبراني، مكارم الأخلاق، ص ٩٣ - ٩٤.
- (٦) صحيح. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٨١٧٠].
- (٧) ابن تيمية، مصدر سابق، ص ٢٠٩؛ انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠ ص ٤٩٦ - ٤٩٧.
- (٨) سورة الحجرات، الآية ١٢.
- (٩) انظر الخرائطي، مصدر سابق، ص ٨٣ - ٨٨؛ وانظر البستي، مصدر سابق، ص ١٦٦ - ١٧١؛ وانظر الطبراني، مصدر سابق، ص ٦٠ - ٦٣؛ وانظر الشيزري، المنهج، ص ٣١٦ - ٣٢٦؛ وانظر حقي، مرجع سابق، ص ٥٠ - ٥١.
- (١٠) سورة الأعراف، الآية ١٩٩.
- (١١) انظر ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، ص ٣٤ - ٤٤؛ وانظر الخرائطي، المنتقى، ص ٦٦ - =

تصرفات المؤمن، فتمنعه من الزلل، وسيء الأخلاق مع نفسه ومع الآخرين يقول ﷺ: ((الحياءُ شُعبَةٌ من الإيمانِ))، ويقول: ((الحياءُ كُلُّهُ خَيْرٌ))^(١). فيعف^(٢) بكف جوارحه عن الوقوع في الحرام، قولاً وفعلاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣). ويضبط نفسه بالقناعة في ما أعطاه الله، والغنى عن ما في أيدي الناس، يقول ﷺ: ((... من يَسْتَعِفَّ يُعَفِّهُ اللَّهُ، ومن يتصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، ومن يستغِنِ يُغْنِهِ اللَّهُ...))^(٤). وهذا ما يجعله واقعياً متواضعاً^(٥) في التعامل مع زينة الحياة^(٦)، والنظر في أمورها حيث يضعها في نصابها الأمثل بالنسبة له وللآخرين، فيخفض للمؤمنين الجناح، قال تعالى: ﴿... وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧)، ويلين لهم الكلام، ويحسنه، يقول ﷺ: ((إِنَّ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلُ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ))^(٨). يتواضع في نفسه وللآخرين، دون إسراف يوقعه في سيئة الذل والمهانة^(٩)، يقول ﷺ: ((طَوْبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنَقِصَةٍ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ فِي غَيْرِ مَسْكَنَةٍ...))^(١٠). هذه السجية تجعله متمسماً بالحلم والرفق^(١١) في مواطن الرضا والغضب حيث ترويض النفس وضبطها، وسيادة العقل

= ٧٠؛ وانظر البستي، روضة العقلاء، ص ٥٦ - ٥٩؛ وانظر ابن تيمية، مكارم الأخلاق، ص ٧٣ - ٧٥؛ وانظر ابن مفلح، الآداب الشرعية، ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٨؛ وانظر ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج ٢ ص ١١٧ - ١٢٥؛ وانظر العبد، الأخلاق في الإسلام، ص ١٦٥ - ١٦٩.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ١٢.

(٢) انظر الخرائطي، مصدر ساق، ٩١ - ٩٧؛ وانظر البستي، مصدر سابق، ص ٤١ - ٥٦، ١٤٨ - ١٥٣؛ وانظر الشيرازي، المنهج، ص ٣٤٦ - ٣٥٦؛ وانظر ابن تيمية، مصدر سابق، ص ١٤٨ - ١٥٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ٢٠.

(٥) انظر الخرائطي، مصدر سابق، ص ٤٦ - ٤٨؛ وانظر ابن تيمية، مصدر سابق، ص ٢٢٥ - ٢٣٠؛ وانظر ابن مفلح، مصدر سابق، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٦) انظر ابن أبي الدنيا، التواضع والخمول، الطبعة الأولى، ص ١٦٧ - ٢٠٤.

(٧) سورة الحجر، الآية ٨٨.

(٨) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٢٤٩٩].

(٩) انظر ابن أبي الدنيا، مصدر سابق، ص ٢٤١ - ٢٧٥.

(١٠) حديث حسن. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٥٢٩٩].

(١١) انظر ابن أبي الدنيا، الحلم، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، ص ٧ - ٧٨؛ وانظر البستي، =

والعلم، قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَمَلْ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١)، ويقول ﷺ: ((إِنَّ الرَّفَقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))^(٢)، ويقول ﷺ: ((السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ، وَالِاقْتِصَادُ، جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ التُّبُوءَةِ))^(٣).
 مما يدفعه إلى تحري الصدق^(٤) في النية والقول، والصدق في العمل، صدق مع النفس ومع الآخرين، يقول ﷺ: ((عليكم بالصدق فإنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ وما يزال الرَّجُلُ يصدقُ ويتحرَّى الصدقَ حتَّى يكتبَ عندَ اللَّهِ صديقاً، وإيَّاكم والكذبَ، فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ، وما يزال الرَّجُلُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ، حتَّى يكتبَ عندَ اللَّهِ كذاباً))^(٥)، وهو أساس الشجاعة^(٦) على كل حال، شجاعة في مواطن البأس واللقاء، وعندما يحتدم اللقاء، اقتداءً بالمصطفى ﷺ، الذي كان أشجع الناس^(٧). وشجاعة في مواطن إظهار الحق، حيث لا يخاف في بيان الحق والجهر به لومة لائم، يقول ﷺ: ((أفضلُ الجهادِ كلمةٌ حقٌّ عندَ سلطانٍ جائرٍ))^(٨). وهذا ما يجعل العزة سمة بارزة له، فيتسامى في معاملته، سعياً إلى معالي الأمور، ورغبة في الحياة الكريمة، والعيشة العزيزة، لا تكبراً واحتقاراً للآخرين، يقول ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا))^(٩). ولأن تلك المنزلة السامية تتطلب سمات معينة، فإن المؤمن يجب أن يكون على مستوى كبير من الحذر والفتنة^(١٠) لما قد يُكاد له، يقول ﷺ:

= مصدر سابق، ص ٢٠٨ - ٢١٩؛ وانظر الشيزري، مصدر سابق، ص ٢٨١ - ٢٨٩، ٣٣٣ - ٣٤٥؛ ونظر ابن مفلح، مصدر سابق، ص ٢١٩ - ٢٢١.

- (١) سورة الأعراف، الآية ١٩٩.
- (٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ٢٣.
- (٣) حديث حسن غريب. سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ٦٥.
- (٤) انظر ابن أبي الدنيا، الحلم، ص ٤٥ - ٥٥؛ وانظر الخرائطي، المنتقى، ص ١١٦ - ١١٧؛ وانظر الشيزري، المنهج، ص ٢٦٣ - ٢٧٠؛ وانظر ابن تيمية، مكارم الأخلاق، ص ١٢٤ - ١٢٨؛ وانظر ابن مفلح، الآداب الشرعية، ج ١ ص ٣٨ - ٤٣.
- (٥) مسلم مصدر سابق، باب ٢٩.
- (٦) انظر ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، ص ٥٥ - ٧٠.
- (٧) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ٨٢.
- (٨) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٢٤٦].
- (٩) حديث حسن، المصدر السابق، رقم الحديث: [١٨٨٩].
- (١٠) انظر الخرائطي، مصدر سابق، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

((لا يُلدغُ المؤمنُ من حجرٍ واحدٍ، مرتين))^(١). وامتداد لما يجب أن يتحلى به المؤمن من عزة، فإنه يختار لصحبته الأخيار^(٢)، فينتقي من الأفراد خليلاً يعينه على الحق، وينأي به عن مواطن الشبه، يحسن صحبته، ويحفظ ذمته، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٣)، يمتلك نفسه^(٤) عند التعامل معهم ومع غيرهم، فيسيطر على المشاعر والجوارح عند الرضا أو الغضب، قال تعالى: ﴿... وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْأَعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥)، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾: يريد الرجل يتناولك بلسانه، وأنت تقدر أن ترد عليه، فتكظم غيظك عنه، فلا ترد عليه شيئاً^(٦). فهو يؤثر إخوانه على نفسه وإن كان في حاجة، وبه خصاصة، قال تعالى: ﴿... وَوُضِعُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَكُلٌّ كَانَتْ لَهُمْ حِصَابًا﴾^(٧)، ويقول ﷺ: ((إنَّ الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلَّ طعامُ عيالِهِم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحدٍ ثمَّ اقتسموه بينهم في إناءٍ واحدٍ، فهم مِنِّي، وأنا مِنهم))^(٨). هذا الإيثار يجعل المسلم يواجه ما يلاقي من إخوانه بالصبر^(٩)، تلك القدرة المعنوية التي تضبط حركة الإنسان بلجام الهدوء والاتزان في أقواله وأفعاله وأفكاره، قال تعالى:

-
- (١) مسلم، مصدر سابق، كتاب الزهد والرفائق، باب ١٢.
- (٢) انظر ابن أبي الدنيا، الحلم، ص ٩٢ - ١٠١؛ وانظر البستي، روضة العقلاء، ص ٩٩ - ١٠٣؛ وانظر محمد الغزي، آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، تحقيق: علي عبد الحميد، ص ١٢ - ٦١؛ وانظر العبد، الأخلاق، ص ١٧٥ - ١٨٣.
- (٣) سورة الكهف، الآية ٢٨.
- (٤) انظر الطبراني، مكارم الأخلاق، ٥٣ - ٥٤.
- (٥) سورة آل عمران، الآية ١٣٤.
- (٦) المصدر السابق، ص ٥٩.
- (٧) سورة الحشر، الآية ٩.
- (٨) مسلم، مصدر سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب ٣٩.
- (٩) انظر البستي، مصدر سابق، ١٥٧ - ١٦٥؛ وانظر الشيزري، المنهج، ص ٣٠٩ - ٣١٥؛ وانظر ابن تيمية، مكارم الأخلاق، ص ١٢٩ - ١٤٧؛ وانظر ابن مفلح، الآداب الشرعية، ج ٢ ص ١٨٧ - ١٩١؛ وانظر العبد، مرجع سابق، ص ١٩٤ - ٢٠٠؛ وانظر حقي، الأربعون حديثاً في الأخلاق، ص ٣٥ - ٣٨.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عِزِّ الْأُمُورِ﴾^(١)، والطاقة الحيوية التي تقوي قدرات الإنسان لمواجهة الشدائد، فيصبر على المصيبة، ويتحمل تبعاتها، صبر تأمل واعتبار، لا صبر بلاهة وانهزام، قال تعالى: ﴿... وَكَبِيرِ الصَّبِيرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢)، صبر يدفعه إلى البذل والعطاء^(٣) دون تكلف وعناء، فيجود نفساً بما أعطاه الله من مال وعلم وجه، ويتكرم به على أصحاب الحاجات والسائلين، قال تعالى: ﴿... وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُنْفِسُكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٤)، فنظرة المؤمن نظرة عدل ومساواة^(٥)، ينصف من نفسه أولاً فيعطى كل ذي حق حقه المشروع مادياً ومعنوياً، دون أن يبغسه شيئاً، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ إِلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾^(٦)، وهي نظرة تحمل صاحبها على التوسط في جميع أموره، فلا إفراط ولا تفريط فهو يتخلق بالشجاعة الحسنة بين سيئتي الجبن والتهور، ويتخلق بالحلم بين سيئتي الغضب والمهانة وهكذا في بقية الفضائل^(٧). وتدفعه إلى أداء الأمانة لمن ائتمنه، والوفاء بالعهد لمن عاهده^(٨)، قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ

(١) سورة الشورى، الآية ٤٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) انظر ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، ص ١١٤ - ١٥٥؛ وانظر الخرائطي، المنتقى، ص ٣٥ - ٤٦، ٧٣ - ٧٧، ١٢٣ - ١٤٧؛ وانظر البستي، المصدر السابق، ص ٢٥٨ - ٢٦٢؛ وانظر الطبراني، مكارم الأخلاق، ص ٧١ - ٨٦، ٩٩ - ١١٢؛ وانظر ابن تيمية، المصدر السابق، ص ٩٦ - ١٠٢؛ وانظر العبد، المرجع السابق، ص ١٨٤ - ١٩٣؛ وانظر حقي، المرجع السابق، ص ٤٢ - ٤٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٧٢.

(٥) انظر الخرائطي، مصدر سابق، ص ٨٠ - ٨٣؛ وانظر الشيزري، المنهج، ص ٢٤٢ - ٢٥٥؛ وانظر ابن مفلح، الآداب الشرعية، ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٥؛ وانظر حقي، المرجع السابق، ص ٧٥ - ٧٦.

(٦) سورة المائدة، الآية ٨.

(٧) انظر الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج ٢ ص ٥٦٩.

(٨) انظر ابن أبي الدنيا، مصدر سابق، ص ٨٨ - ٩٢؛ التواضع والخمول، ص ٩٦ - ٢٠٤؛ وانظر الخرائطي، مصدر سابق، ص ٤٨ - ٥٥؛ وانظر البستي، مصدر سابق، ص ٥٩ - ٦٣؛ وانظر حقي، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٥٩، ٦٣.

تُؤَدُّوْا الْأَمْنَتَ إِلَىٰ أَهْلِهَا... ﴿١﴾، ويقول ﷺ: ((أربعٌ من كُنَّ فيه كانَ مُنافِقاً خالِصاً، ومن كانتَ فيه خَلَّةٌ مِنْهُنَّ، كانتَ فِيهِ خَلَّةٌ من نِفاقٍ، حتى يَدَعَهَا: إذا حَدَّثَ كَذَباً، وإذا عَاهَدَ غَدْرًا، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ)) (٢).

هكذا يكون المسلم متحلياً بأنبيل الصفات، وأسمى السجايا؛ لينال فيها خير الدنيا، وثواب الآخرة وليكون بها داعية خير وصلاح، وهدى وفلاح.

الفرع الثاني

منهج الإسلام في ترسيخ الأخلاق

للإسلام منهج واضح في ترسيخ الأخلاق، يعتمد على جوانب متعددة منها:

الجانب الأول: ربط الأخلاق بالعقيدة قوة وضعفاً.

ربط الإسلام الأخلاق بالعقيدة، لتستند إلى ركن ركين، تستمد منه قوتها، ورسوخها، فترتبط بها قوة وضعفاً، ووجوداً وعدمًا (٣)، يقول ﷺ: ((الحياء والإيمانُ قرناً جميعاً، فإذا رُفِعَ أحدهُما، رُفِعَ الآخرُ)) (٤)، فالمؤمن لا يضعف أمام الباطل، ولا يهن لأحد، بل هو قوي الجانب، عزيز النفس؛ لأنه يؤمن بقوله تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ (٥)، يتحلى بالشجاعة والإقدام لإيمانه بأن الموت بيد الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا...﴾ (٦) حسنها من كمال الإيمان، يقول ﷺ: ((أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً...)) (٧)، وقبحها دلالة قاطعة على ضعف الإيمان، يقول ﷺ: ((أربعٌ من كُنَّ فيه كانَ مُنافِقاً خالِصاً، ومن كانتَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ، كانتَ فِيهِ خَلَّةٌ من

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٢٥.

(٣) انظر محمد الغزالي، خلق المسلم، ص ١٠ - ١١؛ وانظر يالجن، علم الأخلاق، ص ١٢٤ - ١٢٩؛ وانظر بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٥٣ - ٥٤.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٣٨٦١].

(٥) سورة المنافقون، آية ٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٤٥.

(٧) حديث صحيح. المصدر السابق، رقم الحديث: [١٤٤١].

نفاقٍ، حتى يدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا حَاصَمَ فَجَرَ^(١)، بل قد يكون مُفْسِداً للإيمان، حتى وإن كان ظاهر المرء الصلاح والتقوى، يقول ﷺ: ((إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضْرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتَهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخِذْ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))^(٢).

الجانب الثاني: التربية الأخلاقية للفرد، والمجتمع^(٣).

فمن خلالها يعمل الإسلام على تطهير النفس من داعي الرذيلة، كأساس لتقويم السلوك، وليصبح الباطن قاعدة الانطلاق والرقى الخلقي، حتى ينشأ فرداً صالحاً، ولبنة محكمة في بناء اجتماعي سليم فالفرد أساس المجتمع، والمجتمع محيط الفرد، ومنهما يتكون بناء الأمة الخلقي، وتعتمد هذه التربية على سلطة الضمير^(٤)، فقد فطر الإنسان على حب الخير، وكره الشر، ومن هذه الفطرة انطلق الإسلام في بناء صرحه الخلقي، مستغلاً تلك الرغبة الكامنة في النفس الإنسانية إلى السمو والكمال، فمن أعماق الفرد تنطلق الروح السامية، تنأى به عن مواطن الانحراف والتيه، إلى آفاق الخلق الكريم والفضيلة الحميدة، قال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾^(٥)، ويقول ﷺ: ((إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ))^(٦)، متذكراً الرقيب الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٢٥.

(٢) المصدر السابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٥.

(٣) انظر محمد الياتي، مكارم الأخلاق على ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، ص ٢١ - ٣٩.

(٤) انظر محمد دراز، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، (الكويت: دار القلم)، ص ٧٣ - ٧٥؛ وانظر بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٢٤٨ - ٢٥٦؛ وانظر السحمراني، الأخلاق في الإسلام والفلسفة، ص ٢٩؛ وانظر عبد الرحمن عيسوي، النمو الروحي والخلقي (بيروت: دار النهضة العربية)، ص ٥٣ - ٧٢؛ وانظر بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص ١٢٣ - ١٣٢.

(٥) سورة القيامة، الآية ٢.

(٦) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٦٧٧].

عَيْدٌ^(١)، وهذا ما يجعل في الفرد قوة نافذة، وبصيرة مدركة ومشاعر حية، تفرق بين الخير والشر، قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾^(٢)، وتمنعه من التيه في مواطن الغي والفساد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ تَابَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).
 هذه طريقة الإسلام المثلى في تربية الضمير؛ ليشكل سلطة تحكم أخلاقيات الفرد، يقول محمد الغزالي: (فالطريقة المثلى لدى الإسلام هي خطاب القلب الإنساني، واستشارة أشواقه الكامنة إلى السمو والكمال، ورجعه إلى الله بارئته الأعلى، بأسلوب سائغ من الإقناع والمحبة)^(٤).

كما تعتمد التربية الأخلاقية على القدوة الحسنة^(٥)، فقد كان ﷺ أسوة حسنة لمن صحبه، ولمن اقتفى أثره، بما تحمله سيرته من خلق عظيم، انفتحت لها قلوب الأتباع، قبل سماع الحكم والتعاليم، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشرَ سنينَ، فما قالَ لي: أُمَّ قَطُّ، وما قالَ لشيءٍ صنعتهُ لِمَ صنعتهُ؟ ولا لشيءٍ تركتهُ لِمَ تركتهُ؟)^(٦)، وتقول عائشة رضي الله عنها: ((ما خيّر رسول الله بين أمرين قط، إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم))^(٧). وكان ﷺ يمازح أصحابه، ويخالطهم ويداعب صبيانهم، فكان يقول ﷺ لأحدهم: ((يا أبا عمير: ما فعلَ التَّغْيِيرُ؟))^(٨)، وكان ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها^(٩)، يزور أصحابه^(١٠)، وكان رقيقاً رحيماً

(١) سورة ق، الآية ١٨.

(٢) سورة القيامة، الآية ١٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٥.

(٤) خلق المسلم، ص ٣٠.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ١٦.

(٦) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ٦٨؛ وانظر صحيح البخاري،

كتاب الأدب، باب ٣٩.

(٧) المصدر السابق، باب ٨٠.

(٨) المصدر السابق، باب ٨١.

(٩) انظر المصدر السابق، باب ٧٢.

(١٠) انظر المصدر السابق، باب ٦٤ - ٦٥.

بهم^(١)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

الجانب الثالث: الإلزام^(٣).

طبيعة الإنسان تدفعه إلى ما يرى فيه سعادته، ومعيار تحديد هذه السعادة يتفاوت بتفاوت القدرات الشخصية، والاتجاهات والانطلاقات الفكرية، والنظرة للكون والحياة والإنسان، وقد يكون في هذا المعيار خلل يترتب عليه الميل والجنوح عن منهج الخلق القويم. وهنا لا بد من إضاءة للفرد والمجتمع تعيدهما إلى النهج السليم، حددها الإسلام بعدة أمور منها البيان والإيضاح للمنهج السليم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلِّى هِيَ أَقْوَمٌ...﴾^(٤). ومنها المسؤولية المشتركة والمتبادلة بين الأفراد من جهة، وبينهم وبين المجتمع من جهة أخرى، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾^(٥)، فعلى مستوى الفرد نفسه ينأى الضمير الحي، والإدراك السليم بالفرد عن مواطن الانحراف، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٦)، وعلى مستوى الأفراد والمجتمع تنطلق المسؤولية من مبدأ التناصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يد السفیه والمتجاوز، كخطوة أولى في سبيل سيادة الأخلاق، يقول تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٧).

الجانب الرابع: الجزاء^(٨).

في بيان الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي، وسيلة إلى سيادة الخلق

(١) انظر المصدر السابق، باب ٢٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٣) انظر محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، الطبعة الرابعة، ص ١٩ - ٩٦؛ وانظر بالجنا، علم الأخلاق، ص ٢٣١ - ٢٥١.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٩.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٢٥.

(٦) سورة ق، الآية ٣٧.

(٧) سورة المائدة، الآية ٧٩.

(٨) انظر المراجع السابقة، ص ٢٤٣ - ٤٠٢؛ ص ٢٦٨ - ٢٨٩.

الفاضل، فمن الأفراد من لا يردعه، إلا الجزاء، والخوف من العقاب، فعلى مستوى الفرد، يجد المرء راحته النفسية والوجدانية بعد كل عمل حسن، كما يجد التائب والقلق بعد كل فعل سيء وقبيح، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْتَلِيهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾، ويقول ﷺ: ((من سرته حسنته، وسأته سيئته؛ فهو مؤمن)) (٢).

وعلى مستوى المجتمع يتفاوت الجزاء بحسب المخالفة، والظروف المحيطة بها، فمن العقوبة المعنوية (٣)، بإسقاط شخصية المنحرف، وعدم الاعتداد به، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤)، إلى العقوبة البدنية، بتر العضو الفاسد حفاظاً على سلامة بقية الأعضاء، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٥).

وبعد كل ذلك يأتي الجزاء الأخروي، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٦).

بوساطة هذا المنهج الإلهي تزداد الأخلاق رسوخاً في القلوب، وأثارها وضوحاً في مجالات الحياة المختلفة.

(١) سورة يونس، الآية ٢٦ - ٢٧.

(٢) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج ٢ ص ٦١٠، رقم الحديث: [٨٧٥١].

(٣) انظر فضل إلهي ظهير، التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ٤٢ - ٤٤.

(٤) سورة النور، الآية ٤.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٦) سورة الزلزلة، الآية ٧ - ٨.

الفرع الثالث

شمولية الأخلاق^(١)

الأخلاق لا تقتصر على جانب من جوانب الإسلام، بل هي جوهر الإسلام، وروحه السارية في جميع جوانبه المختلفة، في الباطن والظاهر، في الأقوال والأفعال والأفكار، يقول البيهقي رحمه الله: (حُسْنُ الخُلُقِ: سلامةُ النفسِ نحو الأرفقِ الأحمَدِ من الأفعالِ، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس)^(٢)، وبيان هذه الشمولية كما يلي:

أولاً: على مستوى الفرد.

في الظاهر والباطن^(٣)، فمن كان في معاملته سيئاً، أو يتهاون بالأخلاق فلا يُلقَى لها بالأ^(٤)، مع كثرة عبادته، وعمله الصالح، فقد خالف وعرض عمله للإحباط، يقول ﷺ: ((لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له ولا دينَ لمن لا عهدَ له))^(٥)، ويقول يالجن: (الأخلاق الحسنة هي: أنماط السلوك الحسن الخير والمعروف في الحياة، سواء كان هذا السلوك ظاهراً أو باطناً)^(٦)، فظاهر الفرد من خلال تحريم الاعتداء على الآخرين، وظلمهم في أموالهم، أو أعراضهم، أو أبدانهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٧)، ويقول ﷺ: ((... إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...))^(٨)، وجامع ذلك كله، أن

(١) انظر الغزالي، خلق المسلم، ص ٣١ - ٣٤؛ وانظر يالجن، مرجع سابق، ص ٨٦ - ٩٤؛

وانظر الياتي، مكارم الأخلاق، ص ٨١ - ٨٨.

(٢) مختصر شعب الإيمان، الطبعة الأولى، ص ٩٣.

(٣) انظر المودودي، نظام الحياة، ص ١٥.

(٤) انظر ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج ٢ ص ٧٢.

(٥) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩٧٠٤].

(٦) علم الأخلاق، ص ٥٧.

(٧) سورة الأحزاب، الآية ٥٨.

(٨) صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب ٩.

يعامل الآخرين بمثل ما يجب أن يعاملوه به، يقول ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه (أو قال لجاره) ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))^(١)، ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَدِلَ فَأِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٢).

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (لم يحبوا لإخوانهم المؤمنين ما يحبون لأنفسهم، بل إن أصابتهم مصيبة فرحوا باختصاصهم، وإن أصابتهم نعمة لم يفرحوا لهم بها، بل أحبوا أن يكون لهم منها حظ، فهم لا يفرحون إلا بدنيا تحصل لهم، أو شر دنيوي ينصرف عنهم، إذ كانوا لا يحبون الله ورسوله والدار الآخرة، ولو كانوا كذلك لأحبوا إخوانهم، وأحبوا ما وصل إليهم من فضله، وتألّموا بما يصيبهم من المصيبة، ومن لم يسره ما يسر المؤمنين، ويسوءه ما يسوء المؤمنين فليس منهم)^(٣).
ويدخل في ذلك حفظ الجوارح من الاعتداء على الآخرين، حيث حذر من اللسان وفتاته الموبقة، وحصائده المهلكة وجعل ﷺ، إمساك اللسان، ملاك الأمر كله، وعلل ذلك بقوله ﷺ: ((وهل يكبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))^(٤)، فالكذب، وفحش القول وبداءته وسلطة اللسان، يقول ﷺ: ((ليس المؤمنُ بالطَّعَّانِ، ولا اللَّعَّانِ، ولا الفَاحِشِ، ولا البِدِّيِّ))^(٥).

والقاعدة الجامعة المانعة في ذلك، قوله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت))^(٦).

وباطن الفرد من خلال الطهارة الداخلية، كما في تزكية النفس، حيث سلامة الصدر، وطهارة القلب، فلا يحمل على أخيه المسلم شيئاً، بل يحسن به الظن، ويلتمس له العذر، عندما سُئِلَ أحد الصحابة ممن شهد له الرسول ﷺ بالجنة، عن عمله الذي أدرك به تلك المنزلة، فقال: (لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً،

(١) المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب ١٦.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٢ - ٧٣.

(٣) الفتاوى، ج ١٠ ص ١٢٨.

(٤) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ٨.

(٥) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٧٥٨٤].

(٦) صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب ٣.

ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه^(١). وكما في تجنب سبب الأخلاق الباطنة كالكبر والحقد والشح، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنْتَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢) ويقول ﷺ: ((... اتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...))^(٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (... الله أمر بطهارة القلب، وأمر بطهارة البدن، وكلا الطهارتين من الدين الذي أمر الله به، قال تعالى: ﴿... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ...﴾^{(٤)(٥)}.

ثانياً: على مستوى المجتمع .

بأن يكون مجتمعاً متحاباً، متواداً، متعاوناً على الخير، قال تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٦)، ولما سُئِلَ ﷺ عن (الرجلُ يُحِبُّ القومَ ولمَّا يلحقَ بهم) قال ﷺ: ((المرءُ معَ من أحبَّ))^(٧).

ثالثاً: جوانب الحياة الرسمية والعامية، النظرية والعملية .

بأنشطتها المختلفة، بجميع جوانبها السياسية، والاقتصادية^(٨)، الاجتماعية والصحية، والفكرية يقول ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمَحًا إِذَا قَضَى، سَمَحًا إِذَا اقْتَضَى))^(٩)، أمور الدين والدنيا، يقول ﷺ: ((الكِبْرُ: بَطْرُ الحَقِّ، وغمطُ الناسِ))^(١٠)، يقول محمد قطب: (لا شيء في حياة الإنسان

(١) مسند الإمام أحمد، ج ٣ ص ١٦٦ .

(٢) سورة غافر، الآية ٥٦ .

(٣) مسلم، مصدر سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٥ .

(٤) سورة المائدة، الآية ٦ .

(٥) مصدر سابق، ج ١ ص ١٥ .

(٦) سورة المائدة، الآية ٢ .

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٩٦ .

(٨) انظر يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي؛ وانظر فهد الشمري، الأخلاقيات الإسلامية وأثرها على العمل، دراسة ميدانية .

(٩) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٤٤٣٤] .

(١٠) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٣٩ .

يخرج من دائرة الأخلاق، لا سلوكه، ولا فكره، ولا مشاعرة، ولا أي لون من ألون نشاطه سياسياً كان، أم اجتماعياً، أم اقتصادياً، أم فنياً. إلخ. بل كل نشاطه مرتبط بالأخلاق، وقائم على قاعدة أخلاقية نابعة من الميثاق الذي يقر فيه الإنسان بعبوديته لله^(١).

رابعاً: لغير المسلمين .

فقد أمر المسلم بحسن المعاملة مع غيره، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...﴾^(٢)، ويقول ﷺ: ((اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ))^(٣).

خامساً: مع جميع المخلوقات^(٤).

أياً كان هذا المخلوق الحي، فلكل مكانة في هذا الكون، وهدف خلق لأجله، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾^(٥)؛ لذلك فلا بد من التعامل معه وفق حقوقه الطبيعية، يقول ﷺ: ((عُدْبَتِ امْرَأَةٍ فِي هِرَّةٍ سَجَّتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ))^(٦)، ويقول ﷺ: ((فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ))^(٧).

إذاً ففي الأخلاق الإسلامية وسع وارف، وعمق نافذ، مما يجعلها ضابطة لمجريات الحياة عموماً.

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ٢١٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٣) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: [٧٦٧].

(٤) انظر يالجن، علم الأخلاق، ص ٥٢ - ٥٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٦) مسلم، مصدر سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب ٣٧.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٢٧.

الفرع الرابع

دور الأخلاق في حياة المجتمع

عند فقدان الأخلاق يتحول المجتمع إلى غابة وحوش، بفعل تحكّم النزوات العدوانية للنفس البشرية، في جميع السلوكيات الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَتَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(١). وعندما تتحكّم الأخلاق الإسلامية في التعامل بين الأفراد يتحقق للمجتمع الأمن والاطمئنان، فيتحقق له الأمن النفسي^(٢)؛ لأن المؤمن مطمئن البال، هادىء النفس، على نفسه وماله وأهله وعرضه ودينه؛ ثقته في إخوانه، بدءاً بجاره، وبقية أفراد مجتمعه، فهم معه في السراء والضراء، عند حضوره وفي حال غيابه، يذّبون عن عرضه، ويحفظون له ماله، يراعون حقوق أهله، ويبدون له النصيحة عند الزلة، ويذكرونه عند الغفلة، يقول ﷺ: ((... واللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...))^(٣)، إذأ فالمسلم يكون في حالة نفسية مطمئنة، حيث لا هم ولا حزن ولا خوف ولا وجل.

ويتحقق له أيضاً الأمن الصحي^(٤)، حين حرم الإسلام كل ما يضر بصحة الإنسان، وعمل على وقايته من الأمراض ومسبباتها، يقول ﷺ: ((... فرّ من المجدوم كما تفرّ من الأسد))^(٥)، أمر بالنظافة كعنصر فاعل في الصحة، يقول ﷺ: ((إن الله تعالى طيبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ... فَتَنظَّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ))^(٦)، وحث على الاعتدال في الأكل والشرب وحرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وكل ما يضر بالعقل، يقول ﷺ: ((ما أسكر كثيره، فقليله حرام))^(٧)، هكذا يعيش المجتمع المسلم في جو صحي آمن، بعيداً عن الأمراض ومسبباتها.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٥.

(٢) انظر بالجن، علم الأخلاق، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ١١.

(٤) انظر بالجن، مرجع سابق، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ١٩.

(٦) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٧٤٨].

(٧) حديث حسن. المصدر السابق، رقم الحديث: [٧٨١٥].

ويتوافر له الأمن الاقتصادي^(١)، من خلال تحريم الغش والسرقة والربا، وجميع أوجه أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً عَنْ فَرَضٍ مِنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٢).

ويتحقق للمجتمع أيضاً الأمن الغذائي؛ لأن حاجة المحتاج موجودة، وفاقته مكفولة، فلا الضعيف يعاني لضعفه، ولا المسكين يتكدر لوضعه، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣)، ولأن موجودات المجتمع الغذائية مكفولة للجميع، يقول ﷺ: ((المُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ))^(٤).

هكذا تسهم الأخلاق في رغد العيش، وسيادة الاستقرار والاطمئنان في مجالات الحياة المختلفة؛ لتعين المؤمن بعد عون الله على القيام بواجباته، وأداء رسالته الجهادية في هذه الحياة.

إن الأخلاق بهذه الصورة الإسلامية لهي مصباح يبين طريق الفضيلة داخل المجتمع الإسلامي وخارجه وستدفع ولا ريب الفرد المسلم بكل شجاعة وإقدام إلى الإيثار والتضحية في سبيل الحق، ونصر المظلوم، وحماية النور الإلهي ليضئ للعالمين. في ظل هذا الخلق العظيم ستعلوا راية الجهاد، وسيطلق المجاهد بكل رحابة حاملاً مشعل النور والبيان، ليفتح القلوب قبل الدروب.

(١) انظر يالجن، مرجع سابق، ص ٣٥٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٢٩.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٨.

(٤) صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩١٧٦].

المطلب الرابع التطبيق العملي

في أقل من نصف قرن وصلت الفتوح الإسلامية إلى المحيط الهادي غرباً، وبلاد الهند شرقاً، وتلك قدرة أذهلت المتابعين والمعنيين في ذلك العصر، والمحللين في العصور المتأخرة، بحثوا عن سر تلك القوة النافذة والقدرة الأخاذة، عليهم يتمكنوا من مقاومتها، والتصدي لها، فهذا هرقل يحاور جنده وهو على أنطاكية بعد هزيمة الروم في اليرموك، فيقول: (أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى! قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن! قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم، ونأمر بالسخط، ونهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض. قال: أنت صدقتني^(١) فخلص هرقل من تلك المحاورة إلى أنه حري بمن اتصف بتلك الصفات، وتحلى بتلك المكرمات، أن يفتح العقول والقلوب، قبل أن يدك الأسوار والحصون.

ويقول مرما ديوك باكثول أحد المحللين والمهتمين المتأخرين، معبراً عن إدراكه لسرعة تلك الفتوحات ومحددأ نوعية القوة المحطمة لكل العقبات: (إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التي نشرها بها سابقاً، إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٥.

العالم الخاوي لا يستطيع أن يقف أمام روح حضارتهم^(١).

لقد بلغ حرص المسلمين على الأخلاق مبلغاً غاية في الدقة والاحترام، والتحري والاحتراس، كانوا على حذر دائم، ووجل قائم، من أن تنتهك، أو تنتقص، حتى إنهم ليحتاطوا لها وإن تضرر المسلمون من جراء ذلك؛ فهذا عمر يوجه جنده إلى وجوب الاحتياط والحذر من الفساد الخلقي، بل وجوب الاحتياط والحذر مما قد يكون فيه مدخل أو شبهة فساد، يقول عمر رضي الله عنه : (. . . فإن لاعب أحدٌ منكم أحداً من العجم بأمان، أو قرفه بإشارة أو بلسان، فكان لا يدري الأعجمي ما كلمه به، وكان عندهم أماناً؛ فأجروا ذلك له مجرى الأمان. وإيّاكم والضحك، والوفاء الوفاء! فإن الخطأ بالوفاء بقيّة، وإن الخطأ بالغدر الهلكة، وفيها وهنكم، وقوة عدوكم، وذهاب ريحكم، وإقبال ريحهم. واعلموا أنني أحذركم أن تكونوا شيئاً على المسلمين، وسبباً لتوهينهم)^(٢).

وفي قصة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مع أهل سمرقند، تطبيق عملي لتلك النظرة الفريدة للأخلاق، ومدى تحكمها في ما يصدر من المسلمين عموماً من أقوال وأفعال حتى في أحلك الظروف وأدقها، يقول الطبري رحمه الله تعالى في سياق القصة: (قال أهل سمرقند لسليمان: إن قتيبة غدر بنا وظلمنا، وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فائذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا، فإن كان لنا حق أعطيناه، فإن بنا إلى ذلك حاجة، فأذن لهم. فوجهوا منهم قوماً. فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر إلى سليمان بن أبي السرى: إن أهل سمرقند قد شكوا إليّ ظلماً أصابهم، وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة. قال فأجلس لهم سليمان جُميع بن حاضر القاضي الناجي، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم، وينابذوهم على سواء. فيكون صلحاً جديداً، أو ظفراً عنوةً، فقال أهل السغد: بل نرضى بما كان، ولا نجدد حرباً، وتراضوا بذلك)^(٣)، فإذا كان هذا هو

(١) (. . . «جودت سعيد، رسالة لم هذا الرعب كله من الإسلام، ص ١٩» . . .)، حوى، جند الله، ص ١٧.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٤٩٢ - ٤٩٣.

(٣) المصدر السابق، ج ٦ ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

الخلق الإسلامي في مثل هذه المواقف الحرجة والشديدة، فكيف به في الأمور الطبيعية.

كل ذلك دلالة على عمق الخلق الإسلامي، ونقائه في نفوس المسلمين في معاملاتهم داخل مجتمعهم الإسلامي، واتخاذ ذلك قاعدة انطلاق وتحكم في معاملاتهم العامة حتى مع الخصوم والأعداء.

الفصل الثالث في المجال السياسي

المبحث الأول: الأنظمة الوضعية.

المبحث الثاني: التبعية وبسط نفوذ الأعداء.

المبحث الثالث: النظام العالمي الجديد.

مدخل :

النظام السياسي مطلب ضروري وطبيعي لبني البشر أجمع، هذا الجنس الذي لا تستقيم حياته إلا بالاجتماع، ذلك الاجتماع الذي يقتضي تنظيم العلاقة بين المجتمعين، وفوق أنظمة تسير حياتهم وترتب تداخلاتهم، وتحكم نزاعاتهم. من ذلك نلمس ما للهيكل السياسي من دور قيادي فاعل ورئيس في إحداث الحركة والتغيير والتطوير داخل المجتمعات، بفعل خطته المحكمة، وسلطته النافذة إذاً فهو عامل رئيس في تحقيق النصر أو الهزيمة عند مواجهة التحدي والخطر، بفعل قوته النافذة والمحركة لجميع القوى والأنظمة الحياتية المختلفة، فبصلاحه وفساده يكون صلاح المجتمع وفساده.

هذا المجال السياسي مجال عانى منه المسلمون كثيراً، فمن خلال بوابته تم التسلط على المسلمين في عصرنا الحاضر، فأصبحوا بين تردد واضطراب سياسي داخلي، وقلق سياسي خارجي، صرفهم عن غايتهم، وأشغلهم عن رسالتهم.

من هنا أكتب في هذا الفصل بجهد المقل، ونظر المقصر، في بيان الكيفية التي أصبح فيها المجال السياسي أحد عوائق الجهاد، وذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول الأنظمة الوضعية

تسود معظم عالمتنا الإسلامى كثر من الأنظمة الوضعية، ذات الأسس الأجنبية، والغايات الكافرة والى تتجاوز كونها أحد عوائق الجهاد، إلى اعتبارها وبعق مدخلاً ومعبراً رئيساً فى ترسيخ عوائق الجهاد المختلفة، وبيان ذلك فى مطالب على النحو التالى:

المطلب الأول التعريف

أولاً: الأنظمة .

أ: لغةً. جمع نظام، ونظائرها: أناظيم، ونُظْمٌ. والنَّظَامُ: ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره. ومدار كلمة النظم: النَّظْمُ: وتعني: تأليف الشيء وجمعه إلى شيء آخر، تقول: نظَّمَه، أي: أَلَفَهُ وَجَمَعَهُ فانتَظَمَ وتَنظَّم. ونظام الأمر: مِلاكُه المتمثل في الهدية والسيرة، تقول: ليس لأمرهم نظام: أي ليس له هديٌّ ولا متعلق ولا استقامة. والانتظام: الاتساق، تقول تناظمتِ الصخور: تلاصقت^(١).

إذا فالأنظمة: أعمال مؤلفة، تجمع عدة أشياء؛ لتشكل حدوداً متسقة لأشكال عملية متباينة.

ب: اصطلاحاً. الأنظمة عند الفقهاء: (مجموعة الأوامر والنواهي والإرشادات التي تُحدِّدُ الطريقة التي يجب اتباعها في تصريف معين، ومنه النظام الاقتصادي، والنظام الإداري)^(٢).

وعند السياسيين^(٣): (مجموع التفاعلات، والأدوار المتداخلة والمتشابكة، التي تتعلق بالتخصيص السلطوي للقيم، أي: بتوزيع الأشياء ذات القيمة بموجب قرارات سياسية ملزمة للجميع)^(٤).

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، «نظم»؛ وانظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، «نظم».

(٢) محمد رواس قلعة جي، حامد صادق قنبيي، معجم لغة الفقهاء، الطبعة الثانية، ص ٤٨٢.

(٣) انظر أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية الدولية، (دار الكتاب المصري)، ص ١٢٢؛ وانظر محمد محمود ربيع، إسماعيل صبري مقلد، موسوعة العلوم السياسية، (جامعة الكويت)، ص ٥١٤ - ٥١٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٥١٤.

ثانياً: الوضعية .

أ: لغةً. الوَضْعُ: ضد الرفعة، وأعم من الحط، والضَّعَةُ والضَّعَةُ خلاف الرِّفْعَةِ في القدر، والأصل: وَضَعَةٌ. والوَضَّاعُ: رجلٌ كذاب. ووَضَعَ الشيءَ وَضْعاً: اِخْتَلَقَهُ، تقول أحاديث موضوعة، أي: مُخْتَلَقَةٌ. وتوَضَّعَ القومُ على الشيء: اتفقوا عليه، وأوَضَعْتُهُ في الأمر، إذا وافقته فيه على شيء^(١).

من هذه المعاني وغيرها مما أوردته معاجم اللغة العربية يتبين أن الوضعية تعني: وضع الشيء وضِعاً بمعنى اختلقه.

ب: اصطلاحاً. انطلاقاً من المعنى اللغوي السابق، فالمعنى الاصطلاحي يعني: الوضع السطحي والمحدود لأمرٍ ما، بناء على أسس منطلقة من نظرة قاصرة، وغاية محدودة، يقول أبو البقاء رحمه الله تعالى: (الوضع هو: كون الشيء مشاراً إليه بالإشارة الحسية، وتخصيص اللفظ بالمعنى، كما في التلويح)^(٢)، وعلى ذلك فهو حالة طارئة، يقول الجرجاني رحمه الله: الوضع في اصطلاح الحكماء: (هيئة عارضة للشيء، بسبب نسبتين: نسبة أجزائه بعضها إلى بعض، ونسبة أجزائه إلى الأمور الخارجية عنه، كالقيام والقعود، فإن كلاً منهما هيئة عارضة للشخص)^(٣).

والوَضْعِيَّةُ باعتبارها مذهباً معاصراً، هي: مذهب يقيم المعرفة على الوقائع والتجربة، وينكر عالم الغيب^(٤).

أما الوضع في الاصطلاح بحسب الواضع فينقسم إلى قسمين:

١ - شرعي، إن كان مصدر الوضع الشريعة الإسلامية، يقول أبو البقاء رحمه الله

(١) انظر الراغب، المفردات، ص ٥٢٥ - ٥٢٦؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب، «وضع»؛ وانظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، «وضع»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «وضع».

(٢) أبو البقاء، الكليات، ص ٩٣٤.

(٣) التعريفات، ص ٣٢٦ - ٣٢٧؛ وانظر أبا البقاء، المصدر السابق.

(٤) انظر أنيس، وآخرين، مرجع سابق، ص ١٠٤٠؛ وانظر نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، معجم العلوم الاجتماعية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص ٦٤٢ - ٦٤٣.

تعالى: (إن كان من الشارع فوضع شرعي، كوضع الصوم والصلاة)^(١).

٢- عرفي، إن كان مصدر الوضع إنسان، يقول أبو البقاء رحمه الله: (إن كان من قوم مخصوصين كأهل الصناعات من العلماء وغيرهم، فوضع عرفي خاص، كوضع أهل المعاني الإيجاز والإطناب وأهل البيان الاستعارة والكناية، وأهل البديع التجنيس، والترصيع، وإلا فهو عرفي عام إن كان من أهل عرف عام، كقطيع الدابة والحيوان)^(٢).

والأنظمة المرادة في هذا المبحث داخله في القسم الثاني؛ لكونها من وضع عرفي، وُضِعَ فكرة وغاية بناء على مفاهيم إنسانية دنيوية.

ثالثاً: السياسة.

أ: لغة. سَاسَ الأمرَ: دبره وقام به. والسَّوْسُ: الرِّيَاسَةُ، يقال سَوَّسُوهُ وأساسوه: إذا رأسوه. وسُوِّسَ فلانٌ أمرَ الناسِ: أي كَلَّفَ سياستهم. والسِّيَاسَةُ: القيام على الشيء بما يُصلِحُه، والسياسة: فعل السائس^(٣).

ب: اصطلاحاً. السياسة في المفهوم الإسلامي تعني فعلاً دنيوياً يحقق المصالح، وينأى عن المفساد يقول ابن عقيل رحمه الله: (السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول، ولا نزل به وحياً)^(٤)، وقِيَدَ ذلك بعدم مخالفته للشرع^(٥)، ويقول أبو البقاء رحمه الله: السياسة هي: (استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير. والسياسة البدنية: تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة)^(٦)، وتدبير

(١) مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر ابن منظور، لسان العرب، «سوس»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «سوس».

(٤) ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص ١٣.

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) مرجع سابق، ص ٥١٠.

أمور الدولة داخلياً وخارجياً وفق الشريعة الإسلامية، أحد المعاني الاصطلاحية للسياسة عند فقهاء الإسلام^(١).

والسياسة في اصطلاح السياسيين المعاصرين لا تخرج عن هذا المفهوم إلا بإطلاق الحكم^(٢)، يقول أحمد عطية الله: (لفظ السياسة يستخدم بمعنى فن الحكم، والقواعد المنظمة للعلاقات بين الدولة وغيرها)^(٣).

وبنظرة إجمالية لما سبق، يتبين أن الأنظمة السياسية تدور بين ثلاثة أقسام:

١ - ملك طبيعي، وهو ما يعبر عنه ابن خلدون رحمه الله تعالى بقوله: (هو: حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة)^(٤)، أي حكم الميول والأهواء الغريزية، المبنية على حب الذات، والأثرة، والاستبداد والاستعلاء الفردي.

والأساس الوضعي لأحكام هذا الملك، أنها منبثقة عن رغبة في التغلب والقهر والتسلط، يقول ابن خلدون رحمه الله تعالى: (أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق، مجحفة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم)^(٥).

٢ - ملك عقلي، وهو ما يعبر عنه ابن خلدون رحمه الله بقوله: (هو: حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية، ودفع المضار)^(٦)، أي حكم النظرة الفاصرة، والغاية العاجلة، المحدودة في أمور الدنيا ومصالحها.

والأساس الوضعي لأحكام هذا الملك، أنها وضع بشري، يقتصر على تحقيق بعض المصالح الدنيوية دون الأخروية، يقول ابن خلدون رحمه الله: (فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء، وأكابر الدولة وبصرائها، كانت سياسة عقلية)^(٧).

-
- (١) انظر قلعة جي، قنبي، معجم لغة الفقهاء، ص ٢٥٢.
 - (٢) انظر معجم العلوم الاجتماعية، ص ٣٢٧ - ٣٢٨؛ وانظر بدوي، معجم المصطلحات السياسية، ص ١١٣؛ وانظر ربيع، مقلد، موسوعة العلوم السياسية، ص ٣٩، ١٠٢.
 - (٣) القاموس السياسي، ص ٦٦١.
 - (٤) المقدمة، ص ١٩١.
 - (٥) المصدر السابق، ص ١٩٠.
 - (٦) المصدر السابق، ص ١٩١.
 - (٧) المصدر السابق، ص ١٩٠.

٣ - ملك إسلامي، وهو ما يعبر عنه ابن خلدون رحمه الله تعالى بقوله:
(حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدينية
الراجعة إليها)^(١)، أي الحكم وفق التوجيه الإلهي، المحقق لمصالح الدنيا
والآخرة.

والأساس الوضعي لأحكام هذا الملك، أنها وضع إلهي، مقصوده صلاح
الدنيا والآخرة، يقول ابن خلدون رحمه الله تعالى: (إذا كانت مفروضةً من
الله بشارع يُقرُّها وَيَشْرَعُها، كانت سياسةً دينيةً نافعةً في الحياة الدنيا وفي
الآخرة)^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ١٩١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٠.

المطلب الثاني التحليل

الفرع الأول

مظاهر وضعية الأنظمة^(١)

بعض البلاد الإسلامية تعلن بكل صراحة ووضوح: أنها دولة علمانية تسعى لترسيخ علمانيتها في جميع مجالات الحياة^(٢)، مثل هذه الدولة قد كُفينا أمرها، فليس بعد المجاهرة مظاهر تحتاج إلى بيان.

وإنما البيان التالي معنيٌّ بتلك الدول التي تعلن إسلاميتها في دساتيرها، فتنص على أن الدين الرسمي للدولة الإسلام، أو أن الفقه الإسلامي مصدر رئيس للتشريع، أو أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع، وأنها دول تنطلق في أنظمتها من تعاليم الإسلام ومبادئه التي تمثل الدين الرسمي للدولة، بينما هي تتعامل بالأنظمة الوضعية في درجات متفاوتة، وعلى مستويات متباينة وتتستر خلف مسميات ملتوية، بيانها الشافي، أجمله في الآتي:

(١) جميع المواد الدستورية الواردة في هذا المبحث، وانظرها عند: محمود حلمي، دستور الكويت والدساتير العربية المعاصرة، الطبعة الأولى؛ وانظر جواد الأريش، دساتير العالم العربي، (١٩٧٢ م)؛ وانظر أنور رسلان، القانون الدستوري المغربي، (١٩٧٧ - ١٩٧٨ م)؛ وانظر مصطفى أبو زيد، النظام الدستوري المصري، الطبعة الأولى؛ وانظر نخبة من رجال القانون، بإشراف: نبيل البصانغ، الأحكام الدستورية للبلاد العربية، (بيروت: دار الجامعة للطباعة والطباعة والنشر).

(٢) انظر المادة الثانية، الدستور التركي، والنيجيري؛ وانظر المادة الأولى، الدستور السنغالي.

أولاً: سيادة الفكر السياسي الوضعي .

انطلق الفكر السياسي في مبدئه وغايته معتمداً على فلسفات ونظريات بشرية، استقاها المسلمون من فكر أجنبي، يُكن أصحابه للمسلمين العدا، ويتربصون بهم الدوائر، ظهرت عملياً على شكل شعارات جوفاء، ودعوات خادعة، ينادى بها في كل وقت وحين، بمناسبة وبغير مناسبة، يرددها الناعقون للغرب أو الشرق بما لا يدركون ولا يعلمون، يقول أحد الكتاب المعاصرين: (يمكن القول إن الفكر السياسي في القطر حين ولد كان قد غادر مرحلة الرفض الكلي لفكر الغرب، وتطور إلى مرحلة التساؤل عن المقدار الذي يتوجب قبوله من فكر الغرب... والحق أن تطور فكر القطر يضعه في التصنيف الغربي، ضمن مجموعة تلك الدول المتعصبة في عدايتها للامبريالية... كذلك يوضع القطر بمعيار التصنيف الماركسي السوفييتي، في إطار دول التطور اللارأسمالي... ويصنف القطر نفسه في أنه في طليعة حركة التحرر العربي، وفي طليعة العاملين لتوحيد تلك الحركة، وأنه أيضاً ضمن إطار حركة التحرر العالمي، وأن سيره الاشتراكي يتناسب مع ظروفه الخاصة)^(١).

وكان لفرض هذه السيادة منهج واضح، تبادل أدوار تطبيقه عدة فئات على النحو التالي:

أ: التعليم. حيث دُرِّس في بعض الجامعات العلوم والمعارف السياسية الأجنبية، وأبعد النظام السياسي الإسلامي بجعله ملحقاً في أحد الأقسام غير السياسية، أما الأقسام السياسية فتُعنى بالنظريات السياسية الأجنبية، إمعاناً في الإيحاء بأن النظام السياسي الإسلامي غير مناسب للسياسة المعاصرة وأنه من النظريات الموقوتة بعصر معين تنتهي بنهاية عصرها.

ب: المثقفون. قام بعض من العلماء والمفكرين المسلمين خاصة من لهم تأثير كبير في التوجيه والتعليم وتلقين الرأي العام بالأفكار، بتوجيه الدعوة للأخذ بالقوانين السياسية الأجنبية، من خلال التشكيك بعلاقة الإسلام بالحكم والدولة، أو القول بأن النظريات السياسية لا تتناسب مع عصرها، ومنهم من جاهر علانية بالدعوة الصريحة للأخذ بالقوانين الأجنبية، يقول طه حسين: (نظام الحكم عندنا أوربي خالص، نقلناه في غير تحرج ولا تردد، وإذا عبنا أنفسنا بشيء من هذه الناحية، فإنما نعيبها بالإبطاء

(١) جورج جبور، الفكر السياسي المعاصر في سورية، الطبعة الثانية، ص ٤٤٧ - ٤٤٨.

في نقل ما عند الأوربيين من نظم الحكم، وأشكال الحياة السياسية^(١)، مثل هذه الدعوات عُمل على إضفاء الطابع الشرعي ترويحاً للأخذ بها، يقول سيد قطب رحمه الله: (هم يسלטون المحترفين من علماء هذا الدين عليه، يحرفون الكلم عن مواضعه، ويحلون ما حرم الله، ويميعون ما شرعه، ويباركون الفجور والفاحشة، ويرفعون عليها رايات الدين وعناوينه! وهم يزحلقون المخدوعين في الحضارات المادية المأخوذون بنظرياتها، وأوضاعها، ليحاولوا زحلقة الإسلام في التشبه بهذه النظريات، وهذه الأوضاع، ورفع شعاراتها، أو الاقتباس من نظرياتها، وشرائعها، ومناهجها!)^(٢).

ج: الحكام. لبعض الحكام دور بارز في ترسيخ الفكر السياسي الوضعي، نظرياً تارة بأقوال وكتابات مبهرجة، وعملياً تارات أخرى بأفعال يفتطر القلب لها ويثن^(٣)، متخذين من مقولة: (الدين لله والوطن للجميع)^(٤) مثلاً أعلى، ومرتكزاً أسمى في منطلقاتهم الفكرية السياسية، يقول أحد الرؤساء المسلمين: (إن جاهلاً يطيع أوامر الثورة، ويخلص للمبادئ اللينينية الماركسية، أحب إلينا من متعلم رجعي، لا ينفذ أوامر الثورة)^(٥)، والسبب في ذلك وكما يقول: (إن الاشتراكية ستكون منهاج حكمننا بعد اليوم، وعلى ضوءها يتم توجيه الإنتاج والاستهلاك، وإن جميع قطاعات الإنتاج ستكون تحت تصرف الحكومة؛ لأن شعبنا اشتراكي بطبعه)^(٦).

(١) مستقبل الثقافة، ص ٣٢.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٣ ص ١٤٠٣.

(٣) انظر كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، الطبعة الثانية، ص ١٣ - ٢٣؛ وانظر مصطفى حلمي، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، الطبعة الثانية، ٤٩ - ٥٠؛ وانظر محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٥؛ وانظر الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص ٥٥ - ٦١؛ وانظر علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، ص ٢٧٧ - ٢٨٤؛ وانظر محمد دروزة، تركيا الحديثة، (بيروت: مطبعة الكشاف)، ص ٦٤ - ١٦٠؛ وانظر عمر الأشقر، معوقات تطبيق الشريعة، الطبعة الأولى، ص ٣٩ - ٤١، ٤٩ - ٥٧.

(٤) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٣٢١.

(٥) على الشيخ أحمد، الصومال وجذور المأساة الراهنة، الطبعة الأولى، ص ٧٠.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٧.

فكان أن قامت بعض الحكومات الإسلامية على وضع ثقافة سياسية تستمد قيمها ومعاييرها من منطلقاتهم السياسية، تغلق جميع منافذ المعرفة المخالفة لتوجهاتها، وتسخر لأجل ذلك كل قدراتها تشدد الرقابة على كل ما ينشر، وتوجه الإعلام للتأثير عبر وسائله المختلفة، يقول سعد جمعة: (الحركات اليسارية، والأحزاب القومية التي خلفها فينا الاستعمار بعد رحيله، وتكامل تكوينها خلال العقدين الماضيين، وكلها قامت على أساس عزل الدين الإسلامي وإقصائه عن الحياة السياسية للجماعة، واتباع المذاهب الأوربية المادية من شرقية وغربية)^(١).

ثانياً: القوانين الدستورية^(٢).

مما لا يحتاج إلى دليل، أو بيان، أن أغلب الدساتير في عالمنا الإسلامي دساتير وضعية الأصل، نقلت عن الدساتير الغربية صياغة وتقسيماً وتبويباً، وأصدرت لتشكل قواعد وقوانين عليا للحكم بشكل دائم أو مؤقت^(٣)، يقول عبد القادر عودة رحمه الله تعالى: (أخذ ولاية الأمر في أكثر البلاد الإسلامية يضعون منذ القرن الماضي لبلادهم مجموعات قانونية في مختلف التشريعات، على غرار ما فعلت البلاد الأوربية، ولكنهم عمدوا إلى القوانين الأوربية فنقلوا عنها نقلاً، مجموعات دستورية، وجنائية، ومدنية، وتجارية، وغير ذلك، ولم يرجعوا إلى الشريعة الإسلامية إلا في بعض المسائل القليلة، كالوقف والشفعة. ومن الحق أن تقرر أن . . . بعض نصوص هذه المجموعات جاء على اختلاف أحكام الشريعة، وقام على مبادئ تخالف مبادئها)^(٤)، مع أن أغلب الدساتير في البلاد الإسلامية تتفق على

(١) الله أو الدمار، ص ٧٧.

(٢) الدستور، كلمة محدثة، تعني في الاصطلاح المعاصر: (مجموعة القواعد الأساسية التي تبين شكل الدولة، ونظام الحكم فيها، ومدى سلطتها إزاء الأفراد). أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، ص ٢٨٣؛ وانظر يدوي، معجم المصطلحات السياسية، ص ٣٣.

(٣) انظر عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، (القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية)، ج ١ ص ٣٤ - ٤٤، ٥٠ - ٥٧؛ وانظر عبد الحميد متولي، أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث، الطبعة الأولى، ص ٢١ - ٢٤؛ وانظر رسلان، القانون الدستوري المغربي، ص ٤.

(٤) الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، ص ٢٥ - ٢٦.

عبارة شهيرة، تقول: (الإسلام دين الدولة)^(١)، هذه العبارة يضاف لها أحياناً عبارات: (الفقه الإسلامي مصدر رئيسي للتشريع)^(٢)، أو: (الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع)^(٣)، وتلك عبارات جوفاء، تتضمن تأكيداً على أن الإسلام ليس المصدر الوحيد للتشريع، وإنما هناك مصادر أخرى، وكما يناقض تلك العبارة الواقع المشاهد اليوم في أغلب البلاد الإسلامية، تُناقضها كذلك مواد أخرى كالتالي:

أ: النص على الأخذ بالأنظمة والمناهج الكافرة، حيث تنص بعض الأنظمة في البلاد الإسلامية على الأخذ بالأنظمة الكافرة، كما في الأخذ بالديمقراطية الغربية، والاشتراكية الماركسية، كدستور للسياسة الاقتصادية والاجتماعية^(٤)، بل إن تلك الأنظمة تنص على وجوب أداء القسم بالله على الالتزام بالعمل وفق القوانين الدستورية^(٥)، بما فيها من نصوص كافرة. كما تنص على وجوب احترام القانون الدستوري على كل مواطن، ولا يعذر أحد بجهل القانون^(٦).

ب: مناقشة الشريعة الإسلامية، تتضمن تلك الدساتير نصوصاً تجيز النظر في القوانين المعمول بها حذفاً وإضافة، وزيادة قوانين^(٧)، وهذا يعني أن أي اقتراح شرعي لتصحيح أحد تلك القوانين الكافرة، يعني وضع الحكم الشرعي تحت المداولة البشرية، قبولاً ورفضاً.

ج: نظرية السيادة، تلك النظرية التي تعد أهم مبادئ الديمقراطية الغربية

(١) انظر المادة الثانية، الدستور الأردني؛ وانظر المادة السابعة، الدستور المؤقت لدولة الإمارات؛ وانظر المادة الثانية، الدستور البحريني، والجزائري، والمصري، والكويتي؛ وانظر المادة الثالثة، الدستور السوري.

(٢) انظر الفقرة الثانية، من المادة الثالثة، الدستور السوري.

(٣) انظر المادة الثانية، الدستور الكويتي.

(٤) انظر المادة [١، ١٠ - ٢٤]، الدستور الجزائري؛ وانظر المادة [١، ١٣ - ٢٠]، الدستور السوري؛ وانظر المادة الأولى، الدستور السوداني؛ وانظر المادة [١، ١٢ - ١٦]، الدستور العراقي؛ وانظر المادة السادسة، الدستور الكويتي؛ وانظر المادة الأولى والخامسة، الدستور المصري؛ وانظر الفصل الأول، الدستور المغربي.

(٥) انظر المادة [٢٩، ٤٣]، الدستور الأردني؛ وانظر الفصل [٤١]، الدستور التونسي؛ وانظر المادة [١١٠]، الدستور الجزائري؛ وانظر المادة [٨٥]، الدستور المصري.

(٦) انظر المادة [٧٤]، الدستور الجزائري.

(٧) انظر الفصل [٦٠ - ٦٢]، الدستور التونسي؛ وانظر المادة [١٠٩ - ١١٣]، الدستور المصري.

المبنية على أصول فرنسية وتعني السلطة العليا المطلقة، التي لا ينافس إرادتها، أو يعادلها ويسامها سلطة أخرى^(١)، وقد نصت القوانين السائدة في أغلب البلاد الإسلامية على أن السيادة التامة حق خاص للأمة، فالأمة أولاً وآخرها هي المصدر الوحيد للسلطات^(٢)، كما أن للقانون أيضاً سيادة، فسيادة القانون أساس الحكم^(٣).

وعليه فالأمة ودون الرجوع إلى أي سلطة أخرى، تحدد وفق إرادتها القانون الذي تجب سيادته.

د: التشريع، تنص أغلب الدساتير في البلاد الإسلامية على أن السلطة التشريعية حق خاص يناط بالمجالس النيابية الممثلة للأمة، كالمجلس الوطني، ومجلس الأمة والشعب، أو البرلمان ونحوه. كما يناط برؤساء الدول، فلهم الحق في التصديق والاعتراض على ما تقرره السلطات التشريعية، وحق اقتراح التشريع^(٤)، والاستقلال في التشريع دون الرجوع إلى السلطة التشريعية^(٥).

هذا الحق يعطي للمجالس النيابية والرؤساء الحق في التشريع على سبيل الاستقلال في التشريع والحكم، لا الاتباع أو الرجوع إلى شرع الله، وكأنها بذلك تنازع الله في ملكه، وتحكم على حكمه فتعطي لنفسها الحق في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله^(٦).

(١) انظر متولي، أزمة الفكر السياسي الإسلامي، ص ٢٧٨ - ٢٨٢؛ وانظر الإسلام ومبادئ نظام الحكم في الماركسية والديمقراطيات الغربية، (الاسكندرية: منشأة المعارف)، ص ١٠٨ - ١٠٩؛ وانظر صلاح الصاوي، نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة، الطبعة الأولى، ص ٩ - ٢٦؛ وانظر عارف أبو عيد، السيادة في الإسلام بحث مقارنة، الطبعة الأولى، ص ٢٣ - ٢٧، ١٤٠ - ١٤٦.

(٢) انظر المادة [٢٤]، الدستور الأردني؛ وانظر المادة الأولى، الدستور البحريني؛ وانظر المادة الثالثة، الدستور المصري.

(٣) انظر المادة [٥٩]، الدستور السوداني؛ وانظر المادة [٦٤] الدستور المصري.

(٤) انظر المادة [٢٥]، الدستور الأردني؛ وانظر المادة [٣٥، ٤٢]، الدستور البحريني؛ وانظر الفصول [١٨ - ٢٨]، الدستور التونسي.

(٥) انظر الفصل [٣٢]، الدستور التونسي؛ وانظر المادة [٧٤]، الدستور المصري.

(٦) انظر «تشريعية» الأمة الكويتي ترفض لجنة للمراجعة الإسلامية للقوانين»، جريدة الشرق الأوسط، ١٣/١٠/١٤١٧ هـ، العدد ٦٦٥٩، ص ٤.

ثالثاً: الحياة النيابية .

تلك الأعمال الانتخابية التي يتم فيها اختيار ممثلي الأمة في مراقبة واتخاذ وتشريع وتنفيذ القرار السياسي عموماً^(١). فقانون الانتخابات وقبول المرشحين لها لا يخضع لمقاييس تأهيلية، بل هو حق متاح لكل مواطن يحمل الجنسية^(٢)، وهذا يعني إمكانية انتخاب العلماني، أو الفاسق، أو النصراني أو اليهودي؛ لمجرد توافر الإمكانيات، والدعم المادي، والجاهي الذي يحكم نجاح المرشح. زد على ذلك المبالغة في الدعاية الانتخابية؛ لعدم وجود ضوابط تحكمها. وكذا الفجوات الكبيرة التي تمر بها العملية الانتخابية، مما يعني إمكانية التزوير بدرجة عالية تؤثر في النتائج الانتخابية، كما حدث في الصومال في انتخابات عام [١٣٨٨ - ١٣٨٩ هـ]، حينما أشرف على الانتخابات جهات تتلقى الأوامر من الحزب الحاكم، ومن الرئيس الصومالي مباشرة، مما نتج عنه تجاوزات عديدة، وتلاعبات كثيرة لا مبرر لها سوى السيطرة القوية لنفوذ الحزب الحاكم على مجريات الانتخابات، والتي تؤكد المصادر بأن أكثر من خمسين دائرة انتخابية قد تم تزويرها بالفعل؛ لأجل ضمان فوز الحزب الحاكم^(٣).

رابعاً: المحاكم الوضعية .

تسود معظم عالمنا الإسلامي المحاكم الوضعية التي لا تخضع إلا لسلطان القانون^(٤). وهي في بعض البلاد الإسلامية على أنواع، فهناك المحاكم النظامية، وتُعنى بالنظر في جميع القضايا الحقوقية والجزائية لجميع المواطنين. والمحاكم الدينية، وهي على نوعين: مجالس للطوائف غير الإسلامية، ومحاكم شرعية تُعنى بالنظر في الأحوال الشخصية فقط. وهناك أيضاً المحاكم الخاصة، وتعنى بالنظر في قضايا معنية وفق قوانين خاصة بها^(٥). وهذا يعني حصر دور المحاكم الشرعية على

(١) انظر بدوي، معجم المصطلحات السياسية، ص ١٠٤.

(٢) انظر الفصل الحادي والعشرين، الدستور التونسي؛ وانظر المادة [١٢٢]، الدستور السوداني؛ وانظر المادة [٨٢]، الدستور الكويتي.

(٣) انظر الشيخ أحمد، الصومال، ص ١٩ - ٢٠.

(٤) انظر الفصل [٥٣]، الدستور التونسي؛ وانظر المواد [١٦٥، ١٧٢]، الدستور الجزائري؛ وانظر المادة [١٣٣]، الدستور السوري؛ وانظر المادة [٦٠]، الدستور العراقي؛ وانظر

المادة [١٦٣]، الدستور الكويتي؛ وانظر المادة [١٦٦]، الدستور المصري.

(٥) انظر المادة [٩٩ - ١١٠]، الدستور الأردني.

النظر في قضايا الأحوال الشخصية فقط، وما عداها فهو من اختصاص المحاكم النظامية والخاصة.

ولم يُكتفى بذلك بل زيد عليه في بعض البلاد بأن جعلت الشريعة مصدراً احتياطياً للقانون المدني فالمادة الأولى من القانون المدني المصري تنص على الأخذ بالنص القانوني، فإن لم يوجد نص قانوني يُرجع للقواعد العرفية، فإن لم يوجد فيها حكم، يُرجع لمبادئ الشريعة الإسلامية^(١).

خامساً: العلاقات الدولية.

تقوم بعض البلاد الإسلامية في رسم علاقاتها مع الدول الأجنبية على السير وفق مبادئ وأهداف الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، ومنظمة الوحدة الإفريقية، وحركة عدم الانحياز ونحوها^(٢) مما أسهم ويسهم في الدخول الجماعي لكثير من الدول الإسلامية في معاهدات متعددة مع الكفار تُسقط كثيراً من الحقوق الإسلامية، وتُحقق للأعداء كثيراً من الآمال، تلك الحقيقة الماثلة في كثير من المعاهدات المختلفة عبر عنها رئيس الوزراء اليهودي شمعون بيريز رائد إحدى تلك المعاهدات بقوله: (في ساعة متأخرة من ليلة العشرين من آب [١٩٩٣ م - الموافق ٣/٣/١٤١٤ هـ-]، جلس ما تبقى من أعضاء الوفدين المفاوضين الإسرائيلي والفلسطيني ليقعوا وبالأحرف الأولى على الوثيقة التي عملنا على التوصل إليها بكثير من الجهد، بعد طول وقت، عندها فقط تنفس الجميع الصعداء، فقد تم التوصل أخيراً إلى اتفاق عربي إسرائيلي. فرحتي في أوصلو كانت مزدوجة، فقد تصادف تلك الليلة أيضاً عيد ميلادي السبعين... وقتها قال لي أبو علاء، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية، وهو يتسم بجدارة: الاتفاقية هي هديتنا لك في عيد ميلادك. قلت في نفسي: يالها من هدية، هدية متميزة وغير متوقعة، بل من المستحيل تقييمها)^(٣). كما أسهمت وتسهم تلك المبادئ والأهداف في سير بعض الدول الإسلامية في فلك الأعداء.

(١) انظر متولي، أزمة الفكر السياسي الإسلامي، ص ١٧ - ١٨.

(٢) انظر المادة [٨٦ - ٨٩]، الدستور الجزائري؛ وانظر الفقرة [هـ] من المادة الخامسة، القانون القطري.

(٣) الشرق الأوسط الجديد، الطبعة الأولى، ص ٧ - ٨.

الفرع الثاني آثار الأنظمة الوضعية

هي آثار متعددة، في أشكال متباينة، تدور بين الأثر الواضح، والأثر الخفي، وبين الأثر العاجل، والأثر الآجل، أشير لها في هذا الفرع بإشارات عابرة، وعبارات دالة على معاني متعددة، على النحو التالي:

أولاً: فصل الدين عن الدولة.

فالمجال السياسي أحد المحرمات على أي توجه إسلامي، فلك أن تتحزب، وأن تتحدث، دون أن يكون منطلقك في ذلك الإسلام، والذي يجب أن يتأى بنفسه عن المعتكرك السياسي^(١)، أو أن يُبعد بقوة القرار السياسي، وقتك السلاح العصري^(٢). حيث أمعنت بعض الدول في محاصرة الأحكام الشرعية الإسلامية، في دوائر ضيقة، تتمثل في الأحوال الشخصية، والمساجد، ووزارة الأوقاف وبرامج إعلامية معدودة، مرئية ومسموعة، مهمشة المادة والوقت.

ثانياً: الاضطراب والبلبلة الفكرية السياسية.

أفسدت الأنظمة الوضعية التفكير، وبلبلت العقول، بتناقضها الواضح، فهي تعلن في وثائقها الرسمية أن الإسلام دين الدولة الرسمي، ومصدر أنظمتها الرئيس، وذلك يوحي بأن هناك مصادر أخرى للتشريع غير الإسلام، وفي ذلك تشكيك بقدرة الإسلام على مجاراة الحياة، ويزداد في ترسيخ ذلك المعنى من خلال محاربة الإسلام علانية، بجعله مفضولاً بين المصادر الأخرى، وبالرفع من مكانة الأنظمة الوضعية وعلمائها، ومحاربة الشريعة وعلمائها^(٣).

وتوجه التهم للإسلام جهاراً، فيحاكم عياناً من خلال المجالس النيابية، والتي

(١) انظر «تحظر الأحزاب الدينية وتمهد لانتخابات برلمانية، [٨٥٪] من الجزائريين، قالوا: نعم للتعديلات الدستورية»، جريدة المدينة المنورة، ١٩/٧/١٤١٧ هـ، العدد ١٢٢٨٧، ص ١؛ وانظر «للتكيف مع قانون الأحزاب الجديد «النهضة» الجزائرية تتخلى عن صفة «الإسلامية»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٩/١٠/١٤١٧ هـ، العدد ٦٦٧٥، ص ١، ٤.

(٢) انظر حلمي، الأسرار الخفية ص ١٢١ - ١٤٢.

(٣) انظر «اقترح بتعديل الدستور الكويتي، يجعل الإسلام مصدر التشريع»، جريدة عكاظ، ١٤/٩/١٤١٧ هـ، العدد ١١١٢١، ص ١٠.

هي عبارة عن مجالس تناقض التوحيد الذي ينص على أن التشريع لله وحده، بينما تلك المجالس تحاد الله في شرعه، فتحل ما حرم، وتحرم ما أحل في أغلب شؤون الحياة، واصفة الأحكام الإسلامية بالأحكام الرجعية، بينما أنظمتها الوضعية توصف بالنظم العصرية والإنسانية^(١).

ثالثاً: توتر العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة متوترة في أغلب البلاد الإسلامية، حيث يشهد العالم الإسلامي صراعات متعددة بين الحكومات التي ترفض تطبيق الشريعة الإسلامية، والشعوب المسلمة التي تلح في مطالبتها بتطبيق الشريعة^(٢)، يقول المودودي رحمه الله: (. . . هم في بلاء وشقاء من هذه الشعوب التي لا يسهل عليها التخلي عن المبادئ الدينية، ومن ثرواتها الإيمانية، ومن تراثها الغني، والانقطاع عن منافع الحياة والقوة التي تكمن في مصادرها الدينية، وأدبها الإسلامي، وتاريخ الإصلاح والتجديد. . . الشعوب الإسلامية التي وقعت تحت حكمهم وقيادتهم في بلاء وشقاء من هؤلاء القادة، فهم يحاربون طبيعتها، ويقودونها بهتافات وشعارات لا تسيغها هذه الشعوب، ولا تنشط لها لا تستطيع أن تحبب إليها الموت والفداء، وتهون عليها بذل النفوس والأموال، والهجرة من الأوطان وتتغلب على الشهوات

(١) انظر عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص ٦٧ - ٧٧؛ وانظر يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة، الطبعة الأولى، ص ٦٥ - ٦٧.

(٢) انظر أبا الأعلى المودودي، الإسلام اليوم، الطبعة الثانية، ص ٥٦ - ٥٩؛ وانظر الشيخ أحمد، الصومال، ص ١٣٣ - ١٣٤، ١٥٤ - ١٥٥؛ وانظر المنتدى الإسلامي، الكتاب الثاني، باكستان بعد ضياء الحق، ص ٣٣؛ وانظر مركز الدراسات والأبحاث في دار الكاتب العربي، الجزائر إلى أين؟ [١٨٣٠ - ١٩٩٢ م]. الطبعة الأولى، ص ١٢ - ٢٧، ١٥٢ - ١٥٦؛ وانظر القاهرة، مركز الدراسات السياسية، التقرير الاستراتيجي العربي [١٩٩٢ م]، ص ١٩٩ - ٢٠٠، ٢٣٤ - ٢٣٨؛ وانظر «موضوع الغلاف: المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان، مسيرة المليون تأييداً لتطبيق الشريعة، ومواصلة في طريق التطبيق. لا إله إلا الله، لا بديل لشرع الله. إجماع على مباركة التوجه الإسلامي بالسودان»، مجلة المجتمع العدد ٦٨٥ (١٤٠٥/١/٧ هـ): ص ١٦ - ١٧؛ وانظر «تقارير خاصة: تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر إلى أين، التسوية محاولة لإرضاء الصديق الأمريكي! . . . الرأي العام مهياً تماماً، ويطلب بتطبيق الشريعة»، المرجع نفسه العدد ٧٠٩ (١٤٠٥/٦/٢٧ هـ): ص ٣٨ - ٣٩.

الأناية الفردية^(١). وإمعاناً في محاربة المطالبين بذلك الحق الشرعي، ركز أنصار الأنظمة الوضعية في أحاديثهم على العلماء الشرعيين، وتم التعرض لهم سخرية واستهزاءً وهوجموا دون سبب، غير مطالبتهم بتطبيق الشريعة، ورددت كلمة علماء السوء، وأقحموا في كل مشكلة على أساس أنهم السبب في ما حدث؛ لغرض تشويه سمعتهم، وتلويث مطالبهم بما ينسب إليها، وعُمل على إثارتهم واستدراجهم للمواجهة؛ ليتم القضاء عليهم^(٢).

وواصل أولئك المهاجمون هجومهم على العلماء حتى وصل الحال إلى المحاربة العلنية، والتضييق المستمر على كل من يعمل على مناهضة تلك الأنظمة الوضعية قولاً أو فعلاً، عبر أساليب متعددة منها الاحتجاز وفرض الإقامة الجبرية، وتلك وسيلة مؤدبة ومهذبة قياساً بغيرها، يُلجأ إليها للحد من نشاط العلماء، من خلال الاعتقال والسجن^(٣)، أو فرض الإقامة الجبرية في أماكن معينة، يقول عبد العزيز البدري رحمه الله: (كانت الاستراحة الجبرية، وملازمة داري، بسبب بيان حكم الإسلام في الاشتراكية)^(٤).

ومنها التعذيب والاضطهاد، حيث سلَّط بعض الحكام مجرمين على شعوبهم خاصة العلماء المجاهدين، الذين أُقيمت لأجلهم دواوين التفتيش، وواجهوا أشكالاً متعددة من التعذيب النفسي والجسدي^(٥). ومنها أيضاً تكميم الأفواه، حيث حُرِّم على كثير من علماء الإسلام النظر في أمور القانون نقداً أو تعريضاً، واعتبر ذلك جريمة تستوجب أشد العقاب، يقول عبد القادر عودة رحمه الله: (القانون يحرم علينا الكلام، إن القانون يحرم على الموظفين وعلى الأخص القضاة أن يبدوا رأيهم في المسائل العامة، ويعد ذلك منهم اشتغالاً بالسياسة، والسياسة عند صانعي القانون، هي: كل ما يمس المسائل الاجتماعية والاقتصادية والمالية، وكل ما تعلق بتنظيم

(١) انظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) انظر الشيخ أحمد، مرجع سابق، ص ١٠٦ - ١٠٨؛ وانظر إسماعيل صادق، محنة الإسلام في إندونيسيا، الطبعة الأولى، ص ٥٩ - ٨٧.

(٣) انظر مجلة المجتمع العدد ٧١٠ (٥/٧/١٤٠٥ هـ): ص ٢٦ - ٢٧.

(٤) حكم الإسلام في الاشتراكية، الطبعة الثانية، ص ١٨.

(٥) انظر جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، ص ١٥ - ١٨؛ وانظر الشيخ أحمد، الصومال، ص ١٣٤؛ وانظر صادق، محنة الإسلام في إندونيسيا، ص ١٠٥ - ١٠٧.

الدولة، وصلتها بالأفراد، والجماعات، والدول وكل ما اتصل بنظام الحكم، بل كل ما اتصل باستقلال الدول وحريتها وكرامتها^(١).

ومن تلك الأساليب القتل، فقد تجاوز أنصار الأنظمة الوضعية مرحلة القتل الفردي لعلماء الشريعة، إلى إقامة المجازر الجماعية لقتل العلماء والمنائين المسلمين وحرقتهم^(٢)، كما حدث في الصومال في شهر محرم من عام [١٣٩٤ هـ]، حينما أعدم عشرات العلماء في أشنع المجازر البشرية المعاصرة^(٣).

رابعاً: الظلم.

حيث شاع في بعض عالمنا الإسلامي الظلم، وساد الجور والتسلط، بفعل تناقض الأنظمة الوضعية ونتيجة لغياب العدل الذي يمليه النظام السياسي الإسلامي. ظلّم في الأنظمة نفسها، كنتيجة طبيعية للعمل الإنساني الذي يعتريه النقص، ويكتنفه القصور، وتحكمه الشهوة الحيوانية المتسلطة. وظلم في تطبيق تلك الأنظمة، والتي تجعل مجال الاجتهاد والتفسير لها ينطلق من الرغبة الشخصية، التي تجعل صاحبها ينأى عن الحق، ويجحف في حق الخلق. نعم إنه ظلّم في الفحوى، وظلمات في التطبيق أسهمت وتسهم في كثير من الاعتداءات، والتجاوزات المرئية في عالمنا الإسلامي اليوم.

خامساً: مشاركة اليهود والنصارى في حكم بعض البلاد الإسلامية.

عندما جعلتهم تلك الأنظمة في درجة واحدة مع غيرهم من المسلمين، وساغ حكم اليهودي والنصراني للبلد المسلم وتمثيله، حتى وإن كان المؤتمر المُتعدّد يحمل اسماً إسلامياً، ويُعنى بالشؤون الإسلامية، أو القضية المناقشة قضية إسلامية، كقضية الاحتلال اليهودي للقدس. كما جعلت اليهودي والنصراني يشارك في صياغة

(١) الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص ٧ - ٨.

(٢) انظر ظفر الإسلام خان، حلبجة، كيف أباد النظام البعثي مواطنيه الأكراد بالغازات السامة، الطبعة الأولى، ص ٤٥ - ٨١؛ وانظر صلاح الدين الكردي، الشعب الكردي المسلم، المخاطر والمعاناة، الطبعة الأولى، ص ١٨ - ٢١.

(٣) انظر أشنع مجزرة بشرية في القرن العشرين، الصومال يصفي دعاة الإسلام حرقاً بالنار. اعترضوا على إلغاء شريعة الإسلام، فأحرقوهم...»، مجلة المجتمع العدد ٢٣٤ (١٥/١/١٣٩٥ هـ): ص ٦ - ٩؛ وانظر عبد القادر الإدريسي، «مجزرة مقديشو، ومصير الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي»، المرجع نفسه، العدد ٢٣٩ (٢١/١/١٣٩٥ هـ): ص ٢٠ - ٢١؛ وانظر الشيخ أحمد، مرجع سابق، ص ١٣٤ - ١٣٧.

الأنظمة، وإعداد القوانين^(١).

سادساً: بُعد المصلحين المسلمين عن التأثير في مسيرة الأمة في بعض البلاد الإسلامية.

لأن أصواتهم قد كُتِمت، وأيديهم قد كُتِفَت، وحركتهم قد قُيِّدت، وتصرفاتهم قد حوكت^(٢).

سابعاً: إطلاق الحرية للإلحاد والفساد.

فتلك الأنظمة تنص على الحرية التامة للفرد، يعتقد ما يشاء، ويتنقل في اعتقاده كيف شاء. يعبر عن رأيه في كل أمر بأي أسلوب شاء. وله أن يمتلك ما شاء كيف شاء. وتبعاً لذلك وتحت رعاية هذا المبدأ، انتشر دعاة الإلحاد على مستوى الأفراد والجماعات، سياسياً وفكرياً، فمعظمهم يعلن صراحة محاربه لله ولرسوله، كما أن تلك الأنظمة بقوانينها ترعى الفساد الخلقي بأنواعه، تحل الخمر، وترعى الزنى، وترتب دور القمار والميسر، وتعطل العقوبات، والحدود الشرعية الرادعة للفساد الخلقي^(٣).

ثامناً: التنازع والاختلاف بين الحكومات الإسلامية.

أصبحت بعض الحكومات الإسلامية شذر مذر، كل يدعي الحق لنفسه، ويخطيء غيره، ناسباً له مقدمة ما أصاب الأمة^(٤)، يقول سعد جمعة: (أظننا صباح الخامس من حزيران المشؤوم - الخامس من يونيو - والدول العربية شذر مذر، يختلف حكامها ويتصارعون، فيقيمون بينهم الحواجز المختلفة؛ لحماية المتاع الرخيص الذي يتهافتون عليه، بينما المشاحنات المدمرة، مسعرة النار بينهم وبين شقيقاتهم الدول الإسلامية المجاورة لهم)^(٥).

أما داخل الحكومات نفسها، فحدث بلا تردد عن تلك الأحزاب المتعددة،

(١) انظر السنهوري، الوسيط، ج ١ ص ١٢ - ٢٦.

(٢) انظر صادق، محنة الإسلام في إندونيسيا، ص ١١٩ - ١٨١.

(٣) انظر القرضاوي، الحلول المستوردة، ص ٦٥ - ٦٧.

(٤) انظر مركز الدراسات السياسية، التقرير الاستراتيجي العربي [١٩٩٢ م]، ص ١٤٢ - ١٥٧،

٢٠١ - ٢٣١؛ وانظر المرجع نفسه، [١٩٩٣ م]، ص ١٣٩ - ١٤٩، ١٨٢ - ١٩٥، ٢٢٨ -

٢٤٩؛ وانظر عثمان ميرغني، «تصعيد جديد... مصر توجه إنذاراً للسودان بسحب قوات

الشرطة من حلايب»، جريدة الشرق الأوسط، ١٩/١١/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٧٧، ص ١.

(٥) الله أو الدمار، ص ٧٩ - ٨٠.

والتي تحولت مواقعها إلى ثكنات قتالية، حوارها معارك، وخطبها طلقات نارية، تستخدم كل سلاح للسيطرة وإخضاع الأحزاب الأخرى^(١).

تاسعاً: إسقاط الجهاد.

الأنظمة الوضعية لا تقر بالجهاد عقيدة وفكراً، بل وجّهت له التحريف والتغيير بما يتفق وتوجهاتها الوضعية^(٢)؛ لذلك فقد رفعت كثير من حكومات البلاد الإسلامية كل الشعارات لتحرير المقدسات الإسلامية، ما عدا الشعار الإسلامي عموماً، والجهادي خصوصاً، والذي قوبل ويقابل بالرفض التام يقول سعد جمعة: (حينما دعا الملك فيصل بحرارة قبيل حرب الأيام الستة، بل الساعات الست إلى فكرة التضامن الإسلامي، على أساس انبعاث إسلامي، ينقلنا من التخلف إلى مجرى تيار العصر، هبّت بعض دوائر الإعلام العربية تبعاً لدوائر الإعلام الرأسمالية، والشيوعية على السواء، وبصرامة وضراوة واستشراس متهمة تلك الدعوة بالخيانة، والعمالة للاستعمار، وإحياء الأحلاف العسكرية)^(٣).

عاشراً: تكريس الإقليمية والقومية.

فتلك الأنظمة عملت وتعمل على إعطاء أعمالها طابع الاستقلال السياسي لكل بلد، ترفع شعاراتها الوطنية التي تجعلها وحدة جغرافية مستقلة، وترتبط مع آخرين في أحلاف إقليمية وقومية تناقض الوحدة الدينية^(٤).

تلك إشارات سريعة لبعض آثار الأنظمة الوضعية على البلاد الإسلامية، ومنها يتبين فشل تلك الأنظمة في تحقيق أهداف الأمة وغاياتها، فضلاً عن تحقيق شيء من الطمأنينة والأمن الداخلي لتلك الأنظمة.

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٠٧ - ١٠٨؛ وانظر عبد الله حموده، حمود منصر، لطفي شطارة، (بعد سقوط أربعة قتلى في اشتباك، انتخابات اليمن تنتهي باتهامات وتوتر بين الإشتراكي والإصلاح)، جريدة الشرط الأوسط، ١١/٩/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٦٧، ص ١، ٤، ٥؛ وانظر رويتر، «بنغلادش: زعيمة المعارضة تحض الشرطة على رفض الأوامر»، جريدة الحياة، ٢٥/١٠/١٤١٦ هـ، العدد ١٢٠٧٢، ص ٨.

(٢) انظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ١ ص ٦٠٩.

(٣) مرجع سابق، ص ٨٠.

(٤) انظر محمد المبارك، المجتمع الإسلامي، ص ٨٩؛ وانظر العلياني، أهمية الجهاد، ص ٣٩٨ - ٤١٥.

المطلب الثالث

التقويم

الشمولية في الإسلام لجوانب الحياة المختلفة^(١)، جزء من عقيدته التي جاء بها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، فالإسلام عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة علم وجهاد، دين ودولة، شمولية شاملة لمخلوقات الكون ومجرياته، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾^(٣)، وبيان شامل ووافٍ لكل متعلقات جوانب الحياة المختلفة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٤)، والحاكمة بين المخلوقين وتدبير شؤونهم، أحد الجوانب التي أولاهها الإسلام عناية تناسب ما لها من منزلة عقدية كبيرة، ومكانة في تدبير الحياة رفيعة، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾^(٥)، فعليها يتوقف مصير البشرية جمعاء، من سعادة وشقاء، قال تعالى: ﴿... وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾^(٦)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...﴾^(٧)، فالحكم الإلهي يحقق السعادة للناس ويتفق مع متطلبات النفس

(١) انظر أبا الأعلى المودودي، القانون الإسلامي وطرق تنفيذه، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص ٢٣ - ٢٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

(٣) سورة مريم، الآية ٩٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٥) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٦) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٧) سورة البقرة، الآية ٤٩.

الإنسانية؛ لاطلاعه على رغباتها، ولمعرفته بحاجاتها، أما الحكم الإنساني فيعمل لنفسه، متناقضاً ومتصادماً مع حاجة الإنسان ومتطلباته الفطرية. من هنا جعل الإسلام الحاكمة إحدى الجوانب الرئيسة التي أوسعها شرحاً وبياناً، تحديداً وتفصيلاً، جلاها لمن رام الحق ونشد الصواب، وفق قواعد شاملة، وأسس راسخة، منها:

القاعدة الأولى: الحاكمة المطلقة لله^(١).

يقر أكثر الكفار فضلاً عن المؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى خالق الكون بما فيه، ومدبر الأمر ومجريه قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِقُ * قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾^(٢)، فإذا كان ذلك كذلك، فمن البديهي في كل شرع وعرف دنيوي، أن المالك حرٌّ في ملكه، يتصرف فيه لوحده، ومن نازعه فقد حاد عن المألوف، وتجاوز المعروف، أما المملوك فيتبع مالكة، يسير وفق توجيهه، ويلتزم بتدبيره، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾^(٣)، فلا حكم في مملك إلا حكم المالك، وفق إرادته، وحسب توجيهه، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤)، وليس لأحد منازعة الحاكم في حكمه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٥). إذاً فالحاكمة في هذا الكون إحدى خصائص الألوهية، قال تعالى: ﴿... إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ...﴾^(٦)، فالله سبحانه وتعالى هو الحاكم أولاً وآخراً، له وحده حق السلطة التشريعية التي لا ينازعه فيها

(١) انظر أبا الأعلى المودودي، الحكومة الإسلامية الطبعة الأولى، ص ٢٠١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٨٤ - ٨٩.

(٣) سورة الروم، الآية ٢٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

(٦) سورة يوسف، الآية ٤٠.

أحد^(١)، يقول صاحب الظلال رحمه الله: (الحكم لا يكون إلا لله، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته، إذ الحاكمية من خصائص الألوهية، من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص أولوهيته، سواء ادعى هذا الحق فرد، أو طبقة، أو حزب، أو هيئة، أو أمة، أو الناس جميعاً في صورة منظمة عالمية، ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص أولوهيته وادعاها فقد كفر بالله كفرةً بواحاً)^(٢)، هذا الحق الثابت يحقق مبدأ المساواة بين بني البشر، فليس لأحد أن يحدد مصير الناس، أو أن يتحكم فيهم، وهذا قمة في الإنصاف والعدل من الله سبحانه بين عباده.

ولأن الحاكمية له سبحانه وتعالى، فقد جعل من حكمه العادل أن يفوض أمر تطبيق أحكامه على مملكته لعباده المؤمنين^(٣)، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾^(٤).

وهو استخلاف يسير وفق أصول جامعة، ومبادئ واضحة، تجعل الخليفة أمراً بأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِقَابُ الْأُمُورِ﴾^(٥)، ولتعذر قيام المؤمنين أجمع بأمر الله، أوجب عليهم الإنابة^(٦) عن أنفسهم بشخص واحد يمثلهم، يتم اختياره^(٧)؛ ليحمل اسم الخليفة^(٨)، أو أمير المؤمنين^(٩)، أو

(١) انظر المودودي، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، ص ٣٠ - ٣٣، ٧٧ - ٨٢، ٢٥٠ - ٢٥٨.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٤ ص ١٩٩٠.

(٣) انظر عبد القادر عودة، المال والحكم في الإسلام، الطبعة الخامسة، ص ٢٨ - ٣١.

(٤) سورة النور، الآية ٥٥.

(٥) سورة الحج، الآية ٤١.

(٦) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٥؛ وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١ ص ٢٦٤؛ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٠٥؛ وانظر عبد الرزاق السنهوري، فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص ٨٥؛ وانظر صلاح الصاوي، الوجيز في فقه الخلافة، الطبعة الثانية، ص ١٦ - ٢٢.

(٧) انظر طرق اختيار الخليفة عند: الماوردي، المصدر السابق، ص ٦ - ٧؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٢٣ - ٢٧؛ وانظر السنهوري، المرجع السابق، ص ١٣٥ - ١٤٨؛ وانظر الصاوي، المرجع السابق، ص ٥٨ - ٧٦.

(٨) انظر الماوردي، المصدر السابق، ص ١٥؛ وانظر الفراء، المصدر السابق، ص ٢٧.

(٩) انظر ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٢٧.

الإمام^(١)، وهذه هي الأسماء الشرعية للنائب عن الأمة المستخلفة على تفصيل فيها^(٢)، وهو ما يطلق عليه اليوم تجاوزاً في بعض البلاد الإسلامية اسم: الحاكم، أو الرئيس، أو الملك، أو الأمير.

هذه العملية الاختيارية لا تخضع للترشيح، أو الطلب الشخصي، وجودة ما يسمى اليوم بالبرنامج الانتخابي^(٣)، يقول ﷺ لرجلين سألاه أن يؤمرهما: ((إِنَّا وَاللَّهِ! لَا نُؤَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ))^(٤)، بل هي درجة رفيعة، ومرتبة كريمة لا يصل إليها إلا من اتسم بسمات شرعية محددة، بينها العلماء في كتبهم^(٥).

فإذا عقدت الأمة البيعة للخليفة، وجب عليه القيام بأمر الله، قال تعالى: ﴿يٰۤاٰدَمُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾^(٦).

وذلك في جميع شؤون الحياة الدينية والدنيوية، المادية والمعنوية، يحفظ الدين وقيمه، ويدبر أمور الدنيا ويسيئها^(٧)، يقوم بهذه الواجبات وفق توجيهات الدستور الإلهي، الذي لا يقبل تعديلاً، ولا تبديلاً، ولا تعطيلاً، سيادة إلهية مطلقة، تشريعاً وقضاءً وتنفيذاً^(٨)، قال تعالى: ﴿وَإِن أٰحْكَمُ بَيْنَهُمْ يَمًا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعِ اٰهْوَاءَهُمْ

-
- (١) انظر الماوردي، مصدر سابق، ص ٥؛ وانظر الفراء، مصدر سابق، ص ١٩ - ٢٠؛ وانظر ابن خلدون، المصدر السابق.
- (٢) انظر الماوردي، المصدر السابق، ص ١٥؛ وانظر الفراء، المصدر السابق، ص ٢٧؛ وانظر ابن خلدون، المصدر السابق، وانظر الصاوي، مرجع سابق، ص ٥ - ١٢.
- (٣) المودودي، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، ص ٥٩ - ٦٠.
- (٤) صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب ٣؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ٧.
- (٥) انظر الماوردي، مصدر سابق، ص ٦، ١٧، ١٨، ٦٦؛ وانظر الفراء، مصدر سابق، ص ٢٠ - ٢٢؛ وانظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١٧٣؛ الخلافة والملك، ص ٥٤؛ وانظر المودودي، مرجع سابق، ص ٣١٦ - ٣٢٥.
- (٦) سورة ص، الآية ٢٦.
- (٧) انظر الماوردي، المصدر السابق، ص ١٥ - ١٦؛ وانظر الفراء، المصدر السابق، ص ٢٧ - ٢٨؛ وانظر السنهوري، فقه الخلافة، ص ٨٤؛ وانظر عبد القادر عودة، المال والحكم، ص ١٠٩ - ١١١؛ وانظر الصاوي، الوجيز في فقه الخلافة، ص ٤٧ - ٥١.
- (٨) انظر محمد سلام مذكور، معالم الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ١١٧ - ١٤٣؛ وانظر =

وَأَحَدَرَهُمْ أَنْ يَقْتُولَكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ... ﴿١﴾ .

فالحاكم ليس مالِكاً للدولة التي يديرها ليعمل فيها ما يشاء من أحكام، وإنما هو وكيل عليها بتفويض من مالِكها، الذي شرع له المنهج، وأوضح له الحكم، وبين له القواعد في دستور شامل ينص على أن من تجاوزه فقد زل، ومن قصر فقد أخل، ووقع في دائرة محظورة شرعاً، مهلكة في عاقبتها التي تدور في صاحبها بين درجات الكفر الأكبر والأصغر، بحسب حال الحاكم، والمجال المحكوم به^(٢)، يقول ابن أبي العز رحمة الله تعالى: (الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون: كفوفاً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة، أو صغيرة)^(٣)، والتفصيل في ذلك وفق البيان التالي: .

أ: الكفر، وتلك درجة يقع فيها من تجاوز جاحداً، وعمل مجاهراً، وحارب مغالياً^(٤)، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥)، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (من جحد ما أنزل الله فقد كفر)^(٦)، ويقول السدي رحمة الله تعالى: (من لم يحكم بما أنزلت، فتركه عمداً وجاراً، وهو يعلم، فهو من الكافرين)^(٧) .

ب: الظلم، ويقع في الظلم من تجاوز الدستور الإلهي معترفاً بما يجب له، عالماً بحكمه، لكنه تجاوز تهاوناً بحكم الله وعقابه^(٨)، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٩)، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (من

= الصاوي، نظرية السيادة، ص ٣٧ - ٦٠؛ وانظر أبو عبد، السيادة في الإسلام، ص ١٥٩ - ١٦٨ .

(١) سورة المائدة، الآية ٤٩ .

(٢) انظر ابن القيم، مدارج السالكين، ج ١ ص ٣٦٥ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٤٦ .

(٤) انظر تفسير الطبري، ج ٤ ص ٥٩٢، ٥٩٧؛ وانظر ابن القيم، مصدر سابق؛ وانظر ابن أبي العز، المصدر السابق؛ وانظر محمد بن ناصر الدين الألباني، فتنة التكفير، ص ٦١ .

(٥) سورة المائدة، الآية ٤٤ .

(٦) الطبري، المصدر السابق، ص ٥٩٧ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) انظر ابن القيم، مصدر سابق، ج ١ ص ٣٦٥؛ وانظر ابن أبي العز، مصدر سابق، ص ٤٤٦؛ وانظر الألباني، مرجع سابق .

(٩) سورة المائدة، الآية ٤٥ .

أقرب به ولم يحكم، فهو ظالم فاسق^(١).

ج: الفسق، قد يحيد الحاكم عن الحكم الإلهي؛ لسبب دنيوي حقير، ونزوة شيطانية طارئة، فيخرج عن عدالته، ويحكم شهوته، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢)، يقول ابن عثيمين: (من لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافاً بحكم الله، ولا احتقاراً ولا اعتقاداً أن غيره أصلح وأنفع للخلق، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا، فهذا فاسق، وليس بكافر، وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم)^(٣).

كل ما سبق حول هذه القاعدة يحمل دلائل جوهرية تتمثل في:

١ - ضرورة وجود الدولة الإسلامية، فعند النظر والوقوف بتمعن في الواجبات المناطة بالحاكم يتبين أن مقاصد الشرع لا تتم إلا بإمام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ لذلك فعقدها من أعظم الواجبات الشرعية، وأكد الفرائض الدينية، والتي أشار ﷺ إلى وجوب القيام بها حتى على الجمع القليل، والوقت اليسير، والظرف العابر، يقول ﷺ: ((إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ، فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))^(٤)، فإذا كان ذلك في أمر طارئ، فكيف بأمر المسلمين مجتمعين، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها)^(٥)؛ لذلك أجمع علماء الأمة على وجوب نصب إمام للمسلمين شرعاً، ولم يخالف إلا من كان به عن الشرعة صمم^(٦). مما يؤكد على ضرورة وجود الدولة الإسلامية وحتميتها^(٧).

(١) تفسير الطبري، ج ٤ ص ٥٩٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٧.

(٣) الألباني، فتنة التكفير، ص ٦١.

(٤) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٧٣).

(٥) السياسة الشرعية، ص ١٧٦.

(٦) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٥؛ وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١

ص ٢٦٤؛ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢، ص ٢٠٥.

(٧) انظر المودودي، الحكومة الإسلامية، ص ٢٠، ٢٦ - ٣٣، ٦٠ - ٦٣؛ وانظر عبد العزيز

البدري، الإسلام بين العلماء والحكام، (المدينة المنورة: المكتبة العلمية)، ص ٤٣.

٢ - مكانة الحكام، فلهم عند الله مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، فهم ظل الله في أرضه^(١)، يقول ﷺ: ((السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللَّهُ))^(٢)، ومن هنا يقول الفضيل، والإمام أحمد وغيرهما من سلف الأمة الصالح رحمهم الله تعالى: (لو كان لنا دعوة مستجابة، لدعونا بها للسلطان)^(٣). أما عند الناس، فالحاكم بين من استخلفه، لا يتجاوز أن يكون أحدهم، ليس بأقل ولا أكثر من جمهور المسلمين، لا يفضل عنهم بشيء، وإنما هو رجل منهم فَصَلَّهِمْ بتقواه، فَقُدِّمَ عَلَى مَنْ سِوَاهُ^(٤)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الخلق عباد الله، والولاية نواب الله على عباده، وهم وكلاء العباد على نفوسهم، بمنزلة الشريكين مع الآخر، ففيهم معنى الولاية والوكالة)^(٥)، لكن له حق التوقير والاحترام، والسمع والطاعة في المعروف، بصفته ولي أمر المسلمين وأميرهم.

٣ - سلطة الحاكم، السلطان ليس له قداسة ولا سيادة، وإنما القداسة والسيادة لكتاب الله الذي يحكم به، والذي يحد من سلطاته^(٦)، يقول أبو بكر رضي الله عنه مخاطباً المسلمين بعد بيعته^(٧): (أما بعد، أيها الناس: فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)^(٨)، ويقول عبد الرزاق السنهوري: (روح التشريع الإسلامي تفترض أن السيادة بمعنى السلطة غير المحدودة لا يملكها أحد من البشر، فكل سلطة إنسانية محدودة بالحدود التي فرضها الله، فهو وحده صاحب السيادة العليا ومالك الملك، وإرادته هي شريعتنا التي لها السيادة في المجتمع، ومصدرها والتعبير عنها هو كلام الله المنزل في القرآن، وسنة الرسول المعصوم الملهم، ثم إجماع الأمة)^(٩)، ومن هنا فسلطة الحاكم مستمدة مما جعل الله

(١) انظر المرجع السابق، ص ٤٤ - ٤٦.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٤٨١٥].

(٣) ابن تيمية، مصدر سابق، ص ١٧٧.

(٤) انظر المودودي، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، ص ٥٧ - ٥٨.

(٥) السياسة الشرعية، ص ١٨.

(٦) انظر السنهوري، فقه الخلافة، ص ٢١٧ - ٢٢٣.

(٧) انظر تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦ ص ٣٠١.

(٩) مرجع سابق، ص ٧٠.

له من حق في سياسة الأمة بالدين والقيام على أمرها، وطاعته في ذلك، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ (١).

القاعدة الثانية: المساواة.

المساواة مبدأ إسلامي في جميع المجالات، تجده في العبادات كالصلاة والصوم والحج ونحوها، كما في الحقوق والواجبات، فالإسلام ينظر للناس نظرة واحدة، تتفق مع أصلهم الجامع (٢)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْقَوَارِكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾ (٣)، والذي تفرع منه الذكر والأنثى، والأبيض والأسود، والعربي والأعجمي والسيد والمسود، والحاكم والمحكوم، كل أولئك سواسية في الحقوق والواجبات، مساواة مطلقة دون قيد يحد منها، أو شرط يضييقها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ...﴾ (٤)، ويقول ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)) (٥)، هذه المساواة تجعل الأمة دولة واحدة، وحزب واحد، فلا عصبية ولا تعددية، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ (٦).

القاعدة الثالثة: العدل (٧).

العدل أساس الحكم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمْنَتَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...﴾ (٨)، ويقول ﷺ: ((أَشَدُّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا، إِمَامٌ جَائِرٌ)) (٩).

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) انظر المودودي، الحكومة الإسلامية، ص ٢٠٢ - ٢٠٣؛ وانظر مذكور، معالم الدولة الإسلامية، ص ١٤٨ - ١٥١.

(٣) سورة النساء، الآية ١.

(٤) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٠.

(٦) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(٧) انظر المودودي، الحكومة الإسلامية، ص ٩٥ - ٩٧، ٢٠٢.

(٨) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٩) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٠٥٠].

يقول المودودي رحمه الله تعالى: (يعني أنني مأمور بالإنصاف دون عداوة، فليس من شأني أن أتعصب لأحد، أو ضد أحد، وعلاقتي بالناس كلهم سواء، وهي علاقة العدل والإنصاف، فأنا نصير من كان الحق في جانبه وخصيم من كان الحق ضده، وليس في ديني أي امتيازات، لأي فرد كائناً من كان، وليس لأقاربي حقوق، وللغرباء عني حقوق أخرى، ولا للأكابر عندي مميزات لا يحصل عليها الأصاغر، والشرفاء والوضعاء عندي سواء، فالحق حق للجميع، والذنب والجرم ذنب للجميع، والحرام حرام على الكل والحلال حلال للكل، والفرص فرض على الكل)^(١)، ومن الأدلة القاطعة على رسوخ العدل في الحكم الإسلامي، إيجاب التعامل مع الأعداء بالعدل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾^(٢).

ومن أعدل العدل أن يكون الحاكم مسؤولاً عن أخطائه وتجاوزاته، وأن تطبق أحكم الشريعة على الحاكم والمحكوم بدرجة واحدة. إن العدل في هذا المفهوم ليكفل الحرية الإيمانية لكل إنسان، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ءَمَنَ شَءٌ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَءٌ فَلْيُكْفُرْ...﴾^(٣)، ويكفل للمؤمن حرية الرأي، والتعبير، والتملك والتعليم^(٤)، حرية ذات أسس شرعية صحيحة، وعلم مستند على قواعد تكفل التجرد للحق على أي حال.

القاعدة الرابعة: الطاعة^(٥).

حيث هي ضرورية لانتظام العلاقة بين الراعي والرعية، فإذا قام الإمام بحقوق الأمة كما يجب وجبت له الطاعة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

(١) مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٨.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٤) انظر المذكور، معالم الدولة الإسلامية، ص ١٤٥ - ١٤٨، ١٥٣ - ١٦١.

(٥) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٧؛ وانظر ابن تيمية، الخلافة والملك، ص ٩ -

٢٢؛ وانظر السنهوري، فقه الخلافة، ص ٢٨٧ - ٢٨٨؛ وانظر المودودي، الحكومة

الإسلامية، ص ٢٠٥؛ وانظر الصاوي، الوجيز في فقه الخلافة، ص ٥٢ - ٥٧.

وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ^(١)، ويقول ﷺ: ((... من يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، ومن يَعِصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي))^(٢)، حتى وإن كرهها المؤمن، وواجهته المشقة من جرائها^(٣)، يقول ﷺ: ((عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمِنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةِ عَلَيْكَ))^(٤)، وهي طاعة مقيدة بحدود بينة، شأنها شأن الطاعة عموماً في الإسلام، يقول ﷺ: ((لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))^(٥)، وطاعة ولي الأمر كذلك، ليست طاعة مستقلة، وإنما هي تابعة لطاعة الله ورسوله ﷺ، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^(٦))).

ومن تبعات هذه الطاعة الوقوف مع الإمام في كل حين، وعلى مختلف الأحوال والظروف، بدءاً بتوقيره الشخصي، وإنزاله في منزلته اللائقة به، يقول ﷺ: ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْبَاجِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))^(٧)، ومن ثم بذل النصيحة له، يقول ﷺ: ((الَّذِينَ النَّصِيحَةُ))، قيل لمن يا رسول الله؟ قال: ((لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))^(٨)، وتكامل تلك الطاعة بنصرة الإمام مهما كلف ذلك خصوصاً عندما تشتد الأزمات، وتحيق الكربات، يقول ﷺ: ((من أتاكم وأمركم جميعاً على رجلٍ واحدٍ، يُريدُ أن يشقَّ عصاكم، أو يفرِّقَ جماعتكم فاقتلوه))^(٩).

القاعدة الخامسة: الشورى^(٧).

الشورى إحدى قواعد الشريعة وأصولها، وعزائم الأحكام ودعائمها، صفة

- (١) سورة النساء، الآية ٥٩.
- (٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٨.
- (٣) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨ ص ١٧٩ - ١٨٠.
- (٤) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٢٤٦٩].
- (٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٢٣.
- (٦) المصدر السابق، كتاب الإمارة، باب ١٤.
- (٧) انظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١٧٢ - ١٧٥؛ وانظر المودودي، الحكومة الإسلامية، ص ٩٢ - ٩٥، ٢٠٥؛ وانظر السنهوري، فقه الخلافة، ص ٢٢٤ - ٢٢٦؛ وانظر عبد القادر عودة، المال والحكم، ص ١١٥ - ١١٦؛ الأعمال الكاملة، ص ٣٠٩.

مميزة للمسلمين، وأساس إيماني عليه يسرون^(١)، قال تعالى: ﴿... وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَنْبَغُ لَهُمْ...﴾^(٢)، وهي بهذا واجب شرعي على الحاكم ومن في حكمه من أصحاب الولايات، وحق مقرر شرعاً للمحكومين، وقال تعالى: ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾^(٣)، وهذا أمرٌ لمن لا ينطق عن الهوى، فكيف بغيره، يقول ابن عطية رحمه الله: (من لا يستشير أهل العلم والدين، فعزله واجب. هذا ما لا خلاف فيه)^(٤).

والشورى طريقة تخرج الحكم من الاستبدادية والفردية إلى رأي الجماعة والأكثرية، فتدار فيها مختلف التوجهات والآراء المتناقضة والمختلفة؛ لانتقاء أمثلها، وفق أسلوب يناسب العصر، ويتفق مع الظروف والاستطاعة.

والغاية من الشورى تُحدد أهلها، فكونها وسيلة للوصول إلى الرأي الأمثل الذي يدركه بعض الأفراد؛ فكذلك أهلها قلة في العدد قياساً بعد أفراد الأمة، وهم جماعة يتمتعون بمؤهلات شرعية رفيعة، وقدرات فردية وعلمية فريدة، مدارها أمور^(٥) منها: العدالة، وتمثل في الالتزام والتحلي بفضائل الأخلاق، والابتعاد والتخلي عن سفائف الأخلاق، وخوارم المروءة. ومنها العلم، بحيث يكون على درجة عالية من العلم تصل إلى درجة الاجتهاد بما يطلب منه إبداء الرأي فيه في مجال تخصصه، وعلى معرفة تؤهله لإدراك وإبداء الرأي في ما يعرض عليه من أمور خارج تخصصه. ومنها أيضاً الرأي والحكمة، وتلك نتاج دراية وخبرة، يقول ابن خُوَيْزِمَنْدَان: (واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها)^(٦).

(١) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤ ص ٢٤٩.

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٤) القرطبي، المصدر السابق.

(٥) انظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ١٩؛ وانظر السنهوري، مرجع سابق، ص ١١٩ - ١٢١؛

وانظر عبد القادر عودة، مرجع سابق، ص ٣٢١؛ وانظر المودودي، نظرية الإسلام وهدية في

السياسة والقانون والدستور، ص ٢٩٥ - ٢٩٩.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص ٢٥٠.

أما مجال الشورى، فدائرتها دائرة واسعة، تشمل جميع الشؤون العامة للمسلمين، يحدها النص الإلهي الذي لا مشورة لأحد معه، وما لا نص فيه فهو محدود بحدود الإسلام أيضاً^(١)، وميدانها فسيح سعة الاجتهاد الشرعي.

والعمل بما يتوصل إليه أهل الشورى في رأي بعض العلماء، يدور بين الإلزام والتعليم، والأصح أن العمل بالشورى ملزم، فإذا لم تكن نتيجة الشورى، ورأي الأكثرية ملزماً للحاكم والمحكوم، فقدت الشورى رسالتها، وانحرفت عن غايتها^(٢)، يقول المودودي رحمه الله تعالى: (التسليم بما يجمع عليه أهل الشورى أو أكثريتهم، أما أن يستمع ولي الأمر إلى آراء جميع أهل الشورى، ثم يختار ما يراه هو نفسه بحرية تامة فإن الشورى في هذه الحالة تفقد معناها وقيمتها)^(٣).

إجمالاً فالشورى في صورتها الإسلامية، وسيلة تحقق للأمة الأخذ بأفضل الآراء. والمشاركة بفاعلية في الحكم. والتعبير عن أن الحكم ليس هدفاً بذاته، وإنما الغاية الوصول إلى الحق، كما تمثل وسيلة نقد ذاتي، وتقويم داخلي للسياسة.

تلك هي أبرز الأسس والقواعد التي جاء بها الإسلام لإقامة الحكم العادل بين المخلوقين، وفق ما يضمن قيام الدولة التي تظل المسلمين، وتجمع شملهم في وحدة حقة، قائمة على وحدة العقيدة وموحدة للكلمة والصف والغاية. بفقدتها تفقد الأمة الدولة القائمة بشرع الله، والمرهبة لعدو الله وتشيع بين المسلمين حالة من البأساء والفتن، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إذا خرج ولالة الأمور عن هذا، فقد حكموا بغير ما أنزل الله، ووقع بأسهم بينهم... وهذا من أعظم أسباب تغيير الدول كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة، في زماننا، وغير زماننا)^(٤)، ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿... أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ...﴾^(٥): (صورة من صور العذاب المقيم الطويل المديد الذي يذوقونه

(١) انظر الجصاص، أحكام القرآن، ص ٢ ص ٤٠ - ٤٢؛ وانظر عبد القادر عودة، الأعمال الكاملة، ص ٣١١.

(٢) انظر السنهوري، فقه الخلافة، ص ٢٢٥؛ وانظر عبد القادر عودة، المرجع السابق، ص ٣١٥ - ٣١٦.

(٣) الحكومة الإسلامية، ص ٩٤.

(٤) الفتاوى، ج ٣٥ ص ٣٨٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٦٥.

بأيديهم، ويجرعونه لأنفسهم، إذ يجعلهم شيعاً وأحزاباً متداخلة، لا يتميز بعضها عن بعض، ولا يفاضل بعضها بعضاً، فهي أبداً في جدال وصراع، وفي خصومة ونزاع، وفي بلاء يصبه هذا الفريق على ذلك. ولقد عرفت البشرية في فترات كثيرة من تاريخها ذلك اللون من العذاب كلما انحرفت عن منهج الله، وتركت لأهواء البشر، ونزواتهم، وشهواتهم، وجهالتهم، وضعفهم وقصورهم، تصريف الحياة وفق تلك الأهواء، والنزوات، والشهوات، والجهالة، والضعف والقصور كلما تخبط الناس وهم يضعون أنظمة للحياة، وأوظاعاً وشرائع وقوانين، وقيماً وموازين من عند أنفسهم، يتعبد بها الناس بعضهم بعضاً، ويريد بعضهم أن يخضع لأنظمتهم وأوضاعهم، وشرائعهم وقوانينهم، البعض الآخر، والبعض الآخر يأبى ويعارض، وأولئك يبطشون بمن يأبى ويعارض وتتصارع رغباتهم، وشهواتهم، وأطماعهم، وتصوراتهم، فيذوق بعضهم بأس بعض^(١).

من هذا البيان الموجز لقواعد وأسس الحكم في الإسلام، يتبين بطلان القوانين الوضعية شرعاً وضعفها وضعاً، على التفصيل التالي:

أولاً: بطلان القوانين الوضعية شرعاً.

القوانين الوضعية المخالفة للإسلام باطلة بطلاناً مطلقاً^(٢)؛ لأن الأصل الالتزام بما جاء عن الله أمراً ونهياً، قال تعالى: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾^(٣)، يقول عبد القادر عودة رحمه الله: (إن الله أمر باتباع الشريعة الإسلامية، ونهى عن اتباع ما يخالفها، فلم يجعل لمسلم أن يتخذ من غير شريعة الله قانوناً، وجعل كل ما يخرج على نصوص الشريعة، أو مبادئها العامة، أو روحها التشريعية محرماً تحريماً قاطعاً على المسلمين بنص القرآن الصريح^(٤))، ويقول المودودي: رحمه الله (كل ما يصدر من أعمال من قبل أية حكومة تقوم على أساس شريعة أخرى غير شريعة الله وقانونه الذي جاء به الأنبياء من لدن رب الكون وإلهه، باطل لا قيمة له ولا وزن، مهما اختلفت هذه الحكومات فيما بينها من تفاصيل في

(١) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ١١٢٤ - ١١٢٥.

(٢) انظر المودودي، الحكومة الإسلامية، ص ١٧؛ وانظر عبد القادر عودة الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص ٥٤ - ٦٦؛ وانظر الصاوي، نظرية السيادة، ص ٨٠ - ٩٠.

(٣) سورة الحشر، الآية ٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٥.

الشكل والنوع^(١)، وعليه فالتعامل مع أحكام الشريعة على طريقتين لا ثالث لهما: إما استجابة لله ورسوله، أو اتباع للهوى، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيًا هَدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢). كما أن الحكم بين الناس يكون إما حقاً، أو باطلاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فالحق ما كان وفق الحكم الشرعي، والباطل ما خالفه، وتلك هي دائرة الصراع بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وقومهم فالرسل ينادون ويدعون إلى أن الحكم لله، بينما الطواغيت تنازع في ذلك وتدعيه لنفسها^(٤)، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ...﴾^(٥) والناظر يتمعن يجد موافقة كبيرة بين ما يدعيه أولئك الطواغيت من تحليل حرام، وتحريم حلال، وبين ما تحلله وتحرمه القوانين الوضعية اليوم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ...﴾^(٦)، إن أولئك الطواغيت، وهذه الأنظمة الوضعية لتدرك جيداً أنه لا وجود لها في ظل وجود الحكم الإلهي، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾^(٧)؛ لذلك حاربوه بكل قوة، ووقفوا ضده بكل جهد وإمكانية، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ...﴾^(٨)، وزينوا أعمالهم بالباطل والدعاوي الخادعة، قال تعالى: ﴿... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٩).

وما نعيشه اليوم من انتصار للأنظمة الوضعية، لا يتجاوز أن يكون امتداداً لتلك

-
- (١) مرجع سابق، ص ١٧.
(٢) سورة القصص، الآية ٥٠.
(٣) سورة الجاثية، الآية ١٨.
(٤) انظر أحمد فائز، طريق الدعوة في ظلال القرآن، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ج ١ ص ٣٠ - ٣٤.
(٥) سورة الشورى، الآية ٢١.
(٦) سورة النساء، الآية ٦٠.
(٧) سورة الأنبياء، الآية ١٨.
(٨) سورة غافر، الآية ٥.
(٩) سورة غافر، الآية ٢٩.

الحرب الطاعونية يقول عبد القادر عودة رحمه الله تعالى: (أثبت التجارب أن الحكام المسلمين الذين يجهلون الإسلام ولا يعملون على إقامة أحكامه، كانوا وما زالوا حرباً على الإسلام، وآلة طيعة في يد أعداء الله الذين يكيدون للمسلمين والإسلام، وفي عهد هؤلاء الحكام الجهال استبيحت حرمت الإسلام فحُرِّم ما أحلَّ الله وأحلَّ ما حَرَّمَ الله... هذا هو منطق البشر، ومنطق الواقع، ومنطق التجارب)^(١).

ثانياً: بطلانها وضعاً.

ويتضح ذلك عند النظر في أبرز المفارقات بين الشريعة والقوانين من حيث^(٢):

أ: العنصر الروحي، تلك القوة النافذة، والسلطان المهيمن، جعلت له الشريعة نصيباً في كل نص وفي كل قاعدة، فأوجبت على المسلم أن يكيف كل ما يصدر منه قولاً وفعلاً، تكييفاً إسلامياً خالصاً. وبهذا تكون الشريعة نافذة سلطانها في قلب المسلم وفي جوارحه، في حركاته وسكناته. بينما القوانين الوضعية فاقدة للصلة بالقلوب والنفوس، قائمة على الرغبات والمصالح، لا تقيم للدين وزناً، ولا للروح أثراً، تلتزم وتطيع مكرهه، تتحين الغرة والفرصة للمخالفة^(٣).

ب: العنصر الأخلاقي، فالحكم الإسلامي جعل للأخلاق مكانة بارزة، فهي الركيزة الأساس التي يقوم عليها المجتمع حاكماً ومحكوماً؛ لذلك حرصت عليها الشريعة فصانته وحمتها، وجاءت بما يدعمها ويقويها^(٤). أما القوانين الوضعية فهي على النقيض تماماً من ذلك، بل إنها تسهم إسهاماً مباشراً في نشر الرذيلة، والدعوة إلى المنكر عموماً، بفعل حماية أشكال الفاحشة المختلفة، إما رعاية وتديراً، أو إهمالاً وتبريراً، أو بفرض عقاب لا يحقق ردعاً للفرد، ولا حماية للمجتمع^(٥).

(١) انظر عبد القادر عودة، المال والحكم، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) انظر عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص ٣٨ - ٤٣.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٣٨ - ٣٩.

(٤) انظر المطلب الثاني، من المبحث الثالث في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٣٩ - ٤١.

ج: المصدر، فالشريعة إلهية المصدر^(١)، من مالك الملك ومدبره، قال تعالى: ﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢). بينما القوانين الوضعية من صنع البشر، ذلك المخلوق الضعيف الذي أعجزه ويعجزه تدبير نفسه، فكيف بتدبير أمور دنيا المخلوق أجمعين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(٣).

(١) انظر المرجع السابق، ص ٤١ - ٤٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

(٣) سورة النحل، الآية ١١٦.

المطلب الرابع التطبيق العملي

لم تُعرف الأنظمة الوضعية عبر التاريخ الإسلامي كما هي في صورتها اليوم، غير أن التاريخ الإسلامي قد شهد الكثير من المخالفات الشرعية في مجال تطبيق الشريعة الإسلامية، والتي هي عبارة عن اجتهادات شخصية، تبنى على مفاهيم خاطئة، وتأويلات باطلة، في مجال الحكم، واختيار الحاكم وفي مجال التعامل مع المحكومين في مختلف الشؤون العامة، ونحو ذلك.

بينما كان أول مظهر جلي للأخذ بالأنظمة الوضعية، ما جاء به التتار عندما سيطروا على بعض البلاد الإسلامية، من نظام عرف بالسياسة^(١)، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى عن جنكيز خان: (هو الذي وضع لهم السياسة التي يتحاكمون إليها، ويحكمون بها، وأكثرها مخالف لشرائع الله تعالى وكتبه، وهو شيء اقترحه من عند نفسه، وتبعوه في ذلك)^(٢).

وهو نظام قريب جداً فحوىً وتطبيقاً من بعض الأنظمة المعاصرة في بعض البلاد الإسلامية، يبين ذلك بوضوح قول ابن تيمية رحمه الله تعالى عنهم: (... فهؤلاء القوم المسؤول عنهم، عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين، وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام، وهم جمهور العسكر، ينطقون بالشهادتين إذا طلبت منهم، ويعظمون الرسول، وليس فيهم من يصلي إلا قليلاً جداً، وصوم رمضان أكثر فيهم من الصلاة، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصالحين من المسلمين عندهم قدر وعندهم من الإسلام بعضه، وهم متفاوتون فيه؛ لكن الذي عليه عامتهم، والذي يقاتلون عليه متضمن لترك كثير من شرائع الإسلام، أو أكثرها،

(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣ ص ١١٧ - ١١٩.

(٢) المصدر السابق، ج ١٣ ص ١١٧.

فإنهم أولاً: يوجبون الإسلام، ولا يقاتلون من تركه، بل من قاتل على دولة المغول عظموه، وتركوه، وإن كان كافراً عدواً لله ورسوله، وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها، استحلوا قتاله، وإن كان من خيار المسلمين، فلا يجاهدون الكفار ولا يلزمون أهل الكتاب بالجزية والصغار، ولا ينهون أحداً من عسكريهم أن يعبد ما شاء من شمس أو قمر، أو غير ذلك... عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين وأموالهم، ألا أن ينهاتهم عنها سلطانهم أي لا يلتزمون تركها، وإذا نهاتهم عنها، أو عن غيرها، أطاعوه؛ لكونه سلطاناً، لا بمجرد الدين. وعامتهم لا يلتزمون أداء الواجبات؛ لا من الصلاة، ولا من الزكاة، ولا من الحج، ولا غير ذلك. ولا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله، بل يحكمون بأوضاع لهم تراقق الإسلام تارة، وتخالفه تارة أخرى^(١).

وكان موقف المسلمين من ذلك كموقفهم من التتار عموماً، وهو الرفض الحازم، والموقف القاطع الذي أسهم في إعادة مجد الإسلام والمسلمين إلى مكانتهم الطبيعية في قيادة البشرية.

وبعد قرون طويلة، عادت الأنظمة إلى حياة الأمة من جديد، حيث أدخلها لأول مرة السلطان العثماني سليمان القانوني، وذلك في عام [٩٢٦ - ٩٧٤ هـ]، في مجالات محدودة، تتمثل في نظام العلماء والمدرسين، والتنظيم العسكري^(٢). ورغم أنها ليست كالنظم الوضعية المعنية في أمور الحكم والسياسة، فإنها تعد أساساً أو مقدمة للأخذ بالنظم الوضعية فيما بعد، فمن قَبْلَ بتلك، وعمل بها سيقبل غيرها وأعمق منها بعد فترة يسيرة، فالقبول مراحل، وهذا ما حدث، حيث أخذت الدول العثمانية تسير شيئاً فشيئاً على طريق الأخذ بالأنظمة، اعتقاداً بأنها وسيلة إلى مجاراة بقية الدول في التمدن والعمران^(٣)، ففي عام [١٢٢١ هـ] وقعت اضطرابات بسبب الأنظمة العسكرية الجديدة التي أدخلها سليم الثالث، وانتهت تلك الاضطرابات بخلع السلطان، وإلغاء النظام الجديد^(٤). وبعد عام [١٢٣٠ هـ] كرس محمود الثاني

(١) الفتاوى، ج ٢٨ ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

(٢) انظر محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية، الطبعة الثانية، ص ٢٥١.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٤٨٠؛ وانظر محمد طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، الطبعة الأولى، ص ٤٠٨ - ٤١٧.

(٤) انظر المحامي، المرجع السابق، ص ٣٧٠، ٣٨١ - ٣٨٢، ٣٩٢ - ٣٩٤؛ وانظر حسون، تاريخ الدولة العثمانية، ص ١١٧.

محاولة إدخال الأنظمة الأوربية، ونجح في جعل النظام العسكري يسير وفق الوجة الأوربية الخالصة^(١). وفي عام [١٢٥٥ هـ] تم وضع وتأسيس قوانين جديدة في شؤون الحياة المختلفة، طورت وطور العمل بها^(٢)، حيث صدرت في عام [١٢٧٤ - ١٢٧٥ هـ] مجموعة من القوانين كقانون الأراضي، والطابور، والجزاء، وكلها مقتبسة من القوانين الفرنسية روعيت فيها النصوص الشرعية فقط، أعقبها قانون التابعة العثمانية، وتنظيم المحاكم الشرعية والمحاكم النظامية والتجارية، والنظام الإداري، وغيرها من الأنظمة المختلفة والشاملة لأوجه متعددة شكلت في مجملها مجموعة كبيرة من القوانين التي عرفت في حينها بالدستور^(٣).

أما موقف المسلمين فكان على النقيض من موقفهم في مواجهة قانون التتار، وكانت النتيجة متفقة مع تلك المقدمة، حيث قادهم الأخذ بالأنظمة إلى سقوط دولتهم الإسلامية^(٤)، وأوصلهم إلى التبعية العمياء لغيرهم، فوقعوا تحت السيطرة المطلقة للأعداء، فكانت الطامة التي عمت وطمت أغلب بلاد المسلمين، حين فرض الاستعمار أنظمتهم بعد تلك السيطرة، ولا يزال العمل جارياً بأغلبها حتى يومنا هذا.

-
- (١) انظر المراجع السابقة، ص ٣٩٨-٣٩٩، ٤٢٩-٤٣١، ٤٤٦؛ ص ١٢٨، ١٣٤-١٣٦.
- (٢) انظر المحامي، مرجع سابق، ص ٤٨١-٤٨٩؛ وانظر أحمد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ٣٢-٣٣.
- (٣) انظر المحامي، المرجع السابق، ص ٧٠٢؛ وانظر حسون، مرجع سابق، ص ١٥٠-١٥٢.
- (٤) انظر المرجع السابق، ص ٢٥٠-٢٧٤؛ وانظر طقوش، مرجع سابق، ص ٤٠٨-٤١٧.

المبحث الثاني
التبعية وبسط نفوذ الأعداء

المطلب الأول التعريف

أولاً: بسط .

أ: لغة، البَسَطُ: نقيض القبض، تقول يدُ بَسَطَ، أي: مطلقه. وبَسَطَ الشيءَ: نشره. تقول: انبَسَطَ النهار: أي امتدَّ وطال. والانبِساطُ: ترك الاحتشام، تقول: بَسَطْتُ يَدَهُ عليه، أي: سَلَطْتُ عليه^(١).

إذاً فالبسط في المعنى اللغوي يدور حول مد الشيء وزيادته عن معدله الطبيعي، بفعل قد يصاحبه تجاوز واعتداء.

ب: اصطلاحاً، المعاني الاصطلاحية للبسط تدور حول^(٢)، عدة أمور منها الزيادة والسعة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ...﴾^(٣). ومنها الطلب، قال تعالى: ﴿... كَبَسَطِ كَفْتَيْهِ إِلَى الْمَاءِ...﴾^(٤)، ومنها الأخذ، قال تعالى: ﴿... وَالْمَلَكُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ...﴾^(٥).

هذه المعاني تتفق مع فحوى هذا المبحث، حيث توسع دائرة نفوذ الأعداء، وطلبهم ذلك بكل همة للحصول على نفوذ أكبر وأقوى.

ثانياً: نفوذ.

أ: لغة، النَّفَازُ: تجاوز شيء إلى شيء، تقول رجلٌ نافذٌ في أموره، أي: ماضٍ

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، «بسط»؛ وانظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، «بسط».

(٢) انظر الراغب، المفردات، ص ٤٦؛ وانظر أبا البقاء الكليات، ص ٢٤٢.

(٣) سورة الشورى، الآية ٢٧.

(٤) سورة الرعد، الآية ١٤.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٩٣.

فيها، وأمرٌ نافذ، أي مطاع. وطريقٌ نافذ، أي: سالكٌ. ونَقَدَ السهمُ الرَّمِيَّةَ، ونَقَدَ فيها يُنْفِذُها نَفْذًا، أي: خالط الجوف، فبقي جزء من السهم في الجوف، وخرج طرفه الآخر من الشق الآخر^(١).

ومنه يتبين أن النفوذ: نفاذ وخلوص إلى غاية، بتجاوز وغلو، يقول ابن منظور رحمه الله تعالى: (التَّفَاذُ، والحِدَّةُ والمَضَاءُ، كله أدنى إلى التعدي والغلو من الجريان والسلوك؛ لأن كل متعدٍّ متجاوز وسالك، فهو جارٍ إلى مدى ما، وليس كل جارٍ إلى مدى متعدياً)^(٢).

ب: في الاصطلاح، التَّفُوذُ في الاصطلاح السياسي يعبر به عن الوجه الآخر للقوة السياسية البعيدة عن المناصب الرسمية والأنظار، فقد جاء في موسوعة العلوم السياسية، النفوذ السياسي يعني: (ممارسة القوة عن طريق تفاعل اجتماعي، يستخدم فيه وسائل الإغراء، والترغيب، والإقناع، والسيطرة، أو الهيمنة والإرغام، أو الإكراه، دون استناد إلى حق مخول لذلك بالمناصب، أو اللوائح والقوانين)^(٣).

واستغلال النفوذ يعني: (الحصول على فائدة، أو ميزة من أية سلطة عامة، أو هيئة، أو شركة، أو مؤسسة، ولو تم ذلك بطريق الإيهام)^(٤).

ومناطقُ التَّفُوذِ: كلمة محدثة يعبر بها عن: (البلاد الضعيفة، التي تبسط الدول الكبرى عليها سلطانها)^(٥).

هذه المعاني الاصطلاحية المبنية على المعنى اللغوي، هي ما يراد بيانه في هذا المبحث.

(١) انظر ابن منظور، مصدر سابق، «نفذ»؛ وانظر الفيروز آبادي، مصدر سابق، «نفذ».

(٢) المصدر السابق، ج ٣ ص ٥١٥.

(٣) ربيع مقلد، ص ٤٩٦.

(٤) عطية الله، القاموس السياسي، ص ٦٠.

(٥) أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، ص ٩٣٩.

المطلب الثاني التحليل

وذلك في عدة فروع:

الفرع الأول مظاهر بسط النفوذ

أدرك الأعداء جيداً الدور القيادي المؤثر الذي يلعبه النظام السياسي في الإسلام، يقول لورنس براون: (كنا نخوفُ بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر (باليابان وتزعمها على الصين)، وبالخطر البلشفي إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق (لم نجده، لم يتحقق) كما تخيلناه... لكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي)^(١)؛ لذلك فلا بد من تحطيم هذا الجدار، والسيطرة على منافذه؛ لتعطيل تلك القوة القيادية^(٢)، يقول أشعيا بومان: (إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي؛ لذلك أسباب أهمها: أن الإسلام منذ ظهر في مكة هو دائماً في ازدياد، ولذا على الدول الأوربية أن تتفق فيما بينها على سياسة السيطرة على الشواطئ، وإكراه المسلمين على اللجوء إلى الصحراء...^(٣) - حتى قال: - إن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إن من أركانه الجهاد)^(٤).

(١) خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ١٨٤؛ وانظر جمعة، الله أو الدمار، ص ٧٣.

(٢) انظر خالد، فروخ، المرجع السابق، ص ١٢٨ - ١٣١.

(٣) جمعة، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٤) انظر خالد، فروخ، مرجع سابق، ص ١٣١.

وحيث إنهم قد خرجوا بدروس مستفادة من الحروب الصليبية، تتمثل في فشل محاولة السيطرة السياسية بالقوة العسكرية على البلاد الإسلامية، لجأوا إلى تبديل الأسلوب، وتغيير الغايات المعلنة والأوجه المُنفِذة، فالحروب الصليبية كانت عبارة عن قوة غازية، بإرادة فرض التغيير والسيطرة، أما الاستعمار فجعلوا له غاية نبيلة حسب زعمهم، تهدف إلى تعمير البلاد المستعمرة، وإخراجها من متاهات التخلف والفوضى.

وبعد المعاناة والمواجهات التي واجهها الاستعمار في فرض إرادة التغيير على البلاد الإسلامية بأسلوبه الاستعماري المعلن، لجأت الدول المُستعمِرة والكبرى، إلى أسلوب ماكر وخبيث، يتفق مع سابقه في الغاية، ويختلف في الطريقة، يقول دالاس وزير الخارجية الأمريكي السابق: (إن قوة السلاح وحدها لم تعد كافية من أجل تأمين مصالح الولايات المتحدة، كما يمكن للعمليات السرية التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية أن تساهم أيضاً في زيادة نظرة الشك والريبة من قبل الشعوب التي تسعى للخلاص من قيود الاستعمار والتبعية)^(١)؛ لذلك يجب أن يكون الأسلوب على درجة كبيرة من المكر، والبعد عن المجابهة التي تولد المواجهة، فكان أن اتبعوا وسائل وأساليب متعددة للوصول إلى غايتهم، ومن ذلك:

أولاً: تبادل الأدوار.

بروح عدائية واحدة، تعاقب الأعداء في أخذ دور الوصاية وبسط النفوذ على بعض مناطق العالم الإسلامي، فما أن تمر بإحدى تلك الدول أزمة حتى تبادر أخرى بسد مكانها بكل كفاءة^(٢)، يقول مايلز كوبلاند: (بعد ظهر أحد الأيام الباردة من شهر شباط (فبراير) سنة [١٩٤٧ م - الموافق ٣ - ٤/١٣٦٦ هـ -]، اتصل السكرتير الأول في السفارة البريطانية في واشنطن، وكان يومها سيشل، بلوي هندرسن مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وأفريقيا، وطلب منه مقابلةً لسبب هام... وفي تلك المقابلة قام سيشل بتسليم هندرسن رسالتين على جانب من الأهمية صادرتين عن

(١) جان أنشتاين، الصراع على العالم [١٩٥٠/١٩٨٨ م]، الطبعة الأولى، ص ١٨٧.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٣١؛ وانظر بول كينيدي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين،

ترجمة: محمد عبد القادر، غازي مسعود، ص ٢٦٩.

القسم الأجنبي في السفارة البريطانية... كانت أخبار الرسالتين تشير إلى عزم بريطانيا على إنهاء وصايتها (التي دامت ما لا يقل عن قرن من الزمن) على بعض أرجاء العالم، فحكومة جلالة الملك تواجه أزمة مالية... وكان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تبادر إلى سد هذا الفراغ... ومع أن أخبار الرسالتين قد سببت بعض القلق... إلا أنها قد أشعلت الضوء الأخضر أمام الحكومة الأمريكية لتصبح دولة ذات تأثير فعال في شؤون العالم^(١).

هذا التبادل يعني الابتعاد عن العمل المباشر فقط، وإلا فلن يكون دور يناط به في تنفيذ تلك السياسة بصورة غير مباشرة، يقول وزير الخارجية الأمريكي السابق كيسنجر: (كان لبريطانيا نفوذ حاسم بالنسبة لإيقاظ أمريكا السريع ودخولها إلى حالة من النضج السياسي في السنوات التي تلت تلك الحرب، ففي الأربعينات والخمسينات، تجاوزت بريطانيا وأمريكا في التصدي للتحديات، واتخذتا مركز القيادة في التعاون الأوروبي لتنظيم ما بعد الحرب... وفي هذا المضمار حدث تبادل في المواقع، ففي هذه الأيام أصبحت الولايات المتحدة متهمة بالاهتمام بشكل متعلق بتوازن القوى العالمية، بينما يُتهم حلفاؤنا الأوروبيون بالتهرب من الحقائق والمسؤوليات)^(٢).

هذا التبادل في الأدوار يحكمه مدى الاستعداد والرغبة الجادة، وتوافر الإمكانيات اللازمة لأداء المهمة على الوجه الأمثل، يقول نيكسون: (إن الولايات المتحدة هي الآن الدولة الوحيدة التي يمكنها حماية المصالح الغربية في الخليج)، أما لماذا؟ فيجيب: (لا تتوافر لأي من حلفائنا الأوروبيين القوة، أو الرغبة في أن يقوم بذلك؛ لذلك يجب علينا أن نتصدى لهذه المسألة ذات الأهمية الحيوية)^(٣)، ويقول: (في مختلف الأحوال والظروف، أرى أن أمريكا وحدها، هي التي تستطيع أداء هذا الدور. فنحن لا نستطيع الاعتماد على بلدان أخرى - سواء كانت من حلفائنا الأوروبيين، أم صديقة لنا في المنطقة - لحماية مصالحنا في الخليج. فقد تفتقر تلك الدول إلى المصادر العسكرية، وربما إلى الإرادة السياسية للتصرف

(١) لعبة الأمم، ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) محاضرات ومقالات مختارة، [١٩٨٤/١٩٨٢م]، نقله إلى العربية: خالد أسعد عيسى،

أحمد غسان سبانو، ص ٨ - ٩.

(٣) [١٩٩٩] نصر بلا حرب، الطبعة الثالثة، ص ١٣٢.

بشكل حاسم أثناء الأزمات^(١).

إذاً فصاحب القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية يقوم بالدور المناط به مباشرة كما يجب، والأقل يُعد نفسه، ويُجهز إمكانياته؛ للقيام بمواصلة العمل عندما تتاح له الفرصة، وتناط به المهمة، يقول صموئيل هنتنغتون: (إذا كان على المجموعة الأوروبية أن تصبح متماسكة سياسياً، فيجب أن يكون لديها السكان، والمصادر، والثروة الاقتصادية، والتكنولوجيا، والقوة العسكرية الفعلية والمحملة لتصبح القوة الأساسية الدائمة في القرن الحادي والعشرين... من المحتمل أيضاً رؤية نداء أيديولوجي أوروبي، مساوياً للنداء الأيديولوجي الأمريكي. في مجمل أنحاء العالم يصطف الناس على أبواب القنصليات الأمريكية ساعين للحصول على تأشيرات الهجرة، أما في أوروبا، فتصطف البلدان على أبواب المجموعة ساعية للعضوية. وستكون فيدرالية ديمقراطية غنية متنوعة اجتماعياً، ومجتمعات متعددة اقتصادياً، قوة هائلة على المسرح الدولي. فإذا لم يكن القرن القادم قرناً أمريكياً، فمن المحتمل جداً أن يكون قرناً أوروبياً^(٢)).

واليوم ومع انكشاف السياسة الأمريكية للعالم الإسلامي، مما جعلها تتعرض للنقد والاستياء العام وما تعانیه الولايات المتحدة من أعباء مختلفة من جراء القيام بهذا الدور كما يقول نيكسون: (الشعب الأمريكي أما وقد أضناه عبء قيادة عالم حر طيلة ثمان وأربعين سنة، كما وصفته هكذا الحملة الانتخابية الرئاسية لعام [١٩٩٢ م - الموافق ٦/١٤١٢ - ٧/١٤١٣ -]، فهو تواق ليصب جل اهتمامه وكبير مصادره؛ لمعالجة المشاكل الدائرة في عقر داره لا خارجه، وثمة فجوة ما فتئت تتسع حول الدور الذي ينبغي أن تضطلع به الولايات المتحدة في عالم ما بعد السلم^(٣))، وظهور بعض الأصوات الأمريكية المطالبة بالتخلي عن هذا الدور؛ لأن أمريكا قد تحملت العبء الأكبر في سنوات الحرب الباردة، وأن لها أن تتجه إلى

(١) ما وراء السلام، الطبعة الأولى، ص ١٥٦؛ وانظر المرجع السابق، ص ٣٢٤.

(٢) . . . (The U.S. -Decline or Renewal?) Foreign Affairs, Vol.67, no 2)). S. P. Huntington,

94 - 93, PP. (Winter 1988 - 89). . . . كنيدي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، ص

٣٢٤ - ٣٢٥.

(٣) ما وراء السلام، ص ٣٨.

مشكلاتها المعضلة محلياً^(١). الأمر الذي جعل الأعداء يُعدون اليوم العدة لتبادل المواقع، وتوزيع المهام من جديد، لمواكبة العصر، ومواجهة التطورات والمستجدات^(٢).

ثانياً: إظهار التنافس.

يُظهر الأعداء بين الحين والآخر حِدَّةَ التنافس بينهم، فيُصعِّدون ما يظهر أنه مواجهات سياسية واقتصادية بينهم، وتُقَدِّم من جانبهم التنازلات المتعددة، وتشن الحملات السياسية الشرسة على بعضهم البعض، حتى إن المسلم ليخيل إليه أنهم في خصام دائم، ونزاع قاتل^(٣)، مع أنهم في الباطن متفقون على تقاسم المصالح، ومتفاهمون على دور كل منهم، ومقتنعون بالحدود الفاصلة بينهم والتي لا يجوز تجاوزها^(٤)، يقول كيسنجر: (لقد تعلمت أمريكا كثيراً في فترة ما بعد الحرب،

(١) انظر المرجع السابق؛ وانظر الفرصة السانحة، ترجمة: أحمد صدقي مراد، ص ١٧ - ١٨، ٨٣.

(٢) انظر أمير طاهري، صلاح قلاب، «دبلوماسيون فرنسيون يتحدثون عن سياساتهم إزاء المنطقة، نعود للشرق الأوسط من يوابتي لبنان والمغرب»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٦/١٢/٢٢ هـ، العدد ٦٣٧٣. ص ١، ٤؛ وانظر رندة تقي الدين، «تظاهرة» حاشدة استقبلته في دمشق، شيراك يشدد على دور فرنسي في «رعاية عملية السلام»، جريدة الحياة، ١٤١٧/٦/٨ هـ، العدد ١٢٢٩١، ص ١، ٦؛ وانظر عبد الرحمن محمد، «بريماكوف يعمل لإحياء الدور الروسي وتشجيع الدور الأوربي لدعم السلام»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٧/٦/١٥ هـ، العدد ٦٥٤٣، ص ٤؛ وانظر عهد مكرم، «ألمانيا... والبحث عن دور سياسي في الشرق الأوسط»، جريدة عكاظ، ١٤١٧/٨/١ هـ، العدد ١١٠٧٨، ص ١٥.

(٣) انظر كنيدي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، ص ٥٤٢ - ٥٤٦، ٥٥٤ - ٥٥٧؛ وانظر فوش، المساعدات الخارجية، ترجمة: عبد الله اسكندر، ص ١٠٢؛ وانظر عمر البردان، «السفير اللبناني: خليل مكاوي لـ السياسة: أمريكا ستمنع فرنسا من المشاركة في الحل السلمي للمنطقة»، جريدة السياسة، ٦ - ٧/١/١٤١٧ هـ، العدد ١٦٧٢ - ١٧٧٨، ص ١٥؛ وانظر «تخوض منافسة شرسة مع واشنطن من أجل مبيعات السلاح، فرنسا مصممة على الدفاع عن مكانتها في الشرق الأوسط»، جريدة المدينة المنورة، ١٤١٧/١/٢٨ هـ، العدد ١٢١١٨، ص ٩.

(٤) انظر نيكسون، مرجع سابق، ص ٩٣؛ وانظر كيسنجر، محاضرات، ص ٧ - ٣٤؛ وانظر =

وربما كانت بريطانيا هي معلمتها الأولى، وفي العقد الأخير من هذا القرن لقد تعلمنا شيئاً عن الحدود التي لا يجوز لنا تخطيها، وفي الإدارة الجديدة لقد تخلصنا من تلك الآلام التي كانت مرافقة لشدة اهتمامنا بالتحديد بتلك الحدود، فأمريكا إذا تخلصت من مشاكلها، واستعادت حيويتها ونشاطها وإيمانها بالمستقبل، لا بد أنها ستكون ذات فائدة لقضية الغرب، بقدر فائدة أوربة التي بدأت في تشكيل شخصيتها. لقد تعلمت كل من أمريكا وبريطانية، أنه مهما كان تاريخ كل منهما، إلا أن مستقبلهما هو جزء من تلك القضية المشتركة، وهي قضية الحرية... فهما مدعوتان الآن مع حلفائهما للظهور للعيان أنهما قادرتان على السيطرة على مصيرهما^(١). هذه الحدود الرئيسة في العمل السياسي بين الغرب، والاتفاق الأساسي على الخطوط الأساسية للعمل والغايات، جعل تجاوز الأزمات الطارئة مهما بلغت ذروتها، يتم في تفاهم ووفاق، يقول كيسنجر: (أثناء الحرب بين الهند والباكستان عام [١٩٧١ م - الموافق ١٣٩١ هـ].. لم تكن بريطانيا متففة معنا في سياستها... وهكذا أيضاً المراحل الأولى من أزمة فولكلند، ترددت أمريكا فيما بين استجابة نداء مصالح حلف الأطلسي، أو نداء مصالحها بالنسبة للعالم الغربي، ولكن لم تستطع أية واحدة من تلك الخلافات أن تبذر بذور الشقاق بين أمريكا وبريطانية. وأخيراً التقينا مع بريطانيا، وسادت روح الصداقة القديمة فوق جميع الاعتبارات الأخرى، وعادت المياه إلى مجاريها. والفكرة أو الدرس الذي أريد تقديمه، هو: أن قضايا العالم الثالث تعمل بموجب وجهات نظر أخرى مختلفة، ولكن علينا أن نهتم بالأناجيع تلك الفروق والاختلافات تصل إلى نقطة تنسف بها الثقة بالنفس، أو الإحساس بالمهمات الملقة على عواتق تلك الأمم في الجانب الآخر، وذلك خوفاً من تهديد فرص التقدم والاستقرار التي تتفوق في أهميتها على القضايا السريعة الملحة)^(٢)؛ لذلك فمن المحرمات السياسية بينهم تجاوز تلك الخطوط العريضة من خلال الإضرار بالمصالح، أو المواقع الاستراتيجية، يقول كيسنجر: (لا يجوز أبداً أن نعمل على إضعاف الموقع الاستراتيجي، أو الثقة بالنفس، لأي دولة من دول الحلفاء

= المملكة العربية السعودية، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، قسم البحوث والدراسات، الكتاب السنوي، ربيع الثاني [١٤٠٢ هـ]، ص ١٨ - ٣٢.

(١) المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧.

بالنسبة لقضية تعتبرها تلك الدولة ذات أهمية حيوية بالنسبة لها^(١).

هذه القاعدة السياسية جعلت التنافس بينهم يتم في تفاهم، وعبر ترتيب مسبق، حتى في أشد الأزمات توتراً^(٢)، يقول ألنشتاين عن الصراع الأمريكي السوفيتي: (راعت كل قوة أيضاً مصالح القوى الأخرى، كما اعترفت بتحقيق تطلعاتها على مسمع، ومرأى القوة الأخرى، كما التزمت القوتان أن لا تتخليا عن التكافؤ في القوى)^(٣)، ويقول كيسنجر عن هذا الصراع: (يجمعنا بالاتحاد السوفيتي علاقات من نوع فريد، فنحن في آن واحد، خصوم وشركاء، وإن مهمتنا هي الحفاظ على السلام بصورة مشتركة)^(٤)، وهذا ما جعل بعض المفكرين والسياسيين يصفون العلاقة التنافسية بين أمريكا والاتحاد السوفيتي بالإخوة الأعداء، أو كمن يناما في سرير واحد، لكن لا يحلمان حتماً واحداً^(٥).

يقول سعد جمعة عن ندوة سياسية أقيمت في الجامعة اللبنانية سنة [١٣٩٢ هـ] واشترك فيها ثلاثة من كبار الكتاب الروس والبريطانيين والفرنسيين^(٦): (اتفق المحاضرون الثلاثة على أن العلاقات الدولية بين العملاقين قد انتقلت اليوم من حيز التصادم إلى حيز التفاهم، وروسيا تفضل اليوم بصفة خاصة التفاهم مع أمريكا على

(١) المرجع السابق، ص ٢٩؛ وانظر مايلز كوبلاند، اللاعب واللعبة، عالم الاستخبارات الأميركية، الطبعة الأولى، ص ١٦٠.

(٢) انظر «انتقدا الهيمنة الأميركية على الشؤون الدولية، بكين وموسكو يتحدثان عن شراكة استراتيجية للقرن الحادي والعشرين»، جريدة الشرق الأوسط، ٩/١٢/١٤١٦ هـ، العدد ٦٣٥٩، ص ٧؛ وانظر «اتفاق كريستوفر ودوشاريت على تفعيل لجنة جنوب لبنان، أميركا وفرنسا تنسقان جهودهما في الشرق الأوسط»، جريدة الشرق الأوسط، ١٢/٢/١٤١٧ هـ، العدد ٦٤٢٢، ص ١، ٤، ٥، ٦؛ وانظر «رداً على الانفراد الأمريكي العنيد، سيرينغ: أوروبا تتمسك بشراكة مع واشنطن في الشرق الأوسط»، جريدة المدينة، ٢٦/٥/١٤١٧ هـ، العدد ١٢٢٣٤، ص ١١؛ وانظر صالح قلاب، «الشرق الأوسط في الصين ترصد وتحلل تحولات المرحلة الجديدة (٣ من ٤) بكين تعترف للولايات المتحدة بأنها الدولة العظمى الوحيدة، والروس يساعدون الصينيين في المجالات العسكرية والنووية»، جريدة الشرق الأوسط، ٦/٨/١٤١٧ هـ، العدد ٦٥٩٣، ص ١٩.

(٣) الصراع، ص ٤١١.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٣٧.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

(٦) انظر جمعه، الله أو الدمار، ص ١١٤ - ١١٦.

حساب استمرار حالة اللاسلم واللاحرب، التي تستفيد منها القوى الأعظم تحاشياً للمواجهة، وتحسباً لأبعاد المستقبل، ما تضمنه من مشاكل طارئة في مقدمتها حاجة أمريكا إلى النفط العربي، وإصرارها على بقاء النفوذ الأمريكي في مناطق تلك الطاقة، مهما تكن النتائج!!^(١)، وهذا ما يؤكد أن التنافس المعلن بينهم محصور على تقاسم الغنيمة، لا على مبدأ الحصول عليها، يقول السلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى: (كل الدول الأوروبية الكبرى وجدت مصلحتها في تقسيم الدولة العثمانية وتفتيتها، كانوا أعداءها، والمشاهد أن هذه الدول الكبرى ينهش بعضها في بعض لكنها سرعان ما تتفق وتحالف إذا ما تعلق الأمر بمقاتلة العثمانيين. أما ما لا تتفق هذه الدول فيه فهو: من سيحصل على نصيب أكبر من أراضي الدولة العثمانية؟)^(٢).

واليوم تبدي الدول الأوروبية وأمريكا تنافسها على لعب دور المنقذ للشرق الأوسط، وكلٌ يدعي قدرته وجدارته بحل المشكلات، وإحلال العدل والسلام، وتظهر هذه الدول خلافها المزعوم على شكل صراع سياسي أوروبي أمريكي^(٣)، يُصعدُّ لِيُشدَّ العالم الإسلامي إلى متابعته، مع أن حقيقته لا تتجاوز أن يكون أحد الأساليب الماكرة، والحيل المخادعة التي لجأ ويلجأ إليها الأعداء لكسب ود العالم الإسلامي، هذا الود الذي يجعل العالم الإسلامي يرمى في الأحضان وقد علته غشاوة المكر والخديعة، التي تحجب عنه غاية الأعداء^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ١١٦.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٣) انظر «... واشنطن مستاءة من مزاحمة باريس في الشرق الأوسط...»، جريدة الرياض، ١٠/٦/١٤١٧ هـ، العدد ١٠٣٤٧، ص ١، ٤؛ وانظر عبد الحميد اليحياوي، «في تحذير أشبه بإعلان حرب دبلوماسية وتجارية، أوروبا ترفض الهيمنة الأميركية وتحذر من مواجهة وشيكة»، جريدة الشرط الأوسط، ١٩/١٢/١٤١٦ هـ، العدد ٦٣٧٠، ص ١، ٤ - ٥؛ وانظر «حملة أميركية ضد جولة شيراك في الشرق الأوسط»، المرجع نفسه، ١٤/٦/١٤١٧ هـ، العدد ٦٥٤٢؛ ص ٤؛ وانظر «... دوشاريت - وزير الخارجية الفرنسي - يرد على كريستوفر: موجودون قبلكم في الشرق الأوسط، أوروبا أوضحت في دبلن أن لديها ما تقوله في الشأن الأوسطي» جريدة المدينة، ٢٦/٥/١٤١٧ هـ، العدد ١٢٢٣٤، ص ١١.

(٤) انظر «العرب يريدون المحفز الأوربي للشريك الأمريكي، نتاياهو يدعو أوروبا للبقاء خارج اللعبة!!»، جريدة المدينة، ٢٧/٥/١٤١٧ هـ، العدد ١٢٢٣٥، ص ٩.

ثالثاً: النفاق السياسي .

اتبع الأعداء مع البلاد الإسلامية سياسة ذات وجهين، وجه ظاهر: حيث المناداة بمبادئ الديمقراطية والقيم الأخلاقية، وجعلها شعاراً يرفع عند التعامل مع البلاد الإسلامية. ووجه خفي: يتمثل في إضمار عدم مراعاة أو التقيد بالمثاليات المزعومة، وإسقاط جميع الاعتبارات بأساليب خادعة، تضمن عدم الكشف عن الوجه الحقيقي للسياسة المتبعة؛ لذلك قامت سياسة الأعداء في التعامل مع البلاد الإسلامية على مبدأ عدم الإلتزام بالمبادئ الأخلاقية، والمثاليات المزعومة والمعلنة^(١)، يقول كوبلاند: (النظام الديمقراطي يضع قيوداً عديدة على سلوك حكوماته تجاه العوائق الداخلية، وعلى الأساليب التي تنتهجها الحكومات لمعالجتها، ولكن ليس هناك أيّاً من هذه القيود على السلوك، أو الأساليب المتبعة خارج بلادنا، ولا يبقى في هذا المجال سوى قيد واحد، ألا وهو: اعتبارات الفاعلية والنجاح. فكل ما تتوفر له فرص النجاح فعلناه، وإلا تخلينا عنه. وعندما يأتي دور المبادئ الأخلاقية على مسرح الأحداث، فإن تعديلات طفيفة تطرأ على ذلك القيد دون أن تقتلعه من جذوره، أو تطيح به بعيداً وعندما يتخذ التساؤل هذا الطابع: هل يمكننا أن ننجح بالتنفيذ دون أن نخوض غمار معركة افتضاح وتعري! . إن كافة التوجيهات التي يزود بها رجالنا في السلك الدبلوماسي، تبرز أهمية اتباع وسائل تعكس المبادئ الديمقراطية والقيم الأخلاقية للأمم، كعامل أساسي لنجاح أية محاولة من محاولات الضغط على الحكومات الأجنبية. إن الكشف عن نياتنا صراحة، وعدم الدخول في معاهدات لا نزمع على الإلتزام بها، يجب أن لا يعني سوى حقيقة واحدة، وهي: أننا لم نعثر على أية مصلحة لنا في اتباع مثل هذه السلوك. وبالمقابل فإننا سنبدل المستحيل لكم نياتنا الحقيقية، أو للتحايل على نصوص أية معاهدة وقعناها سابقاً، إذا ما لمسنا أن ذلك يحقق لنا مآربنا، ويوصلنا إلى غاياتنا، شريطة أن ننجح في هذا دون الوقوع في مآزق محرجة، أو التورط في مواقف فاضحة. إنني لا أحاول البتة أن أقف موقف المدافع عن مثل هذا النفاق والخداع، فالحقيقة أنني لا أملك شعوراً واضحاً حياله، وإن كنت متأكداً من وجوده

(١) انظر كوبلاند، اللاعب واللعبة، ص ١٣٩، ١٦٣؛ وانظر نيكسون، الفرصة السانحة، ص ٢٥ - ٢٧؛ وانظر كيسنجر، محاضرات، ص ٩؛ وانظر معهد الدراسات الدبلوماسية، الكتاب السنوي، ربيع الثاني [١٤٠٢ هـ]، ص ١٣٢ - ١٣٩.

تماماً. إن كلاً من اللعبة التي نمارسها في مركز اللعب في واشنطن تحت ظروف مفتعلة، ولعبة الأمم التي يقوم رجالنا في السلك الدبلوماسي، وجنودنا بتنفيذها عبر البحار - باستمرار وكيفما اتفق - تعتبران من أبرز الشواهد على صدق كلامي. ولعل أبرز مثال على سلوكنا المزدوج، واستراتيجيتنا ذات الوجهين الأخلاقي واللاأخلاقي، هو تلك الطريقة التي تعاملنا بها مع عبد الناصر^(١).

هذا المبدأ السياسي القبيح، أجمع على العمل به الأعداء في جُلِّ تعاملهم مع البلاد الإسلامية، يقول كوبلاند: (إذا كانت نتائج التزامنا بالمبادئ الأخلاقية خسارة مصالحنا وضياعها، فإن موقفنا سيكون العكس، وستكون التضحية بدون شك على حساب تلك المبادئ الأخلاقية، وليست على حساب مصالحنا. وبصراحة أكثر فعندما كنا نضطر في بعض الأحيان لإزاحة حاكم ما، ثبت أن وجوده يقف حجر عثرة في سبيل تنفيذ مخطط لنا في أحد تلك البلدان الأفريقية، أو الآسيوية... فإننا كنا لا نتردد في اللجوء لمثل هذه التدابير مهما كانت فداحة المخالفات الأخلاقية. ومن البديهي جداً أن يكون خليفة الحاكم المخلوع على استعداد تام للسير وفق الخط الذي يضمن مصالحنا هناك. ولقد اتفق الأمريكيون والبريطانيون على معالجة شؤون الدول الأفريقية والآسيوية من خلال هذه النظريات والمواقف)^(٢).

رابعاً: التحليل والدراسة.

دراسة المجتمعات والحكومات الإسلامية، وتحليل المواقف والأحداث عامل يتعامل معه الأعداء بعناية عالية، بهدف الكشف عن الثغرات، ومعرفة مكان القوة والضعف، تمهيداً لاختيار الأسلوب الأمثل في التعامل معها^(٣). والأساس في هذا الأسلوب ما جاء في البروتوكول الثاني من بروتوكولات حكماء صهيون: (لا بد لنا في منهجنا هذا، أن نأخذ بعين الاعتبار ما عند الأمم من طراز فكر وخلق، ونزعة، واتجاه، وإنما نفعل هذا لكي نحتزز به من الانزلاق في معالجتنا السياسية والتوجيه

(١) لعبة الأمم، ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٨٢؛ وانظر اللاعب واللعبة، ص ٨٤ - ٨٥؛ وانظر محمد صادق، «زوال الحرب الباردة عدل سلم الأولويات بالتشديد على الشرق الأوسط والخليج، الجزائر واليمن والسودان والصومال تدخل قائمة اهتمامات الاستخبارات الأميركية»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٧/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠٢٤، ص ١، ٤.

الإداري، فلا نعثر ولا نكبو. وإن انتصار منهجنا، الموزعة أجزاءه على مختلف المناحي، توزيعاً يصيب كل ناحية بما يؤاتيهما منه، حسب أمزجة الشعوب التي تقع في طريقنا، إن انتصارنا المتوخى قد يفشل ويحبط دون إدراك الغاية، إذا كان تطبيقنا للمنهج ليس مبنياً على الأحكام المستمدة من صفوة دروسنا الماضية، نطبقها على ضوء الحاضر^(١)، هذا المنهج المرسوم يسار عليه اليوم بعناية فائقة يقول كوبلاند: (كان لفشل تجربتنا في سوريا أثر كبير على العديد من تصرفاتنا، فقد أثرنا الانسحاب مؤقتاً من مسرح الشرق الأوسط، وفضلنا الانتظار ريثما يتضح لنا الطريق أكثر فأكثر، وخلال الفترة التي امتدت لغاية [١٩٥٢ م الموافق ٤/١٣٧١ هـ - ٤/١٣٧٢ هـ]، كان موظفو وزارة الخارجية منهمكين في العثور على أفكار أنضج، وطرق أفضل؛ لضم أحد الحكام العرب إلى طاولة اللعب^(٢)... وخلال شهر واحد تقريباً، كانت لدينا عدة حلول ومخططات جاهزة للتداول والتنفيذ^(٣).

أما بالنسبة للحكام كمداخل لبط النفوذ، فتم متابعتهم بدقة متناهية، يقول كوبلاند عن علاقته بعبد الناصر: (كنت أزوره أحياناً لأنجز مهمة لرفيق، أو تكليفاً - رغم أنني - من طبيب نفساني، أو عادي، أو مسؤول في وكالة المخابرات الأمريكية، لأتحرى لهم أية بوادر انهيار في صحته، أو انحراف في تفكيره)^(٤)، ويقول: (أمضيت الهزيع الأخير من عام [١٩٥٦ م، وأوائل عام ١٩٥٧ م - الموافق ٥ - ٦/١٣٧٦ هـ]، منهمكاً في شرح أفكار ناصر أمام مجموعات عديدة من الرسميين الأمريكيين باسطاً لهم متاعبه ومشاكله، ومعلقاً عليها بنفس الطريقة التي كان هو نفسه يود أن تعرض شؤونه بها أمامنا، وكنت أنفق الساعات الطوال... في محاولة لتحديد معالم أبعاد ردود الفعل التي كنا نتوقع أن تصدر عن ناصر، رداً على بعض الإجراءات التي كانت الحكومة الأمريكية تنوي اتخاذها)^(٥).

أما ردود الأفعال الشعبية فلها عندهم مدلولات مؤثرة في التعامل، يقول نيكسون: (من ذكرياتي الحية عن مصر أثناء زيارتي لها عام [١٩٧٤ م - الموافق

(١) عجاج نويهض، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) لعبة الأمم، ص ٨٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٨١.

(٤) المرجع السابق، ص ١١٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٢٨.

١٣٩٤ هـ-]، اصطفا ف سبعة ملايين شخص لتحتي مع السادات . . . ذلك الترحيب الحار الذي عرض هيام الشعب المصري بالشعب الأمريكي وبالحرية، والرفاهية، قد خلع على نفسه لباس الضيافة والانفتاح، وسعة الصدر، التي هي من الأركان الأساسية للفلسفة الإسلامية، فذي هي النوايا الموالية للأمريكان التي يحملها ملايين المسلمين، التي يجب أن تكون أحجار الزاوية في سياستنا^(١).

هذه الدراسات والتحليل تحظى بدعم مالي كبير^(٢)، ولأجلها عمل الأعداء على إقامة مراكز داخل البلاد الإسلامية تحت مسميات مختلفة، بهدف الرصد والفحص، وجمع المعلومات المباشرة؛ لإمداد مراكز التخطيط والقرار بها، بالإضافة إلى المدارس والجامعات الأجنبية المنتشرة في أماكن متعددة من العالم الإسلامي، والتي تقوم بدور بارز ومؤثر في هذا المجال^(٣).

خامساً: العمل على كافة المستويات .

تحسباً لكل طارئ، وللإمساك بجميع الخيوط والأطراف، يعمل الأعداء على التعامل مع مختلف التوجهات في البلاد الإسلامية، وفق مقاييس معينة، تتفق مع متطلبات توجهات مختلف الأطراف^(٤).

يقول نيكسون: (إن التعامل مع العالم الإسلامي يشبه وضعه وضع الشخص الذي في حفرة ضيقة ومعه مجموعة من الثعابين السامة، تحمل في سُمِّها أيديولوجيات متصارعة، وقوميات متضاربة)^(٥) وتبعاً لذلك تعددت أساليب التعامل السياسي مع الدول الإسلامية، يقول نيكسون: (إن انكبنا على صياغة سياسة جديدة تجاه المسلمين لعهد جديد، علينا أن نتعلم أن ننظر إلى العالم الإسلامي ليس باعتباره قوة موحدة . . . بل باعتباره تجمعاً حضارياً وعرقياً متعدداً)^(٦).

(١) ما وراء السلام، ص ١٥٤ .

(٢) انظر دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، الطبعة الثالثة، ص ٩ - ١٠ .

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٠ - ١١ .

(٤) انظر المنتدى الإسلامي، باكستان بعد ضياء الحق، الطبعة الأولى، ص ٩٠؛ وانظر «في ندوة سياسية فكرية في جامعة القاهرة، واشنطن لا تنكر اتصالها بجميع الأحزاب المصرية . . .»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٧/١٠/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٥٦، ص ٦ .

(٥) الفرصة السانحة، ص ١٣٩ .

(٦) ما وراء السلام، ص ١٤٦ .

سادساً: التعاون السياسي .

حيث يتم تحويل التعاون السياسي مع البلاد الإسلامية إلى وسيلة لبث التوجهات الأجنبية، من خلال إظهار نتائج ذلك التعاون وتمجيدها على أنها نتاج طبيعي وبديهي للتعاون السياسي مع البلاد الأجنبية، يقول نيكسون: (علينا أن نحدد نقط ارتكازنا التي تؤكد وجودنا، وعلينا أن نشترك مع الدول الإسلامية التي بها حكومات تقدمية تشترك معنا في أهدافنا ومصالحنا، ولها ثقل في المنطقة وسوف يؤدي تعاوننا ومشاركتنا في الشؤون السياسية والاقتصادية والأمنية، وتقديم النصيحة لهم والمساعدة في تطوير نظمهم الاقتصادية، إلى جعلهم مثلاً للعالم الإسلامي، يحذو حذوهم؛ ليصلوا إلى ما وصلوا إليه من تقدم وازدهار، وبعد بضع عشرات من السنين سوف يجتذبون دولاً أخرى لتبدأ المنطقة كلها في التحول السلمي)^(١).

سابعاً: العمل السري .

يلجأ الأعداء إلى العمل السري، بعيداً عن الأنظار حتى بالنسبة لأصدقائهم داخل البلاد الإسلامية .

ويُعد العمل السري ركيزة أساسية في سياسة الأعداء لسط نفوذهم^(٢)، يقول نيكسون: (العملية السرية يجب أن تخدم هدفاً استراتيجياً هاماً)^(٣)؛ لذلك اعتُبر التخلي عن السرية ضرباً من ضروب الخبال، يقول نيكسون: (سيكون خطأ قاتلاً إذا استبعدت الولايات المتحدة العمل السري كأداة في السياسة الخارجية، إذ يجب أن نسأل أنفسنا عما إذا كان التخلي عن هذه القدرة هو أمر معقول . . . إذا كنا سنتخلى عن العمل السري كأداة في السياسة الخارجية، فإن ذلك يعني في الواقع أننا نرتدي قميص المجانين)^(٤)؛ لذلك أحاطوا أغلب وسائل وأساليب بسط نفوذهم بطابع سري دقيق أثناء التخطيط والتنفيذ، يُبعدُ عنهم أي شُبْهة أو شك، يقول كوبلاندر عن تحركاتهم التخطيطية السابقة لانقلاب حسني الزعيم في سوريا: (تحركاتنا هذه لم تثر

(١) الفرصة السانحة، ص ١٤٣ .

(٢) انظر نيكسون، نصر بلا حرب، ص ١٢٣ - ١٢٧ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٣ .

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٤ .

أكثر من شكوك عند الساسة السوريين، فقد كانت كلها سرية، ومتقنة الوضع والتخطيط^(١).

وأساس هذه السرية بقاءهم خارج إطار اللعبة المزمع تنفيذها، بعمل مخططات لا تحمل أي نكهة أجنبية، وبوضع احتياطات تضمن اللجوء بعد التنفيذ إلى حيلة^(٢): (النكران القابل للتصديق)^(٣) هذه السرية يحميها القانون بصرامة شديدة قبل وبعد التنفيذ مهما كانت درجة النجاح أو الفشل يقول كيم روزفلت في تقرير كتبه إلى وزارة الخارجية الأمريكية قبل وقوع انقلاب الضباط الأحرار: (على الرغم من كل تلك الاجتماعات التأميرية التي سبقت الانقلاب، لا يجوز لأي مسؤول في حكومتنا التفكير بأن الانقلاب هو لمصلحتنا، أو من صنعنا، بل يجب اعتباره بصرامة على أنه قضية محض داخلية، بعيدة عن أي تأثير لنا فيها)^(٤).

ثامناً: العملاء.

ذلكم الطابور الداخلي، المجدد للعمل وفق التوجهات والتوجيهات الخارجية، وهم فئتين:

أ: الأجانب، ممن يأتي إلى البلاد الإسلامية للعمل بصفة خبير، أو مستشار، أو مسؤول ونحو ذلك من الأعمال التي يكون فيها للعملاء كبير الأثر في التوجيه واتخاذ القرار^(٥)، يقول كوبلاند: (عندما غادرت مصر، كان لنا فيها خبراء أمريكيون دائمون يعملون في دوائر الشرطة، والأمن العام والمخابرات. وكان لنا أيضاً على أساس تعاقد مؤقت خبراء)^(٦)، ويقول كوبلاند عن طلب مصري لتجنيد بعض الضباط الألمان للعمل في الجيش المصري، وتمت الموافقة على الطلب بعد تنسيق ألماني أمريكي: (اختار ضباط الوكالة - وكالة المخابرات الأمريكية - بعض الجنرالات والعقلاء وغيرهم من الضباط الألمان البلهاء، بحيث يمكن الاعتماد

(١) لعبة الأمم، ص ٧٣.

(٢) انظر كوبلاند، اللاعب واللعبة، ص ٧٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٥) انظر كوبلاند، لعبة الأمم، ص ١٣١.

(٦) اللاعب واللعبة، ص ١٤٥.

عليهم لتخريب الجيش المصري^(١). هذه الفئة من العملاء خطرهم كبير، ويتعاضم بخطورة الموقع الذي يعملون فيه، نأتي بهم فيطلعوا على عوراتنا ونسلم لهم التخطيط والقيادة لأمرنا، والأدهى في ذلك حينما يكونوا في المجال العسكري، والأمني والتعليمي، نطلب منهم الرسم والتخطيط لمواجهة خطر الأعداء، وهم من ألد الأعداء.

ب- أبناء البلد الإسلامي، أفضل عناصر العملاء، وأقدرها في التحصيل والتأثير؛ لما يتمتعون به من بعد عن الشك والريبة، وقدرة في الحصول على المراد عجيبة، يقول كوبلاند: (أفضل طريقة للتأثير في موقف رئيس الدولة في أي بلد... هي عبر أشخاص من مجتمعه، ومن جنسيته ودينه وأصوله)^(٢).

وهم عناصر عديدة، أصحاب مستويات متباينة، ومجالات متفاوتة، تتفق مع مختلف رغبات الأعداء يقول كوبلاند: (في أي بلد مختلف أصناف ذوي الأهداف والرغبات الشخصية التي تتلاءم تلاءماً مناسباً مع ما نبتغيه، والذين يمكنهم بقليل من التشجيع والتأييد، التحول إلى أشخاص أكثر تأثيراً وفعالية مما كانوا عليه أثناء وقبل المساعدة والتشجيع، كما يوجد في أي بلد مستهدف أشخاص مستقلون بعملهم، قادرين على نفعنا إذا ما تركوا يتصرفون حسب معرفتهم، ويشعرون بالإهانة إذا ما عرضنا عليهم بدلاً عن خدماتهم، أو إذا ما لمحننا لهم بأن ما قالوه لنا، أو فعلوه أفادنا بمقدار ما أفاد القضية المحلية التي يعتنقون، هؤلاء يجب أن ندعهم وشأنهم، ولكن يوجد في أي بلد أذهان متوقدة بحاجة إلى توجيه وتأييد، ولا يهمها من أين يأتيانها. في أيامي كان على رئيس الفريق في البلد المعني اكتشاف الأفضل من بين هؤلاء الناس، أكانوا في الحكومة أو خارجها... ووضع ترتيبات رسمية معهم لتبادل الأفكار، وتقديم المساعدات المالية وغيرها)^(٣). من هؤلاء يتم اختيار الأنسب والأقدر على تنفيذ ما يراد منه دون عناء، ودون إثارة شك أوربية، سواء كانوا أفراداً، يقول كوبلاند: (كان من بين هؤلاء مثلاً صديقه الأقرب محمد حسنين هيكل، الذي باستطاعته إيصال الكلمة الأمريكية له بوضوح وإقناع أقوى بكثير مما استطاعه أي من النكرات الذين شغلوا منصب سفير الولايات المتحدة إبان السنوات

(١) المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٧.

الأخيرة من حياته، وكثيراً ما قلنا مازحين بأن الولايات المتحدة ليست بحاجة إلى سفير لها في واشنطن، طالما بقي محمد حسنين هيكل إلى جانب عبد الناصر^(١). أو كان العميل جهات ومؤسسات عامة لها تأثيرها ونفوذها داخل المجتمع، يقول كوبلاند: (لا نملي على الصحف ما نريدها أن تنشر، ولا نوجه اتصالات العمال في كيفية استعمال قوتها ونفوذها، ولا نصدر تعليمات صريحة للحركات السياسية وقادتها بما عليها قوله أو فعله، عوضاً عن ذلك اخترنا من بين هؤلاء من تصرفوا ويتصرفون بطرق تتلاءم مع غاياتنا، وقدمنا له الدعم اللازم كي يستمروا في سلوك نهجهم)^(٢).

تاسعاً: صناعة الحكام.

يعمل الأعداء على إيجاد نوع معين من الحكام، يُسهّم في المساعدة على بسط نفوذهم، ويعملون لأجل ذلك كل ما في وسعهم، فالعملاء عامل رئيس في تنفيذ توجهاتهم دون خسائر تذكر من قبلهم^(٣)، يقول كوبلاند: (من أول العناصر التي لمسنا ضرورة وجودها في مسرحيتنا، توفر شخصية ما مثل عبد الناصر بالذات، وبعبارة أخرى، فإن ناصراً ما كان من ضمن العناصر الحيوية للمسرحية التي عزمنا على إخراجها. . . إن نموذجاً كجمال عبد الناصر، كان من الأهمية بمكان بخصوص اللعبة وإننا كنا ملزمين بالبحث عن مثيل له فيما لو لم يكن على قيد الحياة، أو أن زعيماً مثله لا محالة سيبرز إلى الوجود عاجلاً أم آجلاً، وعلى الأقل لاستكمال أدوار اللعبة)^(٤)، نعم إنه إلزام تفرضه منطلقاتهم الفكرية السياسية التي يعملون بموجب توجهياتها، فقد جاء في البروتوكول الثاني من بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه: (الأشخاص الذين نخترهم من صفوف الشعب اختياراً دقيقاً ضامناً لنا أن يكونوا كاملي الاستعداد للخدمة الطائفة، لن يكونوا من طراز الرجال الذين سبق لهم التمرس بفنون الحكم والحكومة، حتى يسهل اقتناصهم والوقوع المحكم في قبضة يدينا، فنتخذ منهم مخالب صيد، ويتولاهاهم منا أشخاص أهل علم مكين وعبقريّة، يكونون لم مستشارين من وراء ستار واختصاصيين وخبراء، وهؤلاء الرجال المختارون منا، يكونون قد نُشئوا منذ الصغر تنشئة خاصة وأهلوا لتصريف شؤون

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٣٥ - ١٣٦؛ وانظر نيكسون، الفرصة السانحة، ص ١٤٥.

(٤) لعبة الأمم، ص ٤٩ - ٥٠.

العالم تأهيلاً كاملاً، ويكونون كما تعلمون قد مضى عليهم زمن وهم يرتضعون معلوماتهم التي يحتاجون إليها من مناهجنا السياسية^(١).

هذا النص طبق حرفياً في الواقع النظري لإرادة التغيير في بعض البلاد الإسلامية، يقول كوبلاند: (كانت دراستنا للمجتمع المصري تفرض علينا مسلكين لا ثالث لهما، أولهما: أن نستعرض عدداً من المرشحين لأن يكونوا زعماء وطنيين مثاليين لبلد عربي، ونتقي منهم واحداً ذا مواهب خلاقة وحصافة فائقة، يستطيع أن يظهر أنه الحاكم الفعلي، ولكنه في الحقيقة ليس أكثر من واجهة لحاكم قوي، بينما نبقى نحن وراء الكواليس، وبنفس الوقت يتم اختيار صفوة منتقاة من كبار شخصيات بلد ذلك الحاكم؛ لتكون طرفاً في كل ما ننوي إنجازه، فلها ستقدم الاقتراحات، ومعها ستناقش الإجراءات، وستجري المساومات، ولكن عليها أخيراً أن تنصاع لترتيباتنا النهائية، التي تخفيها عادة وراء مساعدات اقتصادية، وعهود نقطعها على أنفسنا، بأن نتركها تسرح وتمرح في السلطة، وتتخذ من الإجراءات ما يحلو لها؛ لتضمن بقاءها في الحكم)^(٢)، هذا المخطط طبق عملياً، يقول كوبلاند معبراً عن رد فعل السياسة الأمريكية على انقلاب الضباط الأحرار: (أما المسؤولون في واشنطن، فقد غمرتهم موجة من السرور نتيجة هذا الانقلاب، وأدركوا جميعاً أنه أصبح في حوزتهم على المسرح العالمي، لاعب جديد من الطراز الذي بذلوا قصارى جهدهم للعثور عليه)^(٣).

وعندما يجد الأعداء ضالته المنشودة من حكام المسلمين، فإنه يحظى برعاية مميزة، تتمثل في جانبين: الجانب الأول: الدعم والتوجيه، وهي رعاية تنطلق من الدعم والتوجيه، وتصل إلى الإعانة والنصرة على المناوئين، يقول نيكسون: (يجب علينا أن نعاون التقدميين في العالم العربي، ففي ذلك مصلحتهم ومصلحتنا، فهم يحتاجون لأن يعطوا أنصارهم بديلاً لأيديولوجية الأصوليين المتطرفين، وانغلاق الرجعيين)^(٤)، ويفصل القول حول هذا المعنى كوبلاند عند حديثه عن رعايتهم لجمال عبد الناصر بقوله: (في العام [١٩٥٣ م - الموافق ١٣٧٢/٤ -

(١) عجاج نويهض، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٥.

(٤) الفرصة السانحة، ص ١٤١.

١٣٧٣/٤ هـ -]، عندما كنا جاهدين للحفاظ على حياته، كان خوفنا الأكبر عليه من قيام ثورة معاكسة على يد الفريق الذي أوصلنا إلى الجيش: الإخوان المسلمون. عبد الناصر يتمتع بالقوة اللازمة لخنقها، ولكن ثمة عائقين في الطريق. الأول: أنه حمل على محمل الصدق المعلومات المغلوطة التي أوصلناها له قبل الانقلاب ووصوله إلى السلطة، عن أن الإخوان المسلمين قد يكونوا حلفاء ذوي شأن. والثاني: أنه لم يستطع بعد اكتشافه أنهم ليسوا كذلك، الخروج بفكرة لتحبيد هم دون إظهار عهده على أنه قمعي أكثر من الزوم. لقد بسطت الأمور كثيراً؛ لأنني أردت إظهار النقطة التالية: أن عبد الناصر الجديد، كأبي عهد ثوري آخر، مضطر للمرور بفترة من القمعية الشاملة، ذلك لأن على العهد أن يرسي لنفسه أساساً قمعياً، قبل مجرد التفكير بإرساء أساس بناءه... رحنا نتصور خطط انقلاب ضد عبد الناصر، ووضعنا أنفسنا في مكان مختلف الشخصيات أو المجموعات المعروفة إما بعدائها للنظام الجديد، أو باحتمال صيرورتها منافسة له... علمتنا تلك الفترة العناصر اللازمة لذلك، فوضعنا قائمة مفصلة بالضروريات الأساسية اللازمة^(١)، ويزيد كوبلاندي في توضيح ذلك الدعم والعناية بالعملاء بصورة أكثر، فيقول: (لا بد لي الآن من الإدلاء باعتراف أشد خطورة من اعترافي السابق، هل تعلمون من كان يُعد الكثير من تصريحات عبد الناصر، وسيل الدعاية المعادية للولايات المتحدة المتدفق من إذاعة القاهرة - أقوى وسائل الدعاية في الشرق الأوسط - التي أزعجت الدبلوماسيين المحترفين في وزارة خارجيتنا؟ طبعاً أنتم لا تعلمون أننا كنا نحن نعدّها، ذلك لأننا كنا ندرك مثلنا مثل عبد الناصر نفسه أن قبضة العهد الجديد على البلاد تتوقف على قدرته في الاستمرار بالعداء لأمريكا بشكل مقنع، وأن ليس في مقدور عبد الناصر المخاطرة بمجرد إبداء أي عقلانية في مواقفه حيال سياستنا المختلفة في الشرق الأوسط وحتى لو استطعنا تنويم عبد الناصر مغنطيسياً بحيث يطيع أوامر واشنطن دون تردد، لأحجمنا عن حمله على التصرف تصرفاً نعلم مسبقاً بأنه انتحاري، لذلك ساعدناه في دعايته المعادية لأمريكا... لقد كانت مهمتنا كما ترون خلق قناة اتصال سرية مصرية أمريكية وبعيداً عن البيروقراطية، ومنيعة بوجه أي تأثيرات إفسادية، والإبقاء عليها مفتوحة دون أن يكون لها أي تأثير في ما يمر عبرها)^(٢).

(١) اللاعب واللعبة، ص ١٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٤ - ١٣٥.

نعم إنها رعاية في دقائق الأمور، وفي مختلف الظروف، كأنها أخذٌ بيد أعمى ليُدل الطريق، ويُتأى به عن كل مضيق، يقول كوبلاند عن انقلاب سوريا: (في اليوم الثاني للانقلاب، أمضى الميجر ميد ساعات طويلة مع حسني الزعيم، وهو يحدد له أسماء أولئك الذين يجدر أن يكونوا في مناصب دبلوماسية)^(١)، ويقول أيضاً عن دعم انقلاب الضباط الأحرار: (وضعنا قائمة مفصلة بالضروريات الأساسية اللازمة، أوسع بكثير مما كان في ذهن ستيف ميد عندما رافق حسني الزعيم في مشواره بالسيارة في شوارع دمشق، يدلّه على الأهداف الواجب السيطرة عليها في ليلة تنفيذ الانقلاب)^(٢).

الجانب الثاني: عدم إحراج العملاء، فتمويهاً ومخادعة للشعوب الإسلامية، يَعمد الأعداء في أحيانٍ محدودة، ومجالاتٍ معدودة، إلى إظهار نوع من الاختلاف والتعارض بينهم وبين عملائهم في البلاد الإسلامية، فيُسمح باتخاذ مواقف معارضة للسياسة والأعمال الأجنبية عموماً، والموجهة ضد العالم الإسلامي خصوصاً^(٣)، يقول نيكسون: (علينا في الوقت نفسه أن لا نبالغ في علاقتنا مع الدول التقدمية، حتى لا تكون هذه العلاقة هدفاً للناقدين، ولما كانت ذكريات الاستعمار لا تزال ماثلة في أذهان العالم الإسلامي، فيجب أن لا تصل العلاقة بين أمريكا والدول الشريكة إلى حد الوصاية ويجب ألا تتعامل مع الزعماء في الدول التقدمية كأنهم مراسلون بيننا وبين شعوبهم، بل علينا أن نعاملهم كشركاء متساويين، لأن أسرع طريقة ندفنهم بها هي معاملتهم كأنهم أبواق للدعاية للغرب... علينا أن نتقبل في بعض الأحيان رفض أصدقائنا في العالم الإسلامي لبعض تصرفاتنا التي تسبب لهم حرجاً سياسياً في بلادهم، فعندما أَلقت الولايات المتحدة القنابل على ليبيا انتقاماً منها؛ لمهاجمتها بعض الجنود الأمريكيين، قام كثير من الزعماء في المنطقة بلعننا على الملأ، وبالثناء علينا في سرهم، فيجب ألا يزعجنا أن تضطر الظروف أصدقاءنا أن يتفوهوا ببعض السباب ضدنا إرضاءً لأعدائنا)^(٤).

(١) لعبة الأمم، ص ٧٥.

(٢) مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٤) الفرصة السانحة، ص ١٤٥ - ١٤٦.

عاشراً: الامتيازات .

وجد ويجد الأجنبي رعاية وعناية خاصة على المستويات كافة، سواء كان الأجنبي مسؤولاً رسمياً، أو شخصاً عادياً، يجد من العناية ما يميزه عن أبناء البلد المسلم في الامتيازات والتسهيلات التي يحصل عليها، أو الحماية والحصانة التي يتمتع بها^(١)، الأمر الذي يُمكنه من معرفة دقائق الأمور، وخفايا السطور، والنفوذ إلى المحظور، يقول نيكسون: (علينا أن نتفاوض بصفة غير رسمية؛ لكي نتمكن من استخدام تسهيلات الدول الصديقة فوراً؛ لاستخدام قواتنا ومعداتنا في حالة الضرورة)^(٢). هذه الامتيازات تُمنح للأعداء وفق ظروف معينة، أو نظير تقديم خدمات معينة للبلاد الإسلامية، بل هي متلازمة مع تلك الخدمات، وعند زوال مسبباتها، أو الاستغناء عن الخدمات التي يقدمونها، تبقى الامتيازات قائمة، ويخضع التنازل عنها من قبل الأعداء إلى المساومة، يقول عبد الرحمن الرافعي: (كانت الامتيازات الأجنبية أغللاً في عنق مصر، تهدد سيادتها وسلطانها في التشريع والقضاء والمالية والإدارة والأمن العام)^(٣)، فمثلاً عندما أرادت مصر في عام [١٩٣٦ م] إلغاء الامتيازات الممنوحة لإنجلترا، وضع الإنجليز شروطاً متعددة؛ للموافقة على إلغاء تلك الامتيازات، منها أن تكون التشريعات التي تصدرها الحكومة المصرية متفقة مع التشريعات الحديثة، دون الرجوع إلى الشرع الإسلامي، وهذا ما تمت الموافقة عليه من قبل الحكومة المصرية^(٤). وفي الصومال أثمرت الامتيازات الممنوحة للاتحاد السوفييتي، عن وجود قواعد عسكرية كبيرة في الصومال لصالح السوفييت، ومنح السفن السوفييتية تسهيلات كبيرة في عدد كبير من الموانئ الصومالية^(٥).

هذه الامتيازات بوجه عام تسهيلات لا تظهر آثارها إلا بعد فترة قد تطول، ولنا في الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأجنبية مثل وعبرة، حيث كان لها

(١) انظر عبد الرحمن الرافعي، في أعقاب الثورة المصرية، الطبعة الأولى، ص ٣٧؛ وانظر خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ١٣.

(٢) مرجع سابق، ص ١٥١.

(٣) مرجع سابق.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٣١ - ٣٣.

(٥) انظر الشيخ أحمد، الصومال، ص ٢٧ - ٢٨.

أثر كبير، ودور بارز في إسقاط الخلافة العثمانية^(١).

أحد عشر: الأنشطة الاقتصادية.

من خلال عمل الشركات الأجنبية على السيطرة على المشاريع الإنشائية والاستثمارية في البلاد الإسلامية، فإذا سيطرت، قامت بالمساومة، وإملاء ما يحق لها غايات معينة، يقول كوبلاند: (رتبنا في البلدان المستهدفة مصالح صناعية وتجارية، أفنعناها بتنظيم وسائل غير علنية للضغط على حكوماتها، ووفرننا التدريب اللازم لموظفي فروع العلاقات العامة فيها على غرار ما تفعله عندنا لجان العمل السياسية، التابعة لحكومات بلدان أجنبية مثل: إسرائيل، واليونان، وبريطانيا وغيرها - يعني بذلك مثلاً: اللوبي الصهيوني داخل الإدارة الأمريكية -، مع بعض التعديلات؛ لتلائم مع الأوضاع المحلية في تلك البلدان)^(٢).

ثاني عشر: المساعدات.

تتخذ القوى الكبرى من المساعدات العسكرية، والأمنية، والاقتصادية، والمالية، والفنية المختلفة وسيلة لسط نفوذها، فهي تقدم المساعدات من خلال سياسة تُسهم في دعم نفوذهم، وإبقاء البلاد الممنوحة داخل دائرة نفوذهم السياسي، كأفضل إحدى الوسائل لحماية مصالحهم^(٣)، يقول كوبلاند: (الحقيقة الكامنة وراء كل هذه المساعدات، هي: تحقيق مصالحنا بالدرجة الأولى، وهذا ما نأخذه دوماً بعين الاعتبار عند تخطيط استراتيجيتنا في أبراج وزارة الخارجية في واشنطن، إن أية مغنم يحققها الطرف الآخر، سواء أكانت خيالاً أم واقعاً، لن تكون مقصودة أبداً)^(٤)، يقول نيكسون: (إننا في حاجة إلى أن نتعلم خدمة أهدافنا الاستراتيجية بواسطة مساعداتنا الخارجية، إن دعمنا السياسي والاقتصادي للأنظمة الديمقراطية في أمريكا الوسطى، وباكستان، يُعد أمثلة ممتازة لمدى ما يمكننا أن نحققه من

(١) انظر السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، الطبعة الخامسة، ص ٧٠؛ وانظر حسون، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) اللاعب، ص ١٤٥.

(٣) انظر فوش، المساعدات الخارجية، ص ٦٥ - ٢١٩؛ وانظر نيكسون، الفرصة السانحة، ص ٢٧، ٣٣، ٥٣؛ وانظر نصر بلا حرب، ص ١١٨ - ١٢٠، ١٢٤، ٣٠٩ - ٣١٠؛ وانظر ألنشتاين، الصراع، ص ١٢٣، ٣٨٨، ٤٨١.

(٤) لعبة الأمم، ص ٥٥.

نجاح... لقد أنفقنا في عام [١٩٨٦ م - الموافق ١٤٠٦/٤/١٤٠٧ هـ-]، [٤٣٥] مليون دولار مساعدات للسلفادور، و [٦٢٨] مليون دولار لباكستان، ويقل هذا كثيراً عما كنا سنحتاج إلى إنفاقه لو أدى انهيار الموقف إلى إجبارنا على استخدام قوات أمريكية للدفاع عن مصالحننا في أمريكا الوسطى، وجنوب غرب آسيا، وتقل كثيراً عن تكلفتنا بخسارة هذه المصالح... لذلك يجب أن نزيد بقدر كبير المبالغ التي نستثمرها في المساعدات الخارجية الاستراتيجية، وأن نحث حلفائنا على زيادة برامج مساعداتهم أيضاً، ولكننا ينبغي لنا توجيه أهداف مساعداتنا؛ لتحقيق أغراض استراتيجية. ينبغي أن لا نهدر أموالنا ببساطة على المشاريع التي تحقق مصالح للأتصار والمحاسب^(١).

هذه المساعدات توجه إلى الحكومات والقادة، والمؤسسات السياسية، والفكرية، والإعلامية، على مستوى الجهات، والأفراد^(٢)؛ لتحقيق غاية واحدة، على مستويات متفاوتة.

ثالث عشر: إثارة الفتن والقتال.

تحاك التدابير، وتدبر المؤامرات، وتزرع بذور الفتن التي تضمن للأعداء النفاذ داخل أرجاء العالم الإسلامي، بطلب من المسلمين أنفسهم؛ لذلك عمل ويعمل الأعداء على الإيقاع بين الشعوب الإسلامية من جهة، وحكامها من جهة أخرى، من خلال افتعال قضايا ومشاكل تصعد وتغذي حتى توجد فجوة، ينفث من خلالها الأعداء سمومهم، ويصلون بها إلى طموحهم، يقول كوبلاند عن قادة العالم العربي في عام [١٣٦٦ - ١٣٦٧ هـ]: (إصرار حكامهم يومها على رفضهم النظر في الأمور من خلال هذا المنظار: (المنظار الأمريكي)، كان قد اعتبر مبرراً كافياً للإطاحة بهم، أو على الأقل تحريك شعوبهم، وحثها على الإطاحة بهم)^(٣)، ويقول نيكسون: (على أمريكا أن تضطلع بسياسة عزل واحتواء لكل من العراق وإيران، وهذه سياسة تتأتى من خلال إثارة مشاكل للبلدين في الداخل لكف أيديهما عن خلق المشاكل في الخارج)^(٤)، وعلى هذا المنهج يتم الإيقاع أيضاً بين الحكومات الإسلامية، يقول

(١) نصر بلا حرب، ص ١١٩.

(٢) انظر كوبلاند، اللاعب واللعبة، ص ١٤٧.

(٣) انظر لعبة الأمم، ص ٦٦.

(٤) ما وراء السلام، ص ١٥٢.

كوبلاند معلقاً على السياسة التي اتبعتها الإدارة الأمريكية مع الحكومة السعودية والمصرية: (نجحت لعبة الإيقاع بين المصريين والسعوديين، وتبعتها لعبة أخرى للإيقاع بين الأردنيين والمصريين)^(١).

كل ذلك لأجل إثارة الشقاق الذي يوسع دائرة الخلاف والتباعد، ويحيي الفتن التي تضمن اللجوء إليهم والارتقاء في فلكنهم؛ لذلك فهم على استعداد تام للتخطيط لمشاكل تشل الأمة، وتوقف حركتها، يقول كوبلاند: (علينا أن نخلق شيئاً أشد هولاً وتهديداً من دولة عبرية)^(٢).

كما يتم إحياء المشكلات الثانوية عند الحاجة إليها؛ لجذب الاهتمام، وصرف الأنظار عن التركيز على قضية أساسية، أو أمر جوهري، قول أُلنشتاين: (قام الكيان الإسرائيلي بعدة اعتداءات على الحدود مع مصر؛ لخلق التوترات، والجو المناسب؛ للقيام باعتداءاتها الواسعة كما كانت تفعل في كل مرة)^(٣).

رابع عشر: الانقلابات العسكرية.

لعب الأعداء دوراً بارزاً، وعاملاً مؤثراً في أغلب الانقلابات العسكرية التي شهدتها عالمنا الإسلامي والتي غالباً ما تتم لتغيير الوجهة السياسية للبلد المسلم، ففي عام [١٣٦٦ - ١٣٦٧ هـ]، أدرك الساسة الأمريكيون أن الوضع السياسي في سوريا يسير على غير ما يريدون، وأيقنوا بأن الوضع يتجه وجهة تتعارض مع توجهاتهم. عندها عملوا على التخطيط والإعداد والإشراف على انقلاب عسكري يصل من خلاله حكام يدينون بالولاء المطلق لأمريكا^(٤)، يقول كوبلاند متحدثاً عن تلك الأحداث: (كان انقلاب حسني الزعيم يوم... - الموافق [١/٦/١٣٦٨ هـ] -، من إعدادنا وتخطيطنا. فقد قام فريق العمل السياسي بإدارة الميجر ميد بإنشاء علاقات صداقة منتظمة مع حسني الزعيم الذي كان رئيساً لأركان الجيش السوري. ومن خلال هذه الصداقة أوحى الميجر ميد لحسني الزعيم بفكرة القيام بانقلاب عسكري اضطلعنا - نحن في السفارة - بمهمة وضع كامل خطته، وإثبات كافة التفصيلات المعقدة)^(٥)،

(١) المرجع السابق، ص ٢٨١؛ وانظر ص ٢٨٠.

(٢) اللاعب واللعبة، ص ١٢٠.

(٣) الصراع، ص ٢١٧.

(٤) انظر كوبلاند، لعبة الأمم، ص ٧٢ - ٧٦؛ وانظر اللاعب واللعبة، ص ٧٥ - ٩٠.

(٥) لعبة الأمم، ص ٧٣.

والتي يصفها كوبلاند بقوله: (على مدى عقدين من الزمن، اعتمدت وكالة الاستخبارات المركزية تدرّيس خطة حسني، التي نُفِّذت بدقة، كدقة الساعة)^(١). وعندما لم تُحقّق تلك المخططات في سوريا ما تأمّله الساسة الأمريكيون، انتقلت المحاولة إلى موقع آخر، ففي مصر تم الترتيب والتخطيط لانقلاب عسكري وفق مخطط أمريكي، تمت مناقشته مع المنفّذين، ونفذ بإشراف ومتابعة أمريكية^(٢)، حيث كانت البداية مع الملك فاروق كما يقول كوبلاند: (رحل كيرميت روزفلت في شباط فبراير [١٩٥٢ م - الموافق ٥ - ٦ / ١٣٧١ هـ -] إلى مصر، كي يشرف على تنفيذ المخطط الأول عن كثب، وكانت بعثته أول من حاول تنظيم ثورة سلمية في مصر، تحت قيادة الملك فاروق نفسه، يصفّي فيها النظام القديم، ويشرف على إبداله بنظام جديد، مطوقاً بذلك محاولات الثورة المتكررة ضده، والتي كانت وكالة المخابرات المركزية على صلة بها قبل أكثر من ستين وكان روزفلت مفوضاً بأن ينتقل إلى المخطط الثاني إذا واجهته صعاب في إخراج المخطط الأول إلى حيز الوجود، ولم يكن المخطط الثاني يعنى سوى البحث عن زعيم من النوع الثاني، وهو: «مجنون السلطة»، أو زعيم من النوع الأول: (الواجّهة)^(٣). ولمّا لم يجد الأمريكيون في الملك فاروق ما يرضي طموحاتهم، وينفذ بدقة توجهاتهم، عملوا مع الضباط الأحرار لقاءات سرية^(٤)، تعرفوا خلالها على طموحات الضباط المتمثلة في الانتقام من كبار ضباطهم، ورؤساء الدول العربية، ومن ثم إسرائيل كأخر اهتماماتهم^(٥)، وأثمرت اللقاءات عن اتفاق صريح ينص على نقاط متعددة، ومتفقة مع التوجه المراد والمطلوب للسياسة الأمريكية^(٦)، يقول كوبلاند عن إطارها العام: (بدأ كيم روزفلت وجمال عبد الناصر بعقد سلسلة من الاجتماعات اعتبرت فيما بعد، نماذج لتلك التي تسبق العمليات السياسية من صنف

(١) اللاعب واللعبة، ص ٨٤.

(٢) انظر كوبلاند، لعبة الأمم، ص ٨٤ - ١١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٤.

(٤) انظر كوبلاند، المرجع السابق، ص ٨٦؛ وانظر اللاعب واللعبة، ص ١٢٣ - ١٢٤؛ وانظر جمعة، الله أو الدمار، ص ١٠٤.

(٥) انظر كوبلاند، المراجع السابقة، ص ٨٩؛ ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٦) انظر المراجع السابقة، ص ٨٧ - ٨٨، ٩٢؛ ص ١٢٤ - ١٢٧؛ وانظر جمعة، مرجع سابق،

ص ١٠٤.

الانقلابات)^(١)، وتوجت تلك الجهود بنجاح الانقلاب كما خُطِّط له، يقول كوبلاند: (وقع الانقلاب في الساعة الثالثة ليلاً، وفي ساعة متأخرة من صباح ذلك اليوم، أرسل عبد الناصر السيد علي صبري للاجتماع رسمياً بالسفير كافري - السفير الأمريكي في القاهرة - وتقديم تقرير شامل له عن وقائع وأحداث ليلة الانقلاب، إلى جانب تأكيد الحكومة الجديدة عن عزمها على إقامة علاقات وطيدة مع الولايات المتحدة)^(٢).

خامس عشر: تمزيق الأمة الإسلامية.

عمل الأعداء على تمزيق الأمة وتشتيتها؛ لتسهيل السيطرة عليها، ولتبقى دائماً في حاجة ماسة لهم. فبعد تقسيم العالم الإسلامي سياسياً إلى دويلات متعددة، تتداخل في مصالحها وروابطها، وتتباين في أنظمتها وتوجهاتها السياسية، عملوا على ترسيخ هذا التقسيم، من خلال استغلال الروح القومية التي تهيج في بعض البلاد الإسلامية بين الحين والآخر للوقوف ضد أي محاولة للوحدة الإسلامية، ولإيجاد حالة من عدم الاستقرار السياسي^(٣)، يقول لورنس براون: (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)^(٤)، ولنفس الغاية عملوا على وضع الترتيبات السياسية التي تضمن استمرار الوضع المشتت، فاقترحوا ودعموا إنشاء جامعة عربية؛ لتقسيم المسلمين إلى مسلم عربي، ومسلم غير عربي، وعملوا على تحجيم دور تلك الجامعة؛ لتبقى اسماً بلا فاعلية^(٥).

سادس عشر: تهوين ما أصاب المسلمين.

يُظهر الأعداء في أقوالهم وأفعالهم، بأن الحالة التي يعيشها العالم الإسلامي طبيعية جداً. فإن نظروا إلى الواقع عموماً، والسياسي خصوصاً، صوروه بأنه وضع

(١) اللاعب واللعبة، ص ١٢٤.

(٢) لعبة الأمم، ص ٩٥.

(٣) انظر ألنشتاين، الصراع، ص ١٢٢.

(٤) خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٣٧.

(٥) انظر حسني خشبة، «اليوم الثاني من مؤتمر تحديات السلام، إسرائيل تطرح تصورها لمستقبل الجامعة العربية»، جريدة الشرق الأوسط، ١١/٨/١٤١٥ هـ، العدد ٥٨٨٩، ص ١، ٤.

طبيعي، وأن التوجهات المُبَيَّنَّة لتصحيح الواقع تسير في الطريق الصحيح. وإن نظروا في مشكلة صورها بأنها خارج قدرات العالم الإسلامي، وأنه لا يستطيع أن يتجاوزها بقدراته التي تفرض عليه التعامل معها كواقع، يقول أحد محرري صحيفة البرافدا الروسية، مخاطباً العرب في ندوة سياسية: (أنا أفهم الزعماء العرب عندما يمتنون شعوبهم بالجيوش والحشود، ولكن الحقيقة أنهم لا يريدون الحرب... لذا لا يبقى أمامكم في الوقت الحاضر إلا الحل السلمي، فقد يكون مثمراً ومفيداً؛ لأننا حريصون على سمعتكم!)^(١).

سابع عشر: التحالف.

ارتبطت أغلب البلاد الإسلامية بأحلاف جماعية مختلفة، ومعاهدات ثنائية متعددة مع دول كافرة بوساطة هذه الأحلاف والمعاهدات، تغلغل الأعداء داخل البلاد الإسلامية، وعملوا على ترسيخ نفوذهم على مختلف المستويات، وفي المجالات كافة^(٢).

تلك هي أبرز وسائل الأعداء وأساليبهم في بسط نفوذهم، بينها تنسيق مسبق، وفيها تنظيم محكم وترتبط بتداخل وتفاعل يزيدان قوة وأثراً، مما يجعلها ضربات متتالية، لأعضاء حساسة، فتخدر الأمة إن لم تقتلها، وتهيئها إن لم ترعبها، وفي كل ذلك إعاقة للجهاد.

الفرع الثاني

الغاية من بسط النفوذ

المتأمل لوسائل الأعداء وأساليبهم في بسط نفوذهم، لا يتردد في الحكم بأن بسط النفوذ نوع من الاستعمار، وكيف لا يكون استعماراً وهو يحقق لهم آمالاً متعددة تتمثل في:

(١) الله أو الدمار، ص ١١٤.

(٢) انظر ألنشثاني، مرجع سابق، ص ٣٩٢؛ وانظر «ديميريل يؤيد قيام حلف عسكري شرق أوسطي، يضم تركيا، إسرائيل، مصر، الأردن»، جريدة الرياض، ص ١٤١٦/١٠/٢٩ هـ، العدد ١٠١٢٩، ص ٣٦.

أولاً: السيطرة القيادية .

يرى الأعداء في القيادة الإسلامية قوة فاعلة، وطاقة نافذة في قوى العالم الإسلامي، تنقله من المواقع الخلفية إلى المواقع القيادية على مستوى العالم، يقول مونتمجري وات: (إذا وُجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى)^(١)؛ لذلك أقلقهم شأن القيادة في العالم الإسلامي، يقول ابن غوريون: (أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد)^(٢)؛ لذلك عملوا على إبعاد القادة ذوي التوجهات الإسلامية، وجعلوا من ذلك مطلباً حيوياً، وغاية ضرورية؛ تسهم في تنفيذ مخططاتهم وتحقيق غاياتهم، جاء في البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون: (لا يتم وضع المخطط وضماً كاملاً محكماً إلى آخر مداه، إلا على يد حاكم مستبد قاهر، يقوم على ذلك حتى النهاية)^(٣).

وهذا ما عمل ويعمل لأجله الأعداء، يقول كوبلاندر: (كل ما نطمح إليه لا يتعدى العثور على لاعب ملائم وماهر، يشاركنا الجلوس إلى طاولة لعبة الأمم، ويؤدي دوره بكل انسجام وهدوء)^(٤).

ثانياً: رعاية المصالح .

مصالح الأعداء دائرة تدور حولها سياستهم بشكل عام. مفهومها تحدده مقاييسهم الخاصة. ومجالاتها تتسع لمجالات كثيرة، سياسية، واقتصادية، وعسكرية، واستراتيجية، وغيرها. وأهميتها تدور بين أهمية حيوية، وأهمية حرجية، وأهمية نائية^(٥)، يقول نيكسون: (أول واجب علينا أن نفعله، هو أن نفرّق بين مصالحنا الحيوية، ومصالحنا الحساسة، ومصالحنا الهامشية، ولا توجد دولة في العالم تستطيع أن تدافع عن جميع هذه المصالح بقوة السلاح طوال الوقت. . . تكون

(١) . . . (لندن، جريدة التايمز، مارس/١٩٦٨ م) . . . القرضاوي، الحلول المستوردة، ص ٩.

(٢) جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، ص ٥٩.

(٣) عجاج نويهض، ص ١٨٥.

(٤) لعبة الأمم، ص ١١٠.

(٥) انظر نيكسون، نصر بلا حرب، ص ١٢٧ - ١٢٩.

المصلحة حيوية إذا كان فقدانها يهدد أمن الولايات المتحدة، فاستمرار استقلال . . . دول الخليج مسألة حيوية لأمن بلادنا وكذلك لدينا مصلحة حيوية في أن لا تحصل الدول المتخلفة على السلاح الذري . . . والمصلحة الحساسة هي التي تشكل تهديداً لإحدى النقاط الحيوية . . . أما المصالح الهامشية فهي الأمور التي لو سيطرت عليها قوى معادية، فإنها تشكل تهديداً غير قريب لمصلحة حيوية، أو مصلحة حساسة^(١).

هذا المفهوم للمصلحة، يحدد شكل السياسة التي يتبناها الأعداء^(٢)، يقول كوبلاندا: (إن الكشف عن نياتنا صراحة، وعدم الدخول في معاهدات لا نزمع على الالتزام بها، يجب أن لا يعني سوى حقيقة واحدة، وهي: أننا لم نعثر على أية مصلحة لنا في اتباع مثل هذا السلوك، وبالمقابل فإننا سنبدل المستحيل لكتم نياتنا الحقيقية، أو للتحايل على نصوص أية معاهدات وقعناها سابقاً، إذا ما لمسنا أن ذلك يحقق لنا مآربنا، ويوصلنا إلى غاياتنا)^(٣)، تلك الغايات التي يسلكون لها الطريق مهما كان مرهقاً، ويتجاوزون الصعاب مهما كانت قاتلة، يقول نيكسون: (إن استراتيجيتنا الشاملة يجب أن تحدد ما سوف نفعله لحماية مصلحة ذات أهمية استراتيجية، فلا ينبغي لنا أن نرسل مشاة البحرية للدفاع عن مصلحة خارجية نائية. ولكننا يجب ألا نحجم عن فعل ذلك للدفاع عن مصلحة حيوية. يجب أن يكون مستوى التزامنا معادلاً لأهمية مصالحنا في أي منطقة)^(٤). نعم فالمصلحة تمثل المبدأ الذي ينطلق منه الأعداء في تعاملهم مع الحكومات الإسلامية، تلك الصخرة التي تتحطم عليها جميع المبادئ الأخلاقية التي يُظهرونها في تعاملهم^(٥)، فمثلاً عندما حاول عبد الناصر الاستقلال السياسي عن الغرب، عملوا على القضاء عليه، فوضعوا المخططات العسكرية للاعتداء، وأعدوا بدلاء ينفذون الرغبات ويحرسوها، وجعلوا من تأميم قناة السويس مدخلاً، فكان العدوان الثلاثي مُعبراً^(٦)، يقول ألنشتاين: (وجدت قوى الاستعمار والإمبريالية أن الفرصة سانحة للانتقام من عبد الناصر، والقضاء عليه، إذ استطاع تحريك الجماهير العربية، كما أصبح يمثل رمزاً

(١) الفرصة السانحة، ص ٢٦.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) لعبة الأمم، ص ٤٩.

(٤) نصر بلا حرب، ص ١٢٨.

(٥) انظر كوبلاندا، لعبة الأمم، ص ٤٨ - ٤٩.

(٦) انظر ألنشتاين، الصراع، ص ٢١٧ - ٢٢٢.

لوحدها وتطلعاتها القومية. وأنه أصبح يهدد مصالح تلك القوى. فأرسل أنطوني إيدن برقية إلى إيزنهاور يقترح عليه المبادرة بعمل عسكري مشترك ضد عبد الناصر، الذي تجرأ على المساس بالمصالح الاستعمارية^(١).

ثالثاً: تنفيذ التوجهات السياسية.

يعمل الأعداء على تحقيق غايات سياسية معينة في منطقة ما^(٢)، فيكون أقرب الطرق لتنفيذها، تلك المعابر السالكة التي يعبر من خلالها الأعداء لتحقيق أغراضهم، يقول كوبلاند: (الهدف الرئيسي من دعمنا لعبد الناصر هو رغبتنا في توفير زعيم في بلد عربي رئيسي، يتمتع بنفوذ قوي على شعبه، وعلى بقية العرب، وله من القوة ما يمكنه أن يتخذ ما شاء من القرارات الخطيرة، وغير المقبولة عند الغوغاء - مثل عقد صلح مع إسرائيل)^(٣).

رابعاً: القضاء على التوجهات الإسلامية.

من خلال النفوذ القوي داخل البلاد الإسلامية يعمل الأعداء على وأد التوجهات الإسلامية في مهدها^(٤)، ويمعنون في ذلك، فيعملون على إبعاد إثارة الشعور الديني لدى الشعوب الإسلامية في مختلف المجالات، وخصوصاً التحركات السياسية، والعسكرية، إدراكاً من الأعداء لمفعول الشعور الديني على المسلمين، يقول كوبلاند: (فكرة تحريك الشعور الديني للوقوف في وجه المد الشيوعي... غير مضمونة النتائج، فأى بعث لأمثال هذه الأفكار والمشاعر، لا يعني سوى الكشف عن سلاح ذي حدين، يقف في وجه المد الشيوعي، والمصالح الغربية في آن واحد،

(١) المرجع السابق، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) انظر «السفير الأمريكي أكد أنها لا تسعى إلى تغيير حكم البشير، واشنطن تريد تغييراً في سياسات الخرطوم»، جريدة الحياة، ١٢/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١٢١٠٨، ص ٧.

(٣) لعبة الأمم، ص ١١٣؛ وانظر الله أو الدمار، ص ١٠٤.

(٤) انظر «الترايبي يدخل السجن بعد مغادرة بوش السودان»، مجلة المجتمع العدد ٧٠٩ (٢٧/٦/١٤٠٥ هـ): ص ٣٣ - ٣٥؛ وانظر «السودان: السلطات السودانية تنقل المعتقلين إلى الخرطوم ما عدا الترايبي»، المرجع نفسه العدد ٧١٠ (٥/٧/١٤٠٥ هـ): ص ٢٦ - ٢٧؛ وانظر «فيما يباشر أربكان اليوم مهمة تشكيل الحكومة، ضغوط أمريكية أوربية إسرائيلية على تركيا؛ لتقليم أظافر الإسلاميين»، جريدة المدينة المنورة، ٢٤/١/١٤١٧ هـ، العدد ١٢١١٤، ص ١.

وهذا ما دفعنا بعد سنوات إلى تطويق دعوة الملك فيصل لبعث الشعور الديني^(١).

لكنهم لا يمانعون في استخدام بعض الشعارات الإسلامية في حدود معينة، ووفق ضوابط لا تفقد السيطرّة على نتائج تلك الشعارات التي يجب أن لا تتجاوز أن تكون شعارات جوفاء، تعرض في أساليب مأكرة، بحيث تعمل على تهدئة الحماس تجاه القضية المعالّجة، وامتصاص المشاعر والطاقات المتفجرة تجاهها، وتعمل بتدرج على تمييع القضية، من خلال عدم الجدوية العملية في معالجتها.

ولأن أمريكا كانت تخشى أن يكون هناك مفعول ثوري للقوى الإسلامية في مصر^(٢)، كان الاتفاق على القضاء على حركة الإخوان المسلمين أحد أبرز النقاط الجوهرية في اتفاق الضباط الأحرار والمنظرين الأمريكيين^(٣)، وكان الاتفاق على درجة من الدقة التي جعلت روزفلت يقول: (لم تعد الثورة الشعبية التي كان يسعى إليها كل من الإخوان المسلمين والشيوعيين - وتخشاها وزارة الخارجية الأمريكية - واردة في الحساب)^(٤).

خامساً: تمزيق الأمة.

القضاء على الوحدة الإسلامية أحد أبرز الغايات التي يسعى لأجلها الأعداء، إدراكاً منهم بأن الوحدة الإسلامية قوة لا تجاريها قوى العالم مجتمعة؛ لذلك عملوا على تشتيت الأمة، ففرقوا المسلمين إلى دويلات متعددة، يقول لورنس براون: (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)^(٥). وعملوا على التفريق بين الشعوب الإسلامية وقادتها، يقول المستشرق الأمريكي سميث: (إذا أُعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام ينتصر فيه هذه البلاد، وبالذكتاتوريات وحدها، يمكن الحيلولة بين الشعوب ودينها)^(٦).

(١) لعبة الأمم، ص ٨١.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٨٧.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٨٧، ٩٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٩٢.

(٥) خالد، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ٣٧.

(٦) جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، ص ٥٧.

سادساً: فرض التبعية المطلقة.

تلك التبعية التي تعني إخضاع القرار الداخلي، وجعله متفقاً مع المصالح الأجنبية في جميع المجالات، مما يعني وجود تفاعل وتحالف بين أصحاب القرار الداخلي، والمؤثرات الخارجية^(١). هذه التبعية يعمل الأعداء على فرضها على الأمة الإسلامية فرضية مطلقة^(٢)، وهذا ما تُجلبه عدة دلالات ومؤشرات^(٣) منها: التبعية السياسية في المحافل الدولية عند التصويت على اتخاذ قرار، أو إبداء رأي بحيث تتبع الدولة الإسلامية إحدى الدول الأجنبية، دون أن يكون للدولة الإسلامية رأي مستقل، أو حتى وجهة نظر مؤثرة، فضلاً عن أن يكون لها رأي معارض لرأي الدولة المتبوعة. ومنها أيضاً تطبيق الأفكار والتوجهات السياسية للدولة المتبوعة على أفراد ومؤسسات الدولة التابعة، ويدخل في ذلك تضيق دائرة الموضوعات التي تناقش ويتخذ فيها القرار عن رأي الجماعة، وكذا تقييد حركة العمل والحرية السياسية، والقمع السياسي للمناوئين. ومنها أيضاً الاعتماد الكلي على الأعداء، في التخطيط والتوجيه السياسي، والسير وفق الخطى التي يحكمها الأعداء. ومنها أيضاً الدخول في تحالفات سياسية وعسكرية مع الأعداء، تجعل البلد التابع مجرد أداة تنفيذية لما يمليه الأعداء.

(١) انظر إبراهيم العيسوي، قياس التبعية في الوطن العربي، ص ٦١.

(٢) انظر الشاوي، الشرق الأوسط، ص ١٥٤.

(٣) انظر إبراهيم العيسوي، مرجع سابق، ص ٢١٩ - ٢٢١.

لمطلب الثالث

التقويم

رسالة الإسلام رسالة عالمية، لا يحدها مكان، ولا يضيقها زمان، ولا يحتكرها إنسان؛ لذلك فهي تفرض على المجتمع الإسلامي أن يكون بابه مفتوحاً لمن أراد أن يستظل بظل الإسلام وإن بقي على ملته، من هنا نظم الإسلام التعامل مع غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي في حدود محددة وضوابط مبينة، أشير لها بإيجاز في الفروع التالية:

الفرع الأول

أقسام الكفر داخل المجتمع الإسلامي

قسّم الإسلام غير المسلمين داخل البلاد الإسلامية إلى صنفين^(١):

الصنف الأول: ذميون.

والذمّة: عقد عهد وكفالة لغير المسلم، يوجب له حق الإقامة الدائمة في دار الإسلام^(٢)، وهي مشروعة في الكتاب، قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٣)، وفي السنة، حيث كان ﷺ يوصي أمراء جيوشه وسراياه بقوله: ((... إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ

(١) انظر إحسان الهندي، أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، الطبعة الأولى، ص ١١ -

٢٤.

(٢) انظر الشافعي، الأم، ج ٤ ص ٢٤١ - ٢٥٧؛ وانظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ٢٩٧.

(٣) سورة التوبة، الآية ٢٩.

إلى ثلاث خصالٍ (أو خلالٍ)، فَأَيُّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلَ مِنْهُم، وَكُفَّتْ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ... فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَسَلِّهُمُ الْجَزِيَّةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ وَكُفَّتْ عَنْهُمْ...»^(١)، كما أجمع على مشروعيتها علماء الإسلام^(٢)؛ على أن تكون وسيلة إلى إسلام الذمي^(٣)، يقول الكاساني رحمه الله تعالى: (قبول الجزية لا لرغبة فيما يؤخذ منهم، أو طمع في ذلك، بل للدعوة إلى الإسلام؛ ليخالطوا المسلمين، فيتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه، وينظروا فيها، فيروها مؤسسة على ما تحتمله العقول وتقبله، فيدعوهم ذلك إلى الإسلام، فيرغبون فيه، فكان عقد الذمة لرجاء الإسلام)^(٤).

وأهل الذمة هم: أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن غير أهل الكتاب المجوس، باتفاق علماء الإسلام، واختلفوا في مشركي العرب، ومن دان بغير الإسلام من غير أهل الكتاب والمجوس^(٥).

يقول ابن عبد البر: (تقبل الجزية عند مالك: من كل كافر كتابي، ومجوسي، ووثني، وغيرهم من أصناف أهل الكفر عرباً وعجماً، إلا المرتدين)^(٦).

وبموجب عقد الذمة، يتمتع أهلها داخل البلد الإسلامي بحقوق^(٧) من أبرزها:

أ: الذب عنهم، حفاظاً على أموالهم، ودمائهم، وأعراضهم، يقول ﷺ: ((من

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ٢.

(٢) انظر ابن قدامة المغني، ج ٨ ص ٤٩٦؛ وانظر شرح الزركشي، ج ٦ ص ٥٦٦.

(٣) انظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١١٣؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٦ ص ٢٩٩.

(٤) المصدر السابق، ص ١١١.

(٥) انظر أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، موسوعة الخراج، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر)، ص ١٢٢، ١٢٨ - ١٣١؛ وانظر الشافعي، الأم، ج ٤ ص ٢٤٥ - ٢٤٧، ٣٤١ - ٣٤٣؛ وانظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ٢٨٤ - ٢٩٥؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ١٥٣ - ١٥٤؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٣٦٢ - ٣٦٣، ٤٩٦ - ٥٠١؛ ٥١٣ - ٥١٦.

(٦) ابن عبد البر، الكافي، ص ٢١٧.

(٧) انظر أبا يوسف، مصدر سابق، ص ١٢٤ - ١٢٦؛ وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٤٣؛ وانظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٣٢٧؛ وانظر يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، الطبعة الثانية، ص ٩ - ٢٢.

قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(١)، ويقول علي بن أبي طالب: (إنما قبلوا عقد الذمة؛ لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا)^(٢).

ب: حرية التصرف في أموالهم بينهم، بيعاً وشراءً، وفق معتقداتهم.

ج: حرية التدين، وممارسة شعائرهم الدينية وفق الضوابط الشرعية التي فصلها فقهاء الإسلام، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾^(٣).

د: العدل في المعاملة، فلا ظلم، ولا تكليف فوق الطاقة، ولا يُفرض عليهم إلا ما وجب شرعاً.

وللمسلمين على أهل الذمة حقوق^(٤) من أبرزها:

أ: الالتزام بالجزية كحق محدد ومعلوم مرة واحدة في آخر كل حول، على الرجال البالغين الأحرار الأصحاء القادرين على الكسب والقتال، يقول ابن عبد البر: (لا تؤخذ الجزية إلا من كافر حر بالغ ذكر قوي على الاكتساب، ولا جزية على النساء، ولا على الصبيان، ولا على المجانين المغلوبين على عقولهم، ولا على الرهبان أهل الصوامع، ولا على شيخ فان، ولا على فقير، ولا يكلف الأغنياء الأداء عن الفقراء)^(٥).

ب: جريان أحكام المسلمين عليهم في العقود والمعاملات والغرامات، وإقامة الحدود، حكماً وتحاكماً، أما الحكم بينهم فلهم التحاكم أو الإعراض، قال تعالى:

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ٥.

(٢) الكاساني، مصدر سابق، ص ١١١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤) انظر الشافعي، مصدر سابق، ص ٢٤٣ - ٢٥١؛ وانظر أبا يوسف، مصدر سابق، ص ١٢٢ - ١٢٨، ١٣٨ - ١٤٩؛ وانظر الماوردي، مصدر سابق، ص ١٤٤ - ١٤٦؛ وانظر ابن رشد، بداية المجتهد، ج ١ ص ٤٦٩؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ص ٤٩٥، ٥٠٤ - ٥١٤، ٥١٨، ٥٢٥ - ٥٣٦؛ وانظر النسفي، كنز الدقائق، ص ٢١١؛ وانظر شرح الزركشي، ج ٦ ص ٥٦٦، ٥٦٨، ٥٧٢ - ٥٨٠، ٥٨٦؛ وانظر يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص ٣١ - ٤٢.

(٥) ابن عبد البر، المصدر السابق، ص ٢١٧.

﴿... فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ...﴾^(١)، يقول الشافعي رحمه الله تعالى: (سمعت عدداً من أهل العلم يقولون: الصغار أن يجري عليهم حكم الإسلام)^(٢).

ج: عدم الإضرار بالمسلمين جماعة وأفراداً، كالزنا بمسلمة، أو إصابتها باسم نكاح، أو فتن مسلم عن دينه، أو قطع الطريق على المسلمين، أو قتل مسلم، أو التعاون مع أعداء المسلمين، كإيواء جاسوس، أو الإدلال على عورة إسلامية، أو معاونة محارب للمسلمين، أو مكاتبته للاعتداء على المسلمين.

د: تجنب ما فيه غضاضة للإسلام، وإغاضة للمسلمين، كما في ذكر الله سبحانه وتعالى بسوء، أو التعرض للقرآن الكريم، أو الإسلام، أو رسول الله ﷺ بما ينقص من حقهم بالطعن فيهم، استهزاءً أو سخرية، أو سباً وشتماً، أو تنقيصاً وتحقيراً، أو تحريفاً وتشويهاً.

هـ: عدم إظهار ما قد يكون مدعاة لإظهار المنكر، كما في أي نوع من أنواع الاستعلاء الذي يُظهر عزة الكفر وأهله على الإسلام وأهله، وكما في إحداث المعابد، أو تجديدها وإصلاحها، وكما في سكنى الحجاز، أو الدخول في الحرمين الشريفين، كما يمنعون من المجاهرة بشعائرهم المختلفة وممارساتهم الكافرة.

و: التمييز عن المسلمين بعلامات يعرفون بها، في الهيئة، والملبس، والمركب، والمسكن، ونحوها.

وتجاوز شيء من هذه الواجبات. لا ينتقض العهد، يقول الكاساني رحمه الله: (لو امتنع الذمي من إعطاء الجزية لا ينتقض عهده، لأن الامتناع يحتمل أن يكون لعذر العدم، فلا ينتقض العهد بالشك والاحتمال وكذلك لو سب النبي عليه الصلاة والسلام، لا ينتقض عهده؛ لأن هذا زيادة كفر على كفر، والعقد يبقى مع أصل الكفر، فيبقى مع الزيادة، وكذلك لو قتل مسلماً، أو زنى بمسلمة؛ لأن هذه معاص ارتكبوها، وهي دون الكفر في القبح والحرمة، ثم بقيت الذمة مع الكفر، فمع المعصية أولى)^(٣)، وإنما يطبق على المخالف منهم الحكم الشرعي، يقول الكاساني

(١) سورة المائدة، الآية ٤٢.

(٢) الأم، ج ٤، ص ٢٤٩؛ وانظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٣٢٥.

(٣) بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١١٣.

رحمه الله: (لأنهم مخاطبون بالحرمان، وهو الصحيح عند أهل الأصول)^(١).

وعقد الذمة في حق المسلمين: حق لازم، لا يجوز رفض عقده، أو نقضه^(٢)، قال تعالى: ﴿فَتَلَوُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدِهِمْ صَغِيرُونَ﴾^(٣)، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى: (من طلب عقد الذمة وهو ممن يجوز إقراره على الكفر بالجزية، وجب العقد له)^(٤). بينما هو في حق أهل الذمة يسقط بأمور فصلها علماء الإسلام^(٥)، وأجملوها في إسلام الذمي، أو محاربتة للمسلمين، أو لحاقه بدار الحرب، أو مخالفة أحد شروط العقد.

تلك هي الحدود التي يجب أن يلتزم بها الذمي داخل المجتمع الإسلامي، وهي تناقض ما نشهده اليوم حيث نعيش اليوم واقعاً مأسوياً، يتمثل في المساواة التامة بين المسلم، واليهودي، والنصراني، في أغلب البلاد الإسلامية، وتلك تبعة الاعتماد في النظر بين المواطنين على أساس جنسية الإقليم أو الدم، أو الزواج، أو التجنس، وعدم الاعتراف بالجنسية الدينية، وهذا ما أحدث مساواة في كافة الحقوق والواجبات السياسية والعامية والخاصة، فرأينا اليهودي والنصراني قائداً للجيش المسلم، ووزيراً في البلد المسلم، ومشروعاً يشرع النظام، ومفكراً يبيث التوجيهات.

الصنف الثاني: مستأمنون.

وهم كفار من غير أهل الذمة، يقيمون في دار الإسلام إقامة موقوتة؛ لغاية معلومة، ومدة معروفة^(٦)، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى: (لا يُمكن حربي من

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر الشافعي، الأم، ج ٤ ص ٢٤٧، ٢٤٩؛ وانظر الكاساني، المصدر السابق، ص ١٠٩؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٥٠٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٤) المذهب، ج ٢ ص ٣٢٥.

(٥) انظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ١٦٠ - ١٦٢؛ وانظر الكاساني، مصدر سابق، ص ١١٢ - ١١٣؛ وانظر شرح الزركشي، ج ٦ ص ٥٧٥ - ٥٧٦، ٥٩١ - ٥٩٩؛ وانظر الخرشي على مختصر سيدي خليل، ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٦) انظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ٢٩٦ - ٢٩٧؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ص =

دخول دار الإسلام من غير حاجة^(١)، والأصل في مشروعيته قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ...﴾^(٢)، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: (أي: وهو آمن، مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده، وداره، ومأمنه)^(٣)، فمن هؤلاء: الرسل، وهم من دخل البلاد الإسلامية لأداء رسالة من الكفار، أو بُعثَ مفاوضاً؛ لإبرام عقد ذمة، أو معاهدة، أو هدنة^(٤)، فقد استقبل الرسول ﷺ رُسل مسيلمة الكذاب^(٥)، وأبي رافع مبعوث قريش^(٦). ومنهم السفراء^(٧) وهو ما يعرف اليوم بالتمثيل الدبلوماسي الدائم بين الدول^(٨)، ومع أنه لم يكن معروفاً من قبل، إلا أن مفهومه كان موجوداً في عهد الرسول ﷺ ومن جاء بعده على مختلف العصور الإسلامية، حيث كان الرسل يقومون بمهام تشبه مهام السفراء اليوم^(٩)، فكان يعقد لبعض الرسل أمان مطلق، يجعل له الحق في الإقامة مدة طويلة بصفته رسول قومه، يقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (يجوز عقد الأمان للرسول والمستأمن... مطلقاً ومقيداً بمدة سواء كانت طويلة، أو قصيرة)^(١٠)، وعليه فإعطاء الدول أماناً دائماً لوجود من يمثلها تمثيلاً سياسياً جائز^(١١)، يقول ابن حنبل رحمه

= ٤٠٠؛ وانظر الهندي، أحكام الحرب والسلام، ص ١٩ - ٢٠؛ وانظر وهبة الزحيلي، العلاقات الدولية في الإسلام، الطبعة الأولى، ص ١٥١ - ١٥٢.

- (١) مصدر سابق، ص ٣٣١.
- (٢) سورة التوبة، الآية ٦.
- (٣) تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٣٣٨.
- (٤) انظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٣٣١؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٥٢٣؛ وانظر الزحيلي، العلاقات الدولية، ص ١٥٢ - ١٥٣؛ وانظر صلاح الدين المنجد، النظم الدبلوماسية في الإسلام، الطبعة الأولى، ص ٩٦ - ١٠٢، ١١٢ - ١١٥، ١٢٩ - ١٣٤.
- (٥) حديث صحيح. انظر الألباني، صحيح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ١٦٦.
- (٦) حديث صحيح. انظر المرجع السابق، باب ١٦٣.
- (٧) انظر الشيرازي، مصدر سابق؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق؛ وانظر الزحيلي، مرجع سابق.
- (٨) انظر بدوي، معجم المصطلحات السياسية، ص ١١.
- (٩) انظر الزحيلي، آثار الحرب، ص ٣٢٨؛ وانظر فاوي الملاح، سلطات الأمن والحصانات والامتيازات الدبلوماسية، (الإسكندرية: منشأة المعارف)، ص ٦٥١ - ٦٥٨.
- (١٠) مصدر سابق، ص ٤٠٠.
- (١١) انظر مدكور، معالم الدولة الإسلامية، ص ١٨١؛ وانظر الزحيلي، العلاقات الدولية في الإسلام، ص ١٥٣ - ١٥٤.

الله: (إذا أمنتت فهو على ما أمنتت)^(١). ومنهم التجار، كمن حمل ميرة لتباع في دار الإسلام، أو قدم لأغراض تجارية أخرى^(٢). ومنهم طالبو الأمان لسماع كلام الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْتَغْهُ مَأْمَنًا...﴾^(٣)، يقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (من طلب الأمان لسماع كلام الله، ويعرف شرائع الإسلام وجب أن يعطاه، ثم يرد إلى مأمنه، لا نعلم في هذا خلافاً)^(٤).

ولأن الكافر محل تهمة كما يقول الشيرازي رحمه الله: (لأنه لا يؤمن كيده، ولعله يدخل للتجسس أو شراء سلاح)^(٥)، فلا بد من ضبط دخول المستأمن وإقامته، بضوابط تحد من كيد الكائدين وتضييق الخناق على العابثين، وتحفظ الحقوق للآمنين، من تلك الضوابط: الاستئذان، فلا بد من الاستئذان قبل الدخول^(٦)، يقول ابن قدامة رحمه الله: (ليس لأهل الحرب دخول دار الإسلام بغير أمان؛ لأنه لا يؤمن أن يدخل جاسوساً، أو متلصصاً، فيضر بالمسلمين)^(٧)، وكأن ذلك تأشيرة دخول للبلاد الإسلامية^(٨)، وإشعار للمسلمين بدخوله. ومنها: الحاجة، فمدى حاجة المسلمين لما جاء لأجله المستأمن، المبرر الرئيس والأوحد للدخول، فإن لم يكن للمسلمين حاجة في ما جاء لأجله، وجب عدم السماح له بالدخول^(٩). ومنها المغادرة، فإذا انقضت حاجة المستأمن، وأدى ما جاء لأجله وجب عليه مغادرة البلاد الإسلامية دون تهاون أو تأخير^(١٠).

(١) ابن قدامة، مصدر سابق.

(٢) انظر أبا يوسف، كتاب الخراج، ص ١٨٧ - ١٩٠؛ وانظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٣٣١.

(٣) سورة التوبة، الآية ٦.

(٤) مصدر سابق، ص ٣٩٩.

(٥) مصدر سابق.

(٦) انظر المصدر السابق؛ وانظر الزحيلي، آثار الحرب، ص ٢٢٧ - ٢٤٥.

(٧) المغني، ج ٨ ص ٥٢٣.

(٨) الزحيلي، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

(٩) انظر الشيرازي، مصدر سابق؛ وانظر المنجد، النظم الدبلوماسية، ص ٨٦ - ٨٧.

(١٠) انظر الشيرازي، المصدر السابق؛ وانظر المنجد، المرجع السابق، ص ٦٧ - ٦٩.

فإذا دخل المستأمن وفق الضوابط الشرعية، تمتع بحقوق منها: حسن المعاملة، حيث يُتلقى المستأمن بالمعاملة الحسنة، ويُتعهد بالإكرام والرعاية، وتفقد الحال، عملاً بما أملاه على المسلمين عهد الله وميثاقه^(١). ومنها: الحصانة التامة، حيث عصمة المال، والنفس، والعرض، والدين، وحمايتها للمستأمن ولمن تحت إمرته من أهل، وولد، ومرافق، مع ما يخصه من متاع، ومسكن، ومركب يمارس نشاطه بكل حرية تسمح بها ضوابط أمانه^(٢).

ومثل ما للمستأمن من حقوق تجب له على المسلمين، فعلى المستأمن للمسلمين حقوقاً، تتمثل في واجبات يلتزم بها^(٣)، منها: احترام الحق العام، الذي هو حق خالص لله، كالجرائم الحدية، فقد قال بعض العلماء بإعفاء المستأمنين منها^(٤)، يقول الشيرازي رحمه الله: (من شرب منهم الخمر، أو زنى، لم يجب عليه الحد؛ لأنه حق لله تعالى)^(٥). ومنها: احترام حقوق الأفراد، حيث يجب مساءلة المستأمن عن كل ما فيه حق خاص للفرد المسلم، كالقتل، والقذف، والغصب ونحوه، دفعاً للفساد وإقراراً للحق^(٦)، يقول ابن قدامة رحمه الله: (إذا سرق المستأمن في دار الإسلام، أو قتل، أو غصب، ثم عاد إلى وطنه في دار الحرب، ثم خرج مستأمناً مرة ثانية، استوفي منه ما لزمه في أمانه الأول)^(٧). ومنها: عدم القيام بأعمال خارج نطاق اختصاصهم، فالممثل الدبلوماسي قد يلجأ إلى نقل بعض

(١) انظر المرجع السابق، ص ٣٨ - ٦٣، ٧٠ - ٧٣.

(٢) انظر الشافعي، الأم، ج ٤ ص ٢٧٠ - ٢٧١؛ وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٤٦؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ١٦١؛ وانظر محمد دراز، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، (الكويت: دار القلم)، ص ١٤٥؛ وانظر الهندي، أحكام الحرب والسلام، ص ٢٠ - ٢٢؛ وانظر الزحيلي، مرجع سابق، ص ٢٤٥ - ٢٥٣، ٣٣٠ - ٣٤٢؛ وانظر العلاقات الدولية، ص ١٥٤ - ١٥٦؛ وانظر الملاح، سلطات الأمن، ص ٦٨٣ - ٦٩٠؛ وانظر المنجد، مرجع سابق، ص ٨٠ - ٨٦، ٩١ - ٩٢.

(٣) انظر الزحيلي، المرجع السابق، ص ٢٥٣ - ٢٥٥؛ وانظر فاوي الملاح، المرجع السابق، ص ٦٩١ - ٦٩٥.

(٤) انظر أبا يوسف، كتاب الخراج، ص ١٨٩.

(٥) مصدر سابق، ص ٣٣٦، وانظر ص ٣٣٨.

(٦) انظر المصدر السابق.

(٧) المغني، ج ٨ ص ٤٠١ - ٤٠٢.

المعلومات عن البلاد الإسلامية، وهنا يقدر التعامل بقدر تلك العملية، فقد تكون معلومة عادية لا تحمل معاني سياسية، أو عسكرية ونحوها، وقد يكون عملاً جاسوسياً يقدر بقدره^(١)، فقد أتى ﷺ بجاسوس مستأمن، فجلس مع المسلمين، ثم انسلَّ من بينهم، فقال ﷺ: ((اطلبوه فاقتلوه))، فقتلوه^(٢)، يقول أبو يوسف رحمه الله تعالى: (ينبغي للإمام أن تكون له مسالحة على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك من الطرق فيفتشون من مرَّ بهم من التجار... فما كان من خبر من أخبار المسلمين قد كتب به، أخذ الذي أصيب معه الكتاب، وبعث به إلى الإمام؛ ليرى فيه رأيه)^(٣).

وفي كل ذلك يخضع المستأمن لحكم القضاء الإسلامي في ما يدان فيه.

الفرع الثاني

التعامل مع الكفار داخل المجتمع المسلم

الانتفاع بشخص الكافر في أمر من أمور المسلمين الدنيوي جائز شرعاً، فقد استفاد ﷺ من أحد المشركين، فاستأجره ليدله الطريق إلى المدينة، وزارع ﷺ يهود خيبر^(٤)، وهذا يدل على أن هناك مجالات محددة للانتفاع بالشخص الكافر، أجمل بيانها في البيان التالي:

أولاً: الاستفادة من شخص الكافر تحت سلطان المسلمين.

فصل العلماء القول في الاستخدام الفردي للكافر في بعض أمور المسلمين على النحو التالي:

أ: الأمور الحربية، لعلماء الإسلام في مشاركة الكافر في القتال أقوال، فمنهم من يقول بعدم الاستعانة بالمشركين مطلقاً^(٥)، عملاً بظاهر قوله ﷺ لمن طلب منه

(١) انظر أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) حديث صحيح. الألباني، صحيح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ١١٠.

(٣) مصدر سابق، ص ١٩٠.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب ٣.

(٥) انظر مالك بن أنس، المدونة الكبرى، ج ١ ص ٥٢٤؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ص

الالتحاق في الجيش الإسلامي: ((ارجع، فلن أستعين بمُشركٍ))^(١). ومنهم من حصر الاستعانة بهم في مجالات محدودة كـ مجال الخدمات العامة، والتي لا تأثير لها معنوياً ولا مادياً على مجريات القتال، يقول ابن القاسم رحمه الله: (ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم، إلا أن يكونوا نواتية، أو خداماً، فلا أرى بذلك بأساً)^(٢).

ب: الأعمال المدنية، حيث يتم الاستفادة منهم في مختلف أوجه الأنشطة المدنية، تجارية، أو زراعية أو صناعية، أو خدمة عامة ونحو ذلك، فالرسول ﷺ عامل يهود خيبر وزارعهم على الأرض الإسلامية في خيبر، واستأجر أحد المشركين؛ ليكون له دليلاً في الطريق إلى المدينة^(٣).

ج: الاستشارة، فالحكمة ضالة المؤمن، يعمل لأجلها، فأنى وجدها أخذها، يقول ﷺ: ((الكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا))^(٤)، لذلك يبحث عنها عند من عُرف بها قال تعالى: ﴿... فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥)، هذا العموم يقتضى أخذ الحكمة من أهلها، حتى لو كانوا غير مسلمين، وبعد ذلك فالمؤمن كيس فطن، يستطيع الوصول إلى ما فيه مصلحته، فيأخذ به، وما فيه خداعه وإيقاعه، فيجتنبه؛ لذلك فالإسلام لا يقبل من الكفار ما يتعلق بالعقيدة، أو بتفسير كلام الله وسنة نبيه ﷺ، كما لا يقبل منهم شيئاً يتعلق بمنهج تأريخ المسلمين، أو نظام حكم الإسلام، أو منهجه السياسي، ونحو ذلك، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (إن الإسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم عن غير المسلم، أو عن غير التقي من المسلمين، في علم الكيمياء البحتة، أو الطبيعة، أو الفلك، أو الطب، أو الصناعة، أو الزراعة، أو الأعمال الإدارية والكتابية وأمثالها، وذلك في الحالات التي لا يجد فيها مسلماً تقياً يأخذ عنه في هذا كله... لكنه لا يتسامح في أن يتلقى أصول عقيدته ولا مقومات تصوره، ولا تفسير قرآنه، وحديثه، وسيرة نبيه، ولا منهاج تاريخه، وتفسير نشاطه، ولا مذهب مجتمعه، ولا نظام حكمه، ولا منهج سياسته، ولا موجبات فنه، وأدبه، وتعبيره... من مصادر غير إسلامية، ولا أن

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب ٥١.

(٢) انظر مالك بن أنس، المدونة الكبرى، ج ١ ص ٥٢٤.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب ٣.

(٤) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٦٤٦٢].

(٥) سورة النحل، الآية ٤٣.

يتلقى عن غير مسلم يثق في دينه وتقواه في شيء من هذا كله^(١) ويدخل في ذلك الخبراء والمستشارون ونحوهم ممن يُقدم النصائح، ويرسم الخطط في الشؤون العامة للمسلمين، ويكون دوره في ذلك دوراً استشارياً غير مُلزم، دون أن يصل إلى اتخاذه بطانة من دون المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ...﴾^(٢). أو يُركن إليه عند كل حاجة، ويُشدد به عند كل أزمة، ويُحَكَّم في حل كل كربة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن نَّبْنِيَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾^(٤)، فإذا كان هذا الخطاب للرسول ﷺ فكيف بغيره ممن لا يقبل قولاً ولا رأياً، إلا من الكفار، فيجعل منهم المعين والناصر دون المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمُ تُقَنَّةً...﴾^(٥)، يقول الطبري رحمه الله تعالى: (لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونها على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإن من يفعل ذلك: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، يعني بذلك: فقد برىء من الله، وبرىء الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمُ تُقَنَّةً﴾، إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بالستكم، وتضمرون لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل)^(٦). ذكر عند عمر بن الخطاب ؓ غلام نصراني من أهل الحيرة على درجة عالية من الكتابة والحفظ، فقيل لعمر: لو اتخذته كاتباً، قال: (لقد اتخذتُ إذاً بطانةً من دون المؤمنين)^(٧).

(١) معالم في الطريق، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٨.

(٣) سورة هود، الآية ١١٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٧٤ - ٧٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٦) تفسير الطبري، ج ٣ ص ٢٢٧.

(٧) ابن قتيبة، كتاب عيون الأخبار، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ج ١ ص ٤٣.

ثانياً: الاستفادة من الكافر كصاحب سلطة ونفوذ.

تولية الكافر لما فيه تحديد مصير مسلم، أو مسؤولية عن مسلم، ينافي روح الشريعة الإسلامية التي تجعل من كلمة الإسلام وأهله أعلى من كلمة الكفر وأهله^(١)، فالمسلم لا بد من حفظ كرامته وعزته التي أعزه الله بها، ولا ريب أن تولية الكافر لأمر من أمور المسلم، وسلطته على المسلم، فيها كثير من المهانة والمذلة للمسلم، يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : (قلت لعمر رضي الله عنه : إن لي كاتباً نصرانياً قال: مالك؟ قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢)، ألا اتخذت حنيفياً؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته، وله دينه. قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أدلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله)^(٣).

أما ما ذهب إليه بعض العلماء من القول بجواز تقليد الذمي لمنصب وزارة التفويض، إذا عرف عنه الأمانة والكفاءة والإخلاص^(٤)، وكذلك ما عرف في بعض العصور الإسلامية من تولية وزارة التنفيذ، وبعض مناصب الدولة الإسلامية لبعض أهل الذمة^(٥)، يقول المؤرخ النصراني آدم متز: (من الأمور التي نعجب لها، كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلادهم)^(٦)، فلأن مهمة الوزير التنفيذي لا تتجاوز على سبيل المثال إبلاغ الأوامر والأحكام لأحد الرعية، مما يعني أنه قد يسهم في ترويع مسلم عند الإبلاغ بخبر محزن، أو حكم مفزع، يتقبله المسلم من أخيه المسلم، لكن لا يتقبله من كافر، أو ينقل إليه خبراً مفرحاً فيقع في قلبه شيء من المودة لمن نقل إليه الخبر، فالقلوب يأسرهما من أحسن إليها فبعض السلف الصالح كان يكره إرعاب

(١) انظر القحطاني، الولاء والبراء، ص ٣٧١.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١ ص ١٦٠؛ وانظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١ ص ٤٣.

(٤) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٧؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٣٢.

(٥) انظر آدم متز، الحضارة الإسلامية، الطبعة الرابعة، ج ١ ص ١٠٥ - ١١٨؛ وانظر الفرع الثالث من هذا المبحث.

(٦) المرجع السابق، ص ١٠٥.

المسلم بشيء يحزنه، فقد كان ابن عوف لا يكره داره إلا لأهل الذمة، فقيل لابن تيمية رحمه الله تعالى عن السبب في ذلك: (كأنه أراد إذلال أهل الذمة بهذا)، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (لا، ولكنه أراد: أنه كره أن يربح المسلمون، يقول: إذا جئت أطلب الكراء من المسلم أرعبته، فإن كان ذمياً، كان أهون عنده)^(١). كما أن في تقليد الذمي لمنصب الوزارة إعزازاً لشخصيته الكافرة وتقديراً لكفاءته المبنية على ما يحمله من علم ومعرفة جلها كافر، وكأن كل ذلك يستحق التقديم على بقية أبناء المسلمين الذين رفعهم الله بالإسلام.

ثالثاً: ضوابط الاستفادة من الكفار.

الاستفادة من خدمات الكفار داخل المجتمع الإسلامي محدودة ومقيدة بضوابط محدودة، من أبرزها:

أ: الحيطة والحذر، فالحيطة والحذر قاعدة ثابتة، ومقدمة راسخة يجب أن يتحلى بها المسلم قبل التعامل مع الكفار وفي أثنائه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ...﴾^(٢)، فمهما أظهر الكافر من ولاء ونزاهة، إلا أن حقيقة مودته ثابتة لا تتغير، قال تعالى: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٣)، أما مودتهم الحقيقية لنا فتمثل في اتباعهم اتباعاً مطلقاً، قال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ...﴾^(٤)، وهذا ما جعلهم في عداة مستمر وإن استتر، وحرب دائبة بلا وجل؛ لذلك وجب على المسلم الاحتراز عند التعامل مع الكفار، وأخذ الحيطة والحذر منهم، قال تعالى: ﴿... وَأَحْذَرْتَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ...﴾^(٥).

ب: أمانة الجانب، فالإسلام ينهى عن استصحاب المخدلين والمثبطين عن الجهاد، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا لِخَلْقِكُمْ يَبْغُونَكُمْ أَلْفَنَّةً...﴾^(٦)، فمن عرف عنه السعي بالفساد بين المسلمين، كالتثبيط عن الجهاد،

(١) مصدر سابق، ص ٥٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٥) سورة المائدة، الآية ٤٩.

(٦) سورة التوبة، الآية ٤٧.

وإثارة عوامل الإرجاف والتخويف والفتنة وكشف عورات المسلمين، ومناشدة الأعداء للغزو، يجب منعه من الخروج مع المسلمين غازياً^(١).

وإذا كان هذا الاحتياط والاحتراز مع المسلمين، فمن باب أولى أن يكون مع الكفار أدق وأشد؛ لأن المرجو من الكافر نفع الإسلام والمسلمين في العمل الذي يُطلب منه؛ لذلك أوجب علماء الإسلام في الكافر الذي يُطلب منه عوناً، أو عملاً يخص المسلمين، أن يكون حسن الرأي في المسلمين، لا يُضمر لهم حِقْداً، ولا يُبطن كيداً^(٢)، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى: (فإن لم يكن من يستعين به حسن الرأي في المسلمين، لم نستعن به؛ لأن ما يخاف من الضرر بحضورهم، أكثر مما يرجى من المنفعة)^(٣).

ج: الحاجة^(٤)، قد تُضطّر الأمة إلى الاستعانة بخدمات الكفار عند وجود ضرورة تفرض ذلك كتعذر وجود من يقوم بعمل معين من أهل الإسلام، فقد عنون البخاري بقوله: (باب استئجار المشركين عند الضرورة. أو إذا لم يوجد أهل الإسلام، وعامل النبي ﷺ يهود خيبر)^(٥)، يقول ابن حجر رحمه الله: (هذه الترجمة مشعرة بأن المصنف يرى امتناع استئجار المشرك حربياً كان أو ذمياً، إلا عند الاحتياج إلى ذلك، كتعذر وجود المسلم يكفي في ذلك)^(٦). وكما لو تميزوا بالقدرة على القيام بأعمال معينة، فالرسول ﷺ استفاد من يهود خيبر في المزارعة^(٧)؛ لأنهم الأعراف بما يُصلح أرض خيبر، دون غيرهم من المسلمين^(٨)، والأقدر على الدفاع عنها، يقول الشافعي رحمه الله تعالى: (كانت خيبر وسط مشركين، وكانت يهود أهلها محالفين للمشركين، وأقوياء على منعها منهم، وكانت وبثة لا توطأ إلا من

(١) انظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٢٩٥؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٣٥١.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٤١٤؛ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ١٩٩؛ وانظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ ص ٣٠١.

(٣) مصدر سابق.

(٤) انظر المصدر السابق، وانظر ابن قدامة، مصدر سابق؛ وانظر ابن القيم، مصدر سابق؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٤ ص ٥١٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب ٣.

(٦) مصدر سابق.

(٧) انظر البخاري، مصدر سابق.

(٨) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٤ ص ٥١٧.

ضرورة، فكفوهم المؤنة، ولم يكن بالمسلمين كثرة فينزلها منهم من يمنعها^(١). وكذا تكون لنا بهم حاجة لو تميزوا بالقدرة على الحصول على معلومات معينة، لا يستطيع المسلمون الوصول إليها إلا عن طريقهم، يقول ابن القيم رحمه الله عن استعانة الرسول ﷺ بالخزاعي: (عينه الخزاعي كان كافراً إذ ذاك، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو، وأخذ أخبارهم)^(٢).

د: إذن الإمام^(٣)، فالأصل في غير المسلم أنه غير مأمون على الإسلام والمسلمين، وقد نهى الإسلام عن خروج المرجفين ونحوهم للجهاد، والكافر أشد ضرراً من أولئك، ولأن مدار التخذيل ونحوه رأي الإمام وتقديره بأن في هذا العمل تشبيطاً، فكذلك الاستفادة من الكافر مدارها إذن الإمام وتقديره لما قد يحدث من الكافر من علم.

هكذا حدَّ الإسلام من نفوذ الأعداء داخل البلاد الإسلامية، ومنعهم من التنفيس عن ما تكنه صدورهم، وما تمليه عليهم طواغيتهم.

(١) الأم، ج ٤ ص ٢٧٠.

(٢) زاد المعاد، ج ٣ ص ٣٠١.

(٣) انظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٤١٤؛ وانظر شرح الزركشي، ج ٦ ص ٤٩٨.

المطلب الرابع التطبيق العملي

عاش اليهود والنصارى في ظل الحكم الإسلامي لقرون طويلة، نعموا خلالها بالأمن والطمأنينة تنقلوا في مواطن الأمن، ورتعوا في ظلال العدل. أقدموا خلالها على أعمال ومحاولات متكررة ومختلفة، على مستويات متفاوتة ومتباينة، أملاً في بسط نفوذ يمكنهم من تحقيق آمالهم، فكانت البداية في محاولات متكررة لاغتيال رسول الله ﷺ، عن طريق محاولة إلقاء الحجر مرة، وأخرى عن طريق دس السم^(١). دبروا المؤامرات فحالفوا المشركين، والتتار، والنصارى سياسياً وعسكرياً^(٢) ودعموا المنافقين فكرياً وتأمرياً، وحاولوا فتن المسلمين عن دينهم، تشكيكاً في صدق النبوة والوحي وإشاعة لبذور الفرقة بين المسلمين، ونشراً للأراجيف والأكاذيب^(٣). واستمروا في محاولاتهم هذه على مختلف العصور، وكللوا جهدهم بالسعي لتدمير الخلافة العثمانية، حيث كانت لهم اليد الطولى في القضاء عليها^(٤). وهكذا هم، كلما حانت لهم الفرصة، نفسوا عن حقدهم الدفين الذي تخفيه قلوبهم عن بسطاء

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ ص ١٠٨؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ٧؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٧ ص ٣٨٥.

(٢) انظر ابن هشام، المصدر السابق، ص ١٢٧ - ١٤٢؛ وانظر البخاري، المصدر السابق، كتاب المغازي، باب ٣٠؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٢٠٢، ص ٢١٩.

(٣) انظر ابن هشام، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧؛ وانظر تاريخ الطبري، ج ٩ ص ١٩٩؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٠ ص ٣٢٣، ج ١٢ ص ٢٩٨، ج ١٤ ص ٩٩، ج ١٤ ص ١٨٦.

(٤) انظر خالدي، فروخ، التبشير والاستعمار، ص ١١٣ - ١٦٥؛ وانظر حلمي، الأسرار الخفية، ص ٩٥ - ١١٠؛ وانظر حسان علي حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر)، ص ٣٨ - ٩٦؛ وانظر رفيق التنتشة، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، الطبعة السابعة، ص ٢١ - ٣٥.

المسلمين، وضعاف الإيمان منهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾^(١) ففي عام [٣٦٩ هـ] اتخذ عضد الدولة وزيراً نصرانياً، فاستغل هذا النصراني نفوذه لخدمة معتقده وأهل ديانته، حيث عمل على جعل عضد الدولة يعيد عمارة البيع والديرة، ويطلق الأموال على فقراء ملته^(٢)، فبقدر النفوذ والتمكن داخل السلطة، يكون تأثيرهم، ففي عام [٣٨٦ هـ] عين العزيز بالله الفاطمي، عيسى بن نسطورس النصراني له كاتباً، واستتاب بالشام يهودياً اسمه منشا، فعملاً معاً على إعزاز اليهود والنصارى، وإذلال المسلمين الذين حُجِبُوا عن الخليفة، ولم يستطيعوا الوصول إليه إلا عن طريق الحيلة^(٣)، يقول ابن الأثير رحمه الله: (فعمد أهل مصر وكتبوا قصة، وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس فيها: بالذي أعز اليهود بمنشا، والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك، إلا كشفت ظلامتي. وأعدوا تلك الصورة على طريق العزيز، والرقعة بيدها، فلما رآها، أمر بأخذها فلما قرأ ما فيها، ورأى الصورة من قراطيس، علم ما أريد بذلك، فقبض عليهما، وأخذ من عيسى ثلاثمائة ألف دينار، ومن اليهودي شيئاً كثيراً)^(٤)، هكذا هم، يكيّدون للإسلام والمسلمين كيّداً لا يمنعهم منه إلا عدم وجود الفرصة، وضعف النفوذ والإمكانية، ففي عام [٦٥٨ هـ] وبعد تسليم قلعة دمشق للتتار: (ذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو، وأخذوا معهم هدايا وتحفاً، وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته، ودخلوا من باب توما، ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس، وهم ينادون بشعارهم، ويقولون: ظهر الدين الصحيح دين المسيح، ويذمون دين الإسلام وأهله، ومعهم أواني فيها خمر، لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرأ، وقماقم ملآنة خمرأ يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبيهم، ودخلوا من درب الحجر فوقفوا عند رباط الشيخ أبي البيان، ورشوا عنده خمرأ، وكذلك على باب مسجد درب الحجر الصغير والكبير، واجتازوا في السوق حتى وصلوا درب الريحان أو قريب منه، فتكاثر عليهم

(١) سورة التوبة، الآية ٨.

(٢) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٧ ص ١٠١.

(٣) انظر المصدر السابق، ص ١٧٦؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١ ص ٣٢٠.

(٤) المصدر السابق.

المسلمون، فردوهم إلى سوق كنيسة مريم، فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفة السوق، فمدح دين النصارى، وذم دين الإسلام وأهله، فإننا لله وإنا إليه راجعون. ثم... ضربوا بالناقوس في كنيسة مريم... وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بخرم، وكان في نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخرجوا كثيراً من المساجد وغيرها^(١).

مثل هذا النفوذ الذي حدث لغير المسلمين في دار الإسلام على فترات متباعدة، واجهه أغلب الولاة بما يجب شرعاً، وكانوا بين الحين والآخر يتعاهدون دار الإسلام بذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

أ: العمل على تمييزهم عن المسلمين؛ ليحذرهم المسلم في كل مكان، وعلى كل حال، ففي عام [١٩١ هـ] أصدر الرشيد أوامره بوجوب إلزام أهل الذمة بما يميزهم في اللباس والمركب والهيئة، في سائر أنحاء البلاد الإسلامية^(٢)، هذا الأمر بالتمييز عن المسلمين كان يجده الخلفاء بين الحين والآخر^(٣)، تأكيداً على أهل الذمة، وتذكيراً للمسلمين، واستجابة لمستجدات الحياة التي قد يطرأ عليها بين كل حين وآخر مقتنيات حديثة، في اللباس والمركب والمرتديات العامة، ففي سياق حديثه عن أحداث عام [٢٣٥ هـ]، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: (أمر المتوكل أهل الذمة أن يميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم وثيابهم، وأن يتطيلسوا بالمصبوغ بالقلى، وأن يكون على عمائمهم رقاع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم، ومن بين أيديهم، وأن يلزموا بالزنابير الخاصرة لثيابهم... وأن يحملوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة، وأن لا يركبوا خيلاً، ولتكن ركبهم من خشب)^(٤).

وفي عام [٢٩٦ هـ] أمر المقتدر أهل الذمة بأن عليهم الالتزام بلباس المساحي، ووضع الرقاع بين الأكتاف^(٥)؛ ليعرفوا بها حيث كانوا مقبلين ومدبرين.

ومع ازدياد أعدادهم، وكثرة مشكلاتهم، ميز المسلمون بين أهل الذمة

(١) ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٣ ص ٢١٩.

(٢) انظر ابن الأثير، مصدر سابق، ج ٥ ص ١٢٧؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٠ ص ٢٠٦.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج ٩ ص ١٩٦؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٢٨٥، ٢٩٣؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ص ٣١٧؛ ج ١٤ ص ٩٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٥) انظر المصدر السابق، ج ١١ ص ١٠٨.

أنفسهم؛ لتحديد المسؤولية عند ارتكاب مخالفة، ولئلا يؤاخذ النصراني بخطيئة اليهودي، أو اليهودي بخطيئة النصراني، في عام [٧٠٠ هـ] ألزم أهل الذمة بوجوب التمييز بينهم في اللباس، حيث ألزم النصارى بالعمائم الزرق واليهود بالعمائم الصفرة، والسامرة بالعمائم الحمراء^(١).

ب - الوقوف بحزم أمام محاولات إظهار دينهم، فبين الحين والآخر يتم إصدار الأوامر بوجوب متابعة ما استجد من كنائس، أو بيع محدثة، والعمل على تخريبها في سائر الديار الإسلامية^(٢).

ج - عدم استعمالهم في شيء فيه سلطان على المسلمين، عمل بعض الولاة على منع اليهود والنصارى من تولي أمر من أمور المسلمين في جميع الجهات، وتحت أي ظرف كان^(٣)، ففي عام [٢٣٥ هـ] أمر المتوكل بإبعاد أهل الذمة عن أعمال السلطان بوجه عام، وأكد على وجوب عدم استخدام أحد من اليهود أو النصارى في شيء من الدواوين التي يكون فيها حكم على مسلم في أي موقع ومكان من دار الإسلام^(٤)، وبمثل هذا الأمر أمر المقتدر في عام [٢٩٦ هـ]^(٥).

هكذا تعامل المسلمون مع غير المسلمين في ديار الإسلام، وعندما يوشك الأمر أن يخرج عن سيطرة المسلمين، يبادرون إلى الدعوة لتجديد العقد والعهد وفق شروط جديدة تحد من نفوذ الكفار، والذي رأى فيه المسلمون خطراً على دينهم، وبلادهم، يجب أن يسارعوا إلى رأيه، والقضاء عليه في مهده. يقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند حديثه عن أحداث عام [٣٩٨ هـ] (فيها أمر الحاكم بتخريب قمامة، وهي كنيسة النصارى ببيت المقدس، وأباح للعامّة ما فيها من الأموال، والأمتعة، وغير ذلك، وكان سبب ذلك البهتان الذي يتعاطاه النصارى في يوم الفصح من النار التي يحتالون بها، وهي التي يوهمون جهلتهم أنها نزلت من السماء... ونودي في

(١) انظر المصدر السابق، ج ١٤ ص ١٦.

(٢) انظر الطبري، مصدر سابق، ص ١٩٦؛ وانظر ابن الأثير، مصدر سابق؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٠ ص ٣١٣-٣١٤، ٣١٧.

(٣) انظر المصدر السابق، ج ١٤ ص ٩٩.

(٤) انظر ابن الأثير، مصدر سابق، ص ٢٨٥؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٠ ص ٣١٣-٣١٤.

(٥) انظر المصدر السابق، ج ١١ ص ١٠٨.

النصارى: من أحب الدخول في دين الإسلام دخل، ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمنًا، ومن أقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط^(١).

بهذا المنهج الإسلامي المتجدد مع تطور الأيام، ومتطلبات المستجدات، تمكن المسلمون في فترات كبيرة من القضاء على أي محاولة لبسط النفوذ الكافر على الدار المسلمة.

(١) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٧ ص ٢٤٠؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١١، ص ٣٣٩.

المبحث الثالث النظام العالمي الجديد

قبل الدخول في هذا المبحث لا بد من الاعتراف بأن البحث في مثل هذا الموضوع عمل شاق وعسير لما يكتنفه من غموض في الفكرة، وتداخل في الملامح، وحجب للحقيقة المحاطة بشعارات مضللة وهذا ما أسهم في صعوبة تحديد خصائصه ومعالمه بشكل دقيق وواضح.

لكن ومع صعوبة المهمة، إلا أنني سأعمل جهدي لبيان ما ظهر من مؤشرات ودلائل في هذا الجانب وذلك في عدة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول

التحليل

وذلك في عدة فروع:

الفرع الأول

مفهوم النظام العالمي الجديد

تتعدد التعريفات الاصطلاحية للنظام العالمي تبعاً للمنطلقات الفكرية، واختلاف وجهة النظر والظروف المحيطة بالناظر^(١)، ونحو ذلك. فهناك تعريف تقليدي يحصره في التعامل بين الدول، فيُعرّفه بأنه عبارة عن: (أنماط التفاعلات والعلاقات بين مجموعة الدول التي توجد خلال وقت واحد)^(٢). وهناك من يعرفه بطريقة أكثر شمولية وتعقيداً، فيوسع دائرة النظام الدولي، ويجعلها تدور في دائرة القدرة على التأثير على المستوى الدولي، سواء كان ذلك التأثير من دولة، أو عناصر ووحدات أخرى غير الدول، فيقول: (نسق من العلاقات، يتميز بالوضوح والاستمرارية بين الوحدات، أو الأطراف المتعددة المكونة لبناء، أو هيكل هذا النظام)^(٣).

وعلى ذلك فالنظام الدولي لا يتجاوز أن يكون شبكة من العلاقات والتفاعلات

(١) انظر مكتب الآفاق المتحدة، النظام الدولي الجديد وقضايا المنطقة العربية، الطبعة الأولى، ص ١٧ - ١٨؛ وانظر عليّ الدين هلال، «النظام الدولي الجديد، الواقع الراهن واحتمالات المستقبل»، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٣، العدد ٣-٤ (٨-١٤١٥ - ١٤١٦/٢ هـ-): ص ١٠.

(٢) مكتب الآفاق، المرجع السابق، ص ١٧.

(٣) المرجع السابق.

التي تتم بين أعضاء المجتمع الدولي في وقت السلم والحرب .

الفرع الثاني

مظاهر النظام العالمي الجديد

تظهر هذه المظاهر وتتجلى في نقاط من أبرزها:

أولاً: تطور النظام الدولي .

مرّ النظام الدولي بتطورات متعددة غير مسبوقه على مختلف العصور، كشأن غيره في التطور والتفاعل مع الأحداث والمستجدات . وفي عصرنا الحاضر جرت عدة أحداث أحدثت تحولات أساسية في بنية وطبيعة النظام الدولي السائد قبلها . فمثلاً الحرب العالمية الثانية وضعت نهاية لنظام دولي متعدد الأقطاب، وأحدثت نظاماً مختلفاً عن سابقه في هيكله وطبيعته^(١)، ففي عام [١٣٦١ هـ] اجتمع أربعة مندوبين لأمريكا وبريطانيا والصين وروسيا، وعقدوا مؤتمراً في موسكو، قرروا فيه : ضرورة التعجيل بإنشاء هيئة دولية عالمية تشرف على الشؤون العامة للمجتمع الدولي، تقوم على المساواة، والسيادة بين الدول الأعضاء، وإشاعة المحبة والسلام، وتعطى سلطات تمكنها من فرض احترام إرادتها وقانونها، وتكررت الاجتماعات التي طرحت فيها مقترحات للهيئة الدولية الجديدة حتى تم وضع النظام النهائي للمنظمة الدولية في عام [١٣٦٤ هـ]، وسجل ميثاق الأمم المتحدة في [١١١] مادة، وحددت الأهداف ب: حفظ السلام والأمن الدوليين، والمساواة بين جميع الدول الأعضاء، وحسن النية، وفض المنازعات بالوسائل السلمية، وحرم على الدول التهديد باستخدام القوة، وتم تشكيل ستة فروع للهيئة هي : الجمعية العامة، مجلس الأمن، المجلس الاقتصادي والاجتماعي، مجلس الوصاية، محكمة العدل الدولية، الأمانة العامة . فالجمعية العامة عبارة عن دار للمداولات، تقدم توصياتها إلى مجلس الأمن الذي بيده اتخاذ القرار وتنفيذه، فكان هذا العمل عبارة عن إنشاء وإرساء قواعد وأسس مبادئ النظام الدولي لما بعد الحرب العالمية الثانية^(٢) .

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٨ .

(٢) انظر علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، (الإسكندرية: منشأة المعارف)، ص ٦٠٣ =

تبع هذا التشكيل على فترات زمنية متباعدة تشكيل العديد من المنظمات الدولية والإقليمية، ذات الاختصاصات المختلفة، وكلها تنص في وثائقها على السير محترمة قانون الأمم المتحدة.

وظل هذا النظام قائماً باعتماده على وجود قطبين عالميين متنافسين، بفعل قوتها العسكرية والسياسية، والاقتصادية، والتي تدعم معادلة التوازن في العلاقات الدولية.

ثانياً: التفاعلات الدولية المعاصرة.

سادت عالم اليوم مجموعة كبيرة من المتغيرات والتطورات المختلفة والمتباينة، ومع أنها لم تستقر بشكل نهائي، حيث لا تزال تتفاعل بأشكال سلبية وإيجابية، وتتداخل مع بعضها البعض بترابط يجعل تأثير بعضها في بعض بدرجة كبيرة جداً، إلا أنها تشكل عوامل أسهمت في تغييرات متعددة حول بعض المفاهيم السياسية نظرياً وعملياً^(١)، من أبرز هذه العوامل:

أ: التفاعلات السياسية، من ذلك ما حدث بين قطبي النظام الدولي المعاصر، حيث مرحلة الحرب الباردة بين أعوام [١٣٦٤ - ١٣٨٢ هـ]: وتلتها مرحلة التعايش السلمي بين أعوام [١٣٨٢ - ١٣٨٨ هـ]. ثم مرحلة الانفراج الدولي بين القطبين المتنافسين بين أعوام [١٣٨٨ - ١٤٠١ هـ]. ثم التأزم مرة أخرى والعودة إلى الحرب الباردة بين أعوام [١٤٠١ - ١٤٠٦ هـ]^(٢)، وما أعقب ذلك من تفكك الاتحاد السوفيتي، وسقوط الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية، وانحسار الاشتراكية في مناطق محدودة من العالم، وما أعقب ذلك من عدم وضوح في التوجهات المختلفة، ومع أنها لا تزال في طور التكوين^(٣)، إلا أن ما حدث يعتبر نقطة فاصلة في الحركة

= ٦٤٧، ٩٢٣ - ٩٣٥.

(١) انظر مكتب الآفاق، النظام الدولي، ص ٤٧ - ٤٨؛ وانظر القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، التقرير الاستراتيجي العربي [١٩٩٣ م]، ص ٦٨ - ٧٠.

(٢) انظر مكتب الآفاق، المرجع السابق، ص ٢١ - ٤٥.

(٣) انظر محمد طالب، النظام العالمي الجديد والقضايا العربية الراهنة، الطبعة الأولى،

ص ١٣٩ - ٢٢٣؛ وانظر فؤاد العشا، النظام العالمي الجديد الحقيقة والوهم، الطبعة الأولى،

ص ٥٧ - ٨٠؛ وانظر سميح عبد الفتاح، انهيار الامبراطورية السوفياتية، نظام عالمي جديد

أحادي القطب، الإصدار الأول، ص ١٣٣ - ٢٠٨؛ وانظر غسان شربل، عثمان ميرغني، =

السياسية العالمية، يقول غورباتشوف: (إن التغييرات في العالم، جعلت من الممكن أن يكون هناك عصر جديد للسلام، والتاريخ العالمي)^(١).

ومن التفاعلات البارزة في أوروبا، ما تشهده اليوم من تطورات مهمة في سبيل الوحدة الأوروبية، حيث الاتجاه نحو الوحدة الشاملة، والعمل على زيادة الفاعلية الأوروبية في النظام العالمي^(٢). أما القارة الآسيوية فقد شهدت تطورات متعددة، جعلتها تبحث لنفسها عن موقع على خريطة النظام الدولي فاليابان تُلقي بثقلها الاقتصادي للحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن؛ لتشارك في صناعة القرار السياسي الدولي^(٣). أما العالم الإسلامي فيعيش وضعاً آخر، يفتش فيه عن نفسه، ويعيش مرحلة تردد، باحثاً لنفسه عن مكانة تحاكي الماضي، تنهض بالحاضر، وتتماشى مع رسالته، يقول نيكسون: (إن العالم الإسلامي هو حضارة مهمة تبحث عن شخصيتها التاريخية، لقد تكمن هذا العالم من تحرير نفسه من الاستعمار في الخمسينات والستينات، وبعد ذلك اندفع وهو مغمض العينين في اتجاه عدم الانحياز، واتحاد العرب، وسياسة ردة الفعل، وسوف يعاود البحث في التسعينات وما بعدها، عن مكانه اللائق به بين دول العالم)^(٤).

ويدخل ضمن هذه التفاعلات، محاولة الهيمنة على دول العالم الثالث، بحيث جرى ويجري عليها تنافس دولي كبير بين الدول الكبرى على بسط النفوذ، والحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية والاقتصادية والعسكرية، والعمل على

= حسني خشبة، «تحدي البيت الأبيض الروسي يربك الجيش الأحمر، بوادر تفكك بين الانقلابيين، والغرب يطالب بإعادة جورباتشوف»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٢/٢/١١ هـ، العدد ٤٦٤٩، ص ١، ٤؛ وانظر حسني خشبة، «القيصر يسترجع القصر، إنهار الانقلاب، والبرلمان السوفييتي أعاد انتخاب جورباتشوف...»، المرجع نفسه، ١٤١٢/٢/١٢ هـ، العدد ٤٦٥٠، ص ١، ٤.

(١) خليل حسين، وثائق مؤتمر السلام، (المركز اللبناني للبحوث و التوثيق والإعلام)، ص ٤٦.
(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٠٥ - ١١٨؛ وانظر مكتب الآفاق، مرجع سابق، ص ٧٧ - ١٠٧.

(٣) انظر المراجع السابقة، ص ١٤٦ - ١٥٥؛ ص ١٠٨ - ١٢٧؛ وانظر حسين قطبي، «في استطلاع لصحيفة «يوموري شيمبون»: مدى أحقية اليابان في مقعد بمجلس الأمن، يثير جدلاً واسعاً بين اليابانيين»، جريدة الرياض، ١٤١٧/٩/٢٥ هـ، العدد ١٠٤٥١، ص ٢٥.

(٤) الفرصة السانحة، ص ١٣٩.

ضمان استمرار مصالحها في تلك الدول^(١).

ب: التفاعلات العسكرية، شهد العالم سباق تسلح وغزو للفضاء بين أمريكا والاتحاد السوفيتي، أثمر عن تطور مذهل للأسلحة النووية والاستراتيجية، وعقد معاهدات متعددة للحد من تلك الأسلحة^(٢). كما ساد العالم كثير من الحروب، سواء منها الأهلية، أو الإقليمية، وزيادة مواطن النزاعات، والصراعات، مما أدى إلى سباق تسلح عسكري بين مختلف الدول المتصارعة.

ج: التطور العلمي، فالتقدم العلمي الهائل الذي نشهده اليوم، أحدث ثورة صناعية شاملة، حيث التقدم التقني في مجال الاتصال، وعلوم الفضاء، وغزارة المعلومات، ودقة الحاسبات والالكترونيات وتنوعها، وغير ذلك مما أسهم في إنتاجه العقل البشري المتدفق بغزارة فكراً ومعرفة. فمثلاً التطور في مجال الاتصالات والمعلومات جعل العالم قرية صغيرة، مترابطة الأطراف بسرعة وسهولة، كل صوت فيها مسموع، وكل حدث معلوم، حتى أصبحت تلك الوسائل وسائل كشف وتعريه للكثير من الشعارات الخادعة والمضللة، والحقائق المغلوطة التي يلتف حولها بعض السياسيين، فأصبح المتلقي لا يقبل إلا الحقائق المؤكدة. كما أسهمت تلك الوسائل كثيراً في نشر القيم والأفكار المختلفة، ونقل عدوى الأحداث والأخبار من كان إلى آخر. وبذلك تستطيع الدول الممسكة بزمام الاتصالات بث قيمها، ونشر أفكارها، والتحكم في نشر الأحداث وتصعيدها، وتحليلها وفق توجهاتها^(٣).

د: التطورات الاقتصادية، حيث العوامل الاقتصادية المتعددة، والتي أدت إلى عالمية الاقتصاد، وتجاوز مؤسساته للحدود السياسية الدولية، وظهور ما يسمى بالتقسيم الدولي للعمل، حيث أصبح من غير الممكن الاعتماد على القدرات الذاتية

(١) انظر الفرع الأول من المطلب الثاني في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٢) انظر فؤاد العشا، النظام العالمي، ص ٧٠ - ٧٣؛ وانظر «توقيع معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية في موسكو، بوش: الحرب انتهت، ونحن على أعتاب حياة جديدة لنا ولأطفالنا، يلتسين: «ستارت - ٢» صمام الأمان للأمن العالمي»، جريدة الرياض، ١٤١٣/٧/١١ هـ، العدد ٨٩٦٠، ص ١، ٢١.

(٣) انظر أحمد الدجاني، النظام العالمي الجديد، وجهة نظر عربية، الطبعة الأولى، ص ٥٣؛ وانظر مكتب الآفاق، النظام الدولي، ص ٤٧ - ٤٨؛ وانظر هلال، «النظام الدولي»، مجلة عالم الفكر، ص ١٤ - ١٥.

لصنع منتج ما، دون مساعدة دولة أخرى، سواء في مجال المواد الأولية، أو التسويق^(١).

هـ: قضايا ومشكلات دولية، حدث كثير من المشكلات والقضايا ذات الطابع الدولي، منها ما كان موجوداً أصلاً، ومنها الطارئ، وأغلب هذه المشكلات احتاجت إلى نوع معين من السياسة لحلها وإلى جهود دولية مشتركة لمواجهتها^(٢)، يقول نيكسون: (ينبغي أن نوجه لأنفسنا بعض الأسئلة عن بعض القضايا الأساسية، كما تستطيع الحكومتان المعتدلتان في الأردن ومصر... أن تبقياً صامدتين في مواجهة التهديد المزدوج للزعة الجذرية، والزرعة الأصولية، في غياب حدوث تقدم في مسيرة السلام؟)^(٣)، ويقول بيريز: (أحداثاً خارقة بدأت تتفتح في أمم بعيدة، فدفعت الكثير من القادة في المنطقة بالتالي إلى إعادة التفكير في استراتيجيتهم، وصياغة تصورات جديدة، ولم يقتصر الأمر على أن السياسات في الشرق الأوسط باتت تتغير، بل إن السياسات العالمية المؤثرة في الشرق الأوسط، كانت تتعرض للإصلاح)^(٤).

هذه العوامل مجتمعة، والتفاعلات المتداخلة بجذورها الممتدة في الماضي، وانعكاساتها المستقبلية عوامل مؤثرة في مسيرة المجتمع الدولي، وحقائق واقعية وماثلة للعيان تعبر عن وجود خلل في النظام العالمي القائم، يقول نيكسون: (إن رياح التغيير في العالم الثالث تكتسب قوة العاصفة، ونحن لا نستطيع إيقافها، لكننا نستطيع أن نساعد في تغيير اتجاهها)^(٥)، وهذا ما أوجد شبه اقتناع بالحاجة إلى

(١) انظر طالب، النظام العالمي، ص ٢٧ - ١١٧؛ وانظر شفيق المصري، النظام العالمي ملامح ومخاطر، الطبعة الأولى، ص ٤٣ - ٤٥؛ وانظر الدجاني، المرجع السابق، ص ٥٣؛ وانظر هلال، المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) انظر المرجع السابق؛ وانظر مكتب الآفاق، النظام الدولي، ص ١٠٨؛ وانظر محمد سيد أحمد، «السمير مجدي جنفي في محاضرة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة: انتهاء الحرب الباردة، أظهر أنماطاً جديدة من المشكلات في مجالات الأمن والسلم والاستقرار...»، جريدة الرياض، ١٤١٧/٨/٩ هـ، العدد ١٠٤٠٥، ص ٣٥.

(٣) نصر بلا حرب، ص ٢٩٣.

(٤) الشرق الأوسط الجديد، ص ٤١ - ٤٢.

(٥) نصر بلا حرب، ص ٣٠٨.

تغييرات في النظام العالمي القائم^(١)، فظهر من ينادي بضرورة إعادة النظر فيه، يقول نيكسون: (إن تحرير أوروبا الشرقية، وانعدام التهديد من الاتحاد السوفييتي، يجعلنا نعيد حساباتنا المبنية على الحرب الباردة، وهذا لا يعني أن تعلن الولايات المتحدة انتصارها، وتبتعد عن أوروبا، ولكنه يعني إعادة صياغة سياستنا، وتغيير وجهة نظرنا بالنسبة لأوروبا؛ لكي تتلائم مع مشاكل العصر الحالي)^(٢)، ويقول جاك أتالي مستشار الرئيس الفرنسي ميران: (ينبغي التفاهم بصورة ديمقراطية على وضع قواعد وضوابط تطويرية قابلة للتطبيق والرقابة، فمؤسسات منظمة الأمم المتحدة التي أفرزتها الحرب، لا تتلاءم مع هذه المهمة؛ لأنها لا تملك الوسائل اللازمة، ولا التفويض بالمهام؛ لذلك يجب الانتقال إلى مرحلة أعلى من التنظيم الدولي، بإنشاء مؤسسات ديمقراطية ذات صلاحيات عالمية حقيقية. والذي أقصده هو سلطة سياسية حقيقية على مستوى الكرة الأرضية، تفرض بصورة ديمقراطية قواعد وضوابط في كل مجال تكون فيه الحياة مهددة)^(٣).

من هنا بدأت تلوح في الأفق بوادر نظام عالمي جديد، تجاوز طرحه آراء المحللين والمفكرين إلى القادة السياسيين والهيئات الدولية، حيث تبنت إدارة الرئيس الأمريكي بوش فكرة النظام عملياً ونظرياً حيث تم الإعلام الرسمي عن ميلاد فكرة النظام العالمي الجديد^(٤)، يقول الرئيس الأمريكي في [١١/أيلول/ ١٩٩١ م - الموافق ٣/٣/ ١٤١٢ هـ -]، أمام الكونغرس الأمريكي: (إننا نتطلع إلى نظام عالمي جديد، يصبح أكثر تحرراً إزاء التهديد بالإرهاب، وأكثر مناعة في إقرار العدالة، وأكثر أمناً في السعي من أجل السلام، إننا نتطلع إلى عالم جديد يسوده القانون بدلاً من شريعة الغاب، وتتعرف فيه الأمم بمسؤولياتها المشتركة في تحقيق الحرية والعدالة)^(٥). هذا الإعلان كان بمثابة الضوء الأخضر لمناقشة هذه الفكرة، وترويجها

(١) انظر الدجاني، النظام العالمي، ص ٥٣؛ وانظر مكتب الآفاق، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٢) الفرصة السانحة، ص ٧٥.

(٣) آفاق المستقبل، أحدث وأدق استشراف للسياسات المتصارعة على الساحة الدولية في مستهل القرن الحادي والعشرين، الطبعة الأولى، ص ١٧٢.

(٤) انظر حسام أحمد هندراوي، حدود سلطات مجلس الأمن في ضوء قواعد النظام العالمي الجديد، (١٩٩٤ م)، ص ١٦٥.

(٥) ((International Affairs, V.67, No.3, July 1991)). . . المصري، النظام العالمي،

على مستوى عالمي، فتمت مناقشة بعض ملامحه رسمياً في مجلس الأمن الدولي دون إصدار قرار حوله^(١)، وأصبح مادة خصبة ورئاسة للإعلام العالمي، وللدراسات والبحوث ونحوها، اجتهدوا وتفننوا في بسطها شرحاً وتحليلاً، وترويجاً للأبعاد والمرامي، كما يريد المنظرون^(٢).

ومع هذا الجهد المتواصل، إلا أن هذا النظام لم يستقر بصورة واضحة، حيث لا تزال مضامينه غامضة وتوجهاته خفية، فهو في طور التكوين والشكل والتبلور^(٣).

وهنا أقول قد يكون طرح الموضوع بهذه الصفة طرحاً مبدئياً، ونوعاً من الاختبار لمضامينه، واستفتاء حول أطروحاته، ومعرفة لردود الأفعال حول توجهاته، قبل الطرح والإعلان الرسمي عن ميلاده.

ثالثاً: ملامح النظام المتحققة حتى اليوم.

منذ ظهور فكرة النظام العالمي الجديد تلميحاً وتصريحاً، بدأت تلوح ملامح تحمل بعض المعاني التي تُظهر سماته، التي من أبرزها:

أ: عدم الاعتداد بالقيم الخلقية، فالقيم تُشكل الأساس المعنوي الذي يستند إليه أي نظام. والمؤشرات الظاهرة للقيم في النظام الجديد توحى باستمرارية القيم

(١) انظر «... قمة مجلس الأمن تبحث اليوم النظام العالمي الجديد عبر الأمم المتحدة...»، جريدة الجزيرة، ٢٧/٧/١٤١٢ هـ، العدد ٧٠٦٤، ص ١، ٢٢؛ وانظر أحمد حسين اليامي، «بوش ويلتسين وميجور والحسن الثاني وميازاو، أبرز المشاركين: قمة مجلس الأمن تبحث اليوم تكريس النظام الدولي الجديد، مشروع قرار أمام المجلس يؤكد على دعم دور الأمم المتحدة، وحل النزاعات سلماً...»، جريدة الرياض، ٢٧/٧/١٤١٢ هـ، العدد ٨٦٢١، ص ١، ١٨.

(٢) انظر الدجاني، النظام العالمي، ص ١٢ - ١٤؛ وانظر العشا، النظام العالمي، ص ٨٧؛ وانظر فريدا عزيز، النظام العالمي الجديد والقرن [٢١]، الطبعة الأولى، ص ٨ - ٩؛ وانظر أحمد أبو الوفا، «ملف السياسة الدولية: [١] الأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد»، القاهرة، مجلة السياسة الدولية العدد ١٢٢ (٦ - ١٤١٦/٧ هـ): ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) انظر آرليت خوري، «أكد لـ الحياة أن مواكبة الأمم المتحدة للمتغيرات الدولية تتطلب إصلاحها في هيكلها، صنبور: تبلور النظام العالمي الجديد يحتاج سنوات»، جريدة الحياة، ٢٧/٨/١٤١٦ هـ، العدد ١٢٠١٧، ص ٧.

القديمة من النظام الدولي القائم، والمتمثلة في ترسيخ المبادئ التي تحقق مصالح الدول الكبرى، على حساب مصالح الدول الصغرى، بل جعلها وسيلة لتحقيق مصالحها. مع أن أنصار النظام الجديد قد جعلوا له شعارات تحمل الكثير من القيم الإيجابية، والتي تمثل بعض رغبات دول العالم الإسلامي وتطلعاتها، لكن الواقع يقول بأن هناك فجوة كبرى بين تلك القيم والشعارات المعلنة، وبين الواقع العملي^(١)، استناداً في ذلك على ما جاء في البروتوكول الأول لحكام صهيون: (. . . السياسة مدارها غير مدار الأخلاق، ولا شيء مشترك بينهما، والحاكم الذي يخضع لمنهج الأخلاق لا يكون سائساً حاذقاً، فيبقى ما يبقى على عرشه مهزوزاً متداعياً، وأما الحاكم اللبيب الذي يريد أن يبسط حكمه فيجعله وطيداً، يجب عليه أن يكون ذا خصلتين: الدهاء النافذ، والمكر الخادع. وأما تلك الصفات التي يقال إنها من السمات القومية العالية، كالصراحة في إخلاص، والأمانة في شرف، فهذا كله يعد من باب السياسة من النقائص لا الفضائل، ويسرع بالحكام إلى أن يتدرجوا من على عروشهم ولا منقذ لهم)^(٢)، هذا المنطلق السياسي لمنظري النظام العالمي جعل بعض المفكرين والمنظرين في الدول الغربية ينادون علانية وينصحون بعدم الالتزام الخلفي في النظام العالمي الجديد، وجعل ذلك سمة بارزة من سماته، يقول جورج ويل عن الالتزام بالسير في طريق القانون الدولي: (هذا الالتزام سيعني أن نُسَلَّم بالتخلي عن حرياتنا في العمل في مناسبات، ونسمح لتقويماتنا القيمية لكل حالة بمفردها أن تحدد بقواعد يمكن أن تجابهنا كمخطئين، كما سيعني احترام سيادة حكومات نحن لا نرغب فيها، وسيعني السماح لأحكام أمم أخرى أن تمسك بأيدينا أحياناً عن الحركة، حتى حين نظن أن تلك الأحكام خاطئة، ذلك أن القانون الذي لا يطاع، إذا لم تتفق معه ليس بقانون، والمناداة بالقانون الدولي حين يتلاءم مع مصالحنا، تعني أن نحترمه حين لا نريد ذلك)^(٣).

ب: الوفاق الدولي، الوفاق والتعاون الجماعي الدولي أحد السمات البارزة في أغلب الأعمال والقرارات الدولية، تتبادل فيها القوى المؤثرة المصالح وغض الطرف

(١) انظر الدجاني، النظام العالمي، ص ٢١ - ٢٢؛ وانظر كتب الآفاق، النظام الدولي، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٢) عجاج نهوبهض، بروتوكولات حكماء صهيون، ص ١٨٢.

(٣) الدجاني، النظام العالمي، ص ١٦.

عن إرادة الطرف الآخر، وأحياناً تقف جميع القوى في صف واحد، أو رأي متقارب، في حركة جماعية عالمية^(١). هذا العمل الجماعي يتم من خلال استخدام الأمم المتحدة كقوة عسكرية دولية، يعطيها القانون الحق في فرض السلم وردع من يحاول تجاوزه. كما يتم العمل الجماعي من خلال تحويل المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية الغربية، إلى مؤسسات عالمية.

هذا التوجه كان له أثر كبير في تغيير معالم أوضاع سياسية كبرى وقديمة، مثل تغيير الأنظمة في أوروبا الشرقية، ودخول ما يسمى بالديمقراطية فيها، وتوحيد ألمانيا، وموضوع الوحدة الأوربية، وتفكك الاتحاد السوفيتي، وكذا في معالجة كثير من القضايا والمشكلات الطارئة^(٢).

وهنا نستطيع القول بأن هذا التوجه تحزب جديد للأعداء، وتجاوز للكثير من المشكلات والعقبات سيراً في طريق جديد، وتحديثاً لغاية مشتركة، واتجاه نحو هدف واحد.

ج: التغريب السياسي. للفكر السياسي مكانة بارزة في النظام العالمي الجديد، بل قد يعتبره بعض الغربيين فيصل الصراع الحضاري، يقول نيكسون: (في خضم صراع الحضارات، لن تكفي حقيقة أننا أقوى وأثرى أمة في التاريخ، وما سيكون حاسماً هو: سلطة الأفكار العظيمة الدينية والدينية التي تجعل منا أمة عظيمة)^(٣)، من هنا ذهب أدياء النظام الجديد إلى القول بأن انهيار النظم الشيوعية واتجاه دولها إلى تبني أشكال من الديمقراطية الليبرالية، والاقتصاد الحر، انتصار مدوي للفكر السياسي الغربي، وانتهاء لجميع أشكال الأيدلوجيات التي قد تقف في طريق عالمية الرأسمالية والديمقراطية الغربية، بما فيها الأشكال الإسلامية، يقول نيكسون: (لينظر من تخامره أدنى بذرة شك حيال أحقيتنا في القيادة إلى سجلنا خلال السنوات الثماني والأربعين الماضية... إن سجلنا ليس بالسجل المتكامل لكنه الأعجز على أية أمة

(١) انظر نيكسون، الفرصة السانحة، ص ١٨، ٢٥؛ وانظر «بوش: العالم اليوم أصبح معسكراً واحداً... هو الولايات المتحدة»، جريدة السياسة، ١٤١٢/٧/٢٦ هـ، العدد ٨٣٨٣ - ٤٧٩، ص ١، ٢؛ و.

(٢) انظر المصري، النظام العالمي، ص ٦٦ - ٦٩؛ وانظر هلال، «النظام الدولي»، مجلة عالم الفكر، ص ٣٦ - ٣٩.

(٣) ما وراء السلام، ص ١٦٣.

أخرى في التاريخ أن تجاربه)^(١)، وهذه النظرة توحى بأفضلية تلك التوجهات على مر التاريخ الإنساني بعد تجربتها، مما يعني ضرورة التسليم المطلق بتفوق التوجهات الرأسمالية والديمقراطية الغربية وعدم تخطئتها، وبالتالي إغلاق الباب أمام أي احتمالات لظهور توجهات أخرى تحمل معنى من معاني التحدي للرأسمالية، والديمقراطية الغربية^(٢)، يقول نيكسون: (إن رسالتنا لم تنته بانتهاء الشيوعية، بل يجب علينا الآن العمل على نشر الحرية... لقد اتجه العالم الحر إلى أمريكا لتقوده ضد التهديد الشيوعي بعد الحرب العالمية الثانية، والآن تتجه أقطار العالم كله إلى أمريكا؛ لكي تخرجه من مشاكل ما بعد الحرب الباردة... ولأول مرة في التاريخ تبدو الفرصة سانحة لكي نجعل القرن القادم عامراً بالحرية، والسلام، والتقدم)^(٣)، ويقول بوش: (إن النظام العالمي الجديد لا يعني تنازلاً عن سيادتنا الوطنية، أو تخلياً عن مصالحنا، إنه ينم عن مسؤولية أملتها علينا نجاحاتنا وهو يعبر عن وسائل جديدة للعمل مع الأمم الأخرى من أجل ردع العدوان وتحقيق الاستقرار والازدهار، وفوق كل شيء تحقيق السلام، إنه ينبع من التطلع إلى عالم مبني على الالتزام المشترك بين الأمم كبراهها وصغرها، بمجموعة من المبادئ التي ترسو عليها علاقاتنا)^(٤)، فهذا أحد إراداتهم من النظام الجديد، أن يكون وسيلة لتصدير أفكارهم القانونية، ونظرياتهم السياسية وصيغ العالم صبغة غربية في أساليب الحكم ووسائله، وفي مبادئ السياسة وتطبيقاتها، يقول نيكسون في معرض رده على الأمريكيين المطالبين بوجوب التراجع عن لعب دور الريادة العالمية: (يعاني كثير من الذين يعتقدون بتراجع أمريكا من أحلام اليقظة، فهم لا يريدون من أمريكا أن تقوم بدور الريادة في العالم لتنتشر أفكارها ومبادئها، وتكون مثلاً يحتذى به بين دول العالم)^(٥).

(١) المرجع السابق، ص ٤٢ - ٤٣.

(٢) انظر نيكسون، الفرصة السانحة، ص ٧٥؛ وانظر المصري، النظام العالمي، ص ٧٣ - ٧٦؛ وانظر مكتب الآفاق، النظام الدولي، ص ١٣٦ - ١٤١؛ وانظر هلال، «النظام الدولي»، مجلة عالم الفكر، ص ٧٦ - ٧٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٤) ... (محاضرة أي نظام عالمي جديد، الرئيس اللبناني السابق: سليم الحص، كلية الحقوق، الجامعة اللبنانية. ١٧/٩/١٩٩١ م - الموافق ٩/٣/١٤١٢ هـ) ...، المصري، المرجع السابق، ص ٦٥.

(٥) مرجع سابق، ص ١٨.

إذاً فالنظام العالمي الجديد يقوم على فكر سياسي واستراتيجي غربي التصور، يتفق مع نظريات الغرب لاستراتيجيته وأمنه القومي^(١)، هذا الفكر تعمل القوى الفاعلة على فرضه، وتوجيهه بدعم الأنظمة السياسية الصديقة ومساندتها، في حين تواجه الدول التي تسعى للحفاظ على نظام سياسي مختلف بمحاولات تغيير وإزالة من قبل الأنظمة الغربية التي تسعى إلى فرض أنظمة وتوجهات معينة.

د: الاستقرار السياسي، حيث التوجه إلى التسويات السلمية، ونبذ العنف في معالجة التوترات والصراعات الطارئة التي قد يشهدها المجتمع الدولي، فقد جاء في الإعلان الأمريكي والسوفييتي عن مؤتمر سلام الشرق الأوسط في مدريد: (لقد شهدنا بدايات جديدة في مناطق أخرى من العالم وتنطوي عملية المفاوضات التي نسعى إلى بدئها بهذه الدعوة، على أمل عهد جديد في الشرق الأوسط، الأمل في عهد يتسم بالحوار لا بالرفض، الأمل في عهد يتسم بالتعاون لا بالصراع... تمثل هذه الدعوة لشعوب هذه المنطقة، طريقاً لإنهاء عهد من المواجهة، وتوفراً أساساً لمستقبل جديد)^(٢).

لأجل ذلك يتم اللجوء إلى فرض احترام القانون الدولي بالقوة العسكرية، فكأن الشرعية في النظام الجديد هي شرعية القوة التي تفرض الأمر الواقع، لا شرعية الحق الذي يجب أن يعود لأصحابه. وهذا توجه يخالف الواقع المشاهد والمتوقع، فالعالم يواجه الكثير من التوترات والصراعات المستجدة، وذات الجذور السابقة، كما أن التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على المستوى الدولي تدل على أن المجتمع الدولي سيشهد المزيد من حالات الفوضى، وعدم الاستقرار^(٣).

(١) انظر العشاء، النظام العالمي، ص ٢٠ - ٢١؛ وانظر حسام هنداي، حدود سلطات مجلس الأمن، ص ١٧١ - ١٧٤؛ وانظر إياد أبو شقرا، منصف السليمي، «مؤتمر العلاقات العربية الأميركية وتحدي العولمة في الدار البيضاء (١ من ٣)»، تصورات أميركية مع روح النظام العالمي الجديد، تواجه مواقف عربية تتساءل وتحذر وتطالب»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٢/١٠/١٤١٧ هـ، العدد ٦٦٦٨، ص ٢٣.

(٢) خليل حسين، وثائق مؤتمر السلام، ص ٣٥.

(٣) انظر المصري، النظام العالمي، ص ٦٩ - ٧٠؛ وانظر أمين هويدي، العسكرية والأمن في الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، ص ٢٨؛ وانظر مكتب الآفاق، النظام الدولي، ص ١٤١ - ١٤٣؛ وانظر هلال، «النظام الدولي»، مجلة عالم الفكر، ص ٦٩ - ٧٠.

هـ: تطويع الأمم المتحدة^(١). مع أن الأمم المتحدة كانت ولا تزال تحت سيطرة القوى الكبرى بفعل الحد من فاعليتها المتمركزة والمحدودة في مجلس الأمن الذي تسيطر عليه تلك القوى، يقول كسينجر: (نادراً ما يتخذ مجلس الأمن قرارات تتناقض مع رغبات إحدى القوتين العظيمنتين)^(٢) بينما بقية أجهزة الأمم المتحدة لا تتجاوز أن تكون أجهزة هامشية، ذات منابر خطابية، وقرارات ورقية؛ لذلك فالفاعلية محدودة بالقضايا التي تمس مصالح الدول الكبرى دون غيرها، يقول نيكسون: (إن الفكرة الشعبية القائلة أن بوسع الأمم المتحدة أن تلعب دوراً أعظم في حل الصراعات الدولية، لهي فكرة موهمة، فخلال السنوات الثماني والأربعين السابقة، شهدت أروقة الأمم المتحدة النقاشات وأصدرت القرارات، واعتزمت التدخل في عشرات من الصراعات في شرق المعمورة ومغربها، غير أنها لم تتفاعل عسكرياً إلا مع حدثين، أولهما: عندما قاطع الاتحاد السوفيتي تصويت مجلس الأمن خلال الحرب الكورية، وثانيهما: عندما جند الرئيس بوش الأمم المتحدة لمساندة جهود الولايات المتحدة؛ لطرد العراق من الكويت)^(٣)؛ لأنهم لا يدعون لأحدٍ أياً كان موقعه ومركزه العالمي أن يتدخل في مصالحهم^(٤)، يقول تشرشل: (ما ظننت أن أياً من الدول الكبرى كانت ستضع وتحت أي الظروف قضية تمس مصالحها الحيوية أمام الأمم المتحدة، أو أية هيئة دولية أخرى؛ للتصويت عليها)^(٥)، ويقول نيكسون: (ليس بقائد سيدع مصالح بلاده تذهب رهينة أمام صيحات الهيئة الدولية)^(٦). ومع هذه السيطرة التامة على المؤسسة الدولية، ومع عدم الاعتداد بقراراتها في أحيان كثيرة، إلا أن أدعاء النظام الجديد يعملون على تطويع الأمم المتحدة بصورة أكثر من واقعها اليوم كأحد متطلبات النظام الجديد^(٧). والهدف من

(١) انظر هنداي، حدود سلطات مجلس الأمن، ص ١٧٤ - ١٧٦.

(٢) أُلشنتاين، الصراع، ص ٤٣٠.

(٣) ما وراء السلام، ص ٣٩.

(٤) انظر نيكسون، الفرصة السانحة، ص ٢٥.

(٥) نيكسون، ما وراء السلام، ص ٤٠.

(٦) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٧) انظر صادق محروس، «دراسة: المنظمات الدولية والتطورات الراهنة في النظام الدولي»،

القاهرة، مجلة السياسة الدولية، العدد [١٢٢] [٦ - ٧/١٤١٦ هـ -]: ص ٨ - ٢٣؛ وانظر

«... صحيفة صينية... غالي رفض وضع الأمم المتحدة تحت الوصاية الأمريكية»، جريدة =

ذلك ليس إلا استغلال صبغة الشرعية الدولية على قرارات الأمم المتحدة، واتخاذها كغطاء يبرر السياسية والممارسة التي تقوم بها الدول الكبرى تجاه الدولة المستهدفة، وهذا ما يجعل من النظام العالمي الجديد نظاماً استبدادياً، بفعل تطويع المؤسسات الدولية وتأكلها، وتواري القانون الصريح عن التأثير في المجتمع الدولي^(١)، يقول نيكسون: (علينا أن نطوع الأمم المتحدة لدعم سياساتنا، لا أن تكون مسؤولة عنها، وهي غير مقبولة تماماً فكرة أن تضع الولايات المتحدة جنودها تحت قيادة الأمم المتحدة؛ لتمنح الأمن الجماعي فرصة العمل... سيكون من اللاحكمة، بل ومن اللاأخلاق أن تسلم أرواح الجنود الأمريكيين إلى أيادي البيروقراطية الدولية التي تنتجها الأمم المتحدة)^(٢)، وهذا ما قام بتطبيقه في أرض الواقع رموز النظام العالمي الجديد، يقول نيكسون: (لا يجب أن نهب قواتنا العسكرية إلى برامج ترعاها الأمم المتحدة، ما لم ينطو البرنامج على مصالح حيوية للولايات المتحدة، ونحن إذا ما أردنا التدخل عسكرياً لحماية مصالحنا الحيوية، علينا أن نحذو نموذج الرئيس بوش في حرب الخليج، أي أن نوظف الأمم المتحدة لنا، لا أن نكون أداة لها)^(٣).

و: القيادة الفردية، حيث يرى أدمعاء النظام الجديد بأن قيادة العالم حق مشروع للولايات المتحدة بفضل ما تتمتع به من مؤهلات تتفوق بها على الآخرين^(٤)، يقول نيكسون: (فالولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الوحيدة التي

= المدينة، ١٤١٧/٢/٧ هـ، العدد ١٢١٢٧، ص ٩؛ وانظر «تقرير إخباري: في دراسة أمريكية، الأمم المتحدة لخدمة مصالح واشنطن فقط...»، المرجع نفسه، ١٤١٧/٤/٧ هـ، العدد ١٢١٨٦، ص ١؛ وانظر «بترس غالي في أول محاضرة له بعد عودته النهائية لمصر من نيويورك، الولايات المتحدة ستسيطر على الأمم المتحدة بعد [١٥] عاماً قادمة»، جريدة الجزيرة، ١٤١٧/٨/٣٠ هـ، العدد ٨٨٦٩، ص ٢٧.

(١) انظر الدجاني، النظام العالمي، ص ٢٤ - ٢٧؛ وانظر هويدي، العسكرية والأمن، ص ٢٧؛ وانظر العشا، النظام العالمي، ص ٩٥ - ٩٩؛ وانظر مكتب الآفاق، النظام الدولي، ص ١٤٥ - ١٤٩؛ وانظر وليد محمود عبد الناصر، «ملف السياسة الدولية: [٤] أدوار جديدة للأمم المتحدة داخل بلدان العالم الثالث»، مجلة السياسة الدولية، مرجع سابق، ص ٩٩ - ١٠٧.

(٢) مرجع سابق، ص ٤١.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٦.

(٤) انظر «في خطابه السنوي حول حالة الاتحاد: كليتون يؤكد مسؤولية الولايات المتحدة كقوة عالمية...»، جريدة الرياض، ١٤١٦/٩/٥ هـ، العدد ١٠٠٧٦، ص ٣٧؛ وانظر «وزير الخارجية الأمريكي في مقال نشره الشرق الأوسط، كريستوفر يرفض العزلة، ويصر على =

يؤهلها ما ظفرت به من اتحاد عناصر القوة العسكرية والاقتصادية لمد بساطها، وفي مقاومة العدوان، وكبح جماحه، فلربما ملكت ألمانيا واليابان الوريد الاقتصادي لكنهما افتقرتا إلى العضلة العسكرية، ومن جانبها ملكت الصين وروسيا القوة العسكرية؛ لكنهما افتقرتا إلى القاعدة الاقتصادية، فليس من أحد هذه الأقسام من له الموقف الكافي مع جميع قوى العالم الكبرى، وليس من أحد من سجل له التاريخ نصف قرن في القيادة، وإذا كنا الدولة العظمى الوحيدة التي لا تملك تاريخاً بالمطالبات الاستعمارية عن الدول المجاورة، منحني تملك أيضاً ما تفتقر إليه جميع الدول العظمى الأخرى، ألا وهو مصداقية العمل بصفة السمسار النزيه^(١)، ويقول أحد المعلقين الأمريكيين عن الأحادية القطبية للنظام الجديد: (إنها تتجسد في قدرة الولايات المتحدة، وفي إرادتها قدرتها على إقرار العالم الأحادي القطبي، وإرادتها قيادة هذا العالم)^(٢)، ويقول بوش: (الولايات المتحدة وحدها من بين أمم العالم، هي التي تتوافر لها على حد سواء، المكانة المعنوية، والوسائل اللازمة لحماية النظام العالمي الجديد)^(٣). والمؤشرات الواقعية تتماشى مع هذه المطالبات، فأغلب دول العالم انتضمت تحت المظلة الأمريكية على اعتبارها مركز القيادة للنظام العالمي الجديد، بينما تحاول دول أخرى اللحاق بالركب.

ولم تخيب الولايات المتحدة ظن من استظل بظلها، ورغبة من رأى فيها المؤهلات القيادية للنظام الجديد، فراحت ترسم الخطط الاستراتيجية العالمية تحت مفهوم قيادتها للعالم^(٤)، يقول نيكسون: (علينا ونحن نبنى الوطن المشترك عبر الأطلنطي، ألا نتوقف عند الحدود الروسية، بل علينا أن نتعداها ونضم الدول الجديدة المستقلة إلينا، والتي تشاركنا مبادئنا الاقتصادية، والسياسية... علينا أن نسعى لضمهم إلينا، وأن نبنى وطناً مشتركاً عبر الأطلنطي من كاليفورنيا، حتى كمشاتة)^(٥).

= اضطلاع واشنطن بقيادة العالم إلى «السلام والازدهار»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٦/١٢/٢١ هـ، العدد ٦٣٧١، ص ٤.

(١) ما وراء السلام، ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) «... (Newsweek, oct, 7, 1991) ...» المصري، النظام العالمي، ص ٦٨.

(٣) الدجاني، النظام العالمي، ص ١٤.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٢٤ - ٢٥؛ وانظر طالب، النظام العالمي، ص ١١ - ٢٠.

(٥) الفرصة السانحة، ص ٩٨.

وهي قيادة تتجاوز المفهوم العملي للقيادة إلى أن تكون القائد الذي يشرع فيدير، ويقرر فيحكم وينفذ وفق إرادته دون الرجوع للآخرين^(١)، يقول نيكسون: (اليوم وقد أشرف القرن العشرين أن يسدل ستاره، علينا أن نتبنى سياسة مستقبلية واضحة المعالم، تقوم على المبدئية العملية، والواقعية الصريحة، ولأول مرة على مدى خمسين عاماً نملك بين أيدينا القوة لرسم مسار القرن القادم)^(٢).

ز: الانتقائية، كأحد دلالات اختلال موازين النظام، وتعامله بمكاييل متعددة، مكاييل تمليها مصالحهم واتجاهاتهم، فيتم انتقاء الخصوم، حيث تكون درجة المواجهة متفقة مع الأولوية السياسية الغربية والغايات التي تسعى لتحقيقها من المواجهة، وبناء على ذلك يكون مستوى المواجهة والضغط مناسباً للحال، فالدولة التي تنأى بنفسها عن الدائرة الغربية، توجه لها التهم المتتالية، وتواجه بالعقوبات المتدرجة. كما يتم انتقاء وسائل الضغط، وهي وسائل تدور حول قضايا تتعلق بالديمقراطية، حقوق الإنسان، الأقليات، الإرهاب، الحفاظ على البيئة. يختار منها أذعيا النظام الجديد ما يناسبهم، فتتم إثارته وتصعيده، حتى يصبح وسيلة ضغط علنية، كما يتم تجاهل ما لا يناسبهم رغم خطورة وجوده وعظم تجاوزه، فمثلاً قضية حقوق الإنسان تثار في بلد معين، لغايات معينة، حتى إذا تحققت تلك الغايات ثم غض الطرف، ومن ذلك مثلاً قضية الديمقراطية وفق المفهوم الغربي، حيث من النادر إثارتها ضد دول العالم الإسلامي؛ لأن الغرب يدرك أن ممارسة الديمقراطية وفق مفهومه، يعني: وصول بعض الأحزاب الإسلامية إلى السلطة، وهذا ما يعارضه أنصار النظام الجديد^(٣).

ح: التسوية السلمية للأزمات القائمة والمؤثرة، يواجه عالم اليوم كثير من المشكلات ذات الجذور الدينية والتاريخية، وبعض الأزمات الطارئة، وفي ظل النظام الجديد يتم إدارة تلك المشكلات والأزمات حلاً وتصعيداً، وفق ما يخدم مصالح قوى النظام الجديد، والتي تجعل من تلك المشكلات والأزمات أدوات لعب

(١) انظر عبد الرحمن محمد، «مجلس الشورى المصري يتهم أميركا بالهيمنة وتجريد النظام العالمي من ديمقراطية الحوار»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٦/١٠/١٤١٧ هـ، العدد ٦٦٧٢، ص ٢.

(٢) ما وراء السلام، ص ٤٣.

(٣) انظر مكتب الآفاق، النظام الدولي، ص ٢٠٦ - ٢١٦.

في يدها تحركها كما تشاء، فبقي تلك المشكلات والأزمات معلقة دو حل نهائي، وإنما توقف وقتي، تحكمه قوى النظام الجديد^(١)، يقول نيكسون عن سياسة الولايات المتحدة في التعامل مع الحرب العراقية الإيرانية: (مساعدتنا لكلا الطرفين طبقاً لميزان المعركة... سياستنا كانت تهدف إلى ألا يحصل أحدهما على نصر نهائي، كانت سياسة حكومة الرئيس سليمة في حفظ التوازن بين الجانبين)^(٢).

ط: ضبط التسليح في دول العالم الإسلامي، أحد قواعد النظام الجديد كما تراه الدول الغربية، حيث صُوِّرَ ضبط التسليح والحد منه في دول العالم الثالث عموماً، والإسلامية خصوصاً، على أنه أحد العوامل الرئيسة في الحد من الصراعات والنزاعات، وقد جُسد ذلك في عدة مبادرات لوقفت انتشار الأسلحة النووية والاستراتيجية، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، هذا نظرياً، أما عملياً، فالواقع يشهد بخلاف هذا التوجه نظرياً وتطبيقياً، حيث اللقاءات المتعددة بين صنّاع السلاح لضبط تسويقه وجعل التعامل في منع تصنيع السلاح وتصديره، يتم بصورة انتقائية لدول دون أخرى، حيث يتم التصدير لبعض مناطق التوتر في العالم بنسب عالية جداً، مما أسهم وبدرجة كبيرة في فرض سباق تسلح بين دول تلك المناطق^(٣)، يقول الرئيس السوفييتي غورباتشوف في افتتاح مؤتمر مدريد: (لدينا اليوم فرصة فريدة لا يجب أن نتركها لتحقيق السلام الدائم الشامل، والنجاح في صالحنا جميعاً؛ ليس فقط لأن حقوق الشعوب والأفراد والأمم ينظر إليها اليوم كأساس للنظام العالمي الجديد، ولكن لسبب آخر هام وله ثقله، وهو أن الشرق الأوسط أكثر الأماكن تسليحاً في العالم، حيث أن التكنولوجيا النووية، والأسلحة الشاملة، قد بدأت تنتشر في هذه المنطقة)^(٤).

ي: المحافظة على بقاء القوي قوياً، والضعيف ضعيفاً، فالنظام يُقسم العالم

(١) انظر نيكسون، نصر بلا حرب، ص ١٣٣، وانظر المصري، النظام العالمي، ص ٧٦؛ وانظر هويدي، العسكرية والأمن، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) الفرصة السانحة، ص ١٤٢.

(٣) انظر المصري، النظام العالمي، ص ٧٠؛ وانظر مكتب الآفاق، النظام الدولي الجديد، ص ١٤٣ - ١٤٥.

(٤) خليل حسين، وثائق مؤتمر السلام، ص ٤٦.

إلى عالمين: عالم ينشد بسط نفوذه، وتكريس هيمنته، والمحافظة على مصالحه. ويمثل ذلك في أغلب دول شمال الكرة الأرضية. ويمثل هذا العالم في النظام الجديد موقع اللاعب القوي، الذي ينتظر من النظام الجديد العمل على فرض قوته، والقضاء على أي توجه لمنافسته. وعالم آخر ينشد تخفيف وطأة الجهل والمرض والفقر، والتحرر السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي. ويمثل ذلك في أغلب دول جنوب الكرة الأرضية، والتي تشمل جميع الدول الإسلامية. هذا العالم يمثل في النظام الجديد موقع المتفرج المؤدب، وصاحب الدور الهامشي المتمرس، الذي ينتظر من النظام الجديد ما يوجد به أصحاب النظام من مساعدته في الخروج من دائرته الضيقة.

وبناءً على ذلك فإن العلاقة بين الطرفين غير متكافئة، حيث كثرة الاختلافات والتباينات، والتي تجعل من النتيجة النهائية والمتوقعة لمثل هذه النظرة، تكريس ضعف الضعيف، والمحافظة على حاله التي هو عليها، دون السماح له بأي حركة قد تسهم في تجاوزه لتلك الحالة. أما القوي فالنظام يعمل على أن يبقى في دائرة القوة، وأن يحافظ على ذلك على حساب الجانب الآخر^(١).

ك: المحافظة على إسرائيل، لأن النظام العالمي القائم اليوم يدين الاحتلال الإسرائيلي للمقدسات والأراضي الإسلامية بكثير من القرارات الدولية التي لم تتجاوز سجلاتها الورقية، إلا أنها توحى للمتابع بأن وجود إسرائيل في الأراضي الإسلامية غير طبيعي، وتزيد من حجة من يجاهد ضد إسرائيل من خلال المطالبة بتطبيق تلك القرارات؛ لذلك فإن إحياءات النظام العالمي الجديد تعمل على فتح صفحة جديدة لمعالجة الوضع القائم، يتمثل في إحداث نقلة في النظرة الدولية للقضية، وفي حجج المتخاصمين، توحى للمتابع بأن المشكلة ليست في الوجود الإسرائيلي، وإنما في خلاف بين وجودين طبيعيين على أرض مشتركة بينهما. هذه النقلة النوعية للواقع الدولي تجعل من الاحتلال الإسرائيلي واقعاً مسلماً به، يجب النظر عند إرادة حله بنظرة تختلف عن تلك النظرة التي من خلالها أدين الوجود

(١) انظر المصري، مرجع سابق، ص ٧١ - ٧٣؛ وانظر العشا، النظام العالمي، ص ١٩ - ٢٦؛ وانظر هويدي، العسكرية والأمن، ص ٢٧؛ وانظر مكتب الآفاق، مرجع سابق، ص ١٤٩ -

الإسرائيلي^(١)، يقول نيكسون: (إن التزامتنا نحو إسرائيل عميقة جداً، فنحن لسنا مجرد حلفاء ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق، نحن مرتبطون معهم ارتباطاً أخلاقياً... ينبع من ميراث الحرب العالمية الثانية، والتزامنا الأدبي والأيدولوجي تجاه مساندة الديمقراطيات الضعيفة، فلن يستطيع أي رئيس أمريكي، أو كونجرس، أن يسمح بتدمير إسرائيل)^(٢)، ويقول: (... نحن وإسرائيل ليسا حليفين طبيعيين عاديين، بل إن لدينا التزاماً أخلاقياً معها، هو أسمى من أية اتفاقية أمنية، فقد أوضحت باقتضاب في اجتماع لزعماء الكونغرس في مطلع حرب يوم التكفير عام [١٩٧٣ م] [ـ رمضان/١٣٩٣ هـ]: ليس لأي رئيس أمريكي أن يترك إسرائيل تغرق في الوحل)^(٣) ويقول بوش: (... الشعب الإسرائيلي يعيش منذ زمن بعيد في خوف، وهو محاصر بعالم عربي لا يقبله، والآن حانت اللحظة المثالية كي يظهر العالم العربي أن مواقفه قد تغيرت، وإن العالم العربي مستعد للعيش في سلام مع إسرائيل، والتسليم بحاجة إسرائيل الضرورية إلى الأمن)^(٤).

خلاصة ما سبق تقول بأن النظام العالمي الجديد تصميم غربي، لخلاصة تجارب ودروس معاصرة مع النظام القائم اليوم، وأن شكله وطبيعته النهائية ستكون محصلة لكثير من التحولات والتغيرات الدولية الكبرى التي ظهرت في هذا العصر.

إذاً فنحن اليوم نشهد مرحلة انتقالية بين النظام العالمي القديم والجديد، تتشكل فيها أسس وقواعد النظام العالمي الجديد.

رابعاً: النظام العالمي الجديد والعالم الإسلامي.

التضاد سنة إلهية كونية، شاملة للمخلوقات المعنوية والمادية، والناظر بتمعن يدرك هذه السنة في سابق العصور وحاضرها، حيث انقسام العالم سياسياً إلى فريقين في الأغلب، فقبل الإسلام كان هناك الفرس والروم، ثم المسلمون والصلبيون،

(١) انظر ويليام كوانت، أمريكا والعرب وإسرائيل عشر سنوات حاسمة [١٩٦٧ م - ١٩٧٦]،

ترجمة عبد العظيم حماد، ص ٤٠٢ - ٤٤٣.

(٢) الفرصة السانحة، ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٣) ما وراء السلام، ص ١٤٨.

(٤) خليل حسين، وثائق مؤتمر السلام، ص ٤٢.

وفي عصرنا الحاضر كان هناك ألمانيا ومن دار في فلكها في مواجهة بريطانيا وأنصارها، ثم أمريكا في مواجهة الاتحاد السوفيتي .

وفي كل ذلك كان هناك محرك رئيس للعملية التضادية، فمثلاً: انطلق الغرب في حروبه الصليبية ضد المسلمين من منطلقات عقدية، وواجه ألمانيا في الحربين العالميتين؛ لحملها لواء النازية كعقيدة، وبعد السيطرة عليها حُجِّمت بالنظام العالمي القائم. ثم دخلت أغلب الدول الغربية في صراع طويل مع الاتحاد السوفيتي؛ لحمله العقيدة الشيوعية .

وبعد أن خرج الغرب منتصراً من تلك المواجهتين، بدأ يعيد حساباته المستقبلية، وينظر للمواجهات المحتملة، فبدأت تظهر في الأفق مقولات سياسية وفكرية تعبر عن العدو الجديد للمرحلة القادمة وراح منظرو النظام الجديد يروجون لفكرة العدو البديل، ويشار بها غالباً إلى الإسلام، على اعتبار أن العدو المتبقي والوحيد في المواجهة^(١)، يقول نيكسون: (في العالم الإسلامي من المغرب إلى أندونيسيا، حلت الأصولية الإسلامية محل الشيوعية، باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف. . . الثورة الشيوعية تضرب على أوتار احتياجات الإنسان المادية، والثورة الإسلامية تضرب على أوتار الاحتياجات الروحية)^(٢) .

وبدأ التمهيد الواقعي لهذا التوجه من خلال الربط الغربي سياسياً وإعلامياً بين الإسلام وفكرة الإرهاب والتطرف، يقول نيكسون: (نجد اليوم على طول العالم الإسلامي وعرضه، حركات أصولية متسارعة النمو، يبدو أعضاؤها موالين لبلدانهم، بيد أن ولاءهم الأول ينحو صوب دين الجماعات الإسلامية الأصولية المتطرفة)^(٣) . ورُسِّخ ذلك بدرجة كبيرة في الدوائر السياسية الغربية، والتي تُصدر قوائم تحدد فيها

(١) انظر العشا، النظام العالمي، ص ٢٠٤ - ٢٠٥؛ وانظر (The Sword of Islam, Time,))
(June 15, 1992. PP. 18 - 28) مكتب الآفاق، النظام الدولي، ص ١٣٩؛ وانظر حسنين توفيق إبراهيم، «النظام الدولي الجديد، في الفكر الغربي»، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٣، العدد ٣ - ٤ (٨ - ٥ - ١٤١٥ - ١٤١٦/٢ هـ -): ص ٧٨؛ وانظر سوزانا طربوش، «في تقرير أعدته لجنة بريطانية، الخوف من الإسلام في الغرب متفش في كل شرائح المجتمع»، جريدة الحياة، ٢١/١٠/١٤١٧ هـ، العدد ١٢٤١٩، ص ٧.

(٢) نصر بلا حرب، ص ٣٠٧.

(٣) ما وراء السلام، ص ١٥١.

الدول الراعية للإرهاب من وجهة نظرها، وهذه القوائم في الغالب مقتصرة على دول إسلامية^(١).

إنهم يرون في الإسلام خطراً يهدد مصالحهم ليس في مستوى الشيوعية التي خاضوا لأجلها الحرب الباردة فحسب، بل إن الخطر الشيوعي ليقبل في مقابل الخطر الإسلامي، يقول نيكسون: (يحدّر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية مُتطرفة، وأنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية المتاحة، سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتّحد مع موسكو؛ ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي)^(٢)؛ لذلك عملوا على قلب الحقائق؛ لإيهام الخلائق بتطرف المسلمين، رغم أنهم يدركون جيداً بُعد الإسلام عن ما يروجون له من فكرة الإرهاب والتطرف، يقول نيكسون: (قليل من الأمريكيين يدركون مدى عراقة العالم الإسلامي إنهم يذكرون فقط أن سيوف محمد وأتباعه هي السبب في انتشار الدين الإسلامي في آسيا وأفريقيا وحتى أوروبا، وينظرون بارتياح إلى الحروب الدينية بالمنطقة، لقد تناسى هؤلاء أن الإسلام لا يقر الإرهاب، وأنه لم تمض إلا ثلاثة قرون منذ آخر حرب دينية في أوروبا)^(٣).

إن هذه الإيحاءات والتوجهات لتوحي بأنها غاية للنظام الجديد، يسعى لترسيخها ومواجهتها. كما أن في الربط بين هذه الإيحاءات والتوجهات، وأبرز ملامح النظام العالمي الجديد، يظهر لنا أنه موجه وبشكل خاص إلى العالم الإسلامي، لعدة اعتبارات^(٤):

١ - البعد الديني والتاريخي للعالم الإسلامي، والذي يتعارض مع الغايات الغربية في العالم ويهددها يقول غورباتشوف في افتتاح مؤتمر مدريد بين العرب وإسرائيل: (هناك أشباحاً من الماضي في هذا المؤتمر تحوم حولنا، ولكننا يمكن

(١) انظر محمد صادق، «في تقرير وزارة الخارجية الأميركية حول الإرهاب، واشنطن تبقى على سورية والسودان وإيران في قائمة الدول الداعمة للإرهاب»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤/١٢/١٤١٦ هـ، العدد ٦٣٦٤، ص ٤.

(٢) الفرصة السانحة، ص ١٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٤) انظر طالب، النظام العالمي، ص ٢٢٧ - ٢٣١.

التغلب عليها لتحقيق النظام العالمي الجديد^(١).

٢ - الموقع الاستراتيجي السياسي والجغرافي للعالم الإسلامي، يقول نيكسون: (في المركز الرمزي للعالم الإسلامي وهو منطقة الخليج العربي، مصلحة حيوية عظيمة للولايات المتحدة، لا يختلف عليه إثنان، فهي تشكل جسراً بين أوروبا وآسيا وأفريقيا، وتهيمن على [٥٥٪] من احتياطي النفط العالمي مع امتلاكها إثنين من أهم نقاط المرور في العالم - قناة السويس، ومضيق هرمز -، ناهيك عن كونها أشد المناطق قلقاً واضطراباً على وجه البسيطة)^(٢).

٣ - البعد الاقتصادي للعالم الإسلامي، حيث تعدد الثروات الاستراتيجية، خصوصاً النفط. وسعة الأسواق الإسلامية، مع حاجتها المتزايدة للمنتجات الأجنبية، يقول نيكسون: (بدون واردات البترول من الخليج، فإن حلفاءنا سوف يسقطون في انهيار اقتصادي لا يُعرف مداه)^(٣).

٥ - وجود دولة تشكل قاعدة استراتيجية للغرب في قلب العالم الإسلامي يجب المحافظة عليها^(٤)، يقول نيكسون: (التزامنا ببقاء إسرائيل ركن أساسي في سياستنا الخارجية، لن يتغير حتى يلج الجمل في رسم الخياط)^(٥).

يؤكد ذلك ويؤيده التعامل الدولي المعاصر من قبل الهيئات الدولية، ومسيري النظام الجديد لقضايا العالم الإسلامي، والتي تُظهر بجلاء، وتُبيِّن بحجة دامغة، موقف النظام الجديد من الإسلام والمسلمين حيث يُعد أبرز ضحايا النظام الجديد

(١) خليل حسين، وثائق مؤتمر السلام، ص ٤٨.

(٢) ما وراء السلام، ص ١٤٧.

(٣) نصر بلا حرب، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) انظر نيكسون، الفرصة السانحة، ص ١٥٢؛ وانظر «في ختام لقاءه مع بيريز، كول يأمل في أن يمنح الاتحاد الأوربي إسرائيل وضعاً مميزاً»، جريدة الجزيرة، ١٧/٢/١٤١٦ هـ، العدد ٨٣٢٥، ص ٢٩؛ وانظر «صفاق لإعلان بيريز بشأن القدس، كليتون يتعهد بالأمن المطلق لإسرائيل...»، جريدة المدينة المنورة، ١٣/١٢/١٤١٦ هـ، العدد ١٢٠٧٣، ص ١، ٩؛ وانظر آمال المدللي، «بعد تعيينه بالأمم المتحدة خلفاً لـ أولبرايت، السفير الأمريكي: سندعم إسرائيل، ونحافظ على تفوقها النوعي»، جريدة الرياض، ٢٢/٩/١٤١٧ هـ، العدد ١٠٤٤٨، ص ١، ٦.

(٥) ما وراء السلام، ص ١٤٨.

حتى يومنا هذا، من المسلمين على مستوى الدول والأفراد^(١).

ومن الأمثلة الحية في ذلك ما جرى في البوسنة والهرسك، فتحت مظلة الأمم المتحدة وأنظار أديعاء النظام الجديد، واجه المسلمون في البوسنة والهرسك المذابح الجماعية، والاغتصاب، وتدمير الممتلكات، وأصناف متعددة من الجرائم، بل إن كبراء العالم شاركوا بقرارات أسهمت في شراسة ما واجهه المسلمون^(٢)، فمجلس الأمن يمنع تسليح المسلمين، وزعماء النظام الجديد يُصرون على وجوب منع السلاح عن المسلمين، مع إدراك الجميع أنه قرار مجحف للمسلمين ذوي العدد القليل والعتاد اليسير، في مقابل جيش الصرب الذي يُعد إحدى القوى الكبرى في أوروبا. ويزيد أديعاء النظام الجديد من صلابة موقفهم ضد المسلمين بالإصرار على عدم التدخل العسكري الدولي لوقف القتال. هذه المواقف كانت عبارة عن رسائل تأييد، وإضاعات طريق، ومناصرة من أديعاء النظام الجديد إلى الصرب؛ للاستمرار في مهمتهم التي تجد تأييداً مبطناً يوضح ذلك أكثر تلك القرارات القاضية بجعل بعض المناطق الإسلامية عبارة عن ملاذات آمنة، وهي في حقيقتها خدعة وقع المسلمون ضحية لها حيث كانت الملاذات عبارة عن ملاذات آمنة للاعتداء

(١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، إينا، البوسنة والهرسك قصة شعب مسلم يواجه العدوان، ص ٣٠-٥٣، ١٢٥-١٢٧؛ وانظر أحمد منصور، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، ص ١٩-٢٧، ٣٨-٤٩، ٥٩-٧٦، ١١٣-١٣٢؛ وانظر أحمد موفق زيدان، «... غالي يرفض عرض مسعود نشر قوات دولية في كابول»، جريدة الحياة، ١٤١٧/٦/٧ هـ، العدد ١٢٢٩٠، ص ١.

(٢) انظر حسام سويلم، من وراء ضياع البوسنة؟ قصة المؤامرة الغربية - الروسية على مسلمي البوسنة، ص ٨٧-١٩٦؛ وانظر، «رئيس سلوفينيا: أوروبا مسؤولة عن محنة البوسنة، ولا بد من مدها بالسلاح»، جريدة الجزيرة، ١٢/٦/١٤١٣ هـ، العدد ٧٣٧٤، ص ٣؛ وانظر «الأمم المتحدة تتحدث عن احتجاز الكروات [١٣٠٠] مسلم في البوسنة، والتناقض الأمريكي الأوربي حول التدخل العسكري صار علناً»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٢/١١/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٨٠، ص ٨؛ وانظر جميل روفائيل، «باريس تحمل الخلافات الروسية الأمريكية مسؤولية الفشل في البوسنة، الصرب يشبكون مع قوات الأمم المتحدة، ويعلنون معاملة جنودها كأعداء»، جريدة الحياة، ٢٩/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ١١٧٨٤، ص ٨؛ وانظر «... غالي يعترف بتقصير الأمم المتحدة في واجباتها تجاه البوسنة»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/٦/٢٠ هـ، العدد ٨٤٧٥، ص ٢٧.

الصربي، وأقفاص جامعة لتقديم ولائم جاهزة^(١). كل ذلك لتحقيق غاية أجمعوا عليها، وهي تطهير أوروبا من المسلمين، وبالتالي الحيلولة دون قيام دولة إسلامية في أوروبا^(٢).

إن هذا النظام بمجمله سيكون له ولا ريب آثار سلبية متعددة على عالمنا الإسلامي، تتمثل في نقاط من أبرزها^(٣):

أ: الحد من حرية حركة الدول الإسلامية. فوفق النظام الجديد هناك خطوط عريضة لا يمكن لأي دولة تجاوزها، وهي عبارة عن قيود سياسية مفروضة بدرجة متفاوتة.

ب: انكشافية الدول الإسلامية، حيث أصبحت البلاد الإسلامية مكشوفة للأعداء سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وعلمياً، وعسكرياً، وهو انكشاف يسقط الخصوصية التي تشدها الدول الإسلامية، ويتيح للقائمين على النظام الجديد معرفة دقائق الأمور، وخفايا السطور، وكأن الدول الإسلامية وفق ذلك خاضعة للوصاية التي تُحدد لها الاتجاه.

ج: التأثير على الأنظمة السياسية الحاكمة^(٤). التأثير السياسي في منظور

(١) انظر «بعد القصف الوحشي على توزلا و«المناطق الآمنة»، صرب البوسنة يحتجزون جنود الأمم المتحدة رهائن.. ويهددون المراقبين الدوليين»، جريدة الشرق الأوسط، ١٢/٢٨/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠٢٤، ص ١٢.

(٢) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، البوسنة والهرسك، ص ٢٥ - ٣٩؛ وانظر بسام العسلي، المسلمون في البوسنة والهرسك، الطبعة الأولى، ص ٧٩ - ١٥٨؛ وانظر خالد الأصور، البوسنة والهرسك حقائق وأرقام، ص ٦٧ - ٩٣؛ وانظر حارث سيلادزيتش، الوزير الأول في جمهورية البوسنة والهرسك، «يجب رفع الحظر على الأسلحة إلى البوسنة... الحظر مكافأة للمعتدي، وقد تحول إلى وسيلة للإبادة، الإبقاء على الحظر مؤشر لسابقة خطيرة، هل تكفر المجموعة الدولية عن أخطأها بحقنا برفع المظلمة المسلطة علينا منذ ثلاث سنوات؟»، جريدة الجزيرة، ٢٣/٢/١٤١٦ هـ، العدد ٨٣٣١، ص ١٠.

(٣) انظر مكتب الآفاق، النظام الدولي، ص ١٨٥.

(٤) انظر راغدة درغام، تزار ضو النعيم، «العقوبات تراجع الخميس، وقد تشمل حظراً على الرحلات الخارجية للخطوط السودانية، غالي: السودان لم يمثل لطلبات مجلس الأمن»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٦/٢/١٤١٧ هـ، العدد ١٢١٩١، ص ١.

العلاقات الدولية، أحد دلالات قوة النظام المؤثر، وتلك قاعدة تاريخية، لكنها مع النظام الجديد أخذت أسلوباً جديداً^(١).

خلاصة ما سبق تقول: حقيقة هذا النظام لا تتجاوز أن تكون تسمية مستجدة، لواقع قديم حديث حيث التحزب العالمي ضد الإسلام والمسلمين، ذلك الواقع الذي يتفاعل مع الأيام والمستجدات فيطور وسيلة وأسلوباً، فمنذ عهد الشعب، ومروراً بالأحزاب، والحروب الصليبية، وعصبة الأمم وهيئة الأمم، قال تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾^(٢).

تنظيمات متعاقبة، تتفق في أن مصدرها واحد، وهم أعداء الإسلام، وغايتها واحدة، تتمثل في مساندة الباطل وأهله، والوقوف ضد الحق وأهله، وتبديل بين القوة العسكرية، وبين القوة الفكرية والسياسية، وتمثل في مجملها خطوط رئيسة للسياسة الدولية المعلنة تجاه العالم الإسلامي، وكأنها الاستعمار قد عاد بلباس جديد.

(١) سبق بيانه في ملامح النظام.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٣.

المطلب الثاني التقويم

عند إرادة تقويم النظام العالمي تقويماً إسلامياً، يجب الرجوع والنظر في كيفية تنظيم الإسلام للعلاقة السياسية بين المسلمين وبين غيرهم خارج دولة الإسلام، تلك العلاقة التي انطلق الإسلام في تنظيمها من حقيقة أن الصراع بين الحق والباطل صراع أزلي، وسنة إلهية مطردة؛ لذلك جاء الإسلام بتنظيم يتفق مع رسالة أهل الحق، ويقيم الحجة على أهل الباطل، ويسهم في إيصال الرسالة الإلهية للبشرية جمعاء، دون مؤثرات فكرية، أو عوائق مادية، فجعل من الأرض داراً تنقسم إلى دارين^(١) : دار إسلام وهي الدار التي يحكمها الإسلام والمسلمون حكماً ونفوذاً، حتى وإن كان أغلب أهلها كفاراً. ودار كفر، وهي الدار التي يحكمها الكفر والكفار حكماً ونفوذاً، حتى وإن كان أغلب أهلها مسلمين.

وقسم دار الكفر بالنسبة للمسلمين إلى دارين : دار حرب، ودار عهد، فدار الحرب هي الدار الكافرة التي تعلن الحرب على الإسلام، أو يتوقع منها ذلك، ويدخل في ذلك الدار التي ظهر عليها المسلمون، لكنها عادت لظهور أحكام الكفر ونفاذها فيها، وفقد المسلم والذمي فيها الأمن والأمان الذي كان يتمتع به في ظل

(١) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٣٧ - ١٣٨؛ وانظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٣٠ - ١٣١؛ وانظر سيد قطب، معالم في الطريق، ص ١٣٧؛ وانظر ابن سعدي، الفتاوى، ص ٦٨؛ انظر الهندي، أحكام الحرب والسلام، ص ٦٦، ١١١ - ١١٢؛ وانظر الزحيلي، العلاقات الدولية، ص ١٠٣ - ١١٦؛ وانظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ٢ ص ٥٩٩ - ٦٠٨.

الحكم الإسلامي . أما دار العهد فهي الدار التي لم يظهر عليها المسلمون من قبل ، وتجري فيها أحكام الكفر ، باستقلالية وسيادة تامة ، لكنها ترتبط مع المسلمين بعهد صلح .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (استقر أمر الكفار معه - ﷺ - بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة ، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام ، فصاروا معه قسمين : محاربين وأهل ذمة ، والمحاربون له خائفون منه ، فصار أهل الأرض معه - ﷺ - ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به مسالم له آمن ، خائف محارب) (١) .

بناءً على هذا التقسيم الإلهي للأرض ، جاء الإسلام بقواعد أساسية تنظم العلاقة بين الدارين ، وجعل أساس ذلك المفهوم الصحيح لدار الإسلام ، فالإسلام دين عالمي ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، ربط أفرادها برباط عالمي ، يساوي بين المسلمين أجمع ، فينطلقون من عقيدة واحدة تصور لهم تصوراً واحداً عن الكون والحياة وعالم الغيب والشهادة ، وشرية واحدة بعباداتها المختلفة توحد القلوب وتجمع المشاعر من خلال أدائها بأسلوب واحد ، وحركة واحدة ، وغاية واحدة . رابطهم يجمعهم عند فرحهم فيؤدون صلاة العيد ، وعند حزنهم فيؤدون صلاة الجنازة ، وعند حاجتهم فيؤدون صلاة الاستسقاء ، ولم لا يكونوا كذلك والأخوة الإيمانية رابطهم العالمي ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ . . . (٣) . هذه الرابطة تحمل من المعاني أسماها ، ومن الإحياءات أنبلها ، ومن القوة ما يحطم جميع الروابط المزعومة ، العرقية ، والوطنية ، والقومية ، وغيرها ، لتشكل وحدة بشرية متجانسة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً . . . ﴾ (٤) ، يتمثل فيها حزب الله في جميع شؤون الحياة المختلفة ، قال تعالى : ﴿ . . . أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥) ، في مقابل حزب الشيطان الذي يعمل على اجترارهم إليه ، قال تعالى : ﴿ أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ

(١) زاد المعاد، ج ٣ ص ١٦٠ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٠ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٩٢ .

(٥) سورة المجادلة، الآية ٢٢ .

الْمُتَّخِرُونَ ﴿١﴾ ، في حرب طويلة، ذات أسلحة عديدة، وفاعلية قتالية قاتلة، قال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَبْتَهُهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ...﴾ ﴿٢﴾ .

سلاح الحزب الإلهي في هذه المنازلة الاستنارة بالنور الرباني، والإرشاد النبوي، في استقلالية تامة عن جميع الرغبات، والمغريات، والمؤثرات، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٣﴾ ، دون استثناء أو تجزئة، قال تعالى: ﴿... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾ ﴿٤﴾ .

هذا المفهوم الإلهي لدار الإسلام، يجعل من الدار الإسلامية في مواجهتها للدار الكافرة، داراً ذات وحدة سياسية مستقلة، ونظرة نظامية موحدة، ومعالجة قضائية ربانية، ومواجهة قتالية جهادية. وبذلك تضمن لنفسها السيادة الداخلية على المسلم وغير المسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٥﴾ ، والسيادة الخارجية في تنظيم علاقتها مع غير المسلمين، قال تعالى: ﴿... وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ ﴿٦﴾ . فتنتقل في علاقتها بدار الكفار من مفهومها لدار الإسلام، فإما أن تكون الدار الكافرة محاربة للمسلمين، فيطبق معها المسلمون أحكام الجهاد القتالية حيث وجوب قتال الكافر الحربي، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُواكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٧﴾ . قتال تحكمه الضوابط الشرعية المنظمة للقواعد القتالية قبل، وفي أثناء وبعد القتال، يقول ﷺ موصياً قادة جيوشه وسراياه: ((اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا

(١) سورة المجادلة، الآية ١٩ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٦ - ١٧ .

(٣) سورة النساء، الآية ٦٠ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٨٥ .

(٥) سورة النور، الآية ٥١ .

(٦) سورة النساء، الآية ١٤١ .

(٧) سورة البقرة، الآية ١٩٠ .

تَغْدِرُوا، وَلَا تَمَثَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ (أَوْ خِلَالٍ)، فَأَيُّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ... فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْلُهُمُ الْحِزْبَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ... (١).

وإما أن تكون الدار الكافرة دار مسالمة، فيرتبط معها المسلمون بعقد ينظم العلاقة، وتسود بموجبه حالة من السلم، وفق ضوابط وتشريعات لذلك العقد، فصلها علماء الإسلام بدقة ووضوح (٢) أجملها في البيان التالي:

أولاً: مشروعية العهد.

المعاهدة، أو المهادنة، أو المودعة، ألفاظ متعددة لمعنى واحد، عقده يعني شرعية ترك قتال الكفار (٣) قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)، يقول ابن حجر رحمه الله: (هذه الآية دالة على مشروعية المصالحة مع المشركين... ومعنى الشرط في الآية: أن الأمر بالصلح مقيد بما إذا كان الأحظ للإسلام المصالحة، أما إذا كان الإسلام ظاهراً على الكفر، ولم تظهر المصالحة فلا) (٥).

ثانياً: ضوابط الهدنة.

لمهادنة الأعداء ضوابط متعددة (٦)، من أبرزها:

- (١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ٢.
- (٢) بسطها علماء الإسلام بسطاً، وتعمقوا في دقائقها تفصيلاً وإيضاحاً، حتى تعددت مفاهيمهم حولها بما لا مجال لذكره هنا. انظر كتب الفقه الأمهات.
- (٣) انظر الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ٣٥٠؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٤٥٩؛ وانظر الزحيلي، آثار الحرب، ص ٣٤٨ - ٣٤٩؛ وانظر محمد عفيفي، الإسلام والعلاقات الدولية، الطبعة الثانية، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.
- (٤) سورة الأنفال، الآية ٦١ - ٦٢.
- (٥) فتح الباري، ج ٦ ص ٣١٨.
- (٦) انظر الخرخشي على مختصر سيدي خليل، ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥١؛ وانظر الهندي، أحكام الحرب والسلام، ص ٨٠ - ٨٢.

١ - أن تعقد من قبَل الإمام، عقد الهدنة لا يصح إلا من الإمام، أو ممن ينييه في عقدها، والعلة في ذلك: أنها من المصالح العظام التي لا يدرك أبعادها، ومتطلباتها إلا الإمام^(١)، يقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (لا يجوز عقد الهدنة، ولا الذمة، إلا من الإمام، أو نائبه؛ لأنه عقد مع جملة الكفار، وليس ذلك لغيره ولأنه يتعلق بنظر الإمام، وما يراه من المصلحة)^(٢)، تلك المصلحة التي قد لا يدركها كثير من أفراد الأمة، يقول النووي رحمه الله تعالى: (للإمام أن يعقد الصلح على ما رآه مصلحة للمسلمين، وإن كان لا يظهر ذلك لبعض الناس في بادئ الرأي، وفيه احتمال المفسدة اليسيرة لدفع أعظم منها، أو لتحصيل مصلحة أعظم منها، إذا لم يكن ذلك إلا بذلك)^(٣).

٢ - أن يكون النظر فيها للمسلمين. فالهدنة في منطلقها الفكري، ونصها الحرفي، وغايتها الأساسية وطرق تنفيذها، ووسائل نقضها، يجب أن تنطلق من منطلقات إسلامية^(٤).

أن تكون وسيلة إلى الجهاد. حيث يجب أن تقوم الهدنة مقام الجهاد، على اعتبار أنها فترة توقف؛ لمعالجة أمور جهادية، يقول الكاساني رحمه الله تعالى: (الأصل في الأمان أن لا يجوز؛ لأن القتال فرض والأمان يحرم القتال، إلا إذا وقع في حال يكون... وسيلة إلى الاستعداد للقتال في هذه الحالة فيكون قتالاً معني، إذ الوسيلة إلى الشيء حكمها حكم ذلك الشيء)^(٥).

٤ - تحقق مصلحة للإسلام. لعقد هدنة مع أهل الحرب، لا بد من وجود مصلحة ظاهرة للمسلمين^(٦)، يقول الشيرازي رحمه الله: (... إن لم يكن في الهدنة مصلحة، لم يجوز عقدها)^(٧).

(١) انظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٣٢٥.

(٢) المغني، ج ٨ ص ٤٦١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ١٣٥.

(٤) انظر الشافعي، الأم، ج ٤ ص ٢٧٠ - ٢٧١؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ص ٤٥٩.

(٥) بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٠٦.

(٦) انظر الشافعي، مصدر سابق.

(٧) مرجع سابق، ص ٣٣٢.

أما مهادنة الكفار على مال يأخذه الكافر من المسلم، فقد حرّمه الإسلام، لما في ذلك من إذلال للإسلام وأهله، ولأن المسلم في جهاده ينتظر إحدى الحسينين: النصر، أو الشهادة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَاءً إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴾^(١)، لا يهن ولا يضعف في سبيلهما، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ... ﴾^(٢). إلا أن يخاف المسلمون القتل الجماعي، أو الأسر، أو سبي الذرية، عندها يجوز لهم دفع مال لمهادنة الأعداء؛ لأن الضرر يدفع بضرر أخف منه، وقتل المسلم، أو تعذيبه، أو فتنة في دينه، أشد ضرراً وإصغاراً للإسلام من دفع مبلغ مالي يحافظ فيه على حياة المسلم وكرامته، والتي أباح الإسلام لأجلها فداء الأسير المسلم^(٣)، يقول الشافعي رحمه الله تعالى: (لا خير في أن يعطيهم المسلمون شيئاً بحال على أن يكفوا عنهم؛ لأن القتل للمسلمين شهادة، وأن الإسلام أعز من أن يعطى مشركاً على أن يكف عن أهله لأن أهله قاتلين ومقتولين ظاهرون على الحق، إلا في حال واحدة، وأخرى أكثر منها، وذلك: أن يلتحم قوم من المسلمين فيخافون أن يضطلموا لكثرة العدو، وقتلهم، وخلة فيهم، فلا بأس أن يعطوا في تلك الحال شيئاً من أموالهم على أن يتخلصوا من المشركين؛ لأنه من معاني الضرورات، يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها)^(٤).

ثالثاً: أنواع المعاهدات.

المعاهدة صلح، والصلح قد يكون مؤقتاً^(٥)، ويسمى موادة أو مسالمة، أو معاهدة، أو مهادنة، وهو عقد اتفاق صلح مع أهل الحرب، على توقف الحرب لمدة معينة، ومن العلماء من قال بالصلح المؤقت حتى لو ظن المسلمون بأن عدوهم

(١) سورة التوبة، الآية ٥٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٦.

(٣) انظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٣٣٣؛ وانظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٠٩؛ وانظر ابن رشد، بداية المجتهد، ج ١ ص ٤٤٩ - ٤٥٠؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٤٦٠ - ٤٦١؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٦ ص ٣١٨.

(٤) الأم، ج ٤ ص ٢٦٨.

(٥) انظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٠٦؛ وانظر الزحيلي، العلاقات الدولية، ص ١٣٨ - ١٣٩.

يخفي خديعة لهم، امثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ . وقد يكون الصلح مؤبداً^(٢)، وهو عقد الذمة^(٣).

رابعاً: مدة المعاهدة.

فصل علماء الإسلام القول في ما يتعلق بمدة الهدنة، على النحو التالي:

أ: إطلاق المدة، فمن العلماء من قال بعدم جواز الهدنة المطلقة، والتي لا تحدد بمدة معلومة؛ لما في ذلك العقد من ترك لفريضة الجهاد^(٤)، يقول ابن قدامة رحمه الله: (لا تجوز المهادنة مطلقاً من غير تقدير مدة؛ لأنه يُفْضِي إلى ترك الجهاد بالكلية)^(٥). لكن لو لم تقدر بقدر محدد، وتُرك أمر تقدير وقتها لإمام المسلمين، جاز ذلك، يقول الشافعي رحمه الله تعالى: (لكن يهادنهم على أن الخيار إليه، حتى إن شاء أن ينبذ إليهم فإن رأى نظراً للمسلمين أن ينبذ فعل)^(٦).

ب: تحديد المدة. لعلماء الإسلام أقوال مفصلة في المدة التي يجوز فيها مهادنة الأعداء، فمنهم من ترك تقدير مدة الهدنة للإمام، حسب ما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين، يقول النووي رحمه الله تعالى: (قال مالك: لا حد لذلك، بل يجوز ذلك، قلَّ أم كثر، بحسب رأي الإمام)^(٧). ومنهم من رأى وجوب تحديدها بوقت معلوم، ومدة محددة، بحيث لا تزيد على أربعة أشهر في حال قوة المسلمين، وعشر سنوات في حال ضعفهم^(٨).

(١) سورة الأنفال، الآية ٦١ - ٦٢.

(٢) انظر ابن قدامة، مصدر سابق، ص ٥٠٠؛ وانظر الزحيلي، المرجع السابق، ص ١٣٩، ١٤٩.

(٣) انظر ص ٥٢٨ - ٥٣٢ من هذه الرسالة.

(٤) انظر الشافعي، مصدر سابق، ص ٢٧٠؛ وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٥٩.

(٦) الأم، ج ٤ ص ٢٧٠.

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ١٤٣.

(٨) انظر الشافعي، مصدر سابق، ص ٢٦٩ - ٢٧٢؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ص ٤٦٠؛ وانظر الزحيلي، العلاقات الدولية، ص ١٤٦ - ١٤٩.

ج: تمديد المدة. عند انقضاء المدة المحددة للهدنة، أجاز العلماء تمديد مدة الهدنة، وتجديد العقد حسب ما تقتضيه مصلحة المسلمين، بمدة كالمدة السابقة، أو أقل أو أكثر منها^(١)، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى: (إن عقد على عشر سنين وانقضت، والحاجة باقية، استأنف العقد فيما تدعو الحاجة إليه)^(٢).

خامساً: دواعي مصالحة الكفار.

الإسلام ينهي عن وقف القتال ضد أهل الحرب، والميل إلى المسالمة والمعاهدة إذا كان المسلمون في موقع قوة، ولا مصلحة لهم في اللجوء إلى السلم^(٣)؛ لأن هذه الحالة تعني الارتقاء في مآهات الضعف والوهن، قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَاحِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ...﴾^(٤)، يقول الطبري رحمه الله: (لا تضعفوا عنهم، وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم، والعالون عليهم)^(٥).

ولأن الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، فقد جعل للمسلمين مخرجاً من ذلك التكليف ومتسعاً يمكنهم من الوصول إلى القيام بواجبهم، حيث جعل لهم عند التعامل مع أهل الحرب رخصة تخفف عنهم الوطأة، وتقوي لهم الهمة، من خلال مصالحة تدور دواعيها في إصابة الأمة بعائق طارئ وضرورة مانعة من القيام بمجاهدة الأعداء، مما يستدعي عقد المصالحة كوسيلة لتجاوز تلك الحالة الاستثنائية، ومن ثم القيام بواجب الجهاد^(٦)، يقول الكاساني رحمه الله تعالى عن الموادة: (شرطها الضرورة، وهي ضرورة استعداد القتال، بأن كان بالمسلمين ضعف، وبالكفر قوة المجاوزة إلى قوم آخرين، فلا تجوز عند عدم الضرورة؛ لأن الموادة ترك القتال المفروض، فلا يجوز إلا في حال يقع وسيلة إلى القتال لأنها

(١) انظر الشافعي، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٢) المهذب، ج ٢ ص ٣٣٣.

(٣) انظر الجصاص، أحكام القرآن، ج ٣ ص ٣٩٤؛ وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦ ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٤) سورة محمد، الآية ٣٥.

(٥) تفسير الطبري، ج ١١ ص ٣٢٦.

(٦) انظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٠٦.

حينئذ تكون قتالاً معني... وعند تحقق الضرورة لا بأس به^(١)، من هنا أجمل العلماء دواعي مصالحة الكفار في:

أ: قلة عدد المسلمين. فالقلة العددية، سواء قلة المجاهدين، أو قلة عدد عموم المسلمين، مدعاة لمصالحة أهل الحرب^(٢).

ب: ضعف المسلمين. إذا ضعف المسلمون عن قتال أهل الحرب؛ لسبب مشروع^(٣)، عقدوا الهدنة مع أهل الحرب، يقول ابن قدامة رحمه الله: (قد يكون بالمسلمين ضعف، فيهادنهم حتى يقوى المسلمون)^(٤).

ج: انشغال المسلمين. إذا انشغل المسلمون عن أهل الحرب فلهم مهادنتهم، كما لو فتنوا في فتنة أشغلتهم عن عدوهم، أو نزل بهم نازلة منعتهم من القيام بواجب مجاهدة الأعداء^(٥)، يقول الشافعي رحمه الله: (... أحب للإمام إذا نزل بالمسلمين نازلة، وأرجو أن لا ينزلها الله عز وجل بهم - إن شاء الله تعالى - مهادنة)^(٦).

د: بعد دار أهل الحرب. بُعد دار أهل الحرب عن دار الإسلام، أمر يسوغ معه عقد الهدنة^(٧)، يقول الشيرازي رحمه الله: (أو كان الإمام مستظهِراً، لكن العدو على بعد، ويحتاج في قصدهم إلى مؤنة مجحفة، جاز عقد الهدنة)^(٨).

هـ: قوة العدو. كما في كثرة عدد العدو، وقوة سلاحه^(٩)، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى: (إن كان الإمام غير مستظهِر... وفي المشركين قوة، وكثرة...).

(١) المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٢) انظر الشيرازي، المهدب، ج ٢ ص ٣٣٣.

(٣) انظر الشافعي، الأم، ج ٤ ص ٢٦٨؛ وانظر الشيرازي، المصدر السابق؛ وانظر الكاساني، مصدر سابق، ١٠٦.

(٤) المغني، ج ٨ ص ٤٥٩.

(٥) انظر ابن رشد، بداية المجتهد، ج ١ ص ٤٤٩.

(٦) الأم، ج ٤ ص ٢٧٠.

(٧) المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٨) مصدر سابق.

(٩) انظر الشافعي، الأم، ج ٤ ص ٢٦٨، ٢٧٠؛ وانظر تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٣٢٤.

جاز عقد الهدنة^(١).

و: رجاء إسلامهم، أو بذلهم الجزية. فعندما تظهر آمال بإسلام أهل الحرب، أو تتبادر مؤشرات الاستجابة لدفع الجزية، تتم مهادنتهم على أمل تحقق إحدى هاتين الغايتين^(٢)، يقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (إما أن يطمع في إسلامهم بهدنتهم، أو في أدائهم الجزية، والتزامهم أحكام الملة)^(٣).

ز: رجاء معاونتهم المسلمين أو تحييدهم. تعقد عندما تكون وسيلة إلى الاستفادة من أهل الحرب في قتال غيرهم، أو لتحييدهم عن أحد مواطن القتال^(٤).

سادساً: مبطلات الهدنة.

إذا عقدت المعاهدة، وجب الوفاء بها، والقيام بجميع شروطها وحقوقها، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا...﴾^(٥)؛ لأن المسلم قد أوجب على نفسه حقاً أشهد عليه من أوجب عليه الوفاء به^(٦)، قال تعالى: ﴿... فَمَا اسْتَقَمُّوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ...﴾^(٧)، وهذا يعني وجوب تحري الدقة في متابعة التطبيق الصحيح للمعاهدة، وضرورة وجود علامات قطعية على تحلل المسلمين منها، يقول الشافعي رحمه الله تعالى: (فإن قال الإمام: أخاف خيانة قوم، ولا دلالة له على خيانتهم من خبر، ولا عيان، فليس له - والله تعالى أعلم - نقض مدتهم إذا كانت صحيحة؛ لأن معقولاً أن الخوف

(١) المهذب، ج ٢ ص ٣٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٢.

(٣) المغني، ج ٨ ص ٤٥٩.

(٤) انظر الشيرازي. مصدر سابق؛ وانظر عفيفي، الإسلام والعلاقات الدولية، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٥) سورة النحل، الآية ٩١.

(٦) انظر الشافعي، مصدر سابق، ص ٢٦١ - ٢٨٥؛ وانظر ابن عبد البر، الكافي، ص ٢٢٠؛

وانظر دراز، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ص ١٤٧ - ١٤٨؛ وانظر

الزحيلي، العلاقات الدولية، ص ١٣٣ - ١٣٥؛ وانظر عفيفي، المرجع السابق، ص ٢٨٧ -

٢٩٢.

(٧) سورة التوبة، الآية ٧.

من خيانتهم الذي يجوز به النبذ إليهم، لا يكون إلا بدلالة على الخوف^(١).

لكن هناك علامات قاطعة يتحلل معها المسلمون من تبعات المعاهدة، منها: نهاية المدة، فإذا انقضت المدة المحددة، تحلل المسلمون مما عاهدوا أهل الحرب عليه، وعادت العلاقة حرباً كما كانت من قبل^(٢)، قال تعالى: ﴿... فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

ومنها نقض أهل العهد لعهدهم، فإذا أخلوا بأحد شروطها، وإن كان يسيراً، انتقض العهد^(٤)، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا...﴾^(٥)، فالشيء اليسير يعطي المسلمين الحق في التحلل مما التزموا به، يقول الشوكاني رحمه الله تعالى: (أي لم يقع منهم أي نقص، وإن كان يسيراً)^(٦).

ومنها أيضاً النبذ على سواء، فقد يصدر من الأعداء مؤشرات تدل على مقدمات لنقض العهد عندها يجب على إمام المسلمين التحقق من حقيقة تلك المؤشرات، وعندما يتحقق من ذلك ويتبين فله إشعار أهل الحرب بإنهاء المعاهدة^(٧)، قال تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأُنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾^(٨)، يقول الشيرازي رحمه الله تعالى (إن ظهر منهم من يخاف معه الخيانة، جاز للإمام أن ينبذ إليهم عهدهم.. ولا تنتقض الهدنة إلا أن يحكم الإمام بنقضها.. لأن نقضها لخوف الخيانة، وذلك يفتقر إلى نظر واجتهاد، فافتقر إلى الحاكم)^(٩).

هكذا حدد الإسلام للمسلمين العلاقة مع الكفار في مختلف الأحوال

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٢) انظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤.

(٤) انظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٣٢٩، ٣٣٧.

(٥) سورة التوبة، الآية ٤.

(٦) فتح القدير، ج ٢ ص ٣٣٦.

(٧) انظر الكاساني، مصدر سابق، ص ١٠٩؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٤٦٣.

(٨) سورة الأنفال، الآية ٥٨.

(٩) مصدر سابق، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

والأزمة، فلا قيادة ولا سيادة لكافر على مسلم، ولا تشريع ولا تبعية يقبلها المسلم لنفسه من كافر، هذه العلاقة هي التي يجب أن يواجه بها المسلمون أجمع دعاوى النظام العالمي، والتي من البديهي أنها لا تحتاج إلى دراسة مقارنة لبيان أنها تصادم التعاليم الإسلامية، وكيف لا وهي موجهة أساساً إلى القضاء على فاعلية تلك التعاليم، فلا نظام عالمي إلا النظام الإلهي، فالملك ملك الله، والخلق خلق الله، والأمر يجب أن يكون أمر الله وحده لا شريك له.

تم بعونه تعالى المجلد الأول
من كتاب
معوقات الجهاد في العصر الحاضر
تحليلاً وتقويماً
ويليه المجلد الثاني وأوله باب المعوقات المادية

الْبصيرة

معوقات الجهاد

في العصر الحاضر
تحليلاً وتقويماً

تأليف

عبدالله بن فرج العقلاء

تقديم

الدكتور محمد بن عبد الله عوف

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية

الجلد الثاني

مكتبة الشريعة
الرياض

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع

* المملكة العربية السعودية . الرياض . طريق الحجاز

ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١

E-MAIL: alrushd@suhuf.net.sa

www.alrushd.com



- * فرع مكة المكرمة: - هاتف ٥٥٨٥٤٠١ - ٥٥٨٣٥٠٦
- * فرع المدينة المنورة: - شارع أبي ذر الغفاري - هاتف ٨٢٤٠٦٠٠
- * فرع القصيم بريدة طريق المدينة - هاتف ٣٢٤٣٣١٤
- * فرع أبهسا: - شارع الملك فيصل هاتف ٣٣١٧٣٠٧
- * فرع الدمام: - شارع ابن خلدون - هاتف ٨٢٨٣١٧٥
- وكلاؤنا في الخارج
- * الكويت: - مكتبة الرشيد - حولي - هاتف: ٣٦١٣٢٤٧
- * القاهرة: - مكتبة الرشيد - مدينة نصر - هاتف: ٣٧٤٤٦٠٥
- * بيروت: - النار اللبنانية - شارع الجاموس - هاتف: ٠٠٩٦١٣٨٤٣٤٥٧
- * عمان: الاردن - دار النبلاء - هاتف: ٥٣٣٢٦٥٨

مَعْرِفَاتُ الْجِهَالِ

في العصر الحاضر
تحليلًا وتقويمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثاني

المعوقات المادية

الفصل الأول: في المجال الاقتصادي.

الفصل الثاني: في مجال الإعداد والقوة.

الفصل الثالث: في مجال التدخل والاحتلال.

الفصل الأول في المجال الاقتصادي

المبحث الأول: إهدار الثروات الإسلامية.
المبحث الثاني: الهيمنة الاقتصادية للأعداء.

المبحث الأول إهدار الثروات الإسلامية

مدخل :

الثروة مطلب حيوي لكل حي، يُسعى لها بهمة، ويُحافظ عليها بنهمة، كيف لا يكون ذلك وهي المصدر الأول في ثراء الأمم، والعماد الرئيس في البناء والتفوق النوعي لمن عرف قدره، وابتغى أمله. فهي قاعدة الانطلاق، وأساس التقدم. وفي هذا المبحث أكتب عن الثروة مبيناً بعض أوجه الإهدار التي أسهمت في إعاقة الجهاد، وذلك في المطالب التالية :

المطلب الأول التحليل

وذلك في عدة فروع:

الفرع الأول التعريف

أولاً: في اللغة، الثروة تعني: العدد الكثير. والثري: الكثير العدد. تقول: ثراً القوم ثراءً: كثروا ونَمُوا وثرونا القوم أي: كنا أكثر منهم. ورجلٌ ثريٌّ وأثرى: كثير المال. يقول ابن السكيت: (يقال: إنه لَذُو ثَرَاءٍ وَثَرَوَةٍ: يراد إنه لَذُو عَدَدٍ، وكثرة مال)^(١). ويقال: ثريتُ بفلان فأنا به ثرٌ وثرىُّ وثرِيٌّ أي: غنيٌّ عن الناس به. وتقول: ثروة رجال، وثروة مال، أي: عدد كثير من الرجال والمال^(٢).

هذه المعاني اللغوية تُبيِّن أن لفظ الثروة يعني: الوفرة والكثرة العددية.

ثانياً: الاصطلاح، تطلق الثروة على كل ما ينتفع به، أو يمكن الانتفاع به، مما يسد حاجة من الحاجات الإنسانية، بصورة مباشرة أو غير مباشرة^(٣)، جاء في المعجم الوسيط: (الثروة في الاقتصاد: الأموال القابلة للتملك والتقويم، والمحدودة الكمية. والثروة القومية: مجموعة القوى المنتجة في الدولة)^(٤)، ويقول حمزة

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤ ص ١١١.

(٢) انظر المصدر السابق، «ثرا»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط «ثرا».

(٣) انظر حمزة الجمعي الديموي، عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ٢٤٦ - ٢٤٨؛ وانظر محمود بابللي، الكسب والإنفاق، الطبعة الأولى، ص ١٧؛ وانظر عبد العزيز الكحلوت، الإسلام والثروة، الطبعة الثانية، ص ١٥ - ١٧.

(٤) أنيس، وآخرين، مرجع سابق، «ثرا».

الدّموهي: (يعتبر ثروة: كل مالٍ نافع في استعماله، آل إلى مالكة بالطرق المشروعة... الإنسان بإيمانه، وعمله، ومواهبه، ومهارته، وفنه، أكبر ثروة بشرية... البحار والمحيطات... الماء، والهواء، وحرارة الشمس، ثروة لكل من ينتفع بها)^(١).

الفرع الثاني

ثروات العالم الإسلامي

تتوافر في عالمنا الإسلامي طاقات متعددة، وثروات متفاوتة، ذات أهمية عالية، واستراتيجية مميزة يقول مقدار يالجن: (ثروة الأمة تنقسم إلى قسمين أساسيين: الأول: الثروة البشرية، وهي العقليات والقدرات، والمهارات. الثاني: الثروة الطبيعية من: المعادن، والتربة الزراعية، والمواقع الاستراتيجية ك: المضائق البحرية، والممرات التي تكسب منها الدولة ضرائب المرور. وبقدر تنمية هاتين الثروتين تنمو الاقتصاديات، وتزداد الموارد)^(٢)، وهذا شيء من بيان هذه الثروات:

أولاً: الثروة البشرية.

للطاقة البشرية دور بارز ومؤثر في مسيرة التقدم والبناء، وهي من الأهمية بمكان عندما تسخر وتوجه التوجيه الأمثل، وتستغل في خدمة الأغراض، والأهداف المؤثرة في مسيرة الأمم. وعندما تفقد ذلك التوجيه، تتحول الطاقات البشرية إلى غناء كغناء السيل، يقول ﷺ: ((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا))، فقال قائلٌ: (ومن قلة نحن يومئذٍ؟)، قال: ((بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غناءً كغناء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن، فقال قائلٌ: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))^(٣).

يقول محمود شاكر: (تلعب العوامل البشرية دوراً خطيراً، سواء في الزراعة،

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) العوامل الفعالة في النظم التربوية وآثارها على المجتمع والإنتاج الفكري والعلمي، الطبعة الأولى، ص ٥٧.

(٣) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: [٩٥٨].

أم في الصناعة، والواقع فإن أفضل الشروط الطبيعية لا يمكن استغلالها إذا لم يتدخل الناس فيها بنشاطهم، وذكائهم وتنظيمهم وقد بقيت بلاد ذات موارد هائلة بعيدة عن الحركة الاقتصادية زمناً طويلاً، بينما كانت بلاد أخرى أقل منها تدخل المعترك الصناعي الحديث، وتبلغ شأناً بعيداً، وذلك بسبب العوامل التي تسود فيها^(١)، ويقول يالجن: (تنمية الثروات الطبيعية متوقفة أيضاً على تنمية الثروات البشرية، عن طريق: تنمية العقول والمهارات، ومعرفة طريقة استخدامها في: استخراج الثروات الطبيعية وصناعتها، وتصديرها. وذلك لا يتم بالطريقة المطلوبة، وعلى الوجه المطلوب، إلا عن طريق إعداد ذوي القدرات العقلية الغذة، بالطريقة الخاصة)^(٢).

وعالمنا الإسلامي اليوم وهبه الله سبحانه وتعالى ثروة بشرية، يتفوق بها على نظرائه من العوالم الأخرى، وتكمن أوجه التفوق في النواحي التالية:

أ: الكثرة العددية، تختلف الإحصاءات الصادرة بعدد سكان العالم الإسلامي، بحسب مصدرها، فالدول والمصادر الكافرة تحاول التقليل من عدد المسلمين، بينما الدول والمصادر الإسلامية قد تحاول المبالغة في العدد، خاصة في الدول ذات الأقلية الإسلامية^(٣). وجُلَّ الإحصاءات السكانية المختلفة لعالمنا الإسلامي تتفق على أن نسبة سكان العالم الإسلامي حتى منتصف عام ١٩٩٣ م - الموافق ١٢/١٤١٤ هـ-، تتراوح ما بين [٢٣٪ - ٢٥٪] من سكان العالم^(٤).

ب: الزيادة العددية المطردة للمسلمين، حيث الدخول في دين الله أفواجاً في مناطق مختلفة من العالم ففي كل يوم هناك أعداد كبيرة تعتنق الدين الإسلامي، بهم تزداد الثروة البشرية الإسلامية.

(١) اقتصاديات العالم الإسلامي، الطبعة السادسة، ص ٣٣.

(٢) مرجع سابق.

(٣) انظر محمود أبو العلا، جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته، الطبعة الخامسة، ص ٢٣.

(٤) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية في العالم [١٩٩٤ م]، ص ٢٤٢ - ٢٤٣؛ وانظر منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو [١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م]. إحصائيات التربية في البلاد الإسلامية، ص ٦٦٦؛ وانظر البنك الإسلامي للتنمية، التقرير السنوي [١٤١٤ هـ]، ص ٣٣٦ - ٣٣٧؛ وانظر المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، [١٤١٥/١٢ هـ]، ص ٦.

ج - الزيادة الطبيعية للسكان^(١)، يتميز العالم الإسلامي بنمو طبيعي عالي المستوى على مستوى العالم، فمعدل الزيادة الطبيعية في البلاد الإسلامية وصل في منتصف عام ١٩٩٣ م - الموافق ١٤١٤/١٢ هـ - إلى [٤، ٢٪]، بينما هو في الدول الصناعية [٤، ٠٪]^(٢). إذاً فالنمو الطبيعي في العالم الإسلامي يعتبر أعلى نمو طبيعي في العالم، وبذا يكون لدى المسلمين وفرة في الثروة البشرية كأساس تعتمد عليه بعد الله في بناء قوتها المرهبة للأعداء^(٣).

د: الانتشار في أرجاء الكرة الأرضية الفسيحة، بنظرة عابرة على مجموع دول العالم، والتي تتجاوز [١٨٣]^(٤) دولة، من النادر جداً أن تخلو دولة من هذه الدول من مجموعة مسلمة مخلصه لدينها الإسلامي^(٥).

هـ: تعدد الأجناس البشرية، عالمنا الإسلامي يضم عدداً كبيراً من الأجناس البشرية بمجموعاتها الرئيسة والفرعية، بألوانها المتعددة، وسلالاتها المختلفة، فلا يخلو جنس بشري من طائفة مسلمة^(٦).

من هذه الطاقة السكانية تتفرع القوى البشرية المؤثرة في مسيرة الأمة، والتي يأتي في مقدمتها:

١ - القوى العاملة، بأشكالها المختلفة، ومستوياتها المتباينة، وتخصصاتها

(١) انظر البنك الإسلامي، المراجع السابقة؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد، [سبتمبر/ ١٩٩٤ م]، ص ٢٣، ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) انظر البنك الدولي، مرجع سابق.

(٣) انظر بول شمتز، الإسلام قوة الغد العالمية، نقله إلى العربية: محمد شامة، ص ١٨١ - ١٩٠.

(٤) انظر صندوق النقد الدولي، آفاق الاقتصاد العالمي، أكتوبر [١٩٩٤ م]، ص ١٢٥ - ١٢٩.

(٥) انظر رابطة العالم الإسلامي، التقرير السنوي المقدم للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، الدورة السادسة والعشرون المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من [٧ - ١٤/٤/١٤٠٥ هـ]، ص ٢٣٨؛ وانظر منشورات المنظمة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٥٤ - ٦٦٥.

(٦) انظر المراجع السابقة؛ وانظر أبا العلا، مرجع سابق، ص ١٣ - ١٦، ٩٧ - ١٦٩، ٤٤٨؛ وانظر خالد المطري، دراسات في سكان العالم الإسلامي، (جدة: جامعة الملك عبد العزيز)، ص ٢٧٣ - ٣٨٨.

المتعددة^(١)، حيث وصل مجموع قوة العمل في العالم الإسلامي في منتصف عام [١٩٧٩ م - الموافق منتصف عام: ١٣٩٩ هـ -]: نحو [٢٤٠] مليون عامل، تتوزع على المجالات الزراعية، والصناعية، والخدمات^(٢). في حين بلغت القوة العاملة في العالم العربي مثلاً في عام [١٩٩١ م - الموافق ١٤١١/١٤١٢ هـ -]: حوالي [٦٤] مليون عامل^(٣)، بلغت نسبتها إلى إجمالي سكان العالم العربي في العالم التالي، حوالي [٣٠٪]^(٤).

هذه القوة في نمو مطرد، حيث بلغت نسبة نمو القوى العاملة الإسلامية في منتصف عام [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/١١ هـ -] حوالي: [٦، ٣٪]، بينما هي في العالم الصناعي حوالي: [٣٨، ٠٪]^(٥).

٢ - العلماء، في مختلف التخصصات الدينية والدينية، وعلى المستويات كافة، يتوافر في عالمنا الإسلامي علماء مبدعون، وطلاب علم متعددون، وجامعات ومدارس ومراكز في مختلف العلوم كل ذلك يتمثل في الكثافة العددية لطلبة العلم، فقد ضمت الجامعات العربية في عام: [١٩٧٩ م - الموافق ١٣٩٩/٢ - ١٤٠٠/٢ هـ -]، حوالي: [٥٠] مليون طالب^(٦)، هذا العدد في ازدياد مستمر حيث يتضاعف عدد خريجي الجامعات في العالم العربي كل: [٣ - ٥] سنوات، ففي عام [١٩٩٣ م - الموافق ١٤١٣/٧ - ١٤١٤/٨ هـ -]، بلغ عدد سكان العالم العربي من الفئة العمرية: [٦ - ١٧] سنة والتي تقع في مراحل الدراسة من الابتدائية إلى الثانوية حوالي: [٧٢] مليون نسمة^(٧)، وعليه يتوقع أن يصل عدد خريجي الجامعات العربية

-
- (١) انظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٤ م]، ص ٢٣٥.
 - (٢) انظر المطري، دراسات في سكان العالم الإسلامي، ص ٤٢٢ - ٤٣٩؛ وانظر أحمد شقلية، جغرافية العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، ج ١ ص ٣٥٧ - ٣٥٨، ٤٥٧ - ٤٥٨، ٦٠٩ - ٦١٠.
 - (٣) انظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٣ م]، ص ٣٥٤.
 - (٤) انظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٤ م]، ص ٢٣٥.
 - (٥) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ٢٤٢ - ٢٤٣؛ وانظر المعهد العربي للتخطيط بالكويت، اجتماع خبراء حول سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، [٢٥ - ٢٨/نوفمبر/ ١٩٨٥ م - الموافق ١٣ - ١٦/٣/١٤٠٦ هـ -]، ص ١٨.
 - (٦) انظر انطوان زحلان، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، الطبعة الخامسة، ص ٢٨.
 - (٧) انظر التقرير الاقتصادي العربي [١٩٩٤ م]، ص ٢٥، ٢٣٤؛ وانظر منشورات المنظمة =

في عام: [٢٠٠٠ م - الموافق ١٤٢٠/٩ - ١٤٢١/١٠ هـ] - حوالى: [١٢] مليون^(١). كما يتمثل أيضاً في تعدد المدارس، والجامعات، والمراكز العلمية في العالم الإسلامي، فما بين أعوام [١٩٦٧ - ١٩٧٦ م - الموافق ١٣٨٦/٩ - ١٣٩٧/١ هـ]، وصل عدد وحدات البحوث والإنماء في العالم العربي مثلاً، حوالى: [٣٠٠] وحدة، تتفاوت في حجمها، والدور المناط بها^(٢)، وهي في ازدياد عددي مستمر في أنحاء متفرقة من عالمتنا الإسلامي^(٣)، أما الجامعات فقد بلغ عددها في العالم الإسلامي حتى منتصف عام [١٩٨٧ م - الموافق ١٤٠٧/١٠ هـ] - حوالى: [١٧٥] جامعة^(٤).

ويتمثل أيضاً في وفرة الأساتذة والعلماء^(٥)، فما بين أعوام [١٩٦٧ - ١٩٧٦ م - الموافق ١٣٨٦/٩ - ١٣٩٧/١ هـ]، تفاوت عدد المشتغلين في وحدات البحوث والإنماء في العالم العربي، من أخصائيي الأبحاث والتقنية، والمهنيين، والتقنيين، ما بين [٢٠٠ - ١١١٢] في كل وحدة^(٦)، بينما بلغ عدد العلماء الذين ينشرون أبحاثهم في العالم العربي في عام [١٩٧٦ م - الموافق ١٣٩٦ هـ] - حوالى: [١٣٢٣] عالم^(٧)، في حين بلغ إجمالي خريجي جامعات الدول النامية ما بين أعوام [١٩٨٠ - ١٩٨٧ م - الموافق ١٤٠٠/٢ - ١٤٠٧/٥ هـ]، حوالى: [٢٣] مليون شخص. منهم نحو [٣، ٨] مليون في فروع العلوم التطبيقية والتقنية^(٨)، إلى جانب ذلك فهناك

= الإسلامية، إحصائيات التربية، ص ٦٤٤ - ٦٥١؛ وانظر حامد عمار، التنمية البشرية في الوطن العربي الإحصاءات والوثائق، الطبعة الأولى، ص ١١٦ - ١١٩.

(١) انظر زحلان، مرجع سابق، ص ٩٥.

(٢) انظر زحلان، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) انظر مكتب التربية العربي لدول الخليج، دليل مراكز البحث العلمي في دول الخليج العربي [١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م]، ص ١٣ - ١١٣.

(٤) انظر عادل يونس، العالم الإسلامي اليوم، (القاهرة: مكتبة ابن سينا)، ص ١٠٣، ١١١ - ١١٢.

(٥) انظر زحلان، العلم والسياسة العلمية، ص ٩٥ - ١٠٣؛ وانظر عمار، التنمية البشرية، ص ١١٦ - ١١٧.

(٦) انظر زحلان، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٧) انظر المرجع السابق، ص ٣٨ - ٣٩.

(٨) انظر خلف محمد الجراد، «هجرة الكفاءات العربية»، قبرص: مجلة عالم الاقتصاد العدد ٤٢ (٧/٥/١٩٩٥ م): ص ٣١.

علماء إسلاميون بارزون في فروع علمية مختلفة على مستوى العالم^(١).

ثانياً: الثروة الطبيعية.

من أبرز الثروات الطبيعية المتوافرة في عالمنا الإسلامي:

أ: المسطحات المائية. حيث يشرف العالم الإسلامي على عدد كبير من المسطحات المائية، إشرافاً قد يكون كلياً في بعضها، وجزئياً في أخرى، من تلك المسطحات: البحار، كبحر العرب، والبحر الأحمر، والأسود، والأبيض المتوسط وما يتفرع منه، ك: بحر إيجه، وممررة، وإدريا. ومن تلك البحار بحر البنغال، وعليه: بنغلادش، وبحر الصين، وعليه: شرق ماليزيا، ومورو الفلبينية، وبورنيو الأندونيسية. ومن البحار الداخلية، بحر قزوين، والبحر الميت، ويدخل في ذلك مجموعة البحار المتصلة بالمحيط الهادي، ك: بحر الصين الجنوبي، وبحر سليس، وبحر بندا، وبحر أرافورا. ومن المسطحات أيضاً: المحيطات، كالمحيط الأطلسي الذي يمتلك المسلمون منه معظم سواحل أفريقيا الغربية، من طنجة شمالاً، حتى يافرا جنوباً. ومنها أيضاً المحيط الهندي، ويمتلك المسلمون منه جانباً كبيراً من ساحل أفريقيا الشرقية، وشواطئ آسيا الجنوبية، من باب المندب حتى كراتشي وشواطئ ماليزيا وأندونيسيا. ومنها المحيط الهادي، وتقع عليه بعض الجزر الأندونيسية، والفلبينية. ومن تلك المسطحات: الخليجان والأنهار، ومن أشهرها الخليج العربي، وأنهار النيل، ودجلة والفرات، والسند، والنيجر^(٢).

ب: المنافذ المائية، حيث يتحكم العالم الإسلامي في عدد من الممرات، والمضايق البحرية، ذات الأهمية العالمية؛ لتأثيرها وتحكمها في حركة الملاحة العالمية بين العالم الصناعي، والعالم الاستهلاكي وبين مواد الخام، ومناطق التصنيع. من تلك المنافذ: جبل طارق، ويتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط، ويعتبر المنفذ الوحيد للغرب من وإلى البحر الأبيض المتوسط. ومنها: قناة السويس، وتعد أهم منفذ مائي صناعي يربط بين الغرب والشرق. ومنها:

(١) انظر يونس، مرجع سابق، ص ١١١.

(٢) انظر محمود شاكر، اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ٥٢ - ٦٤؛ ونظر علي جريشة، حاضر العالم الإسلامي، الطبعة الرابعة، ص ١٦؛ وانظر داود الفاعوري، محاضرات في حاضر العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ١١ - ١٢.

مضيق بنزرت، ويتحكم في اتصال المتوسط الغربي، بالمتوسط الشرقي. ومنها أيضاً مضيق الدردنيل والبوسفور، ويتحكمان في الحركة بين البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأسود، ويعتبران المنفذ الوحيد لروسيا إلى المياه الدافئة. ومن تلك المنافذ أيضاً: مضيق ملقا، وسنغافورة، ويتحكمان في اتصال المحيط الهندي، ببحر الصين الجنوبي والمحيط الهادي، ومنها: مضيق قوصرة، وهرمز. ومنها: باب المندب، وخليج عدن ويتحكمان في اتصال المحيط الهندي بالبحر الأحمر، ويعدان المنفذ الوحيد للشرق إلى البحر الأحمر^(١).

ج: المساحة الشاسعة، حيث تقدر مساحة العالم الإسلامي بحوالي: [٢٨] مليون كيلومتر مربع يشكل بها المسلمون أكبر وحدة مساحية تشترك في مزايا روحية، وفكرية، وتصورات واحدة. وتشغل حوالي: [٢٣٪] من مساحة اليابسة^(٢).

د: الامتداد الطولي والعرضي، تتعدد خطوط الطول والعرض على النحو التالي: شرقاً، خط طول [٧، ١٤١°]، حداً تقريبياً. وغرباً: خط طول [٤٠، ١٧°]، حداً أقصى، أي إلى الساحل الأفريقي المطل على المحيط الأطلسي، وبذلك يمتد العالم الإسلامي تقريباً ما بين نصف الكرة الشرقي، وبداية غربها. وجنوباً: دائرة عرض [١١°]، حداً أقصى، أي جنوب خط الاستواء. وشمالاً: دائرة عرض [٣٢، ٤٢°]، وبذلك يتسع العالم الإسلامي في امتداده العرضي ليتوزع على شمال الكرة الأرضية وجنوبها^(٣).

هـ: التفاوت المناخي، فبحكم الموقع وامتداد المساحة طولاً وعرضاً، تتعدد الأحوال المناخية، التي يمر بها العالم الإسلامي، والتي منها: المناخ الاستوائي، والسوداني، والصحراوي، ومناخ البحر الأبيض المتوسط^(٤)، وتبعاً لذلك تتفاوت

(١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، (الرياض: مكتبة الناصر للنشر والتوزيع)، ج ١ ص ٢٦٢؛ وانظر محمود شاكر؛ العالم الإسلامي اليوم، الطبعة الأولى، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٢؛ وانظر أبا العلا، مرجع سابق، ص ٤٤٧.

(٣) انظر شاكر، المرجع السابق؛ اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ١٥١؛ وانظر جريشة، مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) انظر شاكر، المرجع السابق، ص ٦٧؛ وانظر العالم الإسلامي، ص ٢٣ - ٢٥؛ وانظر شقلية، جغرافية العالم الإسلامي، ج ١، ص ٦٠ - ٦٢، ٦٥، ١١٦ - ١٤٧؛ وانظر يونس، العالم =

البيئات الطبيعية في أرجاء العالم الإسلامي، مما يساعد على تعدد وتنوع المحاصيل الزراعية، والنباتية، والحيوانية، والتي لها علاقة بالمناخ، يقول شقيلة عن دور المناخ وتنوعه: (. . . تنوعه على الأرض الإسلامية، يؤكد دوره في تنوع الإنتاج الزراعي، والحيواني والغابي، وتنوع حِرَف الإنسان على الأرض الإسلامية، وبالتالي خلق وإنتاج محاصيل ومنتجات زراعية، وحيوانية، وغابية متنوعة من قطر إسلامي لآخر)^(١).

و: الموقع. للموقع المكاني أهمية كبرى، وآثار مؤثرة، على مختلف المستويات الروحية، والفكرية، والاقتصادية والعسكرية، والسياسية، فمنه تستمد الروح والفكر تأثيرهما، ويستمد الاقتصاد مادته، وتستمد العسكرية استراتيجيتها، والسياسة أهميتها.

ومن مجمل النقاط السابقة تحدد الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي، ذلك الموقع الذي يجعله متميزاً عن الأمم الأخرى، بسميزات متعددة منها:

١ - المكانة الروحية والفكرية، حيث التوسط بين مناطق العالم المختلفة؛ ليكون مركز إشعاع ومصدر أمن وسلام، ومن الدلائل الإعجازية لاستراتيجية الموقع، تلك النتيجة العلمية التي توصل لها أحد العلماء، بعد دراسة علمية مفادها: أن مكة المكرمة مركز العالم الذي لو عمل له دائرة لأصبحت مكة المكرمة نقطة ارتكازه. يقول محمد المبارك: (يقع العالم الإسلامي جغرافياً بين عالم الشرق القديم، الذي يشمل الهند والصين وغيرها، والغرب الذي كان يشمل قديماً اليونان والرومان وحديثاً أوروبا وأمريكا، ويقع من جهة أخرى بين أوربة وأمريكا التي تقع شمالي جزء كبير منه وشعوب أفريقية الوثنية التي تقع جنوبي جزء كبير من أجزاءه. إن هذا الموقع الجغرافي يقابله كذلك موقع حضاري يتوسط حضارتين. فالمجتمع الإسلامي يتميز عن عالمين يحيطان به من الطرفين، وهما: العالم الشرقي الوثني من جهة، والروحي من جهة أخرى، والعالم الغربي المادي في تفكيره وهدفه)^(٢).

= الإسلامي اليوم، ص ٢٢.

(١) المرجع السابق، ج ٢ ص ٨٢.

(٢) المجتمع الإسلامي المعاصر، ص ٣٦ - ٣٧.

٢ - المكانة السياسية والعسكرية، من حيث سيطرته على كثير من المواقع الاستراتيجية، ذات الأهمية العسكرية، والمصالح السياسية، يقول توفيق الشاوي عن موقع العالم الإسلامي: (متوسط بين القارات الثلاث للعالم القديم: آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، بل إنه يتوسط أيضاً القارات الثلاث الجديدة: أمريكا الشمالية، والجنوبية، واستراليا، ذلك أننا إذا تجاوزنا عن المحيطات والبحار المفتوحة، كالمحيط الأطلسي، والهادي، أمكننا اعتبار الشواطئ الإسلامية في أفريقيا الغربية محاذية للشواطئ الشرقية في الأمريكيتين ومجاورة لها. وكذلك إذا أسقطنا من حسابنا المحيط الهادي؛ لأنه بحر مفتوح رغم اتساعه فإن الشواطئ الإسلامية في أندونيسيا، وماليزيا، تكون محاذية للشواطئ الغربية الأمريكية، وشواطئ استراليا أيضاً، إن الشواطئ الإسلامية هي أقرب الشواطئ الآسيوية والأفريقية إلى هذه القارات الجديدة الثلاث: الأمريكيتين واستراليا. هذا التوسط الجغرافي يجعل إقليم منطقتنا مجاوراً ومحاذياً أو ملاصقاً لجميع المناطق الجغرافية الأخرى في العالم، هذا الجوار له أثره على الناحية السياسية، وعلى جميع النواحي الأخرى، بما فيها النواحي الفكرية، والعقيدية لهذه المنطقة. فمن الناحية السياسية مثلاً تصبح للمشاكل السياسية لهذه المنطقة المتوسطة آثار مباشرة على مصالح وسياسات الدول التي توجد بجميع مناطق العالم الأخرى، بحكم أن جميع مناطق العالم مجاورة وملاصقة لمنطقتنا المتوسطة، ومتصلة بها اتصالاً مباشراً. إن دول العالم كلها يمكن أن يكون بعضها بعيداً عن البعض الآخر، ولكنها جميعاً قريبة لعالمنا الأوسط، وملاصقة له، مما يجعل مصالحها السياسية والاستراتيجية تتأثر مباشرة بمشكلاته وقضاياها، وأوضاعه)^(١).

٣ - المكانة الاقتصادية، حيث توافر متطلبات النمو والتقدم الاقتصادي، يقول علي جريشة: (ليس العالم الإسلامي كما يصوره الجغرافيون الأجانب نطاقاً صحراويّاً فقيراً في موارده، متخلفاً في سكانه بل إنه يقع في صرة العالم، ممسكاً بأطرافه، متحكماً في محيطاته وبحاره وخطوط ملاحته، زاحراً بأهم الأنهار، وأخصب الأراضي، وأعظم الثروات)^(٢).

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، ص ١٦.

ثالثاً: الثروة الزراعية والنباتية .

أحد الثروات التي تعتمد عليها الأمم في الحصول على الغذاء، واللباس، وهي متوافرة في عالمنا الإسلامي على النحو التالي:

أ: التربة. تبلغ مساحة الأرض الصالحة للزراعة في العالم الإسلامي حوالي: [٣٢٢،٤] مليون هكتار زُرِع منها حتى عام [١٤١٣ هـ] حوالي: [٢٤٢] مليون هكتار، تشكل [٨٪] من مجموع مساحة العالم، وتعادل [١٣،٦٪] من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة في العالم^(١).

ب: المياه. تتوافر المياه^(٢) بمختلف مصادرها المتعددة، والتي من أبرزها: مياه الأمطار، الآبار الجوفية، العيون، الأنهار، البحار^(٣).

ج: النباتات الطبيعية، وتشمل المراعي، وهي المساحات المخصصة لغرض رعي الحيوانات عموماً والغنية بغطائها النباتي الرعوي، وتشكل ما بين [٤٤٠ - ٥٠٠] مليون هكتار، بمعدل يتراوح بين: [١٤٪ - ١٦٪] من مجموع مساحة حقول المراعي في العالم^(٤). كما تشمل أيضاً الغابات، بما فيها من مراعي متنوعة، وأشجار عالية متعددة، ذات متانة وألوان متفاوتة، تستغل في أخشاب البناء والأثاث، ومد خطوط الهاتف والكهرباء، وصناعة الفحم النباتي ونحوه^(٥)، هذه الغابات المنتشرة في أجزاء متفرقة من عالمنا الإسلامي^(٦)، تغطي نصف مليار هكتار، أي ما يعادل [١١،٥٪] من إجمالي الثروة الخشبية في

(١) انظر جامعة الدول العربية، الخرطوم: المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية، المجلد [١١]، ص ٩ - ١٠؛ وانظر شقيلية، جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧٥.

(٢) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٣) انظر شقيلية، مرجع سابق، ص ٣٦٥ - ٣٦٧.

(٤) انظر جامعة الدول العربية، مرجع سابق، ص ٩؛ وانظر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز البحوث، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، ج ١ ص ٣٤٣؛ وانظر أبا العلا، جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٥) انظر شقيلية، جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٤٩١ - ٥٠١.

(٦) انظر البنك الدولي، مرجع سابق، ص ٢٥٨ - ٢٥٩؛ وانظر جامعة الدول العربية، مرجع سابق.

العالم^(١)، بلغ إنتاجها من الأخشاب في عام [١٩٨٨ م - الموافق ١٤٠٨/٦ هـ - ١٤٠٩/٥ هـ]: (٣٦٩) مليون متر مكعب^(٢).

د: المنتجات الزراعية. ينتج العالم الإسلامي أصنافاً زراعية متعددة، بكميات متباينة، ونسب متفاوتة حيث يأتي في المرتبة الأولى عالمياً في إنتاج التمر، والكاكاو، والقطن، والجوت، والفلو السوداني والنخيل الزيتي. ويأتي في المرتبة الثانية في إنتاج القمح، والشعير، والبن، وزيت الزيتون، وجوز الهند. والمرتبة الثالثة في إنتاج الأرز، وقصب السكر. بينما يحتل المرتبة الرابعة في إنتاج الشاي، والذرة^(٣).

رابعاً: الثروة الحيوانية.

يتمتع العالم الإسلامي بثروة حيوانية متنوعة^(٤)، فحسب تقديرات عام [١٤٠١ هـ] احتل العالم الإسلامي المرتبة الأولى بعدد قطع الأغنام، وتمثل حوالي [٢٠٪] من القطيع العالمي. بينما احتل المرتبة الرابعة بعدد قطع الأبقار، وتمثل حوالي [٢، ٨٪] من القطيع العالمي^(٥). أما الثروة السمكية فقد مر محصولها بـ: [٤، ٧] مليون طن^(٦).

(١) انظر عبد الوهاب عبد الواسع، الأمة الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ٢٩٢.

(٢) انظر أبا العلا، مرجع سابق، ص ٢٤٣ - ٢٤٨.

(٣) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢؛ وانظر جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مرجع سابق، ص ٨٨ - ١٣٣؛ وانظر بنك التنمية الأفريقي، صندوق التنمية الأفريقي، التقرير السنوي [١٩٩١ م]، ص ١٥ - ٢٣؛ وانظر شاكر، اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ٧٣ - ١٥٠، ١٦٥ - ١٦٦.

(٤) انظر جامعة الإمام، مركز البحوث، بحوث المؤتمر الجغرافي، ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٤٥؛ وانظر شقلية، جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٤٨٦ - ٤٨٧؛ وانظر أبا العلا، جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢٥٥ - ٢٦٢.

(٥) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢؛ وانظر جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي، المجلد [١١]، ص ١٣٤ - ١٥٤؛ وانظر شاكر، اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ١٥٨ - ١٦١؛ وانظر أبا العلا، المرجع السابق، ص ٢٥٥ - ٢٦٢.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ٢٧٩ - ٢٨٣.

خامساً: الثروة المعدنية .

الثروة المعدنية المصدر الرئيس للقوة المادية، وقوام البناء الحضاري الصناعي، توافرها يعطي القوة والمكانة للأمم، وندرتهما يهشم الدور القيادي ويثبط الهمم .

وعالمنا الإسلامي عالم غني بثرواته المعدنية الوفيرة، ذات الأصناف المتعددة، والأهمية المتميزة، حيث ينتج وينسب عالية جداً النفط، والغاز الطبيعي، والحديد، والنحاس، والمنغنيز، ومعدن الكروم والقصدير، والألمنيوم، والرصاص، والفوسفات، واليورانيوم^(١) .

تلك هي الأبرز بين الثروات المعدنية التي يكتنزها باطن الأرض الإسلامية .

سادساً - مصادر طاقة أخرى .

من أبرز مصادر الطاقة المتوافرة في عالمنا الإسلامي كثرة، طاقة البحار والمحيطات، حيث تمثل القوى المائية المختلفة كمساقط المياه، وحركة المد والجزر ونحوها، مصدراً رئيساً في توليد الطاقة^(٢) . كما تتوافر الطاقة الشمسية في مناطق شاسعة من عالمنا الإسلامي، وقد أثبتت الدراسات الحديثة على أن الطاقة الشمسية قد تتحول إلى أهم الطاقات، لو أحسن استغلالها^(٣) .

(١) انظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد، [١٩٩٤ م]، ص ٢٨٩ - ٢٩٠؛ وانظر وكالة الأنباء، مرجع سابق؛ وانظر بنك التنمية الأفريقي، التقرير السنوي، ص ٢٣ - ٢٤؛ وانظر جامعة الإمام، مرجع سابق، ص ٤٠٩ - ٥١٩؛ وانظر محمد عبد المجيد عامر، الثروة المعدنية في العالم الإسلامي دراسة في الجغرافية الاقتصادية (الإسكندرية: منشأة المعارف)، ص ٩ - ١١٥؛ وانظر أبا العلا، مرجع سابق، ص ٣٧٦ - ٤٩٥؛ وانظر محمد يوسف حسن، سمير أحمد عوض، الثروة المعدنية في العالم العربي، (مكتبة الأنجلو المصرية)، ص ٨٩ - ٣٤٣ .

(٢) انظر شاكر، اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ٢٢٢ - ٢٢٦؛ وانظر سمير محمود والي، استراتيجية الثروة، دراسة في الثروات الطبيعية في الوطن العربي، الطبعة الأولى، ١١٨ - ١٣١ .

(٣) انظر شاكر، المرجع السابق، ص ١٨١؛ وانظر جريشة، حاضر العالم الإسلامي، ص ٢٠؛ وانظر والي، المرجع السابق، ٩٧، ٢٠٥ .

الفرع الثالث

مظاهر إهدار الثروات

المقياس الحقيقي للثروة ليس في النوع أو الكم، وإنما في مدى إسهامها في تحقيق الأهداف النبيلة والغايات السامية للأمم والأفراد. فقد توجد الثروة، لكنها فاقدة للمعنى الحقيقي لها، بفعل عوامل متعددة تجعلها غثاء كغثاء السيل.

وفي هذا العصر يلحظ المتأمل للواقع الإسلامي مدى الإهمال، وعدم الاهتمام في استغلال طاقات الأمة على الوجه الأمثل، بل يجد تعمد إضاعتها وإهدارها في مظاهر متعددة، يجمعها نتائج التنمية المتعددة في عالمنا الإسلامي، حيث الفجوة الهائلة بينها وبين الثروات الإسلامية، وهذا ما يؤكد وزير التموين والتجارة الداخلية المصري أحمد جويلي، بقوله: (النتائج المحققة في مجالات التنمية والاستثمار، والتجارة، لا تتناسب مع الطاقات والإمكانات، والموارد المتاحة في العالم الإسلامي)^(١). وتفصيل ذلك في هذا البيان الشامل لمظاهر هذا الإهدار، أوجزه في هذا الفرع، وفق العرض التالي:

أولاً: الهدر في التوجيه والإعداد.

ويتمثل في أمور منها:

أ: عدم الربط بين الثروة بأوجهها المختلفة وتحقيق الأهداف السامية للأمة، حيث يتم ربط الثروة استغلالاً وتنمية بغايات تقوم في غالبها على أسس غير إسلامية، وتسعى لتحقيق أهداف غير شرعية^(٢)، يقول أحدهم: (الموارد المعدنية العربية، صلبة كانت أم سائلة، تمثل مكوناً رئيساً من مكونات الثروة العربية، وتنمية هذه الموارد إنما يعني تنمية الاقتصاد العربي، وهذه التنمية للاقتصاد العربي لو أنها تمت

(١) «من المقررات المتوقعة للمؤتمر الثاني للقطاع الخاص في الدول الإسلامية: تأسيس شركة إسلامية للتجارة والاستثمار، وصدور إعلان القاهرة عن مجالات التنسيق»، جريدة الحياة، ١٤١٦/٥/٧ هـ، العدد ١١٩١٠، ص ١٠؛ وانظر محمد فكري، «افتتاح المؤتمر الثاني للقطاع الخاص... أبو داود: أسواق جديدة، ومشروعات مشتركة لزيادة التبادل بين الدول الإسلامية»، جريدة عكاظ، ١٤١٦/٥/٧ هـ، العدد ١٠٦٤١، ص ١٥.

(٢) انظر محمد رضا محرم، الثروة المعدنية العربية إمكانات التنمية في إطار وحدوي، الطبعة الثانية، ص ١١٧ - ١٤٧.

ببصيرة قومية، وببصر وحدوي، ووفق رؤية مستقبلية راشدة، فإنها تساعد في تمهيد الطريق العربي إلى الوحدة القومية^(١).

ومما يدخل في هذا المجال عدم الربط بين خطط التنمية من جهة، وميادين ومجالات وبرامج البحث والتدريب العلمي من جهة أخرى، مما يسهم في إضاعة الوقت، وتشتيت الجهد، وصرف الإمكانيات المادية والعلمية في موضوعات بعيدة عن متطلبات الخطط التنموية، والغايات الأساسية^(٢).

إن إخراج الثروة عن أهدافها وغاياتها السامية، لهو هدر كبير لها، حيث محق البركة، وقلة الفاعلية يقول ﷺ: ((... فمن يأخذُ مالاً بحقِّه يُباركُ له فيه، ومن يأخذُ مالاً بغيرِ حقِّه فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ))^(٣).

ب: التبعية الاقتصادية للاقتصاد الأجنبي، الاقتصاد في أغلب الدول الإسلامية يتبع خطأ المؤسسات الاقتصادية الدولية، والشركات العالمية، والدول الكافرة، سواء في ذلك الأخذ بالأنظمة والقوانين التي تعتمد عليها تلك الجهات، أو الاعتماد عليها في مجال التنقيب والدراسة والإنتاج والتسويق^(٤). هذا الواقع يحمل الكثير من التباين والتناقض بين المبادئ الاقتصادية الإسلامية التي تنادي بها تلك الدول وبين الواقع المعاش. وفي ذلك هدر كبير، نظراً لما تحققه المبادئ الإسلامية من خير عظيم، ورزق وفير، قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ...﴾^(٥).

ج: عدم الجدوية في البناء والتطوير^(٦)، فعدم جدوية بعض المسلمين أفراداً

(١) المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٢) انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ١٤٤؛ وانظر بدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ص ٢٠٤؛ وانظر محمد الفنجري، المذهب الاقتصادي في الإسلام، (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص ١٢٧؛ وانظر عبد العزيز الجلال، التربية والتنمية، ص ٨٤ - ٨٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ٤١.

(٤) انظر العيسوي، قياس التبعية في الوطن العربي، ص ١٣٣ - ٢٠٨؛ وانظر نادر فرجاني، هدر الإمكانيات، بحث في مدى تقدم الشعب العربي نحو غاياته، الطبعة الأولى، ص ٧٩ - ٨٥.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٧٦.

(٦) انظر سلمان العمري، «مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - اليمامة: نصف أعضاء المنظمة لا يفون بالتزامات المالية...!!»، مجلة اليمامة العدد ١٣٣٠ (٦/٦/١٤١٥ هـ): ص ٣٤ - ٣٥.

وجماعات في تعاملهم مع ثرواتهم وقدراتهم الابتكارية المتوافرة في بلادهم أحد عوامل إهدارها، فالهمة ضعيفة، والرغبة مترددة، والمحاولات قليلة. فمثلاً حينما تتعرض الدول الإسلامية إلى موقفٍ اقتصاديٍّ معينٍ، تجدها تحاور على استحياء، وتناور بضعفٍ، وتفاوض بمجاملةٍ، يقول أبو العلا: (مما تجدر الإشارة إليه يقيناً أن المجتمع الإسلامي الفقير، قد أنعم الله عليه بموارد اقتصادية غنية جداً، ولكنَّ الجهل، والفقير ونضوب همة الرجال، لم تساعد أبداً على حسن استغلال هذه الموارد الاقتصادية)^(١).

د: النظرة الهامشية للوقت، حيث ينظر للوقت في عالمنا الإسلامي نظرة قاصرة، تجعله في مؤخرة العوامل المؤثرة في الحفاظ على الثروة، وهي نظرة تقلل من قيمة الوقت وأهميته، مما يسهم إسهاماً مباشراً في إهدار الثروة بعمد، أو بغير عمدٍ، ومن جوانب تلك النظرة القاصرة عدم إدراك قيمة الوقت، يقول مالك بن نبي رحمه الله تعالى: (حظ الشعب العربي والإسلامي من الساعات، كحظ أي شعب متحضرٍ، ولكن... عندما يدق الناقوس منادياً الرجال والنساء والأطفال إلى مجالات العمل في البلاد المتحضرة... أين يذهب الشعب الإسلامي؟! تلكم هي المسألة المؤلمة... فحن في العالم الإسلامي نعرف شيئاً يسمى الوقت!، ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم؛ لأننا لا ندرك معناه، ولا تجزئته الفنية؛ لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعةٍ ودقيقةٍ وثانيةٍ؛ ولسنا نعرف إلى الآن فكرة الزمن الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالتاريخ... وبتحديد فكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج، وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا)^(٢). هذا الجانب يتمثل بشكل أكبر في أصحاب الأعمال الرسمية، فساعات قليلة يمضيها الموظف بلا عطاء، بين تأخيرٍ وتكاسلٍ ولهوٍ، تخسر من جرائها الأمة أموالاً طائلة^(٣) فقد أثبتت بعض دراسات العمل في بعض البلاد النامية، أن نسبة الوقت الضائع نتيجة الغياب، أو التأخير في بعض الصناعات تصل إلى [٢٥٪] من إجمالي الوقت المخصص للعمل^(٤). وتتمثل تلك

(١) جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢٠٠.

(٢) شروط النهضة، الطبعة الرابعة، ص ١٤٦.

(٣) انظر علي محسن، الفاتح محمد الأمين، «[١،٥] مليار ريال تخسرها الدولة سنوياً بسبب الزوجان من الدوام...»، جريدة المدينة، ١٨/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١١٧٨٩، ص ١٣-١٢.

(٤) انظر حافظ المناوي، إعداد القوى العاملة وتنمية الموارد، دراسات في التربية والتخطيط، =

النظرة الهامشية للوقت في مفهوم استغلال الوقت، وتلك معضلة أوقعت بعض المجتهدين في وضع برامج وأنشطة لشغل أوقات الفراغ، وهي في حقيقتها عامل رئيس في إهدار الوقت وتزجيته؛ لأن هؤلاء لم يدركوا أن قيمة الوقت لا تقاس بوجود الفراغ، أو عدم وجوده، وإنما تقاس بنوعية النشاط الذي يُشغل به الوقت، ونتيجة تلك الممارسة؛ وذلك ما أوقع البعض في اللجوء إلى وسائل معينة للقضاء على الوقت، فعمدوا إلى تزجية الوقت بأحاديث باطلة، تتخللها الغيبة والنميمة ولغو الحديث، أو ممارسة أنشطة ملهية عن ذكر الله، وعن اهتمامات الحياة. أو متابعة ما يبث عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، من مسرحيات وتمثيلات وأغاني. أو ملاحقة ما ينشر عبر وسائل الإعلام المقروءة. أو متابعة الأنشطة الرياضية، وما يواكبها من هالة دعائية تجعلها غاية يسعى لها الفرد.

ثانياً: الهدر في الاستخراج والاستغلال.

تتعامل أغلب البلاد الإسلامية مع ثرواتها معاملة تجعل الناتج محدوداً، والمردود في أقل معدل مماثل وذلك بفعل عوامل متعددة^(١) منها:

أ: عدم دراسة الأرض الإسلامية، فهناك مساحات واسعة في عالمنا الإسلامي مجهولة الثروة، محدودة الفائدة؛ لعدم دراستها، ومعرفة ما فيها من ثروة، يقول شاكر: (لم تدرس أكثرية الأرض الإسلامية بعد دراسة دقيقة، ولم تعرف خبايا جوفها بشكل جيد، عدا بعض المناطق التي يحتمل فيها وجود النفط، أو استثمار منها، أو يطمع منها بالحصول على الغاز الطبيعي، أو أخذ منها)^(٢). ومن ذلك وجود مساحات واسعة، وأجزاء متفرقة من العالم الإسلامي، لم تستغل زراعياً، يقول جريشة: (. . . إن ما يعيشه العالم الإسلامي من فقر وفاقة واحتياج للقمح وغيره من مواد الغذاء، كل ذلك مصطنع ومفروض. وإلا فالعالم الإسلامي يملك أطول أنهار العالم وأغناها بالخصب والنماء. . . لا يمكن ولا يتصور أن يكون بحاجة إلى نبات

= (الرياض: دار الرشيد)، ص ٢٢.

(١) انظر فؤاد حيدر، التنمية والتخلف في العالم العربي، الطبعة الأولى، ص ٦٧ - ٦٨؛ وانظر محمد علي الفراء، مشكلة الغذاء في الوطن العربي والأزمة الاقتصادية العالمية، الطبعة الأولى، ص ١٣ - ٤٤؛ وانظر شقيلة، جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٤٥٣.

(٢) اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ١٦٩.

يستورده من شرق أو غرب. إن مساحات من الأفدنة تصل إلى الملايين في السودان، والعراق، وليبيا، وباكستان، بل وفي مصر، والجزيرة العربية، وهي صالحة فعلاً وخصبة تماماً لا تحتاج غير اليد العاملة، أو أنها كانت كذلك وقصرت الهمم والجهود والعقول عن مداها بالماء، وإعادتها خصبة كما كانت، ويكفي أن نعلم أن مصر كانت تزرع في عهد الرومان أكثر من ٩٠٪ من أراضيها، وهو أمر ثابت تاريخياً، ظلت تنقرض حتى بلغت في العصر الحديث إلى ٥٪ من أراضيها، وتسعون في المائة معطل لا يعمل ولا ينتج^(١).

ب: النقص في الإمكانيات، حيث تعاني بعض المناطق الإسلامية من عدم توافر الإمكانيات، ونقص متطلبات الحصول على الثروة، يقول شقلية: (هناك مساحات صالحة للزراعة ولا تزرع حالياً، بسبب نقص بعض متطلبات زراعتها الطبيعية، أو البشرية، ولتترك هدرًا، وضمن أراضي البور... على الرغم من الحاجة الماسة إليها، وإلى مزرعاتها، وكمجال عمل لآلاف العمال)^(٢).

كما تعاني مناطق أخرى من سوء الاستغلال، وتدني مستوى الأجهزة والإمكانيات، وبدائية الأساليب والوسائل التي تتعامل بها مع الثروة في الإنتاج والتسويق^(٣)، يقول شقلية: (بالإمكان زيادة محصول الحبوب، بل وجميع إنتاج المحاصيل والغلات الزراعية الأخرى، وذلك بتحسين وسائل وطرق الإنتاج الزراعي الذي ما زال في جميع مواقعها الإسلامية بدائي، أو تقليدي، لم يحظ بعد بتحديثه)^(٤).

ج: التهاون وعدم العناية. بعض الثروات الإسلامية تواجه إهمالاً متعمداً، كالذي تواجهه الطاقة الشمسية مثلاً، وهي الثروة التي لم تستغل بعد الاستغلال

(١) حاضر العالم الإسلامي، ص ١٨ - ١٩.

(٢) جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٤٥٣.

(٣) جامعة الإمام، بحوث المؤتمر الجغرافي، ج ١ ص ٩٨ - ١٠٥، ١٢٥ - ١٣٣، ٤٥٦ - ٤٥٨؛ وانظر اتحاد الاقتصاديين العرب، المشكلات الاقتصادية المعاصرة، ومستقبل التنمية العربية، بحوث ومناقشات المؤتمر العاشر لاتحاد الاقتصاديين العرب، (الكويت: ٦ - ٨ فبراير ١٩٨٨م)، ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٨؛ وانظر إبراهيم نحال، التصحر في الوطن العربي، (بيروت: معهد الإنماء العربي)، ص ٣٠ - ٤٤.

(٤) مرجع سابق، ص ٣٩٧.

الأمثل، وإن استُغلت في بعض المناطق فعلى نطاق ضيق، ووفق إمكانات محدودة، وورغبة في التطوير معدومة.

وكما في إهمال المواقع الاستراتيجية المختلفة، وعدم إعطائها ما يجب لها من المحافظة والعناية، وتركها خاضعة لرغبات وتحقيق مصالح الأعداء، فمن الواقع المشاهد خضوع كثير من المواقع الاستراتيجية كالممرات البحرية، لسيطرة الدول الكافرة، حيث تقام بها المنشآت، والقواعد العسكرية^(١) المختلفة، ويمارسون من خلالها تحقيق مصالحهم بكل حرية واختبار.

د: تصدير الثروات كمواد خام. ففي أغلب البلاد الإسلامية يتم تصدير الثروات كمواد خام، ومن ثم استيرادها من الدول الأجنبية بعد تحويلها إلى مواد صالحة للاستخدام^(٢)، يقول شاكر: (ومع هذا الإنتاج الضخم للعالم الإسلامي من مادة الكاكاو، فإنه مع الأسف يُصدَّرُ خاماً، حيث يُصنَّع في أوروبا، والولايات المتحدة، ثم إن كثيراً من أمصار العالم الإسلامي تستورده مُصنَّعاً، وكان من الممكن تصنيعه محلياً، وتصديره مصنوعاً... وليس عدم التصنيع قائماً على عدم الخبرة، والمعرفة، أو الفقر، إذ يمكن تأمين القروض من دول العالم الإسلامي الغنية، أو توظيف رؤوس أموال إسلامية كما أن إرسال البعثات للخبرة أمر سهل وميسور، ولكن العادة جرت من أيام الاستعمار، وبقينا على هذه الحال بعد ذهاب الاستعمار)^(٣).

هـ: الاعتماد على الأعداء في دراسة إمكانات العالم الإسلامي. حيث يتم في أغلب البلاد الإسلامية تفويض أمر القيام بدراسة المشاريع الاقتصادية إلى جهات أجنبية، سواء كان ذلك في مجال دراسة الجدوى الاقتصادية، أو التخطيط^(٤). كما

(١) انظر «بعد [٣٥] عاماً مضت على إغلاقها لقاعدة غواصات سوفياتية، ألبانيا سمحت للولايات المتحدة بإقامة قاعدة جوية في أراضيها»، جريدة الجزيرة، ٢٧/٢/١٤١٦ هـ، العدد ٨٣٣٥، ص ٢٤.

(٢) انظر خالد دراج، «النعيمي في افتتاح ندوة الاستثمارات التعدينية: نهدف لتصنيع معادننا، بدلاً من تسويقها خاماً» جريدة عكاظ، ١٥/٦/١٤١٦ هـ، العدد ١٠٦٧٩، ص ١٣؛ وانظر شقلية، مرجع سابق، ص ٤٤٨، ٤٥١.

(٣) اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ١١٩.

(٤) انظر عبد القوي الشامي، «الملاحه الوطنية اليمنية تنيط دراسة تخصيصها لشركة بريطانية»، =

يتم تفويضهم للقيام بدراسات متعددة للمناطق الإسلامية بهدف البحث والتنقيب؛ لمعرفة ما فيها من ثروات طبيعية^(١)، يقدم المناسب منها إلى الدول الإسلامية، والمناسب بطبيعة الحال هو ما يتفق مع مصلحتهم، ويحقق غايتهم.

كل ذلك هدر فاضح، وأمر مؤلم، لمن آمن بقوله تعالى: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَيْثُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢)، يقول شاكر: (هؤلاء الذين نعتد عليهم في دراسة أراضينا، فإن مصالحهم - مما لا شك فيه - هي المقدمة، ولا غرابة في ذلك، فكل إنسان يسعى وراء مصلحته، وليس هناك من يفتش على مصلحة الآخرين، ويدع شأنه الذي فيه صلاح أمره، إنهم يقبون خارج أراضيتهم عن المعادن والثروات التي لا تتوفر في بلادهم، ولا يهتمون بما عدا ذلك... إلا من خلال مصالحهم، وما يرون من ذلك فائدة لهم، كأن يأخذوا المعلومات الكاملة عنها ويتركوها، وتبقى تلك الدراسات سرية للغاية ويبد الدارسين فقط، حتى إن هذه المعلومات لتجهلها الدولة صاحبة الأرض بالذات)^(٣)، ويقول: (... لا تزال ثروات كبيرة... مدفونة في جوف أرضنا، ولا يهتم بها أحد، بل لا نعرف الاحتياطي منها؛ لأنها لم تدرس بعد، ما دام الأجانب يُؤمّنون هذه الثروات من بلادهم، وتزخر أراضيتهم بها، فيكتفون بما يستخرجون منها، وتقنع صناعتهم بما يحصلون عليه، إذ الحاجة غير ملحة لهم بالذي في أرضنا، وتبقى ذخراً يمكنهم التنقيب عنه في الوقت الذي يرون فيه ضرورة لهم ولصناعتهم، إذ يرون الآن أنهم ليسوا بحاجة إلى استخراجها حتى لا تزداد ثروتنا أو تقوم لنا صناعة. وقد تكون

= جريدة الشرق الأوسط، ١٩/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠١٥، ص ١٣؛ وانظر «مصر توقع ٦ إتفاقات مع شركات عالمية للتنقيب عن النفط»، المرجع نفسه، ٢٤/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠٢٠، ص ١٢؛ وانظر «بكلفة مليار دولار وبمشاركة إسرائيلية: شركات أمريكية ويابانية تقدم عطاءات لإنشاء مصفاة نفط مصرية». المرجع نفسه، ١/١/١٤١٦ هـ، العدد ٦٠٢٧، ص ١٤.

(١) انظر عيسى عبده، بترول المسلمين ومخططات الغاصبين، (القاهرة: دار المعارف)، ص ١٤٥ - ١٦٢؛ وانظر «مكوك أميركي يصور الثروات في الصحاري العربية»، جريدة الشرق الأوسط، ٩/٥/١٤١٥ هـ، العدد ٥٧٩٩، ص ٢٤؛ وانظر ناجي الحرازي، «توتال» الفرنسية تمتلك [٧٠٪] من المشروع: توقيع صفقة الغاز الطبيعي في اليمن»، المرجع نفسه، ٢٧/٤/١٤١٦ هـ، العدد ٦١٤٢، ص ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

(٣) مرجع سابق، ص ١٦٩ - ١٧٠.

الظروف السياسية غير مناسبة لهم لاستثمار الثروات الباطنة من منطقة من المناطق، كأن يكون الوضع السياسي في غير مصلحتهم، أو حتى لا تلفت نظر بقية المؤسسات الاستعمارية والشركات الاستثمارية... وقد يستخرجون بعض الثروات ليقى ما في بلادهم احتياطياً لهم ما دام مضموناً في أيديهم^(١).

هـ: التأخر في استغلال المستجندات. تمر بالأمة الإسلامية مستجندات سياسية واقتصادية وعسكرية تحدث آثاراً متفاوتة على المستوى الفكري والعملية للفرد وللدولة، منها ما يكون داخل الساحة الإسلامية، أو خارجها، من هذه المستجندات على الساحة المحلية الإسلامية، تلك الاعتداءات العسكرية المتكررة على البلاد الإسلامية من قبل الأعداء، هذه الاعتداءات ونحوها تمر دون توظيف آثارها ونتائجها لخدمة أغراض الأمة، من خلال إيقاظ المشاعر، وشحن الهمم، واستغلال رد الفعل الحماسي لتلك المواقف بتوجيهه لما يخدم الصالح العام^(٢). ومن المستجندات على الساحة الدولية عدم استغلال الظروف الدولية الطارئة، والمتغيرات الجارية، في بسط نفوذ إسلامي، خاصة في المناطق الإسلامية التي هي بحاجة إلى كل مسلم، كما أن كل مسلم بحاجة ماسة لقدراتها وطاقاتها المختلفة^(٣). ومما يندرج تحت هذا المفهوم الجهل بالحاجات العالمية، والبعد عن المستجندات التجارية فمثلاً حين أقامت دول الاتحاد الأوربي مجموعة كبيرة من المعايير الخاصة بالمنتجات الصناعية، تعرف باسم: إيسو، قامت أغلب الدول المتعاملة مع المجموعة الأوربية بإعداد برامج مناسبة لتلك المعايير كما هيأت منتجاتها لتتفق مع تلك المتطلبات، أما الدول العربية فلم تنهياً لتلك المستجندات، مع أن دخول الدول العربية في تعامل مع المجموعة الأوربية، يلزمها الالتزام بتلك المواصفات والمعايير، وبما أن الدول العربية لم تأخذ لهذا الأمر أهبتة، فستعاني منتجاتها من عزلة داخل السوق الأوربية، وستفقد الكثير من مميزات التعامل التجاري مع الدول الأوربية^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ١٧٠.

(٢) انظر سليمان المنذري، الفرص الضائعة في مسار التكامل الاقتصادي والتنمية العربية، الطبعة الأولى، ص ٩.

(٣) انظر محمود مراد، «الجمهوريات الإسلامية في «الاتحاد السوفيتي» سابقاً ووسط المتغيرات الإقليمية والدولية: هل تصبح شريكة للشرق الأوسط... أم تبعد عنه؟... موسكو تسيطر... إسرائيل تتغلغل... العرب يتباعدون!»، جريدة الأهرام، ٢١/١٠/١٩٩٤ م، ص ٥.

(٤) انظر عبد الحميد الدرهمي، «ما هو السبيل لمواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية؟»، جريدة =

ثالثاً: الهدر في التنمية والاستثمار.

تسلك أغلب البلاد الإسلامية أشكالاً متعددة من الوسائل والأساليب المتباينة والمتفاوتة؛ بغرض تنمية واستثمار ثرواتها، هذه الوسائل والأساليب منها ما يسهم بشكل كبير في إهدار الثروات من عدة أوجه، على النحو التالي:

أ: التباين بين الهياكل الاقتصادية، حيث ينعدم التوازن في المسيرة الاقتصادية في أغلب بلدان العالم الإسلامي، حيث الاعتماد في البناء الاقتصادي على مصدر واحد للثروة، فبلد يعتمد على الزراعة وآخر على الصناعة، وآخر على النفط، وآخر يعتمد على وفرة أحد الثروات. هذا الاعتماد يجعل ذلك البلد يرتبط اقتصادياً بتلك الثروة، فيقع ضحية تقلبات السوق العالمي^(١)، والظروف الطارئة يقول محمود شاعر: (. . .) بعض الأمصار يأتي غناها من ثروة ثانية، سواء أكانت زراعية أم معدنية أم مصدر طاقة، أم مركز تجارة، وقد أغنتها هذه الثروة لدرجة كبيرة، بحيث لم تعد تلثفت إلى ما تخبئه أرضها من ثروات ثانية ما دامت قد اكتفت بما حصلت عليه، وفي الوقت نفسه قد يكون هذا إيحاء من الشركات الاستثمارية، ومهارة من رجالها، بحيث لم تجعل هذه الشركات الحكومة القائمة في ذلك المصير تتجه في الوقت الحاضر لاستثمار بقية المعادن. فالبلاد التي تأتيها ثروتها رغداً عن طريق النفط، لم تعد تعير التنقيب عن بقية المعادن والتفتيش عن الثروات الثانية أي اهتمام، بل إن الأمور الزراعية التي هي مصدر غذاء الشعب، قد أضحت مهملة، وتضطر الدولة إلى استيراد كل ما هي بحاجة إليه من المواد الغذائية، ومعتمدة على ما تملك من ثروة وما تدخر من مال يمكنها من الحصول على العملة الصعبة بسهولة ويسر^(٢).

ب: عدم التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، حيث تتفاوت الدول الإسلامية في ثرواتها فبعضها يملك التمويل المالي، وأخرى تملك الإمكانيات الطبيعية، وثالثة تملك الإمكانيات العلمية، وتبعاً لذلك تتفاوت المحاصيل والإمكانيات. وهذا ما يجعل الدول الإسلامية غنية من جهة، وفقيرة من جهة أخرى، لكنها مع بعضها البعض من أغنى مناطق العالم. لكن الدول الإسلامية عموماً تعاني

= المدينة، ١٦/٦/١٤١٤ هـ، العدد ٩٦٩٠، ص ٤.

(١) انظر شقيلية، جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٤٥٤.

(٢) اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ١٧٠.

من عدم التكامل في هذا المجال، فالفائض في ثرواتها، تتعامل به مع دول أجنبية، بدلاً من أن تتعامل به مع دول إسلامية، كما أنها تسعى لسد النقص في ثرواتها من دول أجنبية، وتبتعد عن التعامل مع دول إسلامية. ونتيجة لذلك تخسر دول العالم الإسلامي أموالاً طائلة، من جراء عدم التكامل التجاري بينها، ولضعف المعاملة البينية^(١)، فمثلاً بلغت التجارة البينية بين الدول الإسلامية في عام [١٩٩٣ م - الموافق ١٤١٣/٨ - ١٤١٤/٧ هـ]، ما نسبته: [٥، ١٠٪] من إجمالي وارداتها، بينما بلغت نسبة الصادرات [١، ١١٪] من إجمالي الصادرات الإسلامية^(٢). بينما بلغت نسبة التجارة البينية بين الدول العربية: [٩، ٨٪] من إجمالي التجارة الخارجية^(٣).

وتلك نسب تعاملية ضعيفة جداً، تخسر من جرائها الدول الإسلامية أموالاً طائلة. هذا الضعف نتيجة طبيعية لعدم التكامل بين الدول الإسلامية، وهذا ما تؤكده دراسة صادرة عن الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا، حيث تبين أن من أبرز معوقات التبادل التجاري بين الدول العربية، تكمن في ارتفاع أسعار نقل البضائع، وتنقل الأفراد بين الدول العربية، وانخفاض مستواها الأدائي والآلي وتظهر هذه السلبيات بشكل أكبر عند مقارنتها بأسعار ومستوى الخدمة في الدول المتقدمة^(٤). كما تبين دراسة أخرى صدرت عن الأمانة العامة للاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية، تحت عنوان: (التجارة العربية البينية مشاكل ومعوقات النقل بين الأقطار العربية)، أن اختلاف النظم والسياسات المتبعة للنقل البري والجوي والبحري داخل البلدان العربية، عامل رئيس في ضعف نسبة التبادل

(١) انظر غريب الجمال، التضامن الإسلامي في المجال الاقتصادي، الطبعة الأولى، ص ٧٢ - ٨٣؛ وانظر علي الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٢٢ - ٢٦؛ وانظر المنذري، الفرص الضائعة، ص ٢٣ - ٥٨؛ وانظر فرجاني، هدر الإمكانية، ص ٧٤ - ٧٨.

(٢) انظر البنك الإسلامي، المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية، ص ٣٥ - ٣٦.

(٣) انظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [٩/١٩٩٤ م]، ص ب، ١١٦ - ١١٧، ٣٢١؛ وانظر عبد المنعم السيد علي، عبد الرحمن الحبيب، نظام النقد الدولي والتجارة الخارجية للبلاد العربية، الطبعة الأولى، ص ١٠٨ - ١١٠.

(٤) انظر مصطفى أبو هارون، «في دراسة الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا: ارتفاع أسعار النقل بين الدول العربية عائق أمام تدفق التبادل التجاري في المنطقة»، جريدة الحياة، ١٤١٦/٢/٢٤ هـ، العدد ١١٨٣٩، ص ١١.

التجاري والاقتصادي بينها، والذي بلغ في عام [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٨ - ١٤١٣/٧ هـ -]: (٧٪ - ١٠٪) فقط^(١).

هذا الواقع دفع بعض المسلمين المعاصرين إلى بذل جهود متعددة؛ لأجل تجاوز تلك العقبات المهذرة حيث تجري محاولات من القطاع الخاص والعام في البلاد الإسلامية، لفتح مجالات تعاون مشتركة بين الدول الإسلامية، تتمثل في إقامة مشاريع حديثة، وإيجاد أسواق جديدة، وزيادة حجم التبادل التجاري، وتطوير التكنولوجيا الإسلامية^(٢).

ج: ربط العملات والمعاملات الإسلامية بعملة واحدة، حيث عمدت وتعمد بعض الدول الإسلامية إلى ربط معاملاتها التجارية، وتثبيت سعر صرف عملتها بعملة دولية واحدة، ورغم ما لهذا التثبيت من إيجابيات تسهم في تنشيط الحركة الاقتصادية المحلية على مستوى العالم، إلا أن السلبيات التي يسهم فيها تذبذب قيمة تلك العملة، تفوق تلك الإيجابيات بمراحل^(٣)، وفي الواقع المشاهد اليوم بيان لفداحة الخسائر التي أصابت بعض الدول الإسلامية، نتيجة لتدهور قيمة العملة الدولية التي ارتبطت بها في الأسواق العالمية.

(١) انظر «... النقل.. عائق آخر على طريق التجارة البينية العربية»، جريدة الرياض، ١٤١٥/٣/٢ هـ، العدد ٩٥٤٢، ص ٢١؛ وانظر «الشرق الأوسط تتابع مداولات اليوم الأخير لمؤتمر رجال الأعمال العرب في الإسكندرية: الاستثمارات العربية البينية هبطت إلى نحو الثلث، و«الجات» تكلف الدول العربية (٥، ١٤) مليار دولار سنوياً»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٦/٣ هـ، العدد ٦٠٢٩، ص ١١.

(٢) انظر «من المقررات المتوقعة للمؤتمر الثاني للقطاع الخاص في الدول الإسلامية: تأسيس شركة إسلامية للتجارة والاستثمار، وصدور إعلان القاهرة عن مجالات التنسيق»، جريدة الحياة ١٤١٦/٥/٧ هـ، العدد ١١٩١٠، ص ١٠؛ وانظر عبد الله الطياري، علي الدويحي، مبارك البيشي، «وزراء التجارة الخليجيون يلتقون.. ورجال الأعمال لـ عكاظ الاقتصادي: تطلعاتنا كبيرة في تنمية التجارة البينية والاستثمارات المشتركة»؛ وانظر محمد فكري، «افتتاح المؤتمر الثاني للقطاع الخاص.. أبو داود: أسواق جديدة، ومشروعات مشتركة لزيادة التبادل بين الدول الإسلامية»، جريدة عكاظ، ١٤١٦/٥/٧ هـ، العدد ١٠٦٤١، ص ١٥.

(٣) انظر عبد المنعم زنايلي، الحوار العربي الأوربي، (دمشق: وزارة الثقافة)، ص ٢٨٤ - ٢٨٥؛ وانظر اتحاد الاقتصاديين العرب، المشكلات الاقتصادية، ج ١ ص ٥٢؛ ٢٨٩ - ٢٩١؛ وانظر السيد علي، الحبيب، نظام النقد الدولي والتجارة الخارجية للبلاد العربية، ص ٦٤ - ٧١.

وفي المقابل فإن ربط العملة بعدد من العملات الرئيسية الدولية يوفر على الدول أعباء مالية كبيرة ويسهم في الاستقرار والانتعاش الاقتصادي المحلي، وهذا ما يؤكد أنه واقع بعض الدول الإسلامية القليلة التي ربطت عملتها بأكثر من عملة دولية^(١).

ومن أبرز آثار ربط العملات الإسلامية بعملة واحدة: الخسائر المالية الكبيرة. وزيادة الديون تبعاً لتحكم الأعداء في أسعار صرف العملات، يقول البنك الدولي في تقرير له: ارتفاع قيمة الين الياباني أمام الدولار الأمريكي أدى إلى زيادة في الديون الخارجية الأندونيسية وصلت إلى [١٠٠] مليار دولار. بعد أن كانت في نهاية عام [١٩٩٣ م - الموافق ١٤١٤/٧ هـ -]: [٥، ٨٩) مليار دولار^(٢).

د: الاعتماد على الاستيراد، حيث تعتمد بعض البلدان الإسلامية على استيراد منتجات التقنية الحديثة العسكرية والمدنية، واعتماد مبالغ هائلة لأجل ذلك، دون أي عناية ببناء القدرة الذاتية التي تجعلها تعتمد على إمكانياتها للحصول على تلك التقنيات^(٣). وذلك هدر فاضح، فتلك القدرة التكنولوجية يحكمها محدودية الاستفادة منها، بفعل ظهور تقنية جديدة أفضل منها، تحد من فائدتها، أو تلغيها أصلاً. كما يحكمها تعرضها لأعطالٍ تعوقها عن أداء عملها، بفعل سوء الاستخدام أو طول مدته.

وهذا ما يجعل الأمة في عمل دائم، وسعي متواصل في متابعة منتجي تلك الأجهزة بغرض الحصول على المفيد منها، يقول الشاوي: (كان خطأ دعاة التقليد الأعمى أنهم دفعوا شعوبنا في طريق سهل يؤدي إلى المهانة والذلة والتبعية، والخضوع للشعوب المتقدمة، التي تستورد منها ما حققته بجهدا وعملها، من ثمار

(١) انظر «خبير اقتصادي بحث على الاستخلاص دروس أزمة الدولار: فك ارتباط العملات الخليجية بالدولار، يساعد على الاستقرار الاقتصادي في المنطقة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٢/٦/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠٠٥، ص ١٢؛ وانظر «في تحليل لرئيس غرفة تجارة الإمارات: تقلبات الدولار تؤثر سلباً على الاقتصاديات الخليجية»، الجريدة الاقتصادية، ١٤١٦/٣/٧ هـ، العدد ٧٨٧، ص ٨.

(٢) انظر «أندونيسيا: ارتفاع حجم الديون الخارجية إلى [١٠٠] مليار دولار»، مجلة الإصلاح العدد ٣٢٤ (١٤١٦/٢/٣ هـ): ص ٣٧.

(٣) انظر اتحاد الاقتصاديين العرب، المشكلات الاقتصادية المعاصرة، ج ١ ص ١٦٧.

صناعتها، إنه طريق استيراد المصنوعات وأدوات الترف، وحصروا جهودهم في استهلاك منتجات الأمم المتقدمة، وأبعدوا شعوبهم عن طريق إنتاجها، أو بنائها في بلادنا. وطريق الاستيراد ضار وخطير؛ لأنه يدفع شعوبنا وأفرادنا للاستسلام للتبعية ومركب النقص الذي يجعلنا في المؤخرة، ننتظر ما يعود به علينا غيرنا من ثمار تقدمه، فنصبح عالة على مجهودات الأمم الأخرى وعاجزين عن الاعتزاز بشخصيتنا، وفاقدين للثقة بأنفسنا، إن معناه أن نحكم على أنفسنا بأن نسير في ذيل القافلة إلى الأبد. نسير تابعين لمن يوردون لنا بضائعهم، ويصنعون لنا ما نستهلك وما نستورد^(١).

هـ: الاعتماد على الأجنبي، في وسائل التنمية المختلفة. أغلب البلاد الإسلامية تعتمد اعتماداً كبيراً على العمالة الأجنبية في سد حاجاتها العمالية^(٢) لبعض القطاعات، بل قد تصل نسبة الاعتماد عليها في النشاط الاقتصادي إلى حوالي: [٧٠ - ٨٥٪]^(٣)، يقول شقيلية: تضطر (الأقطار الإسلامية إلى استقدام خبرات وعمالة التعدين من الأجنبي الحاسد والمعادي للعالم الإسلامي، والمهدد دائماً بالمزيد من طلبات الحوافز والشروط، خاصة الانسحاب إذا لم تتحقق مطالبه، وبالتالي توقف الإنتاج...^(٤)). والعمالة الأجنبية أحد الأسباب الرئيسة لفشل النمو الاقتصادي في بلدان العالم الإسلامي، فرغم توفير الخدمات والإمكانات اللازمة لتلك العمالة، إلا أنه ثبت أن طاقتها الإنتاجية ضعيفة جداً، مما حد بالمسؤولين إلى المطالبة بالتوجه إلى المشروعات ذات الكثافة الرأسمالية، والتخلي عن المشروعات ذات الكثافة العمالية^(٥)، يقول اليهودي روستو عن المواطن العربي: (لم يستطع التحرر من سيطرة الغرب الحضارية، إن ثروته البترولية تصنع وتسوق بالعقول الغربية،

(١) الشرق الأوسط، ص ١٩١.

(٢) انظر مركز دراسات الوحدة العربية، المعهد العربي للتخطيط بالكويت، العمالة الأجنبية في أقطار الخليج العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بالتعاون مع المعهد العربي للتخطيط، ص ٥٣١ - ٥٣٤ - ٥٤٢، ٦١١ - ٦١٢.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٥٦٢.

(٤) جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٦٠٩.

(٥) انظر مركز دراسات الوحدة العربية، مرجع سابق، ص ٣٢٧ - ٣٣٩، ٥٦٥؛ وانظر «وزير الاقتصاد الإماراتي يدعو إلى خفض العمالة الأجنبية في بلاده، ويعتبرها سبباً لفشل النمو الاقتصادي»، جريدة الرياض، ١٤١٦/١/٢٥ هـ، العدد ٩٨٦٠، ص ١٧.

و: الاستثمار في البلاد الأجنبية، توظيف الأموال الإسلامية في البلاد الأجنبية^(٢)، يتمثل في قيام أغلب الدول الإسلامية ذات الفائض المالي، بتوظيفه في بنوك ومصارف البلاد الكافرة بشكل أساسي^(٣)، فقد بلغت الاستثمارات الخارجية للدول العربية فقط، حوالي: [٩٨٪] من إجمالي الاستثمارات العربية^(٤)، يقول الدكتور أحمد جويلي وزير التموين والتجارة الداخلية المصري: (. . . الدول الصناعية تستقطب معظم التجارة الخارجية للدول الإسلامية، وتأتي المجموعة الأوربية في المرتبة الأولى، ثم دول آسيا، والباسفيك في المرتبة الثانية، ثم مجموعة دول اتفاقية النانتا في المرتبة الثالثة)^(٥). كما يتمثل ذلك الاستثمار في الأموال والودائع الإسلامية الهاربة أو المهاجرة إلى الدول الأجنبية، والتي بلغت في إحدى الفترات ما بين: [٦٠٠ - ٨٠٠] بليون دولار^(٦).

(١) الفاتح، لورنس العرب، ص ٣٨.

(٢) انظر المنذري، الفرص الضائعة، ص ٨٢ - ٨٨؛ وانظر زناييلي، الحوار العربي الأوربي، ص ٢٨٦ - ٢٨٧؛ وانظر عيسى عبده، بتقول المسلمين، ص ٢٠ - ٢٩؛ وانظر قضية الأسبوع: «الاستثمارات العربية في الخارج، الفلوس تحب الظمأنينة». مجلة اليمامة العدد ١٣٧٦ (١٧/٥/١٤١٦ هـ): ص ٢٢ - ٢٦.

(٣) انظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٨٩.

(٤) انظر يوسف شاكر، «رئيس الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة العربية لـ الشرق الأوسط: [٩٨٪] من الاستثمارات العربية خارج حدود المنطقة، الأولوية لدعم التعاون الاقتصادي بين الدول العربية»، جريدة الشرق الأوسط، ١/١/١٤١٦ هـ، العدد ٦٠٢٧، ص ١٧؛ وانظر «الشرق الأوسط تتابع مداولات اليوم الأخير لمؤتمر رجال الأعمال العرب في الإسكندرية: الاستثمارات العربية البينية هبطت إلى نحو الثلث...»، المرجع نفسه، ٣/١/١٤٦ هـ، العدد ٦٠٢٩، ص ١١.

(٥) انظر عرفان نظام الدين، «من الحياة: كيف تعود الرساميل؟»، جريدة الحياة، ٩/٦/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٩١، ص ٢٠.

(٦) انظر يوسف شاكر، مرجع سابق؛ وانظر محمد فكري، «افتتاح المؤتمر الثاني للقطاع الخاص...»، جريدة عكاظ، ٧/٥/١٤١٦ هـ، العدد ١٠٦٤١، ص ١٥؛ وانظر «من المقررات المتوقعة للمؤتمر الثاني للقطاع الخاص في الدول الإسلامية: تأسيس شركة إسلامية للتجارة والاستثمار، وصدور إعلان القاهرة عن مجالات التنسيق»، جريدة الحياة، ٧/٥/١٤١٦ هـ، العدد ١١٩١٠، ص ١٠.

كما أفادت دراسة قام بها اتحاد المصارف العربية، حول واقع وآفاق أسواق المال العربية: إن إجمالي رؤوس الأموال لجميع الشركات المدرجة على قوائم أسواق المال العربية، قد بلغت حوالي: [٥٠] مليار دولار، هذا الرقم يعتبر ضئيلاً إذا ما قورن بإجمالي الأصول الأجنبية التي يمتلكها القطاع الخاص العربي، والتي بلغت ذروتها في أوائل عقد التسعينات بتجاوزها لمبلغ [٦٧٠] مليار دولار منها [٤٢٪] في شكل ودائع لدى المصارف الأجنبية^(١).

هذه الأموال تسهم في دعم الاقتصاد الأجنبي، دون أي إسهام أو دعم للاقتصاد الإسلامي، وهذا ما تؤكدته دراسة قام بها خبيرٌ مصريٌّ، جاء فيها أن أكثر من [٢٠٠] مليار دولار من أموال المصريين تستثمر في مراكز المال العالمية، وتجري وراء الأرباح، دون أية مساهمة في مشروعات استثمارية داخل مصر^(٢).

وهناك أثر ذو خطورة أخرى، تتمثل في: إمكانية فقدان تلك الأموال كاملة، والحيلولة دون الاستفادة منها، حيث تعتمد بعض الجهات الأجنبية إلى تجميد الأرصدة المالية الموجودة في بنوكها ومصارفها لحساب مؤسسات خاصة أو حكومية في البلاد الإسلامية، عند حصول اختلاف بين الجهتين، وهو تجميد يحقق أرباحاً طائلة للدولة الأجنبية، وخسائر كبيرة لأصحاب المال الإسلامي^(٣).

ز: الهدر في عناصر التنمية الرئيسة، حيث تتعدد عناصر التنمية بتعدد أوجهها ومجالاتها، والطاقات البشرية عنصر رئيس في جميع مجالات التنمية، ومع ذلك فالقدرات البشرية بمستوياتها المختلفة وأشكالها المتباينة، تواجه هدراً متعدد الجوانب، يقضي على كثير من الإمكانيات، ويُفقد الأمة القدرة على تجاوز العقبات، والسير بثباتٍ، ومجمل ذلك الهدر أذكره في البيان التالي:

(١) انظر «دراسة أعدها اتحاد المصارف العربية: هجرة رؤوس الأموال من المنطقة العربية أكبر مما هي في المناطق النامية الأخرى»، المرجع السابق، ١٥/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١١٨٣٠، ص ١٠.

(٢) انظر «يقدرونها من [٥٠] ملياراً إلى [١٣٠] ملياراً: أموال مصرية مهاجرة.. كيف يمكن إقناعها بالعودة؟»، مجلة اليمامة العدد ١٢٢٧، ٢٥/٤/١٤١٣ هـ: ص ٣٠ - ٣١.

(٣) انظر المنذري، الفرص الضائعة، ص ٨٩ - ٩٣؛ وانظر هناك بوحجي، «... التجميد الأمريكي يخفض أرباح الخدمات المالية العربية [٧٢٪]»، جريدة الشرق الأوسط، ١٩٩٥/٥/١١ م، العدد ٥٩٩٨، ص ١١.

أ: إهمال القدرات، وكبت العقول في بعض البلاد، ويأتي ذلك في جوانب متعددة منها ارتفاع نسبة الأمية في بعض البلاد الإسلامية^(١)، حيث تصل إلى [٢، ٥٣٪]، بينما هي في أغلب البلدان الصناعية أقل من [٥٪]^(٢). ومنها عدم العناية بالنشء الإسلامي، الذي يواجه عقبات مختلفة تحول بينه وبين التوجه نحو الوجهة السامية التي تتفق مع غايات الأمة، حيث يعاني من الإهمال عموماً وعدم العناية ببرامج رعايته في البيت والمدرسة والمجتمع^(٣)، مما يجعلهم عرضة للانحراف السلوكي والنفسي والدراسي^(٤). كما يعاني النشء من عدم رعاية المواهب الناشئة، ذات القدرات المميزة وإهمالها بدءاً، مما يقضي عليها في مهدها^(٥). ويعاني أيضاً من التخلف العقلي والجسدي، نتيجة لسوء الأحوال المعيشية والصحية، فبدلاً من النمو السوي، يتحول النشء إلى معاقني القوى والقدرات^(٦). ومنها أيضاً عدم العناية بالعقول، بتركها للفراغ والقلق^(٧)، مما يحدث

(١) انظر البنك الإسلامي، المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية، ص ٥؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٤ م]، ص ٢٤ - ٢٥؛ وانظر الجلال، التربية والتنمية، ص ٣٥ - ٣٨.

(٢) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ص ١٩٤ - ١٩٥؛ وانظر عمار، التنمية البشرية، ص ١٠٢.

(٣) انظر عبد الله السدحان، وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب، الطبعة الأولى، ص ٥٨ - ٦٠، ٩٤ - ١٤٠.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ١٦٢؛ وانظر جابر القرموطي، «... مصر: (٦) ملايين طفل مصابون بأمراض نفسية»، جريدة الحياة، ١٤١٦/٤/٢١ هـ، العدد ١١٨٩٥، ص ٢٤.

(٥) انظر الجلال، مرجع سابق، ص ١٨٧؛ وانظر خالد الزيدان، «صيف الشباب، هدر الوقت، طاقات معطلة، د. الجوير: معالجة الفراغ بالمراكز الصيفية وتحقيق رغبات المشاركين... د. النملة: المراكز تساهم في تنمية المواهب...»، جريدة الرياض، ١٤١٦/٣/١ هـ، العدد ٩٨٩٥، ص ٦.

(٦) انظر منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، التقرير السنوي للمدير الإقليمي عن: أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق البحر المتوسط، [١/١ - ١٢/٣١/١٩٩٠ م]، ص ١٨٣ - ٢٢٨؛ وانظر «مليون حالة وفاة بين الأطفال في الوطن العربي سببها سوء التغذية...»، جريدة الحياة ١٤١٦/٢/٢٠ هـ، العدد ١١٨٣٥، ص ١٣؛ وانظر «... الجوع يحصد من جديد أطفال الصومال بسبب سوء التغذية»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/٢/٢٠ هـ، العدد ٨٣٢٨، ص ٢٩.

(٧) انظر السدحان، وقت الفراغ، ص ٥٨، ٩١ - ٩٣.

رد فعل عكسي على القدرة الفكرية والمعرفية، تكون آثاره في الركون إلى الراحة، وكره العمل والجد في النظر^(١). ومنها تقييد ذوي القدرات المميزة، بعدم إعطائهم فرصة العمل بالشكل الصحيح، فهذا طيب مميز بقدراته العلمية والفكرية، يحاط بقيود ووصايا تحد من حركته، وتشل نشاطه، فيبقى طيباً عادياً يؤدي عملاً دورياً يقضي عليه الطابع الروتيني. ومنها إهمال المحاولات الابتكارية، بعدم الاهتمام بتلك المحاولات الابتكارية والاختراعية، حيث تواجه طلبات إثبات براءة الاختراع من الجهات المسؤولة بالروتين المخل، والانتظار الممل^(٢). ومنها عدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، فكثير من المناصب القيادية والتوجيهية، يتولاها أشخاص غير مؤهلين لها، وصلوا بوسائل جاهية أو اجتماعية أسندت الأمر إلى غير أهله، وأبقت القادر في منأى عن الاستفادة من قدراته وكفاءته. ومنها أيضاً إهدار الطاقات العلمية في أوجها، فعندما يبلغ العالم سناً معينة، يُطلب منه التنحي، والابتعاد عن ميادين العمل المؤثرة، وبذلك تحرم الأمة من جهوده المباشرة، ويقضى معنوياً على طاقات علمية وخبرات عملية، كان الأولى معاملتها معاملة خاصة، ووضعية فريدة تسمح بعطاء مضاعف^(٣).

ب: إشغال الأمة بالملهيات، تحت مسميات متعددة، وأشكال متنوعة، وممارسات مختلفة في ظاهرها لكنها متفقة في جوهرها، يتم إلهاء الأمة على مستوى الفرد والجماعة بملهيات مختلفة، تحاط بالدعاية الخادعة، والمغرية الزائفة، التي

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٥٨ - ١٦٠؛ وانظر فواز الشريف، «يجب تفريغ الطاقات الإبداعية في المفيد: شبح «الطفش» يهدد الطلاب في الإجازة»، جريدة البلاد، ١/٣/١٤١٦ هـ، العدد ١٤٢٩٠، ص ٥.

(٢) انظر مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، التقرير السنوي الثاني عشر، للعام [١٤٠٩ - ١٤١٠ هـ]، ص ٢١؛ وانظر التقرير السنوي الثالث عشر للعام [١٤١٠ - ١٤١١ هـ]، ص ١٩؛ وانظر التقرير السنوي الرابع عشر، للعام [١٤١١ - ١٤١٢ هـ]، ص ١٩؛ وانظر التقرير السنوي الخامس عشر، للعام [١٤١٢ - ١٤١٣ هـ]، ص ٢٠.

(٣) انظر عبد العزيز الغريب، المتقاعدون، بعض مشكلاتهم الاجتماعية ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، الطبعة الأولى، ص ٢١٥ - ٢٢٢ - ٢٢٣، ٢٢٨ - ٢٢٩؛ وانظر «تقاعد أساتذة الجامعات: إهدار متعمد لثروات بشرية»، مجلة اليمامة العدد ١٢٢٩، (١٠/٥/١٤١٣ هـ): ص ٢٢ - ٢٦؛ وانظر علي محسن، «خبرات علمية متراكمة لأساتذة الجامعات. السن يحرم المجتمع خبرة العلماء!!»، جريدة المدينة، ٤/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١١٧٧٥، ص ١٢.

تؤدي إلى ممارسات وأنشطة فارغة، وسفريات ملهية، وجلس في أماكن سافلة^(١).

ووجه الإهدار هنا يكمن في تلك الخسائر التي تصاب بها الأمة من جراء فقدها لعناصر الخيرية والفاعلية المتوافرة في أولئك الأفراد، الذين لو سخرت قدراتهم، ووجهة إمكاناتهم الوجهة الصحيحة، لسدوا ثغراً شاعراً في أحد جبهات الأمة المتعددة، والتي تحتاج إلى كل طاقة وجهد وإن قل، يقول شاكر: (انقاد عدد كبير من الناس وراء شهواتهم انقياداً يكاد يكون تاماً، وحتى المتعلمين الذين تخرجوا من الجامعات والمعاهد العالية، بدلاً من أن ينصرفوا إلى شؤون المطالعة الواسعة، والثقافة العامة، والتبخر في العلوم، اكتفوا بما تعلموه، وحتى أولئك الذين يتعاطون مهنة التعليم، والذين يجب أن يكونوا على صلة دائمة بالعلم، وارتباط مستمر مع المنتجات العلمية الحديثة لينيروا طريقهم ويزودوا طلابهم، ويوسعوا اختصاصهم، اكتفوا بما حصلوه أثناء دراستهم، وبقيت دروسهم تكرر مقرر المناهج والكتب المدرسية دون أي زيادة، وعلى هذا لا نجد في أي قطر مجموعة من العلماء في العلوم التجريبية والتطبيقية، أو مخترعين عظماء، أو باحثين كبار، وإنما نجد عدداً من الموسيقيين والمغنين والفنانين، الذين يحملون شهادات عالية بفنونهم، ونجد الدولة تعتني عناية كبيرة بهؤلاء وبفنونهم حتى كأنهم بناء نهضة المجتمع وازدهاره وتقدمه، ونجد كثيراً من الذين لم يسيروا وراء غرائزهم يمنعهم الوازع الديني، فيؤدبهم، ولكن هؤلاء يقتلون أوقاتهم، ويضيعون فراغهم في الملاهي والتسلي والزيارات واللعب والجدال غير المثمر، وذلك ليعوضوا ما تركوه، ويتجنبوا ما فقدوه، وليس معنى هذا أنه لا يوجد من يعمل في المطالعة والفكر، ولكنهم قلة لا يقاسون مع ذلك المجتمع الضائع، وليس معنى توجيه العناية إلى المتعلمين هو الإهمال لبقية عناصر المجتمع، ولكن هذه الفئة من الشعب هي التي يجب أن تكون في الذروة من المطالعة والتفكير، فإذا هي انصرفت عن العلم فشيء طبيعي أن تكون الفئات الأخرى أكثر انصرافاً)^(٢).

(١) انظر السدحان، وقت الفراغ، ص ٥٥ - ٦٣؛ وانظر عمار بكار، حسن علي دبا، علي صالح، مريم التيجي، «مظلومون» في بلاط وسائل الإعلام!، الإعلام الموجه للشباب لا يناقش قضاياهم»، جريدة المسلمون، ١٤١٦/٦/٣ هـ، العدد ٥٦٠، ص ٦.

(٢) العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه، ص ١٤٤ - ١٤٥.

ج: إهمال الشيوخ والمعاقين، هذه الفئة تواجه في أغلب بلدان العالم الإسلامي بإهمال واضح ونظرة قاصرة^(١) تراهم وتعتبرهم عقبة في طريق التنمية والتقدم، لا قيمة لهم في الحياة العملية. وتبعاً لذلك فقدوا البرامج المناسبة لهم، والوسائل التي تضمن الاستفادة منهم بما يناسب قدراتهم وإمكاناتهم. فأصبحوا طاقات مهترّة، وقدراتٍ مهملةً.

د: هجرة الكفاءات العلمية الإسلامية، هذا المفهوم للهجرة يطلق عليه: نزيف الأدمغة، أو النزيف الأساسي للعقول، ويراد به انتقال الكفاءات المدربة للعمل خارج بلادها، تحت ظروف معينة تجبرها على الهجرة^(٢)، والمقصود بالكفاءات كما تقول أغلب الدراسات المتخصصة: (العلماء المشتغلون بالأبحاث المخبرية، والعلوم الطبيعية، والعلوم الدقيقة، والأبحاث الخاصة بالزراعة والري ومكافحة التصحر والتلوث. الباحثون الاجتماعيون والاقتصاديون. المشتغلون بالميادين الفكرية بما في ذلك فرع العلوم الإنسانية المختلفة. أصحاب المهن العلمية كالأطباء والمهندسين، الخبراء والمتخصصون في التقنية وتشغيل الأجهزة العلمية والمخبرية والالكترونية. الفنيون الذين يشكلون حلقة وسطى بين المهندسين والعمال المهرة. العمال المهرة الذين اكتسبوا خبرات متخصصة بمجالات حيوية في الصناعة والإنتاج والصيانة)^(٣). هذه النوعية هاجر عدد كبير منها إلى البلاد الكافرة، حيث استقروا وعملوا هناك في تطوير أبحاثهم، حتى وصلوا إلى مراتب عالية على مستوى عالمي، فأشرفوا على مراكز أبحاث علمية وقدموا استشارات فنية، في مجالات علمية متنوعة، ومتفاوتة في الدقة والحدّاءة، يقول عبد الوهاب عبد الواسع وزير الحج والأوقاف السعودي السابق: (... ها هم أبناء المسلمين في مراكز البحوث العلمية المتقدمة في الخارج، بل وفي أكثر الدول المتقدمة يحتلون المراكز المرموقة: في مؤسسة الفضاء

(١) انظر الغريب، المتقاعدون، ص ٢٥٩ - ٢٦١، ٣٩٣؛ وانظر، «المعاون افتحوا لهم

الأبواب!»، مجلة اليمامة العدد ١٣١١ (٢٠/٢/١٤١٥ هـ): ص ٢٨ - ٣٢.

(٢) انظر الطفيلي، السياسات الاقتصادية الدولية، ص ١٥١ - ١٥٤؛ وانظر محمد عبد الحلیم

مرسي، نزيف العقول البشرية، الطبعة الأولى، ص ٣٧ - ٤٩؛ وانظر انطوان زحلان، هجرة

الكفاءات العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٢٣.

(٣) خلف محمد الجراد، «هجرة الكفاءات العربية»، قبرص: مجلة عالم الاقتصاد العدد ٤٢

(٧/٢/١٤١٦ هـ): ص ٣٠.

الأمريكية، وفي مراكز الطب المتقدمة في الجامعات، ومراكز البحث العلمي في كثير من دول العالم المتقدم^(١). هذه الهجرة يظهر كبر حجمها عند النظر في بعض الأرقام الإحصائية المبيّنة للأعداد الكبيرة من علماء المسلمين المهاجرين إلى البلاد الكافرة، مع أنه ليس هناك إحصائية رسمية دقيقة عن واقع هجرة الكفاءات الإسلامية، وإنما تستند أغلب الإحصاءات المتداولة على مراجع قديمة، وإحصاءات فردية لعلماء وجمعيات علماء^(٢)، منها الإحصائية التي قدمها أحد العلماء الباحثين في ندوة (اللجنة الاقتصادية لدول غرب آسيا، التابعة للأمم المتحدة)، عن هجرة العلماء العرب إلى أوروبا وأمريكا حتى عام (١٩٧٦ م - الموافق ١٣٩٦ هـ-)، ومن أبرز ما جاء فيها، أن عدد الأطباء: [٢٤] ألف طبيب، والمهندسين: [١٧] ألف مهندس، والعلماء والباحثين المشتغلين بالعلوم الطبيعية: [٧٥٠٠] عالم وباحث، أما أصحاب الطاقات البشرية الرفيعة المستوى، فقد رهم الخبراء بحدود: [١٠٠] ألف مهاجر سنوياً من الدول النامية جميعاً. في حين بلغت إسهامات المهاجرين من العلماء والباحثين في أعوام: [١٣٩٠/١٣٩٥ هـ]، في بريطانيا: [٧٪]، وفي الولايات المتحدة الأمريكية: [١٠٪]، وفي استراليا: [٤٠٪]، وفي كندا: [٥٠٪]^(٣).

ومن الإحصاءات الحديثة في هذا المجال، ما أوردته شبكة العلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج من أن عدد العلماء والتكنولوجيين العرب في أوروبا وكندا فقط، يصل إلى: [٢٪] من مجموع العلماء المتميزين في تلك البلاد. كما ورد في دراسة أمريكية، أن عدد الكفاءات العربية المهاجرة إلى أمريكا بلغ في عام: [١٩٧٨ م - الموافق ١٣٩٨ هـ-]: م [١٠٠] ألف مهاجر، [٥٠٪] منهم يحملون شهادة الدكتوراه^(٤). ويقول تقرير أعدته الأمم المتحدة، إن كندا وأمريكا قبلتا ما بين أعوام: [١٩٦٠ - ١٩٩٠ م - الموافق ١٣٧٩/٨ - ١٤١٠/٦ هـ-]، أكثر من مليون مهاجر مهني وفني من الدول النامية. وأن عدد المهاجرين العرب من

(١) الأمة الإسلامية، ص ٣٠٠.

(٢) انظر زحلان، مرجع سابق، ص ٢١٤ - ٢٢٩، ٢٤٥؛ وانظر الجراد، مرجع سابق، ص ٣١؛ وانظر مصطفى أبو لسان، «قضية الأدمغة العربية: هجرة وتهجير»، لندن: مجلة الوسط ١٨٨ (٩ - ١٥/٤/١٤١٦ هـ): ص ٣٢.

(٣) انظر الجراد، المرجع السابق، ص ٣١؛ وانظر زحلان، هجرة الكفاءات العربية، ص ٢٤.

(٤) انظر أبا لسان، «قضية الأدمغة العربية: هجرة وتهجير»، مجلة الوسط ١٨٨ (٩ - ١٥/٤/١٤١٦ هـ): ص ٣٢.

الأطباء والمهندسين والعلماء إلى أوروبا وأمريكا وصل إلى [٢٣٪] من مجموع الكفاءات العربية في تلك التخصصات^(١)، وهذا يعني أن الدول الإسلامية العربية فقدت ربع كفاءاتها العلمية. ويقول محمد كامل رئيس أكاديمية البحث العلمي في مصر: (لقد بلغ الأمر خلال النصف الأول من السبعينيات - [الموافق ١٢/١٣٨٩ - ١/١٣٩٥ هـ] - في أمريكا على سبيل المثال، أن الأطباء والجراحين القادمين من الدول النامية... يمثلون [٥٠٪]، والمهندسين [٢٦٪] من مجمل القوة البشرية المضافة إلى الرصيد القومي الأمريكي... لقد فقدت مصر وحدها أكثر من [٣٥٠] ألف مواطن غالبيتهم من حملة المؤهلات العلمية العالية، مثل: الماجستير، الدكتوراه، ومعظمهم استقر في الدول المتقدمة)^(٢).

وفي هذه الأيام تبرز أسماء إسلامية عديدة على المستوى العالمي، ذات كفاءة فريدة، وقدرة نادرة ومستوى عالمي^(٣). هذه الأسماء المشهورة وغيرها، وتلك الأرقام الإحصائية السابقة مع أنها ليست دقيقة، ولم تصدر عن جهة متخصصة، إلا أنها تبين لنا بجلاء ما يعيننا في هذا المقام، وهو إظهار حجم الخسارة الكبرى، التي يعانيها عالمنا الإسلامي من جراء هذا التزيف الكبير، والمتعدد الجوانب.

هـ: إهدار القوى العاملة. حيث تلقى العمالة الإسلامية هدراً متعدد الجوانب، في مراحلها المختلفة وميادينها المتفاوتة، ومن الأوجه البارزة لهذا الهدر: النقص والتقصير في إعداد العمالة، فالعمالة المنتشرة في عالمنا الإسلامي تعد في أكثر البلاد الإسلامية بشكل عشوائي وهامشي، بعيدة كل البعد عن الأسس العلمية الصحيحة والمناسبة، يقول أحد الخبراء في هذا المجال: (يعتمد إعداد القوى العاملة على التعليم والتدريب المهني، والصورة الحالية في هذا المجال قائمة، فبالرغم من الجهود الحثيثة التي بذلت في العقدين الأخيرين، ما زال نصف السكان، أي قوة العمل من سن [١٥] سنة فأكثر أميين وثلاث الأطفال في سن التعليم الابتدائي لا يلتحقون بالتعليم. كما أن عدم وضوح العلاقة بين التعليم والتدريب من جانب،

(١) انظر الطيب فراد، «هجرة الكفاءات العربية والحلول المقترحة»، جريدة الجزيرة، ١٠/٥/١٤١٦ هـ، العدد ٨٤٠٦، ص ٢٠.

(٢) (... «الأهرام»، ٢٤/٤/١٤٠٥ هـ...) عمر عبيد حسنة، تأملات في الواقع الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ١٤٨.

(٣) انظر يونس، العالم الإسلامي اليوم، ص ١١١.

والازدواجية الموجودة بين التعليم الأكاديمي والمهني من جانب آخر، وغياب فلسفة واضحة تحدد صيغة التكامل فيما بينها، وتفسح مجال التعليم والتدريب والعمل أمام الراغب والقادر من أبناء الشعب مدى الحياة المنتجة، وافتقار الأقطار العربية إلى التخطيط المحكم لسياسات القوى العاملة والتعليم والتدريب والتشغيل والأجور، هي جوانب قصور تسبب هدراً كبيراً في الطاقات البشرية والتعليمية والتدريبية^(١)، هذا البيان اليسير لبعض أوجه القصور في إعداد القوى العاملة، يشمل مجالات متعددة ومتداخلة^(٢)، تنتشر في عالمنا الإسلامي بشكل واضح، وتسهم إسهاماً مباشراً في هدر تلك الطاقة البشرية. ومن تلك الأوجه سوء توزيع العمالة وتوجيهها نحو مجالات العمل المناسبة، حيث تنطلق التخصصات العمالية وفق منطلقات تقليدية موروثة، سار عليها المجتمع ردهاً من الزمن، وتحكمت في وجهة العامل نحو نوعية العمل الذي يمارسه، فكان من نتيجة ذلك تركيز العمالة في عالمنا الإسلامي على القطاع الزراعي دون غيره من المجالات الحرفية الأخرى^(٣)، مع أن المجال الزراعي لا يسهم بأكثر من [٧٪] من الناتج المحلي في أغلب بلدان العالم الإسلامي^(٤)، وتبعاً لذلك تشتكي القطاعات الأخرى قلة العمالة وضعف الإقبال عليها. ومن تلك الأوجه أيضاً التنقل العشوائي للعمالة بين مواطن العمل في أرجاء العالم الإسلامي^(٥) فمناطق العمل في عالمنا الإسلامي تتفاوت بين مناطق تتوافر فيها السيولة المالية بشكل يفوق خططها التنموية والصناعية، وأخرى تخضع لخطط تنموية، ونهضة صناعية جادة، ومع حاجتها الماسة إلى العمالة، إلا أن العمالة تتجه نحو المجموعة الأولى طمعاً في الكسب السريع والمريح. ومن الأوجه أيضاً تفشي

(١) المعهد العربي للتخطيط بالكويت، اجتماع خبراء حول سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية، ص ٤٩٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤٩٤ - ٤٩٧، ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٠، ٥٠؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٤ م]، ص ٢٣٥، ٢٥٦؛ وانظر حيدر، التنمية والتخلف، ص ٨٣ - ٨٧؛ وانظر شقلية، جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

(٤) انظر المعهد العربي، المرجع السابق؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(٥) انظر المعهد العربي، المرجع السابق، ص ١٢، ٥٠٧.

البطالة والتعطل بشكل كبير ومخيف^(١)، حيث تنتشر في البلاد الإسلامية البطالة بوجهيها الظاهر والمقنع، فالوجه الظاهر بلغ في عالمنا الإسلامي نسبة عالية^(٢)، تتمثل في تلك الأعداد الكبيرة من العمالة السائبة التي لا تجد عملاً، فتهدر طاقتها البدنية، والوقتية، وتسهم في إهدار طاقات الأمة حيث تأخذ ولا تعطي، وما ذلك إلا لافتقارها إلى التوجيه الصحيح، وتوفير الفرص العملية المناسبة. أما البطالة المقنعة: فتلك الأعداد البشرية الهائلة، والسواعد المتعددة، التي تتكدس في مجالات عملية روتينية، تتجاوز في عددها الكمي الطاقة والحاجة، لو بحثت عن مردود يتسق ويتوازن مع تلكم الأعداد، لما وجدت شيئاً يستدعي وجودها. ومن أوجه إهدار العمالة هجرة السواعد إلى البلاد الأجنبية^(٣)، فقد هاجرت أعداد كبيرة من العمالة الإسلامية إلى البلاد الأجنبية، بلغت في [١٤٠٤ - ١٤٠٥ هـ] حوالي [٥٪]^(٤) من عمالة العالم العربي فقط، وقامت على أيديها كثير من الصناعات المعاصرة. هذه الهجرة وما يماثلها من أشكال متعددة للهجرة، لها آثار متعددة، وأضرار متنوعة^(٥)، تتمثل في فقدان أبرز عناصر التنمية والتقدم، والتي تسهم في

(١) انظر التقرير الاقتصادي العربي، مرجع سابق، ص ٢٦؛ وانظر المعهد العربي، المرجع السابق، ص ١٣؛ وانظر «فرص العمل المستقبلية هشة، والحل في التكامل. البنك الدولي: العمالة العربية تواجه وضعاً صعباً»، جريدة الجزيرة، ١/٦/١٤١٦ هـ، العدد ٨٣١٤، ص ١٩؛ وانظر «محذراً من مخاطر التباطؤ في الانضمام إلى «الجات»: البنك الدولي يعطي العرب [١٠] سنوات فرصة أخيرة للانتقال من الاقتصاديات «المغلقة» إلى «المفتوحة»، جريدة الشرق الأوسط، ٦/٧/١٩٩٥ م، العدد ٦٠٦٤، ص ١١.

(٢) انظر «عمال بلا عمل: المتسيبون!، أحمد البحي: وجود العمالة السائبة يؤثر على الإنتاجية، ويهدر الوقت...»، مجلة اليمامة العدد ١٢٠١ (١٢/١٠/١٤١٢ هـ): ص ١٤ - ٢٠؛ وانظر «الأردن حملة رسمية للجم العمالة الوافده بعد ارتفاع البطالة إلى [٨، ١٨٪]»، جريدة الحياة، ٤/٣/١٤١٦ هـ، العدد ١١٨٤٨، ص ٩.

(٣) انظر المعهد العربي، مرجع سابق، ص ١١، ٥٠٨.

(٤) انظر المرجع السابق.

(٥) انظر الطفيلي، السياسيات الاقتصادية، ص ١٥٦ - ١٥٧؛ وانظر مرسى، نزيف العقول، ص ٦١ - ٧٧؛ هجرة العلماء من العالم الإسلامي، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ص ٦١ - ١٢٣؛ وانظر زحلان، هجرة الكفاءات العربية، ص ٤٨، ١٥٦ - ١٥٩؛ انظر الجراد، «هجرة الكفاءات العربية»، مجلة عالم الاقتصاد العدد ٤٢ (٧/٢/١٤١٦ هـ): ص ٣٣ - ٣٤؛ وانظر أبا لسان، «قضية الأدمغة العربية: هجرة وتهجير»، مجلة الوسط ١٨٨ (٩ - ١٥/٤/١٤١٦ هـ): ص ٣٣ - ٣٥.

الإعداد الشامل للأمة فتكسيها الثقة بالقدرة على التطور، وتهيئها للتقدم، فالأمة لا تثق بقدرتها على التقدم دون طبيب ماهر، وعالم مبدع، ومهندس بارع. وتمثل في التخلف في مجالات الحياة الاقتصادية والتعليمية والسياسية والاجتماعية، على مستوى التنظيم والأداء والفاعلية، نتيجة فقدان العناصر المؤهلة، وذات الكفاءة العالية. وتمثل في الخسائر المادية الكبيرة التي صرفت في إعداد تلك العقول حتى أصبحت مؤهلة وذات فاعلية عالية. وفي الدعم المادي للأعداء، من خلال تسخير القدرات والإمكانات لما فيه مصلحتهم، ومساندتهم في تحقيق أهدافهم وغاياتهم التي ترمي إلى المحافظة على تفوقهم الكمي والنوعي في جميع المجالات الحياتية، وإبقاء الأمة الإسلامية في دائرة مغلقة من التخلف الشامل لجوانب الحياة المختلفة.

واليوم وبعد أن بدأت الأمة في إدراك بعض تلك الآثار، نرى محاولات متعددة تقوم بها بعض البلاد الإسلامية؛ بهدف الاستفادة من تلك القدرات المهاجرة، من خلال العمل على عودتها، وتهيئة الجو المناسب لها^(١).

رابعاً: الهدر في الإنفاق.

فعلى مستوى الأفراد والحكومات، وفي مجالات النفقة والاستثمار، تهدر أموال طائلة، بتأويلات باطلة، وأعداء واهية، يقول أحمد النجار: (. . . أين الموارد المتاحة وكيفية استغلالها بدون إسراف داخل المجتمع، لننظر إلى سلوك الحكومات الإسلامية هل هو اقتصادي إسلامي في توجيهها للموارد المتاحة، وفي إنفاقها للضرائب ونفقات الدولة؟ ثم ننظر إلى المسلمين والهيئات داخل كل مجتمع كيف يوجهون إنفاقهم؟ هل يوجه هذا الإنفاق بما يؤدي إلى بداية تراكم رأس مالي، أو بداية تنمية، فنجد هناك إسرافاً وضياًعاً كبيراً في سلوكنا، سواء في سلوك الأفراد، أو في سلوك المؤسسات، أو في سلوك الحكومات. إن طرق الإنفاق إذا وجهت بتوجيه سليم لحلت جزءاً كبيراً من مشاكلنا، وأصبحت المشكلة ليست مشكلة سكان، بل مشكلة التصرف في الطاقات الموجودة^(٢)، ومن أبرز أوجه هذا الإهدار المالي:

(١) انظر «وزير التعليم المصري في لقاء مع مجموعة منهم: دعوة العلماء المصريين بأمريكا للإسهام في تطوير التكنولوجيا المصرية»، جريدة الجزيرة، ١١/٣/١٤١٦ هـ، العدد ٨٣٤٨، ص ٢٩.

(٢) انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ١٨١.

أ: الإنفاق بسرف على وسائل المعيشة والكماليات، تمشياً مع بعض العادات والتقاليد الموروثة والسائدة، كالتباهي والافتخار والاعتزاز بالمكانة الاجتماعية، تهدر الأموال الطائلة في إقامة حفلات الولائم والأفراح والمهور، وما شابهها من دعوات وولائم تتجاوز الحد الشرعي.

وتحت هذه الدعاوي الباطلة، والمسوغات الزائفة ينفق بإفراط في إعداد وتهيئة الملابس والمسكن والمراكب، والخدمات الترفيهية والمظهيرية ذات الجوانب المتعددة^(١).

كما ينفق ببذخ وسرف جائر في قنوات الصرف المتعددة^(٢)، كما في استهلاك الماء والكهرباء^(٣).

ب: الإنفاق في أوجه زائفة، ومجالات ثانوية، كما في القيام بتنفيذ مشروعات ليست من الأهمية بمكان^(٤)، وإنما هي من المكملات الثانوية لمحسنات الحياة. أو البذل لأجل الوجاهة والشهرة كإقتناء المقتنيات النادرة ودفع الأموال الطائلة في سبيل الحصول عليها^(٥)، وكما في الدعم اللامحدود لبعض الأنشطة الجوفاء، والتي تحظى

(١) انظر زيد الرماني، الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، العدد [١٤٨]، ص ٢١ - ٢٢.

(٢) انظر عبد الرزاق الفارس، هدر الطاقة، الطبعة الثانية، ص ١٠٨ - ١٢١، ٢٣١ - ٣١٠؛ وانظر مبارك البيشي، «في دراسة للهيئة العليا لتطوير الرياض: سكان العاصمة يصرفون (٤١) بليوناً خلال العام ١٤١٦ هـ»، جريدة عكاظ، ١٤١٦/٢/٢٩ هـ، العدد ١٠٥٧٥، ص ١٦.

(٣) انظر الفارس، المرجع السابق، وانظر محمد سالم محمد أمين، «محافظ مؤسسة الكهرباء المهندس محمود طيبة لـ الجزيرة: استهلاك الكهرباء بالمملكة عال جداً...»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/١١/٢٧ هـ، العدد ٨٢٤٦، ص ١٧ وانظر «خبير اقتصادي يستعرض أزمة المياه في المنطقة؛ نسبة الهدر في أنظمة الري العربية ٣٧,٥%»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٧/١٨ هـ، العدد ٥٨٦٦، ص ١٣؛ وانظر محمد رابع سليمان، وزملاؤه، «بين الجهود الضائعة والأموال المستنزفة: إهدار ثروات الوطن، بالوعي المفقود!!؟ الاعتدال في استهلاك الكهرباء والمياه واجب ديني، ووطني»، جريدة المدينة، ١٤١٦/٢/١٧ هـ، العدد ١١٧٨٨، ص ٤.

(٤) انظر رضا هلال، تحديث التخلف، الطبعة الأولى، ص ٦١ - ٦٢؛ وانظر فادية الزعبي، «أربعة رجال أعمال كويتيين بصدد إنشاء مشروع سياحي بكلفة ٦٧ مليون دولار»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/١٢/٤ هـ، العدد ٦٠٠٠، ص ١٤.

(٥) انظر وهيب غراب، «في مزاد مفتوح في جنيف: فتحي ي دفع [١٦,٥] مليون دولار ثمناً =

بدعاية إعلامية تحقق لأصحاب الدعم شهرة واسعة. وكما في الإسراف في رحلات اللهو والترف^(١)، حيث تؤكد دراسة اقتصادية سعودية عن الآثار الاقتصادية للسياحة خارج المملكة، عدة حقائق منها: الارتفاع الهائل والمستمر للمبالغ المالية المصروفة، فقد بلغ حجم الإنفاق على السياحة الخارجية في عام [١٩٩٤ م - الموافق ١٤١٤/٧ - ١٤١٥/٧ هـ] حوالي: [١٦، ٨] مليار ريال. كما توقعت الدراسة أن يرتفع هذا المبلغ في عام [١٩٩٥ م - الموافق ١٤١٥/٨ هـ/ ١٤١٦/٨ هـ] إلى حوالي: [٢٥] مليار ريال. ومنها الإسراف الجائر في الصرف على تلك الرحلات، حيث بلغ متوسط ما ينفقه السائح السعودي ما يزيد على: [٥٠٪] عن المتوسط العالمي لإنفاق الفرد على السياحة. ومنها النزيف المالي للخارج، فقد ثبت أن السياحة إحدى قنوات تسرب الدخل المحلي للخارج^(٢). ومنها أيضاً الإنفاق في المحرمات، سواء في ذلك التبرع للأعداء، حيث يعتمد بعض المسلمين إلى التبرع للأعداء، ودعم أنشطتهم المختلفة، ومنظماتهم وجمعياتهم المسماة بالإنسانية، ونحوها. أو الإنفاق على المحرمات، كما في الإنفاق على آلات اللهو والمجون، ومحرمات المشروبات والمأكولات، من مخدرات وخمور وغيرها، ففي دراسة علمية تبين أن الأموال التي تنفق في تجارة المخدرات في منطقة العالم العربي فقط، قد تجاوزت مبلغ: [٥٠] مليار دولاراً سنوياً^(٣).

ج: قلة الإنفاق في سبيل الله، فمع تعدد أوجه الإنفاق المعاصرة، وتجاوزها الحد الشرعي، إلا أن الأمة تعاني من قلة الإنفاق في سبيل الله، حيث تواجه أغلب الأنشطة الإسلامية المختلفة شحاً في المال يعوقها عن أداء رسالتها على الوجه

= لأعلى جوهره في العالم»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠١٦، ص ١١.

(١) انظر «... حجم الإنفاق السعودي على السياحة الخارجية يصل إلى ٦,٧ مليار ريال بنهاية عام [١٩٩٥ م]»، جريدة عكاظ، ٢/١/١٤١٦ هـ، العدد ١٠٥١٨، ص ٣٤؛ وانظر عبد الواحد القاضي، وزهرة الإبراهيمي، «السائحون والضيف: التزيف السنوي ديناً ومالاً!!»، مجلة الدعوة العدد ١٤٩٩ (١٥/٢/١٤١٦ هـ): ص ١١ - ١٥.

(٢) انظر مروان عمر قصاص، «... ثلاثة ملايين سعودي ينفقون ٢٥ مليار ريال على السياحة في الخارج»، جريدة الجزيرة، ٣٠/١/١٤١٦ هـ، العدد ٨٣٠٨، ص ٢٥.

(٣) انظر الرماني، الواقع الاستهلاكي، ص ٦٨ - ٦٩؛ وانظر فتن العتيبي، الرياض: جريدة المسائية، ٢٢/٦/١٤١٦ هـ، العدد ٤١٧٧، ص ١٠.

الأمثل، ويتضح ذلك بصورة أكبر عندما تتعرض أحد المناطق الإسلامية للغزو الكافر، وتحتاج إلى المال لإعداد العدة للمجاهدين، كما في المعاناة المشاهدة للمجاهدين في بقاع مختلفة من العالم الإسلامي^(١)، حيث قلة الدعم المادي من عموم المسلمين والاعتماد شبه الكامل على تلك الجهود التي تقوم بها حكومة المملكة العربية السعودية، ودول الخليج العربي، والمتمثلة في الوقوف المستمر مع المسلمين في كل مكان، من خلال تقديم المساعدات المادية والمالية المباشرة، أو من خلال أنشطة الهيئات والمؤسسات الخيرية المتعددة، والتي توجه جُلَّ نشاطها لدعم المسلمين عموماً في كل مكان، والمجاهدين خصوصاً.

د: الاختلاس، حيث يعتمد بعض القائمين على الثروات الإسلامية إلى الحصول على الأموال الطائلة من خلال إيهام الآخرين بمبررات واهية، ومشاريع وهمية لا أساس لها، تُسوِّغ لهم وفق مبرراتهم الباطلة الحصول على تلك الأموال، يقول صبح كوجتشك رئيس بلدية أنقرة: (إدارة البلدية عانت طويلاً من فساد الإدارة، حتى إنني لا أبالغ إذا قلت إن تسعة أعشار الميزانية كانت تنهب، ولا تذهب لمستحقيها)^(٢).

هـ: النزاعات والحروب، فالنزاعات في العالم الإسلامي، والحروب الطاحنة، عوامل رئيسة في ضرب أوجه التنمية، واستنزاف موارد العالم الإسلامي، حيث تنفق الأموال الطائلة على متطلبات تلك النزاعات، كما في الواقع المشاهد في أفغانستان، واليمن، والسودان، والجزائر، والعراق، وإيران ودول الخليج، والبوسنة والهرسك، وغيرها من مناطق العالم الإسلامي المختلفة.

و: استنزاف الطاقات الإسلامية، من خلال الانسياق خلف مشكلات تُحدثها

(١) انظر «الرئيس البوسني بيكوفتش في حوار صريح مع الإمامة... نحتاج للسلاح وليس للمجاهدين»، مجلة الإمامة العدد ١٢٣٢ (١٤١٣/٦/١ هـ): ص ١٢ - ١٣؛ وانظر مصطفى يوسف، «مفتي البوسنة والهرسك لـ «المدينة الإسلامية»: نحن قادرون على هزيمة الصرب لو تسلحنا مثهلم»، جريدة المدينة، ٢٦/٣/١٤١٦ هـ، العدد ١١٨٢٦، ص ١٠؛ وانظر، «... شامل باسايف: الحرب في الشيشان ستستمر، ولدينا متطوعون لا نجد ما يكفيهم من السلاح»، المرجع نفسه، ١٦/٢/١٤١٧ هـ، العدد ١٢١٣٦، ص ٨.

(٢) انظر «أنقرة: تركت الديون وصلت إلى ملياري دولار!» مجلة المجلة العدد ٧٤١ (٢٤ - ٣٠/٤/١٩٩٤م): ص ٢٥.

غالباً القوى العالمية لأغراض منها استنزاف المال الإسلامي، ففي بداية المشكلة تطلب الأموال لدعم أحد الطرفين ولدعم الجهود السلمية، وبعد انتهاء المشكلة تطلب الأموال بحجة التعمير والإصلاح^(١)، يقول توفيق الشاوي: (خَلقت الدول الاستعمارية، والقوى التوسعية الطامعة لنا مشاكل جديدة، مثل: مشكلة فلسطين، والبوسنة والهرسك، وكشمير، وأريتيريا، وجنوب السودان، وأمثالها التي تُرهق حكوماتنا بالنفقات العسكرية، والمناورات السياسية؛ لتشغلها عن الإصلاح الداخلي، والبناء الاقتصادي، كانت أهم هذه المشاكل هي: مشكلة فلسطين، التي رسمت الدوائر الصهيونية الرأسمالية خطة لاحتلالها واتخاذها قاعدة لها، تسيطر منها على جميع أقطار الشرق العربي وثوراته الطبيعية وموارده الاقتصادية...) (٢).

إجمالاً هذه أبرز جوانب مظاهر إهدار الثروة الإسلامية، والتي تُسهم إسهاماً مباشراً في إعاقة الجهاد من جانبه المادي.

(١) انظر «اعتمد [٥٠٠] مليون دولار للاحتياجات العاجلة، [٩، ٤] مليارات دولار تقديرات البنك الدولي لإعادة إعمار البوسنة»، جريدة الجزيرة، ١٩/٧/١٤١٦ هـ، العدد ٨٤٧٤، ص ٢٧؛ وانظر «خلال مؤتمر الدول المانحة لإعمار البوسنة والهرسك اليوم، واشنطن تنتظر من الدول الإسلامية واليابان مساهمات مالية كبيرة»، جريدة الرياض، ٢٤/١١/١٤١٦ هـ، العدد ١٠١٥٤، ص ٢٩.

(٢) الشرق الأوسط، ص ١٥٣.

المطلب الثاني التقويم

لأن الثروة قوام الحياة الدنيا التي لا تستقيم ولا تصلح إلا بها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا...﴾^(١)، وزينتها التي يستتراد منها للدار الآخرة، قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾^(٢)، والسبيل الرئيس إلى إعداد القوة الشاملة التي أمر المسلم بإعدادها، فقد وضع الإسلام الأسس والأساليب المثلى، التي تضمن عمارة الأرض من خلال استثمار خيراتها وثرواتها، بما يكفل حفظ الأمن الاقتصادي والاجتماعي، كأحد متطلبات تحقيق أهداف الأمة السامية؛ لذلك جاء الإسلام موجهاً إلى تلك القواعد والأساليب، والتي منها:

أولاً: التعريف بالثروة.

تعرف المسلم على الثروة من خلال البيان الوافي، والشرح الكافي الذي جاء به الشارع الكريم، مما جعلها واضحة المعالم لطالبيها، بينة الآثار لمبتغيها، وكيف لا تكون كذلك وقد اتضحت للمسلم جوانبها المعرفّة الرئيسة، والتي منها:

أ: مصدر الثروة، فالثروة تقوم على مصدرين رئيسين، هما: الكون بأرجائه الفسيحة، وأسواره الدفيئة، وخيراته الوفيرة، التي تعد المصدر الرئيس للثروة، قال تعالى: ﴿الْقُرْآنَ أَنْ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ

(١) سورة النساء، الآية ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤.

وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ
 أَلْوَانُهُ... ﴿١﴾، ويقول تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ بَرِّقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ
 وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ (٢).

والإنسان، الذي يعتبر عماد التنمية، والمصدر العملي الرئيس للحصول على
 الثروة، بصفته المستخلف لعمارة الأرض (٣)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ
 إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (٤).

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (دور الإنسان في الأرض هو الدور الأول،
 فهو الذي يغير ويبدل في أشكالها، وفي ارتباطاتها، وهو الذي يقود اتجاهاتها
 ورحلاتها، وليست وسائل الإنتاج ولا توزيع الإنتاج (٥) ويقول شاعر: (الإنسان
 مستخلف في هذه الأرض لعمارتها واستثمار خيراتها، وأن هذا الاستخلاف عام لبني
 البشر، لا تختص به أمة دون أخرى، أو جماعة دون ثانية) (٦). هذا الاستخلاف يقتضي أن
 يكون كل ما في هذا الكون تحت تصرف الخليفة ليقوم بحق الاستخلاف لذلك أنعم الله
 على خليفته بأن ذلّل له الكون، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي
 مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٧)، وامتن عليه بتذليل وتسخير المخلوقات (٨)، قال
 تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَى فِيهِ فِئْتَانٌ مِنْكُمْ لِيُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيُنَظِّرُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ (٩).

(١) سورة فاطر، الآية ٢٧ - ٢٨.

(٢) سورة الحجر، الآية ١٩ - ٢١.

(٣) انظر عبد القادر عودة، المال والحكم، ٢٣ - ٢٤؛ وانظر فاروق دسوقي، استخلاف الإنسان
 في الأرض، ص ٥.

(٤) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٥) في ظلال القرآن، ج ١ ص ٥٤.

(٦) العالم الإسلامي اليوم، ص ٤٤.

(٧) سورة الملك، الآية ١٥.

(٨) انظر عبد القادر عودة، المال والحكم، ص ١٦ - ١٩. وانظر نذير حمدان، العمل وتطبيقاته،

الطبعة الأولى، ص ٢٥ - ٢٩؛ وانظر سليمان الحصين، المال في القرآن الكريم، الطبعة

الأولى، ص ٤٩ - ٥٥؛ وانظر شاعر، المرجع السابق.

(٩) سورة الجاثية، الآية ١٢ - ١٣.

والهدف من هذا التذليل والتسخير هو عمارة الأرض بالمفهوم الواسع للتعكير، قال تعالى: ﴿... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾^(١)، فليس الهدف تحقيق حاجات معينة للإنسان وتنمية محدودة لخيرات هذا الكون، وإنما التعكير المطلوب شامل لجميع جوانب الحياة. يقول حسن البنا: (. . . استغلال منابع الثروة الطبيعية استغلالاً سريعاً منتجاً، أمر يوجهه الإسلام الذي لفت كتابه أنظارنا إلى آثار رحمة الله في الوجود، وما أودع في الكون من خيرات في الأرض وفي السماء وأفاض في أحكام الركاز، وحث على طلب الخبز أينما كان. في الماء عندنا ثروات، وفي الصحاري ثروات وفي كل مكان ثروات، لا ينقصها إلا فكر يوجه، وعزيمة تدفع، ويد تعمل، وخذ بعد ذلك من الخير ما تشاء)^(٢)، ويقول المودودي رحمه الله تعالى: (. . . لم يخلق الله الأرض وما فيها من شيء إلا للنوع البشري، كما يراه الإسلام، فمن حق كل إنسان من حيث إنه إنسان منذ وجوده أن يحاول اكتساب رزقه والتماس معاشه من مائدة النعم الإلهية المبسوطة بين يديه في الأرض، فهذا الحق يشترك فيه أبناء البشر اشتراكاً سوياً كأسنان المشط)^(٣).

إذاً فالإنسان بصفته خليفة الله في هذا الكون، مصدر رئيس لتعكير هذا الكون، من خلال استغلال ما سُنَّخَّر له فيه، يدير ثروات هذا الكون، وفق شروط عمل بينه وبين صاحب الكون^(٤)، قال تعالى: ﴿... وَءَاتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ...﴾^(٥).

ب: مادة الثروة. الثروة بمعناها الشامل، ومفهومها الواسع الذي يدخل فيها الإنسان. بكثرته العددية، وكفاءته النوعية، فهو أحد الوسائل الرئيسة في الثراء، يقول ﷺ: ((تزوجوا الودود الولود فإنني مكائر بكم الأمم يوم القيامة))^(٦). ويدخل في مادة الثروة أيضاً المال، بمعناه العام الذي يشمل كل ما يقتنى ويملك، يقول ابن

(١) سورة هود، الآية ٦١.

(٢) مجموعة رسائل الإمام، ص ٢٤٠.

(٣) نظام الحياة، ص ٥٠.

(٤) انظر عبد القادر عودة، المال والحكم، ص ٢٣ - ٢٦، ٣٨ - ٤٠؛ وانظر جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، الطبعة الثانية، ص ٦٩ - ٧٢.

(٥) سورة النور، الآية ٣٣.

(٦) صحيح. الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، رقم الحديث: [١٧٨٤].

منظور رحمه الله: (المال: ما ملكته من جميع الأشياء)^(١)، وعليه فالمال يشمل: المال النقدي، المتمثل في العملة المتداولة بين الناس، قيمةً للبيع والشراء، يقول ابن الأثير رحمه الله: (المال في الأصل: ما يملك من الذهب والفضة)^(٢). كما يشمل المال الأعيان، وهي كل ما يقع عليه الملك مما له قيمة، وإذا استبد به شخص وأخذه من وجهه، جاز له حيازته والانتفاع به^(٣)، يقول ابن الأثير رحمه الله تعالى: (المال في الأصل: ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى، ويملك من الأعيان)^(٤)، ويدخل في ذلك الثروات النباتية، والحيوانية، والمعدنية، والجغرافية، والعلمية ونحوها مما يُعدُّ مالاً في الأصل، فقد كانت العرب تخص الإبل كثيراً بإطلاق لفظ مال؛ لأنها أكثر أموالهم^(٥).

ج: موارد وميادين الثروة، طريق اقتناء الثروة يتم بوساطة موارد عديدة ومختلفة، تمارس في ميادين رئيسة، فمن أبرز الموارد مثلاً، الموارد الطبيعية، كتلك الموارد التي لا دخل للإنسان بوجودها، فهي قائمة بذاتها، وبمنافعها التي يمكن للإنسان أن يستفيد منها، كظواهر الأرض وباطنها، والبحار والأنهار، والشمس والقمر والنجوم^(٦)، قال تعالى في بيان عام لهذه الموارد: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾^(٧)، يقول الطبري رحمه الله: (يختلفان عليكم باعتقاب إذا ذهب هذا، جاء هذا بمنافعكم، وصلاح أسبابكم)^(٨)، فأشعة الشمس، والمطر، وما هو كائن على وجه الأرض ونحوها موارد لمنافع متعددة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٩). ومنها

(١) انظر لسان العرب، ج ١١ ص ٦٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٣٦.

(٣) انظر الشاطبي، الموافقات، ج ٢ ص ١٧.

(٤) ابن منظور، مصدر سابق.

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) انظر حمزة الجميعي الدموهي، عوامل الإنتاج، ص ٣٩ - ٤٦.

(٧) سورة إبراهيم، الآية ٣٣.

(٨) تفسير الطبري، ج ٧ ص ٤٥٨.

(٩) سورة النحل، الآية ١٤.

أيضاً الموارد الحيوانية، فقد سميت أحد سور القرآن الكريم بسورة الأنعام كما سميت أخرى بسورة البقرة، في دلالة واضحة، وإشارة بارزة إلى دور هذا المورد وأهميته بالنسبة للإنسان، قال تعالى معدداً بعض منافع الموارد الحيوانية: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَوْعَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّئِمَّ تَكُونُوا فِيهِ إِلَّا يَشِقُّ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْحَيْلُ وَالْأَغَالُ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١). ومنها الموارد النباتية، بأصنافها المختلفة، وأشكالها المتنوعة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

ومن الموارد المعدنية، بمنافعها المتعدد التي لا تستقيم الحياة بدونها، قال تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ...﴾^(٣). ومنها الموارد البشرية^(٤)، فحيازة الثروة وتنميتها تحتاج إلى عملية استخلاص لتلك الثروة من مواردها الأساسية، والطاقة البشرية هي العنصر الفاعل والمحور الأساس الذي تتوقف على قدراته جميع عناصر الإنتاج^(٥).

هذه الموارد تمارس في ميادين متعددة^(٦)، مثل الميدان الزراعي^(٧)،

(١) سورة النحل، الآيات ٥، ٦، ٧، ٨.

(٢) سورة النحل، الآيتان ١٠، ١١.

(٣) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٤) انظر جمال عبده، دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية؛ وانظر المناوي، إعداد القوى العاملة، ص ٢١ - ٣٩.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٢٥.

(٦) انظر محمد رواس قلعجي، الاحتراف وآثاره في الفقه الإسلامي، (المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي)، ص ٤ - ١٧؛ وانظر سعد المرصفي، العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة، الطبعة الأولى، ٨٧ - ١٢٨.

(٧) انظر حمد الجنيد، التملك في الإسلام، (الرياض: عالم الكتب)، ص ٣٠ - ٣٢؛ وانظر الدموهي، عوامل الإنتاج، ص ٦١ - ٦٣، وانظر فهد العصيمي، خطة الإسلام في موارد الإنتاج، (الطبعة الأولى)، ص ١٩٠ - ٢٥٣.

وميدان الصناعة^(١)، وميدان التجارة^(٢)، وميدان الخدمات العامة^(٣).

ثانياً: الملكية.

الثروة مطلب ينشده كل حي، ومجال تنافس قد يدفع للغي؛ لذلك جاء الشارع الكريم ببيان يحدد متعلقات تملك الثروة من عدة أوجه، منها:

أ: دوافع التملك^(٤)، فالإنسان يسعى لأجل الحصول على الثروة بفعل عوامل متعددة، تتمثل في دوافع متعددة، فمنها ما يكون ذاتياً دنيوياً، كالحاجة الضرورية للبقاء، حيث تعد الثروة وسيلة لتوفير العناصر الرئيسة للعيش والبقاء، كالغذاء والكساء ونحوها مما به قوام الحياة^(٥)، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا...﴾^(٦)، وكغريزة التملك، فحب المال وتملكه غريزة فطر الإنسان عليها، يسعى لأجلها بكل ما أمكنه من قدرات، وأتيح له من فرص، يقول الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(٧)، ويقول ﷺ: ((لو كان لابن آدَمَ واديانٍ من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدَمَ إلا التُّرابُ، ويتوبُ اللهُ على من تاب))^(٨)، وكالرغبة في الغنى، فبالمال يستغني الفرد عن المسألة، والتذلل للناس بقصد

(١) انظر ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٩٨ - ٤٠٠؛ وانظر الدموي، المرجع السابق، ص ٦٦ - ٦٨؛ وانظر محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ٣٣٤ - ٣٣٥؛ وانظر العصيمي، المرجع السابق، ص ٣٤٢ - ٣٦٩.

(٢) انظر الخلال، كتاب الحث على التجارة والصناعة والعمل، ص ٧٠ - ٧٢، ٨٨؛ وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥ ص ١٥١ - ١٥٢؛ وانظر ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٣٩٤؛ وانظر الدموي، المرجع السابق، ص ٧٣ - ٧٨؛ وانظر الجنيد، التملك، ص ٢٨ - ٢٩؛ وانظر عمارة، المرجع السابق، ص ١١٤ - ١١٥؛ وانظر العصيمي، المرجع السابق، ص ٢٥٧ - ٣٣٥.

(٣) انظر الدموي، المرجع السابق، ص ٧٨٢ - ٨٣.

(٤) انظر ابن أبي الدنيا، إصلاح المال، الطبعة الأولى، ص ٨٩ - ١٠٠؛ وانظر الخلال، مصدر سابق، ص ٨٠ - ٨٢؛ وانظر محمد عقلة إبراهيم، حوافز العمل بين الإسلام والنظريات الوضعية، الطبعة الأولى، ص ٥١ - ١٥٨.

(٥) انظر تفسير الطبري، ج ٣ ص ٥٩١؛ وانظر تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٤٥٣.

(٦) سورة النساء، الآية ٥.

(٧) سورة الفجر، الآية ٢٠.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ٣٩.

الحصول على المال، فقد كان ﷺ يتعوذ بالله من: ((جَهْدِ الْبَلَاءِ...))^(١)، وهو كما فسره ابن عمر رضي الله عنهما بأنه؛ (قلة المال، وكثرة العيال)^(٢)، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: (جهد البلاء: أن تحتاجوا إلى ما في أيدي الناس فيمنعوكم)^(٣). ومن الدوافع ما يكون ذاتياً دينياً، للاستعانة به على طاعة الله، فالمال عون على الطاعة^(٤)؛ نظراً لحصول صاحبه على الكفاية المعيشية، وهذا بدوره يسهم في ابتعاده عن المشغلات والصارفات الدنيوية، ويتجه للأعمال الصالحة، خاصة ما يحتاج منها إلى المال، كالحج، أو الزكاة، أو الصدقة، وصلة الرحم ونحوها، يقول ﷺ: ((... إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ حُلُوءٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ...))^(٥)، ويقول ابن المنكدر رحمه الله: (نعم العون على الدين الغنى)^(٦)؛ لما يتوفر لصاحبه من فرص إنفاق متعددة، ترتقي بصاحبها إلى أعلى درجات الإيمان، يقول الزبير ؓ إِنَّ الْمَالَ فِيهِ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ، وَصَلَةُ الرَّحْمِ، وَالنَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَعَوْنٌ عَلَى حَسَنِ الْخُلُقِ، وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ شَرَفُ الدُّنْيَا وَلذَاتِهَا)^(٧).

ومن الدوافع ما يكون دينياً عاماً، فالعمل الصالح يتجاوز حدوده القيام بالفروض، إلى جميع الأنشطة البشرية في مجالات الحياة المختلفة، ولأن الثروة قوام تلك الحياة، وعماد تلك الأنشطة، فحيازة المسلم لها، وتسخيرها في خدمة تلك المجالات والأنشطة، عامل رئيس في جعل تلك المجالات تؤدي غايتها كما يرضي الله، قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٨)، ويأتي في مقدمة هذه الدوافع التمكين والإعداد لمواجهة الأعداء، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ٢٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٧، ص ٣١.

(٣) ابن أبي الدنيا، مصدر سابق، ص ٣٦٠.

(٤) انظر الخلال، مصدر سابق، ص ٧٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ٤١.

(٦) ابن أبي الدنيا، إصلاح المال، ص ١٧٢.

(٧) المصدر السابق، ص ١٩١.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١﴾ .

ب: أنواع الملكية، المالك الحقيقي لكل ما في الوجود من ثروة وغيرها، هو الله سبحانه وتعالى (٢) قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿... وَأَنْتُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ...﴾ (٤)، فوض بني آدم أفراداً وجماعات، وأوكل إليهم التصرف وتملك بعض الأشياء ملكية ظاهرية لا حقيقية، بأقدار متفاوتة، وقيود مبينة، وحدود محددة، وأوجب احترام تلك الملكية بأنواعها المختلفة (٥)، قال تعالى: ﴿أَهْرُ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ إِنَّهُمْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا...﴾ (٦)، ينتهي هذا التوكيل والتمليك الظاهري بانتهاء دور الموكل في هذه الحياة قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٧)، عندها يكون الحساب، بين صاحب الثروة ووكيله، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨).

هذا التفويض والتعميد من الله سبحانه وتعالى لعباده، جعلهم جميعاً أصحاب حق في حيازة الثروة والعمل لأجلها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (٩)، وتبعاً لتفاوت قدرات العباد، ووضعيتهم العامة والخاصة، يتفاوتون في تملكهم على صور متعددة، يقول الله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّهُنَّ أَهْلًا وَهَوَالَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠ .

(٢) انظر عبد القادر عودة، المال والحكم، ص ٤٧ - ٥٥؛ وانظر فتحي عبد الكريم، أحمد العسال، النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه، الطبعة التاسعة، ص ٤٢ - ٤٤؛ وانظر بابلي، المال في الإسلام ص ٣٢ - ٣٦؛ وانظر الحصين، المال في القرآن الكريم، ص ١٤ - ١٨ .

(٣) سورة طه، الآية ٦ .

(٤) سورة النور، الآية ٣٣ .

(٥) انظر عبد القادر عودة، المرجع السابق، ص ٥٥ - ٨٢ .

(٦) سورة الزخرف، الآية ٣٢ .

(٧) سورة مريم، الآية ٤٠ .

(٨) سورة الحجر، الآيتان ٩٢ - ٩٣ .

(٩) سورة الرعد، الآية ٢٦ .

كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا^(١)، يقول المودودي رحمه الله تعالى: (إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ولم يجعلهم سواسية في تقسيم النعم والأيادي بينهم، بل فضل بعضهم على بعض بحكمته ومشيتته، فهذا التباين بين العباد ظاهر بين في حسنهم، وجمالهم، وجودة أصواتهم، وقواهم الجسمية وكفاءتهم العقلية، والمبائة التي ولدوا فيها، إلى غير ذلك من هذا القبيل. فهكذا أمر الرزق بعينه بالفطرة التي فطر الله عليها الناس تقتضي بطبيعتها أن يكون التفاوت والتباين في رزق العباد، كشأنه في مواهبها الأخرى)^(٢).

وتبعاً لهذا التفاوت في قدرات العباد، يكون التفاوت في ملكية الثروة باعتبار محل التملك^(٣)، فقد تكون الملكية ملكية تامة للعين والمنفعة، وقد تكون ملكية عين، أو منفعة فقط، كما في الإجارة فعين الشيء المؤجر ملك للمؤجر، بينما نفعه ملك للمستأجر^(٤)، ومثله العارية ونحوها^(٥).

وقد يكون التفاوت في الملكية باعتبار صاحب الملك، فقد تكون عامة، أو خاصة، ولكل منها ضوابط معينة^(٦)، فمثلاً الملكية الخاصة لها حدودٌ تُحدُّ بها^(٧)،

(١) سورة الإسراء، الآيتان ٢٠ - ٢١.

(٢) نظام الحياة، ص ٥٣.

(٣) انظر ابن نجيم زين الدين، الأشباه والنظائر، الطبعة الأولى، ص ٤١٧؛ وانظر ابن رجب عبد الرحمن، القواعد في الفقه الإسلامي، الطبعة الثانية، ص ٢٠٨ - ٢١٠؛ وانظر عبد الحميد البعلي، الملكية وضوابطها في الإسلام، دراسة مقارنة مع أحدث التطبيقات العلمية المعاصرة، الطبعة الأولى، ص ٦٢ - ٨٤؛ وانظر عبد الله المصلح، قيود الملكية الخاصة، (الرياض: دار المؤيد للنشر والتوزيع)، ص ٩٨ - ١٠٤.

(٤) انظر الشيرازي، المهذب، ج ١ ص ٥١٦ - ٥١٨؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٥ ص ٤٣٣ - ٤٣٥.

(٥) انظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٣٥٢؛ وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ج ٦ ص ٥٩ - ٦٢.

(٦) انظر الشافعي، الأم، ج ٤ ص ٤٧ - ٥١؛ وانظر أبا يوسف، الخراج، ص ٩٤ - ٩٨؛ وانظر البهي الخولي، الثروة في ظل الإسلام، الطبعة الرابعة، ص ٩١ - ١٠٤؛ وانظر البعلي، الملكية، ص ٨٥ - ٩٣؛ وانظر المصلح، قيود الملكية، ص ١٠٥ - ١١٤.

(٧) انظر ابن رجب، القواعد، ص ٢٠٣؛ وانظر سيد قطب، العدالة الاجتماعية، ص ٩٠ - ٩٤؛ =

وقيود يلتزم بها صاحبها تجاه جماعة المجتمع الإسلامي وأفراده، تتمثل في مفهوم قوله ﷺ: ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ))^(١)، هذا الإضرار قد يكون بعدم تعاون صاحب الملكية الخاصة مع بقية أفراد المجتمع في سبيل تحقيق الصالح العام، مما لا يلحق الضرر به يقول ﷺ: ((لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ))^(٢)، وقد يكون الإضرار باكتناز الثروة واحتكارها دون أداء الحق فيها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ لَهُمْ بَعْدًا إِلِيمًا...﴾^(٣)، ويقول ﷺ: ((الْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ))^(٤).

ثالثاً: أساليب الحيابة والتملك^(٥).

لم يعط الإسلام الحرية المطلقة في مجال حيابة الثروة وتملكها بأي أسلوب كان، بل حدد أساليب معينة شرعها، وحرّم أخرى، فشرع الحصول على الثروة بالجهد الذاتي المباشر، كما في حيابة المباح مثل الاحتطاب، والصيد البري والبحري. وكما في إحياء الموات^(٦). وكما في عقود التبادل، أو المعاوضة، كالإجارة^(٧)، والوكالة^(٨)، والبيع والشراء^(٩).

= وانظر يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، الطبعة السابعة، ص ٣٠؛ وانظر العصيمي، خطة الإنتاج، ص ١٣٢ - ١٤٨.

(١) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩٨٩٩].

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب ٢٠.

(٣) سورة التوبة، الآية ٣٤.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٩١٧٦].

(٥) انظر ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص ٤١١؛ وانظر سيد قطب، مرجع سابق، ص ٩٤ -

١٠٠؛ وانظر الجنيد، التملك، ص ٢٤ - ٦٨؛ وانظر عبد الكريم، العسال، النظام

الاقتصادي، ص ٤٨ - ٥٨؛ انظر البعلي، مرجع سابق، ص ٣٢ - ٥٧.

(٦) انظر ابن سلام، كتاب الأموال، الطبعة الأولى، ص ٣٧٨ - ٣٨٥ وانظر الشيرازي، المهذب،

ج ١ ص ٥٥٣ - ٥٥٧؛ وانظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦ ص ١٩٤ - ١٩٥؛ انظر محمد بن

علي السيمح، ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ١١٧ - ١٢٧.

(٧) انظر ابن عبد البر، الكافي، ص ٣٦٨ - ٣٨٠؛ وانظر الشيرازي، المصدر السابق، ص ٥١٦ -

٥٣٧.

(٨) انظر المصدر السابق، ص ٤٥٨ - ٤٧١؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٥ ص ٨٧ - ١٤٨.

(٩) انظر الكاساني، مصدر سابق، ج ٥ ص ١٣٣ - ٣١٠ وانظر ابن رشد، بداية المجتهد، ج ٢

ص ١٤٩ - ٢٣١.

كما شرع الحصول على الثروة بوساطة الآخرين، عطاء^(١) من غير مسألة ولا إشراف^(٢)، سواء كان هدية أو هبة^(٣)، أو إقطاعاً من الدولة لأرض زراعية أو سكنية ونحو ذلك^(٤).

أو نفقة تجب له على الآخرين^(٥)، أو صدقة كحق واجب، أو مسنون يحصل به على ثروة^(٦) أو صداق^(٧)، أو وصية تنقل إليه ثروة^(٨)، أو إرث^(٩)، أو غنيمة وفيء في أموال الكفار^(١٠). بينما حرم الإسلام جميع الأساليب والأشكال التي تؤدي إلى الحصول على الثروة دون جهد، وإلى ضياع الحقوق وتعطيل المصالح، حرمها لما تحدثه من أضرار ومفاسد اقتصادية واجتماعية كبيرة على مستوى الفرد والمجتمع، وتتمثل تلك الأساليب غالباً في الربا، والقمار، والرشوة، والغش، والاحتكار والغصب، والغلول، والسرقة، ونحوها مما حرمه الإسلام بأشكاله

(١) انظر محمد قلعجي، مباحث في الاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ٣٨ - ٤١؛ وانظر الحصين، المال في القرآن الكريم، ص ١٢١ - ١٢٨.

(٢) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٥ ص ٢٣٣.

(٣) انظر ابن عبد البر، الكافي، ص ٥٢٨ - ٥٣٣؛ وانظر الشيرازي، المهذب، ج ١ ص ٥٨٢ - ٥٨٥؛ وانظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦ ص ١١٥ - ١٣٤؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٥ ص ٦٤٩ - ٦٩٢؛ وانظر ج ٦ ص ٩٦ - ٩٩.

(٤) انظر ابن سلام، كتاب الأموال، ص ٣٦٧ - ٣٧٧؛ وانظر الشيرازي، المصدر السابق، ص ٥٥٧ - ٥٥٩؛ وانظر قلعجي، مرجع سابق ص ٤١ - ٤٢؛ وانظر العصيمي، خطة الإسلام، ص ٢١٠ - ٢١٥؛ وانظر السميح، ملكية الأرض، ص ١٦١ - ١٧٥.

(٥) انظر الشيرازي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٠٤ - ٢١٦؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ج ٧ ص ٥٦٣ - ٦٣٥.

(٦) انظر ابن عبد البر، مصدر سابق، ص ٥٣٣ - ٥٣٥؛ وانظر الشيرازي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٣٨.

(٧) انظر ابن رشد، بداية المجتهد، ج ٢ ص ٢١ - ٣٦؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ج ٦ ص ٦٧٩ - ٧٥٢.

(٨) انظر الكاساني، مصدر سابق، ج ٧ ص ٣٣٠ - ٣٩٤؛ وانظر ابن رشد، المصدر السابق، ص ٤٠٨ - ٤١٣.

(٩) انظر المصدر السابق، ص ٤١٤ - ٤٤١؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ص ١٦٥ - ٣٢٩.

(١٠) انظر الشيرازي، مصدر سابق، ص ٣١١ - ٣٢٠؛ وانظر ابن رشد، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٥٢ - ٤٦٢، ٤٦٥ - ٤٦٨ - ٤٧٢.

وأسمائه المختلفة، كما حرم جميع الأعمال الموصلة إليه، والمساعدة عليه.

الثالث: التنمية والاستثمار.

جاءت التوجيهات الشرعية مرغبة في تنمية الثروة، وعاملة على زيادة الإنتاج، فقد نهى ﷺ عن حجر الثروة، وعدم استغلالها، يقول ﷺ: ((من كانت له أرضٌ فليزرعها، أو فليحريها أخاه، وإلا فليدعها))^(١)، وأثنى ﷺ على الغنى، بقوله: ((اليدُ العُلْيَا، خيرٌ من اليدِ السُّفْلَى...))^(٢)، وذم الفقر^(٣)، وأمر المسلم بالتعوذ من الفقر والفاقة؛ لما فيهما من مضايق قد تكون مدخلاً شيطانياً لإغواء الإنسان، فيسلك طريقاً محرماً للحصول على المال، يقول ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ...))^(٤)، وهذا ما جعله قرين الكفر، يقول ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ...))^(٥)، ولأن الفقر نتيجة للعجز والضعف التي يحاربها الإسلام، وتتنافى مع مقاصده قال تعالى: ﴿... وَاللَّهُ الْعَزَّ وَالرَّسُولُ... وَالْمُؤْمِنِينَ...﴾^(٦)؛ لذلك جاءت التوجيهات والتشريعات الكريمة في بيان مبيِّن، وتفصيل مفصَّل، بوسائل التنمية وضوابطها، أجمَلها في البيان التالي:

أ: وسائل التنمية:

وتمثل في وسائل منها:

الوسيلة الأولى: الإنسان، فهو مدار التنمية والعطاء، بل عليه تتوقف عملية التنمية والعطاء، فلا يمكن أن يكون عمل بدون عامل؛ لذلك فلا بد من تنمية جوانب متعددة في العامل قبل توجيهه إلى العمل. من هنا عني الإسلام بهذا الجانب أيما عناية، فهو قد بدأ عنايته بالإنسان عند إرادة الزواج أولاً، حيث وجه إلى حصر النية من الزواج بإرادة الذرية، يقول ﷺ: ((انكحوا، فإنني مُكاثِرٌ

(١) صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب ١٧؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب ١٨.

(٢) صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٠٠٢٧].

(٣) انظر ابن أبي الدنيا، إصلاح المال، ص ٣٥٠ - ٣٧٩؛ وانظر بابللي، المال في الإسلام، ص ٤١ - ٤٢.

(٤) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٥٤٦].

(٥) حديث حسن الإسناد. الألباني، صحيح سنن أبي داود، رقم الحديث: [٤٢٤٥].

(٦) سورة المنافقون، الآية ٨.

بكم))^(١)، فوجه إلى العناية باختيار الزوجة الصالحة، وأن تكون من المنبت الطيب، وحذر من العرق الدساس. وبعد الزواج وجه إلى التسمية عند الجماع، والمحافظة على الجنين في رحم أمه، وبعد الولادة وجه إلى التلقين، وانتقاء الاسم، وحسن الرضاعة والرعاية والتربية؛ ليخرج فرداً صالحاً، ولبنة فاعلة، تحظى بالعناية والرعاية لجميع جوانبها الرئيسة والمتمثلة في جوانب منها:

١ - الجانب الجسمي^(٢)، فللجسم أهمية في تحديد نوعية العمل الذي يكلف به الفرد، قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُمُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾^(٣)؛ لذلك وجه الإسلام إلى ضرورة احتفاظ الجسم بقوامه، والجوارح بنشاطها، من خلال الغذاء، وعن طريق تناول المعتدل من الطعام والشراب الطيب والحلال، قال تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٤)، مع تجنب خبائث الأطعمة والأشربة المفسدة للبدن، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ...﴾^(٥). كما وجهه إلى الحركة والنشاط لتحفظ للجسم قوامه، فالإسلام دين الحركة والنشاط، جُلَّ عباداته طابعها حركي، فالصلاة حركة لجميع أعضاء الجسم، والحج حركة عناء ومشقة، وقيام الليل حركة عزيمة وإرادة، والجهاد حركة تحمل وتدريب، وعليه فالمسلم يجب أن يكون الأبعد عن الجبن والكسل، والخمول في جُلِّ أمور حياته، يقول ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ...))^(٦). ومن أوضح ما يدل على عناية الإسلام بنشاط المسلم والحفاظ على قوامه البدني، إباحة الفطر في السفر؛ لثلا يجتمع على المسلم مشقة السفر والصوم^(٧) قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ

(١) حديث صحيح. الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب ٨.

(٢) انظر جمال عبده، دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، الطبعة الأولى، ص ٢٧٨، ٣٠٧ - ٣١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٣١ - ٣٢.

(٥) سورة المائدة الآية ٣.

(٦) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٤٨٩].

(٧) انظر تفسير الطبري، ج ٢ ص ١٦٢ وانظر ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ٢.

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَسْكَامٍ أُخْرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ... ﴿١﴾. كما وجه أيضاً إلى إراحة الجسم، فلكل شيء قدرة تحمل، وطاقة مقاومة، يتحمل بها عناء الحياة، والجسم البشري كذلك، له قدرة محدودة وطاقة موقوتة، يقاوم بها مشقة الحياة، وعناء العمل؛ لذلك وجه الإسلام إلى ضرورة إعطاء الجسم حقه من الراحة بعد كل تعب؛ ليحفظ بقواه، وليستعيد نشاطه^(٢)، يقول ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص عندما علم أنه يصوم النهار ويقوم الليل: ((فلا تفعل، صُمْ وَأَفِطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَدْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا...))^(٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (العبادة إذا خصت ببعض الأوقات نشطت النفوس لهم أعظم مما تنشط للشيء الدائم. ومنها: أن الشيء الدائم تسأم منه، وتضجر، فإذا نهى عنه بعض الأوقات زال ذلك الملل)^(٤). ووجه أيضاً إلى العلاج، فقد يتعرض أحد أعضاء الجسم لمرض يفقده القيام بدوره، أو يقلل من عطائه على الوجه الأمثل؛ لذلك وجه الإسلام إلى ضرورة الابتعاد عن مسببات الأمراض عموماً، وعدم تعريض الجسم لها، يقول ﷺ: ((فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ))^(٥)، ووجه إلى ضرورة علاج الأمراض بالعلاج المباح شرعاً^(٦)، يقول ﷺ: ((مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً))^(٧).

٢ - الجانب الفكري^(٨). العقل مدار التوجيه والتكليف، خوطب في آيات كثيرة، ودُعِيَ إلى النظر تفكيراً وتدبراً وتأملاً، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّدَّبَرُواْ ءَايَاتِهِۦ وَلِيَسْتَدَكِّرَ أَوْ لِيُؤَلِّمَ الْآلِيبِ﴾^(٩)، عمل الإسلام على الحفاظ على هذه النعمة، فحرم كل ما يضر بها، أو يصرفها عن أداء دورها، ودعا إلى تغذيتها بالحقائق العلمية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) انظر أبا زيد، حلية طالب العلم، الطبعة الثانية، ص ٦٤ - ٦٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب ٥٥.

(٤) الفتاوى، ج ٢٣ ص ١٨٧.

(٥) المصدر السابق، كتاب الطب، باب ١٩.

(٦) انظر ابن قيم الجوزية، مصدر سابق، ص ٣ - ١٢.

(٧) البخاري، مصدر سابق، باب ١.

(٨) انظر عبده، دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، ص ٢٧٩ - ٢٨٠، ٣١٤ - ٣٢٣.

(٩) سورة ص، الآية ٢٩.

السَّمَوَاتِ أَتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتَكَرَّرَ مِنِّي عَلِيمٌ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ .

٣ - الجانب النفسي^(٢) . النفس البشرية متعددة العواطف، كثيرة الانفعالات،

يتحكم فيها صاحبها ويوجهها حسب ما يراه وفق منطلقاته التي يؤمن بها، فقد ينفعل شخص لموقف معين يراه آخر أمراً عادياً، والسبب في ذلك منطلقات كل فرد، فأحدهما تملي عليه الانفعال، والآخرى تُرِيه إياه أمراً عادياً، قال تعالى: ﴿... إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ...﴾^(٣)، وقد عُني الإسلام بالنفس البشرية، وعمل على تهيئتها لمواجهة ما يناط بها من أعمال، بثقة واطمئنان^(٤)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٥) .

الوسيلة الثانية: الآلة .

هي الوسيلة المباشرة للعمل، والمتمثلة في الأدوات والآلات والأجهزة التي يؤدي بها العمل، قال تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَ الرَّيْحَ غُدُوهاً شَهْرٌ وَرَوْاحَهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لِمِ عَيْنِ الْقَطْرِ...﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿ءَأَتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾^(٧)، ويقول ﷺ: ((والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فيسأله، أعطاه، أو منعه))^(٨) .

الوسيلة الثالثة: العمل^(٩)، ذلكم السعي الدائب الذي يُحَقِّقُ من ورائه المطلب

والمبتغى، ويشمل كل مجهود فكري أو بدني يبذله الإنسان بشكل منظم، يقول ابن منظور رحمه الله: (أَعْمَلَ فلان ذِهْنَه في كذا وكذا: إذا دَبَّرَه بفهمه، وأَعْمَلَ رأْيَه وآلَتَه

(١) سورة الأحقاف، الآية ٤ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٨٠، ٣٢٤ - ٣٣٤ .

(٣) سورة يوسف، الآية ٥٣ .

(٤) انظر ص ٤١١ - ٤١٤ من هذه الرسالة .

(٥) سورة الرعد، الآية ٢٨ .

(٦) سورة سبأ، الآية ١٢ .

(٧) سورة الكهف، الآية ٩٦ .

(٨) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ٥٠ .

(٩) انظر القرضاوي، مشكلة الفقر، ص ٣٩ - ٥٤؛ وانظر قلعجي، مباحث في الاقتصاد

الإسلامي، ص ٦٧؛ وانظر العصيمي، خطة الإسلام، ص ٥٩ .

ولسانه واستعمله: عَمِلَ به^(١). والعمل أخص من الفعل الذي هو كناية عن كل عمل، سواء كان متعمداً أو غير متعمد^(٢)، من إنسان أو حيوان أو جماد، بقصد أو غير قصد، بعلم أو غير علم، بإجادة أو غير إجادة^(٣). إذاً فالعمل حركة بقصد^(٤)، وهو لكل مخلوق مع ما يتفق مع قدراته وميوله، يقول ﷺ: ((اعملوا فكلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ))^(٥).

هذا الجهد الإنساني أولاه الإسلام عناية خاصة، حيث ورد لفظ العمل ومشتقاته في القرآن الكريم أكثر من [٣٠٠] مرة^(٦)، فيها بيان شافٍ لمتعلقات العمل المختلفة والتي من أبرزها:

١ - مكانة العمل في الإسلام. رغب الإسلام في العمل وحث عليه، وجعله فريضة على كل مسلم^(٧)، فجاءت التوجيهات الشرعية داعية إلى العمل، مؤكدة على ضرورة طلبه والحرص عليه يقول ﷺ: ((أَجْمِلُوا فِي طَلْبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كَلَامَ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ))^(٨)، وأثنى على العمل والعاملين يقول ﷺ: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ...))^(٩)، ويقول ﷺ: ((خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ))^(١٠). عدَّ العمل عبادة، فقال تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَدَةُ فَيُنْتَقَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(١١)، ويقول ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ،

(١) لساب العرب، «عمل».

(٢) انظر المرجع السابق، «فعل».

(٣) انظر الراغب، المفردات، ص ٣٨٣.

(٤) انظر جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ص ٨٣.

(٥) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٢٠٢].

(٦) انظر حمدان، العمل، ص ٣.

(٧) انظر الخلال، كتاب الحث على التجارة، ص ٥٣؛ وانظر محمد حسين الشيباني، الاكتساب في الرزق المستطاب، الطبعة الأولى، ص ١٧ - ٨٦؛ وانظر قلعجي، الاحتراف، ص ٢١ - ٢٣.

(٨) صحيح. الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب ٢.

(٩) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ١٥.

(١٠) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٤٠٢٧].

(١١) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

أو بهيمة، إلا كان له به صدقة^(١)، ويقول ﷺ: ((الخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبةً نفسه، أحدُ المُتصدِّقين))^(٢). وقدم العامل على المجاهد، قال تعالى: ﴿... وَأَخْرُونَ بَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾^(٣)، ويقول ﷺ: ((السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...))^(٤).

وكيف لا تكون للعمل تلك المنزلة وهو سنة الأنبياء والمرسلين^(٥)، مارسوه بأشكال مختلفة ومتنوعة^(٦).

٢- حقوق العامل^(٧) حيث بين الإسلام للعامل حدوده، وصان له حقوقه، والتي منها: ضمان الأجر، أجراً عادلاً، وحقاً كاملاً، واستيفاءً مباشراً، قال تعالى: ﴿... وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٨)، ويقول ﷺ: ((أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه))^(٩)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ولي الأمر إن أجبر أهل الصناعات على ما تحتاج إليه الناس من صناعاتهم، كالفلاحة والحياكة، والبناية، فإنه يقدر أجره المثل)^(١٠). ومنها الرفق وحسن المعاملة، وذلك من خلال عدم تكليفه بما يشق عليه، ومعاملته معاملة الأخ لأخيه يقول ﷺ: ((... إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما

(١) صحيح مسلم، كتاب الحرت والمزارعة، باب ١، وانظر كتاب المساقاة، باب ٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب ١.

(٣) سورة المزل، الآية ٢٠.

(٤) المصدر السابق، كتاب النفقات، باب ١.

(٥) انظر الخلال، كتاب الحث على التجارة، ص ١١١ - ١١٤؛ وانظر الشيباني، الاكتساب، ص

٢٠ - ٢٤؛ وانظر إبراهيم النعمة، العمل والعمال في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ص

١٤ - ١٥؛ وانظر الحصين، المال في القرآن الكريم، ص ٥٩ - ٦٦.

(٦) انظر البخاري، مصدر سابق، كتاب البيوع، باب ١٥؛ وانظر كتاب الإجارة، باب ٢؛ وانظر

صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ٤٥؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج ٣ ص ٤٢٥.

(٧) انظر سيد قطب، العدالة الاجتماعية، ص ٩٧؛ وانظر عبد الكريم، العسال، النظام

الاقتصادي، ص ١٤٠ - ١٤٥؛ وانظر قلعجي، مباحث في الاقتصاد الإسلامي، ص ٧٤ -

٧٥؛ وانظر المرصفي، العمل والعمال، ص ١٨٩ - ٢٢٥.

(٨) سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

(٩) حديث حسن. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [١٠٥٥].

(١٠) الفتاوى، ج ٢٨ ص ٨٦؛ وانظر الحسبة، ص ٥٥.

يَأْكُلُ، وَلَيْلِسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلَّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))^(١).
ومنها أيضاً عدم الإيجاب على العمل، فقد ترك الإسلام للمرء أن يختار نوعية العمل الذي يريده^(٢) والذي يتفق مع قدراته الفردية، وميوله الشخصية المتفاوتة، قال تعالى: ﴿إِنْ سَعَيْتُمْ لَشَيْءٍ﴾^(٣).

كما وجه الإسلام إلى توفير الفرص العملية للجميع، دون إجبار أحد على عمل معين، مستثياً من ذلك تلك التخصصات النادرة التي لا يجيدها إلا عدد محدود من أفراد الأمة، أو التي تدعو الحاجة إليها، فلولي الأمر أن يلزم أصحاب تلك التخصصات النادرة بأداء ذلك العمل، يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في معرض حديثه عن حاجة المسلمين إلى نوع معين من الصناعة أكثر من حاجتهم إلى صناعة أخرى: (. . . هذه الأعمال متى لم يقم بها إلا شخص واحد، صارت فرض عين عليه، فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحه قوم، أو نساجتهم، أو أبنائهم، صارت هذه الأعمال مستحقة عليهم، يجبرهم ولي الأمر عليها بعوض المثل)^(٤).

٣ - أوجه العمل^(٥)، فالإنسان مفطور على العمل عموماً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُ أَنْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٦)، يقول شاكر: (من واجب الإنسان العمل، وفيه امثال لأمر الله، والقعود عن طلب الرزق أمر منهي عنه، وطلب الرزق ليس غاية بحد ذاته، وإنما هو وسيلة ليستطيع الإنسان أن يقوم بواجبه، وتتطلب فطرة الإنسان هذا العمل)^(٧)؛ لذلك أمر المسلم بالعمل فقال تعالى: ﴿فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...﴾^(٨) والانتشار هنا يدخل فيه عدة أوجه عملية، تتفق مع ميادين العمل الفسيحة، ومجالاته المتعددة بتعدد أصناف

(١) البخاري، مصدر سابق، كتاب الإيمان، باب ٢٢.

(٢) انظر النعمة، مرجع سابق، ص ٢٨ - ٣١.

(٣) سورة الليل، الآية ٤.

(٤) الطرق الحكمية، ٢٤٨.

(٥) انظر سيد قطب، العدالة الاجتماعية، ص ٩٨.

(٦) سورة الروم، الآية ٢٠.

(٧) انظر شاكر، العالم الإسلامي، ص ٤٤ - ٤٥؛ وانظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من

قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٢٧٧.

(٨) سورة الجمعة، الآية ١٠.

الثروة، ومجالات الكسب المختلفة، فالنظر تأملاً وتفكيراً في كون الله الفسيح بقصد المعرفة والبحث عن الحقائق العلمية، أحد أوجه العمل. والضرب في الأرض ابتغاءً للثروة وجه من أوجه العمل أيضاً^(١)، سواء كان الضرب لاستخلاص واستخراج الثروات المبتوثة في ظاهر الأرض وباطنها وفي الكون عموماً، أو لتحويل المواد الأولية المستخرجة إلى مواد استهلاكية قابلة للاستخدام البشري أو لعمل خدمة يتقنها، كالتعليم، والتطبيب، والهندسة، ونحوها.

٤ - أهداف العمل، عندما أمر الإسلام بالعمل، ووجه إليه، فإنه يهدف إلى تحصيل عدة أمور منها توفير القوت من أجل الحياة، والحصول على المنفعة، وتحسينها وتنميتها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...﴾^(٢) ومنها الاستغناء عن الآخرين، ومنع المسألة^(٣)، فقد ذم الإسلام المسألة، ونهى عن امتهان سؤال الناس والتذلل لهم، واتخاذ المسألة وسيلة عيش، سواء كان ذلك لحاجة، يقول ﷺ: ((لأن يَحْتَتَبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ، أَوْ يَمْنَعَهُ))^(٤)، أو تكثراً، يقول ﷺ: ((مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلَيْسَتْ قَلَّ أَوْ لَيْسَتْ كَثُرًا))^(٥)، كما حث على التعفف، فأثنى على المتعففين، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيئَتِهِمْ لَا بَسْطُوكَ النَّاسَ الْإِحْقَاقًا...﴾^(٦). ومما يهدف إليه الإسلام القضاء على البطالة^(٧)، فدعوة الإسلام إلى العمل، تتضمن ضمناً مكافحة البطالة، فالمسلم دائماً في عمل، إذا انتهى من عمل دنيوي، بدأ في عمل أخروي، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾^(٨)، فالإسلام ينأى بالمسلم عن القعود والانتكال، والتهاون والكسل؛ نظراً للعواقب المترتبة على ذلك، فهي مفاتيح للشورر، ومداخل

(١) انظر قلنجي، مباحث في الاقتصاد الإسلامي، ص ٤٢ - ٤٤.

(٢) سورة الجمعة، الآية ١٠.

(٣) انظر الحصين، المال في الإسلام، ص ٦٦ - ٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ١٥؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ٣٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٧٣.

(٧) انظر النعمة، العمل والعمال، ص ٨٥ - ٩١؛ وانظر العيصمي، خطة الإسلام، ص ٧٦ - ٧٨.

(٨) سورة الشرح، الآيتان ٧ - ٨.

للتخلف والتأخر، والتي قضى عليها الإسلام بإرشاده إلى وسائل متعددة تُسهّم في القضاء على البطالة^(١)، منها توفير فرص العمل والإدلال عليها، باعتبار ذلك عامل رئيس في استغلال الطاقات البشرية الإسلامية، يقول ﷺ: ((لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُوَ إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَبِطَ فَيَبِيعَ فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ))^(٢) ففي التوجه للعمل فتح للأفاق العملية التي تقضي على وقت الفراغ، وتسد حاجة من حاجات الأمة، ويصبح معها الفرد عنصراً فاعلاً، يقول المودودي رحمه الله: (الإسلام لا يقول بالمساواة في الرزق نفسه، وإنما يقول بها في فرص الجهد والسعي في اكتساب المعاش، والتماس الرزق والغاية التي يقصدها الإسلام، أن لا يبقى في المجتمع البشري حواجز وعقبات قانونية، أو تقليدية، تعوق الإنسان وتقعده عن بذل جهده واستطاعته في سبيل اكتساب الرزق حسب ما أولاه الله من القوى والمواهب)^(٣) ويقول شاكر: (النظام مسؤول عن إيجاد عمل للناس إن عجزوا عن تأمينه، ومنعهم من التكاثر وعن العمل كلياً، وما يتعلق به من تعليم وصحة وابتكار. وعلى هذا فليس في المجتمع الإسلامي من يجلس بلا عمل)^(٤). ومنها إلزام القادرين على العمل، فإذا توافرت الفرص، أُجبر القادر على العمل، ومنع من أخذ مال الزكاة، أو الصدقة، يقول عبيد الله بن عدي بن الخيار: (أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي ﷺ في حَجَّةِ الْوُدَاعِ وهو يقسم الصدقة، فسألاه منها، فرفع فينا البصر وخفضه، فرأنا جلدتين، فقال: ((إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيْتُمَا، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيِّ، وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ))^(٥). ويقول عمر ؓ: (يا معشر القراء: ارفعوا رؤوسكم فقد وضع الطريق، [فاستبقوا الخيرات]، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين)^(٦).

ب: ضوابط الاستثمار والتنمية.

للاستثمار غاية محددة، تتمشى مع أصل ملكية المال، وتتحدد في تحقيق

(١) انظر المرجع السابق، ص ٧٦ - ٨٥.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٧٢٠٩].

(٣) نظام الحياة، ص ٥٣.

(٤) انظر العالم الإسلامي اليوم، ص ٤٤ - ٤٥؛ وانظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من

قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٢٧٧.

(٥) صحيح. الألباني، صحيح سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب ٢٤.

(٦) ابن أبي الدنيا، إصلاح المال، ص ٢٤٨.

النفع لأصحاب المال وللأمة بصورة متزنة، وعادلة على النحو التالي:

١ - وجوب العمل على تنمية الثروة، من خلال تشغيلها واستثمارها، وعدم احتكارها، أو اكتنازها فقد أمر بتنمية مال اليتامى، ونهى عن تركه بلا بناء، يقول ﷺ: ((اتَّجِرُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تَأْكُلُهَا الزَّكَاةُ))^(١)، فالألتجار وسيلة للمحافظة على أساس الثروة كهدف حيوي، وتحقيق المنفعة كفاءة ومردود للجهد.

٢ - الاستثمار في مجال الطيبات، وتحدد في ما يشبع حاجات الإنسان، ويحفظ عليه دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله، فقد حرم الإسلام الاستثمار في المحرمات، وما يفضي إلى محرم، فقد صح عنه ﷺ أنه نهى عن: ثمن الكلب والسَّنور والدم، ومهر البغي، وحُلوانِ الكاهن، وعَسْبِ الفحل^(٢) يقول ﷺ: ((لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَأَكَلَ ثَمَنَهَا))^(٣).

٣ - مشروعية الوسائل من خلال الالتزام بوسائل الكسب المشروعة، والتي تعتمد على ربط الكسب بالجهد.

٤ - الاعتدال في مجال الكسب، بالابتعاد عن الطمع والجشع، وربط الغنم بالغرم، فبقدر ما يعود على صاحب المال من ربح ومزايا في أيام الرواج، بقدر ما يجب أن يتحمل الخسائر في حالات الكساد والعسر.

٥ - مراعاة المجتمع، من خلال القاعدة التي وجه إليها رسول الله ﷺ بقوله: ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ))^(٤)، في جميع أوجه الاستثمار، قال تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٍ أَوفُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾^(٥).

(١) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩٦].

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ٢٥، ١١٣، كتاب الإجارة، باب ٢٠، ٢١، ٢١؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب ٩؛ وانظر الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب ٩.

(٣) حديث صحيح. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٧٢٥٣].

(٤) حديث صحيح. الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب ١٧.

(٥) سورة هود، الآية ٨٥.

٦ - الالتزام بأسباب الكسب الشرعية، والتي من أبرزها: الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١). ومنها إتقان العمل، فالإحكام والإجادة مطلب شرعي، قال تعالى: ﴿... وَلَتَشْتَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿... إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٣)، فعلى الإتقان يتوقف نجاح العمل وقبوله لدى الآخرين.

رابعاً: إنفاق الثروة.

حرّم الإسلام تعطيل الثروة، قال تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤)، ورغب في إنفاقها، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٥)، في أوجه محددة ووفق ضوابط معينة، بيانها كالتالي:

أ: أوجه الإنفاق.^(٦)

للإنفاق مجالات متعددة، منها الإنفاق في سبيل النفس أو الرعية من يعول^(٧) قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ...﴾^(٨) ويقول ﷺ: ((كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مِنْ يَقْوَتِ))^(٩). ومنها الإنفاق في سبيل الله،

(١) سورة الأعراف، الآية ٩٦.

(٢) سورة النحل، الآية ٩٣.

(٣) سورة الكهف، الآية ٣٠.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٤.

(٥) سورة الحديد، الآية ٧.

(٦) انظر سيد قطب، العدالة الاجتماعية، ص ١٠٨ - ١٢٥؛ وانظر عوف الكفراوي، سياسة الإنفاق العام في الإسلام، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة)، ص ٥٣١ - ٥٦٥؛ وانظر قلعجي، مباحث في الاقتصاد الإسلامي، ص ٩٢ - ٩٧؛ وانظر بابلي، المال في الإسلام، ص ٧١ - ٩٧؛ وانظر الحصين، المال في القرآن الكريم، ص ٢٦٦ - ٣٨٠.

(٧) انظر صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب ١ - ٤، ١٣؛ وانظر القرضاوي، مشكلة الفقر، ص ٥٥ - ٦٤.

(٨) سورة النور، الآية ٢٢.

(٩) صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٦٢٣٧].

سواء في ذلك الواجب منها كالزكاة بفرضيتها الملزمة، وشروطها المبينة، ومصارفها المحددة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةَ فُلُوْمِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدْرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(١)، أو الكفارات المالية، بأسبابها الموجبة والمتعددة، ومقاديرها المحددة^(٢)، قال تعالى في كفارة اليمين: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا نَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ... ﴾^(٣). أو الإنفاق المسنون، كما في الصدقة، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾^(٤)، والوقف^(٥)، من خلال حبس أصل جزء من الثروة في أوجه الخير المختلفة، يقول ﷺ لعمر رضي الله عنه: ((تصدَّق بأصله، لا بيباع، ولكن يُنفق ثمره...))^(٦)، ويقول ﷺ: ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُتفع به، أو ولد صالح يدعو له))^(٧).

ب: ضوابط الإنفاق.

أمر المسلم بإنفاق الثروة وفق ضوابط شرعية محددة، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾^(٨)، عند تجاوز الضوابط الشرعية التي منها النية الصادقة^(٩)، بأن يكون الإنفاق خالياً من المن والأذى والرياء، خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ

(١) سورة التوبة، الآية ٦٠.

(٢) انظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٧٣٣ - ٧٦٣.

(٣) سورة المائدة، الآية ٨٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٨.

(٥) انظر الشيرازي، المهذب ج ١ ص ٥٧٤ - ٥٨٢؛ وانظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦ ص ٢١٨ - ٢١١.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب ١٤.

(٧) حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [٧٩٣].

(٨) سورة الإسراء، الآية ٢٩.

(٩) انظر الحصين، المال في القرآن الكريم، ص ٢٦٧ - ٢٧٢.

تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَفَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾، ومنها الإنفاق من الطَّيِّبِ (٢)، فالله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ...﴾ (٣). ومنها الإنفاق في الطيبات، بعدم الإنفاق في المحرمات، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا...﴾ (٤)، أو الإنفاق للصد عن سبيل الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ...﴾ (٥). ومنها الإنفاق في حال العسر واليسر (٦)، بدرجة تناسب ثروته، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُلْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَأْءَاتَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧)، يقول الحسن البصري رحمه الله تعالى: (إنَّ المؤمن أخذ عن الله أدباً حسناً؛ إذا وسَّع عليه وسَّع، وإذا قترَّ عليه قترَّ) (٨) ومنها الاعتدال في الإنفاق (٩) ففي سبيل النفس أو الرعية ونحوها، يتوسط المسلم في إنفاقه، فلا يتجاوز الحد الشرعي، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (١٠)، أما في سبيل الله فحد الاعتدال القدرة على الحيازة، والصبر على قلة الثروة، حتى لو أنفق ماله كله، يقول ابن جريج ومجاهد رحمهما الله تعالى: (لو أنفق إنسان ماله كله في الحقِّ، ما كان تبذيراً) (١١).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٧٢ - ٢٧٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٧.

(٤) سورة لقمان، الآية ٦.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٣٦.

(٦) انظر بابلي، المال في الإسلام، ص ٥٩ - ٦٠؛ وانظر الحصين، المرجع السابق، ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

(٧) سورة الطلاق، الآية ٧.

(٨) ابن أبي الدنيا، إصلاح المال، ص ٢٢٤.

(٩) انظر المرجع السابق، ص ١١٦ - ١٢٢، ٢٢١ - ٢٣٨، ٣٠١ - ٣٤١؛ وانظر بابلي، مرجع سابق، ص ٥٣ - ٥٥.

(١٠) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

(١١) تفسير الطبري، ج ٨ ص ٦٩.

وللتجاوز ضوابط الإنفاق نتائج ظاهرة للعيان، وآثار شاملة للبنیان^(١)، منها
ضنك العيش، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٢)، فبدلاً من أن يكون هذا المال وسيلة
سعادة ونعيم، يصبح وسيلة شقاء وعذاب، يعيش صاحبه في حسرة وندامة، ففي
حال تمام الربح، يقلق ويخشى عدم استمراره، وفي حال الخسارة يعيش في ضنك
من العيش لهول ما أصابه من خسارة، ويعيش في حسرة من أمره لفداحة ما فاتته من
ربح، وما ذاك إلا لإعراضه عن ضوابط التعامل الشرعي مع ثروته، قال تعالى:
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٣). ومنها
محق البركة يقول ﷺ: ((الْحِلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبِرَاكَةِ))^(٤)، مما يجعل
الثروة مهما بلغت في ظاهرها لا قيمة لها في نظر أصحابها، كمن يأكل ولا يشبع،
يقول ﷺ: ((... فَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ))^(٥)، بل قد يصل الحال إلى محق رأس المال،
كما في قصة أصحاب الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا
مُصْرِحِينَ * وَلَا يَسْتَنْوُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ * فَأَصْبَحَت كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادُوا
مُصْرِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ * أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ
مَسْكِينٌ * وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ﴾^(٦). ومنها التعمير في الأمر، فمتجاوز الضوابط الشرعية
دائماً في عسر من أمره، يضل طريق الخير، ويتردى في دروب الحيرة والردى، قال
تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يُجِلُّ وَأَسْتَفْتِي * وَكَذَّبَ بِالسُّعْيِ * فَسَنِيَرُهُ الْمُسْرَى﴾^(٧). ومنها عدم القبول
من الله سبحانه وتعالى، ومن العباد، وتلك سمة المتجاوزين في نفقاتهم، فالله
سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، يقول ﷺ: ((... إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا
طَيِّبًا))، ثم ذكر الرجل يُطِيلُ السَّفَرَ، أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء، ياربُّ!
ياربُّ! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذيه بالحرام، فأني

(١) انظر الحصين، مرجع سابق، ص ٤٣٥ - ٤٤٨.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥٥.

(٣) سورة طه، الآية ١٢٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ٢٦.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ٤١.

(٦) سورة القلم، الآية ١٧ - ٢٥.

(٧) سورة الليل، الآية ٨ - ١٠.

يُستجابُ لذلك؟^(١)، ويقول ﷺ: ((من أرضى النَّاسَ بسخطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَمِنْ أَسْخَطَ النَّاسَ بِرِضَا اللَّهِ، كَفَاهُ اللَّهُ مُؤَنَةَ النَّاسِ))^(٢).

خامساً: المحافظة على الثروة.

أوجب الله سبحانه وتعالى المحافظة على الثروة، فهذا الرسول ﷺ يدعو ربه قائلاً: ((اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ، وَسَوْءِ الْمُنْقَلَبِ، فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ))^(٣)، وللمحافظة على الثروة وسائل وأساليب منها حسن التصرف فيها تملكاً وتنمية وإنفاقاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٤)، فعليه لا يجوز تولية أموال المسلمين من لا يجيد التصرف فيها، بل إن من تجاوز الحد في ملكيته الخاصة حُجر عليه^(٥). ومنها التنظيم، والبيان بدقة متناهية، قال تعالى: ﴿... فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ لِئَلَّا يَأْتِيَ بِالْمَعْدِلِ...﴾^(٦). ومنها أيضاً القتال دونها، يقول ﷺ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ...))^(٧).

سادساً: آثار الثروة.

الثروة ليست غاية في ذاتها، إذ لو كانت كذلك لحققت السعادة والطمأنينة لأصحابها، لكنها وسيلة يتوصل بها إلى تحقيق الحاجات والمنافع والغايات الدنيوية والأخروية. فهي قد تكون نعمة إلهية، ووسيلة خيرية؛ لتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، لمن جعلها وسيلة لا غاية يقول ﷺ: ((... وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوءٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ لَمِنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...))^(٨). كما أنها نقمة على من جعلها غاية لذاتها، ووسيلة إلى أمر مذموم في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

(١) المصدر السابق، باب ١٩.

(٢) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٨٣٩٤].

(٣) صحيح المسلم، كتاب الحج، باب ٧٥.

(٤) سورة النساء، الآية ٥.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ٢، وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٥ ص ٨٧.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

(٧) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٨٩١٧].

(٨) البخاري، مصدر سابق، كتاب الجهاد، باب ٣٧.

﴿ وَمِمَّنْ مَنَّ عَلَيْهِ اللَّهُ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ * فَلَمَّا آتَتْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ جُحِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١﴾ . إذا فالثروة تحمل في طياتها جانبين :

أ: جانب إيجابي، يتمثل في حصول صاحب الثروة على الأجر العظيم، إذ الثروة أحد وسائل إقراض الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرضًا حسنًا فيضعفه لهُ أضعافًا كثيرةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرجعون ﴾ (٢)، من خلال توجيه المال في مجالات الخير المتعددة، والمحددة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقول ﷺ: ((لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاهُ اللهُ القرآنَ، فهو يتلوهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فهو يُنفقهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ)) (٣). ومن إيجابيات الثروة تأليف القلوب؛ لما لها من أثر كبير في كسب القلوب وتليينها، وتحسين إنصاتها للحق ودعوتها إليه، فهذا نوح ﷺ يحدد أحد أسباب الإعراض عن دعوته بقلة ماله، وميل المدعويين إلى أصحاب الثروات المغرية، قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّمَّ عَصَوِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَرَزِدُهُ مَالُهُمُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٤﴾ ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَمَةَ قُلُوبِهِمْ . . . ﴾ (٥).

ب: جانب سلبي، ويتمثل في الطغيان، فوفرة الثروة تدفع الإنسان إلى الركون إليها، والاعتماد على نفسه في تحصيلها، وكأنها حق ثابت له، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطِينٍ ﴾ * أَن رَّأَهُ اسْتَعْتَضَ ﴿٦﴾ ، وهذا ما يوقع الكثير في الطغيان، وتجاوز الحد، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ سَظَّ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُرْسِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ . . . ﴾ (٧). ومن سلبيات الثروة استغراق النشاط، وطبيعي أن ينشغل الإنسان بالثروة، لكن بعض الأفراد قد تأخذ منه جُلَّ وقته، وجهده وتصبح همه المقلق، وشغله الشاغل المسيطر على جميع أوجه نشاطه المعنوي، والبدني، قال تعالى: ﴿ أَلَهَنُكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ * حَتَّى

(١) سورة التوبة، الآيات ٧٥ - ٧٦ - ٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق، كتاب التوحيد، باب ٤٥.

(٤) سورة نوح، الآية ٢١.

(٥) سورة التوبة، الآية ٦٠.

(٦) سورة العلق، الآيتان ٦ - ٧.

(٧) سورة الشورى، الآية ٢٧.

رَزِمَ الْمُقَابِرِ ﴿١﴾، هذا الالتئام يجعل الفرد في بُعدٍ عن هموم أمته ومتطلبات عصره، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا... ﴾ (٢)، ويقول ﷺ: ((تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمْصَةِ...)) (٣) وهذا ما يجعل الأمة والفرد في ذل وخسران مبین، قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٤). ومنها الفتن والابتلاء فالثروة فتنة هذه الأمة (٥)، يقول ﷺ: ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ)) (٦)، فيها مجالات متعددة للابتلاء والامتحان، فحدوث النقص والزيادة، وسعة العيش وضيقه، في مقابل حب الثروة والتعلق بها، يعرض الإنسان إلى فتن متعددة، قال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ... ﴾ (٧)، فيفتن صاحب الثروة بالتعلق بها، فيقلق حرصاً على بقاء رأس المال، ويحزن لفوات أرباح ومكاسب، ويجزع لوقوع خسارة، وقد يتجاوز لحدودها وحقوقها، كسباً واستهلاكاً بدافع حب الثروة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٨)، وقد يحصل لمكتسبها والقائم على حدودها وحقوقها ابتلاء واختبار، قال تعالى: ﴿ وَلَتُبْلَوُنَّ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٩)، وقد يفتن فاقد الثروة بفقره، وأليم حاجته، قال تعالى: ﴿ ... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (١٠). ومنها الاستدراج، فقد ينعم الله سبحانه وتعالى على الكافر والمنافق، والعاصي، ويسبغ عليهم أنواعاً من النعم، قال تعالى: ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمَدِّدُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ * سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١١)، فهذه الثروة استدراج لهم، واستخفاف

(١) سورة التكاثر، الآيتان ١ - ٢.

(٢) سورة الفتح، الآية ١١.

(٣) المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب ٧٠.

(٤) سورة المنافقون، الآية ٩.

(٥) انظر محمد شقرة، فتنة الأمة، الطبعة الأولى، ص ٨.

(٦) حديث حسن صحيح غريب. سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ١٨.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٨٦.

(٨) سورة التغابن، الآية ١٥.

(٩) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

(١٠) سورة الفرقان، الآية ٢٠.

(١١) سورة المؤمنون، الآيتان ٥٥ - ٥٦.

بما أوتوا من زخارف هذه الحياة الفانية، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَّكَبُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾. ومن سلبيات الثروة إفساد الدين فالحرص على الثروة يؤدي بصاحبه إلى فساد دينه، حيث تكون همه المسيطر على جوارحه يقول ﷺ: ((مَا ذُنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ)) (٢).

وبهذا المنهج الإلهي تكون الثروة سلاحاً فاعلاً في تحقيق غايات الأمة، وسنداً بعد الله في رفع راية الجهاد؛ لأنها طريق القوة، ووسيلتها الرئيسة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَابِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٣)، فهذا الإعداد المأمور به في هذه الآية قائم على الإنفاق في سبيل الله، فكأن الثروة سلاح يرهب الأعداء، يقول سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (المال في هذا الزمان سلاح المؤمن) (٤)، ويقول: (كنا نكره المال للمؤمن، وأما اليوم فنعم الترس: المال للمؤمن) (٥). وما ذاك إلا لأن إرهاب الأعداء لا يتأتى من خلال الكثرة العددية المجردة، وإنما يتحقق بقوة العتاد والسلاح، الذي لا يتوصل له بدون ثروة، إذاً فالارتباط وثيق بين الثروة والجهاد، قال تعالى: ﴿... وَءَاخِرُونَ يَصْرِفُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يَقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا...﴾ (٦)، فالمساواة في الأجر (٧)، والتقديم في الذكر لمكتسب الثروة على المجاهد، دلالة على عظم مكانة الثروة من الجهاد، ودورها في قيامه، يؤكد ذلك أيضاً تقديم الله سبحانه وتعالى ذكر الجهاد بالمال، على الجهاد بالنفس في الآيات القرآنية الكريمة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٨).

(١) سورة الزخرف، الآيات ٣٣ - ٣٤ - ٣٥.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٧٩٠٨].

(٣) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٤) ابن أبي الدنيا، إصلاح المال، ص ١٨١؛ وانظر الخلال، كتاب الحث على التجارة، ص ٥٠.

(٥) المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٦) سورة المزمل، الآية ٢٠.

(٧) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩ ص ٥٥.

(٨) سورة التوبة، الآية ٢٠.

المطلب الثالث التطبيق العملي

سجل التاريخ بصفحات بيضاء، نماذج إسلامية متعددة في مختلف العصور السالفة، عملت ما في وسعها لأجل الحفاظ على الثروة الإسلامية، حيازة، وتنمية، وإتفاقاً، حتى أصبحت أحد العوامل الرئيسة في نصرة الجهاد، وإعانة المجاهدين بعد عون الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك:

أولاً: دراسة ومعرفة مصادر الثروة.

ففي المجال الزراعي مثلاً: درس المسلمون الأرض الإسلامية، فعرفوا صلاحيتها، والنبات المناسب لها يقول حسن إبراهيم حسن: (عُني خلفاء العصر العباسي الأول بالزراعة وفلاحة البساتين التي قامت على دراسة علمية، بفضل انتشار المدارس الزراعية التي كان لها أثر كبير في إنارة عقول المسلمين فتوسعوا في البحث النظري، ودرسوا أنواع النباتات، وصلاحية التربة لزراعتها، واستعملوا الأسمدة المختلفة لأنواع النباتات)^(١). كما عرفوا باطن الأرض وما تختزنه من كنوز، استخرجوا منها أنواعاً متعددة من الثروة المعدنية، كالذهب، والفضة، والزئبق، والنحاس، والكبريت، والرصاص والقصدير، والحديد، وأحجار اللؤلؤ والمغنطيس والمرجان، وغيرها من الأنواع المعدنية المتفرقة^(٢) وكان في الأندلس عدة مقاطع للرخام^(٣). وتجاوزوا ذلك إلى تسخير الطاقة الشمسية في خدمة أغراضهم، حيث استغلت في عمل آلات السميت في المراصد

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة السابعة، ج ٢ ص ٣٠٥.

(٢) انظر المقرئ التلمساني أحمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محيي الدين

عبد الحميد، ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩، ١٨٦.

(٣) انظر المصدر السابق، ص ١٨٧.

الفلكية^(١). واستفادوا من الرياح حيث انتشرت المطاحن الهوائية في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي^(٢).

ثانياً: العناية بأساليب تنمية الثروة ووسائلها.

عُني المسلمون بأساليب تنمية الثروة ووسائلها، فتعددت الأساليب واختلفت، وطورت الوسائل باستمرار، حفاظاً على الإمكانيات، وتوفيراً للمجهود، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أ: العناية بالثروة البشرية، حيث أعدت برامج خاصة بالنشء، تنوعت بين برامج تعليمية في الخط والقراءة، يركز فيها على الأيتام، وأولاد من هم في حالة لا تسمح لهم بتعليم أولادهم^(٣)، وبين برامج تدريبية بدنية، فقد كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة رضي الله عنه : (أن علموا غلمانكم العوم، ومقاتلتكم الرمي)^(٤). أما الشيوخ والمقعدين، فيعد لهم ما يناسبهم، فقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يعتني بالمقعدين والزمنين والعمي، فكان يُكلف من يقوم بخدمتهم، ويعمل على راحتهم^(٥)، وكان عقبه بن عامر شيخ كبير، يضع لنفسه برنامجاً تدريبياً خاصاً، يتفق مع سنه، فكان يشدد بين الغرضين مع مشقته عليه^(٦). ومن برامج العناية بالثروة البشرية إشعار الأمة بما يجب أن تهتم به، ويتمثل ذلك ويبرز بصورة واضحة حين قدّم عمر بن عبد العزيز رحمه الله الفقهاء والزهاد، وانقشع عنه الشعراء والخطباء بعد منعهم من الدخول عليه^(٧)، فكان في ذلك إحياء للأمة بما يجب أن تشغل به. كما عنوا بمحاربة البطالة، فحرصوا الولاية على توافر فرص العمل للراغبين فيه، ففي عهد صلاح الدين رحمه الله ارتبط الازدهار الاقتصادي بتوافر فرص العمل والتدريب

(١) انظر هونكه، شمس العرب، ص ١٣٦.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٢٧٨؛ وانظر أبا شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١ ص ٥، ١٠؛ وانظر رحلة ابن جبير، (بيروت: دار صادر)، ص ٢٧، ص ٢٤٥.

(٤) ابن القيم، الفروسية، (دار التراث العربي للطباعة والنشر)، ص ١٤.

(٥) انظر ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٤٧.

(٦) ابن القيم، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ١٤ - ١٧.

(٧) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٦٤؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ٩ ص ١٩٨، ٢٦٢ - ٢٦٣.

المهني لأبناء المسلمين، يقول ابن جبير رحمه الله تعالى: (الغرياء المنقطعين بهذه الجهات... ممن عهد الخدمة والمهنة، يُسبَّبُ له أيضاً أسباب غريبة من الخدمة: إما بستان يكون ناظوراً فيه، أو حمّام يكون عيناً على خدمته، وحافظاً لأثواب داخلية، أو طاحونة يكون أميناً عليها، أو كِفالة صبيان يؤدِّبهم إلى محاضرتهم ويصرفهم إلى منازلهم، إلى غير ذلك من الوجوه الواسعة)^(١)؛ لذلك كانت البطالة تواجه بالاستنكار والاستهجان، وصاحبها يواجهُ بالسبِّ والإهانة، وهذا ما يجعل الفرد يُجهد نفسه في طلب العمل، لئلا يرى فارغاً وعالة على غيره، فهذا نهاية القبح^(٢). أما العلماء فقد جُعِل لهم منزلة عالية، ومكانة رفيعة، تتفق مع مكانة العلم في الإسلام، فهذا نور الدين محمود زنكي رحمه الله يقرب العلماء ويكرمهم ويحسن إليهم، فكان يقوم لهم إذا دخلوا عليه، ويجالسهم وينسبط معهم، حتى بلغوا عنده منزلة عالية، جعلته لا يرد لهم قولاً^(٣). ومن العناية أيضاً العمل على تيسير وتوافر الخدمات الصحية، التي انتشرت في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي، تمثلت في مستشفيات ومعاهد طبية وصلت إلى مستوى عالمي في عصرها جُهزت بالمستلزمات اللازمة مالياً وغذائياً وكسائياً ودوائياً، وأعدت للعناية بالمرضى من كافة أفراد المجتمع، كما خصص بعض منها للعناية بالفقراء والمساكين والمنقطعين^(٤).

ب: استحداث وتطوير الآلات والأدوات، ففي مجال الثروة الزراعية، نظمت وسائل الري وأساليبه واعتنى بها تسهياً للمزارعين وتيسيراً للزراعة، فشقت الترع والخلجان، وأقيمت السدود، وأنشئت الجسور، وبنيت القناطر، وحفرت البرك


(١) رحلة ابن جبير، ص ٢٥٠.

(٢) انظر المقري، نفع الطيب، ج ١ ص ٢٠٥.

(٣) انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية)، ج ٨ ص ٣٠٩، ٣١٢؛ وانظر ابن الأثير، مصدر سابق، ج ٩ ص ١١٠، ١٢٥؛ وانظر ابن كثير، مصدر سابق، ج ١٢ ص ٢٧٨، وانظر أبا شامة، الروضتين، ج ١ ص ٩-١٠.

(٤) وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ص ٤٥، ٢٧٨، ٢٨٠-٢٨١؛ وانظر المقرئ أحمد، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعرف بالخطط المقرئية، (بيروت: دار صادر)، ج ١ ص ٤٠٧؛ ج ٢ ص ٤٠٥-٤٠٨؛ وانظر رحلة ابن جبير، ص ٢٦، ٢٥٥-٢٥٦؛ وانظر أبا شامة، المصدر السابق، ص ٩.

والآبار والأنهار الكبيرة^(١)، وجلب الماء من البحر على وزن بديع، وتدبير محكم^(٢)، وجعل للماء مقاييس موزونة^(٣)، وبلغ اهتمامهم بأمر الزراعة والاستغلال الأمثل لها أن جعلوا للماء ديواناً أسموه ديوان الماء^(٤). وفي المجال التجاري، وسعت الطرقات وبنيت عليها الأرصفة والجسور، تسهيلاً للمارة من التجار والعاملين وغيرهم. ووسعت الأسواق بما يتناسب مع حاجة الحركة التجارية، حتى أصبحت من أحفل الأسواق في عصرها وأحسنها نظاماً^(٥)، كما عمل بعض الولاة على تشجيع وسائل تنمية الثروة وأساليبها، من خلال الدعم المادي المتمثل في إسقاط جميع أنواع الضرائب والمكوس والأعشار^(٦)، وكذا الدعم المعنوي المتمثل في حسن التعامل، والرفق بأصحاب الثروة تسكيناً وتشجيعاً لهم^(٧).

ج: العمل، وكان النموذج المضيء في ذلك الصحابة رضوان الله عليهم، حيث اشتغلوا في مجالات عملية مختلفة، فقد كانوا عمال أنفسهم يعتمدون على جهدهم الشخصي في الكسب والتصرف في المعاش^(٨)، يقول أبو بكر 

(١) انظر المسعودي، مروج الذهب، ج ٤ ص ٣١٦؛ وانظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨ ص ٣٠٦؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ص ٦، ١٤٢، ج ١٣ ص ١٥٩؛ وانظر المقرئزي، المصدر السابق، ص ٧٠-٧٢، ٧٤-٧٥، ج ٢ ص ١٣٩-١٥٥، ١٦٥-١٧٠.

(٢) انظر المقرئزي، نفع الطيب، ج ١ ص ١٨٨.

(٣) انظر المقرئزي، مصدر سابق، ص ٥٧-٦١، ج ٢ ص ١٨٥؛ وانظر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (بيروت؛ دار إحياء التراث العربي)، ص ١٧٥؛ وانظر الخوارزمي محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، الطبعة الثانية، ص ٩٤-٩٥؛ وانظر ابن جبير، مصدر سابق، ص ٢٩-٣٠؛ وانظر السيوطي عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢ ص ٣٧٤-٣٧٦.

(٤) انظر الخوارزمي، مرجع سابق.

(٥) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٩ ص ١١٠، ١٢٥؛ وانظر ابن جبير، المصدر السابق، ص ٢١٠، ٢٦١-٢٦٢.

(٦) انظر سبط ابن الجوزي، مصدر سابق، ص ٣١٢؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ص ١٤٢، ٢٦٨، ٢٧٨، ٢٨١-٢٨٢؛ وانظر المقرئزي، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٣٣؛ وانظر أبا شامة، مصدر سابق، ج ١ ص ٧، ١١، ١٦، ١٢١.

(٧) انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٦٣؛ وانظر أبا شامة، المصدر السابق، ص ٥، ٩، ١١، ١٤.

(٨) انظر صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ٩، ١٥؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٤ =

عندما استخلف: (لقد علم قومي أنّ حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلّت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكرٍ من هذا المال، وأحترف للمسلمين فيه)^(١).

وكان عمر رضي الله عنه: (ألّهاني الصّفقُ بالأسواق)^(٢)؛ معللاً بذلك عدم سماعه لحديث نبوي كريم^(٣)، وهذا عبد الرحمن بن عوف لما قدم المدينة آخى النبي صلى الله عليه وآله بينه وبين سعد بن الربيع أكثر الأنصار مالاً، ورغب سعد في مقاسمة عبد الرحمن له ماله، لكن عبد الرحمن بن عوف رفض هذا المبدأ لما فيه من اعتماد على الآخرين وقال: (بارك الله لك في أهلِكَ ومالك، ذلوني على السوق...)^(٤)؛ فكان أن عمل بلا كلل ولا ملل، كبقية إخوانه المسلمين، يقول أبو هريرة: (... إن إختي من المهاجرين كان يشغلهم الصّفقُ بالأسواق، وإن إختي من الأنصار كان يشغلهم عملُ أموالهم...)^(٥).

هذا النشاط العملي شمل جميع ميادين الثروة، فقد كان من الصحابة الجزارون^(٦)، والصاغة^(٧) والخياطون^(٨)، والنساجون^(٩)، والنجارون^(١٠)، والحجامون^(١١)، إلى غير ذلك من أوجه العمل.

ثالثاً: إنفاق الثروة.

تعامل المسلمون مع الثروة وفق التوجيه الإلهي، ومن أبرز أوجه هذا التعامل:

أ: المحافظة على الأموال العامة، حافظ بعض الولاة على أموال المسلمين،

= ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

(١) البخاري، المصدر السابق، باب ١٥.

(٢) المصدر السابق، باب ٤٩.

(٣) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٤ ص ٣٥٦.

(٤) انظر المصدر السابق، باب ٩.

(٥) المصدر السابق، باب ١.

(٦) المصدر السابق، كتاب الحرث والمزارعة، باب ٢١.

(٧) انظر المصدر السابق.

(٨) انظر المصدر السابق، باب ٢٨.

(٩) انظر المصدر السابق، باب ٣٠.

(١٠) انظر المصدر السابق، باب ٣١.

(١١) انظر المصدر السابق، باب ٣٢.

واستشعروا حرمتها، عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قربت إليه المراكب، ونصبت له السرادق والحجر، وفرشت له الفرش والوطاء، فقال ما هذه؟ قيل له: هذه مراكب لم تركب من قبل يركبها الخليفة عند توليه الخلافة وسرادق وحجر لم يجلس فيها من قبل يجلس فيها الخليفة عند توليه الخلافة، وفرش لم يجلس عليها أحد قط تفرض للخليفة عند توليه، فانصرف عن ذلك كله وقال: يا مزاحم: ضم هذه إلى بيت مال المسلمين^(١). كما رفض ﷺ أخذ الرطب الذي جيء له به محمولاً على دواب البريد^(٢)، وأمر ببيعه وجعله في علف دواب البريد التي حملته إليه؛ لأنها خاصة بأموال المسلمين، والرطب خاص بعمر بن عبد العزيز ﷺ^(٣). بل قد بلغ به ﷺ الحرص على الثروة وعدم إنفاقها في غير حقها، أن أطفأ الشمعة التي تضيء مجلسه عندما سأله صاحب البريد عن حاله، وكان قد أوقدها عندما جلسا يتساءلان عن أحوال المسلمين، فلما سُئِلَ ﷺ عن حاله، أطفأ الشمعة قبل الإجابة، وأشعل سراجاً من ماله الخاص ليجيب على السؤال الخاص^(٤). وهذا نور الدين مع سعة ملكه، وكثرة ذخائر بلاده وأموالها، كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف إلا بما كان ملكاً له قد اشتراه من سهمه في الغنيمة، وكان يستفتي العلماء في أخذ ما يحل له من مال^(٥).

ب: العدل في الإنفاق على النفس والأهل والرعية دون تبذير^(٦)، فقد كان عمر بن عبد العزيز ﷺ ينفق على نفسه وأهله في غدائه وعشائه كل يوم درهمين^(٧)، حتى قيل عن بيته: إنما خربَ بيته لعمارة بيوت المسلمين^(٨).

-
- (١) انظر المصدر السابق، باب ٣٩، كتاب الإجارة، باب ١٧، ١٨، ١٩؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب ١١.
- (٢) انظر تاريخ الطبري، ج ٦ ص ٥٥٢؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٥٣؛ وانظر ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٣٣.
- (٣) انظر المصدر السابق، ص ٤٦ - ٤٧.
- (٤) انظر المصدر السابق، ص ١٣٢.
- (٥) انظر أباشامة، الروضتين، ج ١ ص ٥ - ٦.
- (٦) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٥٣، ١٦٣ - ١٦٥؛ وانظر ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص ٣٨ - ٣٩، ٤٤ - ٤٥، ٤٨ - ٥٣، ١٣٤.
- (٧) انظر المصدر السابق، ص ١٣٤.
- (٨) انظر المصدر السابق، ص ١٤٥.

ج: الإنفاق في سبيل الله، حيث ضُنَّ بالمال إلا على الفقراء والمحتاجين، والمدنين الغارم الذي يقضى عنه دينه من بيت مال المسلمين^(١)، فقد كان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه منادٍ ينادي في كل يوم: (أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء)^(٢)، حتى وصل الحال في عهده إلى عدم وجود من يأخذ الصدقة؛ لعدم وجود الفقراء والمحتاجين^(٣)، وعلى هذا النهج سار بعض الولاة فكانت الأوقاف الكبيرة في كل بلد^(٤).

(١) انظر تاريخ الطبري، ج ٦ ص ٥٦٧؛ وانظر ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ٥٧، ١٣٢، ١٤٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٠٠.

(٣) انظر ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٤) انظر أبا شامة، مصدر سابق، ص ١١، ١٦.

المبحث الثاني الهيمنة الاقتصادية للأعداء

مدخل:

عندما نكتب عن هيمنة الأعداء الاقتصادية، فلا يعني ذلك أننا ننتظر من الأعداء إعطاءنا الفرصة لأننا بذلك نغالط المنطق، ونصادم الواقع، فالعدو لا يمكن أن يعطي عدوه الفرصة، وإنما نكتب عن هيمنة الأعداء؛ لنعطي مثلاً نبين فيه مقدار الجهد، وشمولية ودقة التنظيم الذي يعمد إليه عدونا في محاربتنا، ونحن في غفلة من أمرنا، يصور ما يقوم به على أنه المساعدة والتوجيه للمستقبل، وهو في قرارة نفسه يدرك ما يكيد ويدبر لنا.

في هذا المبحث أكتب عن الهيمنة الاقتصادية للأعداء باعتبارها أحد المعوقات المادية للجهد، وذلك في عدة مطالب:

المطلب الأول التحليل

الفرع الأول مظاهر الهيمنة الاقتصادية

يدرك الأعداء حجم الثروات الإسلامية، وعظيم خطر تسخيرها في خدمة أغراض المسلمين، يقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام [١٩٥٢ م - الموافق ١٣٧١/٤ هـ - ١٣٧٢/٤ هـ]: (الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة إلى الاستغراب... وفرصتهم في تحقيق أحلامهم هي في: اكتساب التقدم الصناعي الذي أحرزه الغرب، فإذا أصبح لهم علمهم، وإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع، انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الغني، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الروح الغربية، ويقذفون رسالتها إلى متاحف التاريخ... إن العالم الإسلامي يقعد اليوم فوق ثروة خيالية من الذهب الأسود، والمواد الأولية الضرورية للصناعة الحديثة، ولكنه في حاجة إلى الاستقلال في استغلال هذه الإمكانيات الضخمة الكامنة في بطون سهوله وجباله وصحاريه. إنه في عين التاريخ عملاق مُقَيَّد، عملاق لم يكشف نفسه بعد اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق كاره لماضيهِ في عصر الانحطاط، راغب رغبة يخالطها شيء من الكسل، أو بعبارة أخرى من الفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر. فلنعت هذا العالم ما يشاء، ولنقف في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه عن مجاراة الغرب في الإنتاج، فقد بوأنا بالإخفاق

الذريع، وأصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطراً داهماً يتعرض به التراث الحضاري الغربي لكارثة تاريخية ينتهي بها الغرب، وتنتهي معه وظيفته القيادية^(١)؛ لذلك عملوا ويعملون على بسط هيمنتهم على الاقتصاد العالمي^(٢) عبر وسائل متعددة، وأساليب مختلفة، أسهمت في تكريس تلك الهيمنة، من ذلك:

أولاً: التنظيم الدولي للاقتصاد.

عمد الأعداء إلى ربط جميع المجالات الاقتصادية بشبكة من المنظمات والمؤسسات الدولية والإقليمية^(٣)، شملت جميع الأنشطة الاقتصادية فكرياً، وعلمياً، وعملياً، وتعاملياً، ومثلت بمجموعها نظاماً اقتصادياً عالمياً جديداً، حصروا التعامل بموجبه، وأخرجوا من دائرة التعامل الاقتصادي من لم ينطو تحت رايته، جاء في افتتاحية إحدى الصحف الفرنسية بعد التوقيع على إتفاقية منظمة التجارة العالمية^(٤)، أحد الأضلاع الرئيسة للنظام الاقتصادي العالمي الجديد: (تعد الميزة

(١) ... ((جودت سعيد، رسالة لم هذا الرعب كله من الإسلام، ص ٢٢ - ٢٣))... (حوى، جند الله، ص ١٦ - ١٧.

(٢) انظر البروتوكول العشرين من بروتوكولات حكماء صهيون.

(٣) انظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٣٩ - ٥٩، ٩٧ - ٩٨، ٢٢١ - ٢٣٢؛ وانظر عبد الله المسند، المنظمات الدولية والإقليمية وأثرها على العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ١٦٣ - ١٩٦؛ وانظر حسين عمر، المنظمات الدولية، (القاهرة: دار الفكر العربي)، ص ٥٥ - ٥٩؛ وانظر جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية، تقرير اجتماع الخبراء العرب لدراسة آثار إتفاقية الجات على الاقتصادات العربية، القاهرة [٤ - ٧/ يوليو/ ١٩٩٤ م - الموافق ١٤١٥/١/٢٨ هـ]، ص ٣، وانظر عبد اللطيف المقرن، «الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) وعلاقتها بمنظمة التجارة الدولية وانعكاساتها على اقتصاديات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الشؤون الإعلامية بالأمانة، مجلة التعاون العدد ٣٥ (٣/ ١٤١٥ هـ): ص ١٣ - ١٦.

(٤) اشتهرت بمنظمة الجات، وتعنى بتنظيم التجارة العالمية وتحريرها من القيود الجمركية، وقع عليها: [١٢٤] دولة في: [٤/ ١١/ ١٤١٤ هـ]، وبدأ العمل بها في: [٣٠/ ٧/ ١٤١٥ هـ]. انظر جامعة الدول العربية، المرجع السابق، ص ٣ - ٤؛ وانظر عبد اللطيف المقرن، المرجع السابق؛ وانظر «وأخيراً سكتت مدافع الجات: الاتفاق يعادل نهاية الحرب العالمية الثانية، =

الأساسية للمنظمة... في قدرتها على تسليط العقوبات، فالبلد الذي يرفض قانون الدخول في اللعبة، قد تواجه بضائعه صد البلدان الأخرى^(١)، وما ذاك إلا لأن هذه المنظمة تغطي حوالي: [٩٠٪] من حجم التجارة الدولية^(٢).

بوساطة هذه المنظمات يفرض الأعداء هيمنتهم على المجالات الاقتصادية في العالم من خلال:

أ: المناداة بالنزاهة والحياد، فعند النظر في النصوص المنظمة لعمل تلك المؤسسات، يجد المتابع دون عناء، أنها تقتضي الحياد عند مناقشة طلبات الأعضاء، والعدل عند اتخاذ القرار، وإسقاط جميع الاعتبارات السياسية والاجتماعية وغيرها من المؤثرات الخارجية^(٣). هذا الحياد الظاهر، والعدالة المبهرجة، هي في حقيقتها لا تتجاوز كونها مطلب ضروري وطبعي؛ لتمرير رغبة الهيمنة المنشودة. من ذلك ما تعلنه السوق الأوروبية المشتركة عند إرادة إقامة علاقات مع دول إسلامية، من أن طابع إتفاقاتها، وهدفها المعلن، هو تحقيق المساواة الكاملة بين جميع الأطراف المتفقة، وبعد التطبيق العملي للاتفاق، تشعر الدول الإسلامية بعدم صدق ذلك الاتجاه، وأن الحقيقة الإجمالية للاتفاق تؤدي إلى تحقيق هدف السوق الأوروبية^(٤).

ب: توافق الأنظمة مع مصالح الدول الأجنبية، وهو أمر طبعي؛ لواقع انطلق من فكر أجنبي، لغاية أجنبية، وترعرع في أجواء أجنبية، برعاية أجنبية، ومن الأمثلة الواقعية، والشواهد الحية لذلك، ما حدث في الجولات التفاوضية السابقة لإعلان

= وقيام الأمم المتحدة»، جريدة المدينة، ١٤١٤/٧/٢٦ هـ، العدد ٩٧٣٠، ص ١٠؛ وانظر «(١٢٤) دولة توقع اتفاقات منظمة التجارة العالمية»، المرجع نفسه، ١٤١٤/١١/٥ هـ، العدد ١١٣٣٨، ص ١.

(١) ... (باريس: صحيفة الفيغارو)...، «من افتتاحيات الصحف الدولية: لغات مرحلة حاسمة»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/٧/٢ هـ، العدد ٨١٢٠، ص ٢٨.

(٢) انظر جامعة الدول العربية، مرجع سابق، ص ٤؛ وانظر علي العطر، «جولة (الأورجواي) وآثارها الاقتصادية على دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي»، مجلة التعاون، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٣) انظر إبراهيم العيسى، صندوق النقد الدولي، الطبعة الثانية، ج ١ ص ٣١٦ - ٣١٩؛ وانظر ماري فرانس، الصندوق النقدي الدولي، الطبعة الأولى، ص ١٥١، ١٩٩.

(٤) انظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٤٤ - ٤٦، ٥٣.

قيام منظمة التجارة العالمية، فقد استمرت مفاوضات الجات أكثر من سبع سنوات، كان اللاعبون الكبار في الميدان لوحدهم يرمجون ويخططون السياسات التي تجلب لهم مصالحهم الذاتية، ويعملون على دراسة متأنية لأحوال الدول النامية الاقتصادية معتمدين في ذلك على تقارير تقدمها لهم سكرتارية الجات، وتضمنها بيانات تفصيلية عن أهمية القطاعات التجارية المختلفة للدول النامية^(١)، وبشكل تفصيلي يتيح لهم اتخاذ القرار المناسب الذي يخدم مصالحهم، مما أبرز الكثير من الخلافات التخطيطية المتعددة والحادة بين أولئك الكبراء، يقول رئيس منظمة الجات في أثناء إحدى الجولات: (من غير المقبول أن يحول الجانبان الأوروبي والأمريكي مستقبل التجارة العالمية إلى رهينة تنتظر نتيجة مباحثاتهما في بروكسل)^(٢). ومما يدل على دقة قراراتهم، وشموليتها لجوانب مصالحهم المتعددة^(٣)، خلافهم حول دعم الأفلام المنتجة، والذي نشب بين الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وكاد يؤدي بالمفاوضات إلى الفشل^(٤)، وشراسة تلك المفاوضات والمعارك الخلافية، التي عبر عنها السفير الأمريكي لدى المجموعة الأوروبية بقوله بعد نهاية تلك الجولات: للاتفاق درجة عالية من الأهمية، تعادل انتهاء الحرب العالمية الثانية، وقيام هيئة الأمم المتحدة. كما عبر عن تلك المعارك الخلافية بعض المفاوضين حينما قالوا بعد الاتفاق: أخيراً سكتت مدافع الجات^(٥).

- (١) انظر جامعة الدول العربية، تقرير اجتماع الخبراء العرب لدراسة آثار إتفاقية الجات، ص ٣؛ وانظر عبد اللطيف المقرن، «الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) وعلاقتها بمنظمة التجارة الدولية، وانعكاساتها على اقتصاديات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، مجلة التعاون العدد [٣٥] (٣/١٤١٥ هـ): ص ١٣ - ١٦.
- (٢) «اعتراض أمريكي على «أفلام» أوروبية، يهدد بنسف مفاوضات «الجات»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٤/٦/٢٥ هـ، العدد ٥٤٨٩، ص ٢٤.
- (٣) انظر مصطفى المصمودي، «الانعكاسات الثقافية لإتفاقية (الجات) على دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، مجلة التعاون، مرجع سابق، ص ٤٢.
- (٤) انظر المرجع السابق، ص ٤٥ - ٤٩؛ وانظر «اعتراض أمريكي...»، جريدة الشرق الأوسط، مرجع سابق.
- (٥) انظر «وأخيراً سكتت مدافع الجات: الاتفاق يعادل نهاية الحرب العالمية الثانية، وقيام الأمم المتحدة»، جريدة المدينة، ١٤١٤/٧/٢٦ هـ، العدد ٩٧٣٠، ص ١٠؛ وانظر خالد زكريا، «في ظل التكتلات الاقتصادية الدولية، والخلافات الداخلية: (١١٧) دولة تقرر إتفاقية الجات»، مجلة عالم الاقتصاد العدد ٢٥ (٨/٢٥/١٤١٤ هـ): ص ١٦ - ٢١.

نعم سكتت بعد الاتفاق على تقاسم المصالح، فمثلاً هناك أنواع من الضرائب تفرضها أوروبا على واردات النفط الخام ومشتقاته، تركت دون نقاش، فلم تخضع لأنظمة الجات^(١). أما أمريكا فقد حفظت لنفسها الحق في استخدام ما ينص عليه قانونها التجاري، الذي يخول لها الحق في اتخاذ أي إجراء حمائي من جانب واحد، بعد أن تعهدت بعدم استخدامه لمدة لا تقل عن ست سنوات^(٢).

هكذا حافظوا على مصالحهم، يقول رئيس الوزراء الفرنسي إدوارد بالادور عن الحصيلة النهائية بقوله: الاتفاقية تتلاءم بشكل كبير مع مصالح فرنسا على المدى الطويل، ويقول إنه: (يرسي أسساً لقواعد دولية أكثر ثقة وأكثر عدالة وأكثر تلاؤماً مع مصالحنا... يزودنا أدوات تنسجم مع الديناميكية الأوروبية، ويفتح أسواقاً أمام مصدرينا، ويحترم في المجالات الزراعية والصناعية المصالح الأساسية لفرنسا، ولهذا السبب قررنا الموافقة عليه)^(٣) في حين لم يكن للدول الإسلامية وجود يذكر، بل لم يبرز أي خلاف طرفه إحدى الدول الإسلامية المشاركة في تلك المفاوضات، بل كانت في بعد عن التأثير على تلك الأنظمة، أو البحث في مشاكلها، وتطلعاتها المستقبلية^(٤)، وكان من نتائج ذلك أن عملت الدول المتقدمة على جعل المنظمة تعمل بدرجة كبيرة على تحرير التجارة في السلع المصنعة، والتي تعتمد عليها الدول المتقدمة، في حين تعطي درجة أقل بكثير للتجارة المرتبطة بالمنتجات والسلع الأولية، التي تعتمد عليها الدول النامية في التصدير^(٥)، ويأتي في مقدمتها النفط

(١) انظر العطر، «جولة (الأورجواي)...»، مجلة التعاون العدد [٣٥] (٣/١٤١٥ هـ): ص ١٣ - ١٦.

(٢) انظر المقرون، «الاتفاقية العامة...» المرجع السابق، ص ١٨؛ وانظر المصمودي، «الانعكاسات الثقافية...»، المرجع نفسه، ص ٤١.

(٣) انظر نور الدين الفريضي، ارليت خوري، «الدول الأوروبية توافق على الاتفاق الشامل للتجارة الدولية. اتفاق غات يدر (٣٥٠) بليون دولار معظمها للدول الصناعية»، جريدة الحياة، ٣/٧/١٤١٤ هـ، العدد ١١٢٦٤، ص ٩.

(٤) انظر خالد زكريا، «في ظل التكتلات الاقتصادية الدولية، والخلافات الداخلية: (١١٧) دولة تقر إتفاقية الجات»، مجلة عالم الاقتصاد العدد ٢٥ (٥/٢/١٩٩٤ م): ص ١٦ - ٢١؛ وانظر قضية الأسبوع، «إتفاقية التعرف والتجارة العالمية (الجات): هذا هو وقعها على اقتصادنا...!»، مجلة اليمامة العدد ١٣٠٨ (٢٩/١١/١٤١٤ هـ): ص ٢٨ - ٣٢.

(٥) انظر محمود عمر، «البيزنس ويك: الصين، وعضوية الجات»، جريدة المدينة، =

والغاز، حيث عمدت الاتفاقية إلى استثناء النفط والغاز من التمتع بحرية التجارة، علماً بأنهما يمثلان [٩٠٪] من إجمالي الصادرات العربية، لهذا تقول غرفة تجارة قطر في تقرير لها حول هذه الجانِب: هذا الوضع سيجعل من الدول العربية أسواقاً لمنتجات الدول المتقدمة، كما أن استثناء النفط والغاز سيعطي الدول المتقدمة الحرية التامة في وضع ما تشاء من القيود على تلك المنتجات^(١)، وستضطر الدول المنتجة إلى قبول تلك الشروط، وإلا توقف [٩٠٪] من صادراتها، يقول نزيه ريشاني أستاذ العلاقات الدولية والعلوم السياسية في جامعة جورج واشنطن: (. . . إن العالم الثالث الذي تراجعت حصته في التجارة الدولية في الأعوام القليلة الماضية، هو الضحية الكبرى على مذبح التجارة الحرة المقننة، بل المبرمجة، إذ أن التبادل غير المتكافئ أصلاً، لم تصححه الغات، ولن تصلحه المنظمة الدولية للتجارة الحرة، طالما أن مصالح العالم الثالث حتى الآن لم تؤخذ بعين الاعتبار. . .)^(٢)، ويقول ممثل الهند في جولة أوروغواي: قدمت أوروبا وأمريكا وثيقة وقعت عليها دول العالم الثالث مكرهة، وتقول منظمة التعاون الاقتصادي الآسيوي: لقد حصلت الدول النامية على فئات كعكة أوروغواي^(٣).

أما النتائج المبدئية لمثل هذه المنظمة فتتمثل في ما أكدته وتؤكدته الدراسات الأولية التي يقوم بها محللو شؤون إتفاقية الجات، والتي تشير إلى أن الربح الأكبر هي الدول المتقدمة صناعياً، فالولايات المتحدة قد تصل أرباحها من تحرير التجارة في العقد المقبل إلى: [٤، ١٢٢] بليون دولار. في حين سيصل الإيراد السنوي للاتحاد الأوروبي في عام: [٢٠٠٥ م - الموافق ١١/١٤٢٥/١١/١٤٢٦ هـ -] إلى نحو [٥، ١٦٣] بليون دولار. وفي نفس العام ستحقق اليابان مبلغ: [٧، ٦٢] بليون دولار، وكذا مبلغ: [٤، ١٢] بليون دولار، أما الدول النامية فستحقق في نفس العام

= ١٤١٤/١٢/٣٠ هـ، العدد ١١٣٩٢، ص ٤.

(١) انظر «. . . قطر تحذر في مؤتمر الاسكندرية من التأثير السلبي لاتفاقية غات»، جريدة الحياة، ١٤١٦/١/٣ هـ، العدد ١١٧٨٨ ص ١٠.

(٢) «الليبرالية التجارية المقننة: التجارة الدولية في القرن الواحد والعشرين ومصالح العالم الثالث»، جريدة الرياض، ١٨/١/١٤١٥ هـ، العدد ٩٤٩٩، ص ١٣.

(٣) انظر «وأخيراً سكتت مدافع الجات: الاتفاق يعادل نهاية الحرب العالمية الثانية، وقيام الأمم المتحدة»، جريدة المدينة، ٢٦/٧/١٤١٤ هـ، العدد ٩٧٣٠، ص ١٠.

حوالي: [١١٦، ١] بليون دولار^(١). كما يتوقع الخبراء أن تدر الإتفاقية حوالي: [٣٥٠] بليون دولار في السنوات العشر المقبلة، النصيب الأكبر من هذا المبلغ سيذهب إلى الدول الصناعية^(٢).

ج: التأثير في توجيه سياسة المنظمات، تتحكم الدول الأجنبية في التوجهات الرئيسة للمنظمات الاقتصادية، مما يجعلها أدوات في فرض هيمنتها الاقتصادية^(٣)، وذلك من خلال:

١ - التأثير غير المباشر، ويتمثل في السيطرة الإدارية شبه الكاملة للدول الكبرى على إدارة تلك المنظمات، فمثلاً أغلب موظفي الصندوق النقدي الدولي^(٤) من دول أوروبا، والولايات المتحدة خاصة المدير العام وكبار المسؤولين من المديرين والمستشارين. كما أن عملية اختيار المدير العام حق خاص بالدول الكبرى لوحدها دون سائر الأعضاء، تلك العملية التي تتم عن طريق المديرين التنفيذيين الذين يتم تعيينهم من قبل الولايات المتحدة والدول الأوربية، واختيار المدير العام

(١) انظر «غات قد تضيف (٥١٠) بلايين دولار إلى الدخل العالمي»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٦/٨ هـ، العدد ١١٥٩٠، ص ١٠.

(٢) انظر نور الدين الفريضي، أرليت خوري، «الدول الأوربية توافق على الاتفاق الشامل للتجارة الدولية. اتفاق غات يدر [٣٥٠] بليون دولار معظمها للدول الصناعية»، المرجع السابق، ١٤١٤/٧/٣ هـ، العدد ١١٢٦٤، ص ٩.

(٣) انظر ماري فرانس ليريتو، الصندوق النقدي الدولي وبلدان العالم الثالث، الطبعة الأولى، ص ١٨؛ وانظر غراهام هانكوك، سادة الفقر، الطبعة الأولى، ص ٥٩؛ وانظر فرانسيس مورلايه، جوزيف كوليتز، ديفيد كينلي، أمريكا وصناعة الجوع، الطبعة الأولى، ص ٤٣ - ٤٨.

(٤) هيئة دولية تمارس نشاطها في مجال نظام النقد الدولي، ويهدف إلى: توسيع النطاق العالمي للتجارة، وتدارس المشكلات والمسائل النقدية، حيث يلغي القيود التي قد تفرض على العملات الأجنبية عند التعامل التجاري، ويعمل على تحقيق الاستقرار في أسعار صرف العملات، ويعالج مشاكل موازين المدفوعات. انظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٢٢١ - ٢٢٢؛ وانظر عمر، المنظمات الدولية، ص ٨٢، ١٠٧ - ١٠٨، ١١٥ - ١١٦؛ وانظر العيسى، صندوق النقد، ج ١ ص ٨١ - ٨٤، ١٦١، ٣١٣؛ وانظر محمد عجمية، محمد إسماعيل، فصول في التطور الاقتصادي في أوروبا والعالم العربي، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر)، ص ٢٩٤.

مسؤولية أعضاء المجلس التنفيذي^(١)، وهذا يعني أن الدول الكبرى تتدخل بشكل غير مباشر من خلال إملاء تعليماتها على من عينتهم في المراكز القيادية. كما أن هؤلاء الموظفين قد يتخلون عن الحياد لعاطفتهم مع مصالح بلادهم، ولخوفهم على مراكزهم التي قد يجردوا منها في حال وقوفهم ضد مصالح من عينهم.

٢ - التأثير المباشر، ويتمثل في القوة التصويتية للدول الكبرى، حيث تخضع إدارة المنظمات الدولية للقوة التصويتية لأعضائها^(٢)، مما يعني سيطرة الدول ذات الحصة الكبرى على القرارات، والتي تشكل قوة داخل المنظمة، تقر ما يروق لها، وتصدر من القرارات ما يخدم مصلحتها، يقول الطفيلي عن التصويت داخل البنك الدولي^(٣): (الواقع أن التظاهر بديمقراطية التصويت هذه لا يستطيع أن يخفي حقيقة أن ست دول صناعية رأسمالية كبرى... تمتلك من الأصوات ما يمكنها من إجازة أو إحباط أي قرار تشاء)^(٤). ومن أبرز الأمثلة على الهيمنة الإدارية للدول المؤثرة، ما قامت به الولايات المتحدة في [١٥/٨/١٩٧١ م - الموافق ٢٤/٦/١٣٩١ هـ -]، عندما واجهت مشكلة اقتصادية تمثلت في: تضائل كمية الذهب الأمريكي، وهبوطه إلى أقل من عشرة بلايين دولار ذهبي. وكذا تناقص الحصة الأمريكية من الصادرات

(١) انظر العيسى، المرجع السابق، ص ٣٢٠ - ٣٢٤؛ وانظر ليريتو، الصندوق النقدي الدولي، ص ٣٧ - ٣٩.

(٢) انظر المراجع السابقة، ص ١٨٤ - ١٨٦، ١٩٨ - ٢١٦، ٢٢٠ - ٢٢٥؛ ص ٣٣ - ٣٧، ٣٩ - ٤١؛ وانظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٢٢٢؛ وانظر عمر، المنظمات الدولية، ص ١٢٥ - ١٢٦؛ وانظر هانكوك، سادة الفقر، ص ٦٣؛ وانظر مورلابيه، وآخرين، أمريكا وصناعة الجوع، ص ٢٤٢.

(٣) هيئة دولية دورها يمثل في تكملة دور صندوق النقد الدولي، فأعضاء البنك لا بد أن يكونوا أعضاء في الصندوق أولاً، ويهدف إلى: إعادة البناء والإعمار للمناطق التي دمرتها وتدمرها الحروب العالمية والأهلية والاستقلالية، تشجيع الاستثمار الأجنبي الخاص، تقديم قروض مباشرة لتمويل التنمية الاقتصادية، أو الإسهام فيها، تقديم المعونات الفنية؛ فتح الأسواق العالمية لرؤوس الأموال الخاصة، وتسهيل عملية انتقالها خاصة في الدول النامية. انظر العيسى، المرجع السابق، ص ١٦٣، ٣٦٩ - ٣٧٦؛ انظر الطفيلي، المرجع السابق، ص ٢٢٦ - ٢٢٧؛ وانظر عبد الله المسند، المنظمات الدولية والإقليمية، ١٨٢ - ١٨٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢٩.

الدولية من: [٦، ٢٣٪] عام [١٩٤٨ م - الموافق ٢٠/٢/١٣٦٧ - ١٣٦٨/٣/١ هـ] إلى: [٦، ١٣٪] عام [١٩٧٣ م - الموافق ١٣٩٣ هـ]. وارتفاع الخسائر المالية بسبب الحرب الفيتنامية، والتي كلفت أمريكا حوالي: [١١٠] مليار دولار. عندها أعلن الرئيس الأمريكي نيكسون عن اتخاذ قرار يقضي بوقف بلاده العمل بنظام تحويل الدولار إلى ذهب وفق النظام الأساسي لصندوق النقد، دون أخذ رأي الأعضاء، أو التشاور معهم، هذا التحول والقرار الأميركي المخالف لأنظمة الصندوق كلف دول العالم الكثير من الخسائر، حيث تدهور نظام سعر الصرف الثابت، وبدأت تظهر علامات العجز في موازين المدفوعات في أكثر دول العالم. هذه المخالفة الصريحة لاتفاقية الصندوق^(١)، دلالة واضحة وقاطعة على الهيمنة الإدارية للدول الكبرى.

د: محاباة الدول الأجنبية، الناظر إلى الواقع العملي داخل المنظمات الاقتصادية، يدرك واقعاً لا مراء فيه مفاده التباين في معاملة الأعضاء، فالدول الصناعية، وذات القوة السياسية والاقتصادية، تحتل الصدارة في الأفضلية، فتتحكم في توجيه سياسة المنظمات، وتحظى بالأولوية في معالجة مشاكلها الاقتصادية، بينما تواجه الدول النامية تجاهلاً عند اتخاذ القرارات، وعدم مبالاة بما تواجهه الدول النامية من عجز في ميزان المدفوعات، ومعاناة من الكساد الاقتصادي والأزمات التي تجعلها تغرق في بحر الديون الخارجية، وتقف عاجزة عن معالجة وضعها^(٢). وعند النظر في الواقع العملي للبنك الدولي، أو صندوق النقد، تبرز عدة مظاهر في معاملة الدول النامية عموماً، حيث كثرة العراقيل والعقبات في طريق طلبات القروض، ما بين التدقيق الشديد في دراسة المشاريع، والمدة الزمنية الطويلة بين تقديم الطلب والموافقة عليه^(٣)، كما يُعمد إلى التشدد تجاه الدول النامية، فتفرض شروط صعبة

(١) انظر كامل بكري، التمويل الدولي، (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر)، ص ٢٦٠ - ٢٦٤؛ وانظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٢٣٠ - ٢٣١؛ وانظر العيسى، صندوق النقد، ص ٨٣، ١٣٦، ١٤٠؛ وانظر فيل سميث، «استبعاد أي مكاسب مقابل المارك والين في السنوات المقبلة: الاتجاه الهبوطي للدولار بدأ مع حرب فيتنام»، جريدة الاقتصادية، ٢٩/٢/١٤١٦ هـ، العدد ٧٨١، ص ٨.

(٢) انظر العيسى، المرجع السابق، ص ١٤؛ وانظر بكري، المرجع السابق، ص ٣٣٧؛ وانظر ليريتو، الصندوق النقدي، ص ٣٢؛ وانظر هانكوك، سادة الفقر، ص ٦٧.

(٣) انظر عجمية إسماعيل، فصول في التطور الاقتصادي، ص ٢٧٧.

وتطبق سياسات مرهقة، ويوصى بخطط تنعكس سلباً على الأوضاع الاقتصادية عموماً^(١). ومن البراهين على محاباة الدول الأجنبية الوقوف أمام المشكلات والأزمات العالمية دون حراك، خاصة تلك المشاكل التي تحقق مصالح لبعض الدول المؤثرة في قرار الصندوق، مثال ذلك عدم قيام صندوق النقد الدولي بأي إجراء تجاه السياسات النقدية للدول العشر، والتي تحدث أزمات وتقلبات حادة في أسعار الصرف، تدفع ثمنها الدول النامية عموماً، مع أن تحقيق استقرار أسعار الصرف، ومراقبتها أحد أهداف الصندوق الرئيسة^(٢). والسبب في ذلك أن هذه المنظمات لم ولن تحكمها الضوابط القانونية الموضوعية لها بالنسبة للدول المتقدمة، وإنما الحاكم الأول فيها مصالح الدول المتقدمة، والشاهد الحي لذلك الحرب الاقتصادية التي نشبت بين الولايات المتحدة واليابان، فهم مختلفون حول الحصص المخصصة لكل منهم في سوق الآخر، وهنا يبرز التساؤل: أين التجارة الحرة بين البلدين، وأين الالتزام بما تم الاتفاق عليه في منظمة الجات؟^(٣).

هـ: التدخل في شؤون الدول الإسلامية، هذا التدخل يأخذ أشكالاً متعددة منها إبقاء الدول الإسلامية حبيسة الحاجة الدائمة للأعداء، من خلال القسوة على الدول النامية عند طلب الاستفادة من موارد المنظمات، فبدلاً من تسهيل تلك الطلبات، يُبالغ في فرض سياسات معينة، تتسم بالتشرف والإجحاف؛ لتجاوزها حدود ضمان حقوق المنظمة وفق أحكام اتفاقاتها، إلى وضع شروط تعجيزية مجحفة، تُبقي الدول

(١) انظر أبا المجد حرك، مديونية العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ٣٤٦ - ٣٤٧؛ وانظر رمزي زكي، بحوث في ديون مصر الخارجية، الطبعة الأولى، ص ٢٦٥ - ٣٥٣؛ وانظر «... البنك الدولي في قفص الاتهام لتشدده حول سياسات الإصلاح الاقتصادي في الدول النامية»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٤/٤ هـ، العدد ٥٧٦٤، ص ١٤.

(٢) انظر الطفيلي، مرجع سابق، ص ١٨ - ١٩، ٢٤٥؛ وانظر العيسى، مرجع سابق، ص ٣٢٧ - ٣٢٨، ٣٣٣؛ وانظر زنايبلي، الحوار العربي الأوربي، ص ٢٩٩.

(٣) انظر «واشنطن تهدد بـ«عشرة أنواع» من العقوبات، وطوكيو تستنجد بمنظمة التجارة: إصرار أمريكي على إلزام اليابانيين بحصص محددة...»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/١٢/٨ هـ، العدد ٦٠٠٤، ص ١٤؛ وانظر «... النزاع يتصاعد بين الولايات المتحدة واليابان، وواشنطن تهدد بفرض عقوبات تجارية»، جريدة الحياة، ١٤١٥/١٢/١٢ هـ، العدد ١١٧٦٨، ص ١٠.

النامية في تبعية اقتصادية تامة للمنظمات وكبرائها^(١). ومنها التدخل المباشر في الشؤون الداخلية للدول الإسلامية، فهذا رئيس الوزراء المصري الأسبق عبد العزيز حجازي يرى في إتفاقية الجات تشكيل ذراع ثالث مع البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، يضاعف من تدخلهم في اقتصاديات الدول الإسلامية؛ لمصلحة دول العالم المتقدم^(٢)، وأساس هذا الرأي المعبر عن الواقع المنظور، تلك الطلبات التي تطلبها المنظمات الدولية من الدول الإسلامية، والتي منها المطالبة بضرورة التوافق والانسجام بين سياسة الدولة المستفيدة، وأغراض الجهة المانحة.

ومنها أن تبدي الدولة المستفيدة الاستعداد لاتباع السياسة المعدة من قبل المنظمة لأجل التغلب على المشكلات^(٣). ومنها فرض الأنظمة الأجنبية على الدول

(١) انظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٩٩ - ١٠٣، ٢٢٨؛ وانظر العيسى، صندوق النقد، ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٢٩؛ وانظر ليريتو، الصندوق النقدي، ص ١٠٣ - ١٤٣؛ وانظر «مع إلزام السودان بدفع [٧] ملايين دولار شهرياً سداداً للدين: صندوق النقد الدولي يمدد رقابته للاقتصاد السوداني [٦] شهور أخرى»، جريدة الجزيرة، ١٨/١/١٤١٦ هـ، العدد ٨٢٩٦، ص ٢١؛ وانظر محمد سيد أحمد، «استخدام المساعدات الغربية، يفرض النموذج الغربي على الدول الأفريقية»، جريدة الرياض، ٢٠/٣/١٤١٦ هـ، العدد ٩٩١٤، ص ٢٧؛ وانظر حبي الدين عبد الرحمن، «الاقتصادي السوداني الدكتور محمد هاشم عوض: صندوق النقد الدولي أهم وسائل الضغط «الصناعية» لتشكيل حياة الدول الفقيرة على النمط الغربي»، المرجع نفسه، ١٧/٤/١٤١٦ هـ، العدد ٩٩٤١، ص ٢٧.

(٢) يوسف شاكر، «مشاركون في ندوة الجات والدول النامية يعتبرون الاتفاقية ذراعاً ثالثة للدول الصناعية»، جريدة الشرق الأوسط، ٢/١/١٤١٥ هـ، العدد ٥٦٧٤، ص ٢٧.

(٣) انظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٩٩ - ١٠٣، ٢٢٨؛ وانظر العيسى، صندوق النقد، ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٢٩؛ وانظر ليريتو، الصندوق النقدي، ص ٧٥ - ٧٦، ١٤٤ - ١٤٥؛ وانظر «مع إلزام السودان بدفع [٧] ملايين دولار شهرياً سداداً للدين: صندوق النقد الدولي يمدد رقابته للاقتصاد السوداني [٦] شهور أخرى»، جريدة الجزيرة، ٨/١/١٤١٦ هـ، العدد ٨٢٩٦، ص ٢١؛ وانظر محمد سيد أحمد، «استخدام المساعدات الغربية، يفرض النموذج الغربي على الدول الأفريقية»، جريدة الرياض، ٢٠/٣/١٤١٦ هـ، العدد ٩٩١٤، ص ٢٧؛ وانظر حبي الدين عبد الرحمن، «الاقتصادي السوداني الدكتور محمد هاشم عوض: صندوق النقد الدولي أهم وسائل الضغط «الصناعية» لتشكيل حياة الدول الفقيرة على النمط الغربي»، المرجع نفسه، ١٧/٤/١٤١٦ هـ، العدد ٩٩٤١، ص ٢٧.

الإسلامية، فهذا الاتحاد الأوربي لأجل أن يتعاون مع مجلس التعاون الخليجي، يتدخل في تعديل سياسته الاقتصادية، حيث يقول أحد خبراء الاتحاد الأوربي: ينوي الاتحاد رفع توصيات إلى مجلس التعاون الخليجي بهدف تعديل القوانين والأنظمة الاقتصادية المعمول بها في مجلس التعاون، حتى تكون أكثر مناسبة وملاءمة للاستثمارات الأوربية^(١). ومنها فرض ضمانات على المقترضين، لا تأخذ شكل عمولة فقط، بل ضمان وتأكيد ضد أي تغيير في الاتجاهات السياسية والاقتصادية. ومنها الاستقصاء الكامل عن الوضع الاقتصادي للبلد المقترض، والاطلاع التام على خططه وبرامجه التنموية الاقتصادية^(٢). ومنها طلبات إصلاحية متعددة^(٣)، يصفها مسؤولو الدول النامية بأنها خطيرة، وربما أدت إلى الانهيار الاقتصادي الكامل^(٤). ومنها المراقبة والإشراف على صرف القروض والإعانات، والتلويح بالتوقف عن صرف الإعانات، وطلب استرجاع ما صرف منها في حال وجود ملاحظة على السياسة الاقتصادية للدولة الممنوحة^(٥). ومنها ممارسة الضغط النفسي على الدول الإسلامية، حيث توجد تلك المنظمات حرباً نفسية شرسة للدول الإسلامية، وتضغط في ذلك أملاً في ارتماء تتحقق به المزيد من المصالح الأجنبية على حساب الدول الإسلامية، فهذا البنك الدولي ينصح الدول الإسلامية بضرورة المسارعة في الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، ويحذر من أن الوقت يمر بسرعة فائقة، لا سيما أن القوة الكاملة للاتفاقيات التي أسفرت عنها جولة أوروغواي، سيجري تطبيقها بالكامل خلال عشر سنوات، مشيراً إلى أن تلك الفترة، بمثابة فرصة

(١) انظر عبد الحميد اليحياوي، «إدخال المنتجات الخليجية يهدد [٧٥٠] ألف وظيفة: الاتحاد الأوربي غير مستعد حالياً لاستقبال إنتاج دول مجلس التعاون من البتروكيماويات»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٥/٩ هـ، العدد ٥٧٩٩، ص ١١.

(٢) انظر الطفيلي، مرجع سابق، ص ٢٢٨؛ وانظر ليريتو، مرجع سابق، ص ١٣٦ - ١٣٧، ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) انظر هانكوك، سادة الفقر، ص ٦٤.

(٤) انظر محمد علام، «البنك الدولي ينتقد برامج الإصلاح الاقتصادي في مصر، ويطلب بتسريعه، ويحذر من مغبة البطء»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٧/٤ هـ، العدد ١١٦١٥، ص ٩.

(٥) انظر هانكوك، مرجع سابق، ص ٦٣؛ وانظر «البنك الدولي يفتح مكتبين في غزة والضفة الغربية للإشراف على صرف الأموال التي تقدمها الدول المانحة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٤/٢٥ هـ، العدد ٥٧٨٥، ص ١١.

العرب الوحيدة؛ لبناء قدرتهم على المنافسة العالمية ويزيد من ضغطه النفسي فيصف الاقتصاد الإسلامي بأنه أحد الهياكل الموروثة من الماضي، والتي تشكل عبئاً ثقيلاً على الاقتصاديات الإسلامية، وأن الاستثمارات العربية لن تتعش بواقعها المعاصر ما لم يتحسن أداء الاقتصاديات العربية^(١)، تحسناً يتلاءم مع رؤية البنك.

ثانياً: المساعدات الدولية^(٢).

المعونات بوجه عام تقدم على شكل مساعدات مادية أو فنية، أو قروض مالية، أو مشاركة مادية وفنية في تنفيذ مشاريع، تقدمها المنظمات والدول المتقدمة إلى أغلب دول العالم النامي، ورغم التباين في أهداف الجهات الممولة، إلا أنها تتفق في الواجهة الأساسية لسياسة المساعدات على النحو التالي:

أ: الدول الممولة، حيث من المفترض نظرياً أن يوجه التمويل المالي إلى الدول الأفقر، والأشد حاجة لكنه عملياً يوجه إلى المناطق التي تحقق فيها أهداف الجهات الممولة بشكل أكبر^(٣)، فهذا الاتحاد الأوربي يعد الدول الأفريقية بالدعم وتقديم المساعدات، ويشترط لذلك إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية معنية، وهو في ذلك ينفذ شقاً من سياسته المعلنة بتوجيه التمويل إلى الدول الأكثر حاجة لأجل أن يظهر للعالم نبيل سياسته، وسمو غايته، حتى إذا مضت تلك الدول في تنفيذ تلك المطالب تراجع الاتحاد عن وعوده بتقديم المساعدات، فأوقعها في كمينه، وتحجج بعدم نجاح تلك الإصلاحات^(٤)، وحقيقة الموقف أن الاتحاد

(١) انظر «محذراً من مخاطر التباطؤ في الانضمام إلى «الجات»: البنك الدولي يعطي العرب [١٠] سنوات فرصة أخيرة للانتقال من الاقتصادات «المغلقة» إلى «المفتوحة»»، المرجع السابق، ١٤١٦/٢/٨ هـ، العدد ٦٠٦٤، ص ١١.

(٢) انظر الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، أقل البلدان نمواً، تقرير [١٩٩٣ - ١٩٩٤ م]، ص ٤٣ - ٥٠؛ وانظر صندوق النقد الدولي، آفاق الاقتصاد العالمي، مايو [١٩٩٥ م]، ص ١٨٢ - ١٨٩؛ وانظر الطيفي، السياسة الاقتصادية، ص ٩٥ - ٩٦؛ وانظر ليريتو، الصندوق النقدي، ص ٤٣ - ٨٣.

(٣) انظر هانكوك، سادة الفقر، ص ١٥١ - ١٥٢؛ وانظر مورلايه، وآخرين، أمريكا وصناعة الجوع، ص ٢٣ - ٢٧.

(٤) انظر، «تراجع عن وعود بتقديم مساعدات: الدول الفقيرة تتهم الاتحاد الأوربي بخداعها لتنفيذ إصلاحات»، جريدة المدينة، ١٤١٦/١/٤ هـ، العدد ١١٧٤٥، ص ٢.

الأوروبي لا يرى في ذلك الدعم مردوداً مناسباً.

ب: المعونات، فالوجهة التوجيهية للمعونات بأشكالها المختلفة، ومصادرها المتعددة، كالتالي:

١- المشاريع، حيث تولي الجهات المانحة طبيعة ونوعية المشاريع التي تشارك فيها إشرافاً أو تمونياً أهمية بالغة، حيث يتم حصر الدعم على مشاريع البنية التحتية والهيكلية مثل: شبكات الطرق والموانئ، والمخازن، ومحطات توليد الكهرباء، والسياحة، في مقابل الابتعاد التام عن دعم كل ما له علاقة بالمشاريع الأساسية في مجالي الزراعة والصناعة. أما تنفيذ المشاريع فيجب أن تشرف عليه مؤسسات وشركات تحظى بالأولوية والأفضلية لدى الجهة المانحة^(١).

٢- المعونات المالية، حيث يتم ربط المعونات المالية ببضائع الجهات المانحة، واستغلالها في التسويق والترويج لبضائعهم^(٢)، يقول الطفيلي: (البنك الدولي وفروعه مجموعة البنك الدولي، يعتبر أهم مؤسسة لتسويق وتمويل ما تصدره الدول الصناعية الغربية من خدمات وبضائع إلى الأسواق العالمية لا سيما أسواق الدول المتخلفة. إنه أكبر قناة للمبالغ التي تخصصها الدول الصناعية آنفة الذكر للتمويل المشترك. تلك الصادرات التي يطلق عليها اسم المساعدات الخارجية المشتركة)^(٣). ويقول الرئيس المصري حسني مبارك: بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل تلقت مصر معونة أمريكية تقدر بنحو: [٣٢] مليار دولار، بينما استوردت

(١) انظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ١٠١ - ١٠٢؛ وانظر عمر، المنظمات الدولية، ص ٢٤٤ - ٢٤٤، ٢٥٠ - ٢٥٨؛ وانظر هانكوك، سادة الفقر، ص ٦٠، ١١٧، ١٢٤ - ١٢٨، ١٥٦ - ١٥٨؛ وانظر مورلايه، وآخرين، أمريكا وصناعة الجوع، ص ٩٤ - ٩٨؛ وانظر «في المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشرق المتوسط: الاتحاد الأوروبي مستعد لدعم مشروعات السياحة والبنية التحتية»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/٥/٥ هـ، العدد ٥٧٩٩، ص ١٢؛ وانظر أمينة خيرى، محمد إسماعيل، «ملتقى المشاركة الأوربية - الشرق أوسطية: الاتحاد الأوروبي سيقدّم الاستشارات والقروض لدعم التنمية والمشاريع في المنطقة»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٧/٨ هـ، العدد ١١٦١٩، ص ١٠.

(٢) انظر هانكوك، مرجع سابق، ص ١٥٢ - ١٥٨، ١٦٤ - ١٦٧؛ وانظر مورلايه، وآخرين، مرجع سابق، ص ١٢٧ - ١٣٠؛ وانظر محمد عبد العزيز ربيع، المعونات الأمريكية لإسرائيل، الطبعة الأولى، ص ٥٠ - ٥١.

(٣) مرجع سابق، ص ٢٢٦.

مصر خلال هذه الفترة بضائع أمريكية بما قيمته: [٤٦] مليار دولار، وقال: الإدارة الأمريكية تراقب عملية صرف تلك الأموال، وتؤكد من ذهابها إلى أوجه الصرف المقررة لها بالفعل^(١).

٣ - الجهات الممولة، تربط الجهات الممولة تقديم المعونات بمدى إسهامها في تحقيق مصالحها^(٢) يقول جون هولام مدير الوكالة الأمريكية لنزع السلاح والحد من التسلح: تقديم أي نوع من المساعدات الأمريكية مرتبط بشكل مباشر وأولي مع تحقيق مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية^(٣).

ومن أبرز المصالح التي تسعى لتحقيقها الجهات المانحة، بسط النفوذ السياسي^(٤)، حيث يُتخذ من المساعدات وسيلة لبسط النفوذ السياسي، والولاء المطلق، ووسيلة إغراء وضغط؛ لتحقيق مكاسب سياسية، بل قد يصل الأمر إلى التدخل المباشر في الشؤون الداخلية بفرض تغيير وزاري حكومي، أو توجه سياسي معين^(٥)؛ وليس أدل على ذلك من قطع المساعدات عن باكستان والسودان، بعد تغيير وجهتهما السياسية^(٦). وطلب إسرائيل من عدد من الدول الأوروبية واليابان التعهد بتقديم مساعدات اقتصادية لسوريا، على شكل منح، وقروض، وإعادة جدولة ديون، وذلك تشجيعاً لها على الإقدام على مسيرة السلام^(٧). وتأكيد الإدارة

(١) انظر «أكد أن المعونة الأمريكية لفائدة البلدين، مبارك: أعضاء الكونجرس الأمريكي تفهموا الموقف المبدئي المصري من المعاهدة النووية»، جريدة المدينة، ١٨/١١/١٤١٥ هـ، العدد ١١٧٠٠، ص ٣.

(٢) انظر هانكوك، مرجع سابق، ص ٥١؛ وانظر فوش، المساعدات الخارجية، ص ٦٥ - ١٣٢، ١٨١ - ٢١٩؛ وانظر ربيع، مرجع سابق، ص ١٧ - ٢٨.

(٣) انظر «هولام يرى فيه توجهاً ضد المصلحة الأمريكية: واشنطن لا تحبذ التلويح بسلاح المساعدات في وجه رافضي تمديد المعاهدة النووية»، جريدة الجزيرة، ١٥/١١/١٤١٥ هـ، العدد ٨٢٣٤، ص ٢٨.

(٤) انظر المطلب الأول، من المبحث الثاني، من الفصل الثالث، في الباب الأول.

(٥) انظر محمد سيد أحمد، «استخدام المساعدات الغربية، بفرض النموذج الغربي على الدول الأفريقية»، جريدة الرياض، ٢٠/٣/١٤١٦ هـ، العدد ٩٩١٤، ص ٢٧.

(٦) انظر «... بوتو تطالب أمريكا باحترام تعهداتها بإعادة أموال باكستان»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/١١/٧ هـ، العدد ٨٢٢٦، ص ١، ٢٧.

(٧) انظر «إسرائيل تطلب مساعدات اقتصادية لسوريا»، جريدة الجزيرة، ٢٧/١/١٤١٦ هـ، العدد ٨٣٠٥، ص ١.

الأمريكية بأن مشروع المعونات الخارجية يهدف إلى تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية^(١)؛ لذلك رصد في ميزانية عام ١٩٩٦ م - الموافق ١٤١٦/٨ - ١٤١٧/٨ هـ -، مبلغ: [٥،٢٤] مليار دولار لمساعدة البلدان المشاركة في عملية سلام الشرق الأوسط^(٢). ومن تلك المصالح أيضاً دعم اقتصاد الجهات المانحة، حيث تضع الجهات المانحة شروطاً وقيوداً اقتصادية تُلزمُ بها الجهات الممولة، وتمنحها فرصة دعم اقتصادياتها^(٣). ومنها إحداث تغييرات اجتماعية، من خلال استخدام المعونات كوسيلة ضغط تمارسها الجهات المانحة لإحداث تغييرات متعددة، داخل مجتمع الجهة الممنوحة^(٤).

ثالثاً: المعاهدات الثنائية.

كتلك المعاهدات التي تتم بين دولة أجنبية، ودولة إسلامية، أو بين بعض المنظمات الإقليمية الأجنبية وبعض الدول الإسلامية، وفي مثل هذه المعاهدات يتم بسط الهيمنة على نطاق محدود، ولمجالات معينة. ومن الأمثلة الحية لهذه المعاهدات:

- (١) انظر محمد صادق، «واشنطن: النصيب الأكبر من المساعدات الخارجية سيذهب إلى مصر وإسرائيل»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٤/٦/٢٢ هـ، العدد ٥٤٨٦، ص ٤.
- (٢) انظر «واشنطن ماضية في إلغاء ديون الأردن. المساعدات الأمريكية لمصر وإسرائيل مستمرة دون تغيير»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/٩/٩ هـ، العدد ٨١٦٨، ص ٢٣.
- (٣) انظر فوش، المساعدات الخارجية، ص ١١٢، ١١٧ - ١٣٢؛ انظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ١٠٠ - ١٠١؛ وانظر السيد علي، الحبيب، نظام النقد الدولي والتجارة الخارجية للبلاد العربية، ص ٢٣؛ وانظر «سيناتور أمريكي «ليكوذي» يطالب بحظر المساعدات لمنظمة التحرير»، جريدة الرياض، ١٤١٦/٢/٢٥ هـ، العدد ٩٨٩٠، ص ٣٢.
- (٤) انظر ليريتو، الصندوق النقدي، ص ١٣٦ - ١٣٧؛ وانظر هانكوك، سادة الفقر، ص ١٥ - ١٧، ١٣٣ - ١٣٨؛ وانظر «مشروطة بحقوق الإنسان وقبرص: تركيا ترفض معونات أمريكية عسكرية مشروطة»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/٣/٢٢ هـ، العدد ٨٠٠٥، ص ٢؛ وانظر نبيل كوكالي، «وزير المالية في سلطة الحكم الذاتي: الدول المانحة تربط تقديم المعونات لفلسطين بإنجاز الاتفاق مع إسرائيل»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٦/٤/١٤ هـ، العدد ٦١٢٩، ص ١٧؛ وانظر محمد سيد أحمد، «استخدام المساعدات الغربية، يفرض النموذج الغربي على الدول الأفريقية»، جريدة الرياض، ١٤١٦/٣/٢٠ هـ، العدد ٩٩١٤، ص ٢٧.

أ: ما قامت به السوق الأوروبية المشتركة في عام [١٩٧١ م - الموافق ١٣٩٠/١٢ - ١٣٩١/١١ هـ-]، عندما عملت على تطوير علاقاتها بالدول النامية، فاعتمدت معاملة خاصة تعنى بتنمية صادرات الدول النامية، حيث تنازلت دول السوق عن الرسوم الجمركية لصالح المنتجات الصناعية وبعض المنتجات الزراعية للدول النامية، وعليه فقد تم التوقيع على: إبرام إتفاقية دولية للبن يكون لدول السوق فيها إسهام فاعل. والعمل على القيام بدور فاعل لعقد إتفاقية دولية للكافوا. ودعم الدول المنتجة للسكر. وإلغاء الرسوم الجمركية على المنتجات الاستوائية بشكل تدريجي^(١). هذه التسهيلات تحمل في طياتها شكلاً من أشكال الهيمنة الاقتصادية للأعداء، فهي بالنسبة للتسهيلات الخاصة بالمنتجات الصناعية تتمثل في أن دول السوق تدرك جيداً المستوى الفني لتلك المنتجات وتعلم أنه لا يمكن أن يصل إلى منافسة المنتج الأوربي؛ لذلك سيواجه كساداً في السوق الأوربي، ولن تستفيد الدول النامية من تلك التسهيلات، وهذا ما أثبتته إحدى الدراسات العلمية^(٢). أما التسهيلات الخاصة بالمنتجات الزراعية، فهي خاصة بالمنتجات الزراعية الاستوائية، مثل: البن الكاكاو، السكر لأن الطابع المناخي الملائم لزراعة تلك المنتجات لا يتلاءم مع الأجواء الأوربية ولأن الإنتاج الأوربي من تلك المنتجات ضعيف جداً؛ لذلك عملوا على وضع تلك التسهيلات لتسهم في وصول تلك المنتجات إلى الأسواق الأوربية.

ب: تلك المعاهدة التي عقدت بين الاتحاد الأوربي ودولة المغرب العربي، بشأن تنظيم عملية الصيد البحري، داخل المياه المغربية في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، ومددت لنتهي في [٣٠/٤/١٩٩٥ م - الموافق ١٤١٥/١٢/١ هـ-]، حيث حملت هذه الإتفاقية تجاوزات بحق المغرب على مستوى الدولة، والقطاع الخاص، والبيئة، والثروة السمكية^(٣)، من ذلك تهديد الثروة السمكية المغربية،

(١) انظر الطفيلي، السياسة الاقتصادية، ص ٤٨ - ٥٠؛ ٥٣.

(٢) انظر ناصر العتيبي، «في دراسة اقتصادية لجامعة الملك سعود: المنشآت الصناعية السعودية تقصصها الخبرات التصديرية الضرورية»، جريدة الجزيرة، ١٥/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٨٢٦٤، ص ١٤.

(٣) انظر حاتم البيطوي، «وزير الصيد البحري المغربي مصطفى ساهل: حريصون على المحافظة على ثروتنا السمكية، ونطالب بأن تغادر الأساطيل الأوربية مياهنا»، جريدة الشرق الأوسط، =

حيث أثبتت الدراسات العلمية بأن عملية الصيد الأوربية الجارية في مياه المغرب تستنزف الثروة السمكية بنسبة [٥٠٪ - ٦٥٪]. ومن ذلك ضآلة العائد المالي الذي تقدمه الاتفاقية للمغرب. ومن ذلك الخسائر المالية الكبيرة المترتبة على عدم استغلال المغرب لثروتها السمكية. ومن ذلك تحجيم دور القطاع الخاص المغربي في عملية الصيد، وتحديد نشاطه.

وعندما أخذ المغرب يطالب بشراكة فعلية، وإعادة بنود الاتفاقية^(١)، أطل الأوروبيون بوجههم الحقيقي الذي لم يكن مألوفاً في الجولات التفاوضية السابقة، فأخذ المفاوض الأوربي يناور ويحاوّر بتوتر شديد، ينأى بالمباحثات عن موضوعها الرئيس إلى أمور أقل أهمية وفاعلية، ويعمل على إدخال المفاوضات في متاهات وشطحات فلسفية عقيمة. وإلى جانب هذا التعقيد في المباحثات، يتم الضغط على السلطات المغربية، من خلال التهديد والوعيد بفرض قيود^(٢)، فهذا وزير إسباني يصرح بأن على المغرب العربي قبول شروط الاتفاق مع الاتحاد الأوربي، كما أملاها الاتحاد، وإلا فستفرض قيود ورقابة صارمة على الأسماك المغربية. ويتم الضغط أيضاً بإعطاء الضوء الأخضر لسلطات الحدود الإسباني باعتراض البضائع المغربية، وتأخير عبورها الموانئ الإسبانية بحجج واهية، فضلاً عن قيام الصيادين الإسبان بإتلاف الحمولات السمكية والفلاحية المغربية^(٣). وكذا الضغط بفرض حصار على

= ١٢/٢/١٤١٥ هـ، العدد ٥٩٩٨، ص ١٢.

(١) انظر منية البستاني، «يريد تخصيص مصائد البحر المتوسط للصيادين المغاربة: المغرب يخرج اليوم سفن الصيد الأوربية من مياهه، ويتوقع «اتفاقاً مرضياً» في نهاية الجولة الثالثة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٢/١/١٤١٥ هـ، العدد ٥٩٩٧، ص ١١؛ وانظر «مسؤول كبير في الوفد المغربي المفاوض للشرق الأوسط: المغرب لا يتوقع اتفاقاً مع أوربا قبل يونيو، وهدفنا شراكة متوازنة مع الاتحاد الأوربي»، المرجع نفسه، ١٢/٦/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠٠٢، ص ١١.

(٢) انظر محمد الشرقي، «المغاربة مصررون على الدفاع عن مصالحهم البيئية والوطنية: الاتحاد الأوربي يهدد المغرب إذا لم يتم توقيع إتفاق الصيد البحري»، جريدة الحياة، ١٤١٦/٥/٦ هـ، العدد ١١٩٠٩، ص ١٢.

(٣) انظر «الصيادون الأسبان يعرقلون دخول الصادرات المغربية إلى بلادهم»، جريدة الشرق الأوسط، ١٢/١٣/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠٠٩، ص ١١؛ وانظر بروكسل: عبد الحميد اليحياوي، «... مثل مفاوضات الصيد في بروكسل، واللوبي الإسباني هدد بتقييد صادرات الأسماك المغربية»، المرجع نفسه، ١٢/١٩/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠١٥، ص ١١؛ منية =

كافة المنتجات المغربية الفلاحية والسمكية ومنع مرورها عبر المياه والأراضي الإسبانية^(١). ويتم الضغط من خلال التلويح بورقة الصادرات الزراعية المغربية إلى الاتحاد الأوروبي، والتي ترتبط بشكل كبير بالأسواق الأوروبية، والتهديد بعدم تجديدها من قبل الجانب الأوروبي^(٢).

ج: إتفاق الشراكة الذي عقد بين الاتحاد الأوروبي وتونس، والذي ينص على بنود منها: إقامة منطقة حرة ثنائية بعد [١٢] سنة. ومنها إلغاء كافة الرسوم الجمركية التي تفرضها تونس على المنتجات الصناعية الأوروبية تدريجياً. ومنها الأخذ بالاعتبار حساسية السلع الصناعية والقطاعات الاقتصادية التونسية المعنية في الاتفاق. ومنها عمل الاتحاد على مساعدة الاقتصاد التونسي وتطويره، وعلى تشجيع الاستثمار الأوروبي في تونس^(٣).

هذه الاتفاقية كما تراها مصادر الأوربية متخصصة: مخاطرة تونسية، تدل على جراءة الجانب التونسي^(٤)، وهذا ما يوضحه السفير التونسي في النمسا بقوله: هذا الاتفاق يتسبب في خسارة مالية قدرها [٧٤٠] مليون دولار أمريكي؛ لأن بنود الاتفاق تنص على وجوب إلغاء تونس للرسوم الجمركية، وفي ذلك خسارة مالية كبيرة، بينما الاتحاد الأوروبي يرفع بعض القيود التي سبق وأن قام بوضعها على بعض الصادرات التونسية فقط^(٥)، فهي شروط اشترطها من قبل، وسامو

= البستاني، «أعمال الشغب توسعت إلى أربعة موانئ وبروكسل أدانت الممارسات: لوبي الصيد الإسباني يضيق الحصار على الصادرات المغربية»، المرجع نفسه، ١٤١٥/١٢/٢٧ هـ، العدد ٦٠٢٣، ص ١١.

(١) انظر خالد سالم، «الصيادون الأسبان يطالبون بتوسيع مقاطعة المنتجات المغربية، إجبار شاحنتين تنقلان السمك المغربي لإسبانيا على العودة إلى طنجة»، المرجع السابق، ١٤١٥/١٢/٢١ هـ، العدد ٦٠١٧، ص ١٧.

(٢) انظر عبد الحميد البيحاوي، خالد سالم، «... أوروبا تلوح بعدم تجديد الاتفاق الزراعي مع المغرب»، المرجع السابق، ١٤١٦/١/٢٤ هـ، العدد ٦٠٥٠، ص ١١.

(٣) انظر «سيتيح إقامة منطقة للتبادل الحر بعد [١٢] سنة: توقيع اتفاق شراكة بين الاتحاد الأوروبي وتونس»، جريدة الحياة، ١٤١٦/٢/٢٠ هـ، العدد ١١٨٣٥، ص ٩.

(٤) انظر نور الدين الفريضي، «الاتحاد الأوروبي وتونس يوقعان غداً إتفاق الشراكة الأوربية - المتوسطية»، المرجع السابق، ١٤١٦/٢/١٨ هـ، العدد ١١٨٣٣، ص ٩.

(٥) انظر هشام الكردي، «تونس أول دولة عربية توقع إتفاقية تحرير تجارة واسعة النطاق مع =

عليها حتى أصبح التنازل عنها تنازلاً عن حق.

هذا النوع من الاتفاقيات محصلته النهائية تتمثل في:

١ - أنها وسيلة للهيمنة الاقتصادية تتم في دائرة ضيقة، حيث يلجأ إليها في ظروف طارئة؛ لتحقيق مكاسب خاصة، على نطاق محدود، وفي مجالات معينة، فهي معاهدات تتم لمدد زمنية محددة.

٢ - يبرز فيها وبشكل علني وكبير أساليب التهديد والوعيد والضغط الشديد، استغلالاً لمبدأ القوة الاقتصادية التي تنطلق منها الدول الأجنبية، والحاجة التي تعاني منها البلاد الإسلامية.

٣ - أنها مدعاة لفرض جميع أوجه هيمنة الأعداء على شؤون البلاد الإسلامية، يقول السفير التونسي في باريس معلقاً على توقيع بلاده للاتفاق مع الاتحاد الأوروبي: تم التوقيع بعد أن لمس الاتحاد الأوروبي نتيجة الديمقراطية المعمول بها في تونس، واحترام حقوق الإنسان^(١).

د: التوجهات الطارئة، حيث يعمد الأعداء إلى مسيطرة العصر، والسير وفق متطلباته التي تضمن لهم مصالحهم، فهم لا يترددون عن تقرير، أو النصح بتقرير ما يحقق لهم المزيد من المصالح، ومن ذلك:

١ - ما يسمى بضرية الكربون، فمع أن دول الاتحاد الأوروبي تفرض ضرائب باهضة على وارداتها النفطية من دول مجلس التعاون الخليجي، ومع ارتفاع هذه الضرائب، إلا أنها تعمل الآن من جديد على فرض ضرائب إضافية على وارداتها البترولية من الدول الإسلامية، بحجة المحافظة على الحياة البيئية؛ لذلك أسمها ضرية الكربون. ولترسيخ هذه المطالب، ولتخفيف من حدة رد الفعل، ولتعقيد المفاوضات حولها وإطالتها، عمد الاتحاد الأوروبي إلى جعل اتخاذ قرار فرض الضرية اختيارياً للدول الأوروبية، وكأنه بذلك قد طرح الفكرة الجماعية جانباً حتى عام [٢٠٠٠ م - الموافق ١٤٢٠/٩ - ١٤٢١/١٠ هـ]^(٢)؛ لذلك عمدت بعض الدول

= الاتحاد الأوروبي»، جريدة الرياض، ٢٢/٢/١٤١٦ هـ، ٩٨٨٧، ص ١٩.

(١) انظر «ستيح إقامة منطقة للتبادل الحر...»، جريدة الحياة، مرجع سابق.

(٢) انظر عبد الحميد اليحياوي، «الصيغة المعدلة اختيارية، وتطبيقها بعد عام: [٢٠٠٠ م]، المفوضية الأوروبية تفرغ من إعداد «ضرية كربون» ملطفة»، جريدة الحياة، ١٢/٥/١٩٩٥ م، =

الأوربية إلى التطبيق الكامل للقرار بشكل منفرد أملاً في أن يكون قراراً جماعياً وإلزامياً لدول الاتحاد الأوربي^(١)، بعد أن تمضي فترة قد تكون في حقيقتها فترة تجريبية للجميع.

إن الناظر لمثل هذه التوجه، يخرج بنتائج منها تعمد الدول الأجنبية إلى افتعال قضايا اقتصادية مع دول العالم الإسلامي، بدليل: عدم تطبيق أو حتى مجرد المطالبة بتطبيق هذه الضريبة على مصادر الطاقة الأخرى، والأشد إضراراً بالبيئة، كالطاقة النووية، والفحم ونحوها^(٢). أضف إلى ذلك عدم فاعلية تلك الضريبة في مجال حماية الحياة البيئية، وفقاً لما أعلنه اتحاد الصناعات الأوربية^(٣). ومنها استغلال الدول الإسلامية في علاج المشكلات الاقتصادية الطارئة لاقتصاديات الدول الأجنبية فكما تسهم إتفاقية الجات في مواجهة الركود الاقتصادي، وتجاوز أزمة البطالة المنتشرة في بلادهم^(٤)، تسهم ضريبة الكربون في حل مشاكل أخرى، يحددها خبير بريطاني بقوله: الغاية الحقيقية من فرض تلك الضريبة: مواجهة العجز السنوي الذي تعاني منه موازنات الحكومات الأوربية؛ لذلك عملت وتعمل على إيجاد موارد جديدة تخفف من وطأة ذلك العجز^(٥). ومنها أيضاً توجيه ضربات مؤثرة إلى مكامن القوة للاقتصاديات الناشئة في العالم الإسلامي، بدليل أن هذا التوجه خُصت به المنتجات البترولية لدول مجلس التعاون الخليجي، والتي تمثل حوالي [٩٠٪]

= العدد ٦٠٠٩، ص ١١.

(١) انظر عبد الحميد اليحياوي، «... الدانمارك تمضي منفردة في فرض ضريبة الكربون، وتضغط على أوروبا لعدم التخلي عن تطبيقها»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٦/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠٢٢، ص ١١.

(٢) انظر الرياض: مصطفى شهاب، «ضريبة الكربون تطغى على اجتماعات الرياض بين وزراء خارجية دول الخليج والاتحاد الأوربي»، جريدة الحياة، ٢٥/١١/١٤١٤ هـ، العدد ١١٤٠٢، ص ١٣.

(٣) انظر عبد الحميد اليحياوي، «... الدانمارك تمضي منفردة في فرض ضريبة الكربون»، مرجع سابق.

(٤) انظر يوسف شاكر، «مشاركون في ندوة الجات والدول النامية يعتبرون الاتفاقية ذراعاً ثالثة للدول الصناعية»، جريدة الشرق الأوسط، ٢/١/١٤١٥ هـ، العدد ٥٦٧٤، ص ٢٧.

(٥) انظر عبد الحميد اليحياوي، «الصيغة المعدلة اختيارية...»، جريدة الشرق الأوسط، مرجع سابق.

من صادرات تلك الدول^(١). ومنها أن للهيمنة الاقتصادية للأعداء شكل فضفاض، يتسع لأساليب ووسائل متعددة، وأشكال متفاوتة، حسب حجم الحاجة الطارئة، والظروف المحيطة.

٢ - بنك الشرق الأوسط. من الأفكار المطروحة اليوم على الدول الإسلامية، فكرة إنشاء بنك تنموي للشرق الأوسط، وفكرة إنشاء سوق شرق أوسطية مشتركة بين أغلب الدول الإسلامية وإسرائيل. وهذه الأفكار لم تتجاوز اليوم مرحلة الدراسة والمناقشة، وتمثل من وجهة نظر بعض الدول الأجنبية ضرورة قصوى؛ لكونها استجابة لمتطلبات المستجدات والتغيرات السياسية التي يشهدها الشرق الأوسط^(٢)، وتحظى بدعم غير محدود من قبل الدول الأجنبية، وبعض الدول الإسلامية^(٣). بعض المسؤولين الاقتصاديين في العالم الإسلامي^(٤)، وبعض الكتاب والعلماء

(١) انظر عبد العزيز بن سلمة، «د. القويز لـ اليمامة: ضريبة الطاقة الكربون ستلحق ضرراً كبيراً باقتصاد دول مجلس التعاون»، مجلة اليمامة العدد ١٣١١ (٢٠/١/١٤١٥ هـ): ص ٣٨.

(٢) انظر «نص» إعلان الدار البيضاء: إنشاء مجموعة اقتصادية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وغرفة تجارية إقليمية، ودعوة الخبراء الاقتصاديين إلى بحث البدائل المتاحة لإقامة بنك إقليمي»، جريدة الرياض، ٢٨/٥/١٤١٥ هـ، العدد ٩٦٢٧، ص ٣٣؛ وانظر «النص الكامل لإعلان الدار البيضاء: سلم شامل، وشراكة جديدة، وإقامة الأسس لتشجيع التجارة والاستثمار»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٨/٥/١٤١٥ هـ، العدد ٥٨١٨، ص ٣.

(٣) انظر «... بيريز يدعو إلى تحويل غزة لمعرض للتنمية الاقتصادية»، جريدة المدينة، ٢٥/٤/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٠٥، ص ٣؛ وانظر «مبادرات لتأسيس مصرف شرق أوسطي؛ لتمويل مشاريع تجارية وهيكلية، منها خط أنابيب الغاز بين مصر وإسرائيل»، جريدة الحياة، ١٤/٣/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٠٨، ص ٩؛ وانظر «وزير المالية الإسرائيلي: مؤتمر الدار البيضاء سيرسي دعائم التعاون الاقتصادي في الشرق الأوسط»، جريدة الرياض ٩/٥/١٤١٥ هـ، العدد ٩٦٠٨، ص ٢١؛ وانظر «... اجتماع خماسي اليوم في طابا يبحث سبل تنمية التعاون الاقتصادي الإقليمي»، جريدة الجزيرة، ٩/٩/١٤١٥ هـ، العدد ٨١٦٨، ص ٢٣.

(٤) انظر «... الإمارات المتحدة تدعو الدول العربية لرفض فكرة إنشاء البنك الشرق أوسطي»، المرجع السابق، ١١/١١/١٤١٥ هـ، العدد ٨٢٣٠، ص ٢٩.

المسلمين^(١) أدركوا مغزى مثل هذه الدعوات، فبادروا بالرفض والبيان لحقيقة هذه الأفكار، التي اعتبروها دعماً للاقتصاد الإسرائيلي بصفة خاصة، وبسطاً لهيمنتها على اقتصاديات العالم الإسلامي المتضرر الأول من ذلك حيث أن المحصلة النهائية، والآمال المتعلقة بهذه الأفكار تتمثل في كون هذه الفكرة تسهم في توفير التمويل اللازم لإنعاش الاقتصاد الإسرائيلي، فهذا وزير المالية الإسرائيلي يرى بأن فكرة السوق: ستحدث قفزة هائلة للاقتصاد الإسرائيلي، وستدفع بإسرائيل إلى مرحلة من الازدهار، لم تعرفها من قبل. كما تسهم في فتح الأسواق الإسلامية أمام: رأس المال الإسرائيلي، وقوة العمل الصناعية والخدمات الإسرائيلية؛ لتمكين الاقتصاد الإسرائيلي من فرض هيمنتها وسيطرته على اقتصاد دول المنطقة. كما تسهم في ربط الاقتصاد العربي بمنافذ الاقتصاد الإسرائيلي، فهذا بيريز يحدد عناصر السوق المقترح بـ: النفط العربي، اليد العاملة المصرية، المياه التركية، التكنولوجيا الإسرائيلية. ويكفي لمعرفة مغزى هذه الفكرة أنها في مصلحة إسرائيل أولاً وأخيراً، فإسرائيل في هذا الموضوع نقطة البداية والنهاية، فلو استبعدت إسرائيل من الفكرة، لتلاشت نهائياً، وما دامت صاحبة الفكرة والتأييد، فالموضوع تحت الدرس والتخطيط، وكل ذلك يتمشى في جوهره مع مقولة إسرائيل الكبرى، لكن ليس بقوة السلاح، وإنما بقوة الاقتصاد، حيث السيطرة على العالم الإسلامي، من خلال أسواقه، فبرامج إسرائيل التوسعية قد أثبتت التجارب الطبيعية السابقة، أنه لا يمكن لها النجاح تحت اسم إسرائيل؛ لذلك فهي تبحث لبرامجها عن أغطية خادعة، وشعارات مضللة، تستطيع بواسطتها تحقيق أهدافها.

إذاً فما نعيشه اليوم هو: غزو اقتصادي إسرائيلي، يمهّد لإقامة إسرائيل الكبرى على مستوى اقتصادي عالمي.

(١) انظر فهمي هويدي، «هواجس نافرة من السوق شرق الأوسطي»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٤/٥/٣ هـ، العدد ٥٤٣٨، ص ١٥؛ وانظر سوزانا طربوش، «في محاضرة ألقاها الأستاذ محمود عبد الفضيل: طبيعة المخاطر التي يواجهها العرب في مشروع الشرق الأوسط الجديد، المطروح حالياً»، جريدة الحياة، ١٤١٤/١٢/١٧ هـ، العدد ١١٤٢٣، ص ١٣.

الفرع الثاني آثار الهيمنة

هرولت وتهرول بعض البلاد الإسلامية فرادي وجماعات باتجاه الارتقاء في أحضان الأعداء، مع أن مناعتهم الاقتصادية ضد الهيمنة الاقتصادية للأعداء هشة جداً، فالإقتصاد والصناعة في العالم الإسلامي في طور النمو، كما أن وحدات الإنتاج متهالكة، وآليات النقل والتسويق متخلفة، والخدمات في مستوى ضعيف^(١)، هذا الواقع جعل لتلك الهيمنة نتائج سلبية مختلفة، وآثار جانبية متفاوتة، هي من الواضح والبيان بما لا نحتاج معه إلى مزيد بيان، وإنما أُورد أمثلة تُقرب المراد، وتفتح الأذهان، منها:

أولاً: التبعية الاقتصادية.

انظمت جميع البلاد الإسلامية إلى النظام العالمي الاقتصادي، بعد أن اكتمل نظامه، وترتبت تبعاته دون أن يكون هناك أي تأثير إسلامي على تلك الأنظمة، بل إن البلاد الإسلامية قبل أن تنظم إلى تلك التجمعات، تتعهد بقبول جميع الأنظمة والقوانين المنظمة، وتعمل على إعادة صياغة أنظمتها بما يتفق مع أنظمة الأعداء الاقتصادية؛ ليتمكنوا من التعامل معهم موجب أنظمتهم الكافرة^(٢)، والتي تفرض علاقة اقتصادية غير متكافئة، تقوم على تبعية شبه مطلقة، تظهر جلية في المؤشرات الاقتصادية المتعددة^(٣)، وتسهم إسهاماً مباشراً: في تعامل البلاد الإسلامية

(١) انظر خالد زكريا، «في ظل التكتلات الاقتصادية الدولية، والخلافات الداخلية: [١١٧] دولة تقرر إتفاقية الجات»، مجلة عالم الإقتصاد العدد ٢٥ (١٤١٤/٨/٥ هـ): ص ١٦ - ٢١؛ وانظر «مناعة الصغار ضد آثارها الجانبية هشة للغاية: «جات» الجديدة تبلور ملامح النظام الدولي»، جريدة المدينة، ١٠/٥/١٤١٤ هـ، العدد ١١٣٣٨، ص ١.

(٢) انظر عبد اللطيف المقرن، «الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) وعلاقتها بمنظمة التجارة الدولية وانعكاساتها على اقتصاديات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، مجلة التعاون العدد [٣٥] (١٤١٥/٣ هـ): ص ١٥، ٢٢؛ علي العطر، «جولة (الأورجواي) وآثارها الاقتصادية على دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي»، المرجع نفسه، ص ٢٨، ٣٣ - ٣٤، ص ٣٧.

(٣) انظر القرضاوي، الحلول المستوردة، ص ٢٠٦؛ وانظر العيسوي، قياس التبعية، ص ١٣٣ =

بالمعاملات المحرمة داخل وخارج بلادها، وفي مقدمتها التعامل الربوي الذي شاع في جميع الدول الإسلامية. وتسهم أيضاً في بعد البلاد الإسلامية عن التأثير عن القرار الاقتصادي الدولي، بل قد يصل الأمر إلى عدم السيطرة على القرار الاقتصادي داخل البلاد الإسلامية. كما تسهم في فقدان البلاد الإسلامية السيطرة على ثروتها ومنتجاتها؛ نظراً لخضوعها للأنظمة الدولية. وبالتالي فقدان الثروات الإسلامية الاستراتيجية لأي ميزة تأثيرية على الاقتصاد الدولي.

ثانياً: الركون إلى الأعداء.

من ذلك ما يحدث عندما تطرأ مشكلة اقتصادية في أحد البلاد الإسلامية، حيث المبادرة في طلب العون والدعم المادي والمعنوي من الدول والمنظمات الأجنبية، واعتبار ذلك الحل الأمثل والممكن لجميع الأزمات الاقتصادية. فهذه دراسة صادرة عن المؤسسة العربية لضمان الاستثمار، تفيد بأن أغلب اقتصاديات البلدان الإسلامية قائمة على المساعدات الخارجية من دول ومنظمات أجنبية^(١). بل قد زاد اعتماد البلاد الإسلامية على الأعداء، بأن اعتبروا ما يقدم لهم حق مكتسب يجب الحفاظ عليه، لا العمل على الاستغناء عنه^(٢).

ثالثاً: التأخر الاقتصادي.

مع أن الشعار المعلن للنظام العالمي الاقتصادي هو: القضاء على التخلف في بلدان العالم النامي، إلا أن الواقع العملي يقرر بعد تجربة طويلة: بأن ذلك النظام قد رسخ التخلف الاقتصادي عموماً، وثبت أقدامه في أغلب بلدان العالم عموماً^(٣).

= ٢٠٧؛ وانظر اتحاد الاقتصاديين العرب، المشكلات الاقتصادية المعاصرة، ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٨.

(١) انظر «القروض والمساعدات الممنوحة للدول العربية عام [١٩٩٣ م]»، (١ - ٣)...»، جريدة الحياة، ٢٩/٤ - ١٤١٥/٥/١ هـ، الأعداد ١١٥٥٢ - ١١٥٥٤، ص ١٠، ١١.

(٢) انظر «حتى لا تحذوا دول أخرى حذوها: الدول النامية: «تستجدي» واشنطن ألا تقلل المعونات الخارجية»، جريدة الرياض، ١٥/٥/١٤١٦ هـ، العدد ٩٩٦٨، ص ٢١؛ انظر فوزي الأسمر، «مبارك سمع كلاماً في واشنطن عن توجهه في الكونغرس لخفض المساعدات»، جريدة الرياض، ٧/١١/١٤١٥ هـ، العدد ٩٧٨٣، ص ٢١.

(٣) انظر محمود عبد المولى، العالم الثالث ونمو التخلف، ص ١٠٥ - ٢١٢.

والإسلامي خصوصاً. وهذا شيء من البيان لبعض أوجه وجوانب ذلك التكريس للتخلف الاقتصادي.

أ: المجال الصناعي، فمثلاً عند النظر في مثل إتفاقية الجات نجد أنها تقضي على الصناعات الوليدة المختلفة^(١) من عدة أوجه منها حماية حقوق ملكية الفكر والإبداع، والتي تشمل براءة الاختراع والعلامات التجارية، والتصاميم الصناعية، وأسرار المهنة، وحقوق الطبع، ونحوها مما يُبنى عليه النشاط الصناعي^(٢)، وهنا تساؤل: أين المخترعات الإسلامية، والابتكارات العلمية التي ستم حمايتها، لتبني عليها الصناعات الإسلامية؟ علماً بأن عملية الاستفادة من مخترعات الآخرين عن طريق التقليد، سيكون مكلف جداً، بل ربما ترفض كثير من الجهات تقليد مبتكراتها، وستقف بشدة ضد أي محاولة حول هذه النقطة، وستزداد حولها المشكلات الحقيقية والمفتعلة، بل وربما تتوقف من جراء ذلك كثير من الصناعات الموجودة في عالمنا الإسلامي اليوم، جاء في تقرير لغرفة تجارة وصناعة قطر: (غات ستؤثر سلباً على الصناعات الدوائية في العالم العربي، خصوصاً أن اتفاق حقوق الملكية الفكرية، يعطي أصحاب هذه الحقوق مجالاً أوسع، ومطالب أكبر، نظراً لأن معظم الصناعات الدوائية العربية تتم في الدول الأوروبية، وأصحاب براءات الاختراع فيها أفراد، أو شركات أجنبية لذلك من المتوقع ارتفاع تكلفة الحصول على براءات الاختراع، أو حقوق التصنيع المحلي، مما يزيد كلفة إنتاجه)^(٣). ومنها المواصفات والمقاييس، حيث وضع لأغلب الصناعات مواصفات وضوابط معينة تؤهلها للقبول دولياً، ولا شك في أن تلك المواصفات مناسبة لصناعة من وضعها، وضحتها من لم يشترك في وضعها، لذلك فأغلب تلك المواصفات تتمثل في صناعات الدول المتقدمة، بينما تجعل المسافة بين الصناعة الناشئة، وتلك المواصفات التأهيلية شاقة وطويلة. ومنها فتح الأسواق وذلك يعني فقد الصناعات الوليدة للدعم الحكومي، والحماية في عقر دارها، وترك في مواجهة تنافسية غير

(١) انظر يوسف شاكر، «مشاركون في ندوة الجات والدول النامية يعتبرون الاتفاقية ذراعاً ثالثاً للدول الصناعية»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٥/١/٢ هـ العدد ٥٦٧٤، ص ٢٧.

(٢) انظر جامعة الدول العربية، تقرير اجتماع الخبراء العرب، ص ٦، ٩.

(٣) انظر «... قطر تحذر في مؤتمر الإسكندرية من التأثير السلبي لاتفاقية غات»، جريدة الحياة، ١٤١٦/١/٣ هـ، العدد ١١٧٨٨، ص ١٠.

متكافئة مع الصناعات القائمة، مما يجعل الصناعة الناشئة في مواجهة تنافسية شديدة وغير متكافئة مع الصناعات الكبيرة ذات الخبرة والإمكانات التقنية العالية، على المستوى المحلي والعالمي^(١)، أمام ذلك كيف ستصمد الصناعات الوليدة وأغلب الصناعات القائمة تقوم على البحث والتطوير المستمر، والذي قطعت فيه الدول المتقدمة أشواطاً طويلة جعلتها في منأى عن أي منافسة قادمة، فمن أراد أن ينافس في سوقه المحلية أو الدولية على السواء، فليأت بالأفضل تطوراً، والرابح من عنده القدرة على إنتاج سلعة ذات مواصفات معينة، بتكاليف أقل من المنتجات المماثلة في الدول الأخرى.

ب: المجال الزراعي، فاتفاقية الغات تقضي برفع الدعم المادي عن المنتجات الزراعية عموماً^(٢) وفتح الأسواق أمامها، علماً بأن أغلب المنتجات الزراعية الناشئة لا يمكن لها القيام بدون دعم، مما يعني سيطرة المنتجات القائمة، وضعف المنتجات الناشئة، هذا الأمر يسهم في انخفاض الإنتاج الزراعي والغذائي، وارتفاع في أسعار المنتجات الزراعية والغذائية، وبناءً على هذه السياسة فقد انخفض الإنتاج الزراعي في العالم الإسلامي، في مقابل ارتفاع نسبة الواردات الزراعية في البلاد الإسلامية^(٣).

(١) انظر جامعة الدول العربية، مرجع سابق، ص ٤ - ٧؛ وانظر عبد اللطيف المقرن، «الاتفاقية العامة للتعرفات والتجارة (الجات)...»، مجلة التعاون العدد [٣٥] (٣/١٤١٥ هـ): ص ١٩؛ انظر علي العطر، «جولة (الأورجواي)...»، المرجع نفسه، ص ٣٧؛ وانظر عماد السويفي، «... المدينة» تفرد بنشر دراسة الجامعة العربية حول الجات والسوق الشرق أوسطية...»، جريدة المدينة، ٢٩/٨/١٤١٤ هـ، العدد ١١٢٧٢، ص ٤.

(٢) انظر جامعة الدول العربية، المرجع السابق، ص ٧؛ وانظر المقرن، «الاتفاقية العامة للتعرفات والتجارة (الجات)...»، مجلة التعاون العدد [٣٥] (٣/١٤١٥ هـ): ص ١٦ - ١٧؛ انظر العطر، «جولة (الأورجواي)...»، المرجع نفسه، ص ٢٨ - ٢٩؛ وانظر يوسف شاكر، «المنظمة العربية للتنمية الزراعية في تقرير عن نتائج «الجات»: كلفة الواردات الغذائية العربية سترتفع بحدة، نتيجة تطبيق «الجات»، وخفض الدعم عن الصادرات»، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠١٦، ص ١٢.

(٣) انظر المرجع السابق؛ وانظر عماد السويفي: «... المدينة» تفرد بنشر دراسة الجامعة العربية حول الجات والسوق الشرق أوسطية...»، جريدة المدينة، ٢٩/٨/١٤١٤ هـ، العدد ١١٢٧٢، ص ٤؛ انظر «الدول العربية تخسر من الزراعة فقط خمسة بلايين دولار: قطر تحذر»

ج: في مجال الخدمات. الخدمات في البلاد الإسلامية خدمات ناشئة وصغيرة، تفوقها خدمات الدول المتقدمة نوعية وعدداً، وهذا ما دفع بعض الدول الإسلامية إلى الاعتماد على الاستيراد، والاستفادة من خدمات الدول المتقدمة، مما أثر كثيراً على تلك الخدمات الناشئة في أغلب البلاد الإسلامية^(١).

رابعاً: الخسائر المادية.

عندما ننظر مثلاً في إتفاقية الجات كمنظمة تعنى بتحرير التجارة العالمية، وخفض الدعم الحكومي عن المنتجات، نجد أن ذلك يؤدي حتماً إلى ارتفاع تكلفة الواردات لأي بلد^(٢)، وبما أن البلاد الإسلامية بلاد تعتمد على الاستيراد في المقام الأول^(٣)؛ لذلك فقد أكدت الدراسات الدولية أن دول العالم الإسلامي من أقل الدول جنيهاً لأرباح الاتفاقيات، والتي يذهب النصيب الأكبر منها إلى الدول الأجنبية، حيث تزيد الاتفاقيات من دخل كل مواطن في الدول الغنية بمعدل: [٤٠] سنتاً أمريكياً في مقابل: [٤] سنتات لكل مواطن في الدول النامية، أما مواطني دول أفريقيا فسيخسر كل واحد منهم سنتاً أمريكياً واحداً^(٤).

في حين تتعرض الدول العربية لخسارة مباشرة تبلغ [٣] مليار دولار بسبب عدم ملاءمة نتائج جولة أوروغواي لها على المدى القصير^(٥)، يقول أسامة الكردي

= في مؤتمر الإسكندرية من التأثير السلبي لاتفاقية غات»، جريدة الحياة، ١٤١٦/١/٣ هـ، العدد ١١٧٨٨، ص ١٠.

(١) انظر جامعة الدول العربية، مرجع سابق، ص ١٠ - ١٢؛ وانظر العطر، مرجع سابق، ص ٣٧؛ وانظر السويفي، المرجع السابق.

(٢) انظر خالد زكريا، «في ظل التكتلات الاقتصادية الدولية، والخلافات الداخلية: [١١٧] دولة تقر إتفاقية الجات»، مجلة عالم الاقتصاد العدد ٢٥ (١٤١٤/٨/٢٥ هـ): ص ١٦ - ٢١؛ وانظر قضية الأسبوع، «إتفاقية التعرف والتجارة العالمية (الجات): هذا هو وقعها على اقتصادنا...!»، مجلة اليمامة العدد ١٣٠٨ (١٤١٤/١١/٢٩ هـ): ص ٢٨ - ٣٢.

(٣) انظر المصمودي، «الانعكاسات الثقافية لاتفاقية (الجات)...»، مجلة التعاون العدد [٣٥] (١٤١٥/٣ هـ): ص ٤٣.

(٤) انظر المقرن، «الاتفاقية العامة للتعرفات والتجارة (الجات)...»، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٥) انظر «محذراً من مخاطر التباطؤ في الانضمام إلى «الجات»: البنك الدولي يعطي العرب [١٠]=

الأمين العام المساعد للغرف التجارية السعودية: حجم الخسائر العربية من جراء إتفاقية الجات تبلغ: [١٤،٥] مليار سنوياً^(١)، وتقول دراسة قام بها البنك الدولي ومركز التنمية التابع لمنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي: سيصبح العالم بعد تطبيق الجات أغنى بنحو [٢١٣] مليار دولار، في حين هناك دول أخرى قد تزداد الأحوال فيها سوءاً كدولة اندونيسيا^(٢).

خامساً: تراكم الديون.

الديون نوع جديد من أنواع الاستعمار، عمل الأعداء على تسهيل الحصول عليه، وأوهموا البلاد الإسلامية بأن الاقتراض الخارجي طريق للتقدم الاقتصادي^(٣)، يقول الاقتصادي المصري الدكتور: علي الجريتلي: (. . . الديون أحد أكبر وسائل سيطرة القوى الكبرى في المستقبل؛ لأن القوى الكبرى ستسهل للدول النامية عمليات الاقتراض لكي تعطيهما الحبل الذي تخنق به نفسها في المستقبل)^(٤). اندفعت أغلب البلاد الإسلامية طمعاً في تلك التسهيلات، وأملاً في الوصول إلى التقدم الاقتصادي المأمول، فأصبحت الاستدانة، وإعادة جدولة الديون، أقصر الطرق لمواجهة الأزمات المالية^(٥). وهذا ما جعل أغلب بلاد العالم الإسلامي تعاني من

= سنوات فرصة أخيرة للانتقال من الاقتصادات «المغلقة» إلى «المفتوحة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٦/٢/٨ هـ، العدد ٦٠٦٤، ص ١١.

(١) انظر «... اليوم الأخير لمؤتمر رجال الأعمال العرب في الإسكندرية: الاستثمارات العربية البينية هبطت إلى نحو الثلث، و«الجات» تكلف الدول العربية [١٤،٥] مليار دولار سنوياً»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٦/١/٣ هـ العدد ٦٠٢٩، ص ١١.

(٢) انظر منال كرم، «[٢١٣] مليار دولار العائد السنوي للعالم: من الفائز والخاسر في إتفاقية (الجات)؟»، جريدة المدينة، ١٤١٤/٨/١ هـ، العدد ٩٧٣٤، ص ٤.

(٣) انظر هلال، تحديث التخلف، ص ٥١؛ وانظر حرك، مديونية العالم الإسلامي، ص ٢١٨ - ٣١١؛ وانظر مورلايه، وآخرين، أمريكا وصناعة الجوع، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٤) (. . .) (جريدة الأهرام، ١٤/مايو/١٩٩٠م) (. . .) أبو العلا، جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢١٣.

(٥) انظر صلاح حزين، «... الحكومة الأردنية تسعى للحصول على معونات لمواجهة عجز موازنة (١٩٩٥)»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٧/٨ هـ، العدد ١١٦١٩، ص ٩؛ وانظر «ديون

الجزائر الخارجية ٤، ٢٩ بليون دولار»، المرجع نفسه، ١٤١٦/٢/١٩ هـ، العدد ١١٨٣٤، ص ١٠.

تراكم الديون الخارجية، حيث بلغ إجمالي ديون البلاد الإسلامية في عام [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٦ هـ - ١٤١٣/٧ هـ]، حوالي: [٤٠٢٦٢٤] مليون دولار^(١)، بنسبة [٧٩،٥٪] من إجمالي الناتج المحلي^(٢).

هذه الديون في ازدياد مضطرد، ما بين استئدانة جديدة، أو إعادة جدولة تثقل الدين، وتزيد عليه الفوائد^(٣)، مما أعاق الكثير من محاولات التقدم الاقتصادي.

سادساً: إشاعة الفقر والبطالة في بلدان العالم الإسلامي.

ازدادت الأعباء في أغلب البلاد الإسلامية، فظهر الفقر المرهق على مستوى الفرد والدولة، حتى عدَّ أغلب أفراد الأمة الأقل دخلاً بين أفراد العالم، وأغلب الدول الإسلامية الأكثر فقراً بين الدول^(٤). كما أسهمت تلك الهيمنة في زيادة معدلات البطالة؛ فمثل إتفاقيه الجات تؤثر سلباً على الإنتاج الصناعي والزراعي في البلاد الإسلامية، وهذا بدوره ينعكس على زيادة في معدلات البطالة، نتيجة الاستغناء عن أعداد كبيرة من العمال^(٥).

تلك هي الأبرز بين الآثار المتعددة لهيمنة الأعداء، والتي تسهم بشكل كبير في التأخر المادي للأمة هذا التأخر الذي يشكل عائقاً في طريق الجهاد.

(١) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) انظر مورلابيه، وآخرين، أمريكا وصناعة الجوع، ص ٢٢٦ - ٢٢٧؛ وانظر المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، [١٤١٥/١٢ هـ]، ص ٥٣ - ٦٠؛ وانظر البنك الإسلامي للتنمية، التقرير السنوي [١٤١٤ هـ]، ص ٣٤٦ - ٣٤٧؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [٩/١٩٩٤ م]، ص ٣٣٢ - ٣٤١.

(٤) انظر المطلب الأول من المبحث الأول في الفصل الثاني من هذا الباب.

(٥) انظر عماد السويفي، «... المدينة» تنفرد بنشر دراسة الجامعة العربية حول الجات والسوق الشرق أوسطية...»، جريدة المدينة، ٢٩/٨/١٤١٤ هـ، العدد ١١٢٧٢، ص ٤.

المطلب الثاني التقويم

الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعيش في معزل عن الأمم الأخرى، فرسالتها الخالدة تفرض عليها أوجه متعددة من المخالطة والمعاملة مع أفراد تلك الأمم؛ لذلك جاء الإسلام بمناهج تعاملية متعددة، تُنظّم تلك المعاملات وفق نوعيتها وتوافقها مع الرسالة السامية للأمة، ومن تلك المعاملات: التعامل الاقتصادي مع الكفار، حيث جاءت التوجيهات الإلهية مبينة الطريق، وموضحة المنهج الذي يجب اتباعه، ومن ذلك:

أولاً: مشروعية التعامل .

الأصل في المعاملة الاقتصادية الحل، قال تعالى: ﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾^(١)، هذه المعاملة لم تقيد بأشخاص معينين، ولا بجهات محددة، يقول عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌ طَوِيلٌ بِنَعْمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ ﷺ: ((بِيعَا أُمَّ عَطِيَّةَ - أَوْ قَالَ: أُمَّ هَبَةَ -))، فقال: لا، يبيع. فاشترى منه شاة^(٢))، وفي ذلك بيان لجواز البيع والشراء من الكفار، وإقرار ملكهم على ما في حوزتهم^(٣)، يقول الكاساني رحمه الله تعالى: (إسلام البائع، ليس بشرط لانعقاد البيع، ولا لنفاذه، ولا لصحته بالإجماع، فيجوز بيع

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ٩٩.

(٣) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٩ ص ٢٧٥؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٤ ص ٤٧٩، ج ٥ ص ١٦٨؛ وانظر الشوكاني محمد، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار، الطبعة الأولى، ج ٥ ص ٣٥٢.

الكافر وشراؤه^(١). بل إن التعامل مع أهل الحرب مشروع؛ لذلك بوب البخاري في صحيحه باباً تحت عنوان: (باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب)^(٢).

ثانياً: ضوابط التعامل .

للتعامل الاقتصادي مع الكفار ضوابط جامعة، وحدود مانعة، من أبرزها:
أ: التعامل الشرعي، من خلال الالتزام بالتعامل وفق أحكام الشريعة الإسلامية، وعدم الاعتبار بأنظمتهم وقوانينهم الكافرة، أو الاعتداد بها، يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى عن الاتجار إلى أرض الحرب: (لا يخرج إلى بلادهم حيث تجري أحكام الشرك عليه)^(٣)، ويقول ابن حزم رحمه الله تعالى: (لا تحل التجارة إلى أرض الحرب، إذا كانت أحكامهم تجري على التجار)^(٤).

ب: انفراد الكافر بالمعاملة، حيث يجب أن يتولى المسلم الإشراف المباشر على الأنشطة الاقتصادية المختلفة، لئلا ينفرد الكافر بالمعاملة فيتعامل بسلعة محرمة، أو بطريقة محرمة^(٥)، يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (يشارك اليهودي والنصراني، ولكن لا يخلو اليهودي والنصراني بالمال دونه، ويكون هو الذي يليه لأنه يعمل بالربا، وبهذا قال الحسن والثوري)^(٦).

ج: حدّ المنفعة، تحُدّ منفعة الكافر من جراء التعامل الاقتصادي مع المسلمين بحدود، من أبرزها:

١ - ترتب ضرر على أحد أفراد الأمة الإسلامية، انطلاقاً من القاعدة الشرعية في التعامل الاقتصادي والمتمثلة في قوله ﷺ: ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ))^(٧)، فالمعاملة التي يتضرر منها الفرد أو المجتمع المسلم محرمة شرعاً، سواء كان ذلك الضرر ضرراً

(١) بدائع الصنائع، ج ٥ ص ١٣٥ .

(٢) مصدر سابق .

(٣) المدونة الكبرى، ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٤) المحلي، ج ٧ ص ٥٧٠ .

(٥) المغني، ج ٥ ص ٣ - ٤ .

(٦) انظر المصدر السابق، ص ٣ .

(٧) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩٨٩٩].

اقتصادياً، كما في منافسة الصناعة الكافرة للصناعة المسلمة، أو دينياً كما في انجرار المسلم للوقوع في الإثم من جراء تلك المعاملة، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الطعام واللباس الذي يباعونه و^(*) في عيدهم، ليس محرماً في نفسه، وإنما الأعمال التي يعملونها به، لما كانت شعار الكفر، نهي عنها المسلم؛ لما فيها من مفسدة انجراره إلى بعض فروع الكفر، فأما الكافر: فهي لا تزيده من الفساد أكثر مما فيه؛ لأن نفس حقيقة الكفر قائمة به)^(١).

٢ - الاستعانة بالمعاملة على المعصية، فقد حرم الإسلام التعامل الاقتصادي المفضي إلى الإعانة على المعاصي، كبيع العنب لمن يُعلم أنه يتخذة خمراً، أو لمن هو مظنة ذلك^(٢)، يقول ﷺ: ((لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ وَأَكْلَ ثَمَنِهَا))^(٣)، ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فأما بيع المسلمين لهم في أعيادهم، وما يستعينون به على عيدهم، من الطعام، واللباس، والريحان ونحو ذلك، أو إهداء ذلك لهم، فهذا فيه نوع إعانة على إقامة عيدهم المحرم، وهو مبني على أصل، وهو: أن بيع الكفار عنباً، أو عصيراً يتخذونه خمراً، لا يجوز)^(٤).

٣ - إسهام المعاملة في تعظيم شعائر الكفار، ويدخل في ذلك كل تعامل يسهم في تعظيم، أو إقامة شعيرة من الشعائر الدينية للكفار، أو دعمها مادياً^(٥)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فإن كان ما يبتاعونه يفعلون به نفس المحرم: مثل صليب، أو شعانين، أو معمودية، أو تبخير، أو ذبح لغير الله، أو صورة ونحو ذلك، فهذا لا ريب في تحريمه)^(٦)، وسئل ابن القاسم رحمه الله تعالى عن شراء المسلم للمال النصراني الذي يعود ريعه على الكنيسة، فقال: (لا يحل ذلك له؛ لأنه تعظيم

(*) الواو هنا قد تكون زيادة مطبعية.

(١) اقتضاء الصراط، ج ٢ ص ٥٥١.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٥٢٠، ٥٢١، ٥٣٠، ٥٤٩ - ٥٥٠؛ وانظر الفتاوى، ج ٢٩ ص

٢٣٦؛ وانظر ابن قدامة، مصدر سابق، ج ٤ ص ٢٤٥؛ وانظر ابن مفلح محمد، كتاب

الفروع، الطبعة الثالثة، ج ٤ ص ٤٢؛ وانظر الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٥ ص ٢٥٢.

(٣) حديث صحيح. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٧٢٥٣].

(٤) اقتضاء الصراط، ج ٢ ص ٥٢٠.

(٥) انظر المصدر السابق، ص ٥٢٣ - ٥٢٥، ٥٤٢ - ٥٤٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٥٥٠.

لشعائرهم وشرائعهم، ومشتريه مُسْلِمِ سُوءٍ^(١).

٤ - جلب القوة والمنع. يتفق علماء الإسلام على عدم جواز بيع الكفار شيئاً يسهم في بناء قوتهم العسكرية^(٢)، يقول ابن رشد رحمه الله: (لا يجوز أن يباعوا شيئاً مما يستعينون به في حروبهم، من كراع، أو سلاح، أو حديد، ولا شيئاً مما يرهبون به على المسلمين في قتالهم، مثل الرايات، وما يلبسون في حروبهم من الثياب فيباهون بها على المسلمين، وكذلك النحاس؛ لأنهم يعملون منه الطبول فيرهبون بها على المسلمين، ولا يجوز أن يباع منهم العبد النصراني؛ لأنه يكون دليلاً على المسلمين وعورة عليهم)^(٣)، ويقول ابن بطال رحمه الله: (معاملة الكفار جائزة، إلا بيع ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين)^(٤)، ويقول ابن تيمية رحمه الله عن معاملة التتار: (فأما إن باعهم، وباع غيرهم ما يعينهم به على المحرمات، كالخيل، والسلاح، لمن يقاتل به قتلاً محرماً، فهذا لا يجوز)^(٥).

ثالثاً - متطلبات التعامل.

للتعامل مع الكفار مخاطر جمة، هي من البداهة بما لا نحتاج معه إلى بيان، فيكفي أنها معاملة مع عدو لا يُضمَرُ وداً بأي حال، قال تعالى: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾^(٦)؛ لذا فإن للتعامل الاقتصادي مع الكفار عوامل تسهم في تحقيق المعاملة الاقتصادية لهدفها، دون دخول أي وجه من أوجه الهيمنة التي قد تحدثها المعاملة، كما أنها متطلبات ضرورية لمواجهة جهد الأعداء، ومحاولاتهم في بسط هيمنتهم الاقتصادية، ومن ذلك:

أ: معرفة النفس، لا بد للأمة أن تدرك دورها في هذه الحياة، والغاية السامية

(١) المصدر السابق، ص ٥٢٣.

(٢) انظر مالك بن أنس، المدونة الكبرى، ج ٣ ص ٢٩٤؛ وانظر المصدر السابق، ص ٥٢٠.

(٣) مقدمات ابن رشد، المدونة الكبرى للإمام مالك، ج ٥ ص ٤٦٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج ٤ ص ٤٧٨ - ٤٧٩.

(٥) المغني، ج ٢٩ ص ٢٧١.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

المناطة بها، فهي أمة أكرمها الله بالخيرية، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾^(١)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة؛ لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة. والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض، ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إنما ينبغي دائماً أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائماً ما تعطيه... واجبها أن تكون في الطليعة دائماً، وفي مركز القيادة دائماً)^(٢)، هذه المعرفة تعبيء النفس، وتزيدها ثقة وثبات على المبادئ، وتحفز المسلم على العمل على تحرير نفسه من ذلّ التعامل مع الكفار، وتدعوه إلى الاستقلالية التامة عن غير المسلمين.

ب: الكشف عن القدرات الحقيقية للأمة، فمعرفة إمكانات وقدرات الأمة المادية المختلفة، عامل يسهم في توسيع آفاق ودائرة التعامل الاقتصادي بين أفراد الأمة، ويحد كثيراً من الاندفاع باتجاه التعامل مع الكفار.

ج: التكافل الاقتصادي، هذا المبدأ الإسلامي الذي يضمن لأحاد وجماعات الأمة الإسلامية على اختلاف أجناسهم، وألوانهم، وأوطانهم، ولغاتهم، أمناً اقتصادياً في يومهم وغدهم، في رخائهم وشدتهم، أمناً يجعل صاحب الحاجة منهم في بُعد عن التعامل الاضطراري مع الكفار، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾^(٣)، ويقول ﷺ: ((مثلُ المؤمنينَ في توادِّهِمْ وتراحمِهِمْ وتعاطفِهِمْ، مثلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمى))^(٤). إن التكافل الاقتصادي بين أفراد الأمة وجماعاتها، يجعل الأمة تستشعر ببعضها البعض، فيُدفع الضرر عن المتضررين، وتُسد حاجة المحتاجين، وهذا بدوره يسهم في وقاية المجتمع الإسلامي عموماً من المشكلات الاقتصادية التي تجعله يلجأ إلى الاستدانة، ومد يد الحاجة وطلب المعونة من الكفار، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٢) في ظلال القرآن، ج ١ ص ٤٤١.

(٣) سورة الحشر، الآية ٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٧.

وَأَمَلَيْتِكُمْ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ . . . ﴿١﴾ .

لقد كان السلف الصالح يتعدون في معاملتهم الاقتصادية عن ما يُرعب المسلم، ويعملون على إيقاع الرعب بالكفار، فقد كان ابن عوف لا يُكري داره إلا من أهل الذمة؛ لأنه يرى في طلب الكراء إرعاب للمستكري، فكان يصرف إرعاب المطالبة بالكراء عن المسلم، ويعمل على إنزاله بالكفار^(٢).

د: التكامل الاقتصادي. أحد أوجه وحدة الصف بين أفراد وجماعات الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾^(٣)، هذا التكامل الذي يجب أن يكون دون وساطة كافرة، يتم على درجات متفاوتة، يبنى بعضها على بعض^(٤)، على النحو التالي:

١ - التعاون، فقد يمر أحد أفراد الأمة، أو جماعاتها، بموقف طارىء، يحتاج فيه إلى من يسانده، ويمد له يد العون والمساعدة، فبدلاً من أن يلجأ إلى الكفار، يلجأ إلى إخوانه في الدين، قال تعالى: ﴿ . . . وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . . . ﴾^(٥)، وقال ﷺ: ((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . . .))^(٦)، فالتكامل هنا يكون لفترة معينة، ولغاية محددة، ينتهي التعاون بنهايتها.

٢ - التنسيق، من باب النصيحة، والإدلال إلى الخير، يتم تنسيق المواقف، وإسداء الرشد حول معاملة أو مشروع معين، فهو هنا عمل يصاحبه قدر كبير من التعاون، كما في الدراسات والاستشارات العلمية للمشاريع، وتنسيق المواقف حول

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٢) انظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط، ج ٢ ص ٥٢٦ - ٥٢٧، ٥٣١ - ٥٣٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(٤) يوسف حلباوي، الصناعة والتكامل الاقتصادي العربي، الطبعة الأولى، ص ١٥٧، ٢٠٧ - ٢٠٩.

(٥) سورة المائدة، الآية ٢.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ١١.

القضايا الاقتصادية العامة، والمشاريع الاقتصادية الناشئة بحيث لا تتعارض المواقف، ولا تتباين الأساليب والوسائل الإنتاجية، يقول محمد الفنجري: (يتطلب الأمر عند وضع خطط التنمية، التنسيق بين إمكانيات كل بلد عربي، أو إسلامي، بحيث يكمل كل منهما الآخر، وهو ما يحقق أكبر استفادة من إمكانيات كل دولة عربية، أو إسلامية، دون فاقد أو ضائع)^(١).

٣- الوحدة، وتلك أعلى درجات التكامل، حيث وحدة السياسة الاقتصادية الإسلامية، والتي تتم من خلال وضع سياسة اقتصادية شاملة، تحقق مصلحة البلد الإسلامي المنظم بدءاً، وتنتهي بتحقيق مصلحة الأمة الإسلامية عموماً، فلا تتعارض تلك السياسة مع مصلحة بلد آخر، ترتفع فيها الغاية من الكسب المادي الخاص، إلى المصلحة العامة للأمة^(٢).

بوساطة هذا التكامل الاقتصادي بين البلاد الإسلامية^(٣)، يتم التعامل مع الأزمات الاقتصادية الطارئة التي قد تتعرض لها البلاد الإسلامية، يقول أبو العلاء: (. . . لو أحسن المسلمون استغلال هذه الثروات وتقاربت، بل وتعاونت الجماعات الإسلامية مع بعضها البعض في مختلف دول العالم الإسلامي، فإن الوضع الاقتصادي البائس سيتغير إلى الأحسن، وسيعيش المسلمون حياة ازدهار ورفاه)^(٤).

كما يتم التعامل من خلال التكامل مع المنظمات الاقتصادية الدولية، والتي تفقد تأثيرها الفاعل عند المواجهة الجماعية^(٥)، فبدلاً من أن تتعامل البلاد الإسلامية فرادى وفق إمكانيات محدودة، وقدرات ضعيفة، تجعلها أقل تأثيراً، وأكثر ضرراً، تتعامل كجماعة واحدة، يقوي بعضها بعضاً في مواجهة التوجهات الكافرة، يقول حلباوي: (إن التكامل أيضاً يتجاوب مع روح العصر الحديث، عصر التكتلات والتحالفات، حيث تتجه الدول المختلفة بحكم الانتماء الإقليمي والجغرافي، أو

(١) المذهب الاقتصادي في الإسلام، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) انظر يسري، الاقتصاد الدولي، ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٣) انظر الفنجري، المذهب الاقتصادي، ص ١٣٥ - ١٣٨.

(٤) جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢٠١.

(٥) انظر المقرن، «الانفاقية العامة للتعرفات والتجارة (الجات) . . .»، مجلة التعاون العدد [٣٥]

(٣/١٤١٥ هـ): ص ١٨.

الترابط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، إلى الاندماج والتكتل والتحالف؛ لمواجهة مشاكلها، والدفاع عن حقوقها، وتوصيل كلمتها إلى المجتمع الدولي. ناهيك عن توطيد استقلالها، وتعزيز مكانتها الدولية عن طريق تحركها ضمن تجمع موحد وواسع وقوي، وتستند إليه لتثبيت مركزها إزاء الدول العملاقة، التي تحاول دوماً التوسع والسيطرة، على حساب غيرها من التجمعات والدويلات الصغيرة^(١).

بهذا المنهج الإسلامي تتحرر الأمة الإسلامية من الهيمنة الاقتصادية للأعداء، وتمارس دورها الاقتصادي العالمي باستقلالية تامة، مما يعني تسخير القدرات الاقتصادية لخدمة غايات الأمة، وتحقيق أهدافها، وبالتالي تسهم تلك الاستقلالية إسهاماً مؤثراً في رفع راية الجهاد، وإعداد عدة المجاهدين.

(١) الصناعة والتكامل، ص ٢٠٨.

الفصل الثاني في مجال الإعداد والقوة.

- المبحث الأول: التخلف الصناعي.
- المبحث الثاني: الخلل في التدريب.
- المبحث الثالث: القوة العسكرية للأعداء.

المبحث الأول التخلف الصناعي.

مدخل :

تسود عالم اليوم نهضة صناعية كبرى، يُعتمد عليها في توفير متطلبات الحياة المختلفة، بدءاً بالغذاء ومروراً بالدواء، وانتهاءً بالسلاح، وهذا يعني أن الصناعة تدخلت في إعداد جميع مستلزمات الحياة وتجهيزاتها، وعليها قوام تلك المستلزمات.

وفي هذا المبحث أبين كيف أصبح التخلف الصناعي أحد معوقات الجهاد، وذلك في عدة مطالب :

المطلب الأول التحليل

في هذا المطلب بيان لبعض المظاهر الشائعة في عالمنا الإسلامي، والتي تبين لنا مدى التخلف الصناعي الذي تعاني منه الأمة، وذلك في ثلاثة فروع:

الفرع الأول مفهوم التخلف الصناعي

أولاً: التَّخَلُّفُ.

أ: لغة: الخَلْفُ: ضِدُّ قُدَامٍ. ويعني ما جاء من بعد، متخلفاً عن الأول. والتَّخَلُّفُ: التَّأخُّرُ^(١)، وهذا يعني أن التخلف ناتج عن تأخر في الحركة والتقدم، لا ضعف في الأصل الذي يستدعي التقدم.

ب: اصطلاحاً: المعنى الاصطلاحي ينطلق من المعنى اللغوي السابق، فَالتَّخَلُّفُ يعني: وجود بطء في الحركة الطبيعية، ليس بسبب الضعف في المكونات الرئيسة، ففي علم النفس يطلق اصطلاح التخلفُ على: (بطء في النمو العقلي للطفل، حين يقل الذكاء عن حدِّ السواء، دون أن يوصف الطفل بأنه ضعيف)^(٢)، وفي الاقتصاد يطلق التخلف على التأخر الذي يحدث نتيجة فعل فاعل، وليس بسبب نقص في إمكانيات أو قدرات، فمن التعريفات الاصطلاحية المتعددة^(٣): القول بأن

(١) انظر الرازي، مختار الصحاح، «خلف»؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب، «خلف».

(٢) أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «خلف».

(٣) انظر عمرو محيي الدين، التخلف والتنمية، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر)، =

التَّخْلُفُ هو: (قصور ذاتي، أو مفروض على هذه القدرة الإنتاجية الذاتية، أو مفروض من قوى خارجية)^(١). وكذا القول بأن التَّخْلُفُ هو: (عدم الاستغلال الكامل للموارد المتاحة)^(٢).

وهناك تعريفات أخرى متباينة مع ما ذكر، لكنها تتفق على أن التعريف الاصطلاحي للتَّخْلُفُ لا بد أن: (يتضمن بالضرورة تواجد إمكانات النمو)^(٣).

ثانياً: الصَّنَاعَةُ:

أ: لغة: مصدرها الصنع، وهي: ما تَسْتَصْنَعُ من أمرٍ، وتطلق على: حرفة الصانع. والصَّنَعَةُ: عمل الصانع تقول: رجل صَنِيعُ اليدين، أي: صانعٌ حاذقٌ، وامرأةٌ صَنَاعُ اليد، أي: حاذقةٌ ماهرةٌ بعمل اليدين^(٤) إذاً فالصناعة عمل قصدي، لا ينسب إلى الحيوان أو الجماد، يبنى على التمكن والتدرب الذي يجعلها مَلَكَةً، يستطيع بها المرء تحصيل غرض من الأغراض^(٥).

ب: اصطلاحاً: هي نتيجة جهد مبذول، لأنشطة متعددة، تتفق في الحركة الظاهرة، وتختلف في المادة والتركيب، يقول ابن خلدون رحمه الله تعالى: (هي مَلَكةٌ في أمرٍ عمليٍّ فكريٍّ)^(٦)، ويقول شاعر: (الصناعة: تحويل موادٍ خامٍ جامدة، إلى أغراض وأدوات تُقدم خدمةً خاصةً صالحةً للاستعمال، بواسطة عمل معين تقوم به، فالصناعة إذاً نوع من النشاط البشري، له مظاهره المتعددة)^(٧).

= ص ٢٩ - ٣٢؛ وانظر محمود عبد المولى، العالم الثالث ونمو التخلف، الطبعة الثانية، ص ٣٦ - ٤٣، ٥١ - ٥٤، ٦٦ - ٦٧، ٧١؛ وانظر محمد فايز عبد أسعيد، مشاكل التنمية في العالم الثالث، الطبعة الأولى، ص ٢٧ - ٤٢.

(١) انظر المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣١؛ وانظر محيي الدين، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٣) المرجع السابق، وانظر أسعيد، المرجع السابق.

(٤) انظر ابن منظور، مصدر سابق، «صنع»؛ وانظر أبا البقاء، الكلبيات، ص ٥٤٤.

(٥) انظر المصادر السابقة.

(٦) المقدمة، ص ٣٩٩.

(٧) اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ٢٥٧.

الفرع الثاني

مظاهر التخلف الصناعي

تعاني الأمة الإسلامية من تأخر في المجالات الصناعية المختلفة، وتبرز هذه المعاناة عند النظر بتمعن في بعض المظاهر المتفشية، والتي من أبرزها:

أولاً: الضعف الاقتصادي العام.

تحديد مدى قوة الاقتصاد وضعفه، تحكمه عدة معايير دولية ومقاييس، من أبرزها:

أ: الناتج المحلي: فبلدان العالم الإسلامي تصنف ضمن أقل وأضعف بلدان العالم في إنتاجها المحلي عموماً، والصناعي خصوصاً، حيث بلغ معدل الإنتاج السنوي الإجمالي في الدول الإسلامية في عام [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٦ - ١٤١٣/٧ هـ] حوالي: [٢٤٥١٢] مليون دولار، في مقابل [٨٥٤١٨٨] مليون دولار في الدول الصناعية^(١)، وهنا يبرز الفارق الكبير والكبير جداً بين مستوى الإنتاج في العالمين.

كما أن نسبة متوسط النمو السنوي للناتج المحلي في البلاد الإسلامية هي الأضعف أيضاً بين بلدان العالم، فما بين أعوام [١٩٨٠ - ١٩٩٢ م - الموافق ١٤٠٠/٣ - ١٤١٣/٧ هـ] بلغ معدل النمو السنوي للناتج المحلي الإجمالي الإسلامي: [٨،٢٪]، في حين بلغ معدل النمو السنوي للناتج المحلي الإجمالي في الدول الصناعية: [٥،٢٪]^(٢).

هذه النسب التنموية تظهر التفوق الرقمي للبلاد الإسلامية، إلا أن الهوة بين الرقمين واسعة جداً فالمعدل في البلاد الإسلامية يجب أن ينظر له على أنه في بلاد ذات مستوى اقتصادي منخفض، فهي بلاد نامية ومتخلفة صناعياً، يفترض في هذا

(١) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ١٩٨ - ١٩٩؛ وانظر صندوق النقد الدولي، آفاق الاقتصاد العالمي، مايو [١٩٩٥ م]، ص ١٤١ - ١٤٤؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٤ م]، ص ٢٢٨، ٢٣٠.

(٢) انظر البنك الدولي، المرجع السابق، ص ١٩٦ - ١٩٧.

الرقم أن يكون مضاعفاً؛ لتتمكن البلاد الإسلامية من اللحاق بتلك الدول المتقدمة صناعياً.

إذاً فدلالة هذا الرقم تقول بأن البلاد الإسلامية تسير ببطء شديد، في مراحل أولية تجاوزها أسهل بكثير من تجاوز المراحل القادمة. أما الرقم في البلاد الصناعية، فينظر له من خلال المستوى الصناعي الاقتصادي في تلك البلاد، حيث يعطي مدلولاً على استمرارية سير تلك البلاد بخطى تطويرية مناسبة محققة بذلك المحافظة على تقدمها الصناعي.

ب: الدخل الإجمالي للفرد، فدخل الفرد في عالمنا الإسلامي الأقل بين دول العالم، حيث بلغ معدل متوسط نصيب الفرد السنوي من إجمالي الناتج المحلي في البلاد الإسلامية في عام [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٦ - ١٤١٣/٧ هـ -] حوالي: [١٩١٥] دولار، في مقابل [٢٠٣٢٢] دولار متوسط نصيب الفرد في الدول الصناعية^(١). وبناء على التصنيف الدولي الذي يعتمد على نسبة دخل الفرد في تحديد مستوى الاقتصاد^(٢)، فإن أكثر من [٤٥٪] من دول العالم الإسلامي ذات اقتصاد منخفض، أما البقية فذات اقتصاد متوسط^(٣).

ج: نسبة التضخم، حيث تصنف بلدان العالم الإسلامي ضمن الدول الأعلى في نسبة التضخم^(٤) ففي عام [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٦ - ١٤١٣/٧ هـ -]، بلغ معدل التضخم في البلاد الإسلامية حوالي: [١٤،٨٪]، في مقابل [٦،٣٪] في الدول الصناعية^(٥).

وفق هذه المقاييس والمعايير الاقتصادية الدولية المعاصرة، صنفت دول العالم

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٩ - ١٠، ١٨٩.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٩٤ - ١٩٥؛ وانظر صندوق النقد، آفاق الاقتصاد العالمي، مايو [١٩٩٥ م]، ص ١٢٨ - ١٣١.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ١٤٦؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٤ م]، ص ٢١٣؛ وانظر مركز الدراسات السياسية، التقرير الاستراتيجي العربي [١٩٩٢ م]، ص ١٧٣؛ وانظر رمزي زكي وآخرين، التضخم في العالم العربي، بحوث ومناقشات اجتماع خبراء عقد بالكويت [١٦ - ١٨ مارس ١٩٨٥ م]، الطبعة الأولى، ص ١١٢ - ١٢٨.

(٥) انظر البنك الدولي، مرجع سابق، ص ١٩٤ - ١٩٥.

إلى بلدان صناعية، نظم بعض الدول الأجنبية^(١)، والتي يقوم اقتصادها على المنتجات الصناعية، وهذه المجموعة لا تنظم أي بلد إسلامي^(٢). وبلدان نامية، نظم جميع الدول الإسلامية، وفق تصنيف مفصل، فمنها بلدان ذات اقتصاد متوسط، وهي البلدان التي يقوم اقتصادها على: تصدير الوقود، والمواد الأولية الزراعية والمعدنية ومنتجاتها^(٣). وبلدان تعد أقل بلدان العالم نمواً، وهذه المجموعة نظم أكثر من [٣٥٪] من بلدان العالم الإسلامي^(٤)، حيث تصنف اقتصادياً من أقل بلدان العالم نمواً^(٥).

هذه المعايير وغيرها مؤشرات وأدلة على ضعف المستوى الاقتصادي في البلاد الإسلامية، يقول عبد الحميد أبو سليمان: (القضية الكلية التي يجب ألا نغفلها... هي أن العالم الإسلامي من ناحية الإنجاز المادي الحضاري، ومعركة القوة، هو عالم متخلف، فليس لأحد من الأطراف التي قادت وتقدود ثقافياً منذ مطلع القرن أن يدعي أنه خير من سواه في هذا المجال)^(٦)، ويقول أبو العلاء: (الغالبية العظمى من دول العالم الإسلامي بعامه، وفي أفريقية بخاصة، تعاني قسوة الحياة، وتعيش شعوبها في مستوى الكفاف، يرهقها التخلف الاقتصادي، والديون الضخمة، التي يلتهم سداد خدماتهم قيمة كل صادراتها، وبهذا تعوق التنمية الاقتصادية فيها، وليس أمامها إلا أن تنهار اقتصادياً، أو يأذن الله سبحانه وتعالى بمعجزة تنقذ هذه الدول الإسلامية البائسة)^(٧).

(١) هي: استراليا، النمسا، بلجيكا، كندا، الدانمارك، فنلندا، فرنسا، ألمانيا، اليونان، أيسلندا، إيرلندا، إيطاليا، اليابان، لوكسمبورج، هولندا، نيوزيلندا، النرويج، البرتغال، أسبانيا، السويد، سويسرا، بريطانيا، أمريكا. انظر صندوق النقد، مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٢٨ - ١٣٢.

(٤) هي: أفغانستان، أوغندا، بنغلادش، بنين، بوركينا فاسو، تشاد، جزر القمر، جيبوتي، السودان، سيراليون، الصومال، غامبيا، غينيا، غينيا بيساو، مالي، موريتانيا، موزمبيق، النيجر، اليمن. انظر الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، أقل البلدان نمواً، تقرير [١٩٩٣ - ١٩٩٤م]، ص ١١؛ وانظر صندوق النقد، آفاق الاقتصاد العالمي، مايو [١٩٩٥م]، ص ١٣٢.

(٥) انظر المرجع السابق.

(٦) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ١٠٧.

(٧) جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢٣٩.

ثانياً: قلة الإنتاج المحلي الصناعي .

ناتج الصناعة في بلاد العالم الإسلامي ضعيف جداً^(١)، ففي عام [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٦ - ١٤١٣/٧ هـ -] بلغ معدل إنتاج الصناعة الاستخراجية في البلاد الإسلامية حوالي [٦٨٦٣] مليون دولار، أي بنسبة: [٢٨٪] من إجمالي الناتج المحلي، كما بلغ معدل إنتاج الصناعة التحويلية حوالي: [٣٣٣٣] مليون دولار من إجمالي الناتج المحلي، أي بنسبة: [١٣،٦٪]، بينما بلغ معدل إنتاج الصناعة في الدول الصناعية حوالي: [٢٦٣٠٨٩] مليون دولار، أي بنسبة: [٣٠،٨٪]، كما بلغ معدل إنتاج الصناعة التحويلة حوالي: [١٥٨٨٧٨] مليون دولار، أي بنسبة: [١٨،٦٪]^(٢).

في حين بلغ معدل نصيب الفرد المسلم من الإنتاج الصناعي الاستخراجي حوالي: [٥٣٦] دولار في السنة، ومن الصناعة التحويلية مبلغ يقدر بـ: [٢٦٠] دولار سنوياً، في مقابل نصيب سنوي للفرد في البلاد الصناعية يصل إلى: [٦٢٥٩] دولار من إجمالي إنتاج الصناعة، أما الصناعة التحويلية فتسهم بحوالي: [٣٧٧٩] دولار في السنة^(٣).

كل ذلك يعطي مؤشرات متعددة، ومدلولات قاطعة على ما تعانيه الأمة من تخلف صناعي، وتأخر تنموي في هذا المجال، حيث بلغ معدل نمو الناتج السنوي للصناعة الاستخراجية في البلاد الإسلامية ما بين أعوام [١٩٨٠ - ١٩٩٢ م - الموافق ١٤٠٠/٣ - ١٤١٣/٧ هـ -] حوالي: [٣٪]، والصناعة التحويلية: [٦،٤٪]، في مقابل نمو للصناعة في البلاد الصناعية بنسبة: [٢،٤٪]، وللصناعة التحويلية

(١) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ص ١٩٨ - ١٩٩؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٤م]، ص ٤٥، ٢٥٢، ٢٥٤ - ٢٥٥، ٢٥٧؛ وانظر جامعة الإمام، بحوث المؤتمر الجغرافي، ج ٢ ص ٥٩٤ - ٥٩٥؛ وانظر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، النفط والتنمية العربية في عقد التسعينات [١٩٩٣م]، ص ١٧٦ - ١٧٨، ١٩٢؛ وانظر علي أحمد عتيقة، رأفت شفيق بسادة، النفط والتنمية العربية في عقد التسعينات [١٩٩٣م]، ص ١٧٦ - ١٧٨، ١٩٢؛ وانظر علي أحمد عتيقة، رأفت شفيق بسادة، النفط والتنمية الصناعية في الوطن العربي، الطبعة الأولى، ص ٧١.

(٢) انظر البنك الدولي، المرجع السابق.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٩٤ - ١٩٥، ١٩٨ - ١٩٩.

بنسبة: [٢٪] (١)، هذه الأرقام ينظر لها من خلال المستوى الاقتصادي العام، والتقدم الصناعي، حيث تتضح الفجوة الهائلة بين الإنتاج في العالم الإسلامي والعالم الصناعي.

وعند إجراء مقارنة مع إحدى الدول الصناعية نجد أنها تنتج أفضل بكثير من إنتاج البلاد الإسلامية مجتمعة، رغم تميز البلاد الإسلامية في وفرة المواد الأولية والبشرية، وهذا ما تؤكدته المؤتمرات والدراسات العلمية الصادرة حديثاً (٢).

ثالثاً: ندرة الصناعات المؤثرة ذات الهدف الحيوي في بلدان العالم الإسلامي.

أغلب الصناعات في بلدان العالم الإسلامي تقوم على الصناعة الاستخراجية، وتمثل في: استخراج النفط، والغاز الطبيعي، والخامات المعدنية، كالحديد والنحاس، وغير المعدنية، كالفسفات والبوتاس ونحوها (٣). والصناعة التحويلية، سواء الخفيفة منها، كصناعة الأغذية والمشروبات، والغزل والنسيج والملبوسات، وأدوات البناء ونحوها. أو الثقيلة، كصناعة الآلات المعدنية، والأجهزة والآلات الكهربائية، ووسائل النقل، والمنتجات البترولية والبتروكيماويات، والكيماوية (٤)، وهيكل هذه الصناعات يهيمن عليه الجانب الاستهلاكي في الدرجة الأولى (٥) بنسبة

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) انظر جامعة الإمام، بحوث المؤتمر الجغرافي، ج ٢ ص ٥٩٢ - ٥٩٣؛ وانظر يوسف شاكرا، «رئيس الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة العربية لـ «الشرق الأوسط»: [٩٨٪] من الاستثمارات العربية خارج حدود المنطقة، الأولوية لدعم التعاون الاقتصادي بين الدول العربية»، جريدة الشرق الأوسط، ١/١/١٤١٦ هـ، العدد ٦٠٢٧، ص ١٧.

(٣) انظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد، [١٩٩٣ م]، ص ٥١؛ وانظر شاكرا، اقتصاديات العالم الإسلامي، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٤) انظر البنك الدولي، مرجع سابق، ص ٢٠٤ - ٢٠٥؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي، المرجع السابق، ص ٥١ - ٦٠؛ وانظر جامعة الإمام، بحوث المؤتمر الجغرافي، ج ٢ ص ٥٩٩ - ٦٠٤؛ وانظر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، النفط والتنمية العربية، ص ١٧٨ - ١٨٠؛ وانظر شاكرا، المرجع السابق، ص ٢٦٣ - ٢٦٦؛ وانظر أبا العلا، جغرافية العالم الإسلامي، ص ٤١٣ - ٤٤١؛ وانظر شقلية، جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٧٢٠ - ٧٦١.

(٥) انظر التقرير الاقتصادي العربي، المرجع السابق، ص ٥٢؛ وانظر جامعة الإمام، المرجع =

[٦٥٪]، في مقابل [٣٥٪] للصناعات الأخرى^(١).

أما الصناعات الثقيلة والمؤثرة، فهي قليلة جداً، والتي منها:

أ: الصناعات الأساسية والرأسمالية، فصناعة المعدات الرأسمالية، والأساسية، محدودة جداً في عالمنا الإسلامي، فهي لا تتجاوز صناعة محدودة لسيارات الركاب، وللشاحنات ذات الأحجام والأغراض المختلفة، وللجرارات الزراعية، وبعض مولدات الكهرباء والديزل^(٢).

ب: الصناعات العسكرية، حيث تسود عالمنا الإسلامي صناعات عسكرية متنوعة، لمعدات وتخصصات مختلفة، تقوم في غالبها على صناعة الذخائر الصغيرة، وأنواع مختلفة من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة^(٣). أما الأسلحة الثقيلة كالطائرات والغواصات والدبابات والصواريخ وأجهزة التصنت والأقمار الصناعية ونحوها، فهي قليلة جداً^(٤)، كما أن هناك محاولات صناعية كبرى لصناعة الطائرات والصواريخ، أنفق عليها أموال طائلة؛ لكنها فشلت، بفعل عوامل متعددة^(٥).

أما في مجال القوة النووية، فأغلب المحاولات التي تتم في عالمنا الإسلامي

= السابق، ص ٦٠٢؛ وانظر اتحاد الاقتصاديين العرب، المشكلات الاقتصادية، ج ١ ص ١٦٤.

(١) انظر المنظمة العربية، النفط والتنمية، ص ١٨٠؛ وانظر عتيقة، بسادة، النفط والتنمية، ص ٧١ - ٧٣.

(٢) انظر التقرير الاقتصادي العربي [١٩٩٤ م]، ص ٥٨ - ٥٩.

(٣) انظر عبد الحميد الفتياي، الصناعات العسكرية العربية، الطبعة الأولى، ص ١٨٢ - ١٨٨ - ١٩٢.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٦٢ - ٧٦، ١٠٠ - ١٢٠، ١٢٩ - ١٨٠؛ وانظر ستيف ويشمان، يربيرت كروسني، القنبلة النووية الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ٣٣ - ٥٦؛ وانظر «تركيا تسلم مصر [٤٦] طائرة مقاتلة من طراز «أف ١٦»، جريدة الرياض، ٢٦/٣/١٤١٦ هـ، العدد ٩٩٢٠، ص ٢٩.

(٥) انظر الفتياي، مرجع سابق، ص ٦٤، ٦٦، ٧٥؛ وانظر خليل الشقاقي، الردع النووي في الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، ص ٦٦ - ٦٧؛ وانظر ويشمان، كروسني، مرجع سابق، ص ٩؛ وانظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ١٣٢.

تركز على حيازة الطاقة النووية الخفيفة لأغراض الكهرباء ونحوها، حيث تنتشر كثير من محطات ومفاعل الطاقة والأبحاث النووية، ذات الأغراض المدنية، والطاقة المحدودة جداً، والتي تعتبر عديمة الفائدة من الناحية العسكرية^(١).

وأغلب هذه الصناعات والمحاولات الصناعية لا تزال ضعيفة وتأخذ طابعاً صناعياً بدائياً، مما يجعلها محدودة الفاعلية والفنية، ولا تمثل شيئاً يذكر عند مقارنتها بمنتج الدول الأجنبية^(٢).

رابعاً: ضعف كفاءة المنتجات الصناعية.

مع كل ذلك فالمنتج الصناعي الإسلامي هو الأقل كفاءة ومستوى بين الصناعات الحديثة^(٣)؛ لأنه يدور بين صناعة تقليدية، فأغلب الصناعات القائمة تقوم على تقليد نسخة من الصناعة الأجنبية^(٤)، حيث يتم الحصول على ترخيص من الشركة الأجنبية المنتج الأصلي للمُصنِّع^(٥)، أو بموجب عقد تعاون ومشاركة مع المنتج الأصلي^(٦). وبين صناعة تعتمد على جمع القطع المطلوبة حيث يتم استيراد أجزاء محدودة من القطع من مواطنها الأصلية، وتجمع في منتج واحد^(٧).

خامساً: التفوق الكمي والنوعي للواردات الإسلامية.

تتفوق واردات العالم الإسلامي على صادراته^(٨)، في الجانب الكمي، حيث

(١) انظر الشقافي، المرجع السابق، ص ١٠ - ١٦.

(٢) انظر الفتياي، مرجع سابق، ص ٦٧، ١٠٤ - ١٠٥.

(٣) انظر حلباوي، الصناعة والتكامل، ص ٨٩.

(٤) انظر الفتياي، الصناعات العسكرية، ص ٦٨، ٧٥، ٨١ - ٨٣، ١٠٥ - ١٠٦، ١٩٣.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٦٢ - ٦٣، ٧٢، ١١٣، ١٨٤.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ٦٨، ٧٢ - ٧٥، ١٠٦، ١١٥، ١٢٨، ١٨٩، ١٩٠ - ١٩١.

(٧) انظر المرجع السابق، ص ٧١، ١٠٠، ١٠٩ - ١١٠، ١١٣، ١٨٩، ١٩٢؛ وانظر حلباوي،

مرجع سابق، ص ٤٨.

(٨) انظر البنك الإسلامي للتنمية، التقرير السنوي [١٤١٤ هـ]، ص ٣٤٢، ٣٤٠؛ وانظر البنك

الدولي، تقرير عن التنمية، ص ٢١٨ - ٢٢١؛ وانظر التقرير الاقتصادي العربي [١٩٩٤ م]، =

تفوق قيمة الواردات على الصادرات، ففي عام ١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٦ - ١٤١٣/٧ هـ - بلغ إجمالي صادرات العالم الإسلامي: [١٨٨٦٤٨] مليون دولار، بمعدل: [٥٨٩٥] مليون دولار لكل بلد إسلامي، كما بلغت الواردات مبلغاً يقدر بـ: [١٩٥٧٤٦] مليون دولار، بمعدل يصل إلى: [٦١١٧] مليون دولار^(١). كما تتفوق في الجانب النوعي، فعند النظر في أصناف الواردات والصادرات، نلاحظ سيطرة المنتجات الصناعية على واردات البلاد الإسلامية، فنسبة ما تستورده البلاد الإسلامية من الآلات والمعدات والمصنوعات الأخرى، وصل في منتصف عام [١٩٩٢ م - الموافق - ١٤١٢/١٢ هـ] - حوالي [٦٦٪] من إجمالي واردات البلاد الإسلامية^(٢). بينما تسيطر السلع الأولية على صادرات البلاد الإسلامية فنسبة ما تصدره البلاد الإسلامية من الوقود، والمعادن، والسلع الأولية الأخرى، وصل في الفترة الماضية نفسها حوالي [٧٣٪] من إجمالي صادرات البلاد الإسلامية، وبقية الصادرات تشمل الآلات.

والمعدات، والمصنوعات، والمنسوجات، والملابس^(٣).

هذه الأرقام تقول بأن العالم الإسلامي عالم مستهلك للمنتجات الصناعية.

سادساً: الفجوة الغذائية.

تعاني البلاد الإسلامية من فجوة غذائية عالية على مستوى الإنتاج والاستهلاك، في معظم السلع الغذائية^(٤)، وصلت في منتصف عام [١٩٩٢ م - الموافق - ١٤١٢/١٢ هـ] إلى تكلفة تقدر بمبلغ [٣٥٢٣٤] مليون دولار، أي حوالي [١٨٪]

= ص ٢٤٢، ٢٦١؛ وانظر السيد علي، الحبيب، نظام النقد الدولي والتجارة الخارجية للبلاد العربية، ص ١٠٦ - ١٠٨.

(١) انظر البنك الدولي، المرجع السابق، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٠ - ٢٢١؛ وانظر السيد علي، الحبيب، مرجع سابق، ص ٧٢، ١٠٤.

(٣) انظر المراجع السابقة، ص ٢٢٢ - ٢٢٣؛ ص ٧٢، ١٠٣.

(٤) انظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٤ م]، ص ٣٩ - ٤٣، ٢٤٩؛ وانظر إتحاد الاقتصاديين العرب، المشكلات الاقتصادية، ج ١ ص ١١٣ - ١١٧؛ وانظر محمد الفراء، مشكلة الغذاء، ص ١٢ - ٢٣.

من إجمالي واردات البلاد الإسلامية^(١)، هذه الفجوة في ازدياد سنوي ملحوظ، ففي البلاد العربية فقط سجلت الفجوة الغذائية في عام [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٦ - ١٤١٣/٧ هـ] - زيادة وصلت إلى [١٣٪] مقارنة بالعام السابق^(٢)؛ بل إن هناك من البلاد الإسلامية من تعاني من مجاعة غذائية قاتلة، كما في بعض الدول الإسلامية الأفريقية .

الفرع الثالث

أسباب التخلف الصناعي

التخلف الصناعي الذي يشهده عالمنا الإسلامي، تتعدد أسبابه، وتتفاوت مبرراته بين أسباب معنوية ومادية، أجمالها في هذا البيان:

أولاً: ضعف الإرادة لدى المسلمين .

ينشد كثير من مسلمي اليوم التقدم الصناعي، والعلو الحضاري، يتطلعون إلى ذلك دون بذل الجهد المناسب، والتضحية المعبرة عن الرغبة الصادقة، فهم يكتفون من الجهد بأسهله، ومن التضحية بأيسرها^(٣)، فمثلاً ما الذي يمنح البلاد الإسلامية من إنتاج نووي يرهب الأعداء، الإمكانيات الطبيعية متوافرة، القدرات العقلية قادرة، المادة العلمية ممكنة، لكن العائق الوحيد غياب العزم والتصميم وضعف الإرادة لدى أغلب المسلمين^(٤)، يقول عدنان عمران الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية عن إمكانية طرح خيار التكامل النووي العربي: (هناك إمكانيات وقدرات عربية، يمكن أن تمثل نقطة انطلاق نحو تحقيق هذا الهدف . . . المطلوب فقط شجاعة القرار السياسي)^(٥)، هذا الضعف الإرادي، والفاعلية المفقودة، تتمثل في أغلب أفراد الأمة

(١) انظر البنك الدولي، مرجع سابق، ص ٢١٨ - ٢١٩، ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) انظر التقرير الاقتصادي العربي، مرجع سابق، ص ٤٢ .

(٣) انظر محمد بدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ص ٢٠٣ .

(٤) انظر خالد غازي، «... الخبراء لـ «المدينة»: مطلوب قبلة عربية.. الامكانيات متاحة.. والإرادة غائبة...»، جريدة المدينة، ٢٩/١٠/١٤١٥ هـ، العدد ١١٦٨١، ص ٤ .

(٥) محمد فكري، «حدث وحوار: الأمين العام المساعد للجامعة لـ «عكاظ»: التمديد اللانهائي لمعاهدة حظر الانتشار النووي، يفرغها من أهدافها»، جريدة عكاظ، ١٨/١٢/١٤١٥ هـ، =

على المستويات كافة، وتتفاوت في جوانب عملية متعددة، منها جانب الاستعداد العملي، فالغالبية من أبناء المسلمين لا يستشعرون حال أمتهم وخطورة واقعها، ولا يدركون متطلبات تطلعاتها؛ لذلك فهم في سبات عميق، واطمئنانٍ مخدر وعود مهين، ومن أبناء المسلمين من ينظر إلى أغلب تطلعات الأمة وحاجاتها على أنها تفوق مستوى قدرات الأمة ووسائلها^(١)، فهو يلعن الظلام، ولا يكلف نفسه إيقاد شمعة قد تسهم مع أخريات في إشعاع ساطع، ومن أفضلهم من يكتفي بقدر معين من الجهد، يرى فيه كفاية عن بذل مزيد جهد، أو جهد في مجال آخر، يقول جودت سعيد: (مسلم اليوم لا يشعر أنه يحتاج إلى شيء يقوم به في سبيل دينه، غير أن يقدم نفسه وماله، وحين يفعل هذا يصاب بزهو يسدُّ أمامه منافذ الفهم، فلا يشعر أن هناك جهداً آخر أفضل مما وصل إليه، وهذه الحالة النفسية تعطل السعي إلى التكامل، وطلب المزيد من الصواب)^(٢). ومنها جانب البرامج المعدة للعمل، فهي في الغالب تتراوح بين محاولة غير جادة، ومحاولة تتجه إلى أشياء يسيرة، ومجهود محدود، يقول مالك بن نبي رحمه الله تعالى: (إننا نرى في حياتنا اليومية جانباً كبيراً من اللافاعلية في أعمالنا، إذ يذهب جزء كبير منها في العبث، وفي المحاولات الهائلة)^(٣). ومنها جانب الأداء العملي، حيث يغلب طابع الكسل والتثاقل، والتهاون وعدم المبالاة عند أداء العمل^(٤)، مما يجعل العطاء محدوداً، والجد معدوماً.

ثانياً: التخلف العلمي.

التقدم الصناعي نتاج طبيعي للتقدم العلمي^(٥)، والناظر بتمعن للواقع العلمي في عالمنا الإسلامي يدرك أوجه متعددة ومتفاوتة لذلك التخلف، حدثت بفعل عوامل متعددة من أبرزها:

= العدد ١٠٥٠٤، ص ١٣.

(١) انظر بدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) العمل قدرة وإرادة، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٣) مشكلة الثقافة، الطبعة الرابعة، ص ٨٧؛ وانظر شروط النهضة، ص ١٠٢.

(٤) انظر ابن نبي، مشكلة الثقافة، ص ٨٦.

(٥) انظر المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، أثر التقنية على المجتمع العربي،

ص ٨١ - ٨٦، ٩٦.

أ: ضعف البرامج التعليمية .

حيث تعاني البرامج التعليمية عموماً من ضعف شديد في فحواها، وخلل خطير في هيكلها، وانحراف مخل في أهدافها، رغم مظاهرها الخادعة^(١)، والتي شبهها العاهل المغربي الملك الحسن الثاني بالنبي سليمان عليه السلام حينما كان متكئاً على عصاه، فاعتقد من حوله بأنه حي حتى فوجئوا به يخر على الأرض، فالملك الحسن يرى التعليم القائم اليوم بشكله الظاهري الذي يوحي بأنه يسير في الطريق الصحيح، سينهار فجأة، وسيولد نتائج عكسية، بفعل ما تعانيه برامج التعليم من الضعف وعدم الكفاءة^(٢)، وما ذلك إلا لأن التعليم في عالمنا الإسلامي يعاني من فقدان الصلة بأصوله الإسلامية وتلك معاناة تواجه أغلب البرامج التعليمية، حيث تربط بروابط أجنبية وتفسر بتفسيرات خرافية أفقد الأمة هويتها الفكرية والثقافية، وعمق الفجوة بين تلك البرامج وحاجات الأمة وأهدافها^(٣).

يقول راشد المبارك: (إلى أي مدى ترتبط مناهجنا في التعليم، وطريقة تدريس هذه المناهج بتصورنا عن فلسفة الكون وطبيعة الحياة؟ ذلك التصور المستمد من إيماننا بالله . . . هل هذه المناهج وطرق تدريسها ترتبط بهذا التصور والإيمان، لعلي لا أكون مخطئاً إذا قلت: أن المرء سيضنيه البحث دون أن يعثر على مثل هذه الصلة. إن العلوم في أكثر الجامعات الإسلامية تدرس وهي مقطوعة الصلة بهذا التصور، وتلك صورة من صور التقليد أو التبعية لما يحدث في الغرب)^(٤). كما يعاني التعليم من قصور في طرق التدريس، حيث الاعتماد على أساليب تسهم في القضاء على روح التفكير العلمي والإبداع لدى المتعلمين، ويجعل الأمة فاقدة للأفكار النيرة ولطريقة التفكير السليم^(٥)، يقول مقداد بالجن: (. . . نحن لا نستطيع اليوم السير مع ركب

(١) انظر محمود أحمد شوقي، محمد مالك محمد سعيد، تربية المعلم للقرن الحادي والعشرين، الطبعة الأولى، ص ٢٥١ - ٣٤٣؛ وانظر الجلال، التربية والتنمية، ص ٧٤ - ٧٨.

(٢) انظر عمر عبد السلام، «العاهل المغربي يدق ناقوس الخطر، ويطالب بإصلاح شامل: التعليم في المغرب يولد البطالة»، الشرق الأوسط، ٢٤/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٦٠٢٠، ص ١٥.

(٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٩١ - ١٢٠؛ وانظر اتحاد الاقتصاديين العرب، المشكلات الاقتصادية، ج ١ ص ٤٩٨.

(٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٥) انظر جليل العريض، عضو هيئة التدريس بجامعة دول الخليج العربية تأهيلية تقويمية، =

التقدم في الاختراعات الحديثة؛ لأننا لا نربي رجالاً وشخصيات يمتازون بالقدرة على الاختراع والابتكار في مجالات تخصصاتهم، وفي الميادين التي تحتاج فيها الأمة إلى الاختراع والابتكار والتصنيع^(١)، ويقول حمد السلوم: (التعليم الذي يمارس في مدارسنا، يكاد يخلو من الترغيب، وشحذ الفكر، وتدريب عقل الطالب على التفكير السليم والإبداع... نظامنا التعليمي لا زال يركز في عمومته على تلقين المعلومات للطالب وحفظها، حتى وإن لم يتمكن من فهمها واستيعابها، فالمعلم يلقي، والطالب يتلقى ويحفظ، وتعودّ المدرس على ذلك، حتى صار اتباع طرق تعليمية خلاف ذلك هو النادر... يتكرر ذلك كل عام، ويكون من نتيجته، أن ينتهي العام الدراسي، وينتهي الطالب سنوات مرحلة تعليمية بعد أخرى، دون أن تتمكن المدرسة، ولا المعلم، من تدريب عقل الطالب على التفكير السليم والإبداع والاكتشاف^(٢)). ويعاني التعليم أيضاً من ضعف المعلمين، وذلك في ركائز تعليمية رئيسة تمثل مثلاً في المادة العلمية، والطريقة التعليمية، والمهارة الذاتية، والتي تدور بين الضعف عند بعض والجمود عند بعض آخر، وذلك نتاج طبيعي لضعف البرامج المخصصة لإعداد المعلمين^(٣)، يقول حمد السلوم: (... فالتأمل في مشكلات التعليم لدينا، يلاحظ للوهلة الأولى، أن تواضع نوعية غالبية المعلمين والعاملين بالمدرسة، وطريقة اختيارهم، وتأهيلهم علمياً ومهنياً لوظيفة التعليم، بالإضافة إلى ندرة القيادات التربوية المؤهلة القادرة على ترجمة الفكر إلى عمل، تكاد تكون علة العلل، فمن المُدرِّك أنه مهما توافر للتعليم من ميزات، ومهما قدمت له من أدوات وأجهزة، وصمم له من مناهج، وبرامج، ومهما ابتدع من طرق تدريس، ووفّر من وسائل للتعليم، إلا أن المعيار الأساس لجودة التعليم في أي

= (مكتب التربية العربي لدول الخليج)، ص ١١٨ - ١٢١؛ وانظر الجلال، مرجع سابق، ص

١٨٧ - ١٩٦؛ وانظر محمود الخالدي، مفهوم الاقتصاد في الإسلام، ص ١٠.

(١) دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، الطبعة الثانية، ص ٤٥.

(٢) «التربية والتعليم العام في المملكة بين السياسة والنظرية، والتطبيق، «نظرة تقويمية» [٣٤]:

نصيب تنيمة روح البحث والتفكير من أساليب التعليم بمدارسنا»، مجلة الإمامة العدد ١٣٢٠ (٢٤/٣/١٤١٥ هـ): ص ٣٦ - ٣٧.

(٣) انظر العريض، عضو هيئة التدريس بجامعة دول الخليج، ص ١٢٠ - ١٢١؛ وانظر الجلال،

التربية والتنمية، ص ٢١٩ - ٢٢٠؛ وانظر شوق، سعيد، تربية المعلم، ص ٢٨٤ - ٢٨٨، ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

قطر، هو: جودة المعلم نفسه، من حيث الاختيار، والإعداد، والتدريب والأداء، واستمرار تجديد وتطوير معلوماته، والإخلاص للمهنة^(١).

ب: ضعف الإمكانيات المادية للتعليم.

يعاني التعليم في البلاد الإسلامية من ضعف في المخصصات المالية، والإمكانيات المادية^(٢)، ففي العالم العربي مثلاً بلغت نسبة الإنفاق على التعليم ما بين أعوام [١٩٨٨ - ١٩٩٠ م - الموافق ١٤٠٨/٥ - ١٤١١/٦ هـ -] حوالي: [٦،١٪] من إجمالي الناتج المحلي^(٣)، وتلك نسبة قليلة جداً، لا تتناسب وأهمية دور التعليم في الإسهام بمتطلبات الأمة، وقيامها بدورها السامي.

ج: قلة الإنفاق على البحث العلمي.

تعد البلاد الإسلامية من أقل دول العالم عناية بالإنفاق على البحوث العلمية^(٤)، حيث لا تتجاوز نسبة ما تنفقه الدول النامية مجتمعة ومن بينها البلاد الإسلامية: [٦،١٪] من إجمالي الإنفاق العالمي على البحث العلمي، في حين تنفق الدول المتقدمة حوالي: [٤،٩٨٪] من إجمالي الإنفاق العالمي على عملية البحث العلمي^(٥).

د: عدم العناية بمواطن البحوث العلمية وميادينها، والمعامل العملية^(٦).

ويبرز ذلك في ضعف الإمكانيات الفنية، مما يحد من القدرة على الاضطلاع

(١) مرجع سابق.

(٢) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ص ٢١٢ - ٢١٣؛ وانظر مهني محمد غنيم، الإنفاق التعليمي وتكلفة الطالب في التعليم العام بدول الخليج العربي، [الرياض: مكتب التربية العربي] ص ٥١ - ٥٩، ١٤٣؛ وانظر الجلال، مرجع سابق، ص ٧٩ - ٨٠ - ٢٠٠.

(٣) انظر التقرير الاقتصادي العربي الموحد [١٩٩٣ م]، ص ٣٤٢.

(٤) انظر زحلان، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، ص ١١١ - ١١٨؛ وانظر مرسي، هجرة العلماء، ص ١٥٣ - ١٥٤، ١٨٠ - ١٨٣، ٢١٧ - ٢١٨.

(٥) انظر الطفيلي، السياسات الاقتصادية، ص ١٣٧.

(٦) انظر مرسي، مرجع سابق، ص ١٨٣.

بالدور المطلوب في خدمة الباحثين والمحللين، بل إن الكثير من المكتبات العلمية مثلاً تعيش في عالم آخر، بعيدة كل البعد عن عالمنا التقني، يقول جعفر الصباغ عن أسباب ضعف البحوث العلمية: (عدم وجود الإمكانيات في المعامل وغيرها، أو إذا وجدت، فيصاحبها بعض الروتين والأنظمة التي تعوق استخدامها بسرعة)^(١). كما يبرز أيضاً في ضعف الإمكانيات المالية، مما يعوق عن متابعة منتجات حركة البحث العلمي الجديد، فبعض المكتبات يمضي عليها وقت طويل دون الحصول على كتاب حديث، كما تجد مشقة كبيرة في متابعة حركة الإصدارات الدورية المعلوماتية والإحصائية الصادرة من جهات معنية عالمية أو إقليمية.

هـ: عدم العناية بالباحثين والمحللين.

ويتمثل ذلك في قلة عدد الأساتذة المشاركين في المؤتمرات العلمية الإسلامية والدولية، وندرة الزيارات العلمية^(٢)، ومرد ذلك إلى ضعف الحوافز التشجيعية المادية والمعنوية للباحثين، فالباحث لا يتجاوز كونه موظفاً عادياً، يؤدي عملاً روتينياً. وإلى عدم تشجيع الباحثين على حضور المؤتمرات العلمية العالمية^(٣)، وحصولهم على متطلباتهم العلمية.

و: إهمال مادة البحث العلمي.

فالناظر لأغلب مواد البحث العلمي في أدوارها المختلفة، يلحظ أن المراحل الدراسية السابقة للمرحلة الجامعية تكاد تخلو من مادة البحث العلمي بشكل شبه كلي^(٤)، مع أنه يفترض في البرامج الدراسية عموماً، أن تكون ميداناً لتنمية روح التفكير، والبحث العلمي، من خلال التدريب المتوازن والمناسب للمرحلة العلمية والعمرية للمتعلم، والتشجيع المحفز للارتباط المستمر بالمصادر العلمية، رغبة في الاستزادة المعرفية، وتنمية للقدرة الابتكارية. وفي المرحلة الجامعية وما يعادلها، وداخل مراكز البحوث العلمية والجامعات، نجد أن البحوث لا تحظى بالعناية

(١) انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ١٤٣.

(٢) انظر العريض، عضو هيئة التدريس بجامعة دول الخليج، ص ١١٦.

(٣) انظر مرسي، هجرة العلماء، ص ١٩٢.

(٤) انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ١٣٦.

والرعاية المناسبة لأهميتها، سواء في مادتها النظرية والتطبيقية، أو في موضوعاتها المطروحة للبحث، من ذلك عدم العناية بالبحوث الفصلية التي يقدمها الطلبة في بعض مراحل التعليم الجامعي، بل قد وصل أمر عدم العناية والاهتمام بها إلى انتشار ظاهرة الاتجار بالبحوث العلمية، وسهولة الحصول على بحث جاهز يقدمه الطالب على أنه جهده الذاتي^(١). أما بحوث الأساتذة فغالباً تقتصر على ما يُسهم في تحقيق رغد العيش لهم فبحوثهم بين بحث لأغراض مادية وجاهية، أو لأجل ترقية علمية، يقول جعفر الصباغ عن جامعات العالم الإسلامي: (. . . انهمكت في التدريس وتخريج العاملين في المهن المختلفة، ونُسي فيها البحث إلا في الحالات التي يكون هناك ترقية علمية. . . أما البحث المستمر، فهذا شيء غير موجود في معظم جامعاتنا في العالم الإسلامي)^(٢). أما الموضوعات المطروحة للبحث فنجد عدم الترابط بين أغلب تلك الموضوعات، وخطط التنمية في البلاد الإسلامية، بل قد تُصرف الأموال وتبذل الجهود على موضوعات واهية، وأبحاث فارغة. وعند النظر في نتائج البحوث العلمية، نجد أن أغلب البحوث العلمية تواجه إهمالاً يبقها حبيسة أرفف المكتبات، في بُعدٍ عن الواقع العلمي والعملية الملموس والمؤثر في مسيرة الأمة على مستوى الفرد والمجتمع. هذا الإهمال يشترك فيه كل من الباحثين، والجهات المسؤولة عنهم وعن أبحاثهم، وكذا الجهات المعنية بنتائج تلك البحوث، والتي قد تستفيد فوائد جمة في حال عنايتها بتلك النتائج.

ثالثاً: قيود إدارية .

المتأمل لإمكانات العالم الإسلامي وثرواته، يجد الفرص الصناعية قائمة، والإمكانات متاحة، لكن هناك من قادة البلاد الإسلامية من يعمل على منع الاستغلال، بتضييق الفرص، وإيجاد القيود المتعددة؛ لعدم رغبته في التغيير^(٣).

-
- (١) انظر «جاهزة و «معلبة»، و «مغلقة»، وأسعارها «حسب الطلب»: اضبط: بحوث للبيع!»، مجلة الإمامة العدد ١٣٦١ «١٤١٦/١/٣٠ هـ»: ص ٢٠ - ٢٣.
- (٢) انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٤٣.
- (٣) انظر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، النفط والتنمية العربية في عقد التسعينات [١٩٩٣م]، ص ١٩٢ - ١٩٣.

رابعاً: التوجيه العشوائي للمنتجات الصناعية.

تعاني أغلب التوجهات الصناعية في عالمنا الإسلامي من التوجيه السيء من قبل القائمين عليها، من ذلك الاتجاه إلى القطاعات التوزيعية والخدمية، ذات الكسب السريع. ومنه الاتجاه إلى أنماط معينة من التنمية الصناعية ذات الأهمية الثانوية، بحثاً عن المزايا التسهيلية التي تمنحها الشركات العالمية^(١).

ومن ذلك عدم التوازن بين الأنماط الصناعية المختلفة، ففي حين انخفضت الواردات من السلع الصناعية الغذائية والكسائية، زادت واردات الآلات، والأجهزة، والمعدات^(٢).

خامساً: إهدار الثروة الإسلامية.

إهدار الثروات الإسلامية بمظاهره المختلفة، أحد الأسباب الرئيسة في التخلف الصناعي الذي تعاني منه الأمة، ويتمثل ذلك في عدم توجيه الثروة الوجهة التي تحقق التقدم الصناعي للبلاد الإسلامية، وإنفاقها في أوجه تسهم في وقتية ومحدودية الانتفاع بها.

سادساً: التفكك الاقتصادي بين البلاد الإسلامية.

مما يجعل تلك البلدان منفردة صغيرة الحجم بالنسبة لتوافر المتطلبات الصناعية، فإذا توافر الكم السكاني والعمالي في أحد البلدان، نقص الدعم المادي، وإذا توافرت الخامات الأولية، ضعفت القدرة العلمية والفنية، مما يعوق تبني سياسة وخطة صناعية تعتمد على الذات. زد على ذلك أن لكل بلد إسلامي سياسته الصناعية

(١) انظر عتيقة، بسادة، النفط والتنمية، ص ٨٤؛ وانظر حلباوي، الصناعة والتكامل، ص ٥٤ - ٥٦، ٦٣، ١٢٤ - ١٢٦؛ وانظر «... بدأت دول العالم المتقدم في «الثورة الصناعية الثالثة»!». شاعت في المنطقة العربية والإسلامية قيم الكسب السريع... مأزق العالمين العربي والإسلامي أنه لا توجد صناعة بمعناها الدقيق»، مجلة الإمامة العدد ١٢٧٦ (١٤١٤/٥/٢٧هـ): ص ٣٠ - ٣٤.

(٢) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ص ٢٢٠ - ٢٢١؛ وانظر عتيقة، بسادة، المرجع السابق، ص ٨٨.

الخاصة، والتي قد لا تتفق مع حاجات البلد الآخر، مما يحدث نوعاً من الازدواجية الصناعية^(١).

سابعاً: البحث عن الأمان المالي .

عند إرادة توظيف الفائض المالي بقطاعيه العام والخاص، يُتجه إلى عدم المخاطرة بتلك الأموال، حيث يتم توظيفها في صورة أصول مالية، كالسندات والأسهم والودائع، بدلاً من توظيفها في صناعات داخل البلاد الإسلامية^(٢)، كل ذلك يحدث بسبب الخوف من الخسائر المادية .

ثامناً: ارتفاع مديونية البلدان الإسلامية .

هذا الارتفاع يحول دون الحصول على المعدات اللازمة للإنتاج الصناعي^(٣)، كما أنه عامل إشغال لتلك الدول التي تحاول تخفيف الديون على المدى القصير، نظراً لارتباط ذلك التخفيف بضغط سياسية داخلية، مما يجعلها تبتعد عن المشاريع الصناعية ذات المدى الطويل، إلى المشاريع القصيرة .

تاسعاً: الانفتاح على العالم الخارجي .

حيث سهولة الحصول على المنتجات الصناعية بأنواعها المختلفة، وأشكالها المتفاوتة، بأسعار زهيدة وتقنيات حديثة، هذا بدوره يسهم في قلة الدافع الحقيقي للإنتاج الصناعي، ويعمق الاعتماد على استيراد منتجات التقنية الحديثة؛ لسد الحاجات الحياتية، كأقرب حل لسد الحاجة، مع إغفال النظرة المستقبلية، يقول الطفيلي: (تعتمد الدول العربية اعتماداً يكاد يكون كلياً على الخبرة الفنية والتقنية، والمعدات المستوردة من الدول الرأسمالية، وهذه الخبرة، والمعرفة الفنية، وأسعار المعدات، وقطع الغبار، تخفي وراءها أرباحاً غير عادية، علماً بأن الامتناع عن استيرادها فجأة غير وارد، إذ أنه يؤدي إلى توقف المشروعات

(١) انظر اتحاد الاقتصاديين العرب، المشكلات الاقتصادية، ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٦، ١٧٢ -

١٧٦؛ وانظر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، النفط والتنمية، ص ١٨٤ - ١٨٦ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٨٨ .

(٣) انظر عتيقة، بسادة، النفط والتنمية، ص ٨٠ - ٨١ .

المصممة على أساسها، على نحو مؤقت أو دائم^(١) والنتيجة الحتمية لمثل هذه السياسة: القضاء على فكرة الصناعة الإسلامية؛ لوجود سلع تغني عنها بأسعار زهيدة.

عاشراً: الاعتماد على الخبرة الأجنبية.

تعتمد أغلب الصناعات في عالمنا الإسلامي على تعاون ودعم العنصر الأجنبي، سواء في ذلك العلماء أو الخبراء، أو الشركات^(٢)، هذا الاعتماد يشكل عائقاً كبيراً أمام استمرار الصناعة ونجاحها، وبقدر ما يكون الاعتماد، تكون درجة العائق، فبعض المشاريع الكبرى، والتي شكل فيها العنصر الأجنبي عاملاً رئيساً، توقفت بسبب انسحاب العنصر الأجنبي منها، أو رفضه تقديم ما يلزم من معرفة ونحوها^(٣).

أحد عشر: الهيمنة الاقتصادية للأعداء.

تقوم الدول المتقدمة باحتكار تام وشامل لكافة أنواع العلوم والتقنية، ولها في الوصول إلى ذلك عدة أساليب منها: الوقوف بحزم ضد وصول التقنية الحديثة إلى البلاد الإسلامية، خاصة فيما يتعلق في المجال العسكري، فالدول الأجنبية تضع خطوطاً حمراء للصناعة العسكرية في العالم الإسلامي لا يسمح لأحد بتجاوزها^(٤)، أما الشركات الأجنبية المصنعة للسلاح، فعند توقيع عقد شراكة، أو تعاون معها، تشترط عدم نقل الأسرار التقنية إلى البلد الإسلامي^(٥). ومنها تقييد برامج الطلبة والمتدربين من أبناء المسلمين في البلاد الأجنبية بضوابط دقيقة، تمنع وصول المعلومات الفنية الدقيقة والحساسة إليهم^(٦)، وإيهامهم بأن ما أخذوه من علوم

(١) السياسة الاقتصادية، ص ٨٩.

(٢) انظر الفتاوي، الصناعات العسكرية العربية، ص ٦٣، ٦٥ - ٦٦.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٦٦ - ٦٧.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٧٢؛ وانظر الشاوي، الشروق الأوسط، ص ح - خ.

(٦) اطلعت على تقرير مخطوط لم ينشر عن زيارة وفد من ضباط وطلبة إحدى الكليات العسكرية لإحدى الأكاديميات العسكرية الأمريكية، بهدف الاستفادة من الخبرات التعليمية، والتدريبية العسكرية الأمريكية، جاء فيه: (الزيارة كانت جيدة من ناحية الاطلاع على حضارة وتاريخ =

ومعارف تمثل كل ما تحتاجه بلادهم.

ومنها القيام بتصدير أجزاء غير متكاملة من منتجات التقنية، أو أساليبها العلمية، بشكل يضمن لهم الاحتفاظ بالإشراف الدائم، والمتابعة الدقيقة، ومن ثم التبعية للاقتصاد الكاملة^(١). ومنها أيضاً سيطرة الشركات العالمية الكافرة^(٢)، حيث تقوم بعض الشركات العالمية بالاتفاق مع شركات إسلامية لإنتاج أجهزة ومعدات متطورة، مع احتفاظ الشركة العالمية بحقوقها، والعمل بموجب شروطها التي تمليها على الشركة الإسلامية^(٣). ومنها الإيهام والمخادعة، فمثلاً أغلب القمم الاقتصادية، والمنظمات الدولية للتنمية الصناعية داخل دائرة الأمم المتحدة وخارجها، بالإضافة إلى مسؤولي الدول الصناعية الكبرى، الجميع يؤكد على حرصه الشديد على نقل التقنية، وتنمية الموارد البشرية لبعض البلاد الإسلامية، من خلال المشاريع المشتركة في مختلف المجالات^(٤)، وبنظرة فاحصة لهذا الاستعداد،

- = الولايات المتحدة الأمريكية، وطبائع الشعب الأمريكي، إلا أنها من ناحية الاطلاع على الأكاديمية، أو الفصول الدراسية، أو الاجتماع بهيئة التدريس، أو عن مسؤولي التعليم، أو الإجابات على بعض التساؤلات، فهذا لم يتم، حيث أخذت الوفود بطريقة عجيبة من الصباح الباكر إلى نصف الليل، والسير على الأقدام لمسافات كبيرة، حتى ترجع الوفود متعبة، وتنشغل بما يروونه من تطور وغرائب وازدحام، وهكذا حتى انتهت الزيارة).
- (١) انظر المرجع السابق، ص ٢٥٣؛ وانظر فلاح جبر، مشاكل نقل التكنولوجيا، نظرة إلى واقع الوطن العربي، الطبعة الأولى، ص ٣٥.
- (٢) انظر «الشركات دولية النشاط: تحتكر المال، والسياسة أيضاً...» أغلب الشركات المتعددة الجنسيات ذات طابع احتكاري... الشركات العالمية تقيم مصانع في العالم الثالث، بغرض تخفيض التكلفة، وليس لنقل التكنولوجيا»، مجلة اليمامة العدد ١٣٢٧ (١٤/٥/١٤١٥ هـ): ص ٣٨ - ٤١.
- (٣) انظر الفتياي، الصناعات العسكرية العربية، ص ٦٢ - ٦٣، ٦٨، ٧٢ - ٧٥، ٩٧ - ٩٩، ١٠٦، ١١٣، ١١٥، ١٢٨، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٠ - ١٩١؛ وانظر «تركيا تسلم مصر [٤٦] «طائرة مقاتلة من طراز «أف ١٦»»، جريدة الرياض، ٢٦/٣/١٤١٦ هـ، العدد ٩٩٢٠، ص ٢٩.
- (٤) انظر «... وزير بريطاني يعرض على دول مجلس التعاون مساعدتها في برامج التخصيص، ونقل التكنولوجيا»، جريدة الحياة ٢٠/٥/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٧٣، ص ٩؛ وانظر هاشم الكردي، «الأمين العام المساعد لمنظمة الخليج للاستثمارات الصناعية لـ «الرياض: تشجيع الاستثمارات المحلية والأجنبية، ونقل التكنولوجيا، وتنمية الموارد البشرية، همنا الأول»، جريدة الرياض، ٢٣/٢/١٤١٦ هـ، العدد ٩٨٨٨، ص ١٥.

والتوجه المحرر في بنود المنظمات، يجد المتأمل فيها تخديراً للدول الإسلامية وجل أن تعتمد على هذا الاستعداد، وحسن النية الظاهر، فتتكلم على ذلك، وترك البحث عن بدائل أخرى في نقل التقنية، كالاتحاد على النفس الذي يصور بأنه طريق طويل وشاق.

هذا الواقع الصناعي لأمتنا الإسلامية، عامل أعاق ويعيق الأمة عن القيام بواجب الإعداد لمجاهدة الأعداء، بل إنه تجاوز ذلك بأن أسهم في إدخال اليأس إلى قلوب بعض ضعاف الإيمان، نظراً للبون الشاسع بين الواقع الصناعي للأمة وأعدائها.

المطلب الثاني التقويم

تعتبر الصناعة العامل الرئيس في النمو الاقتصادي، والتقدم المادي، والعنصر الفاعل في البناء الحضاري، فالمجالات الاقتصادية المتعددة تقوم على القدرة الصناعية بدءاً وانتهاءً، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (. . . يحتاج الناس إلى صناعة ناس، مثل حاجة الناس إلى الفلاحة، والنساجة، والبنائة، فإن الناس لا بد لهم من طعام يأكلونه، وثياب يلبسونها، ومساكن يسكنونها، فإذا لم يُجلب لهم من الثياب ما يكفيهم. . . احتاجوا إلى من ينسج لهم الثياب، ولا بد لهم من طعام، إما مجلوب من غير بلدهم، وإما من زرع بلدهم، وهذا هو الغالب، وكذلك لا بد لهم من مساكن يسكنونها، فيحتاجون إلى البناء^(١)، ويقول أبو الوفاء المراغي: (الصناعة من أهم الأركان التي يقوم عليها بناء العالم، وهي أسس الحضارات. فالحضارات مجموعة من الأفكار تجسدها مجموعة من الصناعات. وفيما نأكل، وفيما نشرب، وفيما نلبس، وفيما نسكن، وفيما نتمتع به من ألوان الزينة والرفه، جملة من الصناعات يشتبك بعضها ببعض، ويكمل بعضها البعض. وبالصناعات يقوم الهيكل الاقتصادي للعالم كله)^(٢).

إذاً فالصناعة وسيلة لتحقيق متطلبات الحياة، ومصالح الناس أفراداً وجماعات، فهي للفرد وسيلة تنمية وثراء، وللمجتمع وسيلة أمن وبقاء، يقول ابن تيمية رحمه الله: (. . . ذكر تعالى أنه أنزل الكتاب والميزان، وأنه أنزل الحديد؛ لأجل القيام بالقسط، وليعلم الله من ينصره ورسله، ولهذا كان قوام الدين بكتاب

(١) الفتاوى، ج ٢٨ ص ٧٩؛ وانظر الحسبة، ص ٤٣.

(٢) من قضايا العمل والمال في الإسلام، (بيروت: المكتبة العصرية)، ص ٥٩.

يهدي، وسيف ينصر^(١)، يقول ابن نبي رحمه الله: (. . . من المسلم به أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه، واستمرار نموه)^(٢).

وفي هذا المطلب أكتب في بيان مختصر، بعض الأوجه التي جاء بها الإسلام؛ ليحقق لأتباعه التفوق الصناعي الذي يضمن لهم القيام بواجبهم الجهادي، وذلك وفق البيان التالي:

أولاً: فرضية الصناعة.

انطلاقاً من القاعدة الشرعية: (ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به وهو من فعل المكلف، فهو واجب)^(٣)، فإن جميع العلوم التقنية المعاصرة، تدخل في نطاق العلم الذي أمر الشارع بتعلمه فهي أحد الوسائل الرئيسة لإعداد القوة المأمور بها، والتي يجب على المسلمين أن يجعلوا منها مرهبة للعدو؛ لذلك ذهب بعض فقهاء الإسلام إلى القول بأن صناعة ما لا تتم مصلحة الناس إلا به: فرض على الكفاية^(٤)، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (. . . الأعمال التي هي فرض على الكفاية، متى لم يتم بها غير الإنسان، صارت فرض عين عليه، لا سيما إن كان غيره عاجزاً عنها)^(٥)، ويقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: (أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات، كالفلاحة، والحياسة، والسياسة، بل الحجامة والخياطة؛ فإنه لو خلا البلد من الحجام، تسارع الهلاك إليهم، وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فإن الذي أنزل الداء، أنزل الدواء، وأرشد إلى استعماله، وأعد الأسباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله)^(٦).

(١) الفتاوى، ج ١٠ ص ١٣.

(٢) مشكلة الثقافة، ص ٨٨؛ وانظر شروط النهضة، ص ١٠٤.

(٣) انظر الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٠؛ وانظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط، ج ١ ص ٤٧٠.

(٤) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨ ص ٧٩ - ٨٠؛ وانظر الحسبة، ص ٤٤؛ وانظر ابن القيم، الطرق الحكمية، ص ٢٤٨.

(٥) المصادر السابقة، ص ٨٢؛ ص ٤٧.

(٦) إحياء علوم الدين، ج ١ ص ١٥.

وتؤكد هذه الفرضية في عصرنا الحاضر، حيث حصر منطق القوة في العلم والتقنية، يقول سيد دسوقي: (إن العلم والتقنية هما قوة هذا العصر، ونحن المسلمين حين أمرنا بإعداد القوة لمواجهة أعدائنا، فإنما يعني ذلك بالنسبة لنا في العصر الحاضر إعداد مجتمعاتنا بالعلم والتقنية تماماً، كإعدادها وتسليحها بالإيمان بالله، وبرسالة الإسلام؛ لذا فإن العلم والتقنية - في رأيي - هما خط الدفاع الأول بالنسبة للمجتمع المسلم)^(١)، ويقول الندوي عن العالم الإسلامي: (. . . إذا أراد أن يضطلع برسالة الإسلام، ويملك قيادة العالم، فعليه بالمقدرة الفائقة، والاستعداد التام في العلوم، والصناعة، والتجارة وفن الحرب، وأن يستغني عن الغرب في كل مرفق من مرافق الحياة، وفي كل حاجة من الحاجات يقوت ويكسو نفسه، ويصنع سلاحه، وينظم شؤون حياته، ويستخرج كنوز أرضه، وينتفع بها ويدير حكومته برجاله وماله، ويمخر بحار المحيط به بسفنه وأساطيله، ويحارب العدو ببوارجه ودباباته وأسلحة بلاده، وتزيد صادراته على وارداته، ولا يحتاج إلى الاستدانة من الغرب، ولا يضطر إلى أن يلجأ إلى راية من راياته، وينضم إلى معسكر من معسكراته. أما ما دام العالم الإسلامي خاضعاً للغرب في العلم، والسياسة، والصناعة، والتجارة، يمتص الغرب دمه، ويحفر أرضه فيستخرج منها ماء الحياة وتغزو بضائعه أسواق العالم الإسلامي وبيوته وجيوبه كل يوم، فتستخرج منها كل شيء وما دام العالم الإسلامي يستدين من الغرب الأموال، ويستعير منه الرجال، ليدروا حكومته، ويشغلوا الوظائف الخطيرة، ويدربوا جيوشه، ويستورد منه البضائع، ويجلب منه الصنائع، وينظر إليه كأستاذ ومرب، وسيد ورب، لا يبرم أمراً إلا بإذنه، ولا يصدر إلا عن رأيه، فلا يستطيع أبداً أن يواجه الغرب، فضلاً عن أن يناهضه ويغالبه)^(٢).

إن العمل على صناعة ما تحتاجه الأمة عمل أُلزم به الشرع، على مستوى الفرد والجماعة، فليس للأمة أن تعتمد على الآخرين في الحصول على حاجياتها، لما في ذلك من الخضوع والتذلل والأسر للأعداء وذلك منافي للعزة التي يجب أن تكون سمة الأمة المسلمة، قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾^(٣)؛

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ١٣١.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٣) سورة المنافقون، الآية ٨.

لذلك يجب العمل على توجيه القادرين وأصحاب الإمكانيات للإسهام بقدر المستطاع في كل عمل صناعي يسهم في إعداد القوة الإسلامية المرهبة للأعداء، وعند الحاجة يجب على الإمام أن يستنفر وأن يُلزم، وأن يستجيب المُستنفر ويعمل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقْلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ...﴾^(١)، ويقول ﷺ: ((... إذا استنفرتم فأنفروا))^(٢)، يقول النووي رحمه الله: (إذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة، فأخرجوا إليه)^(٣)، يدخل في تلك الأعمال الصالحة، كل ما يصلح أمر الأمة، ويعلي شأنها كتعلم العلم، يقول ابن تيمية رحمه الله: (وكما للإمام أن يوجب الجهاد على طائفة، ويأمرهم بالسفر إلى مكان لأجله، فله أن يأمر بما يعين على ذلك، ويأمر قوماً بتعلم العلم)^(٤).

وكذا صناعة ما تحتاجه الأمة في حياتها عموماً، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((... إذا كان الناس مُحتاجين إلى فلاحه قوم، أو نساجتهم، أو بنائهم، صار هذا العمل واجباً، يُجبرهم ولي الأمر عليه... كما إذا احتاج الجند المرصدون للجهاد إلى فلاحه أرضهم، ألزم مَنْ صناعته الفلاحه بأن يصنعها لهم، فإن الجند يُلزمون بأن لا يظلموا الفلاح، كما ألزم الفلاح أن يفلح للجند)^(٥)، وما تحتاجه لمواجهة الأعداء خصوصاً، يقول ابن تيمية رحمه الله: (إذا احتاجوا - المسلمون - إلى القتال... فمن كان من أهل صناعات القتال: رمياً، وضرباً، وطعناً، وركوباً، وجب عليه ذلك، وأجبر عليه)^(٦).

إذاً فلولي الأمر إلزام أرباب الحرف والصناعات على عمل ما فيه صالح الأمة، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (قال الفقهاء: إنه يجب عيناً إذا أمر به الإمام، وكذلك إذا احتاج المجاهدون إلى أهل الصناعات والتجارات كصناع الطعام، واللباس، والسلاح، ومصالح الخيل، وغير ذلك، وطلبت منهم تلك الصناعة

(١) سورة التوبة، الآية ٣٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ٢٧.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ٦ ص ٤٦.

(٤) الفتاوى، ج ٢٩ ص ١٩٦.

(٥) المصدر السابق، ج ٢٨ ص ٨٢؛ وانظر الحسبة، ص ٤٨.

(٦) الفتاوى، ج ٢٨ ص ١٩٥.

بعوضها، وجب بذلها، وأجبروا عليها^(١).

ثانياً: قواعد التقدم الصناعي وأسسها.

عني الإسلام بالصناعة، واهتم بها، ولفت أنظار المسلمين إليها كأحد المجالات التي أولاها القرآن الكريم عناية فائقة، ذات دلالة وأبعاد متعددة، قال تعالى: ﴿... مَا فَرَطْنَا فِي آلِ كَتَبٍ مِنْ شَيْءٍ...﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ آلِ كَتَبٍ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣)، يقول البيهقي رحمه الله تعالى: (يعني أصول العلم)^(٤)، ويقول السيوطي رحمه الله: (فيه أصول الصنائع، وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها)^(٥)، ويقول ابن برهان رحمه الله: (ما قال النبي ﷺ ما من شيء فهو في القرآن، أو فيه أصله قرب أو بعد، ففهمه من فهمه، وعمه عنه من عمه، وكذا كل ما حكم به أو قضى به، وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده، وبذل وسعه ومقدار فهمه)^(٦).

فأسماء الآلات والحرف، ودلالات الصناعات التي سردها القرآن الكريم^(٧)، تضمنت الإدلال على القواعد والأسس المعينة على التقدم الصناعي الذي يكفل للأمة تحقيق أهدافها، والتي من أبرزها:

أ: الاعتماد على قدرات الأمة الذاتية، اعتماداً كلياً في مجال العلم، والتقنية، سواء من خلال الابتكار، أو نقل المعرفة، حيث تتولى الأمة النقل بنفسها، بدلاً من أن تجلب إليها، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(٨)، وللأمة الإسلامية نماذج معاصرة تأخذ منها الدروس في الاعتماد على القدرات الذاتية، فهذه الصين واليابان وألمانيا وغيرها

(١) المصدر السابق؛ وانظر الحسبة، ص ٨٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٤) السيوطي عبد الرحمن، الإتيان في علوم القرآن، الطبعة الرابعة، ج ٢ ص ١٦٠.

(٥) المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٦) المصدر السابق، ص ١٦١.

(٧) انظر المصدر السابق، ص ١٦٢ - ١٦٣؛ وانظر حمدان، العمل، ص ٥١ - ٥٣.

(٨) سورة هود، الآية ٣٨.

من الدول الأجنبية المعاصرة، والتي دخلت آفاق النهضة الحضارية المعاصرة بسواعد أبنائها، وطاقت بلادها^(١)، يقول ابن نبي رحمه الله: (إن الصين تقدمت اقتصادياً بسرعة مرموقة؛ لأنها طبقت منذ اللحظة الأولى في خطط تميمتها، مبدأ الاتكال على الذات، أي بالتعبير الاقتصادي مبدأ الاستثمار الاجتماعي، من الإنسان الصيني، والتراب الصيني، والزمن المتوفر في كل أرض)^(٢)، ويقول وحيد الدين خان: (أرادت الصين الدخول إلى طور النهضة الجديدة فقررت تنفيذ كل مشروعاتها بأيدي مواطنيها، لقد استخدمت الصين الأيدي البشرية وحدها في الأعمال التي تقوم بها - في العالم الإسلامي - الآلات المستوردة الضخمة؛ لإقامة الجسور والبنيات والمصانع. لقد نفذت الصين كل هذه المشاريع بالأيدي البشرية، بمعنى الكلمة. لقد استخدموا هناك مئات، والآف، بل مئات الألوف، من العمال لتنفيذ مشروع واحد، لقد فرضوا الحياة البسيطة على أعلى المستويات، وبدلاً من استيراد أفخم الملابس والسيارات من أوروبا، أصبح شعار الصين ارتداء الملابس الوطنية الخشنة، والاعتماد على المركبات المحلية، والصين دولة قوية في عالم اليوم بعد أن أمضت [٢٠] سنة على هذه الحالة، إنها لا تستجدي أحداً اليوم، بل الآخرون يطلبون منها العون)^(٣).

ب: العناية بالوقت، فللوقت قيمة عظيمة، وشرف رفيع، فقد أقسم الله سبحانه وتعالى به في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾^(٤)، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (أقسم سبحانه وتعالى بالعصر؛ لمكان العبرة والآية فيه، فإن مرور الليل والنهار على تقدير قدرة العزيز العليم، منتظم لمصالح العالم على أكمل ترتيب ونظام، وتعاقبهما، واعتدلهما تارة، وأخذ أحدهما من صاحبه تارة، واختلافهما في الضوء والظلام، والحر والبرد، وانتشار الحيوان وسكونه. وانقسام العصر إلى القرون والسنين والأشهر والأيام، والساعات وما دونها، آية من آيات الرب تعالى،

(١) انظر ابن نبي، شروط النهضة، ص ١٤٧؛ وانظر وحيد الدين خان، الإسلام والعصر الحديث،

الطبعة الثانية، ص ٤٩ - ٥٠، ٦٩ - ٧٠.

(٢) المسلم في عالم الاقتصاد، (دمشق: دار الفكر)، ص ٧٧ - ٧٨.

(٣) الإسلام والعصر الحديث، ص ٤٩.

(٤) سورة العصر، الآية ١ - ٣.

وبرهان من براهين قدرته وحكمته^(١)، وهو نعمة امتن الله بها على عباده، يقول ﷺ: ((نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ، وَالْفِرَاقُ))^(٢)، سيسأل عن دقائقها الإنسان، يقول ﷺ: ((لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسألَ أربعَ: عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ما فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟))^(٣)، وفي ذلك دلالة على عمق الرابط بين الوقت وبين الغاية من استخلاف الإنسان^(٤).

والأمة الإسلامية اليوم وهي تمر بمرحلة سباق مع الأعداء، يجب أن تستشعر قيمة الوقت، وتعطيه من الأهمية والمكانة ما يجب له في ظل هذه الظروف، يقول ابن نبي رحمه الله: (. . . في ساعات الخطر في التاريخ تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء، فإذا استيقظت هذه الغريزة في هذه الساعات التي تحدث فيها انتفاضات الشعوب، لا يقوم الوقت بالمال، كما ينتفي عنه معنى العدم؛ إنه يصبح جوهر الحياة الذي لا يُقدَّر^(٥)، فيوجه إلى ما يخدم أغراض الأمة، ويسهم في رقيها في مختلف المجالات، من خلال تنظيمه، وإدراك أهميته، فالله سبحانه وتعالى قد بين لعباده نماذج في تنظيم الوقت، وتقسيمه إلى ما يناسبه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٦)، فالليل للراحة والسكون، والنهار للعمل والسعي، وقسم كلا منهما إلى ما يناسب مصالح الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا^(٧). هذا التنظيم السوي للوقت، يجب أن يكون لنا منهجاً في تعاملنا مع الوقت فنعمل على: إعطاء مبدأ الرغبة الأكيدة، والحرص الشديد على استثمار الوقت أهمية حياتية خاصة، وأولوية فكرية، يقول ﷺ: ((اغتنم خمساً قبلَ

(١) التبيان في أقسام القرآن، الطبعة الأولى، ص ١١٤ - ١١٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ١.

(٣) حديث صحيح، الألباني، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: [٧٣٠٠].

(٤) انظر ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، الطبعة الأولى، ص ٨٧، ١٢٦؛

وانظر خلدون الأحذب، سوانح وتأملات في قيمة الزمن، الطبعة الرابعة، ص ٢٥.

(٥) شروط النهضة، ص ١٤٥.

(٦) سورة يونس، الآية ٦٧.

(٧) سورة الإسراء، الآية ٧٨ - ٧٩.

خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلِكَ، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرِكَ^(١). ونعمل على التطبيق العملي لذلك الحرص، عن طريق تنظيم الحياة بدقة بين المشاغل العلمية، والعملية والاجتماعية، والأسرية بحيث يعطي لكل حقه من الاهتمام والعطاء، يقول ابن نبي رحمه الله: (. . .) ينبغي أن نحدد التجربة المطابقة لمقتضى الحال؛ لكي نُعلِّم المسلم علم الزمن، فنعلم الطفل والمرأة والرجل تخصيص نصف ساعة يومياً لأداء واجب معين، فإذا خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة وفعالة، فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل لمصلحة الحياة الإسلامية، في جميع أشكالها العقلية، والخلقية، والفنية، والاقتصادية، والمنزلية^(٢). ونعمل على تحديد أولويات الاهتمام في المشاغل المتعددة، بين مشاغل رئيسة، وأخرى ثانوية.

ج: التربية العملية، حيث تنمية الإرادة العملية، من خلال توجيه الاستعداد الطبيعي عند الأفراد والمجتمعات، والعناية المبكرة بالنشء، يقول ﷺ: ((مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين...))^(٣)، فهذا أمر يحمل دلالة على أهمية الإعداد والتوجيه المبكر إلى معالي الأمور، وفق الضوابط الشرعية، والمناهج الإلهية، بشمولية متزنة، ووجهة متحدة.

يقول ابن نبي رحمه الله: (إن توجيه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي عامة، يعني سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، بما في ذلك جهد السائل، والراعي، وصاحب الحرفة، والتاجر، والطالب والعالم، والمرأة، والمثقف، والفلاح، لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء)^(٤)، ومن أبرز مرتكزات التربية العملية: تنمية البواعث العملية الداخلية، تلك البواعث الذاتية التي تدفع الفرد إلى ميادين العمل المختلفة، والتي تستمد قوتها من الإيمان بالله،

(١) حديث حسن، السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٢١٠].

(٢) مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٣) حديث صحيح. السيوطي، مصدر سابق، رقم الحديث: [٨١٧٤].

(٤) شروط النهضة، ص ١١٤.

وتستجيب لمتطلبات الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً...﴾^(١)، وفي ذلك تفجير للطاقات العملية لدى الفرد والمجتمع المسلم. ومن المرتكزات الجدية في النظر وأداء العمل، واستحضار الغاية على كل حال، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)، هنا ينأى الفرد بنفسه وبمجتمعه عن العفوية والسطحية في النظر والتأمل، فهو ينظر ويعمل لغاية، وهذا يتطلب عمقاً في النظر، وعملاً جاداً يبحث فيه عن نتيجة وإجابة لتساؤلٍ أوجد فراغاً معرفياً. ومنها تقوية العزيمة والإرادة^(٣)، من خلال ترسيخ علو الهمة التي يُتقوى بها؛ أتصبح قوة فاعلة في الفرد والمجتمع، يقاوم بها انحرافاته ونزغاته، ويجاهد ميوله وشهواته، يحمل نفسه على طاعة الله، ويتحرك باتجاه العمل الصالح، والعطاء النافع^(٤)، وقال تعالى: ﴿... فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٥) ويقول ﷺ: ((ليس الشديدُ بالصُّرَعَةِ، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسه عند الغضبِ))^(٦). يقول يالجن: (قوة الإرادة هي الوسيلة الوحيدة في يد الإنسان؛ لتحقيق الأهداف والوصول بها إلى الغايات)^(٧)، فالإرادة توجه معنوي وعملي، والعزيمة دافع للإرادة، ولكل منهما دور فاعل ومؤثر في تحقيق الغاية، وموقع ضروري لا يمكن الاستغناء عنه، يقول ابن تيمية رحمه الله: (من طلب علماً بلا إرادة، أو إرادة بلا علم، فهو ضال، ومن طلب هذا وهذا بدون اتباع الرسول فيهما، فهو ضال)^(٨).

والعزيمة والإرادة عنصر يقوى بالتدريب والتنمية، يقول محمد المصري:

(١) سورة التوبة، الآية ٤٦.

(٢) سورة الدخان، الآية ٣٨ - ٤٠.

(٣) انظر مقدار يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، الطبعة الأولى، ص ٤٥٦ - ٤٨٢.

(٤) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ١٥ ص ٤٢٨ - ٤٣٩؛ وانظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥ ص ٢٨٨٤ - ٢٨٨٥؛ وانظر جودت سعيد، العمل قدرة إرادة، ص ٩٣ - ١٧٧؛ وانظر محمد أحمد المقدم، علو الهمة، ص ٢٧ - ١٢٥.

(٥) سورة الصف، الآية ٥.

(٦) صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [٥٣٧٥].

(٧) مقدار، العوامل الفعالة في النظم التربوية، الطبعة الأولى، ص ٣١.

(٨) مصدر سابق، ج ١٩ ص ١٧٢.

(يحتاج العنصر الإرادي إلى غذاء ودرية وممارسة للعمل . . . الذي اعتاد أن يشعر في مضمار العمل بالخوف والتهيب، وألِفَ أن يجد نفسه كأنه مكبل في كل أمر، والذي يصعب عليه جداً الإقدام على أمر عظيم، ذاك إنسان قد تعود أسوأ العادات، وقيد بأردأ القيود التي تحول بينه وبين الاستفادة مما وهبه الله من قوى وطاقات)^(١). ولأنه سبحانه وتعالى قد وعد من نصره بالنصر والتمكين، قال تعالى: ﴿... وَلَيَنْصُرَنَّكَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢)، فنصر الله لا يتنزل على ضعفاء الإرادة. فهو يتطلب عزيمة قوية، وإرادة نافذة، تتجاوز قلة أو ضعف الإمكانيات الفنية والمادية، وهذا يقوي الرغبة في العمل والعطاء على كل حال، ووفق الإمكانيات المتاحة، بكل جد وإصرار، قال تعالى: ﴿... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣)، يقول ابن نبي رحمه الله عن قضية التخلف الاقتصادي في العالم الإسلامي: (ليست قضية إمكان مالي، ولكنها قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية . . . تحركها إرادة حضارية لا تحجم أمام الصعوبات، ولا يأخذها الغرور في شبه تعالٍ على الوسائل البسيطة التي في حوزتنا منذ الآن، ولا ينتظر العمل بها حقنة من العملة الصعبة، ولا أي مشروع من نوع مرشال)^(٤). ومن التربية العملية التربوية على الصبر، تلك الطاقة المعينة على تحمل المشاق، وتجاوز العقبات، وعدم استعجال النتائج والثمرات، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن نَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٥)، يقول سيد قطب رحمه الله: (الصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة، إنه طريق طويل شاق، حافل بالعقبات والأشواك، مفروش بالدماء والأشلاء، وبالإيذاء والابتلاء)^(٦)، هذا الزاد المعنوي يحول الحياة الإنسانية إلى حياة جد وبذل، يقول ﷺ: ((المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمن الضعيفِ، وفي كلِّ خيرٍ، احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واستعين بالله، ولا تَعْجِزْ...))^(٧)، والتقدم الصناعي عمل طويل وشاق، لا يناله إلا

(١) المسؤولية، الطبعة الرابعة، ص ٣٠.

(٢) سورة الحج، الآية ٤٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٤) المسلم في عالم الاقتصاد، ص ٧٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢١٤.

(٦) في ظلال القرآن، ج ١ ص ٥٤٥.

(٧) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب ٨.

من تحلى بالصبر والمصابرة، والجد والمثابرة، ومنها تنمية الشعور بالمسؤولية^(١) تجاه وجوب العمل على جميع أفراد أفراد الأمة، والتطبيق العملي لما يعلم الفرد والمجتمع، وكذا مسؤولية الفرد والمجتمع عن قدراته ووقته، وإمكاناته فيم سخرها، يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢). ومنها ربط العمل بوسائله ومعانيه، فلكل عمل متطلباته الضرورية التي لا يقوم إلا بها، وربط الأعمال بهذا المبدأ وسيلة تجعل الفرد يعطي كل عمل حقه، فلا يستسهل أو يستصعب شيء دون مقياس^(٣). ومنها ترسيخ حب العمل وإتقانه، وذلك من خلال بيان شرف ومكانة العمل، ودوره في تحقيق أهداف الأمة قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٤)؛ لينطلق المسلم في عمله من محبة ورغبة صادقة، تكون دافعاً قوياً إلى الإجابة والإتقان، قال تعالى: ﴿... إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٥)، ويقول ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ))^(٦)، وهذا ما يجعل إتقان العمل عملاً إيماني، ينشده الفرد والمجتمع بعيداً عن رهبة الأنظمة والجزاءات المنظمة للعمل. ومن التربية العملية أيضاً تعميق المفهوم الواسع للمعاني الاقتصادية والاجتماعية للعمل^(٧)، من خلال إدراك الفرد لمردود عمله على بقية أفراد المجتمع ودوره في تحقيق الغايات السامية للأمة، مهما كانت قيمة العمل الذي يقوم به.

د: تنمية روح الابتكار، من خلال بيان مفهوم الإبداع والابتكار، وبيان وسائله، والتشجيع على ممارسته؛ للوصول إلى تكوين قدرة إبداعية لدى الأفراد عموماً، والنشء خصوصاً، يقول يالجن: (التربية الإبداعية مهمة لأمر منها: أنها الوسيلة الأساسية لكل ابتكار وإتقان في الميادين العلمية والصناعية، والمهنية،

(١) انظر يالجن، العوامل الفعالة في النظم التربوية، ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) سورة الصف، الآية ٢.

(٣) انظر ابن نبي، شروط النهضة، ص ١٠٢؛ وانظر مشكلة الثقافة، ص ٨٥ - ٨٨.

(٤) سورة الزلزلة، الآيتان ٧ - ٨.

(٥) سورة الكهف، الآية ٣٠.

(٦) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: [١١١٣].

(٧) انظر محمد عبد العليم مرسى، التربية والتنمية في الإسلام، (الرياض: إدارة الثقافة والنشر)،

ص ٧١.

والإدارية^(١). وذلك من خلال قواعد منها^(٢): بيان أهمية الإبداع والابتكار وضرورته؛ لأجل تحقيق أهداف الأمة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأَلْبَابُ﴾^(٣). ومنها لفت الأنظار إلى بديع صنع الله وحسنه، قال تعالى: ﴿... صُنِعَ اللَّهُ لِدَىٰ أَنْفَنَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾^(٤). ومنها إشعار العقل المسلم وإقناعه بأنه قادر على الابتكار والإبداع، فلا شيء مستحيل مع العمل، ولا شيء سهل مع الكسل والتهاون، وإنما لكل من الصعب والسهل جهد يناسبه، وطاقة تذلل. ومنها تدريب النشء على إتقان الأعمال وتحسينها، وتنمية روح المسابقة والمنافسة في المجالات العلمية والعملية^(٥)، يقول الله تعالى: ﴿... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾^(٦). ومنها أيضاً العناية بذوي القدرات الإبداعية والموهوبين^(٧)، من حيث الكشف عنهم^(٨)، وتوفير جميع الإمكانيات، والوسائل المساعدة على تنمية قدراتهم الإبداعية.

هـ: المنهج العلمي. الثروة المادية مهما بلغت فهي ثروة عارضة؛ بسبب تعرضها للمد والجزر التجاري، والآفات المفنية. بينما القدرات الفكرية المنظمة، ثروة باقية على طول الزمن، تتوارثها الأجيال، وتتعاقبها الفترات. وهذا ما جعل طريقة التفكير العلمي مدار وأساس النهضة العلمية والصناعية^(٩)، يقول محمود الخالدي: (من المحتم على هذه الأمة المغلوبة على أمرها اليوم، إن هي عازمت على خلع رداء الماضي القريب، والحاضر المظلم، والتقدم إلى عقلية العصر؛ لتنهض قائمة على أساس الإسلام، عائدة سيرتها الأولى كأعرق أمة على ظهر الأرض،

(١) يالجن، جوانب التربية الإسلامية، ص ٤٨٥.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤٨٥ - ٥٠٠؛ وانظر العوامل الفعالة في النظم التربوية، ص ٥٩ - ٦٣.

(٣) سورة الزمر، الآية ١٨.

(٤) سورة النمل، الآية ٨٨.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٥٨ - ٥٩.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٤٨.

(٧) انظر المرجع السابق، ص ٥٥؛ وانظر أبا سماحة، وآخرين، تربية الموهوبين والتطوير التربوي، (الأردن: دار الفرقان)، ص ٩٤ - ١٥٢.

(٨) انظر المرجع السابق، ص ٣١ - ٤٠، ٦٧ - ٩٢.

(٩) انظر مفهوم الاقتصاد في الإسلام، الطبعة الأولى، ص ٩ - ١٠.

وأقوى قوة فكرية، وحضارية ومادية في العالم. إن عزمت الأمة على ذلك: فإنه لا توجد أمامها إلا طريق واحد هي: إيجاد الأفكار وطريقة التفكير المنتجة؛ ليتمكن المسلمون من السير في اكتساب الثروة المادية، وأن يكتشفوا الحقائق العلمية، ويقوموا بالاختراعات الصناعية، وأن يفجروا الذرة، ويطلقوا الصواريخ العابرة للقارات^(١).

وللعلم في الإسلام منزلة رفيعة، ومكانة شريفة، فهو أساس الإيمان، وقاعدة البنيان، طلبه عبادة وجهاد، ومعرفته خشية، ومدارسته تسبيح، وتعليمه صدقة، دعت إليه أول آية نزلت على رسول الهدى والبيان ﷺ، يقول تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢). لا يعذر من تأخر عنه، قال تعالى: ﴿... فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله: (طلب العلم الشرعي فرض على الكفاية، إلا فيما يتعين؛ مثل طلب كل واحد علم ما أمره الله به، وما نهاه عنه، فإن هذا فرض على الأعيان)^(٤). فهو طريق للفهم والدراية، قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(٥). يرفع أقواماً ويضع آخرين، قال تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾^(٦)؛ لأنه يحوي مقومات الرفع والخفض في الدنيا والآخرة، فجميع أنواع المعارف الدينية والدنيوية ترتبط بالحياة ولا تنفصل عنها، وتتمشى مع متطلبات الاتجاهات الفطرية للإنسان، مما جعلها الأداة الرئيسة والضرورية لعمارة الأرض؛ لذلك وجه ﷺ إلى طلب العلم، فقال عليه الصلاة والسلام: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))^(٧)، يقول محمد قطب: (ليست الفريضة مجرد شيء واجب الأداء فحسب، بل إنها - في المصطلح الإسلامي - عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله، ويتبغى بها رضاه. وهذا هو وضع العلم في الإسلام... ولا يحسن أحد أن هذا

(١) المرجع السابق، ص ١٢.

(٢) سورة العلق، الآيات ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٤) الفتاوى، ج ٢٨ ص ٨٠.

(٥) سورة يونس، الآية ٩٤.

(٦) سورة الزمر، الآية ٩.

(٧) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٢٦٤).

القول يتعلق فقط بما يسمى العلم الشرعي... إنما ينطبق هذا الوصف على كل العلم، ما دام لا يخرج عن الحدود التي رسمها الله. وإلا فانظر معي كيف ينفذ المسلمون هذا الأمر الرباني: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾^(١)، هل يستطيعون ذلك بغير علم يشمل اليوم الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والميكانيكا، وعشرات العلوم غيرها؟ وكيف ينفذون أمره تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا...﴾^(٢)، هل يمشون بغير علم؟ وهل يأكلون من رزقه بغير علم؟^(٣).

هذا التوجيه الكريم لطلب العلم، وضع الإسلام له قواعد وأسس جامعة لطرق التفكير، وأصول النظر العلمي، بينها القرآن الكريم في آيات متعددة^(٤)، من أجمعها لتلك الأصول والطرق، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٥)، وتوضيح ذلك وفق البيان التالي:

اتباع المنهج العلمي، ذلك المنهج الذي يعتمد على الحقائق المعرفية، نظرياً وعلمياً، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾^(٦)، فكل عمل يقوم به المسلم يجب أن يكون وفق هذا المنهج، يُبنى على المعرفة، ويُتأى به عن العشوائية والتقليد، قال تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا...﴾^(٧)، فالصناعة لا بد لها من تأهيل علمي وعملي محكم قبل البدء بها، قال تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتْ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ...﴾^(٨)، والمصنوع لا بد أن يكون على قدر معين من الفنية في تركيبه، وتشغيله.

٢ - استخدام القدرات الشخصية للإنسان، سواء منها الحسية، أو العقلية، أو

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) سورة الملك، الآية ١٥.

(٣) واقعنا المعاصر، ص ٩٣؛ وانظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ١١٥.

(٤) انظر حمدان، العمل، ص ٧٢ - ٧٣.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٦) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٧) سورة هود، الآية ٣٧.

(٨) سورة سبأ، الآية ١١.

الشعورية، حيث وجوب تربية هذه القدرات وتعيدها على تلقي المعارف والعلوم، ويتمثل ذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ...﴾^(١)، من خلال النظر في مخلوقات الله تفكيراً وتأملًا، أملًا في الوصول إلى معرفة أسرار الكون، والخفايا العلمية للمخلوقات، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، والخلق أجمع يشترك في إمكانية المشاهدة، والسير في أرجاء الكون، لكن الفارق بين من ينظر طلباً للمعرفة وبين من ينظر لأجل النظر، فطالب المعرفة يتحول نظره إلى أداة نيرة بصيرة، وسمعه إلى أداة علمية فريدة، وسيره إلى وسيلة تجربة وتقدير، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣).

٣- المسؤولية الدنيوية والأخروية، وذلك في جانب استخدام تلك القدرات والطاقات العلمية بدءاً بعدم تعطيلها، وجانب استخدام تلك القدرات والطاقات في مجالات الخير أو الشر، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿... كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٤)، هذه المسؤولية تجعل العلم عملياً، حيث وجوب توجيهه إلى الميادين العملية المناسبة لحال وحاجة الأمة، والتي تحقق لها أهدافها، وتحفظ لها شخصيتها، ومكانتها، وهذا بدوره يسهم في إثراء الفكر العلمي بالأعمال المنظمة، والخطط الفنية المتقنة، في التركيب والتشغيل والتنفيذ.

و: التنظيم، الإسلام دين منظم، نظم المقادير، فجعل لكل شيء قدراً، قال تعالى: ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾^(٥)، ولكل حدٍ حداً، قال تعالى: ﴿... وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦). نظم الفرائض، ورتب السنن، وأحكم المعاملات، بأسلوب دقيق، وبيان شامل، وبناء متسق، يدرکه المتأمل في العبادات المختلفة. كل ذلك يعبر عن أهمية وضرورة النظام في حياة هذه

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٢) سورة يونس، الآية ١٠١.

(٣) سورة الحج، الآية ٤٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٥) سورة الفرقان، الآية ٢.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٣٠.

الأمة^(١)، ويؤكد ذلك الثناء الإلهي على المنظمين في أعمالهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُبْنُونَ مَرْصُوعًا﴾^(٢)، ثناء يتجاوز مفهوم الثناء إلى كونه دعوة وتوجيه إلى رسم الخطط، وإحكام الترتيب، ووضع قواعد تُرسخ النظام في الحياة العملية والعلمية.

واتباعاً لهذا التوجيه الكريم، عمل ﷺ على ترسيخ مبدأ التخطيط عند إرادة العمل، فعندما أراد الهجرة من مكة إلى المدينة، رسم خطته، وأحكم ترتيبه، فأمن مسيرته، وأعجز قريش عن اللحاق به فتحققت غايته^(٣). وعند إرادة الجهاد كان ﷺ يرسم الخطط، فيعين القائد، ويوجه الوجهة، ويدل على وسائل القوة، ويحدد العلاقة بين القادة والجنود، يتتبع أخبار عدوه، ويوري في وجهته^(٤).

ولتجاوز التخلف الصناعي لا بد من رسم تنظيمي يبنى على ركائز أساسية^(٥) يأتي في مقدمتها:

١ - رسم خطط للتقدم العلمي والتقني، فلكل غاية وسيلة، ولكل مقصد حركة وعمل، والتقدم الصناعي هدف مراد، ومطلب عزيز، يُعمل لأجل الوصول إليه، ويُبدل لأجله الوقت، والجهد والمال وقد يكلف من ذلك الكثير. والأمة المنظمة هي التي تُحكم وسائلها، وتُخضعها لخطط واضحة المعالم، تسير على هداها، ووفق مقتضاها.

والخطط مجموعة من الخطوات العملية المرتبة، المبنية على دراسة وتحليل حقائق ومعلومات مشتتة تهدف في مجملها إلى الوصول للغاية في مدة بينة معلومة، ووفق إمكانات متاحة محدودة، وظروف وملابسات معينة^(٦).

(١) انظر المرصفي، العمل والعمال، ص ١٥٥ - ١٨٨.

(٢) سورة الصف، الآية ٤.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢ ص ٨٩ - ٩٨.

(٤) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، كتاب الإمارة.

(٥) انظر حيدر، التنمية والتخلف، ص ٢٦ - ٣٧.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ٢٥؛ وانظر علي سعيد مكي، تمويل المشروعات في ظل الإسلام،

(دار الفكر العربي)، ص ١٩٤؛ وانظر محمد عبد المنعم عفر، التنمية والتخطيط وتقويم المشروعات في الاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ٢٤٠ - ٢٥٠؛ وانظر رفعت السيد =

إذاً فالتخطيط يحقق سرعة في الوصول إلى الغاية، كما يسهم في المحافظة على الجهد والمال والوقت.

٢ - تخصيص العمل. فالفروق الفردية بين الأفراد من الأمور المسلم بها، سواء على المستوى الشخصي، أو العلمي، أو العملي، وهذه القدرات الفردية تتحكم في نوعية العمل الذي يجيده الفرد فمن يجيد القيادة العسكرية، قد لا يجيد التوجيه العلمي، ومن يتقن الصناعة، قد لا يفقه في الزراعة يقول ﷺ: ((أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمرِ الله عمر، وأصدقهم حياءَ عثمان، وأقروهم لكتابِ الله أبيُّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح))^(١).

كما أن لكل عمل متطلباته، يقول ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: ((يا أبا ذر! إنني أراك ضعيفاً، وإنني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي. لا تأمُرَنَّ على اثنين، ولا تولِّينَ مالَ يتيم))^(٢).

والخطط العلمية مهما كانت محكمة الرسم، فإن نجاحها يتوقف على جودة التطبيق، ودقة التنفيذ من خلال الأشخاص المعنيين، سواء في ذلك المباشرين للعمل، أو المشرفين والقادة؛ لذلك فإن الضرورة العلمية والعملية، والواجب الشرعي، تجعل العناية باختيار الأشخاص، ومدى ملائمة العمل المناط بهم لقدراتهم الشخصية والعملية والعلمية، في درجة إحكام الخطط، قال تعالى: ﴿... إِيَّاكَ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٣)؛ لذلك عني الإسلام بكفاءة العامل، ومناسبته للعمل المناط به^(٤) واعتبر التجاوز في ذلك خيانة لله ولرسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥)؛ لما يترتب على

= العوضي، الأولويات الاقتصادية في الإسلام، (الرياض: دار معاذ للنشر والتوزيع)، ص ١١ - ٣٥.

(١) حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: [٨٩٥].
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٤.
(٣) سورة القصص، الآية ٢٦.
(٤) انظر عبد الكريم، العسال، النظام الاقتصادي، ص ١٣١ - ١٣٢؛ وانظر المرصفي، العمل والعمال، ص ١٦٠ - ١٦٣.
(٥) سورة الأنفال، الآية ٢٧.

ذلك من فوات مصالح الأمة، فهذا رسول الله ﷺ يرفض طلب أبي ذر ؓ للولاية، ويعلل ذلك بقوله ﷺ: ((يا أبا ذرٍّ! إنك ضعيفٌ، وإنها أمانةٌ وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها))^(١).

إذاً فمن الواجب الاعتناء باختيار الرجال، كل حسب إمكاناته وقدراته، وذلك يعني تخصص كل إنسان بعملٍ يتناسب مع قدراته، ويتفق مع إمكاناته؛ لتحدد المسؤولية، ويُنقن التنفيذ، فهذا عمر ؓ يبعث إلى السواد مجموعة من الصحابة، ويخصص لكل واحد منهم عملاً معيناً، يناسب القدرة الشخصية، ويتفق مع الإمكانيات الذاتية، فقد خصص عمار بن ياسر: للصلاة والحرب. وعبد الله بن مسعود للقضاء وبيت المال. وعثمان بن حنيف لمساحة الأرضين^(٢)، يقول القاضي أبو يوسف لهارون الرشيد رضي الله عنهم: (مُرِّ يا أمير المؤمنين باختيار رجل أمين، ثقة عفيف، ناصح مأمون عليك وعلى رعيتك، فولّه جميع الصدقات في البلدان، ومره فليوجه فيها أقواماً يرتضيهم، ويسأل عن مذاهبهم، وطرائقهم، وأماناتهم، يجمعون إليه صدقات البلدان... إنما ينبغي أن يُتخير للصدقة أهل العفاف والصلاح)^(٣).

٣ - التوازن والشمولية، فمبدأ التوازن مبدأ إسلامي، يبنى على الاعتدال الذي أمر به المسلم في كل أمره. وعند إرادة التخطيط للبناء الصناعي، لا بد من إيجاد التوازن بين جميع العوامل المسهمة في التقدم الصناعي، مع إعطاء كل عامل ما يستحقه من الأهمية والفاعلية، يقول محمد قلعه جي: (الاقتصاد المثالي، هو الذي يستطيع إيجاد نوع من التوازن... أما أن ينمو نوع... على حساب نوع آخر، فذلك عَرَجٌ مشوّهٌ للخلاقة، وقاضٍ على المصلحة، بخاصة إذا كان ذلك النمو هو للأعمال التي تعتبر أبعد ما تكون عند تكوين الثروة الحقيقية، وأقرب ما تكون إلى تكوين الثروة الوهمية، والتي يصح لنا أن نسميها «الورَم المالي»)^(٤).

ز: تحديد الأولويات. تختلف الأعمال في أهميتها ودورها في مسيرة الأمم،

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٤.

(٢) انظر أبا يوسف، الخراج، ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٠.

(٤) مباحث في الاقتصاد الإسلامي، ص ٤٤ - ٤٥.

فمنها المهم ومنها الأهم ومنها المؤثر ومنها الثانوي^(١)؛ لذلك فلا بد من السير وفق برمجة علمية تحدد وترتب أولويات العمل الصناعي، بما يناسب المكان والمجتمع، والعصر، وتبين الأهداف القريبة والبعيدة المرسومة لكل عمل صناعي حسب أولويته، وتكون هذه البرمجة متفقة مع أولويات العمل الإسلامي^(٢)، على نحو يحقق المقاصد الشرعية للخلق من ذلك العمل.

والأنشطة الصناعية التي تسهم في تحقيق تلك الأولويات، تدور وتتبدل حسب حاجة العصر، ومناسبة الظروف بين ثلاثة أقسام رئيسة، هي:

١ - أعمال أساسية. وهي الأعمال الرئيسة في حفظ حاجات الأمة الضرورية، والتي يحددها الشاطبي بقوله: (فأما الضرورية، فمعناها: أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين)^(٣)، هذه الأعمال إن أهملتها الأمة فقد الدين سيادته، والمجتمع أمنه وسلامته، والعقل عقلانيته، واختلقت الأنساب، وشاعت الفاحشة، ومحقت البركة.

٢ - أعمال توسعية. والمتمثلة في حاجات الأمة الحاجية، والتي عرّفها الشاطبي بقوله: (أما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم ترعَ دخل على المكلفين - على الجملة - الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة)^(٤)، وهي أعمال تسهم في تحسين الحياة

(١) انظر ابن القيم، مدارج السالكين، ص ٩٨ - ١٠٢؛ وانظر يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، الطبعة الثالثة عشرة، ص ٣٨ - ٤٥؛ وانظر قلعجي، مباحث في الاقتصاد الإسلامي، ص ١٧٠ - ١٧٣.

(٢) انظر الشاطبي، الموافقات، ج ٢ ص ٨ - ١٢؛ وانظر عبد الله القادري، الإسلام وضرورات الحياة، الطبعة الأولى، ص ١٥؛ ٢٧؛ وانظر العوضي، الأولويات الاقتصادية، ص ٣٦ - ٤١؛ وانظر يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، الطبعة الأولى، ص ٢٧ - ٣٠، ٣٥ - ٣٦؛ وانظر حمدان، العلم، ص ١٠٣ - ١٢٤؛ وانظر عفر، التنمية والتخطيط، ص ٣٩ - ١٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٨.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠ - ١١.

وتجميلها، بينما لا يترتب على فقدانها، أو إهمالها خلل واضح، ودورها لا يعادل الجهد الذي بُذل فيها، ولا العطاء الذي صرف لأجلها، والذي يمكن أن يوجه إلى ما هو أهم.

٣- أعمال تكميلية. وهي ما يعبر عنه بالحاجات التحسينية، والتي عرّفها الشاطبي بقوله: (أما التحسينات، فمعناها: الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنّسات، التي تأنفها العقول الراجحات)^(١)، وهي أعمال تسهم في بهرجة وزخرفة الحياة، تأخذ من طاقات المجتمع المختلفة وتبدد، دون مردود يذكر.

هذا التقسيم للأعمال ينظر إليه كمثال وبشكل مجمل، وإلا فأهمية الأعمال متبدلة حسب الحاجة والمجتمع، والعصر، ونوعية النشاط، ومدى التداخل بين الأنشطة وخدمة بعضها لبعض، وتأثر بعضها بإهمال الآخر، فالأعمال التوسعية قد تكون تكميلية، والتكميلية قد تكون أساسية، وذلك حسب الزمان والظروف المحيطة بالأمة، ومنها ما يكون تكميلياً عند مجتمع، لكنه عند آخر أساسي^(٢).

ح: جلب المعرفة. فالمعرفة مطلب إسلامي، والبحث عن الحكمة توجيه شرعي، يقول ﷺ: ((الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقُّ بها))^(٣)؛ لأجلها ينظر في خبرات وعلوم الأمم الأخرى^(٤)، سواء في ذلك السابقين، أو المعاصرين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾^(٥).

وامثالاً لهذه التوجيهات الكريمة، أمر ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة السريانية، لغة يهود^(٦)، وأخذ المسلمون ببعض المعارف المعاصرة لهم في بعض مجالات الحياة المختلفة، ففي الأحزاب استفاد المسلمون من خبرة فارس في حفر

(١) المصدر السابق، ص ١١.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ١٦ - ٢٥؛ وانظر محمد عبد المنعم عفر، المتطلبات الاقتصادية لتحقيق مقاصد الشريعة في اقتصاد إسلامي، الطبعة الأولى، ص ١٤ - ٤٥؛ وانظر العوضي، الأولويات الاقتصادية، ص ٤٣ - ٥٦.

(٣) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٦٤٦٢].

(٤) انظر العصيمي، خطة الإسلام، ص ١٧٩ - ١٨١.

(٥) سورة يوسف، الآية ١١١.

(٦) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ٢٢.

الخنادق^(١)، كما استفاد عمر رضي الله عنه من خبرة الأمم المعاصرة في كتابه الدواوين^(٢). مما يدل على ضرورة الاطلاع على ما عند الأعداء من علوم ومعارف، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه مبيناً خطورة الانغلاق على النفس، وعدم معرفة ما عند الآخرين من علوم ومعارف: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذ نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية)^(٣) ويقول ابن عباس رضي الله عنه: (قال موسى: يا رب... أي عبادك أعلم؟) قال: (الذي يطلب علم الناس إلى علمه؛ ليجد كلمة تدله على هدى، أو ترده عن ردى)^(٤).

هذا الاطلاع العلمي، والنقل المعرفي، لم يكن مجرداً عن الضوابط الحاكمة، وإنما تعامل المسلمون مع ما اطلعوا عليه من علوم الآخرين وفق الضوابط التالية:

١ - منهج النقل، ويتمثل في أمور منها الافتقار إلى المنقول، بحيث يجب أن تكون الأمة في حاجة تدعوا إلى الاقتباس والنقل من علوم الأمم الأخرى، يقول ابن تيمية رحمه الله: (العلم بلغات الأمم ليس مما يجب على الرسل وأصحابهم، بل يجب منه ما لا يتم التبليغ إلا به)^(٥)، ويقول أبو الحسن الندوي: (يأخذ من علوم الغرب: ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق إنما هي علوم تجريبية تطبيقية)^(٦). ومنها أسلمة المنقول، فلا تؤخذ المعرفة بأصولها الكافرة وعلاقتها الخافية، فهذا خطأ كبير، وزلة مهلكة^(٧)، يقول ابن تيمية رحمه الله: (اعتیاد اللغة يؤثر في العقل والخلق، والدين، تأثيراً قوياً بيناً)^(٨)، وإنما يُنأى بها عن أصولها الكافرة، وترتبط بأصولها الإسلامية والتي توجد قطعاً في الكتاب والسنة، علمها وأدركها من أدركها، وجهلها من جهلها قال تعالى: ﴿... مَا فَرَطْنَا فِي

(١) انظر الواقدي، كتاب المغازي، ج ٢ ص ٤٤٥؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٧ ص ٤٥٣.

(٢) انظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٢٣٦ - ٢٣٩.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى، ج ١٠ ص ٣٠١.

(٤) المصدر السابق، ص ٨٥ - ٨٦.

(٥) الفتاوى، ج ٤ ص ١٠٥.

(٦) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص ٢١٧.

(٧) انظر ابن تيمية، مصدر سابق، ج ١٠ ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٨) اقتضاء الصراط، ج ١ ص ٤٧٠.

أَلِكْتَبِ مِنْ شَيْءٍ»^(١)، يقول ابن تيمية رحمه الله: (السلف لم يكرهوا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة، كلفظ «الجوهر»، و«العرض»، و«الجسم» وغير ذلك بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه... فإذا عُرِفَت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات، ووزنت بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذي أثبتته الكتاب والسنة، وينفي الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة، كان ذلك هو الحق)^(٢)، ويقول الندوي: (ينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب، وقلق نفوس يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ويستنتج منها أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون)^(٣)، فإذا وافقت المعرفة مفاهيم الإسلام، نقلت عند الحاجة، فقد كسا ﷺ أم خالد بنت خالد خميصة سوداء لها أعلام فجعل ﷺ يمسح الأعلام بيده ويقول: ((سناه، سناه))^(٤)، والسَّنا بلسان الحبشة يعني: الحسن^(٥)، يقول ابن تيمية رحمه الله: (أما مخاطبة أهل اصطلاح باصطلاحهم ولغتهم، فليس بمكروه - إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة - كمخاطبة العجم: من الروم والفرس، والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز للحاجة. وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه)^(٦). ومنها مناسبة المنقول لحال الأمة؛ لأنه لا بد أن يكون النقل خطوة عملية تسهم في تحقيق أهداف الأمة، بأن يكون المنقول مناسباً للمستوى العلمي والفكري، وللواقع العملي والتعامل، وعند الأمة القدرة على التعامل الصحيح معه، بعيداً عن إثارة الشبهة الفكرية، وإحداث الإعاقعة العملية، والفتنة الحضارية، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمُحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تبلغُهُ عُقُولُهُمْ، إلا كان لبعضِهِمْ

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٢) الفتاوى، ج ٣ ص ٣٠٦ - ٣٠٧؛ وانظر درء تعارض العقل والنقل، (تحقيق: محمد رشاد سالم)، ج ١ ص ٤٤.

(٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص ٢١٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ٣٧.

(٥) انظر المصدر السابق، وانظر كتاب اللباس، باب ٢٢، ٣٢.

(٦) الفتاوى، ج ٣ ص ٣٠٦؛ وانظر درء تعارض العقل والنقل، ج ١ ص ٤٣.

فتنة^(١)، ويقول هشام بن عروة: قال لي أبي: (ما حدثتُ أحداً بشيء من العلم قط لم يبلغه عقله، إلا كان ضلالاً عليه)^(٢).

٢ - الغاية من النقل . يجب حصر وتقييد الغاية من نقل المعرفة في فتح الآفاق المعرفية، يقول ابن تيمية رحمه الله: (أخذ علم الطب من كتبهم، مثل الاستدلال بالكافر على الطريق، واستطبابه، بل هذا أحسن لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة... بل هي مجرد انتفاع بأثارهم كالملابس، والمسكن، والمزارع، والسلاح، ونحو ذلك)^(٣). وليسهم المنقول في الإعداد لمواجهة الأعداء، فالرسول ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة يهود؛ لأنه كان لا يأمنهم^(٤)، واقتباس حفر الخندق كان بغرض مواجهة الأعداء^(٥)، يقول ابن تيمية رحمه الله عن ترجمة الأفكار غير الإسلامية: (إذا حصل من مسلمة أهل الكتاب الذين علموا ما عندهم بلغتهم، وترجموا لنا بالعربية، انتفع بذلك في مناظرتهم ومخاطبتهم، كما كان عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وكعب الأحمري، وغيرهم يحدثون بما عندهم من العلم، وحينئذ يستشهد بما عندهم على موافقة ما جاء به الرسول)^(٦).

ط: التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية. للتكامل الاقتصادي بأوجهه المتعددة، والتعاون التقني بين الدول الإسلامية دور بارز ومؤثر في حل مشكلة التخلف الصناعي، بفعل توافر المواد الأولية والثروة البشرية، والقدرة العلمية التي تجعلها تعتمد على قدراتها في كل عمل صناعي^(٧)، يقول الشاوي: (إن التضامن

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب ٢؛ وانظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١ ص ٥٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفتاوى، ج ٤ ص ١١٤ - ١١٥.

(٤) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ٢٢.

(٥) انظر الواقدي، المغازي، ج ٢ ص ٤٤٥؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٧ ص ٤٥٣.

(٦) مصدر سابق، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٧) انظر ابن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص ١٠٥ - ١٠٧؛ وانظر المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، أثر التقنية على المجتمع العربي أبحاث الندوة العلمية الثامنة، (الرياض: دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب)، ص ١٤١ - ١٧٢؛ وانظر =

الإسلامي يفتح لنا: ... طريق التقدم الصناعي، والتكنولوجي... طريق البناء والعمل، والجهد والتضحية، معتمدين على ما يوفره لنا تضامن شعوبنا ومجتمعاتنا من إمكانيات ومقومات تؤهلنا لمنافسة الأمم الكبرى في ميدان الإنتاج الصناعي، والتقدم العلمي والتكنولوجي ومشاركتها في بناء مستقبل العالم، وتوجيه هذا التقدم لإسعاد البشرية^(١)... إننا نعيش في عصر الذرة والصواريخ والأقمار الصناعية، في عصر أصبح فيه الإنتاج الكبير، والمشروعات الضخمة ضرورة للنمو الصناعي، والتقدم التقني، إن الإنتاج الكبير في عصرنا الحاضر جعل الصناعة الحديثة محتاجة إلى أن تكون قاعدتها الجغرافية والإقليمية مناطق ضخمة، أو قارات كاملة، حتى تتوافر لها ما تحتاجه من مواد أولية متعددة، ومصادر للطاقة متنوعة، وطاقات بشرية متكاملة، تجتمع فيها: الخبرة العلمية، والكثافة العمالية والسكانية، فضلاً عن توفير الموارد المالية، وتوسيع السوق الاستهلاكية. هذه القاعدة الإقليمية العريضة الواسعة الضرورية لبناء الصناعة العصرية، لا يمكن توفرها في بلد واحد من بلادنا، ولا دولة واحدة من دولنا، ولا مجموعة من المجموعات القومية (كمجموعة الدول العربية مثلاً)، بل يجب أن تتسع لتضم جميع أقاليم العالم الإسلامي وأقطاره، وشعوبه، ابتداءً من غرب أفريقيا، إلى أقصى شرق آسيا، هذه المنطقة الإسلامية الوسطى في العالم يمكنها أن تكون وحدة اقتصادية، وتكنولوجية، وصناعية، تستطيع أن تقف على قدمها أمام التكتلات الاقتصادية العالمية^(٢).

ي: إحياء الفاعلية الإسلامية للأمة^(٣)، ولذلك دور بارز في تجاوز هذا التخلف، والتوجه إلى المجال الصناعي بفاعلية مثمرة، تستمد طاقتها من روح الإسلام، الذي أرشد إلى أوجه النشاط الصناعي الميثوثة في هذا الكون، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاثًا مَّتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ

= غريب الجمال، التضامن الإسلامي في المجال الاقتصادي، ص ١٣٩ - ١٦١؛ وانظر حيدر، التنمية والتخلف، ص ١٥١ - ١٦٥.

(١) الشرق الأوسط، ص ١٩١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) انظر محمد بدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ص ٢٠٤ - ٢١٠.

تَقِيكُمْ بِأْسْكُمْ كَذَلِكَ يَبْرُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿١﴾، هذا التنبيه دعوة من الله سبحانه وتعالى إلى ممارسة النشاط الصناعي بفاعلية شاملة لمتطلبات الحياة المختلفة، معتبراً هذا النشاط نعمة أمتن الله بها على عباده، وعبادة توجب: الأجر والثناء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ ﴿٢﴾، وتتطلب: الإتيقان والإحكام، يقول ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتِقِنَهُ)) ﴿٣﴾، هذا العنصر الذي إن فقدته الأمة، ففقدت فاعلية وتأثير نشاطها الصناعي في مسيرتها، يقول المهدي بن عبود: (المسلم يرى أنه لا بد له من إفراغ القدسية على كل شيء بما فيه الآلة، لأن كل شيء لغير وجه الله لا محالة فاشل. إذاً للمسلم في قلبه شيء هو طاعة الحق، وفي يده اليمنى القرآن الكريم، وفي يده اليسرى المصانع، في عقله العلم، وفي قلبه الخير، وتحت أقدامه الجهاد؛ لدفع الشر عن سائر البشر كيف ما كانوا) ﴿٤﴾.

ولإحياء الفاعلية الإسلامية لا بد من إيجاد مناخ فكري، وعملي صناعي بين أفراد الأمة، يهيئها فكرياً، وعملياً، ونفسياً؛ لنجاح التقدم الصناعي ﴿٥﴾، تهيئة تصاحب الباحث في مختبره، والمحلل في معمله، والعامل في مصنعه، والطالب في مدرسته، والمسؤول في إدارته، تكون مع الجميع في كل خطوة عملية، ونظرة تحليلية، ولحظة تأملية. هذه التهيئة تقوم على الاستشعار بحال الأمة، وما تعانيه من تخلف صناعي مؤثر في إعداد القوة المأمور بها، يقول محمد بدري: (الأمة الإسلامية لا بد أن يسودها القلق من واقع التخلف الذي تعيشه، ولا بد أن يستشعر أفرادها الخطر من المستقبل الذي لن يحمل لهم إن بقوا على كسلهم وعجزهم، إلا التبعية الدليلة... فإذا ساد الأمة القلق، واستشعر أفرادها الخطر، فإن هذا يؤدي إن شاء الله إلى وضع جديد في الأمة... وأول ما يكون من أثر هذه الحالة في نفوس الأفراد أنها تحرمهم الشعور بالاستقرار؛ لما يعترهم ويسيطر على مشاعرهم من قلق لا يمكن دفعه إلا بتغيير واقع أمتهم... هكذا ينطلق الأفراد الذين كانوا من قبل

(١) سورة النحل، الآيتان ٨٠ - ٨١.

(٢) سورة سبأ، الآية ١٠.

(٣) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: [١١١٣].

(٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص ١٥٠.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ١٤٨.

مُكَبَّلِينَ بكسلهم ينطلقون؛ لأنهم يشعرون فجأة بانفجار ذاتي داخل نفوسهم، انفجار يطلق طاقاتهم المكبلة في اتجاه تغيير واقع الأمة... هكذا تتجدد فعالية الأفراد، وتتم فعالية الأمة، ويكون التغيير المنشود^(١).

وتقوم هذه التهيئة أيضاً على إدراك أن السبيل الأوحى للتقدم الصناعي هو: العمل القائم على الجهد الذاتي لجميع عناصر الأمة. وهذا يتطلب التعبئة العامة لمواجهة التخلف^(٢)؛ ليستشعر كل فرد مسؤوليته، وليدرك دوره، حتى يتم التفاعل العملي بين الأفراد والمجتمع في مجالات الحياة العامة والعلمية، يقول ابن نبي رحمه الله تعالى: (فالقضية إذاً بالنسبة للعالم الإسلامي، ليست قضية إمكان مالي، ولكنها قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية، أي: الإنسان، والتراب، والوقت)^(٣).

كما تقوم التهيئة على الإدراك التام بأن لكل عمل متطلباته من الجهد والعناية، قال تعالى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾^(٤)، فالإسلام يدعو إلى الجد والنشاط وبذل الطاقة والجهد، تطلعاً إلى معالي الأمور، يقول ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا))^(٥)، ويحث على تحمل المشقة والمعاناة، وعدم استعجال النتائج، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ الْآلَاءَ إِنَّ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا ﴾^(٦)، فينأى بالمسلم عن القعود والتهاون، والاتكال، والخلود إلى الدعة والراحة، يقول ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ، وَالْغَفْلَةِ وَالْعَيْلَةِ، وَالذُّلَّةِ، وَالْمَسْكِنَةِ...))^(٧)، وينهى عن الاستسلام للواقع المتأخر الذي لا يليق بأهل الإسلام، قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ... ﴾^(٨). كما أنه لا

(١) الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ص ٢٠٧.

(٢) انظر الفنجري، المذهب الاقتصادي في الإسلام، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٣) المسلم في عالم الاقتصاد، ص ٧٣.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٢.

(٥) حديث حسن، السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [١٨٨٩].

(٦) سورة البقرة، الآية ٢١٤.

(٧) حديث صحيح. المرجع السابق، رقم الحديث: [١٤٨٩].

(٨) سورة المنافقون، الآية ٨.

يطلب نتيجة مادية معينة يتوقف عليها النصر، وإنما يأمر بالجد في العمل، والأخذ
بالأسباب المتاحة، وعدم التهاون في شيء من ذلك، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾^(١).

كل ذلك يحول الحياة الإسلامية إلى عمل إبداعي مستمر.

بهذه القواعد الإلهية المنظمة للعملية الصناعية، تستطيع الأمة الإسلامية
النهوض من واقعها الصناعي المتخلف، والسير في الطريق الصحيح لإعداد القوة
الشاملة لجوانب الحياة المادية المختلفة، مما يسهم في تهيئة الأمة لأداء دورها
الجهادي.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

المطلب الثالث التطبيق العملي

بنظرة عابرة، وقراءة سريعة لبعض صفحات التاريخ الإسلامي، يخرج الناظر بانطباع أولي تتحدد فيه أبرز الجوانب العملية التي أسهمت في التقدم العلمي والصناعي للمسلمين، على النحو التالي:

أولاً: التعليم.

عني المسلمون بنشر العلم عناية فائقة، حيث رَغَّبُوا فيه، وحملوا الناس عليه^(١)، فقد كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى أمراء الأجناد يقول: (مُر أهل العلم والفقهاء من جنسك، فلينشروا ما علمهم الله من ذلك وليتحدثوا به في مساجدهم)^(٢)، ويصف ابن جبير ما وفر لطلبة العلم في بعض البلاد الإسلامية بقوله: (فمن شاء الفلاح من نَسَاءَ مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد، ويتغزَّب في طلب العلم، فيجد الأمور المُعِينَات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها، فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد، ولا عُذْرَ للمقصر إلا من يدين بالعجز والتسويق)^(٣). تلك العناية أسهمت في تعدد أماكن التعليم التي ينهل منها طلبة العلم في أجواء علمية مناسبة، فأغلب المساجد خاصة الجوامع^(٤) منها تُعقد فيها حلقات العلم والمناظرة. وفي قصور بعض الولاة من الخلفاء

-
- (١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٠٧؛ وانظر ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٥٤، ١١٣، ١٣٧.
(٢) انظر المصدر السابق، ص ٦٨.
(٣) رحلة ابن جبير، ص ٢٥٨.
(٤) انظر ابن كثير، مصدر سابق، ج ١٣ ص ٢٤٩، ج ١٤ ص ٣٢١؛ وانظر المقرئ، الخطط، ج ٢ ص ٢٧٦ - ٢٧٧؛ وانظر ابن جبير، المصدر السابق، ص ٢٦، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٥.

والوزراء، وبيوت العلماء والصالحين، تقام المنتديات، والمجالس العلمية، بحضور العلماء وطلاب العلم^(١)، فقد كان مجلس نور الدين رحمه الله تعالى مجلس حكم وحياء، لا يذكر فيه إلا العلم والدين وأحوال الصالحين، والمشاورة في أمر الجهاد^(٢).

كما تعددت المدارس النظامية وغير النظامية في العالم الإسلامي، فالمعاهد الدينية كالربط، والزوايا تشبه المدارس الإعدادية المعاصرة، أما المدارس الكبيرة^(٣)، فكانت تشبه إلى حد كبير جامعات اليوم. ولخدمة طلاب العلم تعددت المكتبات وانتشرت في أرجاء متفرقة من العالم الإسلامي، وأماكن متعددة داخل البلدان، في المدارس، والمساجد، وفي بعض قصور الولاة والوزراء، ومنازل العلماء والصالحين، حاوية بين جنباتها كتب لم يُسمع بمثلها من قبل عدداً، ومادة، وإخراجاً^(٤).

هذا الواقع التعليمي حظي بدعم مادي يتناسب مع ما ينبغي له، حيث كانت توقف للتعليم الأوقاف الكبيرة، وتخصص له الأموال الطائلة التي تفي بالأغراض التعليمية، كرواتب المعلمين والطلاب ومتطلباتهم المعيشية، والدراسية^(٥)، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى عن أحداث سنة [٧٣٩]: (مما حدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السكرية، وبأشر مشيخة الحديث بها الشيخ الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام محمد بن شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، وقرر فيها ثلاثون محدثاً، لكل منهم جراية، وجامكية كل شهر سبعة دراهم، ونصف رطل خبز، وقرر للشيخ ثلاثون، ورطل خبز، وقرر فيها ثلاثون نفرأً يقرؤون القرآن، لكل عشرة شيخ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين، ورتب لها إمام، وقارئ حديث، ونواب، ولقارئ الحديث عشرون درهماً، وثمان أواق خبز)^(٦).

(١) انظر المصدر السابق، ص ١٩٥ - ٢٠٠.

(٢) انظر أبا شامة، الروضتين، ج ١ ص ١٠.

(٣) انظر ابن كثير، مصدر سابق، ص ١٣٩ - ١٤٠، ص ١٥٩.

(٤) انظر المصدر السابق، ج ١٢، ص ٥٠، ص ٨٥، ص ١٣٤، ص ٣١٣، ص ٣٦٦، ج ١٣ ص ١٤٠، ص ١٧٢، ص ٢١٥؛ وانظر المقرئ، الخطط، ج ١ ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٥) انظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٣ ص ٤٦، ١٥٩، ٢١٥، ج ١٤ ص ٣٢١؛ وانظر أبا شامة، الروضتين، ج ١ ص ٩ - ١٦؛ وانظر رحلة ابن جبير، ص ٢٧، ٢٠٥، ٢٤٨.

(٦) المصدر السابق، ج ١٤ ص ١٨٤.

كما عُني المسلمون بمتطلبات التعليم الفنية، كأحد الدعائم الأساسية للحركة التعليمية، فالمباني المدرسية حازت في عمارتها وتنظيمها سبقاً فريداً من نوعه في عصرها، حيث لم يكن لبعض تلك المدارس نظائر في الدنيا على الإطلاق^(١)، يقول ابن كثير رحمه الله عن مدرسة دار الحديث السكرية في دمشق: (جاءت غاية في الحسن في شكلها وبنائها)^(٢). توافرت لتلك المدارس الوسائل التعليمية المناسبة، كالكتب، يقول ابن كثير عن المدرسة المستنصرية في بغداد: (وقف فيها كتباً نفيسة، ليس في الدنيا لها نظير، فكانت هذه المدرسة جمالاً لبغداد، وسائر البلاد)^(٣). كما توافرت المتطلبات الضرورية للمتعلمين، يقول ابن جبير رحمه الله عن الإسكندرية: (من مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه: المدارس، والمحارس^(٤) الموضوعة فيه لأهل الطب، والتعبد، يفدون من الأقطار النائية، فيلقى كل واحد منهم مسكناً يأوي إليه، ومدرساً يعلمه الفن الذي يريد تعلمه، وإجراء^(٥) يقوم به في جميع أحواله. واتسع عناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئین، حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون بها متى احتاجوا إلى ذلك، ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم، ووكّل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت أيديهم خُدّام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء)^(٦). ولدعم الحركة العلمية استقطب المسلمون العلماء المبرزين في علومهم، ورتبوا لهم الأعمال العلمية، وهياؤوا لهم متطلباتهم الدنيوية التي تكفل لهم الاستمرار في العمل والعطاء بكل همة وإخلاص^(٧).

(١) انظر سبط ابن الجوزي، امرأة الزمان، ج ٨ ص ٣٠٦؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١١ ص ٣١٢، ج ١٢ ص ٩٢، ٩٥، ج ١٣ ص ٤٦، ١١٣، ٢١٥؛ وانظر المقرئ، مصدر سابق، ج ٢ ص ٣٩٣ - ٤٠٤؛ وانظر ابن جبير، مصدر سابق، ص ٢٠٤ - ٢٠٥، ٢١١، ٢٥٥ - ٢٥٦؛ وانظر السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٢٥٥ - ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق، ج ١٤ ص ١٨٤.

(٣) المصدر السابق، ج ١٣ ص ١٥٩.

(٤) واحده محرس: وهو مأوى مخصص للدارسين والمسافرين والزهاد والفقراء. انظر ابن جبير، مصدر سابق، ص ١٥.

(٥) الإجراء: المرتب. انظر المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٢٦٨؛ وانظر هونكه، شمس العرب، ص ١٣٣ =

هذه العناية التعليمية شملت مختلف أنواع العلوم، القديم منها والمعاصر لهم، بذلوا لأجلها الجهد واستنفدوا الطاقة، بعثوا في طلبها من أخرجها لهم من بلاد الكفار، وأحضروا النقلة من مختلف الأقطار^(١)، فأخرجوا أسسها العلمية، ودونوها في مؤلفات ترخر بأفكار تفجر مواهب المهتمين. جعلوا المستشفيات الكبيرة، والمعاهد الطبية المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي مدارس طبية، ذات تخصصات ومستويات عالية، يتلقى الطلاب معارف طبية شتى، أسهمت في إيصال الطب الإسلامي إلى مرحلة عالية المستوى، كسب من خلالها ثقة الآخرين، لشموليته الطبية، وعمقه العلمي وازدهاره العصري^(٢). وجعلوا من الرياضيات فتحاً معرفياً جديداً، تركز عليه علوم علمية كثيرة^(٣). واعتنوا بتفسير ظواهر فيزيائية مهمة، بدأ منها من جاء بعدهم من علماء الفيزياء^(٤). ووضعوا للكيمياء أسساً ومصطلحات بتجاربههم المتعددة، وابتكروا لها طرقاً مختلفة استخدمت في التحويل إلى صناعات مختلفة^(٥).

وشمل اهتمام المسلمين العلمي العلوم الفلكية، فعرفوا النجوم ورموز الفلك، وراقبوا حركتها، وأقاموا المراصد الفلكية المجهزة بالآلات والمعدات اللازمة، فقاسوا خطوط الطول والعرض، وابتكروا الساعات التي تسير على الماء والزئبق،

- = وانظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الطبعة الثالثة، ج ٢ ص ٣٧ - ١٦٩.
- (١) انظر ابن النديم محمد، الفهرست، الطبعة الأولى، ص ٣١٥ - ٣٢١، ٣٣٢ - ٣٤٥.
- (٢) انظر المرجع السابق، ص ٣٥٦ - ٣٦٤؛ وانظر ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ج ٣؛ وانظر فؤاد سزكين، محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية، (معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت) ص ٣٧ - ٥١؛ وانظر هونكه، مرجع سابق، ص ٢٢٨ - ٣٣٥؛ وانظر هيكل نعمة الله، إلياس مليحة، موسوعة علماء الطب، مع اعتناء خاص بالأطباء العرب، الطبعة الأولى، ص ٣١ - ٣٠٨.
- (٣) انظر سزكين، المرجع السابق، ص ٦٧ - ٧٦؛ وانظر هونكه، المرجع السابق، ص ١٥٦ - ١٦٣؛ وانظر موريس شربل، موسوعة علماء الرياضيات، ص ١١ - ٣٣٠.
- (٤) انظر موريس شربل، موسوعة علماء الفيزياء، الطبعة الأولى، ص ٥، ١٧، ٢٧، ٥٠، ٧٠، ١١١ - ١١٢، ١٢٠، ١٣٣ - ١٣٥، ١٥١ - ١٥٢، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٨ - ١٨٩، ١٩٢ - ١٩٣، ٢١٧، ٢٢٨ - ٢٢٩، ٢٩٢ - ٢٩٣، ٣١٦ - ٣١٧، ٣٢٩ - ٣٣٠.
- (٥) انظر ابن كثير، مصدر سابق، ج ٩ ص ٨٠؛ وانظر ابن النديم، مصدر سابق، ص ٤٣٣ - ٤٤١؛ وانظر فؤاد سزكين، مرجع سابق، ص ٥٣ - ٦٦؛ وانظر يوسف أبو فاضل، موسوعة علماء الكيمياء، الطبعة الأولى، ص ١١ - ١٥.

فحددوا الوقت، ووضعوا التقاويم الزمنية، وانتهوا إلى وضع أسس علم الفلك، والتي سار عليها من جاء بعدهم^(١).

وتم التوصل إلى فروع علمية مبتكرة لم تعرف من قبل، بنيت على أسس علمية جديدة، وأوصلوها إلى الذروة العالمية، كما في الفروسية، وصفات الخيل واختياراتها، وحمل السلاح وآلات الحرب والتدبير والعمل لذلك، وكما في البيطرة وعلاج الدواب^(٢).

ثانياً: نقل المعرفة .

اعتنى المسلمون بنقل العلوم والمعارف وترجمتها عن الأمم السابقة والمعاصرة لهم، فترجموا الكتب من مختلف اللغات، ونقلوا المعرفة من مصادرها المختلفة، وأبدعوا في تعدد وسائل وأساليب الترجمة ونقل المعرفة^(٣) وفق منهج إسلامي يعتمد على تطويع المنقول، وتشكيله تشكيلاً يتفق مع المنطلقات الفكرية للمسلمين، يقول سزكين: (لا ينبغي أن نفهم... أن المسلمين لم ينقدوا الأسلاف مطلقاً وأنهم ما كانوا يملكون الجرأة على انتقاد القدماء، بل العكس، فقد انتقدوهم في وقت مبكر من تاريخ اشتغالهم بنفس العلوم. إنما كان نقدهم على طراز خاص بالعلماء المسلمين والعرب، أقل ما نصفه به، أنه نقد بأسلوب أخلاقي، وأن أصحابه أدركوا بوضوح قانون تطور العلوم)^(٤)، فلم يأخذوا المنقول على علاقته، بل

(١) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٨ ص ١٢١؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٠ ص ٢٧٥، ج ١٢ ص ١١١، ج ١٣ ص ٢١٥؛ وانظر البيروني محمد، كتاب القانون المسعودي الطبعة الأولى؛ وانظر سزكين، المرجع السابق، ص ٧٧ - ٩٠؛ وانظر هونكه، شمس العرب، ص ١١٣ - ١٥٥، ١٣١ - ١٣٢، ص ١٤١ - ١٤٢؛ وانظر علي الدفاع، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية، ص ٣١ - ١٣٣.

(٢) انظر ابن النديم، الفهرست، ص ٣٨٢ - ٣٨٣؛ وانظر هونكه، المرجع السابق، ص ١٣٥، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) انظر ابن كثير، مصدر سابق، ج ١١ ص ٣٢؛ وانظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٣٠٢ - ٣٠٣، ٤٣٤؛ وانظر سزكين، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٢٤، وانظر هونكه، المرجع السابق، ص ١٢٤ - ١٢٥، ٣٧٨ - ٣٨٤؛ وانظر رشيد الجميلي، حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي في القرنين الأول والثاني للهجرة، (منشورات جامعة قار يونس)، ص ١٥ - ٥٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٩.

أخضعوه للتمحيص والفحص، أخذاً ورداً، تصحيحاً وتفصيلاً، بحثاً ومناقشة^(١)، يقول البيروني محدداً منهجه العلمي: (فعلتُ ما هو واجب على كل إنسان أن يعمله في صناعته، من تقبل اجتهادٍ من تقدّمه بالميّة، وتصحيحِ خَلَلٍ إن عثر عليه بلا حشمة)^(٢)، وهذا ما سار عليه أغلب العلماء المسلمين، تقول هونكه: (لم يأخذ العرب العلوم التي ورثوها عن طريق الاقتباس كما أنهم أيضاً لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم القريب دون مناقشة، أو تحقيق، فمنذ البدء أدهشوا العالم بالحرية الموضوعية، والشجاعة العلمية اللتين استقبلوا بهما نتائج السالفين، وأقوالهم ليشبعوها بحثاً، ونقداً، وتفصيلاً، وتحقيقاً للأخطاء ودحضها، وعملاً دائماً في الحقل الجديد... لا يؤمنوا حقاً وصواباً، إلا بالأشياء التي تثبت صحتها التجارب وتدعمها)^(٣).

جعلوا من تلك العلوم المنقولة ونتائجها، عوامل مساعدة على الانطلاق في آفاق الإبداع والابتكار يقول سزكين: (أسس العرب علم الكيمياء على أساس نظري وعملي، مستندين إلى النتائج التي وصلت إليها مختلف الأمم قبيل الإسلام)^(٤)، وتقول هونكه: (اهتم العرب اهتماماً بالغاً بالآلات الفلكية، وما ورثوه عن اليونان كان بدائياً، وأعجز من أن يساندهم في سباقهم نحو الأمجاد التي رسموها لأنفسهم، فكان أن طوروها، وزادوا عليها أشياء عديدة، وقدموا اختراعات أخرى تشبه المعجزات، مبتكرين بذلك آلات مختلفة)^(٥).

ثالثاً: المنهج العلمي.

انطلق المسلمون في أغلب توجهاتهم وأعمالهم من منطلقات علمية، وساروا في التطبيق وفق طرق مدروسة، وهذا ما أسهم كثيراً في التقدم العلمي والصناعي بوجه عام. مثلاً يخضع اختيار موقع لأحد المستشفيات، لمقاييس دقيقة، تنطلق من أسس علمية تفرض أن يكون الموقع متمتعاً بالأجواء الصحية المناسبة؛ وهذا ما طبق

(١) انظر المرجع السابق، ص ٢٥ - ٢٦؛ وانظر هونكه، مرجع سابق، ص ٤٠١.

(٢) مرجع سابق، ج ١ ص ٤ - ٥.

(٣) شمس العرب، ص ١٤٣.

(٤) محاضرات، ص ٢٥.

(٥) مرجع سابق، ص ١٣٤.

عند اختيار مواقع أغلب المستشفيات في البلاد الإسلامية^(١)، فعندما عزم صلاح الدين الأيوبي على استحداث مستشفى في القاهرة، بحث عن موقع مناسب، فقبل له: هنا مكان لا تدخله النمل، قال: إذاً يصلح أن يكون مارستاناً، فأقيم في ذلك الموقع مستشفى^(٢).

وعند القيام بأعمال إنشائية يتم العمل وفق أسس علمية تحكم البناء، وتضمن جودة النتيجة، ففي الأندلس جُلب الماء من البحر على وزن بديع، وتدبير محكم، حتى طُحِن به^(٣).

أما في الجانب العلمي فقد كانت عناية المسلمين بالمناهج العلمية فائقة كل تصور، حيث حولوا اتجاه البحث العلمي من الجانب النظري الفلسفي التجريدي، إلى المجال العلمي التجريبي، الذي جعلوا منه منهجاً علمياً ثابتاً بقواعده وأصوله، فكانت النقلة إلى الآفاق الواسعة^(٤)، تقول هونكه: (لم يبدأ البحث العلمي الحق القائم على الملاحظة والتجربة إلا عند العرب، فعندهم فقط بدأ البحث الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه، يتدرج من الجزئيات إلى الكلّيات، وأصبح منهج الاستنتاج هو الطريقة العلمية السليمة للباحثين، وبرزت الحقائق العلمية كثمرة للمجهودات المضنية في القياس والملاحظة بصبر لا يعرف الملل. وبالتجارب العلمية الدقيقة التي لا تحصى، اختبر العرب النظريات والقواعد والآراء العلمية مراراً وتكراراً، فأثبتوا صحة الصحيح منها، وعدلوا الخطأ في بعضها، ووضعوا بديلاً للخطيء منها... إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء، والطبيعة، والحساب، والجبر والجيولوجيا، وحساب المثلثات، وعلم الاجتماع، وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف العلوم، والتي سُرِق أغلبها، ونُسب لآخرين، قدّم العرب أثمن هدية وهي: طريقة البحث العلمي الصحيح، التي مهدت أمام الغرب طريقه؛ لمعرفة أسرار الطبيعة)^(٥).

(١) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٨ - ٣٣٥.

(٢) انظر المقرئزي، الخطط، ج ١ ص ٤٠٧.

(٣) انظر المقرئ، نفع الطيب، ج ١ ص ١٨٨.

(٤) انظر (... (بريفولت، بناء الإنسانية، ص ١٩٠))... محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، الطبعة الثانية، ص ١٥٠.

(٥) شمس العرب، ص ٤٠١ - ٤٠٢.

رابعاً: العناية بالتنوع والكيف .

عني المسلمون بالصناعات الحيوية التي تحقق نقلة نوعية في مجالها، فصنعوا الورق كفتح في طريق العلم والمعرفة^(١)، وحولوا الأسلحة النارية إلى قذائف صاروخية كانت فتحة في ذلك الزمن، لا يوازيها في عصرنا إلى الصواريخ العابرة للقارات^(٢)، وجعلوا للاتصال وسائل نقل سريع^(٣)، وجهزوا المجاهدين بوسائل إنذار مبكر لحركات الأعداء^(٤).

خامساً: الصناعة .

تعددت التوجهات الصناعية وتنوعت، حتى شملت جميع المستلزمات الحياتية، ووصلت إلى أعلى درجات الجودة والإنقان في عصرها، ففي مجال النقل والمواصلات، تعددت دور صناعة المراكب والسفن البحرية، خاصة الحربية منها؛ لتأمين متطلبات الأساطيل المجاهدة^(٥). وفي مجال الأثاث والمقتنيات المنزلية، أقيمت مصانع الصناعات الاستهلاكية، ذات الجودة التي لم يُصنع مثلها في زمانها^(٦). أما الصناعات الزجاجية، فقد صنع الزجاج الغريب، والفخار المزجج^(٧). أما المجال العسكري، فقد أخذ من اهتمام أصحاب المصانع وعنايتهم ما يجب له، فانتشرت مصانع السيوف والتّراس، والرّماح، والسروج، والألجم، والدروع، والمغافر، وغيرها من دقائق الآلات الحربية^(٨).

(١) انظر المرجع السابق، ص ٤٣ - ٤٧؛ وانظر متر، الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٣٦٥ - ٣٦٨.

(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٣٣٥؛ وانظر هونكه، المرجع السابق، ص ٥٠؛ وانظر ((Rene Grousset: L'Epopée Croisades. P.P. 354 - 355)). . . برجاوي،

الحروب الصليبية في المشرق، ص ٥٦٠.

(٣) انظر هونكه، المرجع السابق، ص ٥٢.

(٤) انظر أبا شامة، الروضتين، ج ١ ص ٩.

(٥) انظر المقرئزي، الخطط، ج ١ ص ٤٨٢ - ٤٨٣، ج ٢ ص ١٩٥ - ١٩٧؛ وانظر السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٦) انظر المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٧٣، ٣٣١ - ٣٣٢؛ وانظر المقرئ، نفع الطيب، ج ١ ص ١٨٧ - ١٨٨؛ وانظر المقرئزي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٧٧؛ وانظر متر، مرجع سابق، ص ٣٥٠ - ٣٦٠.

(٧) انظر المقرئ، المصدر السابق، ص ١٨٧.

(٨) انظر المصدر السابق، ج ١ ص ١٨٨.

المبحث الثاني

الخلل في التدريب

للقاتل عناصر حيوية ورئيسة، تتمثل في المقاتل والسلاح، فالمقاتل عنصر فاعل ومؤثر في القتال، يدرك الموقف ويقدره، ثم يقرر وينفذ. والسلاح عنصر حسم، وأداة فصل، لا يمكن لأحدهما التفوق دون تفاعل الآخر معه، هذا التفاعل لا يتأتى عفويًا، كما أنه لا يُثمر إذا كان عشوائياً، يقول محمود خطاب: (ليس كل من ارتدى البزة العسكرية، وقضى ردهاً من الزمن في الجيش أصبح جندياً. بل لا بد من توافر صفات معينة في الجندي؛ ليكون جندياً يفيد ولا يضر، ويبنى ولا يهدم، ويقاتل ولا يستسلم، ويثبت ولا يفر^(١) . . . من تلك الصفات للجندي الحق: أن يكون مدرباً، والجندي المدرب يتغلب على الجندي غير المدرب بسهولة، ولا قيمة عسكرية للجندي المتخلف في التدريب العسكري)^(٢)، ويقول أيضاً: (لا قيمة لأي سلاح من الأسلحة إلا باستعماله، والتدريب على استعمال السلاح تدريباً راقياً دائماً، هو الذي يؤدي إلى استعماله بكفاية، والمقاتل المدرب على استعمال سلاحه، هو وحده يستطيع استعماله بنجاح، أما المقاتل غير المدرب، فلا يستفيد من سلاحه كما ينبغي، والمدرب يستطيع التغلب على غير المدرب بسهولة. ومن الضروري أن يثق المقاتل بسلاحه، والثقة تتم بالتدريب على استعمال السلاح، فإذا كان المقاتل لا يثق بسلاحه لضعف تدريبه، أو لضعف السلاح، فإن مصير هذا المقاتل مصير لا يحسد عليه)^(٣).

(١) بين العقيدة والقيادة، الطبعة الثالثة، ص ٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٣) العسكرية العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، ص ١٠٥.

إذاً فالتدريب روح الجندي^(١)؛ لذلك لا بد أن يُبنى على أسس صحيحة،
تضمن التفاعل المتوازن بين الجندي وسلاحه.
وفي هذا المبحث أكتب عن الخلل في تدريب الجند في عالمنا الإسلامي،
باعتباره أحد عوائق الجهاد وذلك في عدة مطالب:

(١) انظر محمود خطاب، الوحدة العسكرية العربية، الطبعة الثانية، ص ٢٦٠؛ وانظر عبد الرؤوف
عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، (القاهرة، دار المعارف)، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

المطلب الأول التحليل

وذلك في عدة فروع:

الفرع الأول التعريف

أولاً: الخَلَلُ، لغة: الفُرْجة بين الشيئين، تقول خَلَلَّ بينهما، أي: فرَجَ بينهما. وفي رأيه خَلَلٌ: أي انتشار وتَفَرُّق. وعسكر خَالٌّ، ومُتَخَلِّلٌ: غير مُتَضَامٍ؛ كأن فيه منافذ. والخَلَلُ في الأمر والحرب: فساد ووهن، كأنه تُرك منها موضع لم يُبْرَم، ولا أُحْكَم^(١).

هذه المعاني اللغوية تبين ما أردته في هذا المبحث، حيث البيان لتلك الفجوة المادية التي تحول بين المجاهد، وأداء واجبه الجهادي.

ثانياً - التَّدْرِيبُ، لغة: مأخوذ من: الدُّرْبَةِ، وهي: التجربة والضراوة، تقول، درِبَ درِباً: أي اعتاد وضري. ودرِبَ على الشيء: مرَّنَ وحَدِّقَ. يقول الرازي رحمه الله: (الدُّرْبَةُ: عادةٌ وجِراءَةٌ على الحرب، وكل أمر^(٢)). وقيل مأخوذ من: الدُّرُوبُ، وهي: الطرق، والمسالك، تؤلف وتعرف فلا ينفر منها. تقول ناقة مدربة، أي: مُخَرَّجَةٌ مُؤَدَّبَةٌ؛ لأنها قد ألفت الركوب، وتعودت المشي في الدروب، فصارت تألف الدروب وتعرفها، ولا تنفر. ودرَّبَ، أي: عود ومرَّن. والدَّارِبُ، هو: الحاذق

(١) انظر الرازي، مختار الصحاح، «خلل»؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب، «خلل».

(٢) المصدر السابق، «درب».

بصناعته. والتدريب: الصبر في الحرب وقت الفرار^(١).

هذا المعنى اللغوي هو ما أردته في هذا المبحث، فالتدريب الذي أعنيه: هو التدريب الذي يصل بالمجاهد إلى درجة عالية من الاستعداد البدني، ويمرنه على الاستخدام الأمثل للسلاح، ويعوده على استخدام أساليب متعددة في قتال الأعداء.

ومن الألفاظ التي تطلق على التدريب، لفظ: التَّمرينُ. والتَّمرينُ في اللغة يعني: التَّلين، مَرَّنَ يَمْرُنُ مَرَانَةً ومُرُونَةً: لِينٌ في صلابة. ومَرَّنَتْهُ: أَلْتَتْهُ وصلَّبَتْهُ. ومَرَّنَهُ على الشيء فتمرَّن: درَّبَهُ فتمدَّرَب، وعوده فتعود.

ومرَّنَ فلاناً على الأمر: عودته ودربه ليمهر فيه. ومرَّنت يد فلان على العمل: تعودته ومهرت فيه. والمُتَمَرَّنُ: المُتَدَرَّبُ، ومن يقضي مدة من الزمن في التدريب على ممارسة مهنته ليمهر فيها^(٢).

الفرع الثاني

مظاهر الخلل في التدريب.

للخلل في التدريب مظاهر متفشية في عالمنا الإسلامي، منها:

أولاً: القصور في التجنيد.

تفاوت أساليب التجنيد والتعبئة في عالمنا الإسلامي، بين نظامي الإلزام، والتطوع. ولأن نظام التطوع هو السائد في أغلب البلاد الإسلامية، فإن الأمة تعاني من عدة أمور في مجال التجنيد، منها قلة أعداد أفراد الجيوش الإسلامية. ومنها عدم القدرة على بناء قوات مسلحة كبيرة الحجم، بسبب النفقات العالية التي يتطلبها نظام التطوع. ومنها تعطيل قدرات أعداد كبيرة من أبناء الأمة ورغباتهم، والتي تجهل أبسط واجباتها الجهادية، وأدنى قدرة في التعامل مع الأسلحة البدائية. ومن ذلك صعوبة تعويض الخسائر البشرية عند نشوب حرب، بسبب قلة المتدربين، والمؤهلين

(١) انظر المصدر السابق؛ وانظر ابن منظور، مصدر سابق، «درب»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «درب».

(٢) انظر ابن منظور، المصدر السابق، «مرن»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المرجع السابق، «مرن».

للقتال^(١). ومنها أن الجندية أصبحت في أغلب البلاد الإسلامية مهنة تجلب الرزق، شأنها كشأن أي مهنة وظيفية أو تجارية^(٢). ومنها أنه قُبل في العسكرية أشخاص غير مؤهلين عقلياً وثقافياً لاستيعاب التدريبات اللازمة، خاصة تدريبات الأسلحة الألكترونية والفنية^(٣). ومنها عزل المؤسسات التعليمية والاجتماعية المدنية عن الحياة العسكرية، حيث من الملاحظ اليوم خلو المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعات من التوعية العسكرية، والتدريبات العسكرية الخفيفة، من جراء ذلك يعيش الطالب المدني في جهل كبير بأبسط المعلومات العسكرية، كما يعيش حياة ترف ونعومة تنأى به كثيراً عن متطلبات الحياة الجهادية^(٤). ومنها قصور الإعداد والتهيئة العامة اقتصادياً واجتماعياً^(٥)، والتدريب على القيام بالمتطلبات الضرورية في أثناء القتال، وكأن عامة المجتمع في منأى ومأمن من التهديد المسلح، والاقتصاد مطلب ثانوي في أثناء القتال.

ثانياً: ربط التدريب بأهداف غير إسلامية.

يتم في أغلب البلاد الإسلامية حصر أهداف التدريب على تحقيق غايات دنيوية، ذات أفق ضيق ونظرة محدودة، تُرفع كشعارات تبنى عليها أهداف التدريب في مراحلها المختلفة على النحو التالي:

أ: مرحلة الدعوة إلى التدريب. فالدعوة إلى الالتحاق في البرامج العسكرية تتضمن عبارات متعددة تُرفع كعامل إغراء وتشجيع على العسكرية، من هذه العبارات، القول بأن الحياة العسكرية تحقق للمتدرب: المستقبل المضمون،

(١) انظر محمود خطاب، الوحدة العسكرية العربية، ص ٢٦٥؛ وانظر خالد الشتوت، المسلمون والتربية العسكرية، (المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم)، ص ٢٢٥ - ٢٢٧؛ وانظر كمال الأتربي، حسين طنطاوي، دليل التجنيد والخدمة العسكرية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية)، ص ١٧ - ٢٠، ٣١ - ٣٣؛ وانظر طلعت أحمد مسلم، التعاون العسكري العربي، الطبعة الأولى، ص ٢٣٤.

(٢) انظر خطاب، المرجع السابق.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٢٦٩ - ٢٧٠؛ وانظر الشتوت، مرجع سابق، ص ٧ - ٨، ١٧ - ١٨.

(٥) انظر مسلم، مرجع سابق، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

الوجهة الاجتماعية، المكانة العملية^(١).

ب: مرحلة التدريب وقت السلم. غالباً ما يصاحب التدريب وقت السلم في بعض البلاد الإسلامية رفع شعارات دنيوية، تُنمي في المتدرب روح الولاء لها^(٢).

ج: مرحلة التدريب وقت الحرب. في هذه المرحلة تستخدم مصطلحات غير إسلامية كمصطلحات: (الكفاح، والصراع، والنضال^(٣)، وإزالة آثار العدوان^(٤))، في التعبير عن الأعمال التدريبية، رغم أنها مصطلحات تنأى بالتدريب عن غاياته السامية، وتجعل منها رد فعل لأعمال وقتية.

د: مرحلة القتال. في أثناء خوض المعارك، ترفع شعارات: (النصر لنا، الله معنا، النصر للعرب، النصر للعرب والإسلام)^(٥)، ونحوها من الشعارات التي توحي بأن النصر مضمون لأصحاب هذه الشعارات، دون الأخذ بأسباب النصر^(٦).

ثالثاً: غياب العقيدة العسكرية الإسلامية.

العقيدة العسكرية تعبير رسمي يحدد أسس ومبادئ الاستراتيجية العسكرية سلماً وحرماً^(٧)، يقول محمد جمال الدين محفوظ: (السياسة العسكرية المرسومة،

(١) انظر كلية الملك عبد العزيز الحربية، مجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية العدد ٢٨ (١٤٠٨ هـ): ص ١٠.

(٢) انظر الأتربي، طنطاوي، دليل التجنيد. ص ١٧ - ١٨؛ وانظر محمد عليان عليمات، مدخل إلى الثقافة والتربية الوطنية، الطبعة الأولى، ص ١٣١ - ١٣٥؛ وانظر العلياني، أهمية الجهاد، ص ٤١١ - ٤١٥؛ وانظر بسام العسلي، المذهب العسكري الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ٣٧٧ - ٣٧٩.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٧.

(٤) انظر القرضاوي، درس النكبة الثانية، ص ٤٥.

(٥) عبد العزيز بن باز، موقف اليهود من الإسلام وفضل الجهاد في سبيل الله، الطبعة الأولى، ص ٢٠.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٠ - ٢١.

(٧) انظر جمال يوسف الخلفات، بهاء الدين محمد أسعد، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، الطبعة الثانية، ص ٨٧؛ وانظر أحمد بصبوص، العقيدة القتالية في الإسلام، الطبعة الأولى، =

التي تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح. وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها من وجهة نظرها، وطرق إدارتها، والأسس الجوهرية لإعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب^(١).

والعقيدة العسكرية الإسلامية غائبة بدرجة متفاوتة عن العسكرية المعاصرة في عالمنا الإسلامي، وإن وجدت في بعض البلاد، فهي لا تتجاوز وجود بعض الأسماء والمظاهر الخارجية فقط، يقول خطاب: (إن العقيدة العسكرية الإسلامية غائبة غياباً تاماً عن القوات المسلحة العربية والإسلامية في جميع أرجاء البلاد العربية والدول الإسلامية، مجهولة جهلاً كاملاً في المدارس والمعاهد والكلية العسكرية العربية والإسلامية، وفي سائر المؤسسات التعليمية العسكرية والمدنية أيضاً في الوطن العربي، ودار الإسلام لا يعرفها العسكريون... ولا يقدرون قيمتها العظيمة، ومكانتها الرفيعة بين العقائد العسكرية... ولا يعملون بها؛ لأنهم يجهلون، ويجهلون أثرها وتأثيرها في العرب والمسلمين)^(٢).

ومظاهر هذا الغياب تتمثل في جانبين، جانب الاعتماد على العسكرية الأجنبية حيث تقوم العسكرية المعاصرة في عالمنا الإسلامي على مبادئ وأسس العسكرية الأجنبية^(٣) كمصدر للعلوم والمعارف، والتنظيمات العسكرية، تؤخذ منها النظريات العسكرية وتبنى عليها الدراسات العسكرية^(٤)، يقول محفوظ: (مما يلفت النظر في عالمنا العربي والإسلامي، أن القادة العسكريين في أغلب دولهم، يؤسسون دراساتهم العسكرية على النظريات، والعقائد العسكرية والتاريخ الحربي نقلاً عن الغرب أو الشرق)^(٥)، يقول عبد العزيز المسند: (... المسلمون اليوم يتبعون

= ص ٢٢ - ٢٦؛ وانظر محمد العلي، منهج الإسلام في السلم والحرب، الطبعة الأولى، ص ٢٤١؛ وانظر ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي، الطبعة الأولى، ص ٣٥٥.

(١) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية، سلسلة دعوة الحق، السنة الرابعة، العدد [٣٧]، ص ٢٢.

(٢) العسكرية العربية الإسلامية، ص ٣١.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٥؛ وانظر الخلفاء، أسعد، العسكرية الإسلامية، ص ٨٦؛ وانظر بصوص، العقيدة القتالية، ص ٥٣ - ٦٩.

(٤) انظر خطاب، المرجع السابق، ص ٣١ - ٣٣؛ وانظر مسلم، التعاون العسكري، ص ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٥٥.

(٥) العسكرية الإسلامية، ص ٥ - ٦.

التنظيم الحربي والوسائل التي أخذوها عن أعدائهم، وينسون الوسائل المعنوية والحسية التي جاءت من ربهم، وعلمها لهم نبينهم^(١). أما الجانب الآخر فيتمثل في إهمال التاريخ العسكري الإسلامي فالتاريخ العسكري هو النافذة التي يطل منها الجندي على عسكريته؛ ليستنب منها الدروس والعبر وليتعرف على القواعد والأساليب العسكرية. يتعامل الجندي مع التاريخ العسكري على أنه الماضي الذي هو امتداده والسلسلة التي هو أحد حلقاتها، فينطلق مما وصل إليه من سبقه، متجاوزاً ما وقع فيه سلفه. والمتأمل لمحتويات التاريخ العسكري الذي يُدرّس في أغلب المؤسسات العسكرية، يجده يعتمد على الأحداث والوقائع العسكرية المختلفة للأعداء، تصور على أنها إبداعات عسكرية، بل تُدرّس المعارك الموجهة ضد العالم الإسلامي على أنها فتح جديد في مجال العسكرية الحديثة، هذا التاريخ يصور القادة العسكريين للأعداء على أنهم القادة الأميز عسكرياً، نظرياتهم لا يعترها الخطأ وأقوالهم دروس تستوجب وقفات تأمل وعناية، كل ذلك يجعل الطالب العسكري يعيش حالة انبهار وإعجاب بمزايا التاريخ العسكري الأجنبي، وبقاداته الأفاضل كما صورا. لقد كان من آثار تدريس التاريخ العسكري بمعلوماته وأسلوبه، تخريج أجيال من العسكريين على جهل كبير بالتاريخ العسكري الإسلامي^(٢) ينظرون إلى العسكرية الإسلامية نظرة ازدراء وتهكم، يقول محمد فرج: (التاريخ الحربي الإسلامي لم ينل ما يستحقه من عناية الكتاب، واهتمامات المؤرخين، وحرص الدارسين ووجدنا بين أيدينا فضلاً غامراً من المؤلفات التي تحدثت عن الحروب في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً، بينما افتقدت المكتبات أية مؤلفات تتناول المعارك والحروب الإسلامية. وأصبحنا نسمع ونقرأ عن شخصيات عسكرية تنتمي إلى دول العالم كله، وعن معارك حربية تمت في مختلف الأماكن والأزمنة، ولم تطرق أذاننا كلمة عن قائد عسكري مسلم، رغم نبوغ القيادات الإسلامية، أو عن معركة إسلامية، رغم روعة الأداء فيها، وارتفاع مستوى الإعداد والتجهيزات والتنفيذ)^(٣).

كل ذلك أسهم ويُسهم في طمس معالم العسكرية الإسلامية، ويرسخ في

(١) متى ينتصر المسلمون، (الرياض: جمعية الثقافة والفنون)، ص ٤٥.

(٢) انظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) المدرسة العسكرية الإسلامية، الطبعة الثانية، ص ١٨.

الأذهان ضعفها وتأخر المسلمين في مجالها^(١).

رابعاً: التباين بين مراحل التدريب.

التدريب العسكري يتم على مراحل، حيث مرحلة التدريب النظري على الورق. ثم مرحلة التدريب الهيكلي على المواقع. ثم مرحلة التدريب العملي على الأسلحة بأنواعها المختلفة^(٢).

هذه المراحل الثلاث تشهد فجوات متعددة ومتباينة، منها: البون الشاسع بين المعلومة النظرية والتطبيق العملي لها، وكأن كل مرحلة من هذه المراحل مرحلة مستقلة لا ترتبط بالأخرى. ومنها عدم التوازن في الفترة المحددة لكل منها، حيث يغلب على التدريبات المعاصرة، التدريبات النظرية ثم الهيكلية وأخيراً التدريبات العملية والتي لا تأخذ ما يجب لها من وقت، رغم أنها خلاصة المراحل السابقة، وعلى مدى نجاحها يكون نجاح المراحل السابقة، يقول خطاب: (الكتب العسكرية وحدها - على أهميتها الكبرى - ليست كافية للتدريب على صنوف القتال، إنها تغذي العقول بالمعلومات العسكرية النظرية، وبشيء غير قليل من المعلومات العسكرية العلمية. ولكن التمارين العسكرية بقطعات، أو بدون قطعات، هي التي تمد العسكريين بتجارب علمية لا يستغنى عنها)^(٣).

خامساً: القصور في التدريب.

حيث يقتصر التدريب في أغلب البلاد الإسلامية على الناحية البدنية الصرفة، المبعدة والمفصولة تماماً عن الناحية الروحية، بل إن الأساس الديني بوجه عام، بعيد كل البعد عن جميع الوسائل والأساليب التدريبية المعاصرة^(٤)، ومعزول بدرجة متفاوتة عن البرامج التدريبية في بعض البلاد الإسلامية، فلا يُرى للأساس الديني أي

(١) انظر محفوظ، العسكرية الإسلامية، ص ٦ - ٧.

(٢) انظر محمود خطاب دراسات في الوحدة العسكرية العربية، الطبعة الثانية، ص ٨٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ١٤٠؛ وانظر القرضاوي، درس النكبة الثانية، ص

٩١ - ٩٤.

دور مؤثر، بل قد ينسب إليه الاخفاق، وينادى بالتخلي عنه طلباً للنصر^(١).

وهذا ما جعل أغلب الطاقات العسكرية الإسلامية تعجز عن أداء واجبها، بسبب ما تعانيه من فقر روحي قضى على جل قدراتها وإمكاناتها.

وليت الأمر توقف عند هذا الحد، فقد انتشر في بعض الجيوش الإسلامية كثير من المخالفات الشرعية تمارس جهاراً، حتى في لحظات الخطر، واشتداد المواقف.

هذه المخالفات تتفاوت في مضامينها ومعانيها، فمنها ما يؤدي إلى الكفر البواح، كما في شتم الله سبحانه وتعالى، وشتم رسوله ﷺ. ومنها ما هو في درجة أقل، كما في استخدام كثير من الألفاظ والعبارات المحرمة. أما عملياً فتشيع كثير من الفواحش والمنكرات داخل معسكرات الجيوش الإسلامية كشرب المسكرات بأنواعها، واستخدام المخدرات، وإقامة الحفلات الماجنة والراقصة، والدعارة المتنوعة، وسماع المعازف والأغاني، ولعب الميسر والقمار. بل إن بعض الأنظمة والقوانين العسكرية تمنع وجود أي مظهر إسلامي، كإعفاء اللحى، واحترام أوقات الصلوات، أو أدائها جماعة، وبعض الأنظمة تجعل الخيار للجندي في أداء الصلاة، فمن أراد أن يصلي فليصلي كيف وأتى شاء.

هذه الأجواء الآمرة بالمنكر والداعية إليه، والناهية عن المعروف والمنفرة منه، يعتبرها بعض العسكريين الأجواء الملائمة والمناسبة للعسكري، فلكي تنجح وتتفوق عسكرياً يجب عليك الابتعاد عن تعاليم الدين، بل إن البعض يرى بأن الجندي يجب أن لا يكون متديناً.

داخل هذه الأجواء يجد الجندي الملتزم بتعاليم دينه كل سخرية واستهزاء واحتقار، يُنتقد بشكل لاذع ومفزع، ويواجه دوماً بالسخط المرير من قاداته وزملائه، وأحياناً قد يجبر على ارتكاب الفواحش، وقد يصل الأمر إلى التضيق عليه، وتوجيه التهم له تمهيداً لسجنه، أو طرده، أو إعدامه^(٢).

(١) انظر المرجع السابق، ص ٢٦ - ٣٠، ٤٠ - ٤٣.

(٢) انظر خطاب، بين العقيدة والقيادة، ص ٢٣ - ٢٧، ١١٧؛ وانظر القرضاوي، المرجع السابق، ص ١٨؛ وانظر المسند، متى ينتصر المسلمون، ص ٤٦؛ وانظر الشتوت، المسلمون والتربية العسكرية، ص ٢٣٠ - ٢٣٢.

سادساً: اختلاف التنظيم .

تسود الجيوش الإسلامية تنظيمات مختلفة، ومتباينة، على مختلف المستويات والتشكيلات^(١)، مما يسهم في صعوبة التدريبات المشتركة، ويعطل كثيراً من القدرات القتالية، يقول خطاب: (إن اختلاف التنظيم العسكري يؤدي إلى صعوبة التعاون الفعال بين الجيوش العربية في التدريب الإجمالي وفي الميدان)^(٢)، ويقول يوسف السلوم: (لا زالت الجيوش العربية تتميز بطابع المحلية لكل جيش عربي ولا زالت التسميات مختلفة بين وزارات الدفاع، والقيادات العامة، والهيئات والمنظمات العسكرية القائمة، وبالتالي بين أنظمة الخدمة العسكرية، واختلاف تنظيم الأجهزة التي تشرف على تنفيذها واختلاف المرتبات، والمستحقات، وطريقة التدريب، والأخذ بالوسائل الحديثة)^(٣).

سابعاً: عدم كفاءة الإدارة العسكرية .

الإدارة أحد الركائز الرئيسة للنجاح، وجيوشنا الإسلامية تعاني من ضعف في القيادة العسكرية على مختلف المستويات، يقول محمود خطاب: (إن العرب منذ عام [١٩٤٨ م - الموافق ١٣٦٧/٢ - ١٣٦٨/٣ هـ] حتى اليوم، عانوا ما عانوا من ضعف القيادة العسكرية... إن قيادتهم الهزيلة لم تستطع أن تعد جيوشهم للحرب، ولم تستطع قيادتها في الحرب، فحلت بالعرب نكسة قاصمة للظهر في حرب [١٩٦٧ م - الموافق ١٣٨٦/١٠ - ١٣٨٧/٩ هـ]^(٤)، وعلة هذا الضعف تكمن في أن أغلب القادة العسكريين يصلون إلى الرتب العسكرية التي تؤهلهم للقيادة عن طريق الهبات والاستثناءات^(٥)، التي لا تدل على قدرة فردية مميزة لصاحبها، وإنما تبنى على مواقف شخصية ونظرات فردية. أو عن طريق تنظيم للترقية لا يحمل معايير صحيحة للتقييم، وإنما يبنى على المدة الزمنية التي قضاها الجندي في الرتبة

(١) انظر خطاب، دراسات في الوحدة العسكرية، ص ٨٠؛ وانظر مسلم، التعاون العسكري، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٩.

(٣) مدخل إلى العلوم العسكرية، الطبعة الثانية، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٤) مرجع سابق، ص ٦٧ - ٦٨.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٦٦.

العسكرية، فعلو الرتبة لا يمكن أن يكون مؤهلاً للقيادة، ما لم يصاحبه تجربة تنمي عن قدرة مميزة، ومعرفة مؤهلة، يقول خطاب: (إنَّ حمل الرتب الكبيرة لا يمكن أن يضمني على الضابط تجربة وعلماً، فالزمن وحده هو الذي يجعل الضابط مجرباً، والدراسات المتواصلة والاشتراك في الحروب الفعلية في التمارين العسكرية وفي الدورات التدريبية هي التي تجعل الضابط عالماً، وكل قول يخالف ذلك ادعاء هراء)^(١).

ثامناً: تباين الأسلحة والتجهيزات العسكرية.

تفاوت المعدات والتجهيزات والأسلحة العسكرية في عالمنا الإسلامي، حيث يجد المتأمل في نوعية الأسلحة تشكيلة متباينة في الجودة والنوعية، فتبدوا الجيوش الإسلامية في مضمونها ومظهرها الخارجي متناقضة ومختلفة، يقول خطاب: (قد يظن بعض الناس أن التجهيزات لا أثر لها في النفوس ولكن علماء النفس أثبتوا بما لا يقبل الشك، أن قيافة العسكري - وغير العسكري أيضاً - لها أثر كبير في نفسيته)^(٢)، فإذا كان هذا الأثر للأشكال الخارجية، فكيف إذا كان الاختلاف في نوعية السلاح إنه أحد المعوقات التي تواجه الجيوش الإسلامية، يقول خطاب: (اختلاف التسليح يعرقل التعاون العسكري بين الجيوش العربية في الحرب)^(٣).

ومنشأ هذا التباين يعود إلى عوامل متعددة منها: اختلاف مصادر الأسلحة والتي تعتمد بالدرجة الأولى على الاستيراد، وتبعاً لهذا الاختلاف، فإن لكل بلد إسلامي سلاحه الخاص به. ومنها تباين المستوى الاقتصادي، فكلما ارتفع المستوى الاقتصادي، كلما تفوق البلد في نوعية سلاحه. يضاف إلى ذلك مستوى ونوعية التهديد الخارجي الذي يحيط بالبلد الإسلامي، فبعض البلدان تشعر أنها بعيدة عن مواطن الخطر، فتقل عنايتها بالتسليح تبعاً لذلك^(٤).

(١) المرجع السابق.

(٢) محمود خطاب، المرجع السابق، ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٩.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٧٩ - ٨٠، ٨٩؛ وانظر مسلم، التعاون العسكري، ص ٢٣٤ -

تاسعاً - اختلاف المصطلحات العسكرية .

المصطلحات العسكرية في الجيوش الإسلامية متباينة ومتنافرة بدرجة شديدة، فلكل جيش مسلم مصطلحاته الخاصة به، يعبر عنها بلغات مختلفة، ولهجات متباينة، ومعاني متنافرة، يصعب معها التفاهم، وقد يتم اللجوء إلى وسيلة للتفاهم^(١)، كاللغة الأجنبية مثلاً، يقول خطاب: (إن الكتاب العسكري العربي المطبوع في قطر عربي من الأقطار العربية، يستعمل في جيش ذلك القطر العربي وحده، ولا يستعمل في الجيوش العربية الأخرى؛ لأن تلك الجيوش لا تستطيع فهمه، نظراً لاختلاف المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية. والكليات والمعاهد والمدارس العسكرية في قطر عربي تخرج ضباطاً وضباط صف لذلك القطر العربي وحده؛ لأن سياق التدريب والمصطلحات العسكرية في الجيوش العربية متضاربة، فالعسكري الذي يتخرج في كلية عسكرية في قطر عربي ما، ثم يعود إلى قطره، عليه أن يعيد تدريبه مبنى ومعنى، كالذي يتخرج في كلية عسكرية أجنبية)^(٢).

عاشراً: تباين الأساليب التدريبية .

تتفاوت أساليب التدريب الفردي والجماعي في نوعيتها وحدثتها في أغلب الجيوش الإسلامية^(٣) وأساس ذلك تباين كتب التدريب العسكري المختلفة في مصطلحاتها وفي معلوماتها^(٤)، يقول خطاب (. . . أما الجيوش العربية، فلا يزال تدريبها متناقضاً وغير موحد حتى اليوم. وفي الوقت الذي يجري تدريب قسم من الجيوش العربية وفق أحدث الأساليب التدريبية، يجري تدريب قسم من الجيوش العربية وفق أقدم الأساليب التدريبية التي لا تناسب جيشاً يعيش في القرن العشرين)^(٥).

(١) انظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص ٧٢ - ٧٥؛ وانظر الوحدة العسكرية العربية، ص ١٩٨ - ٢٠٠؛ وانظر تعريف المصطلحات العسكرية وتوحيدها، الطبعة الأولى، ص ١٠ - ٢٠.

(٢) الوحدة العسكرية العربية، ص ٢٤٢ - ٢٤٢.

(٣) انظر خطاب، دراسات في الوحدة العسكرية، ص ٧٨ - ٧٩؛ وانظر السلوم، مدخل إلى العلوم العسكرية، ص ١٥٥ - ١٥٦؛ وانظر مسلم، التعاون العسكري، ص ٢٣٤.

(٤) انظر خطاب، المرجع السابق، ص ٨٨.

(٥) الوحدة العسكرية العربية، ص ٢٧٢.

حادي عشر: ضعف البرامج .

التدريبات الشائعة اليوم تمنع الجندي من الإبداع والتفاعل مع المستجدات، بسبب تدريبه على تنفيذ البرامج وفق طريقة معينة، لا يسمح له بتجاوزها، مما يؤدي به إلى الجمود والتحجر، بل إن الأوامر العسكرية يجب أن تنفذ وفق طريقة معينة لا يسمح بتجاوزها. كل ذلك يسهم في عدم تنمية الاستعداد لتحمل المسؤولية، والإبداع الذاتي^(١)، فالعسكري هنا لا يتجاوز أن يكون مجرد أداة تنفيذ.

ثاني عشر: عدم الجدوية .

يعتمد تنفيذ أغلب البرامج التدريبية على روتينية التنفيذ والأداء، فهي برامج مكررة، تقام في فترات محددة ومعينة، وظروف متماثلة ومهياة، لا تحمل جديداً في فحواها، ولا تقدم على تجاوز ما سبقها من برامج.

ثالث عشر: المفاهيم الخاطئة للضبط العسكري .

ويتمثل ذلك في التعامل القاسي، حيث يجد بعض المتدربين معاملة قاسية، وجفوة غائلة، تصل إلى حد الإهانة، وامتهان الكرامة، مما أسهم ويسهم في الإعراض عن الالتحاق في الحياة العسكرية، أو الهرب منها بعد الالتحاق^(٢). كما يتمثل ذلك في الطاعة الصماء، فالطاعة المطلقة العمياء، وضعت كأحد متطلبات التدريب المعاصر، ودلالة على انضباط المتدرب عسكرياً^(٣)، يقول القادري: (الذي يتأمل التربية العسكرية - وغيرها - في الشعوب الإسلامية في هذه الأيام، يجدها تربية فرعونية، - إلا ما شاء ربك وقليل ما هم -، يربي القائد جنده على طاعته المطلقة في الخير والشر، كما يربيهم على الخضوع الكامل له... وها هم كتاب هذا العصر يرفعون أصواتهم منكرين هذه التربية الفاسدة التي أماتت في نفوس جنود الشعوب الإسلامية العبودية الحققة لله، وجعلتهم عبيداً لما سواه، فكان ذلك وبالأعلى الأمة الإسلامية، وعائقاً عظيماً عن الجهاد في سبيل الله)^(٤).

(١) انظر خطاب، الوحدة العسكرية العربية، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) انظر خالد الشتوت، المسلمون والتربية العسكرية، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) انظر محمد رشيد رضا، تفسير القرآن، ج ١٠ ص ١٤٢.

(٤) الجهاد في سبيل الله، ج ٢ ص ٣١ - ٣٢.

إن عواقب الطاعة القهرية لوخيمة جداً، فمن يسمع ويطيع عند ظهور الرقيب، وفي حال السلم، قد يخالف عند غياب الرقيب، وعند اشتداد الأزمات.

رابع عشر: التدريبات المشتركة.

التعاون العسكري بين البلدان الإسلامية في أدنى مستوى له، بل يكاد يكون مفقوداً في مناطق، وفي أخرى عداوة سافرة^(١)؛ لذلك تقل إلى درجة كبيرة المناورات والتدريبات المشتركة بين الجيوش الإسلامية، خاصة عندما تقارن بالتدريبات المشتركة بين بلد إسلامي وبلد أجنبي^(٢)، أو بين البلدان الأجنبية بعضها مع بعض.

ذلك هو جانب الخلل في التدريب العسكري المعاصر، والذي أفقد العسكري المسلم روح الجهاد العسكرية، التي تكسب العسكري قدرة إبداعية، ورغبة قتالية، وغاية إلهية.

(١) انظر مسلم، التعاون العسكري العربي، ص ٢٤٥ - ٢٤٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٦٢ - ٢٦٤.

المطلب الثاني التقويم

الجهاد فريضة شاقة، تحتاج إلى جهد مضاعف، و طاقة مجهدة؛ لذلك فهو بحاجة إلى نوع معين من الرجال، ذوي قدرات مميزة، ومواهب متعددة، ولأن القدرات والمواهب بفطرتها الأولية تحتاج إلى رعاية وتوجيه، فإن المجاهد مهما بلغت قدراته القتالية، فهو بحاجة إلى إعداد بدني وفني يضمن له الاستمرار والتفوق، يقول خطاب: (التدريب العسكري المتين ضروري جداً للعسكريين على اختلاف رتبهم ومناصبهم، فهو ضروري للضباط الكبير والصغير؛ لأنهم قادة الجيش، وهو ضروري لضباط الصف؛ لأنهم العمود الفقري للجيش، وهو ضروري للجنود؛ لأنهم العناصر الأولية للجيش)^(١)؛ لذلك فإن الإسلام لم يترك جنده يقاتلون حسب قدراتهم الفطرية، أو تدريبهم الجاهلي، أو العشوائي، وإنما جاء لهم بقواعد ومبادئ تدريبية^(٢)، يقول محفوظ: (للإسلام مدرسة عسكرية مكتملة الأركان، تحتوي على المبادئ والنظريات التي تقوم عليها أية مدرسة عسكرية في الشرق، أو الغرب)^(٣)، ومن أبرز المعالم التدريبية التي جاء بها الإسلام:

أولاً: مشروعية التدريب .

التدريب أحد الجوانب الإعدادية المتعددة للجهاد، والتي تأخذ حكم الجهاد، كما في القاعدة الشرعية: (ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به وهو من فعل المكلف، فهو واجب)^(٤)، وكما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُدُوءًا وَحُدْرَكُمُ فَأَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَبْرُورِينَ﴾

(١) الوحدة العسكرية العربية، ص ٢٤٧ .

(٢) انظر سويد، الفن العسكري الإسلامي، ص ٣٦٠ .

(٣) العسكرية الإسلامية، ص ٥ .

(٤) انظر الغزالي، المستصفى، ج ١ ص ١٧٨ - ١٨١؛ وانظر ابن تيمية، اقتضاء الصراط =

أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا^(١)، يقول محمد الجعوان: (الحذر يشمل إعداد النفوس، وتهيئتها مادياً ومعنوياً؛ لتهب في أي لحظة للمقاومة والقتال للنفرة والخروج في سبيل الله)^(٢)؛ لذلك وردت توجيهات متعددة تحث على ضرورة التدريب على أساليب ووسائل القتال المختلفة، وضرورة ترويض الأعضاء بتلك الوسائل والأساليب، والحدق فيها^(٣)، يقول الشوكاني رحمه الله معلقاً على تكرار الرسول ﷺ تفسير القوة بأنه الرمي^(٤): (كرر ذلك للترغيب في تعلمه، وإعداد آلاته، وفيه دليل على مشروعية الاشتغال بتعليم آلات الجهاد فيها، والعناية في إعدادها؛ ليطمرن بذلك على الجهاد، ويتدرب فيه، ويروض أعضاءه)^(٥).

إذاً فالتدريب يرتبط في حكمه ويدور مع حكم الجهاد، يقول ابن سعدي رحمه الله تعالى: (أوجب الله على المسلمين أمرين عظيمين عليهما مدار الجهاد: الاستعداد لعدوهم بما يستطيعون من قوة عقلية ومعنوية ومادية. ويدخل في ذلك تعلم الفنون الحربية من الرمي والركوب، وعمل السلاح المناسب للوقت والمكان وبما لا تتم هذه الأمور إلا به، من تعلم الصناعات المعينة على هذا الأمر)^(٦)، وهذا ما جعل للتدريب العسكري منزلة ومكانة مميزة في شريعة الإسلام، يقول خطاب: (لا أعرف عقيدة عسكرية غير العقيدة العسكرية الإسلامية، أمرت بالتدريب على السلاح، ونهت عن التخلف عنه، وشجعت المتفوقين فيه، وكرمتهم في حياتهم وبعد موتهم، مما أدى إلى تفوق المسلمين في التدريب على استخدام أسلحتهم ومهارتهم في استعمالها في ميادين القتال)^(٧).

ثانياً: شمولية التدريب.

الجهاد من حيث هو فرض، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ

= المستقيم، ج ١ ص ٤٧٠.

(١) سورة النساء، الآية ٧١.

(٢) القتال في الإسلام، ص ٦٩.

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٣ ص ٦٤.

(٤) انظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٥٢.

(٥) نيل الأوطار، ج ٨ ص ٢٤٦.

(٦) الجهاد في سبيل الله، ص ١٦ - ١٧.

(٧) العسكرية العربية الإسلامية، ص ١٠٨.

لَكُمْ... ﴿١﴾، هذا الفرض يدور في عينته وكفايته مع حاجة الأمة إلى الجهاد، تبعاً للظروف المحيطة بها^(٢). ولأنه قد يكون فرض عين على جميع أفراد الأمة، فإن من الواجب على الجميع الاستعداد لهذا الموقف الذي قد يحدث فجأة دون سابق إنذار؛ لذلك جاءت التوجيهات الإلهية لأن يكون التدريب شاملاً في جميع متطلباته، إمعاناً في الاستعداد والتهيؤ، وهذه الشمولية تكون في جوانب متعددة، من أبرزها:

أ: التجنيد، حيث يعد العنصر البشري العمود الفقري للجيش، عليه مدار فاعلية السلاح، وحركة الجيش، وحسم المعركة^(٣)، يقول محفوظ: (العنصر البشري هو العنصر الحاسم في بناء الجيوش فالإنسان هو الذي يفكر، ويضع الخطط، ويقاوم ويستخدم السلاح، ويقود، ويتصرف في المواقف ويصدر القرارات، وهو الذي يصمد ويثبت ويتقدم ويقتمح المخاطر)^(٤)، من هنا جاءت التوجيهات الإلهية أمرة جميع أفراد الأمة بالاستعداد والتهيؤ، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾^(٥)، ومقتضى هذا الأمر يقضي بأن الواجب على المسلمين جميعاً أن يكونوا على أهبة الاستعداد، هكذا كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وعهد أبي بكر الصديق ؓ كان الجهاد مطلوب من كل مسلم، بشرط القدرة على القتال وتحمل مشاقه، فعند الحاجة للقتال يتم استدعاء المقاتلين من أماكنهم المختلفة، ومهتهم المتنوعة، فيقبلون بتهيئة بدنية ومادية حسب استطاعتهم، ويعودون إلى حياتهم المدنية عند انتهاء مهمتهم الجهادية^(٦)، إلا من عُدَّ منهم بعذر شرعي، وذلك كالمرضى، وأصحاب العاهات، كالأعمى والأعرج والأقطع والمقعّد، والفقير والمحتاج، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٢) انظر ابن عبد البر، الكافي، ص ٢٠٥؛ وانظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٩٨؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج ٨ ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٣) انظر فرج، الاستراتيجية العسكرية، ص ٢٦٧؛ وانظر محفوظ، العسكرية الإسلامية، ص ٢٩؛ وانظر الخلفات، أسعد، العسكرية الإسلامية، ص ٣٣.

(٤) النظرية الإسلامية في بناء المقاتل، (القاهرة: دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع)، ص ١٨.

(٥) سورة النساء، الآية ٧١.

(٦) انظر عون، الفن الحربي، ص ٨٨.

وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴿١﴾، وكذا الصغير غير المكلف، والعبد ما لم يأمره سيده والمدين ما لم يأذن له دائته، ومن له والدين، العالم الوحيد في بلده، هؤلاء ومن في حكمهم معفون من الجندية، لكنهم لا يمنعون منها خاصة الأعمى والأعرج (٢).

وبعد تغير الأحوال الداخلية والخارجية للأمة الإسلامية، حيث توسع الدولة الإسلامية، وكثرة عدد المسلمين، وتفرقهم في البلاد، وتعدد مصادر التهديد والاعتداء، رُوي العمل على مواجهة تلك المستجدات بما يناسبها، فعمل عمر رضي الله عنه على تقسيم الجيش الإسلامي إلى صنفين: نظاميون، وهم من تفرغ للجندية والحياة العسكرية، واشتغل بأمور سلاحه، مستغنياً بالجندية عن السعي لطلب الرزق هذا التفرغ قد يكون مدى الحياة، وقد يكون لمدة معينة. ومتطوعة، وهم غير المتفرغين، ممن يشارك في القتال عند الحاجة إليه، وينصرف إلى حياته المدنية وقت السلم، فيزاول ما يشاء من مهنة (٣). هذا الأسلوب في التجنيد كان مؤدياً لأغراضه، ومناسباً للأحوال الداخلية والخارجية للأمة الإسلامية ومُعدياً لجميع أفراد الأمة للجهاد، إعداد يتمشى مع فرضية الجهاد التي تدور بين فرض الكفاية والعين حيث يكون التدريب وفق هذا التنظيم للتجنيد على مستويات، فمستوى تدريبي يتحقق به الحد الأدنى من القدرة القتالية، بوساطة هذا التدريب يستطيع المسلم أن يدافع عن نفسه، وماله وعرضه، وأن ينفر مع إخوانه عند الحاجة إليه، وعندما يكون الجهاد فرض عين. ومستوى تدريبي يتحقق به الحد الأقصى من القدرة القتالية، بوساطة هذا التدريب يستطيع الفرد المسلم أن يتحمل مسؤولية القيام بالواجب الجهادي، وأن يرهب الأعداء (٤).

وعلى هذا التنظيم سار أغلب ولاة الإسلام حتى عصور متأخرة (٥). وفي هذا

(١) سورة التوبة، الآية ٩١.

(٢) انظر ابن عبد البر، الكافي، ص ٢٠٦ - ٢٠٧؛ وانظر الشيرازي، المهذب، ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٤٧٨ - ٤٧٩؛ وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٣٦؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٣٩.

(٤) انظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ١ ص ٤٥٤.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج ٨ ص ٣٢٠؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج ٥ ص ١٢٢.

العصر اختلف الوضع في أغلب البلاد الإسلامية، فأصبح أغلبها يعتمد على نظام التطوع من خلال المدارس والمؤسسات العسكرية، رغم أن ذلك يُسهم في إماتة الروح الجهادية لدى أفراد الأمة، ولا يتمشى مع متطلبات الواقع والظروف المحيطة بالأمة؛ لذلك فمن الواجب إعادة النظر في مثل هذا التنظيم الذي يجعل من التدريب محصور في أعداد محدودة، دوافع أغلبها دنيوية، بينما يمنع من التدريب أعداد مضاعفة، دوافعها دينية، يقول خطاب: (لا بد للدول العربية التي لا تزال تعمل بنظام التطوع، أن تُقرّ نظام التجنيد الإجباري في بلادها؛ لإمكان حشد كل طاقاتها المعنوية والمادية للمجهود الحربي وتدريب كل قادر على حمل السلاح على استعماله بكفاية وإتقان، وإيجاد معين من القوات الاحتياطية لتكون سندا للقوات النظامية عند إعلان النفير العام أو الخاص. إن فرض نظام التجنيد الإجباري يؤدي إلى زيادة عدد الجيش العامل أولاً في أوقات السلام، ومضاعفة هذا الجيش في أيام الحرب ثانياً، وتدريب أكبر عدد من الشعب على الواجبات العسكرية ثالثاً، والاستفادة من ذوي المؤهلات العلمية والثقافية في الجيش رابعاً)^(١)؛ ويقول السلموم: (عند تطور وتوسع الحرب، يضع المجتمع كافة إمكاناته البشرية والمادية تحت تصرف القوات المسلحة؛ لإنجاز المهمة، ولهذا ينبغي أن تتاح الفرص للقادرين على حمل السلاح بالانتماء إلى القوات المسلحة فترة من الزمن؛ لكي يلم ويتدرب على القواعد والمبادئ الأساسية للحرب)^(٢)، ويقول عبد العزيز المسند: (. . . التجنيد الإجباري لأبناء المسلمين. . . أمر ضروري؛ لتعويدهم على الكر والفر، وإعدادهم لوقت الحاجة. وهو من باب إعداد ما استطعنا من القوة، ومن باب التهيئة للجهاد في سبيل الله، وإذا كان الأعداء يفعلونها نظاماً واستعداداً للحرب، فإن المسلمين يفعلونه ديناً يدينون الله به، وإذا أهمل هذا الأمر العظيم خلال حقبة من تاريخ المسلمين، فلأن المسلمين كانوا في السابق جميعاً مستعدين للجهاد فحياتهم كلها تعويد على القوة والعمل والتضحية والكفاح، أما اليوم، فإن المسلمين أصابهم من النعيم ومتع الدنيا ما أرضى أبدانهم، وأرهف عقولهم، وفتنهم بالراحة والدعة، وهي ليست لهم بخلق ولا ميراث، فأصبح التجنيد أمراً ضرورياً لا يستغني عنه المسلمون. . . وإذا دعا الداعي للجهاد فليس بممكن أن نبدأ من جديد، أو أن نطلب الإمهال لنستعد، وعلى

(١) الوحدة العسكرية العربية، ص ٢٦٦.

(٢) مدخل إلى العلوم العسكرية، ص ١٨٢.

المسلمين إذا أرادوا النصر أن يستعدوا ما داموا في سعة من أمرهم^(١).

ب: أماكن التدريب، فقد أقيم التدريب في أماكن مختلفة، في المسجد، وفي محيط الأسرة الواحدة وفي الأسواق، وفي الأفنية، وفي أماكن التدريب المخصصة. ففي المسجد قام أفراد من الحبشة بالتدريب على الحرب والدرك^(٢)، وكان ﷺ ينظر لهم مؤيداً ومؤمناً، تقول عائشة رضي الله عنها: (رأيت رسول الله ﷺ يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال ﷺ: ((دعهم، أمناً بني أرفدة)) يعني من الأمن^(٣)، يقول المهلب: (المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين، فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله، جاز فيه)^(٤). أما في محيط الأسرة فقد سبق ﷺ عائشة أكثر من مرة، في فترات متباعدة^(٥). وفي السوق قام نفر من بني أسلم بالتدريب على الرماية، وشاركهم ﷺ في تدريبهم^(٦). وفي الأفنية كان جماعة من الصحابة يصلون المغرب مع رسول الله ﷺ، وبعد انصرافهم يقومون بالتدريب على الرماية وهم سائرون إلى منازلهم^(٧).

أما أماكن التدريب الخاصة، فقد خصص ﷺ التقيع لخيال المسلمين تجري وترتع فيها، وكذلك فعل عمر رضي الله عنه حيث خصص الشرف والرَبْذَةَ^(٨).

كل ذلك يدل على وجوب تعدد أماكن التدريب وتنوعها، وعدم حصرها في أماكن معينة؛ ليرتبط الفرد داخل المجتمع بتلك الأماكن، ولتكون جزء من اهتمامه اليومي، لكن قد تكون الفاعلية التدريبية متفاوتة حسب مناسبة المكان والموقع لنوع للتدريب. يقول حازم إبراهيم العارف: (اعتمدت القيادة العربية المسلمة في المدينة على عملية الربط بين أهداف الرسالة للمقاتل العربي، وبين حركة القوة العسكرية؛ لذا فإن المسؤولية لتنشئة الجيل الجديد مسؤولية مشتركة، بين: الأسرة، والمجتمع،

(١) متى ينتصر المسلمون، ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج ١ ص ٦٥٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ١٥.

(٤) ابن حجر، مصدر سابق.

(٥) حديث صحيح. صحيح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ٦٨.

(٦) انظر البخاري، مصدر سابق، باب ٤.

(٧) انظر مسند الإمام أحمد، ج ٤ ص ٣٦.

(٨) انظر البخاري، مصدر سابق، كتاب الشرب والمساقاة، باب ١١.

والدولة منذ نشأته، وتربيته: في داره، ثم في مجتمعه، ثم في مسجده^(١).

ج: المراحل العمرية المختلفة. فالتدريب لا يقتصر على مرحلة عمرية معينة، بل هو مطلوب من الكبير والصغير، شاباً وشيوخاً، وفق ما يناسب المرحلة العمرية للمتدرب؛ لذلك جاءت التوجيهات الإلهية داعية إلى ضرورة التدريب في مختلف الأعمار، قال تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾^(٢)، يقول بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾. أي: (شباناً وكهولاً)^(٣)، وركائز الاستعداد للنفيّر تتمثل في إعداد النشء ونهيتهم للقيام بالواجبات الجهادية عند البلوغ، من خلال تدريبهم على تلقي التدريبات العسكرية المختلفة منذ الصغر، فقد كتب عمر رضي الله عنه إلى أهل الشام موجهاً ومذكراً بضرورة العناية بتدريب النشء: (أن علموا أولادكم الرمي، والفروسية)^(٤)، وكتب مرة أخرى إلى أبي عبيدة بن الجراح: (أن علموا غلمانكم العوم، ومقاتلتكم الرمي)^(٥)، يقول ابن سعدي رحمه الله تعالى: (من أعظم أصول الجهاد والتربية، الاعتناء والاهتمام التام بشبان الأمة، فإنهم محل رجائها، وموضع أملها، ومادة قوتها وعزتها، وبصلاح تربيتهم تصلح الأحوال كلها، فعليهم أن يعتنوا بتربيتهم التربية العالية، وأن يثبوا فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة، والحزم والعزم، وجميع مبادئ الرجولة، وتدريبهم على المصاعب، والمشاق والصبر)^(٦). كما يركز النفيّر على إقامة دورات تدريبية مناسبة لمن تقدم به السن، فقد كان شيوخ الصحابة يولون التدريب عنايتهم، فهذا عقبة بن عامر وهو شيخ كبير، يقوم بالتدريب، ويعتني بقدراته القتالية، رغم المشقة التي يجدها^(٧).

إذاً فالتدريب يجب أن يشمل جميع الأعمار، وأن لا يقتصر على مرحلة عمرية معينة.

(١) الجيش العربي الإسلامي، (الرياض: دار الرشيد للنشر والتوزيع)، ص ٩٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٣) تفسير الطبري، ج ٦ ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٤) ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨ ص ٩ - ١٠.

(٥) ابن القيم، الفروسية، ص ١٤.

(٦) الجهاد في سبيل الله، ص ٢٦.

(٧) انظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٥٢؛ وانظر ابن القيم، الفروسية، ص ١٤، ١٧.

د: الفردية والجماعية في التدريب، فمع أن أغلب المسلمين في عهد الرسول ﷺ كانوا على كفاءة قتالية عالية، نتيجة ممارستهم للقتال، والتدريب على السلاح قبل الإسلام، إلا أن الرسول ﷺ كان يتعاهد صحابته في الدعوة إلى تعاهد التدريب جماعات، أو فرادى، حسب القدرة والاستطاعة فكانت التدريبات تتم على تشكيلات مختلفة على النحو التالي:

١ - التدريب الفردي، حيث التدريب الفردي للجندي على الاستخدام الأمثل لسلاحه في جميع الظروف والأحوال، ومختلف الأمكنة والمواقع^(١)، هذا التدريب هو الخطوة الأولى في سبيل أداء الواجب الجهادي؛ لذلك وجه ﷺ صحابته إلى ضرورة العناية والتركيز على التدريب الفردي يقول ﷺ: ((... كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ، إِلَّا رَمِيَهُ بِقَوْسٍ، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ، وَمَلَاعِبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْحَقِّ))^(٢)، فكان التدريب يتم في أوقات مختلفة، وفق التوجيه النبوي الذي يأمر الجندي باستغلال أوقات فراغه بالتدرب على مختلف أنواع الأسلحة، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصَلِّحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُّ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَسْرِهِ...)^(٣)، ويقول عبد الرحمن بن سمرة ؓ في معرض حديثه عن خسوف الشمس في عهد رسول الله ﷺ: (بَيْنَمَا أَنَا أَتْرَمُّ بِأَسْهَمٍ لِي عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ خَسَفَتِ الشَّمْسُ...)^(٤).

٢ - التدريب الجماعي، حيث التدريب الإجمالي لوححدات عسكرية مختلفة، بمستوياتها المتباينة، على جميع أساليب ووسائل القتال، في مختلف الظروف والأحوال، ومختلف الأمكنة والمواقع^(٥).

هذا النوع من التدريب كان يتم في عهد الرسول ﷺ من خلال بعثه ﷺ

(١) انظر خطاب، الوحدة العسكرية، ص ٩٤ - ١٠١؛ وانظر الخلفاء، أسعد، العسكرية الإسلامية، ص ٣٥.

(٢) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ١١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ١٠.

(٤) المصدر السابق، كتاب الكسوف، باب ٥.

(٥) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ١١.

للسرايا، والتي تسير مسافات طويلة، وتحمل مشاق عديدة^(١)، تعمل هذه السرايا كوحدة عسكرية متعددة الأسلحة. هذا المنهج التدريبي النبوي سار عليه أغلب الخلفاء المسلمين من خلال الغزوات المتكررة باتجاه الأعداء، وهي ما يعرف بالشواتي والصوائف^(٢). كما يتم أيضاً من خلال إقامة تدريبات جماعية لكل سلاح على حده، من ذلك مسابقته ﷺ بين الخيل، بعد أن صنفها إلى مجموعتين حسب استعدادها، وجعل لكل مجموعة مسافة معينة تتفق مع قدرتها واستعدادها^(٣). ومن ذلك قيام نفر من بني أسلم بالتدريب على الرماية، وعندما مرَّ بهم ﷺ أقرهم على ذلك العمل التدريبي وشاركهم فيه قائلاً: ((أرْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنِ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا...))^(٤). ومنه أيضاً قيام الحبشة بالتدريب على الحراب والدرق أمام رسول الله ﷺ، والذي حرضهم بمتابعته وتأييده لهم ﷺ^(٥).

هـ: جوانب التدريب، جاءت النظرة الإسلامية للتدريب شاملة لمقوماته، ومتطلباته المعنوية والمادية على النحو التالي:

١ - التدريب الروحي، وذلك من خلال المعاني التدريبية التي تمليها الفروض والعبادات المشروعة يقول ﷺ: ((الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللَّهِ))^(٦)؛ لأن أداء العبادات المفروضة والمشروعة على الوجه الصحيح، يُسهم في تدريب المجاهد على الضبط والنظام، قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتَغَاءَ الصَّالَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾^(٧)، فأداء الصلاة في وقتها يُسهم في تنظيم الوقت، وتدريب المجاهد على ترتيب البرامج وفق معايير زمنية دقيقة. وأداء الصلاة جماعة، تعويد على العمل الجماعي، والتآلف مع المجاهدين، ونبذ للتنازع

(١) انظر خطاب، الوحدة العسكرية، ص ١٠١ - ١٠٥؛ وانظر الخلفاء، أسعد، العسكرية الإسلامية، ص ٣٦.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٦٤؛ وانظر عون، الفن الحربي، ص ٢٠١.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ٥٦ - ٥٨؛ وانظر مسلم، مصدر سابق، باب ٢٥.

(٤) صحيح البخاري، المصدر السابق، باب ٧٨.

(٥) انظر المصدر السابق، باب ٧٩، كتاب الصلاة، باب ٦٩، كتاب العيدين، باب ٢؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ١ ص ٦٥٤.

(٦) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩١٧٥].

(٧) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

والاختلاف. وإقامة حركة الصلاة، يرسخ في نفس المجاهد مبدأ الانضباط الحركي في الحركة الجماعية. والاقتران بالإمام، يعود الجندي على مبدأ الطاعة للقائد. وفي المحافظة على النوافل المختلفة تعويد للمجاهد على تحسين صلته بزملائه ومرؤوسيه. وفي فريضة الحج، تدريب عملي لمشاق السفر، وقطع المسافات الطويلة، والبعد عن الدار والأهل. وفي فريضة الصوم، تعويد للمجاهد على الإرادة القوية، وقلة الطعام والشراب والحرمان منهما. وفي ناشئة الليل، تدريب عملي على النهوض والقيام بالواجب في مختلف الظروف الصعبة. وفي ذكر الله سبحانه وتعالى في كل حين وعلى كل حال، قبل وفي أثناء وبعد كل عمل تمرين للمجاهد ليعيش هدفه التدريبي في كل خطواته التدريبية. وفي مراقبة الله في السر والعلن، وفي السراء والضراء، تعويد على الطاعة في كل الأحوال والظروف دون رقيب أو حسيب. وفي كل ذلك تدريب على الصبر، وتقوية للنفس في مواجهة الرغبات والشدائد.

إلى غير ذلك من المعاني التدريبية التي تحملها كثير من العبادات والسنن^(١)، والتي تسهم وتساعد كثيراً في تدريب المجاهد على ألوان متعددة من متطلبات القتال.

٢ - التدريب العقلي، فالقدرات والموهب الفردية لا يمكن أن تنمو دون تدريب؛ ولأن مدارها العقل، فقد جاءت الآيات القرآنية الآمرة بالنظر، والتفكير، والتدبر، والتأمل في ملكوت السموات والأرضين، مركزة على العقلاء، والفقهاء، والعلماء، والمفكرين، قال تعالى: ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿... قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿... قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾^(٥)، كل ذلك يؤكد على ضرورة التدريب العقلي لكل فرد مسلم.

والمجاهد الذي يُعِدُّ العدة لمواجهة الأعداء، هو بحاجة أمس من غيره إلى هذا

(١) انظر محمود خطاب، الإسلام والنصر، الطبعة الثانية، ص ٣٦ - ٣٧، ١٦٩ - ١٧٢؛ وانظر

عون، الفن الحربي، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) سورة الرعد، الآية ٣.

(٣) سورة الرعد، الآية ٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٩٧.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٩٨.

التدريب العقلي؛ لأنه أمام ضغطِ واقع ما، وعدو يتحين الفرص، قد يتعرض إلى موقف مفزع، ومفاجئة طارئة، مما يتطلب منه حكماً صحيحاً، وتصرفاً سريعاً، فإن لم يكن الجندي مدرباً على الإبداع، فقد يضطرب ويتزعزع، مما يؤثر على قراره وتصرفه سلباً، يقول ابن تيمية رحمه الله: (الشجاعة ليست هي قوة البدن وقد يكون الرجل قوي البدن، ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعتة للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته به. والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة، دون التهور الذي لا يفكر صاحبه، ولا يميز بين المحمود والمذموم)^(١)، من أجل ذلك عُني الإسلام بتنمية روح الإبداع لدى الجندي؛ ليكتسب القدرة على التعامل مع مستجدات المعركة بكل ثقة، فجاءت التوجيهات النبوية محرضة على توخي الحذر في أثناء القتال، ونادبة إلى المخادعة واستعمال الحيلة ما أمكن، دون نقض عهد أو أمان^(٢)، يقول ﷺ: ((الْحَرْبُ خَدَعَةٌ))^(٣)، يقول ابن حجر رحمه الله: (في الحديث الإشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه أكد من الشجاعة)^(٤).

ومخادعة العدو لا تتأتى إلا من خلال تنمية روح الإبداع لدى الجندي المسلم، وتدريبه على التفكير السليم في التعامل مع الأساليب والوسائل المختلفة، فيأخذ بأنسبها، ويتعامل مع ما يضمن له النصر يقول خطاب: (التدريب على الإبداع الذاتي، أصبح في الحروب الحديثة من أهم مواضيع تدريب الضباط وضباط الصف)^(٥).

إن التدريب العقلي بمنهجه الإسلامي، يطبع في نفس المجاهد الرغبة في النظر والتأمل، وينقله إلى آفاق علمية رحبة، وهذا بدوره يساهم في تنمية القدرة العقلية على إبداع وسائل وأساليب قتالية وابتكارها.

٣ - التدريب البدني، وهذا النوع من التدريب عُني به الإسلام عناية أساسها

(١) الفتاوى، ج ٢٨ ص ١٥٨؛ وانظر الحسبة، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ٤٥؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٦ ص ١٨٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ١٥٧.

(٤) ابن حجر، مصدر سابق.

(٥) الوحدة العسكرية، ص ٢٦١.

العناية بالبدن، بدءاً من اختيار الزوجة الودود الولود، حتى ممارسة التدريب البدني، فجاءت التوجيهات والتشريعات محافظة على بناء القوة البدنية للمسلم، قال تعالى: ﴿... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ...﴾^(١)، حفاظاً على البنية البدنية المتففة مع متطلبات الأمة المجاهدة، يقول ﷺ: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...))^(٢)؛ لأنه الأقدر على احتمال الشدائد والمشاق، والأسرع استجابة للنفير، والأقدم والأقدر على مواجهة العدو^(٣).

لأجل ذلك أقيمت التدريبات العسكرية المختلفة، وعقد المسابقات التدريبية لمختلف أنواع الأسلحة كسلاح الرماية، وسلاح الفرسان، وسلاح المشاة، وسلاح البحرية، وتدريب المجاهدون على المصارعة، وأسلحة الرماح، والحراب، والدرك، وغيرها. بل إن المستقرىء للتاريخ الإسلامي في عصوره الزاهرة، يجد أن المسلمين قد تدربوا على جميع أنواع الأسلحة المعاصرة لهم، مما يعني أن على المجاهدين في كل عصر أن يتدربوا على جميع أنواع الأسلحة المعاصرة لعصرهم.

هذه الجوانب التدريبية الثلاثة لم يجعل الإسلام بينها فواصل أو عوائق، وإنما أوجب أن يكون بينها توازن وتمازج، يقول محمد قطب: (حياة الإنسان المادية لا تنفصل عن حياته العقلية، وحياته الروحية. ومشاعره الروحية لا تنفصل عن واقعه المادي، وتفكيره العقلي مرتبط بالجميع، تلك حقيقة الكيان البشري)^(٤)؛ لذلك فالمتدرب مثلاً يجب أن ينطلق في رغبته التدريبية من منطلق إيماني يقول ﷺ: ((من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق))^(٥). فعندما يمارس التدريب البدني يجب أن يصاحبه تدريب روحي، فهذا رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية أوصاهم بتقوى الله سبحانه وتعالى، وحذرهم من المعاصي، وقال: ((أغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله...))^(٦)؛ لأن المقاتل يقاتل بتدريبه البدني والروحي معاً، قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب ٨.

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٦ ص ٢١٥.

(٤) منهج التربية الإسلامية، ج ١ ص ٢٢.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٤٧.

(٦) المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب ٢.

وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ... ﴿١﴾. ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه : (إنما تقاتلون بأعمالكم) ^(٢)؛ لذلك كان صلى الله عليه وسلم يربط جنده بالله في كل خطواتهم القتالية يقول جابر رضي الله عنه : (كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبَحنا) ^(٣)، كتب عمر رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (أما بعد: فتعاهد قلبك، وحدث جندك بالموعظة، والنية والحسبة...) ^(٤). وفي أثناء القتال كان المسلمون يقرأون سورة الجهاد سورة الأنفال، ويقوم الخطباء بدورهم في التحريض والتذكير ^(٥) وسؤال النصر من الله، فقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو: ((اللَّهُمَّ! مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ! اهْزِمِهُمْ وَزَلِّزْلِهِمْ)) ^(٦).

إذاً فمنهج الإسلام في التدريب يقوم على الدعم الروحي، وتفاعل البناء العقلي، وتنفيذ القدرات البدنية، كعمل جماعي يمثل وحدة متكاملة الجوانب، التركيز على أحدها يعني الخلل الذي يُفقد الوحدة التدريبية قيمتها، ويعكس نتيجتها ^(٧)، يقول محمد الوكيل: (ليس المراد بالتدريب صف الجنود لتعليمهم التشكيلات العسكرية، وأخذهم بالتوجيهات الإدارية، وتعبوهم المشية النظامية ليس المراد هذا؛ لأنه لم يكن من مقتضيات الحياة العسكرية في ذلك الوقت، وإنما المقصود هو: العناية بتقوية الجند جسماً؛ ليتحملوا الشدائد، وعقلياً؛ ليحيدوا التخطيط، وروحياً؛ لتحسن صلتهم بالله وليعظم توكلهم عليه، ولنغرس في قلوبهم أن النصر من عند الله، وأن العدد والعتاد، والتدريب والاستعداد، كلها وسائل فقط توصل إلى النصر بمشيئة الله... ولقد تولت القيادة الإسلامية تدريب الجيش على هذا النحو، فحققت الغاية المنشودة، فكان الجيش الإسلامي أقوى الجيوش في حينه، كما كان أعظمها صبراً، وأشدّها تحملاً، وأدقها تخطيطاً، وأكثرها ثقة بالله جلّ شأنه) ^(٨).

(١) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ١٣.

(٣) المصدر السابق، باب ١٣٢.

(٤) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٤٩١.

(٥) انظر المصدر السابق، ص ٥١٣ - ٥٣٤، ٣٩٧.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ٧.

(٧) انظر محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج ١ ص ١٨ - ٣٣.

(٨) القيادة والجنديّة في الإسلام، ج ١ ص ١٤٨ - ١٤٩.

ثالثاً: أهداف التدريب .

لكل مقدمة نتيجة، ولكل عمل غاية، ولأن التدريب وسيلة جهادية، فلا بد أن تتفق غايته مع غايات الجهاد المحددة بأنها في سبيل الله سبحانه وتعالى، سُئِلَ رسول الله ﷺ: (عن الرجل يقاتل شجاعةً ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟)، فقال رسول الله ﷺ: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله))^(١).

من هنا فإن التدريب يجب أن يصاحبه إخلاص وخلوص، إخلاص لله سبحانه وتعالى، وخلوص من الغايات الدنيوية التي تردي مريدها في العواقب الجاهلية، يقول ﷺ: ((من قاتل تحت راية عُميَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصرُ عصبة فقتل، فقتله جاهلية...))^(٢)، يقول المودودي رحمه الله: (لقد طهرت تعاليم الإسلام الحرب من أي هدف أو غاية من غايات الدنيا بأنواعها وألوانها كافة، من طلب الشهرة، والرغبة في العزة، والسطوة، والطمع في المال والثروة، والحصول على الغنائم، والانتقام الشخصي، أو القومي، أو العداوة الشخصية، أو القومية)^(٣).

رابعاً: وجوب التركيز على النوعية .

وسائل التدريب وأساليبه تختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف، فسلح الأمس قد لا يجدي شيئاً اليوم، وسلح اليوم قد لا يغني عن سلاح الغد، والسلاح الجوي المعاصر قد يلغي جميع الأسلحة المعاصرة له، وهكذا، يقول محمد صفا: (كان الحصان حتى وقت قريب سيد المعركة، كان يمثل السرعة والحركية، وكان السلاح الأفضل، والأنسب للتعرض والإلتفاف والمطاردة، وقد بقي محتلاً لهذا المركز الممتاز، إلى حين ظهور الأسلحة النارية، بأشكال المدفع والبندقية السريعة الطلقات، التي سريعت ما أزاحت سلاح الفرسان عن مركز الصدارة)^(٤). من هنا جاء

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الإمارة، باب ٤٢ .

(٢) المصدر السابق، باب ١٣ .

(٣) شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية، الطبعة الأولى، ص ١٧٠ .

(٤) الحرب، ص ٤٢٩ .

التوجيه النبوي بضرورة التركيز في التدريب على السلاح الفاعل والنافذ في عصره، مع عدم إغفال الأسلحة الأخرى يقول ﷺ: ((ارْمُوا وارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرَكِبُوا...))^(١)، فهذا حصر لأهم الأسلحة في ذلك العصر، ذات التأثير القوي، والفاعلية الحاسمة، وتوجيه للعناية بسلاحي الفرسان والرماية؛ لأنهما عماد الأسلحة في ذلك الوقت، ولما لهما من دور فاعل ومؤثر في القتال. كما أن في الحديث تصريح بأفضلية الأهم من الأسلحة، وهو السلاح الأعم مصلحة، والأشد نكاية في مواطن القتال وأوقاته المختلفة^(٢)، يقول ابن عبد السلام رحمه الله: (شَرَفَ الرَّمِي لِعُمُومِ مَصْلَحَتِهِ؛ لِأَنَّهُ يُقَاتَلُ بِهِ الْقَاصِي وَالِدَانِي، وَمِنَ الْقِلَاحِ وَالْحِصُونِ، وَمِنَ الْأَوْدِيَةِ وَالْوَهَادِ، مَعَ غَلْبَةِ سَلَامَةِ الرَّمَاةِ، وَلَا يَتَأْتَى مِثْلَ ذَلِكَ فِي السِّيفِ وَالسَّنَانِ، وَلِذَلِكَ حَثَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى تَعَلُّمِ الرَّمِي)^(٣).

ولتأكيد وجوب العناية بالنوعية عند التدريب، تفسيره ﷺ للقوة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...﴾^(٤) بقوله: ((أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ))^(٥). يقول القرطبي رحمه الله: (فسر القوة بالرمي، وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب؛ لكون الرمي أشد نكاية في العدو، وأسهل مؤنة؛ لأنه قد يرمى رأس الكتيبة فيصاب، فيهزم من خلفه)^(٦)، ويقول أيضاً معللاً تخصيص ذكر الخيل في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾ وتفسير القوة بالرمي في قوله ﷺ: ((أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ)): لَمَّا كَانَتِ الْخَيْلُ (أصل الحروب وأوزارها)^(٧) التي عُقِدَ الْخَيْرُ فِي نَوَاصِيهَا، وَهِيَ أَقْوَى الْقُوَّةِ، وَأَشَدُّ الْعُدَّةِ، وَحِصُونُ الْفَرَسَانِ، وَبِهَا يُجَالُ فِي الْمِيدَانِ، خَصَّهَا بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا، وَأَقْسَمَ بِغِبَارِهَا تَكْرِيمًا... ولما كانت السَّهَامُ مِنْ أَنْجَعِ مَا يُعْطَى فِي الْحُرُوبِ وَالنِّكَايَةِ فِي الْعُدُوِّ، وَأَقْرَبِهَا تَنَاوُلًا لِلْأَرْوَاحِ، خَصَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالذِّكْرِ

(١) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩٥٥].

(٢) انظر الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٨ ص ٢٤٨.

(٣) أحكام الجهاد وفضائله، الطبعة الأولى، ص ٧١.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٥٢.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج ٦ ص ١٠٧؛ وانظر تفسير القرطبي، ج ٨ ص ٣٦.

(٧) أوزار الحرب: أنقلها من آلة حرب وسلاح. انظر المصدر السابق، ص ٣٧.

لها والتنبيه عليها^(١).

كل ذلك دلالة على وجوب أن يتم التدريب على أحدث سلاح وأفعله، ووفق أحدث الأساليب وأنسبها في كل عصر، يقول ابن تيمية رحمه الله عن تعلم الرمي بالقوس، والظعن بالرمح، والضرب بالسيف ونحوها^(٢): (هذه الأعمال كل منها له محل يليق به، هو أفضل فيه من غيره... فكلما كان أنكى في العدو، وأنفع للمسلمين، فهو أفضل، وهذا يختلف باختلاف أحوال العدو، وباختلاف حال المجاهدين في العدو)^(٣).

خامساً: الاستمرار في التدريب.

الابتعاد عن التدريب، والغفلة عن السلاح، عوامل تسهم في غفلة الأمة عن أعدائها، وفي إماتة الروح الجهادية لدى أبنائها؛ لذلك أوجب الشارع الحكيم على الأمة أن تكون على أهبة دائمة، واستعداد متواصل، وصلة دائمة بالسلاح والتدريب^(٤)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُدُوءًا حِدْرَكُمْ فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾^(٥)، ويقول ﷺ: ((... كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ بَاطِلٌ، إِلَّا رَمَى الرَّجُلُ بِقَوْسِهِ، أَوْ تَأْدِيَةَ فَرَسِهِ، أَوْ مَلَاعِبَتَهُ امْرَأَتَهُ، فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ...))^(٦)، كل ذلك يدل على وجوب الارتباط اليومي بالتدريب، حيث لكل شخص وقت زائد عن متطلبات عمله الرئيس الذي يقوم به في أغلب يومه، هذا الوقت الزائد يجب أن يوجه إلى تنمية قدرة تسهم في ترسيخ عمل جهادي. من هنا جاء التحذير من الغفلة والانقطاع عن التدريب، يقول ﷺ: ((مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى))^(٧).

وتمشياً مع هذا التوجيه الكريم، ذهب علماء الإسلام إلى أن أقل ما يتأدى به

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر ابن تيمية، فقه الجهاد، تعليق: زهير الكبي، ص ١١ - ١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٥٢٥؛ وانظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج ١ ص ٤٦٤ - ٤٦٨.

(٥) سورة النساء، الآية ٧١.

(٦) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٩٥٥].

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٥٢.

وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ... ﴿١﴾ والتي تحمل عدة دلالات منها: أن إطلاق الأمر وعدم تقييده بوقت معين، يعني اقتران الإعداد العسكري بالجهاد الذي هو ماضٍ إلى يوم القيامة. ومنها أن لفظ ﴿أَسْتَطَعْتُمْ﴾، دليل على أن تنفيذ الأمر الإلهي، يكون وفق الإمكانيات والقدرات المتاحة. ومنها أيضاً أن ألفاظ: ﴿مَا﴾ من صيغ العموم، و﴿مَنْ﴾ بيانية، و﴿قُوَّةٌ﴾ نكرة، مما يعني عدم التقييد بأسلوب أو وسيلة قتالية معينة، وإنما وجوب تحقيق معنى القوة حسب مفهوم العصر ومتطلباته. ومن ذلك أيضاً أن لفظ: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾، المقياس الحقيقي لمدى قيام الأمة بهذا الأمر الإلهي، فكلما قامت الأمة بهذا الأمر على الوجه الصحيح، كلما زاد الأعداء رعباً، وكلما تأخر المسلمون عن القيام بما أمروا به كلما هانوا على الأعداء.

تقيداً بهذا الأمر عمل المسلمون على الأخذ بأسباب التقدم والتطور، في مجال التسليح والتدريب فهياً ﷺ الأمة للقيام بأمر الإعداد، بين لهم أنهم مقبلون على مواجهات متعددة مع من هم أقوى منهم عدداً وعدة، وأن على المسلمين أن يعدوا للأمر عدته، يقول ﷺ: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ وَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ، فلا يعجزُ أحدُكم أن يلهوَ بأسهمه)) (٢).

ووجه أنظارهم إلى أسلحة لم تعرف من قبل، بعيدة كل البعد عن اهتماماتهم، كالسلاح البحري يقول ﷺ: ((غزوةٌ في البحر، مثلُ عشرِ غزواتٍ في البرِّ، والذي يسدُّ في البحرِ كالمتشحِّطِ في دمه في سبيلِ الله)) (٣)، وشحذ همهم أكثر عندما بين لهم قرب حدوث ذلك، وأن من معاصريه من سيركب البحر غازياً في سبيل الله (٤).

كل ذلك تهيئة لهم بأنهم مقبلون على فتوحات تتطلب إعداداً عسكرياً مناسباً. مما كان له أكبر الأثر في تفاعلهم مع تلك التوجيهات الكريمة، فأكثرُوا من إدخال التحسينات على الأسلحة، وتفاعلوا بكل جد وكفاءة مع المستجدات والظروف الطارئة التي واجهتهم في أثناء المعارك، وبعد الفتوحات. طوروا الأسلحة بأنواعها،

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٥٢.

(٣) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٥٧٦١].

(٤) انظر مسلم مصدر سابق، كتاب الإمارة، باب ٤٩.

عرفوا قديمها، وتعلموا جديدها، فأدخلوا الدبابة، والمنجنيق كأسلحة جديدة تدخل الجيش الإسلامي لأول مرة^(١). نظموا تركيبة الجيش، وصاغوها بما يلائم التطورات فأمرّوا الأمراء، وعزّفوا العرفاء، ونقّبوا النقباء^(٢)، ووزعوا الجيوش إلى فرق رماة، وخيالة، ونحوها وجعلوا لكل فرقة مهمتها الخاصة^(٣)، ودونوا الدواوين^(٤). أداروا المعارك وفق متطلباتها، وطوروا الأساليب القتالية، فأحدثوا نظام الصف، والخميس، والكراديس^(٥).

دعموا الصناعة العسكرية، معتمدين بعد الله على الصناعة المحلية، يقول ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ: صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِي بِهِ، وَالْمُمِدُّ بِهِ...))^(٦) فكان من الصحابة من يقوم بصناعة الأسلحة المختلفة^(٧). ونقلوا المعرفة عن الآخرين، فحفروا الخندق^(٨) ودونوا الديوان نقلاً عن الفرس^(٩). وعملوا على تطوير الأسلحة، فطوروا المنجنيق^(١٠).

هكذا كانت الخطوات العملية الأولى للمسلمين في سبيل التطوير الشامل، تبعها خطوات أكثر فاعلية ونوعية في مجال التنظيم، والتسليح، والتكتيك، حتى شهدت الأمة تطوراً فنياً، وقفزة نوعية، لم تشهدها أي أمة من قبل^(١١).

-
- (١) انظر الواقدي، المغازي، ج ٢ ص ٦٤٨، ج ٣ ص ٩٢٧ - ٩٢٨؛ وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ ص ٩٤.
- (٢) انظر صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ٤٣، كتاب المغازي، باب ٥٤؛ وانظر تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٤٨٨.
- (٣) انظر صحيح البخاري، المصدر السابق، باب ١٧، ١٩؛ وانظر مسلم، مصدر سابق، كتاب الجهاد، باب ٣١.
- (٤) انظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٢٣٦ - ٢٥٧.
- (٥) انظر البخاري، مصدر سابق، باب ١٠، ٣٨؛ وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الصفوف؛ وانظر الطبري، مصدر سابق، ص ٣٩٦.
- (٦) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ١١.
- (٧) انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ٢٩؛ وانظر الترمذي، المصدر السابق، أبواب الجهاد، باب ١٢.
- (٨) انظر الواقدي، المغازي، ج ٢ ص ٤٤٥؛ وانظر تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٥٦٦.
- (٩) انظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٢٣٧.
- (١٠) انظر الواقدي، مصدر سابق، ص ٦٤٧ - ٦٤٨، ج ٣ ص ٩٢٧ - ٩٢٨.
- (١١) انظر بسام العسلي، المذاهب العسكرية في العالم، الطبعة الأولى، ص ٣١؛ وانظر سويد، =

وكانت دعامة ذلك التطوير وأساسه العناية بالفكر العسكري، حيث لقي عناية خاصة من بعض علماء الإسلام^(١) الذين أوسعوه بحثاً، دراسة، واستنتاجاً، كان من نتاج ذلك الجهد تدوين العديد من الكتب العسكرية المتخصصة والشاملة لدقائق المعرفة العسكرية، والتي أثرت العسكرية الإسلامية بالكثير من المؤلفات^(٢) التي تحمل كل ما قد يحتاج إليه الجندي المسلم في عصره، رغم أن غالبية هذه المؤلفات لا تزال مخطوطاً أسره الأعداء في مكاتبه المختلفة^(٣)، يقول عيد العبادي عن عناية علماء الإسلام بالفكر العسكري: كان (من الأمور المهمة، والتي تستوقفهم كثيراً للتخطيط والدراسة فيها، ومن ثم صب إبداعهم، ورسم صور خططهم، والابتكار والإبداع فيها. وقد ألفت العديد من المخطوطات العسكرية، يطول البحث فيها ويتشعب، فمنهم من أخذ آلة واحدة بالبحث والدراسة وأسلوب العمل بها، ومنهم من أخذ أكثر من آلة، ومنهم من حاول الإلمام بكل الجوانب الحربية ومنها الأسلحة والأعداء، وما إلى غير ذلك. حتى إنهم خصصوا جانباً من جوانب بحوثهم ما يسمى بالطب العسكري... وهكذا كانت علومهم تتسع يوماً بعد يوم، بتطوير الأسلحة وتنوعها، وما يستجد منها، والأخذ بالأسباب والمسببات في جوانب الحرب، والقضايا المتعلقة بها)^(٤).

ثامناً: إسناد الأمر إلى أهله.

المهام العسكرية تتفاوت، والتخصصات تتعدد، فمنها ما يتطلب ذكاءً ودراية، ومنها ما يتطلب حنكة وشجاعة؛ لذلك فلا بد أن يكون تخصص الجندي ومهمته تتفق مع ميوله وقدراته.

وهكذا كان ﷺ يُشَرِّعُ لأُمَّته، يسند الأمر إلى أهله. يتعرف على قدرات جنده، فيُكَلِّفُ بالأمر من يتقنه، دون أي اعتبارات أخرى. أسند القيادة إلى خالد بن الوليد

= الفن العسكري الإسلامي، ص ٣٤ - ٣٥.

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٣٩ - ١٧٧.

(٢) انظر ابن القيم، الفروسية؛ وانظر نجم الدين حسن الرماح، المعروف بالأحذب، الفروسية والمناصب الحربية؛ وانظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب.

(٣) انظر الأحذب، المرجع السابق، تحقيق: عيد ضيف العبادي، ص ٦ - ٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٦.

رغم حداثة إسلامه، بسبب خبرته العسكرية، ومهارته القتالية والقيادية، رغم أنه قام بأعمال أنكرها ﷺ، بل رفع يديه وقال مرتين: ((الهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد))^(١)، إلا أن ذلك لم يمنع الرسول ﷺ من تقديمه في قيادة الجيوش. وفي ليلة الأحزاب بحث ﷺ عن من يرشح نفسه ليأتيه بخبر المشركين، فلم يُجبه أحد. فما كان منه ﷺ إلا أن رشح من يرى فيه القدرة والساد على القيام بتلك المهمة، حيث كلف حذيفة بن اليمان الذي قام بما كُلف به على الوجه الأمثل، فجاء بخبر القوم دون أن يشعر به أحد^(٢). وفي بدر طلب نفر من المشركين المبارزة، فخرج لهم نفر من الأنصار، فقالوا ليخرج إلينا أكفأونا فاختر ﷺ من رأى فيهم الكفاءة والقدرة على مواجهة أولئك المشركين، فقال ﷺ: ((مُ يا حمزة، مُ يا علي، مُ يا عبيدة بن الحارث))^(٣). وفي أحد كان ﷺ يأمر حملة النبال بنثرها لأبي طلحة ليرمي بها لأنه كان رامياً حاذقاً^(٤). كما كان ﷺ يمنع من يرشح نفسه لمهمة لا تناسبه، فعندما سأله ﷺ أبا ذر أن يستعمله، رفض ﷺ؛ لما رآه من ضعف في أبي ذر، لا يتفق مع متطلبات الإمارة^(٥).

هكذا كان ﷺ يكلف الجندي بما يناسب قدراته وميوله، ولا يشق عليه بأمر لا يجيده حتى لو طلبه.

من هنا وجبت العناية بمعرفة قدرات الجند من خلال المتابعة المستمرة للعطاء، والتقييم المتواصل للإنتاج، يقول خطاب: (يجب مراقبة الطالب في الكلية العسكرية، وتعيينه في السلاح الذي يتقنه ويميل إليه، ويحب العمل فيه. كما يجب مراقبة الجندي في وحدات التدريب، وإرسال كل جندي للتدريب على السلاح الذي يناسب قابلياته البدنية والعقلية)^(٦)، ونتيجة تلك المتابعة تحدد مدى كفاءة الجندي، ونوعية قدراته، وحدود إمكاناته، والسلاح المناسب له، والذي يجب أن يوجه له دون أي اعتبارات أخرى، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فالواجب في كل ولاية،

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ٣٦.

(٣) حديث صحيح. الألباني، صحيح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ١١٩.

(٤) انظر البخاري، مصدر سابق، باب ١٨.

(٥) انظر مسلم، مصدر سابق، كتاب الإمارة، باب ٤.

(٦) الوحدة العسكرية، ص ٢٦٠.

الأصلح بحسبها. فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة، والآخر أعظم قوة، فُدِّمَ أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضرراً فيها^(١) فإن لم يكن الأصلح موجوداً، يتم اختيار الأمثل فالأمثل، بعد اجتهاد تام^(٢)، والأمثل هو الأقوى قدرة وإمكانات؛ لأن (القوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحروب، والمخادعة فيها، فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال)^(٣).

إن تجاوز الجندي الأصلح إلى غيره مضيعة للأمانة، ومهلكة للأمة، ومفسدة للخطط التدريبية التي تتطلب عناية وضع، ودقة تنفيذ، فعندما أمرَ عمر رضي الله عنه أبا عبيد على العراق، قال معللاً تجاوزه لآخرين: (إنه لمن يمنعني أن أؤمّرَ سَلِيطاً إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع، إلا عن بيان، والله لولا سرعته لأمرته، ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث)^(٤)، ويقول خطاب: (تعيين الضابط في سلاح لا يتقنه، أو يميل إليه بالفطرة، يؤدي إلى إخفاق هذا الضابط في أداء واجبه)^(٥).

من هنا كانت من أولى الخطوات الإصلاحية للجيش تكمن في وضع الجندي المناسب في المكان المناسب، يقول خطاب: (أول إصلاح للجيش العربية، يجب أن يبدأ أولاً بإصلاح القيادة العسكرية وأن يوضع كل قائد في مكانه الصحيح، دون أقل عاطفة تؤدي إلى وضع القائد غير المناسب، في المنصب الذي لا يستحقه)^(٦)، وذلك لا يتأتى إلا من خلال ربط الارتقاء القيادي، بالارتقاء التدريبي، يقول خطاب مقترحاً: (جعل الترقية من رتبة إلى أخرى أعلى منها خاضعة لإتقان التدريب النظري والعملية، بالإضافة إلى شروط الترقية الأخرى)^(٧).

(١) السياسة الشرعية، ص ٢٢.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ١٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥؛ وانظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٩٩؛ وانظر ابن قدامة،

المغني، ج ٨ ص ٣٥٢.

(٤) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٤٤٥.

(٥) الوحدة العسكرية، ص ١٦٠.

(٦) دراسات في الوحدة العسكرية، ص ٦٧.

(٧) الوحدة العسكرية، ص ٢٥٩.

تاسعاً: العظة والاعتبار.

النظر في الأحداث الماضية وسيلة درس وعبره، تؤخذ منها أنواع المواقف التي قد تعترض الطريق ويستفاد من تجاوزها، تعرف مكامن الأخطاء فيتم تلافيها؛ لذا دعا الإسلام أتباعه إلى النظر في التاريخ دراسة وتحليلاً، فذكرهم بأيام الله، وحثهم على دراستها، والتمعن في عبرها^(١)، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾^(٢)، والتاريخ العسكري أحد جوانب التاريخ المختلفة، عني به المسلمون، وجعلوا منه نافذة معرفية للعلوم العسكرية، فكان أن عرفوا منصب القاص، يتولاه من يقص على الجند مواقع سلفهم، ومواقف من سبقهم؛ ليشحذ بذلك الهمم للعطاء، ويقوي العزائم عند اللقاء، يقول الحسن بن عبد الله (ينبغي للملك أن ينصب لأهل الحرب قصاصاً وخطباء، يُذكرونها الحرب والوقائع الماضية، والغزوات السالفة، ومواقع الشجعان، ومصارع الفرسان)^(٣).

في معركة اليرموك كان أبو سفيان بن حرب يقوم بدور القاص في الجيش، فكان يدور على أفراده يثير فيهم الحماسة، ويشجعهم على القتال^(٤)، واستمر المسلمون على هذا المنوال في تعريف جندهم بتاريخهم العسكري يرويها بعضهم البعض، بل هناك من تخصص في المغازي، يقول ابن سعد رحمه الله في ترجمته للمغيرة بن عبد الرحمن رحمه الله: (كان ثقة قليل الحديث، إلا مغازي رسول الله ﷺ، أخذها عن أبان بن عثمان، فكان كثيراً ما تُقرأ عليه، ويأمرنا بتعليمها)^(٥)، حتى دونت أحداث التاريخ العسكري في كتابات متفرقة، وأحداث متنوعة، جُمع متفرقها، وعرف بغائبها، في أول مصنف جامع لأغلب الأحداث محمد بن إسحاق، في كتابه المعروف: (المغازي والسير، وأخبار المبتدأ)^(٦).

فكان في ذلك تعريف بالمآثر الحميدة، ونقل للتجارب المديدة، تجعل المجاهد يقدم واثقاً، ويقا تل ثابتاً. يقول العسلي: (التاريخ العسكري هو المدرسة

(١) انظر بصبوص، العقيدة القتالية، ص ٤٥ - ٤٦.

(٢) سورة طه، الآية ٩٩.

(٣) آثار الأول في ترتيب الدول، الطبعة الأولى، ص ٣٣٠.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٣٩٧.

(٥) الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر)، ج ٥ ص ٢١٠.

(٦) انظر المسعودي، مروج الذهب، تحقيق: محمد عبد الحميد، ج ٤ ص ٣١٤ - ٣١٥.

التي حفظت للمذهب العسكري تجاربه بصورة دقيقة مما سمح للقادة المسلمين الذين كانوا يتناقلون الخبرات في بداية أمرهم عن طريق التواتر، ومن جيل إلى جيل، ثم جاء المؤرخون المسلمون، فسجلوا بأمانة مثيرة دقائق الأعمال القتالية، فكان ذلك عاملاً هاماً في تطوير المذهب العسكري عبر التجارب الذاتية^(١).

تلك هي أبرز المعالم التدريبية التي جاء بها الإسلام لتدريب المجاهد المسلم، ولا ريب أنها تشكل مدرسة عسكرية متكاملة، تسهم في رفع المستوى القتالي والمهاري للمجاهد والجيش المسلم، وتجعل المجاهد صاحب نظر ثاقب، وفكر صائب، ليمثل قوة تعتمد عليها الأمة بعد الله في أداء رسالتها الجهادية.

(١) المذاهب العسكرية في العالم، ص ٣٢.

المطلب الثالث

التطبيق العملي.

سجل التاريخ الإسلامي مواقف مرَّ بها المسلمون في مختلف العصور، أبعدت الإسلام عن دوره القيادي للأمم، وأعادت المجاهد عن تحقيق غاياته، وأفقدت المسلم دوره الريادي في مسيرة الأمم. وقف لمثل هذه المواقف بعض ولاة المسلمين في عصور مختلفة موقف من يغار على دينه وأمته، فعملوا على تجاوز تلك العقبات، وكان من أبرز ما قاموا به:

أولاً: المشاركة الفاعلة للعلماء.

لعلماء الإسلام دور بارز ومؤثر في تجاوز كثير من العوائق، من خلال المشاركة في رسم السياسة العسكرية، والخطط التدريبية، أو من خلال القيام بواجب التوجيه المعنوي للأمة والجيش، أو المشاركة في التدريب والقتال^(١)، فهذا صلاح الدين رحمه الله يقرب القاضي الفاضل، حتى صار: جلسه وأنيسه وكتبه، ووزيره، بل وفي منزلة تفوق منزلة الأهل والولد، جعل له مقالاً لا يقطع، ورأياً لا يمنع فكان من العوامل الرئيسة التي ساعدت في الفتوحات والانتصارات^(٢). كما كان لابن تيمية رحمه الله دور مؤثر في تهيئة الناس للتصدي للنتار، فكان يحرض الناس على النفقة لتجهيز المقاتلين، ويخرج لمعسكرات الجيش يقوي الجأش، ويطيب القلوب، يحث على الصبر والقتال، ويتلو آيات الجهاد والرباط^(٣).

(١) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٩ ص ١٦٥؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٢٦٣، ٣٢٢.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٣١٩؛ ج ١٣ ص ٢٤.

(٣) انظر المصدر السابق، ج ١٤ ص ١١، ١٤ - ١٥.

ثانياً: التعبئة العامة.

عندما تتعرض الأمة للخطر، ويبلغ الأمر شدته، والموقف حدته، تستنفر عامة الناس للقيام بالجهاد فكانت الأعداد النافرة والمهيأة للمواجهة كبيرة جداً، مما يدل على دقة التنظيم التعبوي لعامة الناس وإعدادهم لكل طارئ. فعندما عزم صلاح الدين على المضي لاستنقاذ القدس من أيدي الصليبيين استنفر عامة الناس للجهاد، وأمرهم بالتجهز قدر المستطاع، وكتب إلى ولاته في جميع البلدان بذلك فكان أن اجتمع إليه الناس من كل صوب، حتى بلغت عدتهم إثني عشر ألف فارس سوى المتطوعة^(١). ويقول ابن كثير رحمه الله عن أحداث سنة [٧٠٠ هـ]، عندما شاع في دمشق توجه التتر إلى الشام: (نودي في البلد أن تخرج العامة مع العسكر، وجاء مرسوم النائب من المرج بذلك فاستعرضوا في أثناء الشهر، فعرض نحو خمسة آلاف من العامة بالعدة والأسلحة على قدر طاقتهم)^(٢).

ثالثاً: إقامة المعسكرات والساحات التدريبية.

لأجل تنمية القدرات القتالية للمجاهدين، حُوِّل كثير من الساحات المحيطة بالمدن إلى معسكرات ومواقع وميادين تدريبية؛ لتدريب عامة الناس ومتطوعاتهم، استعداداً للجهاد^(٣).

رابعاً: تحويل الأنشطة البدنية إلى تدريبات عسكرية.

حيث صبغت الأنشطة اليومية بالصبغة الجهادية، وحولت الممارسات والهوايات الرياضية إلى تدريبات عسكرية^(٤)، فقد كان نور الدين زنكي يكثر من لعب الكرة، فعاتبه أحد الصالحين في ذلك، فقال: (إنما أريد بذلك تمرين الخيل على الكر والفر، وتعليمها ذلك، ونحن لا نترك الجهاد)^(٥).

(١) انظر ابن الأثير، مصدر سابق، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) مصدر سابق، ص ١٥.

(٣) انظر المسعودي، مروج الذهب، ج ٤ ص ٣١٦؛ وانظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨ ص ٣٠٨؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٢ ص ٢٣٣، ٢٧٨ - ٢٨١؛ وانظر أبا شامة، الروضتين، ج ١ ص ٦، ٨.

(٤) انظر المصادر السابقة، ٣١٦؛ ص ٣٠٧ - ٣٠٨؛ ص ٢٧٩ - ٢٨٠؛ ص ٦.

(٥) ابن كثير، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

خامساً: تحري السنن النبوية .

عُمِلَ على الاقتداء بالرسول ﷺ، والتأسي بسنته في جميع أشكال التدريبات العسكرية، فعندما سمع نور الدين محمود زنكي أن رسول الله ﷺ خرج متقلداً سيفه^(١)، وكان الجند والأمراء في عهده يربطون السيوف على أوساطهم، فتعجب من تغيير ومخالفة ما ثبت عن رسول الله ﷺ، وأصدر أمره بوجوب الاقتداء برسول الله ﷺ، وأن لا يحمل الجند السيوف إلا متقلديها، وفي اليوم التالي بدأ بنفسه، فخرج متقلداً سيفه، وألزم جيشه بذلك^(٢).

سادساً: تطهير الجيش والمجتمع من الفواحش والمنكرات .

وقف الولاة لما يظهر بين الحين والآخر داخل المجتمع والجيش من معاصي متفرقة، ومخالفات متنوعة، موقف المدرك لأثر المعاصي، الخائف من عواقبها، فهذا نور الدين زنكي يأمر بتطهير جيشه من الفواحش، كالخمور، والطبول، والزمر، واللهو، واللعب^(٣).

وعندما ظهرت منكرات وفواحش وظلم في عهد صلاح الدين، وكان في حصار عكا، وقد طال الحصار، كتب إليه القاضي الفاضل: (سبب هذا التطويل في الحصار كثرة الذنوب، وارتكاب المحارم بين الناس، فإن الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه، وامثال أمره فكيف لا يطول الحصار والمعاصي في كل مكان فاشية)^(٤).

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ١٦٥ .

(٢) انظر ابن كثير، مصدر سابق، ص ٢٨١؛ وانظر أبا شامة، مصدر سابق، ج ١ ص ١١ .

(٣) انظر ابن كثير، المصدر السابق، ص ٢٨١ - ٢٨٢، ٢٨٥ .

(٤) المصدر السابق، ص ٣٣٩ .

المبحث الثالث قوة الأعداء العسكرية

مدخل:

قوة الخصم سلاح ذو حدين، فإما أن يكون دافعاً للمنافس إلى العمل الجاد؛ لتجاوز قوة خصمه، أو عاملاً يدخل في النفس الهزيمة والإحباط.

والقوة العسكرية المادية لأعداء الأمة الإسلامية حقيقة ماثلة للعيان، تُعد في المقاييس المادية قوة مرعبة بينها وبين القوة المادية العسكرية الإسلامية مسافات طويلة، وأزمة مديدة.

وفي هذا المبحث أكتب عن القوة المادية العسكرية للأعداء، باعتبارها أحد عوائق الجهاد، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول التحليل

لقوة الأعداء مظاهر متعددة، ودلائل مختلفة، أجملها بياناً في النقاط التالية:

أولاً: سيادة الفكر العسكري.

عندما أخذ الأعداء في بناء قدراتهم القتالية المختلفة، شهد العالم الأجنبي سباقاً فكرياً عسكرياً بين العلماء والمحللين والمخططين الاستراتيجيين^(١)، وحظي ذلك السباق بدعم معنوي معلن وغير معلن من جهات علمية، ورسمية، ودولية، وشعبية.

فقد جاء في التقرير [٦٨] لمجلس الأمن القومي الأمريكي، في [١/١٩٥٠م - الموافق ٣/١٣٦٩هـ -] ما نصه: من الضروري (أن تزيد قواتنا بأسرع ما يمكن، بأفرعها الجوية، والبحرية، والبرية، وقوة حلفائنا، إلى درجة لا تجعلنا نركن تماماً إلى القنابل الذرية)^(٢). وفي إسرائيل تُعدُّ فكرة صنع السلاح ركيزة أساسية في عقيدتهم العسكرية^(٣)، التي بُدء التطبيق العملي لها مع احتلالهم فلسطين، فتم إنشاء الجامعات، والمعاهد، والمراكز، واللجان المتخصصة في صناعة الأسلحة، وأوليت عناية خاصة ودعمًا معنويًا أسهم في قيامها بدورها على الوحه الأمثل^(٤)، وكما

(١) انظر كيندي، القوى العظمى، ص ٥٣٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٥٣٤.

(٣) انظر لندن، مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، إسرائيل: العقيدة العسكرية وشؤون السلاح، ص ٩-١٣، ٢٩-٣١.

(٤) انظر تيسير الناشف، الأسلحة النووية في إسرائيل، الطبعة الأولى، ص ١٠-١١، ١٦-١٧.

وجدت إسرائيل دعماً دولياً في إقامة الدولة، فقد وجدت دعماً آخر في صنع السلاح، من علماء، ودول أجنبية متعددة، استمر ذلك الدعم والتعاون حتى أتى ثماره^(١).

كما أن الجهات العلمية الأخرى من جامعات، ومعاهد، ومراكز بحوث علمية ونحوها، تولي الفكر العسكري عناية خاصة، فتحدث له الأقسام العلمية، وتخصص له التخصصات الدراسية، وتُنشأ له المعامل والمباحث.

أما الشركات الأهلية الصانعة للسلاح، فتجد دعماً غير محدود من حكوماتها، تحفظ لها حقوقها داخل وخارج بلادها، وتمنحها امتيازات داخلية وخارجية متعددة، وتعطي هذه الشركات نفوذاً وعلاقات خاصة، داخل وزارات الدفاع في بلادها^(٢).

ذلك في الظروف الطبيعية أما في الظروف غير الطبيعية التي قد تمر على تلك الدول، والتي تستدعي خفض الإنفاق العسكري، كخوض حروب إقليمية، وازدياد ردود الفعل الشعبية ضد تلك الحروب ونمط الإنفاق الدفاعي، إلا أن الاتجاهات البعيدة المدى للمخططين، تسيطر عليها أفكار تستدعي زيادة الإنفاق العسكري بشكل مطرد، وإضافة نظم سلاحية أحدث في كل عدة سنوات^(٣).

هذا الدعم المعنوي المعلن وغير المعلن للفكر المادي العسكري، عامل رئيس وفاعل في سيطرة الروح العسكرية على كثير من أعمال العلماء والمنظرين لسياسة الأعداء؛ مما يزيد من فاعلية الفكر العسكري، ونتائجه المادية العسكرية.

ثانياً: الإنفاق العسكري.

ينفق الأعداء مبالغ كبيرة في تجهيز جيوشهم بمعدات حديثة، وتقنيات عالية^(٤)، وتعمل الدول الكبيرة منها على زيادة المصاريف الدفاعية لحلفائها من

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٨ - ٣٣؛ وانظر ويشمان، كروسني، القنبلة النووية الإسلامية، ص ٨ - ٦.

(٢) انظر كيندي، مرجع سابق، ص ٦٢١.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٥٤٨.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٥٣٢؛ وانظر لندن، مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، مسائل في الاقتصاد العالمي، ص ٢٨ - ٣٧.

الدول الأجنبية الأخرى، فتبذل لذلك جهوداً مضاعفة، وتمارس ضغوطاً متزايدة، وتبدي تدمراً ممن يعمل على تخفيض تلك النفقات العسكرية^(١) والتي تحمل مؤشرات متعددة تتمثل في:

أ: حجم الإنفاق. حيث ضخامة المبالغ المخصصة للإنفاق العسكري، والتي بلغت عند بعض الأعداء في منتصف [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/١١ هـ -]، أرقاماً تقدر بالتالي^(٢):

الدولة	الناتج المحلي مليون دولار	نسبة المصروفات الحكومية إلى الناتج المحلي.	نسبة الإنفاق العسكري من المصروفات الحكومية
أمريكا	٥٩٢٠١٩٩	١٤٣٨٦٠٨ = %٢٤,٣	٢٩٦٣٥٣ = %٢٠,٦
بريطانيا	٩٠٣١٢٦	٣٥٦٧٣٤ = %٣٩,٥	٤٠٣١١ = %١١,٣
فرنسا	١٣١٩٨٨٣	٥٩٩٢٢٦ = %٤٥,٤	٣٨٣٥٠ = %٦,٤
إسرائيل	٦٩٧٦٢	٣١٦٧١ = %٤٥,٤	٦٩٩٩ = %٢٢,١

ب: النمو السنوي في النفقات العسكرية. النفقات العسكرية لدى الأعداء في ازدياد مستمر^(٣) فهي تنمو سنوياً بدرجات متفاوتة، تبعاً للنمو السنوي للاستهلاك الحكومي، حيث بلغ معدل النمو السنوي للإنفاق العسكري في الدول الصناعية ما بين أعوام [١٩٨٠ - ١٩٩٢ م - الموافق ١٤٠٠/٣ - ١٤١٣/٧ هـ -]، حوالي: [٢,٢%]^(٤).

فمثلاً في عام [١٩٨١ م - الموافق ١٤٠١/٣ - ١٤٠٢/٣ هـ -] بلغت ميزانية الدفاع الفرنسية حوالي: [٢٩] بليون دولار أمريكي، بزيادة قدرها: [١٨%] عن السنة الماضية^(٥).

- (١) انظر مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، التحالف الغربي والعلاقات الأطلسية، ص ٢٢ - ٢٧.
- (٢) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ص ١٩٨ - ١٩٩، ٢١٢.
- (٣) انظر كيندي، مرجع سابق، ص ٦٢٢.
- (٤) انظر البنك الدولي، مرجع سابق، ص ٢٠٨.
- (٥) انظر مركز العالم الثالث، التحالف الغربي والعلاقات الأطلسية، ص ٨٨ - ٩٠.

وفي عام: [١٩٩٥ م - الموافق ١٤١٥/٧ - ١٤١٦/٨ هـ] وصل إجمالي النفقات العسكرية في إسرائيل نحو [٨،٣] مليار دولار، وتعاادل: [١٧،٨٪] من إجمالي الميزانية العامة لدولة يهود، بزيادة: [٧،٩٪] عن عام: [١٩٩٤ م - الموافق ١٤١٤/٧ - ١٤١٥/٧ هـ] ^(١).

ج: سرية الأرقام. الإعلانات الرسمية لحجم الإنفاق العسكري، لا تمثل في الحقيقة الأرقام الصحيحة ^(٢)، حيث تؤكد بين الحين والآخر مصادر رسمية أخرى، أن ما يعلن عنه أقل بكثير من الأرقام الحقيقية، ففي عام [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٦ - ١٤١٣/٧ هـ] أنفقت روسيا مبلغ [٢٥] مليار دولار، بطريقة سرية؛ لتطوير قواتها العسكرية ^(٣). وأفادت دراسة قام بها مجموعة من المحللين والمسؤولين الأمريكيين السابقين عن ضخامة المبالغ والتكاليف المالية العالية للبرامج النووية الأمريكية وأنها أكثر بكثير مما يعترف به رسمياً، وأن المبلغ الذي توصلت إليه الدراسة من عام [١٩٤٥ م - الموافق ١٣٦٤/٢ - ١٣٦٥/١ هـ]، حتى [١٩٩٢ م - الموافق ١٤١٢/٦ - ١٤١٣/٧ هـ] قد بلغ أكثر من أربعة تريليونات دولار، وأن هذا المبلغ يشكل بين ربع وثلث الإنفاق العسكري على التسلح منذ عام [١٩٤٥ م] ^(٤).

وبوجه عام فالذي يعيننا هنا هو إعطاء تصور يسير عن حجم الإنفاق، قد لا يصل إلى الأرقام الحقيقية للإنفاق العسكري لدى العداة.

(١) انظر «إسرائيل أنفقت عام [١٩٩٣ م] على الدفاع [١،٤] مليار دولار أكثر مما أعلنت»، جريدة عكاظ، ١٤١٦/١/٩ هـ، العدد ١٠٥٢٥، ص ١٢؛ وانظر [١،٤] مليار دولار نفقات إسرائيل على التسليح»، جريدة العالم الإسلامي، ١٤ - ١٤١٦/١/٢٠ هـ، العدد ١٤٠٨، ص ١.

(٢) انظر مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ص ١٤٩ - ١٥٣.

(٣) انظر جمال المجايدة، «روسيا تبني أجيالاً جديدة من صواريخ «الردع»: حماية «الرأس» الروسية من «النووية الأولى»... العلماء الأمريكيون مذهولون من التقنية الصاروخية الجديدة...»، جريدة عكاظ، ١٤١٦/٢/٥ هـ، العدد ١٠٥٥١، ص ٦.

(٤) انظر «مع إضافة سنوية تبلغ [٢٥] بليوناً: [٤ - ٥] تريليونات دولار تكاليف البرنامج النووي الأمريكي»، مكة المكرمة: جريدة الندوة، ١٤١٦/٢/٢٧ هـ، العدد ١١١٢٥، ص ٦.

د: مجالات الإنفاق. مع أن بعض الدول الإسلامية تنفق أموالاً طائلة في مجال الإنفاق العسكري^(١) إلا أن تلك الأموال توجه في الغالب إلى شراء مقتنيات الدول الأجنبية، وهذا ما يفقدها الكثير من الأموال، والفاعلية المأمولة للقوة العسكرية، يقول كيندي: (المبدأ العام هو: أن التقدم التقني يمكن أن يفقد الأنواع الحالية من الأسلحة قيمتها، ويجعل عملية الاحلال باهظة التكاليف)^(٢)، وهذا ما يجعل في تلك الأموال الإسلامية دعماً حقيقياً لقدرات الأعداء العسكرية، فهي تسهم في مساعدتهم على التجديد، والتخلص من كل فائض وقديم.

بينما يوجه الأعداء نفقاتهم العسكرية إلى مجالات حيوية، تدور حول عملية البناء الحقيقي للقوة العسكرية^(٣)، وتتمثل في تلبية متطلبات تحديث القوة العسكرية، يقول بول كيندي: (تقديرات وزارة الدفاع الأمريكية بأن القاذفة الجديدة [ب ١] ستكلف ما يزيد على [٢٠٠] مليار دولار لإنتاج مائة طائرة فقط... إن السرعة الحالية لهذه الزيادة تثير الفرع، فقد تبطل طائرة واحدة كل ميزانية البتاجون عام [٢٠٢٠ م - الموافق ١٤٤١ هـ] -^(٤). كما تتمثل في تخصيص مبالغ كبيرة لبرامج التطوير، والأبحاث العلمية من فكرة الإنتاج، حتى التعويضات الحربية^(٥). وتتمثل أيضاً في الإنفاق على الأسلحة وبرامج التسليح، وصيانة المخزون العسكري من مصانع، ومعدات، ونحوها فقد أفادت دراسة قام بها مجموعة من المحللين والمسؤولين الأمريكيين السابقين، بأن معظم الـ [٢٥] بليون دولار تصرف على صيانة المخزون النووي، والإبقاء على مصانع الإنتاج النووي عاملة، تحسباً لقرار العودة إلى الإنتاج^(٦).

(١) انظر البنك الدولي، تقرير عن التنمية، ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) القوى العظمى، ص ٦٦٥.

(٣) انظر مركز العالم الثالث، الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ص ١٥٤ - ١٦٤.

(٤) انظر كيندي، مرجع سابق، ص ٦٢١ - ٦٢٢.

(٥) انظر مركز العالم الثالث، التحالف الغربي والعلاقات الأطلسية، ص ٨٨ - ٩٠؛ وانظر «مؤسسة دراسات: سباق التسليح النووي كلف أمريكا أربعة آلاف بليون دولار»، جريدة الحياة، ١٦/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١١٨٣١، ص ٨.

(٦) انظر «مع إضافة سنوية تبلغ [٢٥] بليوناً: ٤ - ٥] تريليونات دولار تكاليف البرنامج النووي الأمريكي»، جريدة الندوة، ٢٧/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١١١٢٥، ص ٦.

ثالثاً: التطوير المستمر .

مما يزيد قوة الأعداء قوة على قوتها، تطورها المستمر، وعدم استقرارها على حال معين. فالأعداء في جهد دائم، وعمل مستمر، وسباق متواصل ومثير في تطوير أسلحتهم القتالية المختلفة، والتي مرت بأطوار فنية متعددة، جعلتها الأفضل والأنسب لعصرها^(١)، يقول المهندس والخبير الروسي المتخصص في صناعة وتصميم الصواريخ، فلاديمير سميتلوف: (نحن نعيش اليوم في عصر السباق التكنولوجي الهائل، والكل يعمل لامتلاك وسائل جديدة للردع النووي... يجب أن نسعى دوماً لامتلاك وسائل ردع مضادة لما هو في الغرب، فالسباق مستمر، والكل يعمل من أجل التفوق)^(٢) هذه المراحل التطويرية المثيرة التي يعيشها الأعداء اليوم تبنى على مقومات من أبرزها:

أ: إصدار القوانين السياسية. فلأجل التطوير تجري المناقشات السياسية العلنية^(٣)، وتصدر القوانين والتوجيهات الصريحة التي تنص على وجوب مضاعفة الجهد؛ لأجل الارتقاء بال سلاح وتطويره^(٤).

ب: رسم الخطط التطويرية المستقبلية. حسب الحاجة، فمنها ما هو خاص بسلاح معين، وسريع التنفيذ، كما في قيام الولايات المتحدة بوضع برامج خاصة، تتسم بسرعة التطوير لأسلحة معينة كبرنامج تطوير صواريخ مضادة للصواريخ، والتي رصد لها مبلغ: [٤٥٠] مليون دولار^(٥). ومنها الخطط الاستراتيجية بعيدة المدى؛ لتحديث المعدات، وإدخال التعديلات عليها، وتقوية القدرات وتحسين الوسائل،

-
- (١) انظر مركز العالم الثالث، الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ص ٥٧ - ٦٢، ٨٥ - ٩٦؛ وانظر الفتياي، أسلحة القرن العشرين، ص ٢٣ - ٤٨، ٩٧ - ٩٨، ١١١، ١٦٧ - ٢٠٢.
 - (٢) انظر جمال المجايدة، «روسيا تبني أجيالاً جديدة من صواريخ «الردع»: حماية «الرأس» الروسية من «النوية الأولى»... العلماء الأمريكيون مدهولون من التقنية الصاروخية الجديدة...»، جريدة عكاظ، ١٤١٦/٢/٥ هـ، العدد ١٠٥٥١، ص ٦.
 - (٣) انظر أقطاب العلماء الأمريكيين، مبادرة الدفاع الاستراتيجي: حروب الفضاء، دراسة تحليلية الأسلحة واستراتيجيات حرب الفضاء، ص ١٩ - ٢٦، ٢٤٥ - ١٦٣.
 - (٤) انظر المرجع السابق، ص ١٩ - ٢٦، ٥١ - ٥٧، ٢٧٦ - ٢٧٧.
 - (٥) انظر «مجلس النواب وافق على تطوير دفاعات مضادة للصواريخ»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/١/١٨ هـ، العدد ٨٢٩٦، ص ٢٠.

وإيجاد نوعية جديدة^(١).

ج: عقد البرامج التطويرية والأبحاث. حيث تعقد الندوات الفكرية، وتجري الأبحاث والدراسات العلمية^(٢)، يقول مجموعة من العلماء الأمريكيين: (لم تكن الولايات المتحدة إلى التراخي والكسل بل إنها كرست جهدها العلمي والصناعي كله مع كميات هائلة من الأموال، من أجل توسيع ترسانة الأسلحة الذرية، من خلال أعداد متزايدة من القنابل الهيدروجينية، والقذائف عابرة القارات والقواعد الأرضية والبحرية للصواريخ ذات الرؤوس الذرية)^(٣).

د: إجراء التجارب الميدانية. أحد الوسائل الرئيسة لمعرفة مدى نجاح محاولات التطوير، ومدى كفاءة الأسلحة الجديدة، وعلى نتائج تلك التجارب، يُبنى كثير من الخطط التطويرية^(٤).

هـ: متابعة أسلحتهم في ميادين القتال. هذا التنافس جعلهم في متابعة دقيقة لمدى تفوق أسلحتهم^(٥)، فعند حدوث خلل، أو تفوق سلاح على سلاحهم، تدار لذلك الندوات، وتطرح الأفكار، وتعقد الدراسات، فهم في خوف من انتشار الأسلحة المتطورة في دول العالم الثالث، حيث يرون ذلك تهديداً لمكانتهم وقوتهم، فعندما أسقط صاروخ في البوسنة والهرسك إحدى الطائرات الأمريكية المتطورة، صُدم قادة أمريكا العسكريون، وانزعج منظرو صناعتها العسكرية؛ لذلك عملوا على طرح مفاهيم جديدة، وأفكاراً عديدة، أخضعوها للدراسة والبحث العاجل والآجل، وأجروا العديد من الحملات لاختبار أسلحة جديدة، مزودة بأجهزة توجيه الكترونية^(٦)، أملاً في تجاوز ذلك الموقف، وذلك النوع من الصواريخ الذي أقلقهم تفوقه على طائرتهم.

(١) انظر مركز العالم الثالث، الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ص ٣٧ - ٤٢، ٤٩ - ٥٠، ٨١ - ٨٧.

(٢) انظر أقطاب العلماء الأمريكيين، مرجع سابق، ص ١٩ - ٢٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٤) انظر الناشف، الأسلحة النووية في إسرائيل، ص ٥٧ - ٦٧.

(٥) انظر مركز العالم الثالث، مرجع سابق، ص ٩٧ - ١٠١.

(٦) انظر «تبلغ تكاليفها مليار دولار: القوات الأمريكية تبدأ تجربة أسلحة جديدة توجه الكترونياً».

جريدة الجزيرة، ٨/٢/١٤١٦هـ، العدد ٨٣١٦، ص ٢٤.

و: البرامج الثنائية. حيث يقوم الأعداء بالتعاون بينهم في مجال البحث والتطوير المشترك، والذي من أبرزه التعاون الأمريكي الروسي في مجال الفضاء، والذي توج بتلك الرحلة الفضائية الشهيرة، والتي تم فيها تحقيق نجاح تاريخي، حيث التحمت مركبة الفضاء الأمريكية: (اتلانتس)، بمحطة الفضاء الروسية: (مير)، بهدف إجراء أكثر من [٣٦] تجربة مشتركة، عدد منها غير معلن عن حقيقته^(١).

وفي هذا الإطار التعاوني يقول أحد مسؤولي وكالة ناسا الفضائية الأمريكية: (لقد تجاوز العالم الآن مرحلة الغزو العلمي للفضاء، وبدأت مرحلة استثمار الفضاء، وهذا ما يتطلب الكثير من التعاون التكنولوجي، والاقتصادي، والسياسي، بين الدول الفضائية)^(٢). ومن التعاون البارز بينهم، تلك البرامج الإسرائيلية المشتركة، حيث تمثل إسرائيل محوراً رئيساً، وحلقة جوهرية في التعاون العسكري بين الأعداء، فهناك أوجه تعاون مكشوفة ومشهورة لا تحتاج إلى بيان أو إيضاح^(٣).

وهناك تعاون أبعد عن الأنظار، كما في الاتفاقات السرية مع فرنسا؛ لبناء قدرات إسرائيلية نووية^(٤)، ولتطوير أنواع من الصواريخ المختلفة^(٥)، وكما في التعاون بين إسرائيل وجنوب إفريقيا في المجال النووي، حيث تملك إسرائيل الخبرة

(١) انظر «بداية ناجحة لمشروع «مدينة دولية» في الفضاء: التحام «اتلانتس» الأمريكية و «مير» الروسية. إنجاز هام لاستثمار الفضاء...»، جريدة المدينة، ١١/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١١٧٨٢، ص ٧.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) انظر مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، إسرائيل: العقيدة العسكرية وشؤون التسليح، ص ١١٠ - ١١٢؛ وانظر الناشف، الأسلحة النووية في إسرائيل، ص ١٦ - ٣٣؛ وانظر «روسيا ستطلق قمراً إسرائيلياً لم تحدد أغراضه»، جريدة الحياة، ١/١٠/١٤١٥ هـ، العدد ١١٦٩٩، ص ١، ٤. وانظر «إسرائيل تطور صاروخ «كروز»»، جريدة الرياض، ١٤/١١/١٤١٥ هـ، العدد ٩٧٩٠، ص ١، ٤.

(٤) انظر سيمور هيرش، الخيار شمشون أسرار وخفايا الترسانة النووية الإسرائيلية، ص ٤٣ - ٤٩؛ وانظر ويشمان، كروسني، القنبلة الإسلامية، ص ١٦٥ - ٢٠٢؛ وانظر الناشف، المرجع السابق، ص ٢٢ - ٢٣.

(٥) انظر ويشمان، كروسني، المرجع السابق، ص ٨.

الفنية، وجنوب إفريقيا اليورانيوم، وقد أثمر ذلك التعاون عن إجراء تجارب نووية في [١٩٧٩ م - الموافق ١٣٩٩/٣ - ١٤٠٠/٢ هـ -] فوق المحيط الهندي^(١).

هكذا يمضي الأعداء في محاولاتهم التطويرية، فما بين الرغبة في التفوق والتطور، والخوف من تفوق الآخرين وسيطرتهم، تمضي مراحل التطوير لتحقيق نتائج باهرة، يقول المهندس الروسي سميتلوف عن آخر مبتكراتهم: (نجحنا في تصميم وإنتاج نظام صاروخي جديد، أطلقنا عليه اسم (PMU - ١٣٠٠).

وهذا النظام مخصص لردع الصواريخ العابرة للقارات... نجحنا كذلك في تصميم وإنتاج الصاروخ (N6E ٤٨)، وهذا هو أقوى نظام صاروخي حتى الآن من حيث القوة التدميرية وسرعة الانطلاق)^(٢)، كما ابتكر مركز ريزونانس للبحث العلمي والتقنية في موسكو جهاز رادار متطور يسمى (ريزونانس)، وتكمن أفضليته في دقته الكبيرة في اكتشاف أدق الأهداف وأصعبها رؤية، بما في ذلك الطائرة المسماة (ستيلث) والمعروفة بالشبح. ودقته في اكتشاف الأهداف من مسافة بعيدة محددًا نوعها، وعددها، وسرعتها. يضاف إلى ذلك قلة تكلفته، حيث يقل عشرات المرات عن أمثاله كما أنه أكثر الرادارات أماناً، وأسهلها تشغيلاً، وأخفها وزناً^(٣). ويمضي التطوير في أمريكا حتى يصل كما تقول التقارير، ويتوقع الخبراء إلى واقع مذهل في السنوات القادمة، يعبرون عنه بالواقع الافتراضي، حسب ما جاء في تقرير مطول لمجلس البحوث القومي الأمريكي تحت عنوان: (التكنولوجيا الاستراتيجية للجيش في القرن الواحد والعشرين)^(٤).

-
- (١) انظر المرجع السابق، ص ٣٨٧ - ٣٩٠؛ وانظر الناشر، مرجع سابق، ص ٣٠، ٦٤.
- (٢) انظر جمال المجايدة، «روسيا تبني أجيالاً جديدة من صواريخ «الردع»: حماية «الرأس» الروسية من «النووية الأولى»... العلماء الأمريكيون مذهولون من التقنية الصاروخية الجديدة...»، جريدة عكاظ، ١٤١٦/٢/٥ هـ، العدد ١٠٥٥١، ص ٦.
- (٣) انظر يوري ميدفيدف، «الروس يبتكرون راداراً حديثاً يكتشف طائرات الشبح»، جريدة الرياض، ١٤١٦/٢/٢١ هـ، العدد ٩٨٨٦، ص ٣٥.
- (٤) «كيف يهيؤون لحرب عالمية ثالثة؟! الكومبيوتر هو البطل، ودبابات خفيفة تقطع بساعات ما قطعتة دبابات حرب الخليج في أيام»، جريدة الشرط الأوسط، ١٤١٥/٤/٢٥ هـ العدد ٥٧٨٥، ص ٢٢.

أما في إسرائيل التي تواصل مسلسل تجاربها العسكرية، وتطوير معداتها القتالية المختلفة^(١)، فتطلق صاروخاً مضاداً للصواريخ الباليستية سمي: (ارو - ٢)، أو: (السهم - ٢)، ضمن مشروع بدأ عام [١٩٨٨ م - الموافق ١٤٠٨/٦ - ١٤٠٩/٥ هـ]، في مبادرة الدفاع الاستراتيجي، والتي تطلق عليها الحكومة الأمريكية حرب النجوم، وتتولى الإدارة الأمريكية تمويل [٧٠٪] من كلفة المرحلة الأولى من المشروع، و [٧٠٪] من كلفة القسم الباقي^(٢). كما أنتجت طائرة بلا طيار من طراز (هنتر) تستخدم لأغراض استخبارية، حيث تتمكن من الحصول على معلومات ميدانية في جميع الأوقات ومخلف الظروف والأحوال، وقد تم بيع نحو من سبع طائرات منها إلى القوات المسلحة الأمريكية^(٣).

وتقول هيئة تعنى بتطوير الأسلحة الإسرائيلية تحت مسمى مؤسسة رفائيل، بأنها قد سجلت براءة اختراع باسمها في الولايات المتحدة، لمشروع لا يزال قيد البحث والدراسة، وربما يستغرق عدة سنوات، وتتلخص فكرة المشروع كما قال المتحدث باسم المؤسسة نوح شاكار: (تطوير طائرات بدون طيار على طول حدود إسرائيل، ولها القدرة على رصد نيران الصواريخ، وإطلاق صواريخ من تلقاء نفسها على الصواريخ القادمة)^(٤)، ولهذا النظام قدرة تفوق غيره من الأنظمة الدفاعية، حيث يستطيع تدمير الصواريخ الموجهة لإسرائيل قبل دخولها المجال الجوي الإسرائيلي، ولن يسقط أي حطام في إسرائيل. كما أن كلفة هذا البرنامج أقل بكثير من تكلفة برنامج تطوير صاروخ (أرو)^(٥) والذي تُعنى بتطويره مؤسسة صناعات الطائرات الإسرائيلية، وتعمل على أن يكون أكثر كفاءة من صاروخ (باتريوت) الأمريكي الصنع، وليكون جاهزاً للعمل خلال [١٨ - ٢٤] شهراً، بتكلفة تقدر

(١) انظر مركز العالم الثالث، إسرائيل: العقيدة العسكرية وشؤون التسليح، ص ٥٨ - ٦٥، ص ٨١ - ١٦٥.

(٢) انظر «إسرائيل تجرب الجيل الثاني من صواريخها المضاد للصواريخ»، جريدة الحياة، ١٤١٦/٣/٥ هـ، العدد ١١٨٤٩، ص ٤.

(٣) انظر «إسرائيل تبيع طائرات للولايات المتحدة!»، جريدة المدينة، ١٨/١١/١٤١٥ هـ، العدد ١١٧٠٠، ص ٣.

(٤) انظر «ما زال المشروع قيد البحث الإسرائيلي: طائرات بدون طيار ترصد وتطلق صواريخ مضادة»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/٣/٩ هـ، العدد ٨٣٤٦، ص ١، ٢٣.

(٥) انظر المرجع السابق.

بحوالي: [١,٢٥] مليار دولار^(١).

كما تواصل إسرائيل تطوير أقمارها الصناعية، ذات الأهداف العسكرية، فتجري التجارب المتعددة والمحاولات المتكررة، حتى نجحت في [١٤١٥/١١/٥ هـ] عندما أطلقت قمرها الصناعي أفق [٣]، من قاعدة بلاماهيم الواقعة جنوبي تل أبيب، وتم وضعه في مدار حول الأرض، يُمكنه من تحقيق هدفه المحدد بالتجسس على البلاد الإسلامية، وجمع المعلومات العسكرية، مما يزيد من قدرة إسرائيل في اعتمادها على قدراتها، حيث يرسل القمر الصور الفوتوغرافية التجسسية إلى إسرائيل مباشرة، بعد أن كانت إسرائيل تعتمد في ذلك على الولايات المتحدة، ويمتاز أفق [٣] بقدرته الدقيقة التي تمكنه من تسجيل أرقام اللوحات المعدنية للسيارات^(٢).

رابعاً: التفوق النوعي والكمي.

لا وجه للمقارنة بين القوة المادية العسكرية للأعداء، والقوة المادية العسكرية للمسلمين، فتفوق الأعداء قضية مسلمة، لا خلاف فيها، ويتمثل ذلك التفوق في عدة أمور من أبرزها:

أ: القدرة الإنتاجية. حيث يعتمد أغلب الأعداء في قوتهم على القدرات والإمكانات الذاتية؛ لذلك فهم يمتلكون قدرة إنتاجية محلية عالية المستوى لجميع أنواع الأسلحة ومتطلباتها، يقول مجموعة من العلماء الأمريكيين عن قدرات الاتحاد السوفيتي الإنتاجية: (استطاع أن يبني في أقل من عشرين سنة قوة ذرية ضاربة لا يمكن الاستهانة بها، فقد أظهر الروس أن لديهم الإرادة، والوسيلة، القادرتين على تمكينهم من الوصول إلى مستوى التقدم التكنولوجي الغربي)^(٣). وفي أمريكا تفيد دراسة قام بها مجموعة من المحللين والمسؤولين الأمريكيين السابقين، أن بلايين الدولارات تصرف على الإبقاء على مصانع الإنتاج على قدرة عالية من الكفاءة

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) انظر «ويتشدقون بالسلام»، جريدة الرياض، ١٤١٥/١١/٧ هـ، العدد ٩٧٨٣، ص ١٨؛ وانظر «... سوريا تشجب إطلاق قمر إسرائيلي اصطناعي للتجسس»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/١١/١١ هـ، العدد ٨٢٣٠، ص ٢٩.

(٣) مبادرة الدفاع الاستراتيجي: حروب الفضاء، ص ٣٣.

والقدرة الإنتاجية^(١). أما إسرائيل فتملك قدرة إنتاجية عالية المستوى، يأتي في مقدمتها الإنتاج النووي، حيث لا يوجد أدنى شك في قدرة إسرائيل النووية على إنتاج أسلحة نووية مختلفة، فجميع التقارير والتحليلات تتفق على قدرة إسرائيل على الإنتاج النووي، وأنها قد أنتجت المئات من القنابل النووية، وغيرها من الأسلحة النووية، كإنتاج القنابل الهيدروجينية. وصواروخ: أريحا- [٢]، متوسطة المدى، ذات الرؤوس النووية. وإنتاج بعض القذائف المدفعية النووية^(٢).

ب: العناية بالكيف. حيث يركز الأعداء في إنتاج أسلحتهم على النوعية والكيفية المميزة^(٣) وعنايتهم بذلك تدفعهم إلى تجاوز كل العقبات والصعوبات، يقول بول كيندي: (قد تتبلغ طائرة واحدة كل ميزانية البنتاجون عام [٢٠٢٠ م - الموافق ١٤٤١ هـ]، بل إن هذه الجهود من المستبعد أن تعكس الاتجاه إلى أسلحة أقل عدداً، وأعلى كلفة. ويرجع هذا الأمر إلى ازدياد تعقيد الأسلحة كالتائرة المقاتلة الحديثة التي تشتمل على مائة ألف قطعة منفصلة، كما يرجع كذلك إلى استمرار سباق التسلح)^(٤).

ج: الدقة المتناهية. فقوتهم تعتمد قوة الأعداء في جميع أسلحتها على التوجيه الإلكتروني الذي يعتمد على أسس علمية، ومقاييس دقيقة، تجعلها على درجة عالية من الدقة في تعاملها مع الهدف، مراقبة وتوجيهاً، وإصابة، ومتابعة نتيجة^(٥)، فمثلاً الصواريخ العابرة للقارات في روسيا يقدر معدل الخطأ الدائري لها

(١) انظر «مع إضافة سنوية تبلغ [٢٥ بليوناً: ٤ - ٥] تريليونات دولار تكاليف البرنامج النووي الأمريكي»، جريدة الندوة، ١٤١٦/٢/٢٧ هـ، العدد ١١١٢٥، ص ٦.

(٢) انظر الشقافي، الردع النووي في الشرق الأوسط، ص ٦ - ١٠؛ وانظر مركز العالم الثالث، إسرائيل: العقيدة العسكرية، ص ٢٩ - ٤٩؛ وانظر الناشف، الأسلحة النووية في إسرائيل، ص ٣٨ - ٥٠.

(٣) انظر القوى العظمى، ص ٦٧٨ - ٦٧٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٢٢.

(٥) انظر أقطاب العلماء الأمريكيين، مبادرة الدفاع الاستراتيجي: حروب الفضاء، ص ٣٧ - ٤٢، ١٩١ - ٢١١، ٢٧٩ - ٢٩٢؛ وانظر مركز العالم الثالث، التحالف الغربي والعلاقات الأطلسية، ص ٣٢ - ٣٤؛ الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ص ٥٧، ٦١، ٧٧؛ وانظر الشقافي، الردع النووي في الشرق الأوسط، ص ١٨ - ٢١؛ وانظر «الملف: الخيار النووي الإسرائيلي: قنابل تكفي لتدمير العالم!». النشاط النووي الإسرائيلي بدأ منذ عام [١٩٤٨ م]!. =

بحوال [٣٠٠ - ٤٢٥م]، في مقابل [٦٠٠م] للصواريخ الأساسية في قوة الصواريخ الأمريكية العابرة للقارات^(١)، وهذه النسب تعتبر دقيقة جداً لمثل هذا النوع من الصواريخ.

د: القوة التدميرية. يمتلك الأعداء أسلحة متفاوتة في فاعليتها وقوتها التدميرية، تمكنهم من استخدام المناسب للحال والغاية، برأ، وجواً، وبحراً، على نحو يحقق لهم التدمير الكامل وبدرجة هائلة لجميع الكائنات والموجودات، وتحويلها إلى مناطق غير صالحة للحياة البشرية، مع القدرة على التحكم في تحديد المساحة المفجرة، ويتمثل ذلك في القنابل النووية والهيدروجينية^(٢). ويحقق لهم تدمير الكائنات الحية تدميراً تاماً، دون أي تأثير بالموجودات المادية، ويتمثل ذلك في الأسلحة النيوترونية، وأشعة الأسلحة النووية^(٣). كما يحقق لهم أيضاً التأثير في الكائنات الحية فقط تشويهاً، أو تأثيراً في الأعصاب والقدرات الفردية، دون أي تأثير على الموجودات المادية المختلفة، ويتمثل ذلك في الأسلحة الكيماوية، والجرثومية، والأسلحة النووية المفجرة جواً على ارتفاع جوي منخفض والأشعة الصادرة من القنابل النووية المفجرة على سطح الأرض^(٤). كما يحقق لهم تدمير أو التشويش على أجهزة الاتصال والاستكشاف، وإحراق الدوائر الكهربائية. ويتمثل ذلك في التفجير النووي الفضائي^(٥).

هـ: بعد المدى. يمتلك الأعداء أسلحة مختلفة، ذات أبعاد متفاوتة، تجعل

= في عام [١٩٥٥م] تم توقيع إتفاقية التعاون النووي بين الولايات المتحدة وإسرائيل... تتراوح القنابل النووية الإسرائيلية ما بين: [١٥٠ - ٢٠٠] قنبلة نووية، وحوالي [٥٠] هيدروجينية. تعاونت إسرائيل مع: فرنسا، والولايات المتحدة، وجنوب إفريقيا، والنرويج، وألمانيا، لتنمية برنامجها النووي»، مجلة اليمامة العدد ١٢٢٤ (٤/٥/١٤١٣ هـ): ص ٣٦ - ٤٠.

- (١) انظر مركز العالم الثالث، الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ص ٦٠.
- (٢) انظر كيندي، القوى العظمى، ص ٥١٤، ٥٣٧؛ وانظر الفتياي، أسلحة القرن العشرين، ص ١١١ - ١١٥؛ وانظر الشقاقي، مرجع سابق، ص ٢٣.
- (٣) انظر الفتياي، المرجع السابق، ص ١١٦ - ١١٨، ١٢٠.
- (٤) انظر المرجع السابق، ص ١٢٠؛ وانظر مركز العالم الثالث، المرجع السابق، ص ٧٢ - ٧٤.
- (٥) انظر الفتياي المرجع السابق، ص ١١٩ - ١٢١؛ وانظر الشقاقي، مرجع سابق.

من جميع مناطق العالم الإسلامي تحت مدارها^(١)، هذه الأسلحة تنطلق من أماكن مختلفة من بلاد الأعداء، دون أي مساندة من بلد آخر، وتطلق من قواعد برية ثابتة، أو متحركة، كما تطلق من الجو، ومن البحر، بأوضاع مختلفة، تناسب الحال. ففي روسيا تم بناء أعداد ضخمة من القاذفات بعيدة المدى^(٢)، كالصاروخ [س-س-س-١٨]، متعدد الطراز والمدى الذي يتفاوت بين [١٢ - ١١] ألف كلم، والصاروخ [س س ن-١٨]، ويبلغ مداه [١٦٦٠٠ كم]، ويطلق من الغواصات^(٣). وفي فرنسا يعتمد على الصواريخ الباليستكية متوسطة المدى من طراز [س-٢]، والذي يصل مداه إلى [٢٥٠٠ كم]. ومن طراز [س-٣]، والذي يصل مداه إلى [٣٠٠٠ كم]. ومن طراز [م-٢٠]، والذي يصل مداه إلى [٤٨٠٠ كم] وقاذفات يصل مداها إلى حوالي [١٥٠٠ كم]^(٤). وفي بريطانيا يتم الاعتماد على الصواريخ الباليستكية من طراز (بولاريس)، والتي يصل مداها إلى: [٤٦٠٠ كم]. وقاذفات من طراز (فولكان) يصل مداها إلى: [٤٠٠٠ كم]^(٥). كما تمتلك إسرائيل وسائل إطلاق متنوعة من طائرات وصواريخ قادرة على الوصول إلى أبعد نقطة في العالم الإسلامي، كالصواريخ الباليستكية أرض أرض من طراز [أريحا ١، ٢، ٣]. والتي يصل مداها على التوالي: [٤٥٠ - ٨٥٠ - ٤٥٠٠ كم]^(٦)، و صاروخ (شاخيت)، والذي استخدم في إطلاق القمر الصناعي أفق [٣]، هذا الصاروخ كما يؤكد خبراء غربيون قادر على توصيل أسلحة نووية إلى أهداف متباعدة في أرجاء العالم الإسلامي^(٧). كما تملك طائرات ذات أداء عال يتراوح مداها بين:

- (١) انظر المرجع السابق، ص ١٨ - ٢١.
- (٢) انظر كيندي، القوى العظمى، ص ٥٣٥.
- (٣) انظر مركز العالم الثالث، الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ص ٦٠ - ٦١.
- (٤) انظر مركز العالم الثالث، التحالف الغربي والعلاقات الأطلسية، ص ٤٨، ٨١ - ٨٣.
- (٥) انظر المرجع السابق، ص ٤٧ - ٤٨، ١١٧ - ١١٩.
- (٦) انظر الشقاقي، الردع النووي في الشرق الأوسط، ص ١٩، ٢٢؛ وانظر «الملف: الخيار النووي الإسرائيلي: قنابل تكفي لتدمير العالم!». النشاط النووي الإسرائيلي بدأ منذ عام [١٩٤٨م]!... تتراوح القنابل النووية الإسرائيلية ما بين: [١٥٠ - ٢٠٠] قنبلة نووية، وحوالي [٥٠] هيدروجينية...»، مجلة الإمامة العدد ١٢٢٤ (٤/٥/١٤١٣ هـ): ص ٣٦ - ٤٠.
- (٧) انظر أحمد عامر سعد، «حذرت من الترسانة النووية الإسرائيلية: رابطة العالم الإسلامي: «أفق ٣» دليل النوايا العدوانية»، جريدة عكاظ، ١٣/١١/١٤١٥ هـ، العدد ١٠٤٧٠، =

[٧٥٠ - ٢٠٠٠ كم]، وقادرة على حمل الرؤوس النووية وتبلغ حمولتها [٥٥٠٠ - ٩٠٠٠ كلغ]^(١).

و: التعدد النوعي للأسلحة. فالتفوق النوعي والكمي لقوة الأعداد لا يقتصر على سلاح معين؛ بل يشمل جميع أنواع الأسلحة البرية، والبحرية، والجوية، والفضائية، رصداً واستطلاعاً، دفاعاً وهجوماً وردعاً، تحكماً ومتابعةً، قيادة وحركة، اتصالاً وتحليلاً وتخطيطاً، وجعلوا لكل سلاح سلاح مضاد^(٢).

لقد تجاوزا المنظور والسائد في سباقهم النوعي، تجاوزا متاهات البر وأعماق المحيطات، وحلقوا جواً حتى حولوا الفضاء الخارجي إلى ساحة قتال، وميدان سباق، حيث تجري محاولات جادة لبناء أسلحة فضائية، تدمر القذائف في الفضاء قبل وصولها إلى الأرض، وأسلحة أخرى تدمر الأقمار الصناعية التي تستخدم في الإنذار المبكر، أو لأغراض عسكرية أخرى^(٣).

ز: الكثافة العددية. يمتلك مخزوناً هائلاً من الأسلحة والمعدات العسكرية، يكفي جزء يسير منها لدمار البشرية، فمثلاً تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا لوحدهما ما يزيد على [٥٠] ألف رأس نووي^(٤)، وتؤكد دراسة معتمدة على وثائق أمريكية رسمية، صادرة عن مؤسسة بروكينغز للدراسات، بأن الولايات المتحدة قد أنتجت ما بين أعوام [١٩٤٥ - ١٩٩٠ م - الموافق ١/١٣٦٤ - ٦/١٤١٢ هـ] أكثر من [٧٠] ألف رأس نووي بأنواع مختلفة تصل إلى [٦٥] نوع^(٥).

ولكبر حجم هذه الأعداد، عمل ويعمل الأعداء على تخفيضها والحد منها،

= ص ١٢.

(١) انظر الشقاقي، مرجع سابق، ص ١٩ - ٢٠.

(٢) انظر أقطاب العلماء الأمريكيين، مبادرة الدفاع الاستراتيجي، ص ٣٧ - ٤٢، ١٩٩ - ٢١١، ٢٧٩ - ٢٩٢؛ وانظر كيندي، مرجع سابق، ص ٦٢٢؛ وانظر مركز العالم الثالث، الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ص ٤٩ - ٥٦.

(٣) انظر المراجع السابقة، ص ٣٣ - ٧٢، ١٧٥ - ١٩٠، ٢٤٥؛ ص ٤٣ - ٥٦، ١٠٦ - ١١٤.

(٤) انظر، أسلحة القرن العشرين، ص ١١١.

(٥) انظر «... سباق التسلح النووي كلف أمريكا أربعة آلاف بليون دولار»، جريدة الحياة، ١٦/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١١٨٣١، ص ٨.

من خلال مفاوضات متعددة، كمعاهدة [ستارت- ٢]، والتي تنص على تخفيض الرؤوس النووية الأمريكية إلى [٥] آلاف رأس نووي بحلول عام ٢٠٠٣ م - الموافق ١٤٢٣/١٠/٢٨ هـ -] (١).

ومع تعدد الإحصاءات واختلافها في تحديد أرقام دقيقة لحجم قوات الأعداء، إلا أن النتيجة التي يخرج بها الناظر تؤكد أنها أعداد خيالية بالنسبة لحجم القوات الإسلامية، تجعل العالم أجمع في خطر دائم ودمار يهدد في كل لحظة. أما في إسرائيل فحينما تختلف المصادر والدراسات حول عدد عتاد إسرائيل النووي، فهذا لا يعني شيئاً مهماً يجب التحقق منه، المهم في هذا الأمر هو اتفاق تلك المصادر والدراسات على قدرة إسرائيل على الإنتاج النووي، سواء كان قبلة واحدة، أو أكثر، فمجرد حصول إسرائيل على قبلة واحدة، فهذا يكسبها تفوقاً على البلدان الإسلامية، مع أن جميع المصادر والدراسات والتحريات تتفق بما لا يدع مجالاً للشك على أن لدى إسرائيل سبعة مواقع نووية، ما بين مفاعل، ومصنع، وموقع تجارب، وأنها تملك من الأسلحة النووية ما يزيد على: [٢٠٠] قطعة نووية ما بين رأس، وقنبلة نووية، وقنبلة هيدروجينية (٢).

خامساً: الانتشار العسكري.

للأعداء وجود عسكري متفاوت في أماكن مختلفة ومتعددة من العالم الإسلامي، من خلال الوجود الدائم في المياه الدولية القريبة من مناطق العالم الإسلامي (٣)، أو بواسطة التسهيلات الممنوحة لهم من قبل بعض الدول الإسلامية براً، وبحراً، وجواً، حيث لا تخلو منطقة من مناطق العالم الإسلامي من وجود قاعدة عسكرية كافرة، أو نفوذ عسكري فاعل (٤). فمثلاً في أواخر عام [١٣٨٩ هـ]

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) انظر الناشر، الأسلحة النووية في إسرائيل، ص ٤٦ - ٤٧؛ وانظر ويشمان، كروسني، القنبلة الإسلامية، ص ٢٢، ٢٤؛ وانظر «مجلة دولية متخصصة: (٧)» مواقع إسرائيلية لتخزين الصواريخ والأسلحة النووية التكتيكية»، جريدة المدينة، ١٣/٦/١٤١٥ هـ، العدد ١١٥٥٢، ص ١؛ وانظر «وكالة رويتر: بيريز لعب دوراً هاماً في مشروع إسرائيل النووي»، جريدة الأهرام، ١٦/١٠/١٤١٥ هـ، العدد ٣٩٥٤٧، ص ١.

(٣) انظر مركز العالم الثالث، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، شؤون عربية، ص ٣١ - ٣٥.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٥٥ - ٦٢، ٧٧ - ٨٦؛ وانظر العيسوي، قياس التبعية، ٢١٦ - =

كان لأمريكا ما يزيد على مليون جندي في [٣٠] دولة متفرقة في أنحاء العالم، وكانت عضواً في أربعة أحلاف دفاعية إقليمية، ومشاركة بفاعلية في حلف خامس، كما عقدت معاهدات دفاعية مشتركة مع [٤٢] دولة مختلفة، وتقدم الدعم العسكري لما يقرب من مائة دولة^(١).

سادساً: الأحلاف العسكرية.

تحالف الأعداء مع بعضهم البعض يزيدهم قوة على قوتهم العسكرية، وأغلب دول العالم الكافر ترتبط مع بعضها البعض بأحلاف عسكرية، ذات أشكال متعددة، ودرجات متفاوتة، مما يزيد لها قوة على قوتها، ويوسع من دائرة نفوذها، وأبرز هذه التحالفات: حلف الأطلسي، وحلف وارسو^(٢).

سابعاً: التكتّم الشديد على الأسرار الفنية.

يعمد الأعداء إلى حجب الأسرار الفنية للأسلحة المتطورة، ويبدل لأجل ذلك جهوداً متعددة، يقول المهندس والخبير الروسي سميتلوف عن إمكانية بيع نوع معين من الصواريخ ذات التقنية العالية: (لم يتم عرض مثل هذه الصواريخ خارج الاتحاد الروسي، حفاظاً على سرية التكنولوجيا المستخدمة في صناعتها)^(٣)؛ لذلك فهم يعملون على منع أبناء المسلمين من معرفة تلك الأسرار من خلال منعهم من العمل في تلك المجالات، سواء في ذلك الطلاب، أو العاملين، فطلاب البلاد الإسلامية يتم منعهم من الانضمام إلى البرامج العلمية العسكرية المتطورة، يقول المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية نيك بارنز عن منح رعايا إيران تأشيرات دخول إلى الولايات المتحدة: (إذا دخلوا البلاد كطلاب ثم

٢١٨؛ وانظر «طائرة الاستطلاع في جياردي الأسبوع المقبل. واشنطن تعيد النظر بقواعدها العسكرية»، جريدة عكاظ، ١١/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١٠٥٥٧، ص ١٢.

(١) انظر كيندي، القوى العظمى، ص ٥٤٠.

(٢) انظر مركز العالم الثالث، الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ص ١٦٩ - ١٧٥.

(٣) جمال المجايدة، «روسيا تبني أجيالاً جديدة من صواريخ «الردع»: حماية «الرأس» الروسية من «النووية الأولى»... العلماء الأمريكيون مذهولون من التقنية الصاروخية الجديدة...»، جريدة عكاظ، ٥/٢/١٤١٦ هـ، العدد ١٠٥٥١، ص ٦.

تحولوا لبرامج عملية تتضمن تكنولوجيا نووية، فسيتم سحب التأشيرة منهم، وترحيلهم^(١).

أما العاملين فيتم حصر مجال عملهم بما يتفق مع أهداف الأعداء، ويُعمل الآن على إصدار قوانين جديدة، وإعادة نظر في قوانين قائمة؛ للحد من عمل المهاجرين إلى البلاد الكافرة في الوظائف التكنولوجية المتطورة فقط^(٢)، يقول يالجن: (معظم الدول المتقدمة لا تعطي الأسرار العلمية للوافدين من البلاد الإسلامية؛ لكي لا تتقدم هذه البلاد، لذا نرى الوافدين يعودون من غير تكوين الاستعدادات والقدرات للابتكارات والاختراعات. ومن الأدلة الواقعية على ذلك، أنه منذ زمن بعيد، بالرغم من أنه يتعلم في تلك البلاد أبناء المسلمين، مع ذلك لم يخترعوا شيئاً)^(٣).

ثامناً: الحيلولة دون حصول المسلمين على الأسلحة المؤثرة.

عمل ويعمل الأعداء على منع المسلمين من امتلاك أي نوع من أنواع الأسلحة الاستراتيجية؛ لذلك فهي تضع حدوداً معينة، ودوائر مغلقة، لا يُسمح لأي بلد إسلامي بتجاوزها؛ لأجل الحصول على السلاح، صناعة، أو شراء، يقول روبرت أوكلي السفير الأمريكي معللاً سبب تجميد تسليم الأسلحة المباعة إلى باكستان في [٨/ ١٩٩١ م - الموافق ١٤١٢/١ هـ -]: (إن إسلام آباد قد تجاوزت حدودها فيما يتعلق ببرنامجه النووي)، هذه الحدود أحاطوها بعدة وسائل من أبرزها:

أ: تنظيم المعاهدات. ينظم الأعداء معاهدات دولية مختلفة، بقصد الحد والمنع من انتشار الأسلحة^(٤)، وهي في حقيقتها لا تتجاوز أن تكون وسيلة لأخذ إقرار وتعهد، تتعهد به الدول الإسلامية أمام دول العالم الكافر على عدم التفكير في الحصول على الأسلحة الاستراتيجية، وتفسح المجال أمام الدول الكافرة لمراقبة

(١) «انضمام روسيا لمجموعة السبع مرتبط بوقف صفقتها النووية لإيران»، جريدة عكاظ، ١٢/٢٢/١٤١٥ هـ، العدد ١٠٥٠٨، ص ١.

(٢) انظر جاري هوفمان، «دعوة لحرمان المهاجرين في أمريكا من الوظائف التكنولوجية المتطورة»، جريدة الشرق الأوسط، ٢١/١٠/١٤١٦ هـ، العدد ٦٣١٣، ص ٢٨.

(٣) دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، ص ٤٧.

(٤) انظر كيندي، القوى العظمى، ص ٥٤٨؛ وانظر ويشمان، كروسني، القنبلة النووية الإسلامية، ص ١٠، ٤٠١.

أنشطتها في هذا المجال، في حين تعتبر الدولة الخارجة عن هذه المنظومات، دولة خارجة عن القانون^(١).

هذه المعاهدات مع كثرتها إلا أنها لم توقف سباق التسلح بين الدول الكافرة نفسها^(٢)، بل إن بعض الدول الكافرة ترفض الدخول فيها^(٣) بحجج قبلت منها، ولم تقبل من البلاد الإسلامية التي حوصرت وقيدت بمثل هذه المعاهدات.

ب: خرق القوانين والأنظمة. الخروج على الأنظمة والقوانين الدولية والمحلية، ومخالفة قواعد العدل والإنصاف، سمة مشتركة تُجمع عليها الدول الكافرة في تعاملها مع تسليح البلاد الإسلامية في جميع الظروف، فحتى والمسلم يقف في موقف المدافع عن نفسه أمام عدو شرس اعترف العالم بشراسته يتخلى أدياء السلام وحقوق الإنسان عن مواقف العدل والرحمة، ويقفوا بإصرار شديد ضد حق المسلم في تسليح نفسه، مستغلين في ذلك ميزاتهم القانونية، ومتجاوزين فضح الواقع، وإدانة التاريخ فيتخلى جندي الأمم المتحدة الكافر عن سلاحه للمعتدي عمداً أو إهمالاً، ويفضل تعمد تدمير سلاحه، على أن يدافع به المسلم عن نفسه^(٤). وما ذلك إلا لأن تلك الدول ترى في مشاهدة جندي شبه أعزل من السلاح، ومدني يحتاج إلى من يسد رمقه، ويجبر كسره، في مواجهة عدو شرس مدجج بالسلاح، يَقتلُ كيفما شاء، وينتهكُ بلا حياء، مشهد يتفق مع غاية، ومطلب حيوي غير معلن، يُعمل لاستمراره، تحت شعارات زائفة، وحجج خادعة، وإن لزم الأمر أبقى بقوة السلاح^(٥)، يقول بول ويليامز أحد الساسة البريطانيين: (. . . بعض الدول الأوروبية

(١) انظر أثنوني كوردزمان، القدرات العسكرية الإيرانية، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية)، ص ٧.

(٢) انظر كيندي، مرجع سابق.

(٣) انظر الناشف، الأسلحة النووية في إسرائيل، ص ٣٦.

(٤) انظر «لائحة المعدات والأسلحة التي أهدتها الأمم المتحدة إلى الانفصاليين الصرب»، جريدة الحياة، ١٤١٦/٢/٥ هـ، العدد ١١٨٢٠، ص ٨؛ وانظر «... القوات الدولية في زيبا يخربون أسلحتهم ومعداتهم لحرمان المسلمين منها»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/٢/٢٢ هـ، العدد ٨٣٣٠، ص ٢٤.

(٥) انظر «كلينتون عارض قرار مجلس الشيوخ، وفرنسا هددت بالانسحاب، روسيا هددت برفع حظر السلاح عن الصرب إذا رفع عن مسلمي البوسنة»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/٣/١ هـ، العدد ٨٣٣٨، ص ٢٠.

بقيادة بريطانيا وفرنسا تعتقد أن بعث توازن على مستوى النفوذ في البلقان من خلال تقسيم البوسنة إلى دولتين كرواتيا من جهة، و صربيا من جهة أخرى، هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى السلم والاستقرار، ولا شك أن تزويد مسلمي البوسنة بالسلاح سوف يجهض مخططات الدول الأوربية؛ باعتبار أن رفع الحظر سيمكن الجيش البوسني وقوامه مائة ألف رجل، من القدرة على الدفاع بصورة فعلية وناجحة عن مجمل تراب البوسنة والهرسك^(١).

وفي التعامل الثنائي بين بعض البلاد الإسلامية وبعض الدول الكافرة، أشكال متعددة لمنع وصول السلاح المؤثر إلى البلاد الإسلامية، فمجرد الاشتباه بأمر أحد البلاد الإسلامية^(٢)، يسارع الأعداء إلى منع تلك البلاد من حقوقها النظامية التي نصت عليها اتفاقات ومعاهدات، كما في تجميد الولايات المتحدة تسليم الأسلحة المباعة إلى باكستان، والتي تزيد قيمتها على [٦٥٨] مليون دولار ورغم مضي أكثر من خمس سنوات على دفع هذا المبلغ، إلا أن أمريكا تتخذ من قرار تجميد تسليم الأسلحة، أو إعادة المبلغ، وسيلة ضغط على باكستان؛ لأجل التخلي عن برامجها العسكرية النووية^(٣).

هذه الهيمنة ليست حكراً على الدول المتقدمة فقط، بل حتى الدول الأقل تقدماً تعمل ما في وسعها لأجل منع المسلمين من الحصول على السلاح المؤثر، فهذه الهند تعمل لمنع تسليم الأسلحة الأمريكية إلى باكستان^(٤)، والأرجنتين تحاول

(١) «خرق سافر للقانون الدولي في البوسنة: مجلس الأمن تجاوز صلاحياته عندما فرض حظراً على الأسلحة إلى البوسنة»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/٣/٣ هـ، العدد ٨٣٤٠، ص ٢٣.

(٢) انظر رأفت يحيى، «باكستان تنتقد الموقف الأمريكي الساعي إلى حرمانها من التسليح»، جريدة الحياة، ١٤١٥/٥/٢ هـ، العدد ١١٥٥٥، ص ٨.

(٣) انظر «... بوتو تطالب أمريكا باحترام تعهداتها بإعادة أموال باكستان»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/١١/٧ هـ، العدد ٨٢٢٦، ص ١، ٢٧؛ وانظر «الكونجرس قد يتخلى للمرة واحدة» عن الحظر: سيناريو أمريكي لتسليم باكستان أسلحتها». جريدة عكاظ، ١٤١٦/٢/٢٩ هـ، العدد ١٠٥٧٥، ص ١٢.

(٤) انظر فراس الجنيدي، «متهمة الكونغرس بالاستجابة للضغوط الهندية: باكستان تعرب عن استيائها لعدم تسليمها طائرات سددت قيمتها لواشنطن»، جريدة الرياض، ١٤١٦/٣/١٣ هـ، العدد ٩٩٠٧، ص ٣٣.

إرضاء إسرائيل قبل الموافقة على طلب سوري لمفاعل نووي صغير جداً، ولأغراض سلمية^(١).

ج: الهيمنة على سوق السلاح العالمي. يتحكم الأعداء في أنظمة مبيعات الأسلحة، حيث تضع الدول المتقدمة شروطاً معينة، ومعايير متعددة لبيع السلاح^(٢)، بل إن زعماء تلك الدول وضعوا نظاماً جماعياً جديداً، أطلقوا عليه: النظام الدولي الجديد للإشراف على بيع الأسلحة، أو المنتدى الجديد، ترى فيه محافظة على أمنها القومي، ورعاية لتوجهاتها السياسية، وصيانة لتفوقها النوعي لكن التطبيق العملي مخالف لهذه التوجهات المعلنة، حيث يتم التطبيق الدقيق لبعض الدول، خاصة الدول الإسلامية^(٣)، في حين يتم تجاهل ذلك النظام عند التعامل مع دول تناصب الدول الإسلامية العداء^(٤).

هذه التوجهات تجعل الأعداء يحكمون سيطرتهم على سوق السلاح العالمي، حيث تقول نشرة صادرة عن وكالة نوفستي الروسية، بأن سعة السوق الدولي للسلاح ستصل في [٢٠٠٠ م - الموافق ١٤٢٠/٩ - ١٤٢١/١٠ هـ]، إلى: [٤٠] مليار دولار، تهيمن الولايات المتحدة الأمريكية على [٦٠٪] من إجمالي السوق، وروسيا بين [٥ - ٧٪]، بينما تدخل دول أخرى سوق السلاح كإسرائيل والبرازيل، وجنوب إفريقيا^(٥). وتشير آخر دراسة لمعهد السياسة العالمية التابع لكلية نيويورك للبحوث

(١) انظر «بلادنا لن تبيع مفاعلاً نووياً لسوريا: وزير خارجية الأرجنتين وصل إسرائيل أمس لتبديد مخاوفها»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/٢/٢٦ هـ، العدد ٨٣٣٤، ص ٢٥.

(٢) انظر ويثمان، كروسني، القنبلة النووية الإسلامية، ص ١٢؛ وانظر محمد المداح، «شهادات «لين» و«شاتوك» أمام لجنة العمليات الخارجية: اعتماد «قواعد سلوك» لبيع الأسلحة الأمريكية»، جريدة عكاظ، ١٤١٦/١/٥ هـ، العدد ١٠٥٢١، ص ١٤.

(٣) انظر «نظام دولي جديد لبيع الأسلحة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٩٩٥/٩/٢١ م، العدد ٦١٤١، ص ٦.

(٤) انظر «العفو الدولية: مبيعات الأسلحة الأمريكية لإسرائيل تتجاهل انتهاكات حقوق الإنسان»، جريدة المدينة، ١٤١٥/١٢/٢١ هـ، العدد ١١٧٣٢، ص ٢.

(٥) انظر الفتياني، الصناعات العسكرية العربية، ص ٢٠٥ - ٢٠٨؛ وانظر مورلابيه، وآخرين، أمريكا وصناعة الجوع، ص ١٨٦؛ وانظر «نصيب الولايات المتحدة منها [٦٠٪] نحو [٤٠] مليار دولار حجم سوق السلاح الدولي عام [٢٠٠٠ م]»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/٣/٢ هـ، العدد ٨٣٣٩، ص ١٣.

الاقتصادية: بأن إجمالي مبيعات العالم من السلاح تقدر بحوالي: [٤٠] مليار دولار. تأتي الولايات المتحدة على رأس قائمة الدول الأكثر تصديراً بحوالي: [٢٠] مليار دولار، تليها روسيا وفرنسا، فبريطانيا، وإيطاليا^(١).

د: الضغط الاقتصادي. فعندما تحاول أحد البلاد الإسلامية امتلاك قوة عسكرية مؤثرة، يوجه لها الأعداء ألواناً متعددة من الضغوط الاقتصادية المنهكة، ما بين حصار ومقاطعة اقتصادية على درجات متفاوتة، وبأشكال مختلفة^(٢)، بل وتوسّع تلك الدائرة الجائرة لتشمل الدول التي قد تقدم أي مساعدة تكنولوجية متطورة، لأي بلد إسلامية^(٣).

هـ: القوة العسكرية. حيث يلجأ الأعداء إلى استخدام القوة العسكرية؛ لمنع الدول الإسلامية من تطوير أسلحتها، أو حصولها على تقنية عسكرية متطورة، فمن السائع عندهم القيام بغارة عسكرية مفاجئة؛ لتدمير منشأة عسكرية^(٤).

و: التهديد والتخريب والقتل. أحد الوسائل الشائعة لمنع امتلاك المسلمين لأي نوع من أنواع الأسلحة المتطورة، توجه إلى علماء وخبراء الأسلحة المؤثرة، سواء كانوا من البلاد الإسلامية، أو ممن يشتهر في تعاونهم مع بلاد إسلامية^(٥)، كما توجه إلى الشركات العالمية التي تتعاون مع البلاد الإسلامية^(٦).

(١) انظر «في مؤتمر ناجازاكي اليابانية الذي ينهي أعماله غداً: خبراء [٣٥] دولة، والأمم المتحدة يدرسون سبل الحد من التسلح في العالم الثالث»، جريدة الجزيرة، ١٧/١/١٤١٦ هـ، العدد ٨٢٩٥، ص ٢٤.

(٢) انظر ويثمان، كروسني، القنبلة النووية الإسلامية، ص ٤٠٦.

(٣) انظر «ربط المساعدات الأمريكية لروسيا بصفقة المفاعلات مع إيران»، جريدة الجزيرة، ١٣/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٨٢٦٢، ص ١، ١٣؛ وانظر «سيناتور جمهوري أمريكي يقترح: قطع المساعدات لمنع روسيا من تطوير برامج إيران النووية»، جريدة عكاظ، ١٤١٥/١٢/٢٩ هـ، العدد ١٠٥١٥، ص ١.

(٤) انظر هيرش، الخيار شمشون، ص ٣٥ - ٤١، ٩٥ - ١١٨؛ وانظر الفتياني، أسلحة القرن العشرين، ص ١٦٠ - ١٦٢؛ وانظر الشقاقي، الردع النووي في الشرق الأوسط، ص ١٣؛ وانظر ويثمان، كروسني، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٧٠؛ وانظر «... بيريز: ستمنع إيران من إنتاج السلاح النووي»، جريدة الجزيرة، ١٣/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٨٢٦٢، ص ١٧.

(٥) انظر ويثمان، كروسني، المرجع السابق، ص ٣٣٨ - ٣٨٧.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ٣٢٣ - ٣٣٨؛ وانظر هيرش، مرجع سابق، ص ١١٩ - ١٣٣.

المطلب الثاني

التقويم

ما فتىء أعداء الإسلام يُعدون العدة، ويشحذون القوة المادية لمحاربة المسلمين في كل زمان ومكان وما نشهده اليوم ليس إلا امتداد للأمس القريب والبعيد، وحلقة في سلسلة متصلة من الجهود المضاعفة، والمحاولات المستميتة للصد عن سبيل الله بكل قوة مادية ممكنة.

ولمواجهة هذه القوى المعادية، جاءت التوجيهات الإسلامية بما يحفظ للمسلم اتزانه، ويثبت جنانه ويؤمن أركانه، فأمر بإعداد القوة العسكرية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ. عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾^(١)، قيد الأمر بالاستطاعة دلالة على أن المراد ليس مماثلة الكفار في قوتهم المادية بل الأمر يقتضي بذل أقصى غايات الجهد في البذل والعطاء، والعمل المتواصل، وعدم التفريط في شيء من تسخير وتذليل الإمكانيات، والقدرات، للإعداد العسكري، يقول الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾: (ما أطقتم أن تعدوه من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل)^(٢)، هذا الأمر وفق هذا المفهوم يتفق مع قلة أنصار الحق، وكثرة أتباع الباطل، على مر العصور، قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، ومن تبعات الكثرة والقلة العددية، كثرة العناد وقلته، وذلك يتضح من قصص الأنبياء والمرسلين، وسبر أغوار تاريخ المسلمين. فهذا فرعون

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) تفسير الطبري، ج ٦ ص ٢٧٤.

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٣.

يملك العتاد المادي، والقوة الجبارة، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١)، يواجهه موسى ﷺ وهو فاقد للقوة، مفتقر لأقل مقاييسها المادية، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾^(٢).

وفي الأحزاب أحد تحالفات القوى العسكرية الكبرى التي واجهها المسلمون، قوات من كل حذب وصب، وعتاد عسكري يفقد الصواب، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ﴾^(٣)، أمام هذه القوى العاتية والقوات الفاتكة، قام المسلمون بمواجهة القوى المتربصة بهم، بالعمل وفق التوجيه الإلهي، وبمقتضى الأمر الإعدادي الذي طُلب منهم القيام به حسب قدراتهم وإمكاناتهم التي سخروها، واستنفذوا طاقتهم لأجلها.

فهذا نوح ﷺ يمضي زمناً طويلاً في بناء السفينة، قال تعالى: ﴿وَصَنَعَ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(٤)، وموسى ﷺ يؤمر بالسير ليلاً، وبضرب البحر بالعصا لينفلق، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٥)، والرسول ﷺ يؤمر بالخروج من مكة إلى المدينة فيخرج سيراً على الأقدام، في قلة من الزاد والأصحاب، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِثَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَلْقَاهُ مَعْنَاهُ...﴾^(٦).

فكان أن خرجت القوى الصغيرة عسكرياً من مواجهة القوى الأكبر بنتيجة واحدة، فهذه سفينة نوح ﷺ بتقنياتها الضعيفة، وتركيبها البدائي، تتقاذفها

(١) سورة الزخرف، الآية ٥١.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان ٥٣ - ٥٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ١٠.

(٤) سورة هود، الآية ٣٨.

(٥) سورة الشعراء، الآية ٦٣.

(٦) سورة التوبة، الآية ٤٠.

الأمواج، فتقاوم موج البحر بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَهُي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...﴾^(١)، وإبراهيم عليه السلام يفقد الناصر والمعين، ويُلقَى في نار متوهجة، فيخرج منها سالماً، قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَنبَأُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢)، والرسول ﷺ يدمي جسمه، ويؤذي في نفسه وأهله ودينه، ويحاصر في بيته ليقتل، فيخرج من بين السيوف منتصراً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنِيبُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾^(٣).

إن سنة الله واحدة لا تتبدل، والنتيجة الحتمية في مواجهة قوى الأعداء المتعددة لا تتغير لمن عمل بالمقدمة الإلهية، بل هي سنة ثابتة، بأشكال مختلفة، قال تعالى: ﴿وَقُرُونًا وَفَرَعُونَ وَهَمْدًا * وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٥).

واليوم وأمتنا الإسلامية تعاصر فاصلاً من حلقات التحزب، وإعداد القوة العسكرية لمحاربة الحق ومناصرة الباطل، عليها أن تعي سنة الله في قوى الكفار الأولين، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٦)، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (هي دعوة إلى التأمل في مصائر الغابرين؛ وهم ناس من الناس، وخلق من خلق الله، تكشف مصائرهم الماضية، عن مصائر خلفائهم الآتية، فسنة الله هي سنة الله في الجميع، وسنة الله حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود، بلا

(١) سورة هود، الآية ٤٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٦٨ - ٦٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآيتان ٣٩ - ٤٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٩.

(٦) سورة غافر، الآية ٨٢.

محاياة لجيل من الناس، ولا هوى يتقلب فتقلب معه العواقب)^(١).

على الأمة أن تدرك أن القوة الحقيقية لله سبحانه وتعالى، ولأنصاره، قال تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾^(٢)، وأن تحذر من المبالغة في النظر إلى القوة المادية للأعداء فنصورها على أنها قوة عظمى، تصعب مواجهتها، ويستحيل الوصول إلي مستواها، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾^(٣).

عليها أن تنظر بفكر ثاقب، وبصيرته نيرة؛ لما تواجهه القوى الكبرى من مشاهد متعددة من سنن الله ثابتة، تواجه الأعاصير المدمرة، والفيضانات المغرقة، والزلازل المزلزلة لآثارهم، والتي لم تثبت أمامها إمكاناتهم وقدراتهم المادية الهائلة، ومن أحسن من الله حكماً، وأبلغ قولاً، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتُنُونَ * فطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾^(٤).

قواتهم العسكرية ذات القدرات الكبيرة، تنهاوى أمام قوى أضعف منها فنياً، وأقل عدداً، يقول بول كيندي معلقاً على التدخل الأمريكي في فيتنام: (دلّت هذه الحرب على أن التفوق العسكري والإنتاجي الاقتصادي، لا يترجم دائماً وبصورة تلقائية إلى فعالية حربية... فمن الناحية الاقتصادية كانت الولايات المتحدة تمثل من [٥٠] إلى مائة مثل إنتاجية فيتنام الشمالية، ومن الناحية العسكرية كانت تمتلك من القوة النيرانية ما يعيد العدو إلى العصر الحجري، وبقوتها النووية، كانت لديها القدرة على مسح جنوب شرق آسيا بأسرها؛ لكن هذه لم تكن حرباً يكون التفوق فيها لهذه الأشياء)^(٥)، هذه النتيجة الفاضحة هي واقع مشاهد اليوم في أماكن مختلفة من العالم المعاصر عموماً والإسلامي خصوصاً، ومن أصدق من الله قياً: ﴿ ... كَم

(١) في ظلال القرآن، ج ٥ ص ٢٧٦٠.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٤.

(٣) سورة فصلت، الآية ١٥.

(٤) سورة القلم، الآيات ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠.

(٥) القوى العظمى، ص ٥٦٠.

مَنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً يَا ذَنْ لَئِنَّ اللَّهَ وَآلَهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ .

أسلحتهم الفتاكة تتعطل بلا سبب، وتنحرف عن تحقيق الهدف دون خلل، فقد أكدت الشرطة الألمانية أنها تكتشف بين الحين والآخر قنابل ومتفجرات يصل وزن بعضها إلى طن واحد، تعود إلى الحرب العالمية الثانية، حيث أسقطت على المدن الألمانية لكنها لم تنفجر^(٢). كما أن هناك قنابل ومتفجرات من بقايا الحرب العالمية الثانية، تطفوا بين الحين والآخر على مختلف السواحل والشواطئ في أنحاء متفرقة من العالم^(٣)، أو لم يقل الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَيَّ إِثْرِهِمْ﴾^(٤).

إمكاناتهم الفنية تعطلها مخلوقات ضعيفة، فهذا طائر صغير يسمى (نقار الخشب)، يقع دقائق على خزان وقود مكوك الفضاء الأمريكي (ديسكفري)، فينقر نقرات يسيره، أصابتهم بالهلع والخوف وأجبرتهم على إعادة الترتيبات^(٥)، إن وعد الله حق لمن اهتدى بهديه، يقول تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ...﴾^(٦).

إن الوقوف بانهار أمام قوة الأعداء، ونظر الإعجاب بهذه القوى العسكرية، لهو مهلكة عظيمة للأمة، وعائق كبير أمام إحياء الهمة، ومعطل نافذ للقوى الفاعلة، تجاوزه يسير لمن آمن بالسنن الإلهية، ونظر فيها عاملاً بمتطلباتها الشرعية.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٢) انظر «إجلاء» [١٠] آلاف ألماني بسبب قبيلة من الحرب العالمية»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/١١/٨ هـ، العدد ٨٥٨١، ص ٣٠.

(٣) انظر «الحرب العالمية الثانية لم تنته بعد، آلاف القنابل الغارقة تهدد المدنيين في مختلف أنحاء العالم»، جريدة الرياض، ١٤١٦/١١/٢٣ هـ، العدد ١٠١٥٣، ص ٣٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

(٥) انظر «موجز لأهم الأنبياء»، إذاعة M.B.C، لندن، ١٤١٦/١/٥ هـ، الساعة ٩،٣٠ صباحاً.

(٦) سورة الأعراف، الآية ١٣٣.

الفصل الثالث

ففي مجال التدخل والاحتلال

المبحث الأول: التدخل.

المبحث الثاني: الاحتلال.

مدخل:

مواقف الأعداء من أمتنا مرت وتمر بمراحل متباينة ومتعددة، ومن أصدق من الله حديثاً: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَلُّوْا...﴾^(١)، فهم يعملون جاهدين ويحاولون مستمرين، سالكين كل حيلة، وممتطين كل فتيلة، عليهم يحققوا المراد.

وتستمر تلك المحاولات حتى تصل إلى طريق مغلق، فيضطروا معه إلى أسلوب العمل المادي المباشر والعلني، يقول نيكسون: (. . . نحن على استعداد لاستعمال القوة العسكرية إذا لزم الأمر، ولكن علينا أن نبدأ أولاً بالدبلوماسية، والمعونات الاقتصادية، والمفاوضات، كأدوات أساسية قبل اللجوء للقوة العسكرية)^(٢)، وهذا ما سأكتب عنه في المباحث التالية:

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٧.

(٢) الفرصة السانحة، ص ٢٧.

المبحث الأول التدخل

يلجأ الأعداء أحياناً إلى امتطاء سهوة العمل المباشر، والتدخل السافر، وباستخدام القوة الغاشمة لتحقيق غاية معينة، متجاوزين في ذلك كل الأعراف الدولية، والمبادئ الإنسانية، فيصلون إلى داخل البلاد الإسلامية دون أي اعتبار، ويعملون ما يشاؤون دون أي وقار^(١)، يقول نيكسون: (تكفي المعونة العسكرية، أو الاقتصادية المعلنة أحياناً؛ لتحقيق أهدافنا، إلا أنه في بعض الأحيان يكون التدخل العسكري المباشر، هو فقط الذي يمكنه تحقيق ذلك)^(٢).

وفي هذا المبحث أكتب عن التدخل العسكري باعتباره أحد عوائق الجهاد، وفق البيان التالي:

(١) انظر نيكسون، نصر بلا حرب، ص ١٢٠ - ١٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٣.

المطلب الأول التحليل

وذلك في عدة فروع:

الفرع الأول التعريف

أولاً: التعريف.

أ: لغة. الدُخُول: نقيض الخروج، تقول دَخَلَ المكان: أي صار داخله، وتَدَخَّلَ، أي: تكَلَّفَ الدخول في الأمر^(١).

ب: اصطلاحاً. التدخل عند السياسيين هو^(٢): (تعرض دولة للشؤون الداخلية والخارجية لدولة أخرى، وإملاؤها إرادتها عليها بقصد تغيير الحالة الراهنة فيها، دون أن يكون لهذا التعرض سند قانوني)^(٣).

هذه المعاني تُبين أن التدخل أمر حسي، لا يُتصور في الأمور المعنوية^(٤)، فقد يكون تدخلاً سياسياً من خلال الدعوة لعقد مؤتمر تتحقق فيه غاية لمريد التدخل، وقد يكون من خلال العمل الدبلوماسي كتابياً وشفوياً. وقد يكون عسكرياً، كحشد القوات على حدود الدولة المتدخل فيها، أو استخدام القوة العسكرية من خلال

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، «دخل»؛ وانظر أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، «دخل».

(٢) انظر موسوعة السياسة، ج ١ ص ٧٠٥ - ٧٠٦؛ وانظر بدوي، معجم المصطلحات السياسية، ص ٦٩، ٧٨؛ وانظر أبا هيف، القانون الدولي، ص ٢٠٩.

(٣) عطية الله، القاموس السياسي، ص ٢٧٧.

(٤) انظر أبا البقاء، الكليات، ص ٤٤٩.

الحصار، والضربات العسكرية، والغزو المباشر.

هذه الأنواع من التدخل قد تكون عملاً جماعياً أو فردياً، وقد تكون عملاً صريحاً ومباشراً، أو خفياً ومقنعاً^(١).

وما أعنيه هنا هو التدخل العسكري، من خلال الاستخدام العلني والصريح للقوة العسكرية داخل الأراضي الإسلامية.

ثانياً: مبدأ التدخل.

القوة العسكرية أحد المبادئ والمرتكزات الرئيسة التي تقوم عليها السياسة الغربية بوجه عام، فلكي تنجح سياسياً، لا بد أن تستند إلى قوة عسكرية، يقول نيكسون: (لا يمكن لأي سياسة أن تنجح ما لم تكن مستندة على قوة عسكرية)^(٢)، فهي قوة تضمن لهم التدخل بشكل عام، والعسكري بشكل خاص، يقول نيكسون: (تكفي المعونة العسكرية، أو الاقتصادية المعلنة أحياناً لتحقيق أهدافنا، إلا أنه في بعض الأحيان يكون التدخل العسكري المباشر هو فقط الذي يمكنه تحقيق ذلك، ولكن بين الحالتين توجد منطقة شاسعة، حيث يتعين على الولايات المتحدة أن تكون قادرة فيها على القيام بعمليات سرية، وبدون هذه القدرة لا نستطيع حماية المصالح الأمريكية الهامة)^(٣).

وتحديد مفهوم المصالح يخضع لمنطقتهم الفكرية والعقائدية، تلك المنطلقات التي تتعارض قطعاً مع المنطلقات الإسلامية، يقول نيكسون: (لدينا مصلحة حيوية في أن لا تحصل الدول المتخلفة على السلاح الذري، وليس للولايات المتحدة الخيار، إلا القوة المسلحة؛ لتمنع تهديد مصالحها... الولايات المتحدة لديها مصلحة كبيرة في بقاء الدول الديمقراطية، والتقدم الاقتصادي من خلال الأسواق الحرة، كما تهدف أيضاً إلى مساندة كل الحكومات الديمقراطية في العالم على وجه العموم... فلكي تحمي الحكومات الديمقراطية المهددة، كما في إسرائيل، وكوريا الجنوبية فنحن على استعداد لاستعمال القوة العسكرية إذا لزم

(١) انظر عطية الله، مرجع سابق، ص ٢٧٧ - ٢٧٨؛ وانظر أبا هيف، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٢) الفرصة السانحة، ص ٩٤.

(٣) نصر بلا حرب، ص ١٢٣.

الأمر^(١)، وعليه فأى توجه إسلامي لتصحيح أحوال سياسية أو اقتصادية، يهدد مصالحهم المتمثلة مثلاً في حماية إسرائيل، وحماية الأنظمة الاقتصادية الربوية، وسيادة القانون الوضعي.

وتم تكريس هذا المبدأ عملياً في أغلب الدول الأجنبية من خلال تشكيل وحدات عسكرية خاصة للتدخل السريع، تستخدم باعتبارها جزء من رد وطني، أو جزء من تحالف دولي^(٢)، يقول وزير الدفاع البريطاني: (من اليوم سنكون قادرين على الرد على الأزمات على مستوى العالم بسرعة أكبر)^(٣)، ذلك على المستوى الفردي لكل دولة، أما على المستوى الجماعي الدولي، فقد بدأت تظهر بعض الإشارات والدعوات لتشكيل قوة دولية تحت إشراف الأمم المتحدة، للتدخل السريع^(٤).

الفرع الثاني

مظاهر التدخل

للتدخل العسكري في شؤون العالم الإسلامي مظاهر متعددة، تدور في جانبين رئيسيين هما:

- (١) الفرصة السانحة، ص ٢٦ - ٢٧.
- (٢) انظر المرجع السابق، ص ١٥١؛ وانظر مركز العالم الثالث، الوجود العسكري الغربي في الشرق الأوسط، ص ٩٥ - ١٥٢؛ وانظر الفتياي، أسلحة القرن العشرين، ص ١٢٧ - ١٣١؛ وانظر عبد الحميد اليحيوي، «... اتفاق سري لإنشاء فرقتين للتدخل السريع بالمتوسط»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٦/١/٣ هـ، العدد ٦٠٢٩، ص ١؛ وانظر «تسمح لها بالتحرك السريع في غضون [٢٤] ساعة، بريطانيا تنشئ قوة للانتشار في أي مكان من العالم»، جريدة الجزيرة، ١٤١٧/٣/١٩ هـ، العدد ٨٧١٠؛ وانظر منصف السليمي، «ردود فعل مغاربية سلبية على تشكيل قوة أوروبية للتدخل السريع»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٧/٧/١ هـ، العدد ٦٥٥٩، ص ٦.
- (٣) انظر «تسمح لها بالتحرك السريع...»، جريدة الجزيرة، المرجع السابق.
- (٤) انظر فريدريك بونارت، «منعاً لنشوب الأزمات وتدهور الأوضاع، تشكيل قوة ردع سريع دائمة لدى الأمم المتحدة قد حان وقته»، جريدة الرياض، ١٤١٧/١٠/١١ هـ، العدد ١٠٤٦٦، ص ٣١.

الجانب الأول: التدخل تحت مظلة الأمم المتحدة.

وإيضاح هذا المظهر كالتالي:

أولاً: مبررات التدخل.

مقاصد الأمم المتحدة في فصلها الأول تنص على احترام سيادة الدول على أراضيها، وعدم جواز التدخل في شؤونها^(١)، وذلك نص نظري يناقشه ما يشهده العالم المعاصر ويعيشه من أشكال متعددة للتدخل باسم القانون الدولي، والأمن الجماعي^(٢)، حيث يتم الاستناد إلى الشرعية الدولية بعد تفسير نصوصها وفق وجهة أكابرها، للتمكين من ممارسة أشكال متعددة من التدخل^(٣) وفق مبررات مختلفة منها:

أ: التدخل لأسباب إنسانية. بدعوى العمل على الحد من انتهاك حقوق الإنسان، أو منعها^(٤).

ففي [١٥/٦/١٤١٣ هـ] أصدر مجلس الأمن الدولي قراره رقم [٧٩٤]، القاضي بتشكيل قوة عسكرية للتدخل في الصومال لأجل إعادة الأمل والرجاء للشعب الصومالي. والعمل على حماية قوافل الإغاثة الإنسانية التي تتعرض للنهب والسطو من قبل العصابات المسلحة التابعة للجهات القبلية^(٥).

(١) انظر أبا هيف، القانون الدولي، ص ٩٢٤ - ٩٢٥.

(٢) انظر الدعجاني، النظام العالمي، ص ٣٤.

(٣) انظر مركز الدراسات السياسية، التقرير الاستراتيجي العربي [١٩٩٣م]، ص ١٢٧؛ وانظر وليد محمود عبد الناصر، «ملف السياسة الدولية: [٤] أدوار جديدة للأمم المتحدة داخل بلدان العالم الثالث»، القاهرة، الأهرام، مجلة السياسة الدولية العدد [١٢٢] (- ٦ - ٧/١٤١٦ هـ): ص ٩٩ - ١٠٧؛ وانظر محمد صادق، «... تحرك أمريكي لتدخل دولي في السودان»، جريدة الشرق الأوسط، ١٢/٩/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢١١، ص ١، ٤.

(٤) انظر محمد سعيد، «خبير أمريكي في الشؤون الأفريقية يدعو إلى ربط التدخل الأمريكي لأسباب إنسانية» باستراتيجية أوسع، جريدة عكاظ، ١٢/٨/١٤١٧ هـ، العدد ١١٠٨٩، ص ١٥.

(٥) انظر محمد الشيخ عثمان، «لمن المطرقة بعد الصومال»، لندن: مجلة البيان العدد ٦٦ (٢/١٤١٤ هـ): ص ٩٩؛ وانظر مركز الدراسات السياسية، التقرير الاستراتيجي العربي [١٩٩٢م]، ص ١٦٠ - ١٦١.

ب: التدخل لأسباب أمنية. بدعوى العمل على منع إنتاج أسلحة الدمار الشامل، أو نزع أسلحة المتحاربين، وكذا التدخل للحفاظ على الأمن والسلم العالميين. ففي [٣/١٠/١٤١٣] أصدر مجلس الأمن قراره رقم [٨١٤] يدعو فيه لتشكيل قوة دولية متعددة الجنسيات للتدخل في الصومال بهدف إعادة الأمن إليها. ونزع سلاح المسلحين فيها. وجمع الأطراف المتنازعة إلى مائدة المفاوضات^(١) هذا التدخل تحت مظلة الشرعية الدولية يناقض نص المادة الثانية من نظام الأمم المتحدة الذي ينطلق من مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول^(٢)، لكن وجود التدخل في أرض الواقع، يدل على أن الأمم المتحدة لا تسيّر وفق نظامها، وإنما تسيّر وفق رغبات القوى المؤثرة في قراراتها، والتي تستغل بظلمها لتحقيق أهداف معينة.

ثانياً: أبرز أشكال التدخل تحت مظلة الأمم المتحدة.

يأتي التدخل في الصومال كأبرز أشكال التدخل العسكري في شؤون العالم الإسلامي، وقد تم تنفيذه على مرحلتين: أولاهما كانت في الشهر السادس من عام [١٤١٣ هـ]، عندما أصدرت الأمم المتحدة قرارها رقم [٧٩٤]، والقاضي بتشكيل قوة عسكرية للتدخل في الصومال لأسباب إنسانية صرفة فكان أن نزلت مباشرة قوات المارينز الأمريكية على شواطئ مقديشو، ولحقت بها القوات الفرنسية والبلجيكية، وكالعادة شرعت في بداية أمرها، وفور وصولها في تحسين صورتها، وكسب تأييد العامة لها، فقامت بالعديد من الأعمال الإنسانية التي فقدها الشعب الصومالي أثناء الحرب، فقدمت المواد الغذائية، والصحية، والكسائية، والسكنية، وكان رد الفعل الشعبي إيجابياً، تمثل في الترحيب بالقوات الدولية، وبالذور الذي تقوم به على اعتبار أن هذا هو الهدف الأساسي لها^(٣). هذه المرحلة لم تكن غاية

(١) انظر عثمان، المرجع السابق، ص ٩٩ - ١٠٠؛ وانظر مركز الدراسات السياسية، التقرير

الاستراتيجي العربي [١٩٩٣ م]، ص ١٢٥.

(٢) انظر أبا هيف، القانون الدولي، ص ٩٢٥.

(٣) انظر محمد الشيخ عثمان، «لمن المطرقة بعد الصومال»، مجلة البيان العدد:

٦٦ (٢/١٤١٤ هـ): ص ٩٩؛ وانظر أحمد إبراهيم محمود، «ملف السياسة الدولية: [٧]

الأمم المتحدة وحفظ السلام في أفريقيا: تجربة التدخل الدولي في الصومال ورواندا»، القاهرة، مجلة السياسة الدولية، العدد [١٢٢] (٦ - ٧/١٤١٦ هـ): ص ١٢٠ - ١٣١ =

التدخل الرئيسة، ولا هدفه الأساسي، بل كانت عبارة عن مرحلة انتقالية، أُشير في بدايتها إلا أنها في حدود ثلاثة أشهر^(١)، وهي مدة كافية لتمكين القوات الدولية من إيجاد نوع من القبول الشعبي لها، من خلال القيام بأعمال إنسانية تدور بين توفير الكساء، والغذاء، والعلاج^(٢)، وكذا القبول الرسمي لدى الساسة والعسكريين الصوماليين، من خلال إبداء المتدخلين استعدادهم للعمل المحايد، وتقديم الاستشارات، والإصلاحات السياسية المحايدة، والتي تسهم في الاستقرار السياسي^(٣).

إجمالاً كانت هذه المرحلة عبارة عن تكوين أرضية رسمية وشعبية صلبة تتحرك بموجبها القوات الدولية؛ لتحقيق أهدافها الرئيسة، فيما بعد^(٤). أما المرحلة الثانية،

- = وانظر مركز الدراسات السياسية، التقرير الاستراتيجي العربي [١٩٩٢م]، ص ١٦٠ - ١٦١؛ [١٩٩٣م]، ص ١٢٥؛ وانظر «القرار صدر بالإجماع وبموافقة الصين... وطلّعت القوات الأمريكية أمام سواحل مقديشو، مجلس الأمن يقر رسمياً استخدام القوة في الصومال، إرسال [٢٧] ألف جندي أمريكي...»، جريدة المدينة المنورة، ١٤١٣/٦/١١ هـ، العدد ٩٣٣٥، ص ٧.
- (١) انظر آمال مدللي، «مسؤول أمريكي: عملية «إعادة الأمل» تبدأ الثلاثاء، وقد تستمر [٣] أشهر، [١٥] دولة تعلن استعدادها للمشاركة عسكرياً... واحتمال انضمام ألمانيا»، جريدة الرياض، ١٤١٣/٦/١٢ هـ، العدد ٨٩٣١، ص ١، ٢٠.
- (٢) انظر سيد أحمد خليفة، «انتعاش في أسواق مقديشو منذ وصول القوات الدولية...»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٣/٦/٢٢ هـ، العدد ٥١٣٢، ص ١، ٤.
- (٣) انظر... غالي لا يستبعد تشكيل «سلطة انتقالية» لإدارة الصومال»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٣/٦/١٣ هـ، العدد ٥١٢٣، ص ٣؛ انظر «مقديشو تصبح مسرحاً للتحركات السياسية والدبلوماسية، أمريكا تؤكد أنها لن تفرض حكومة على الصومال...»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٣/٦/١٧ هـ، العدد ٥١٢٧، ص ٤؛ وانظر سيد أحمد خليفة، «بعد أن رحبت القيادات والفصائل بالقوات الأمريكية، تضاؤل احتمال مواجهة التدخل في الصومال...»، المرجع نفسه، ١٤١٣/٦/١٧ هـ، العدد ٥١٢٧، ص ٥؛ وانظر إبراهيم فيسها، سليمان سالم، «قوات أميركية وفرنسية تنتشر في مدينتي بارديرا وهودر، عديد: مؤتمر أديس أبابا سيعلن إدارة انتقالية تمهد لحكومة صومالية»، جريدة الحياة، ١٤١٣/٧/١ هـ، العدد ١٠٩١٢، ص ١، ٤؛ وانظر سيد أحمد خليفة، «... مؤتمر المصالحة الصومالي اليوم...»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٣/٧/١١ هـ، العدد ٥١٥١، ص ١، ٢، ٤.

(٤) انظر «الأسطر الأولى من الفصل الأول من سابقة تاريخية، مساهمة الصومال في مبادئ =

فبعد نجاح المرحلة الأولى وبالفعل وبعد ثلاثة أشهر كما خطط، كانت البداية الفعلية للمرحلة الثانية وذلك في الشهر العاشر من عام [١٤١٣ هـ] حينما أصدرت الأمم المتحدة قرارها رقم [٨١٤]، تدعو فيه لتشكيل قوات دولية متعددة الجنسيات، للتدخل في الصومال؛ لإعادة الأمن العسكري والسياسي إليه^(١).

من هنا بدأ الأعداء في تنفيذ غاياتهم، والتكشير عن أنيابهم المسمومة، فكان من أبرز أعمالهم وتوجهاتهم في هذا المجال، والتي تعبر بجلاء عن أهدافهم الحقيقية من التدخل: العمل على إيجاد أرضية سياسية مناسبة؛ لتغيير التوجهات السياسية^(٢)، حيث قام المسؤول الأول سياسياً عن قوات التدخل «روبرت أوكلي» سفير أمريكي سابق في الصومال، بالضغط على رؤساء الجبهات القبلية الصومالية في مؤتمر أديس أبابا الثاني، وخذاعهم بوعود فارغة؛ للموافقة على إجراءات متعددة منها: تعديل الدستور الصومالي، بالحذف والإضافة، حيث أصر المندوب الأمريكي روبرت أوكلي على حذف عبارة: (الإسلام هو الدستور الوحيد في البلاد)؛ ليكتب بدلاً منها: (الإسلام أحد مصادر دستور البلاد). مع إضافة فقرة لضمان حرية الأديان، وحماية حقوق النصارى في الصومال. ومنها إدخال العنصر النسائي بفاعلية وعدد كبير في الحكومة الصومالية، حيث طلبت أمريكا أن يكون ثلث أعضاء

= الدبلوماسية الدولية، تغيير نظرة العالم إلى التدخل العسكري «الإنساني»، المرجع السابق، ١٤١٣/٧/١٠ هـ، العدد ٥١٥٠، ص ٥.

(١) انظر الشيخ عثمان، «لمن المطرقة بعد الصومال»، مجلة البيان، العدد ٦٦ (٢/١٤١٤ هـ): ص ٩٩ - ١٠٠؛ وانظر مركز الدراسات السياسية، التقرير الاستراتيجي العربي [١٩٩٢م]، ص ١٦٠ - ١٦١؛ وانظر «مجلس الأمن وافق على تشكيل قوة للأمم المتحدة في الصومال، إنزال «٢٢٠٠» جندي من «المارينز» في كيسمايو منعاً لاستئناف المعارك بين الفصائل»، جريدة الرياض، ١٠/٤/١٤١٣ هـ، العدد ٩٠٤٢، ص ١، ١٧؛ وانظر «... مجلس الأمن يشكل أول قوة للسلام تملك تفويضاً شاملاً وصارماً في الصومال»، جريدة الشرق الأوسط، ١٠/٦/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٣٤، ص ٤.

(٢) انظر سيد أحمد خليفة، «[١٥] مارس موعداً للمؤتمر المقبل، الفصائل الصومالية تنهي اجتماعاتها في أديس أبابا، وتقرر مواصلة الاتصالات والمشاورات»، المرجع السابق، ١٤١٣/٧/١٦ هـ، العدد ٥١٥٦، ص ٤؛ وانظر «أجواء المصالحات والصراع السياسي في الصومال، جلسات المؤتمر الثاني بعد أن تعب القادة والشعب من حروبهم»، المرجع نفسه، ١٠/٦/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٣٤، ص ٦.

المجلس الانتقالي المكون من [٧٥] عضواً من النساء^(١). هذه التوجيهات، والقرارات تدور حول هدفين رئيسيين هما: تكوين حكومة موالية للمتدخل. والقضاء على أي توجهات سياسية إسلامية تعمل على مناوئة الغرب^(٢).

هكذا تتضح بعض جوانب أهداف التدخل والتي منها أيضاً على سبيل المثال للمقال لا الحصر^(٣):

أ: الحصول على المصالح الاقتصادية. حيث يحقق التدخل أيضاً مصالح اقتصادية كبيرة جداً، حيث دعم اقتصاديات الدول الغربية من خلال تجهيز قوات التدخل والتي قد تتكفل بأجزاء منها دول إسلامية. وقد يتم خلال التدخل الحصول على ثروات حيوية بطرق غير مشروعة، فمن مآسي التدخل في الصومال: قيام القوات الأمريكية بسرقة كميات كبيرة من اليورانيوم الصومالي، تقدر بأكثر من خمسة آلاف طن من أكسيد اليورانيوم، وذلك حينما أوهم الأمريكان الصوماليين بضرورة إزالة جبل في منطقة «بر» جنوب الصومال، لإقامة حديقة في مكانه^(٤).

ب: المبيعات العسكرية. حيث يتم عقد صفقات عسكرية بدعوى المساعدة على تحقيق الأمن والتوازن العسكري.

ج: التدريبات العسكرية. بوساطة التمرين الميداني الآمن، في مواقع بعيدة عن طبيعة بلاد القوات الأجنبية، ففيها تطبق خطط تكتيكية جديدة، وتجري تجربة الأسلحة الحديثة والمطورة عملياً.

كما أن التدخل في ذاته تدريب عسكري على الأجواء الحقيقية للقتال^(٥).

(١) انظر الشيخ عثمان، «المن المطرقة بعد الصومال»، مجلة البيان، العدد ٦٦ (٢/١٤١٤ هـ): ص ١٠٠.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٩٩ - ١٠٠؛ وانظر جمال مسعود، علي لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، الطبعة الأولى، ص ١٠٦.

(٣) انظر لطفي شطارة، «زهرة تفتح ملف نشاط وكالة الغوث في اليمن، ترحيل أطفال اللاجئين الصوماليين إلى دول أوربية بأسماء مستعارة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٥/٧/١٤١٣ هـ، العدد ٥١٥٥، ص ٢.

(٤) انظر مسعود، لبن، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٥) انظر «شعاره: كسر مقاومة العدو دون قتال، قوات الفصيل الأمريكي للحرب النفسية في الصومال تستعمل أسلحة من عيار «كاسيت» ومكبر الصوت»، جريدة الشرق الأوسط، =

الجانب الثاني: التدخل المباشر من الدول الأجنبية .

تدخل الدول الأجنبية عسكرياً في شؤون العالم الإسلامي تعددت مظاهره في أشكال من أبرزها:

أولاً: تدبير المؤامرات السرية^(١) .

من خلال القيام بأعمال ظاهرها المثالية، وباطنها خدمة أغراضهم، وتحقيق مصالحهم، هذا التدخل قد يُسهم في إصدار قرار بتأثيرهم، أو خدمة أشخاص يوالونهم^(٢)، يقول كوبلاند: (كان القرار الأخير أن تكون أولى مغامراتنا محاولة للتدخل في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة، وأن تكون المحاولة متواضعة محدودة، ولكنها مؤيدة بتبريرات كافية. . . ولكن أين نبدأ؟ لا يمكننا أن نبدأ في تركيا، أو اليونان، فالبلدان حليفان لنا، ويريدان ما نريده نحن، وقيادتهما تسهران على رعاية أهدافنا المشتركة. . . كما أننا لا يمكننا أن نبدأ في إيران؛ لأننا في انسجام وتفاهم مع قيادتها. . . وبالتالي فلم يبق أمامنا سوى العالم العربي الذي بدأت الأمور تتفاقم بيننا وبينه، وزادت شقة الخلاف اتساعاً غير قليل. . . كانت ظروف سوريا ملائمة جداً لإجراء انتخابات ديمقراطية، تفسح المجال أمام مجموعة من الزعماء على شيء من الذكاء، والحنكة، والتعاون، للوصول إلى سدة الحكم، واستلام مقاليد الأمور، وأخيراً فقد ظهر لنا جلياً أن الركائز التي تدعم بقاء المجموعة السابقة من السياسيين في الحكم. . . لا تقوى البتة على مجابهة الوسائل التي عزمنا على اتباعها. وفي الحقيقة لم يكن هناك مجال لاستخدام أي من أسلحتنا التي علمتنا التجارب والمحن

= ١٤١٣/٧/٩ هـ، العدد ٥١٤٩، ص ٨؛ وانظر «غالي يدافع عن العملية العسكرية في مقديشو، غارات لليوم الثاني على معاقل عيديد. . .»، جريدة الرياض، ١٤١٣/١٢/٢٤ هـ، العدد ٩١٢١، ص ١، ٣٢.

(١) انظر الفرع الأول من المطلب الثاني في المبحث الثاني من الفصل الثالث في الباب الأول.
(٢) انظر «الجزائر تتهم البرلمان الأوربي بالتدخل السافر في شؤونها»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٧/٨/٦ هـ، ٦٥٩٣، ص ٦؛ وانظر، «استدعت سفيرها في باريس، الجزائر اعتبرت مشروع ميتران» تدخلاً في شؤونها الداخلية»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/٩/٦ هـ، العدد ٨١٦٥، ص ١، ٣٠؛ وانظر «. . . الجزائر تطلب من فرنسا «عدم التدخل» في شؤونها الداخلية»، جريدة عكاظ، ١٤١٧/٩/٢٣ هـ، العدد ١١١٣٠، ص ١٠.

بعد حين استعمالها لعمليات أكثر دقة وأعمق أثراً، فقد كان الوضع أضعف مما توقعنا، وكان يكفي القيام ببعض الوكزات اللبقة هنا وهناك لتشجيع بعض السياسيين المفضلين؛ ليسلكوا طرقاتاً نزيهة في حملاتهم الانتخابية، إلى جانب القيام بمراقبة عامة غير رسمية على إجراء الاقتراع، وضبط الأسماء على اللوائح، بغية كشف حوادث الضغط والاحتيايل، وإخبار المرشحين بها؛ لفضحها، والحيلولة دون وقوعها، ولم يكن من الممكن توفير كل هذا بواسطة رجال السلك الدبلوماسي (مع أنه كان لهم القدرة على ممارسته ضغطاً كبيراً، بقصد التنبيه والتحذير)، ولذلك حاولنا أن نوفر ذلك عن طريق رجال الصحافة الأجنبية، الذين وجهت لهم الدعوات بهذا القصد، وقام فريق من العملاء السريين بالمساعدة في هذا المجال، دون الظهور بمظهر المؤيدين للمرشحين الموالين لنا، وكان جل دورهم حث الشعب على انتخاب الرجال الوطنيين المخلصين^(١)، يقول أيضاً: (قضيت الأشهر القليلة المتبقية لي في سوريا منكباً على دراسة العبر البدائية إلى حد ما التي توصلت إليها من عملية حسني الزعيم، ومن مجمل موضوع «التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة»... كتبت عدداً من التقارير عن الموضوع، ووجهت واحداً منها إلى وزارة الخارجية)^(٢).

هذا النوع من التدخل وإن لم يكن عملاً عسكرياً مباشراً ومعلنًا، إلا أنه غالباً ما يُفضي إلى أعمال عسكرية داخل البلد الإسلامي تحقق مصلحةً للمتدخل.

ثانياً: التدخل العسكري.

التدخل العسكري المباشر والصريح في الشؤون الداخلية للبلاد الإسلامية تعددت مظاهره، واختلفت أساليبه وغاياته السرية والمعلنة، بين التدخل الجماعي، كما في: العدوان الثلاثي على مصر^(٣) والتدخل الشخصي، كما في: قيام المرتزق

(١) لعبة الأمم، ص ٦٥ - ٦٨.

(٢) انظر اللاعب، ص ٨٤.

(٣) انظر أنشتاين، الصراع، ص ٢١٨ - ٢٢٣؛ وانظر «إسرائيل تتحرك، وتهاجم الحدود المصرية جنوبي الكونتلا، جلاء رعايا أمريكا عن الدول العربية وإسرائيل يتم قبل ساعات من هجوم اليهود»، مصر، جريدة الشعب، ٢٥/٣/١٣٧٦ هـ، العدد ١٤٧، ص ١، ٢، ٣؛ وانظر «... قطع جميع العلاقات مع فرنسا وبريطانيا، ترحيل السفير البريطاني فوراً، إسقاط [١٨] طائرة للعدو، [١٠] غارات على القاهرة أمس، إعلان حالة الطوارئ، اعتقال [٥٠٠] خبير =

الفرنسي بتدبير انقلاب عسكري في جزر القمر^(١)، أعقبه تدخل فرنسي للقضاء على الانقلاب، وكان العملية تدبير فرنسي للتدخل، بدليل القضاء على الانقلاب وتغيير الحكومة في جزر القمر، بتشكيل حكومة جديدة تحظى بالرعاية والولاء لفرنسا^(٢).

ويأتي التدخل السوفيتي في أفغانستان كمثال حي ومعبر عن مثل هذه المظاهر المتكررة، وبيان ذلك كالتالي:

قام الاتحاد السوفيتي بمحاولات متعددة لسط نفوذه كما يريد داخل أفغانستان، ففي البداية تم وضع النواة الأولى للحزب الشيوعي في حكومة داود خان سنة [١٩٥٢ م - الموافق ١٣٧١/٤ - ١٣٧٢/٤ هـ]، كخطوة أولى في مواجهة الإسلام، تمكن خلالها الشيوعيون من التغلغل السياسي والعسكري والاقتصادي، وتوج ذلك النجاح بانقلاب عسكري شيوعي في سنة [١٩٧٢ م - الموافق ١٣٩١/١١ - ١٣٩٢/١١ هـ]، تمكن خلاله الحزب الشيوعي من السيطرة على الحكم، وبدأت الحكومة الشيوعية الحاكمة في محاربة الإسلام على الطريقة الشيوعية التي تعتمد على القوة، والعنف الفكري والعسكري، وتوالى الانقلابات العسكرية الشيوعية المدعومة من الاتحاد السوفيتي بحثاً عن من يقوم بالدور على

= بريطاني في القناة، تعطيل الملاحة، بريطانيا تغرق السفينة المصرية عكا قناة السويس»، المرجع نفسه، ١٣٧٦/٣/٢٨ هـ، العدد ١٥٠، ص ١ - ٣؛ وانظر «... الخطة الكاملة للعدوان، أول تقرير عسكري بريطاني عنها»، المرجع نفسه، ١٣٧٦/٥/٢٩ هـ، العدد ٢٠٩، ص ١، ٢، ٣.

(١) انظر «بقيادة المرتزق الفرنسي بوب دينار، جزر القمر: محاولة انقلابية جديدة، واحتجاج رئيس الجمهورية... رهينة»، جريدة الرياض، ١٤١٦/٥/٥ هـ، العدد ٩٩٥٨، ص ١، ٤.

(٢) انظر «بعد ساعات من التدخل الفرنسي، حكومة وحدة وطنية جديدة في جزر القمر، المعارك انتهت... ودينار يفاوض للاستسلام»، جريدة المدينة، ١٤١٦/٥/١١ هـ، العدد ١١٨٧٠، ص ١؛ وانظر «دينار أودع السجن، الرئيس جوهر يدفع ثمن الانقلاب في جزر القمر»، جريدة الجزيرة، ١٤١٦/٥/١٤ هـ، العدد ٨٤١٠، ص ١، ٣٢؛ وانظر فهيم الحامد، جوزيف حرب، «وزير خارجية جزر القمر الجديد لـ عكاظ في إطار متابعتها للحدث: جوهر «منفي» بجزيرة فرنسية... والكعبى يتولى السلطة، جوهر: لم أطلب مغادرة البلاد»، جريدة عكاظ، ١٤١٦/٥/١٤ هـ، العدد ١٠٦٤٨، ص ١.

الوجه الأمثل، حتى وقع الانقلاب الشيوعي الخامس في [٢٧/١٢/١٩٧٩ م - الموافق ٨/٢/١٤٠٠ هـ-]، بتدخل روسي سافر، أمام أعين العالم أجمع، محتجين بمنع التدخل الباكستاني والإيراني، ومدعين الاستجابة لنداء الحكومة الأفغانية القائمة التي هي في الأصل حكومة روسية شيوعية المنشأ والرعاية والغاية، حيث نصب الاتحاد السوفيتي الجسور الجوية والبرية لحمل المعدات العسكرية، والجنود السوفيت إلى داخل أفغانستان التي شهدت مئات الألوف من الجنود والمدركات العسكرية السوفيتية، وتم تنصيب حكومة شيوعية تستظل بالقبضة العسكرية للاتحاد السوفيتي. وأبدلت هذه الحكومة بحكومة أخرى في انقلاب عسكري شيوعي آخر، وبعد أن اطمأن الروس إلى تحقق أهدافهم في أفغانستان، أنهى الروس انسحابهم من أفغانستان في [١٥/فبراير/١٩٨٨ م - الموافق ٢٧/٦/١٤٠٨ هـ-] ^(١).

إن المقدمة التاريخية للتدخل الروسي في أفغانستان تقول بأن ما حدث امتداد طبيعي لموقف الروس من الإسلام منذ عهد القياصرة، الذين حاربوه داخل حدودهم، فقتلوا المسلمين شر قتلة، ودمروا المساجد بشر فعلة، وأغلقوا المدارس، وأغروا المرتدين بالعفو من الضرائب، والخدمة العسكرية وأجبروا على الإلحاد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ^(٢).

وما حدث من تدخل روسي في أفغانستان نتيجة وامتداد طبيعي لتلك المقدمة، فلم يكن الهدف من التدخل مجرد إضعاف الإسلام وأهله كما يريد غيرهم من أعداء الإسلام، وإنما الهدف القضاء على الإسلام وسحقه من القلوب، وتطبيق السياسة المتبعة داخل الاتحاد السوفيتي في القضاء على الإسلام وأهله في

(١) انظر ناصر الدين شاه، أفغانستان والغزو الشيوعي، الطبعة الأولى، ص ٢٢ - ٣١، ٣٨ - ٤١، ٦٣ - ٧٦؛ وانظر محمود المرادي، أفغانستان والاجتياح الروسي، (الكويت: شركة الشعاع)، ص ٥ - ٥١؛ وانظر عصام دراز، القصة الدامية للغزو السوفيتي لأفغانستان، تقرير عسكري شامل من أرض المعركة، (دار الاعتصام)، ص ١٠٩ - ١٣٧؛ وانظر محمد توفيق، أفغانستان الجريحة أفغانستان الحبيبة، الطبعة الأولى، ص ٢٤ - ٣٤؛ ونظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ٣٧.

(٢) انظر سلجوقي قُللي، صقور القوقاز، رواية إسلامية تصور جهاد الداغستانيين بقيادة الإمام شامل ضد الروس المعتدين على مدى خمسة وثلاثين عاماً، ترجمة: محمد حرب، ص ١٥ - ٢٥٢؛ وانظر المرادي، مرجع سابق، ص ز.

أفغانستان^(١)، ومن الدلائل الموضحة لذلك كثرة الانقلابات العسكرية الشيوعية المدعومة من الاتحاد السوفيتي، مما يدل على أن السوفيت يبحثون خلالها عن حكومة تقوم بالتنفيذ الأعمى لما يملئ عليها، يقول عبد الله عزام رحمه الله تعالى: (قتل داود إبان فترة حكمه حوالي ستمائة شاب مسلم، وعلى رأسهم حبيب الرحمن المهندس، ولم يكن هذا العدد كافياً في نظر روسيا التي ترى أنه لا بد من سحق مجموعات كبيرة من الناس حتى يثبت الحكم الشيوعي، ولذا رتبت روسيا مع الحزب الشيوعي بشقيه العسكري والسياسي، انقلاباً ضد داود، خاصة بعد أن رأت أن داود لم يستطع القضاء على الحركة الإسلامية... في [أبريل/ ١٩٧٨ م - الموافق ٢٣/٤ - ٢٣/٥/١٣٩٨ هـ]، قام تراقي مستشار داود بانقلاب عليه... وقتل في الأيام الأولى من حكمه حوالي خمسة عشر ألف مسلم، وأصدر تراقي عدة قوانين مخالفة للإسلام، خاصة فيما يتعلق بالمرأة، وصادر بعض الممتلكات، وأمر بتوقيف البرامج الإسلامية في الإذاعة، وحذف المواد الدينية من المدارس والجامعات، واستبدالها بالآراء الشيوعية والاشتراكية، وفرض على الفلاحين والعمال والنساء دورات تربوية في الثقافة الاشتراكية.

بعد هذه الإجراءات، أصدر العلماء فتوى بتكفيره، ووجوب الجهاد لإسقاطه... وهبت القبائل بفطرتها الإسلامية تتصدى لنظام تراقي، وهو لا يدع وسيلة بربرية، أو وحشية، إلا استعملها ضد الشعب حتى وصل عدد الشهداء في زمانه حوالي مائتي ألف شهيد. وعندما رأت روسيا أن الأمر قد تفاقم وأن الخرق قد اتسع على الراقع، ولم يعد بمقدور عميلها تراقي أن يوقف نار الجهاد المشتعلة، ولا أن يوقف نوره الساطع، أطاحت به، والذي طاح به وقتله رفيقه على درب النضال الكاذب، حفيظ الله أمين، الذي يرأس جناحاً من أجنحة الصراعات الشيوعية... استمرت الحرب مشتعلة أيام حفيظ الله أمين الذي حكم ثلاثة أشهر فقط، فبدأت روسيا تستعد لاقتحام أفغانستان... واقتحمت أساطيل روسيا أرض أفغانستان حيث احتلتها في نصف يوم، وأعدم أمين، ونصبت عميلاً آخر جديداً اسمه بابر كاركميل، جاءت به من روسيا بعد يومين على طائرة... وأذاع بيانه الأول من محطة موسكو... كان دخول روسيا في [٢٧/

(١) انظر شاه، أفغانستان والغزو الشيوعي، ص ٧٧ - ٨٣؛ وانظر محمد مزمل، موسكو في طريقها إلى كابول، الطبعة الثانية، ص ١١ - ٢٣.

ديسمبر/ ١٩٧٩ م - الموافق ٨/ ٢/ ١٤٠٠ هـ-] (١).

ويؤيد ذلك أيضاً ما حدث أثناء وبعد التدخل، فحجم القوات السوفيتية الجرارة، وأسلحتها المدمرة وبطشها الفتاك، في مقابل المعرفة المسبقة بالضعف الشديد في عدد المقاومين وسلاحهم، يدل على أن الهدف يتسق مع حجم تلك القوة العسكرية ذات القدرة الإبادية (٢).

ثالثاً: الضربات العسكرية.

حيث اللجوء إلى القيام بعملية عسكرية محدودة داخل بلد إسلامي؛ لتحقيق هدف معين، كما في:

أ: الإرهاب: . حيث توجه لبعض البلاد الإسلامية ضربات عسكرية بهدف التخويف والإرهاب لإرغامها على ترك سياسة معينة تسير عليها، كما في الغارة الجوية الإسرائيلية على تونس في [١٨/ ١/ ١٤٠٦ هـ]؛ لضرب مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية (٣).

ب: الخطف. وتلك وسيلة يُتجاوز فيها جميع الأعراف والحقوق الدولية، وتهدف إلى القبض على أفراد معينين، تحت دعاوي وتهم توجه ويحكم فيها فردياً، وخارج نطاق الأعراف الدولية، ففي [٢٧/ ١/ ١٤٠٦] تم اختطاف طائرة مدنية مصرية كانت في رحلة جوية بين مصر وتونس من قبل قوة عسكرية أمريكية، بحجة أنها تحمل بعض الأفراد المتهمين من قبل السلطات الأمريكية (٤).

(١) آيات الرحمن في جهاد الأفغان، الطبعة الخامسة، ص ١٤١ - ١٤٦.

(٢) انظر عصام دراز، القصة الدامية للغزو السوفيتي لأفغانستان، ص ١٣٩ - ١٧٨.

(٣) انظر «إسرائيل «قصفت» تونس جواً»، أبو عمار ومعاونوه نجوا بأعجوبة، [١٦٠] شهيداً وجريحاً وتدمير [٣] مبان للقيادة الفلسطينية»، جريدة الشرق الأوسط، ١٨/ ١/ ١٤٠٦ هـ، العدد ٢٥٠٠، ص ١، ٥؛ وانظر «الشرق الأوسط ترصد التفاصيل الدقيقة للعدوان على تونس، وقصة نجاة عرفات، «صدفة» طائرة أفضلت أهداف الخطة الإسرائيلية، عملاء للموساد شاركوا في التمهيد والمراقبة!» المرجع نفسه، ١٩/ ١/ ١٤٠٦ هـ، العدد ٢٥٠١، ص ١، ٢.

(٤) انظر «مسلسل الإثارة والأزمة مرشحة للتفاعل وأسئلة عن المحاكمات، والأمريكيون خطفوا الفلسطينيين، طائرات عسكرية أمريكية اختطفت الطائرة المصرية...»، المرجع السابق، ٢٨/ ١/ ١٤٠٦ هـ، العدد ٢٥١٠، ص ١، ٧.

ج: القتل. حيث القيام بغارة عسكرية سريعة ودقيقة، بهدف القتل الفردي، كما في الغارة الجوية الإسرائيلية على تونس، بهدف قتل أبي جهاد الفلسطيني.

د: تدمير القوة العسكرية، فالقيام بعمليات عسكرية سريعة للقضاء على قوة عسكرية في البلاد الإسلامية أمر ألفه عصرنا، وتعوده عدونا، وعانت منه أمتنا، يسبقه أحياناً تهديد^(١)، وفي أخرى يقع دون مقدمة، أو وعيد، كما في غارة إسرائيل الجوية على العراق؛ لأجل قصف مفاعلها النووي^(٢).

هذه بعض من صور التدخل العسكري المباشر التي عانى ويعانى منها عالمنا الإسلامي اليوم، وهي مع تعدد أشكالها، واختلاف أساليبها، إلا أن لها حقيقة واحدة لا تختلف ولا تتبدل، سواء أكانت تحت مظلة الأمم المتحدة، أم تدخلاً مباشراً، علنياً كان أم سرياً، إنهم يريدون وكما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُشْعِرَهُمُ نُورَهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

(١) وانظر «... بريز: سمنع إيران من إنتاج السلاح النووي»، جريدة الجزيرة، ١٣/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٨٢٦٢، ص ١٧؛ وانظر «بسبب برنامجها الكيميائي، واشنطن لا تستبعد هجوماً عسكرياً على ليبيا»، جريدة المدينة، ١٦/١١/١٤١٦ هـ، العدد ١٢٠٤٧، ص ١.

(٢) انظر هيرش، الخيار شمشون، ص ٣٥ - ٤١، ٩٥ - ١١٨؛ وانظر الفتاني، أسلحة القرن العشرين، ص ١٦٠ - ١٦٢؛ وانظر الشقاقي، الردع النووي في الشرق الأوسط، ص ١٣؛ وانظر ويشمان، كروسني، القبلة النووية الإسلامية، ص ٥٧ - ٧٠؛ وانظر «اعتداء خطير يهز العالم، طائرات إسرائيلية تقصف المفاعل النووي العراقي»، جريدة الشرق الأوسط، ٧/٨/١٤٠١ هـ، العدد ٩٢٤، ص ١، ٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ٣٢.

المطلب الثاني التقويم

أعداء الإسلام في عملٍ دائم، وكيدٍ مستمر ضد الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾^(١)، يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتحينون الفرص، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُذِّبِ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)؛ لذلك عمل الإسلام على سد المنافذ التي يجعلها الأعداء مبرراً لتدخلهم، في جانبين رئيسين:

الجانب الأول: تحريم القتال بين المسلمين.

حرّم الإسلام قتل المسلم لأخيه وغلظ في جزاء القاتل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٣)، ويقول ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))^(٤)؛ لأن قتال المسلم لأخيه جريمة نكراء، زوال الدنيا أهون عند الله من وقوعها، يقول: ((لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجلٍ مسلم))^(٥) فإذا كان ذلك لمن قتل فرداً واحداً، فلا ريب أن القتل الجماعي للمسلمين أعظم وأشد، والذي قد يحدث من خلال ما يعرف اليوم بالحروب الأهلية في البلاد الإسلامية، أو الحرب بين بلدين إسلاميين^(٦)؛ لذلك أوجب الإسلام على الأمة الإسلامية بذل الجهد لمنع

(١) سورة الطارق، الآية ١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٩٨.

(٣) سورة النساء، الآية ٩٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ٨.

(٥) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٧٢٣٦].

(٦) انظر الهندي، أحكام الحرب والسلام، ص ١٦٣ - ١٦٦؛ وانظر محمد خير هيكل، الجهاد =

مسيبات القتال، فأمر بالإصلاح بين المختلفين أولاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١).

فإن لم تنجح تلك الجهود الإصلاحية، وبغت إحدى الطائفتين، برفض الصلح، أو التعدي في القتال وجب على الأمة أن تقف صفاً واحداً ضد الباغي حتى يعود إلى صوابه، ويقبل حكم كتابه (٢) قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٣)، ولم لا تقاتله الأمة، وتقف ضده بحزم في صف واحد لمنعه من التمادي في بغيه، وخطره قد يمتد إلى بقية أفراد الأمة، يقول ﷺ: ((إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يُعَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ)) (٤).

وتدخل الأعداء أحد تبعات ذلك البغي.

الجانب الثاني: التداعي الوجداني والمادي.

كما أن الإسلام دين لا يتجزأ، ولا يقبل التجزئة، فكذلك أتباعه، مع أنهم أطراف متباعدة، وأعضاء نائية، إلا أنها وحدة لا تتجزأ، فهي ذات مشاعر وأحاسيس متفاعلة، أقرب إلى النفس من النفس وأحس بالأعضاء من اللمس، يقول ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى)) (٥)، يقول النووي رحمه الله تعالى: (أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك) (٦).

فكلما طرأ طارئ، وحاف حائف، تداعت الأعضاء دون دعوة، وتكاتفت

= القتال في السياسة الشرعية، الطبعة الأولى، ج ٣ ص ١٦٥٧ - ١٦٦٩.

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢) انظر الشافعي، الأم، ج ٤ ص ٣٠٣ - ٣٠٨؛ وانظر الماوردي، كتاب قتال أهل البغي من الحاوي الكبير، الطبعة الأولى، ص ٦٠ - ٦٢؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٥٤ - ٥٥؛ وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦ ص ٣١٥ - ٣٢٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٢١٣٦].

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ١٧.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٦ ص ١٤٠.

للمواجهة بكل منعة يقول ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُهُ بعضاً))^(١)، فيقويُّ بعضه بعضاً؛ لئلا تُذلَّ الحاجة صاحبها إلى طبيب معادي، أو معالج بالسم يداوي، يقدم وصفته لمن اضطرَّ إلى أخذها دون فحص لتركيبتها، فينتشي بها فترة، ويتجرعها في غشاوة أخرى، حتى تؤدي به إلى المهالك.

وإن حل بمسلم نازلة من عدو غادر، ومتوَلِّ ماكر، يمتطي حقاً مزعوماً، أو يزعم عطفاً لمنكوب جعلوا الويل له لبوساً، والذل له تاجاً، والهوان على النفس نتاجاً، بوقفة إيمانية تقف معها حيل العدو عن الإقدام، تحطم متارسه، وتربك ذخائره، يقول ﷺ ((... المسلم أخو المسلم، لا يظلمُهُ، ولا يخذلُهُ...))^(٢)، يقول العلماء: (الخذلُ: تركُ الإعانةِ والنصرِ، ومعناه إذا استعانَ به في دفعِ ظالمٍ ونحوه، لزمه إعانته إذا أمكنه، ولم يكن له عذرٌ شرعيٌّ)^(٣).

هكذا يجب أن تواجه أمة الإيمان نزغات أعدائها، تُسقط في أيديهم مبرراتهم التي اخترعوها وبهرجوها، وتشعرهم بأنها أجزاء متماسكة، وأطراف مترابطة، ذات أحاسيس متماثلة، ومواقف متوافقة، يقول ﷺ: ((المُسلِمونَ تَنكافأُ دِمَاؤُهُم، وَهُم يَدُّ على من سِوَاهُم، يَسَعى بِذِمَّتِهِم أَدْنَاهُم وَيُرَدُّ على أَقْصَاهُم))^(٤).

(١) مسلم، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق، باب ١٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٦ ص ١٢٠.

(٤) حديث صحيح. الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الديات، باب ٣١.

المبحث الثاني الاحتلال

مدخل:

احتلال البلاد الإسلامية أعلى الغايات، وأسمى الأمانى التي ينشدها الأعداء من كيدهم المعنوي والمادي للمسلمين، حيث إنهاء الوجود الإسلامي، وسيادة الكفر وأهله، يقول راندولف تشرشل بعد سقوط القدس في أيدي اليهود: (لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام، حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود)^(١)، ويقول ابن غوريون: (إن علينا... واجباً مقدساً في الحيلولة بين الإسلام والحياة... إنه واجب مقدس في الغرب المسيحي، كما هو واجب مقدس في إسرائيل، وعلينا أن نبذل معاً أقصى الجهود في منع ظهور أي محمد من جديد)^(٢).

وفي هذا المبحث أكتب عن الاحتلال كأحد عوائق الجهاد، وذلك في عدة مطالب:

(١) ... ((تشرشل، حرب الأيام الستة، ص ١٢٩))... جلال العالم، قادة الغرب يقولون:

دمروا الإسلام، ص ٢٦.

(٢) عبد الودود شلبي، أفيقوا أيها المسلمون، الطبعة الخامسة، ص ٢٦.

المطلب الأول التحليل

وذلك في عدة فروع:

الفرع الأول التعريف

أ : لغة .

الاحتلال مأخوذ من مادة: حَلَلٌ^(١)، تقول: حَلَّ العُقْدَةَ، أي: فتحها، واستَحَلَّ الشيءَ، أي: عدّه حلالاً، واحتلَّ، أي: نزل، وحلَّ بالمكان، أي: نزل به، والمَحَلُّ: المكان الذي يُحَلُّ به .

هذه المعاني اللغوية تبين أن الاحتلال حدث ناشئ، وحالة طارئة، لا تبني على سابقة .

ب : اصطلاحاً .

الاحتلال كلمة محدثة الاستخدام، يعبر فيها عن^(٢): (استيلاء دولة على بلاد

(١) انظر الرازي، مختار الصحاح، «حلل»؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب، «حلل»؛ وانظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، «حلل» .

(٢) انظر عطية الله، القاموس السياسي، ص ٢٢؛ وانظر موسوعة السياسة، ج ١ ص ٨٢ - ٨٣؛ =

دولة أخرى، أو جزء منها قهراً^(١)، وهو تعريف مبني على ما سبق بيانه في المعنى اللغوي.

هذا المفهوم اللغوي والاصطلاحي للاحتلال، هو مرادنا في هذا المبحث.

الفرع الثاني مظاهر الاحتلال

يعاني عالمنا الإسلامي اليوم من فقد لأجزائه، وتقطيع لأوصاله، في مناطق متفرقة، وأجزاء متميزة بمواقعها ذات الأهمية الخاصة، والتي تدور بين المكانة الدينية، والبعد الاستراتيجي عسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً، والتي تبرز في شواهد حية، وأمثلة معبرة منها:

أولاً: المقدسات والأراضي الإسلامية.

وذلك أبلغ ما تكابده الأمة وتعانيه، من احتلال وتدنيس مقيت لمقدساتها الإسلامية في فلسطين وأراضيها الإسلامية في سوريا، والأردن، ولبنان، وفلسطين.

وهو احتلال اشترك في القيام به جميع قوى العالم الكافرة، بين داعم مادي وعسكري، وداعم سياسي ومعنوي، وذلك خلال مراحل الاحتلال المختلفة^(٢)، والتي كانت على النحو التالي:

أ: التخطيط الفكري النظري. ففي عام [١٨٩٧ م - الموافق ١٣١٤/٦ - ١٣١٥/٨ هـ]، عقد مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا، تحت رئاسة الصهيوني هيرتزل، خصص لوضع الأطر النظرية لاحتلال فلسطين، والتي كانت من الدقة والعمق ما جعل هرتزل يقول بعد المؤتمر: (لقد أقمنا دولة إسرائيل) وكان ذلك

= وانظر بدوي، معجم المصطلحات السياسية، ص ٩٧.

(١) أنيس وآخرين، المعجم الوسيط، ص ١٩٤.

(٢) انظر المركز العالمي، حاضر العالم الإسلامي، ص ٦٥ - ٦٧؛ وانظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ١٧ - ١٨؛ وانظر محمود خطاب، أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية، الطبعة الثالثة، ص ٧١ - ٨١؛ وانظر عمر مصالحة، السلام الموعود الفلسطينيون من النزاع إلى التسوية، الطبعة الأولى، ص ١٤٧ - ٢٠٨.

المخطط يعتمد على تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وعلى التخطيط لغطاء دولي يستر المخططات اليهودية، ويساعد على تنفيذها. وكذلك على التخطيط لقوة عسكرية دولية تحمي تنفيذ ذلك المخطط^(١).

ب: التخطيط العملي النظري. حيث بدأ التنفيذ العملي لفكرة احتلال فلسطين عبر التدخل السياسي المباشر مع السلطان عبد الحميد، وتقديم المغريات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، بقصد الحصول على وعد صريح بقيام دولة يهودية في فلسطين، لكن بني يهود صدموا بالرد الإيماني للسلطان عبد الحميد، الذي رفض تمزيق الجسد الإسلامي^(٢)، بقوله لهرتزل: (لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً؛ لأنها ليست لي، بل لشعبي... سوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا... ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثتنا)^(٣).

وأعاد بنو يهود المحاولة من طريق آخر، فنجحوا في عام [٢/١١/١٩١٧ م - الموافق ١٣٣٦/١/١٧ هـ]، حينما قطعت بريطانيا^(٤) على نفسها وعداً بالعمل على تمكين اليهود من إقامة دولة يهودية في فلسطين، وصادق على الوعد فرنسا، وإيطاليا، وأمريكا.

ج: التطبيق العملي على أرض الواقع. حيث بدأ التنفيذ العملي لذلك المخطط مع بدء الاستعمار البريطاني لفلسطين، بتعيين مندوب بريطاني صهيوني على فلسطين

(١) انظر حسان حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، ص ١١، ٩٨.

(٢) انظر السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ص ٣٤ - ٣٨؛ وانظر مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثماني، الطبعة الرابعة، ص ٤٨؛ وانظر حلاق، المرجع السابق، ص ١٠؛ وانظر التنشة، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، ص ١٦٢ - ١٩٣.

(٣) يوميات هرتزل، ص ٣٧٨.

(٤) تنسب كتب التاريخ، ويتداول الإعلام المعاصر بأن الوعد وعد بلفور، والغاية من ذلك الإيحاء بأن هذا العمل عمل فردي، ينسب إلى جهد شخص، لا عمل صادر عن دولة، فينسب إلى بريطانيا، مما يعني المشاركة الفعلية لبريطانيا في قضية الاحتلال، وهي مشاركة ولا ريب تؤثر على صورتها في العالم الإسلامي؛ لذلك فالصهيونية وبريطانيا يعملان على إبعاد أي دور للحكومة البريطانية في ذلك الوعد؛ لكي تحظى بريطانيا بقبول يمكنها من القيام بمهام أخرى في العالم الإسلامي.

(هبررت صمويل)، حيث مُكن اليهود أولاً من الهجرة بأعداد كبيرة إلى فلسطين، ومن ثم تمكينهم من السيطرة على أجزاء كبيرة من الأراضي الإسلامية في فلسطين، وإقرار وجود وكالة يهودية تمارس نشاطها في فلسطين^(١).

د: الدعم المعنوي والسياسي الدولي. ففي عام [١٩٤٧ م - الموافق ١٣٦٦/٢ - ١٣٦٧/٢ هـ] أعطت هيئة الأمم المتحدة بني صهيون الضوء الأخضر للعمل بجدية وعلانية لإقامة دولتهم على الأراضي الإسلامية في فلسطين، حيث أصدرت قراراً يقضي بتقسيم الأراضي الإسلامية في فلسطين إلى دولتين، يهودية، وفلسطينية^(٢)، وواصلت هيئة الأمم الدعم السياسي والمعنوي لدولة يهود حتى يومنا هذا.

هـ: إعلان قيام دولة يهود. في يوم السبت الموافق [١٣٦٧/٦/٦ هـ]، أعلنت يهود عن قيام دولة يهودية على أراضي إسلامية في فلسطين، ولقيت الدولة الوليدة دعماً معنوياً، وسياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً، من أغلب دول العالم الكافر حتى يومنا هذا^(٣).

و: احتلال القدس. في [١٣٨٧/٢/٢٧ هـ]، قام بنو يهود بالتنفيذ النهائي والعلني الصارخ لمخططاتهم، فاحتلوا المقدسات الإسلامية في فلسطين، وأجزاء كبيرة من الأراضي الإسلامية في فلسطين، ومصر، وسوريا، والأردن.

ز: ردود الأفعال الإسلامية. لقي هذا الاحتلال من دول العالم الإسلامي ردود أفعال مترددة وضعيفة، بين احتجاجات سياسية، وأعمال عسكرية بلغت قمتهما

(١) انظر بسام محمد العبادي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين من [١٨٨٠ - ١٩٩٠ م]، الطبعة الأولى، ص ٤٧ - ١٥٧.

(٢) انظر خليل حسين، وثائق مؤتمر السلام، ص ٥٩ - ٦٠؛ انظر مصالحة، السلام الموعود، ص ٥١ - ٦٥، ٣٥٣ - ٣٧٩.

(٣) انظر ويليام كوانت، أمريكا والعرب وإسرائيل، ص ٣٩٨ - ٤٠٢؛ وانظر دان تشيرجي، أمريكا والسلام في الشرق الأوسط، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، ص ٩ - ٦٤؛ وانظر ويليام. ب. كوانت، عملية السلام الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ [١٩٦٧]، الطبعة الأولى، ص ١٩ - ٣٣؛ وانظر «للمرة الثانية في مجلس الأمن خلال ثلاثة أشهر، أمريكا تتحدى العالم بشأن مخالفات إسرائيلية في القدس»، جريدة المدينة، ٣٠/١٠/١٤١٧ هـ، العدد ١٢٣٨٢، ص ٥.

في [١٠/٩/١٣٩٣ هـ] حينما قامت بعض الدول الإسلامية بمحاولة عسكرية لم تتجاوز كونها رد فعل لما قام به بنو يهود، وهي محاولة مبتورة، تنقصها الجدية، والتخطيط السليم، والمنطلق الصحيح^(١).

ح: مرحلة الرضى بالواقع. بعد هدوء ردود الأفعال الإسلامية، بدأت بعض الدول الإسلامية تتعامل مع الاحتلال الصهيوني على أنه واقع يجب التعايش معه، فكان أن بدأوا بأعمال تفاوضية فردية ووصلوا اليوم إلى أعمال تفاوضية جماعية^(٢)، تُفاوضُ متنازلة عن الحق، وتُقرُّ راضية بالاحتلال وتعمل مُرضية للعدو، وسائرة وفق رؤيته وإرادته^(٣).

ثانياً: الأندلس.

تلك البلاد التي جاهد المسلمون حتى فتحوها، فعاش فيها الإسلام ثمانية قرون، وشهدت أعظم الحضارات الإنسانية، ونهل الأوربيون فيها أنواعاً مختلفة من

(١) انظر كوانت، مرجع سابق، ص ٥٦ - ٢٩٢؛ وانظر تشيرجي، مرجع سابق، ص ٣١ - ٤١، ١٦٣ - ١٦٦.

(٢) انظر شمعون بيريز، الشرق الأوسط الجديد، ص ٧ - ٣١؛ وانظر محمود عباس أبو مازن، طريق أوسلو، موقع الاتفاق يروي الأسرار الحقيقية للمفاوضات، ص ٢١٩ - ٣٥١؛ وانظر خليل حسين، وثائق مؤتمر السلام، ص ٢٩ - ٣٤؛ وانظر مصالحة، السلام الموعود، ص ٢٧ - ٤٩؛ وانظر فوزي الأسمر، «قطار السلام ينطلق من مدريد اليوم...»، جريدة الرياض، ٢٣/٣/١٤١٢ هـ، العدد ٨٥٢٨، ص ١، ٢٦؛ وانظر فوزي الأسمر، أحمد اليامي، «... الفلسطينيون والإسرائيليون يوقعون الاتفاق التاريخي اليوم، وإعلان «جدول الأعمال» الأردني الإسرائيلي غداً»، المرجع نفسه، ٢٧/٣/١٤١٤ هـ، العدد ٩٢١٢، ص ١، ٢٨؛ وانظر فوزي الأسمر، أحمد اليامي، طلعت وفاء «الخطوات الأولى للسلام... أبو مازن وبيريز وقعا الاتفاق... وعرفات صافح رايبين مرتين. كليتون: يتعهد باستمرار دعم السلام وبدعم السماح بفشل الاتفاق. عرفات: شعبي يأمل بطي صفحة الآلام والعذاب، وفتح عهد السلام والتعايش. رايبين: حان وقت السلام... ووداع السلاح... إننا محكومون بالعيش معاً»، المرجع نفسه، ٢٨/٣/١٤١٤ هـ، العدد ٩٢١٣، ص ١، ٢٠ - ٢٣.

(٣) انظر «... واشنطن تعرض صفقة مقايضة عربية إسرائيلية، وقف بناء المستوطنات مقابل إلغاء المقاطعة، وانتخابات فلسطينية مقابل تجميد الانتفاضة»، جريدة الجزيرة، ٥/٥/١٤١٢ هـ، العدد ٦٩٨٣، ص ١، ٢٢؛ وانظر «... إسرائيل تريد سلاماً مع سوريا برؤيتها»، المرجع نفسه، ٢٠/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٨٢٦٩، ص ٢٥.

المعارف والعلوم التي أوصلتهم إلى ما هم فيه من رقي مادي وحضاري .

دخلها المسلمون أعزاء، وخرجوا منها أذلاء، حوكم الإسلام فيها حتى جلا،
وعُذِّبَ أهلُه حتى استؤصِلوا.

ها هي اليوم تئن سلبية لبرائن الكفر ودنائسه، وحزينة لتناسي الأهل وقطع
الوشائج، فقدها المسلمون بفعل أنفسهم وهم في أمس الحاجة إليها، وغُيِّبَت
اليوم عن الأذهان حتى غربت ذكراها بوجهيها عز النصر وذل الهزيمة، وتبدل
اسمها^(١).

ثالثاً: مناطق إسلامية متفرقة في أنحاء العالم.

من أبرزها:

أ : أريتريا.

تلك المنطقة الإسلامية المطلة على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر،
والمتحكمة في سير الملاحة البحرية العالمية عبر باب المندب، مما جعلها مطعماً
لأغلب الدول الاستعمارية التي تنافست عليها بشدة ولفترات طويلة، فكان أن
عانت من الاستعمار الصليبي الغربي الذي انتهى بالاستعمار البريطاني والذي
عمل مع نظرائه الغربيين وبالتنسيق مع هيئة الأمم المتحدة عبر قرارات عديدة،
ومشاورات عميقة، على استمرار الاحتلال الصليبي لأريتريا، فمهذوا، ونسقوا،
ورتبوا، لاستخلاف الحكومة النصرانية في احتلال أثيوبيا، وتوجت تلك الأعمال
والقرارات بإخضاع أريتريا ودمجها تحت الحكم الأثيوبي الذي أعلن
في [١٧/٦/١٣٨٢ هـ] واستمر الاحتلال قائماً حتى تم تحريرها في
[٢٢/١١/١٤١٢ هـ]^(٢).

(١) انظر أحمد رائف، وتذكروا من الأندلس الإبادة، الطبعة الثانية، ص ٢٧١ - ٣٠٣.

(٢) انظر محمد الغزالي، كفاح دين، الطبعة الخامسة، ص ٦٤ - ٦٨؛ وانظر عبده عثمان واينو،
الصراع بين الحق والباطل في أريتريا وأثيوبيا، ص ١١، ١٢١ - ١٢٢؛ وانظر مسعود، لبن،
المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ١٢٢؛ وانظر طاهر إبراهيم فداب، حركة
تحرير أرتريا ومسيرتها التاريخية في الفترة ما بين [١٩٥٨م] إلى [١٩٦٧م]، كتاب وثائقي،
الطبعة الأولى، ص ٩ - ٤٥.

ب: كشمير .

ذلكم البلد الإسلامي الذي أُطلق عليه: جنة الله في أرضه، تعاقب عليه المحتلون، فمن احتلال السيخ إلى الاحتلال البريطاني الذي جعل منها سلعة تباع وتشتري ببيعها على حاكم إحدى القبائل الهندوسية الوثنية والذي قام بتسليمها للسلطات الهندية، وبموجب قرار تقسيم شبه القارة الهندية عام [١٣٦٧ - ١٣٦٨ هـ] فإن ولاية كشمير تعتبر جزءاً من باكستان بحكم أغليتها المسلمة، لكنها لا زالت تحت السيطرة الهندية، بدعم سياسي، وتأييد علني من دول العالم الكافر وساسته، والذين غضبوا الطرف عن التجاوزات القانونية والخلقية التي تقوم بها سلطات الهند، وفي مقدمة أولئك هيئة الأمم، التي جعلت من قراراتها وأسلوب معالجتها وسيلة لترسيخ السياسة الهندية في كشمير المسلمة^(١).

الفرع الثالث

وسائل ترسيخ الاحتلال وأساليبه

حينما نكتب عن أساليب الأعداء وأساليبهم في معاملة من تحت أيديهم من أبناء المسلمين، لا نجد أبلغ من قوله تعالى في وصف مثل هذه الحالة: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً...﴾^(٢)، نعم إنهم اليوم يكرسون جهودهم في طمس الوجود الإسلامي من خلال أساليب ووسائل إجرامية لا نظير لها في تاريخ الظلم والعدوان، فهم يبتكرون يوماً طرقاتاً ووسائل جديدة في الاعتقال والتحقيق والتعذيب^(٣)، ويتفننون في تطوير الوسائل والأساليب التي لأجلها تتم

(١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ٤٠ - ٤٢؛ ج ٣ ص ٢٨٤؛ وانظر المركز العالمي، حاضر العالم الإسلامي، ص ٧٨؛ وانظر سيد بكر، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، (سلسلة دعوة الحق [٢٣])، ص ٢٢٩ - ٢٣٠، ٢٣٢ - ٢٣٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٨.

(٣) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ٣٣، ٤٤١؛ وانظر فايز جابر، الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، الطبعة الأولى، ص ٢٥ - ٣٢، ٤٦؛ وانظر «... السلطات الإسرائيلية تلجأ إلى أساليب خبيثة للإيقاع بالمطلوبين من دوائر الشرطة والمخابرات»، جريدة الشرق الأوسط، ١١/٢٥/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٨٣، ص ٦.

الزيارات المتكررة بينهم؛ لتبادل الخبرات والأفكار في كيفية القضاء على الإسلام والمسلمين، فهذه السلطات الهندية المحتلة لكشمير، تقوم بإرسال وفد هندوسي إلى إسبانيا؛ لدراسة الوسائل والطرق التي اتبعتها إسبانيا في القضاء على الهوية الإسلامية في إسبانيا^(١)، والاستفادة منها في التعامل مع مسلمي كشمير، وقد جعلت فيما بعد من رئيس الوفد ديبو وزيراً للداخلية الهندية^(٢)، وتكررت هذه الزيارة الهندية إلى فلسطين؛ لدراسة الطرق الإسرائيلية في مواجهة المجاهدين المسلمين ضد الاحتلال الإسرائيلي، وللاخذ بها في مواجهة مجاهدي كشمير المسلمة^(٣). هذه الوسائل والأساليب تعتمد على خطط طويلة وقصيرة المدى لإنهاء الوجود الإسلامي، فهذا الامبراطور الحبشي هيلاسيلاسي يضع خطة لإنهاء الوجود الإسلامي في أريتريا خلال إثني عشر عاماً، ويعرض خطته على مجلس الكونجرس الأمريكي متباهياً بها^(٤).

وهذا بيان لأبرز وأهم الوسائل والأساليب التي اتخذها المحتلون لفرض وجودهم، وطمس الوجود الإسلامي^(٥).

أولاً: الطمس الشامل للهوية الإسلامية^(٦).

أ: تاريخياً، من خلال قطع الصلة بالأصول الإسلامية تاريخياً وحضارياً، ففي

(١) انظر محمد قطب، مذابح وجرائم، محاكم التفتيش في الأندلس، (القاهرة/ مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع)، ص ٣٩ - ١٤٤.

(٢) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٤٢.

(٣) انظر المرجع السابق، ج ٣ ص ٢٨٥.

(٤) انظر محمد الغزالي، كفاح دين، ص ٦١، ٦٧ - ٦٨.

(٥) انظر بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان: دار الجليل للنشر، الكتاب السنوي، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة؛ وانظر عبد الله التل، الأفعى اليهودية في معازل الإسلام، الطبعة الثانية، ص ١٧٢ - ١٧٣؛ وانظر بكر عبد المنعم، دولة فلسطين المحتلة؛ وانظر عبد الله التل، الأفعى اليهودية في معازل الإسلام، الطبعة الثانية، ص ١٧٢ - ١٧٣؛ وانظر بكر عبد المنعم، دولة فلسطين مؤتمر السلام من مدريد إلى أوسلو، الطبعة الأولى، ص ١١٩ - ١٣٧.

(٦) انظر فايز جابر، الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، ص ١٨٥ - ٢٠٣.

الشهر الخامس من عام [١٤١٢ هـ] قام عدد من اليهود بعملية سطو على إحدى المحاكم الشرعية في ساحة المسجد الأقصى سرقوا خلالها عدداً كبيراً من الوثائق التاريخية، التي يعود تاريخها إلى أكثر من [٥٠٠ - ٨٠٠] سنة والخاصة بتوثيق الأراضي والوقف الإسلامي^(١). كما يتم هدم جميع الآثار والأبنية التاريخية ذات الصبغة والأساس الإسلامي، بهدف إزالة المعالم الإسلامية منها^(٢).

ب: إعلامياً. حيث تسخر الوسائل الإعلامية المختلفة لترسيخ وخدمة الأغراض المتعددة للمحتل وطمس الشخصية الإسلامية^(٣).

ج: خلقياً. تقوم السلطات المحتلة بعمليات واسعة لنشر الفساد الخلقي، حيث الترويج للمخدرات والخمور بين الشباب المسلم، وترويج البرامج الفنية المختلفة في المعاهد التعليمية لنشر العادات والمفاهيم التي يرفضها الدين الإسلامي، وتحويل المعاهد والمدارس إلى أوكار لنشر الإباحية، وتشجيع زواج الشباب المسلم من غير المسلمات^(٤).

د: تعليمياً. يعمل الأعداء على استبدال البرامج التعليمية الإسلامية ببرامج كافرة، يجبر المسلم على دراستها، مع ما تحمله من تشويه وتحريف وتزييف للدين الإسلامي، ففي كشمير قام المحتل الهندوسي بوضع مناهج تعليمية هندوسية؛ بهدف القضاء على نفوس ناشئة المسلمين، وتحويل المعاهد الإسلامية التعليمية إلى وجهة غير وجهتها، وجردت اللغة الأردية والكشميرية من الألفاظ العربية، وتم استبدالها

(١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ٤١؛ ج ٢ ص ١٦٣؛ وانظر مسعود، لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ١٢٤.

(٢) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، المرجع السابق، ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٦؛ وانظر فتحي فوراني، وثيقة عن الأوقاف الإسلامية في فلسطين المحتلة [١٩٤٨]، الجذور، (عمان: دار الجليل، ص ٢٧ - ١٢٣).

(٣) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، المرجع السابق، ج ١ ص ٤١؛ ج ٢ ص ١٦٣؛ وانظر مسعود، لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ١٢٤؛ وانظر المركز العالمي، حاضر العالم الإسلامي، ص ٧٨.

(٤) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، المرجع السابق، ج ١ ص ٤١؛ وانظر ج ٢ ص ٢٤٢؛ وانظر محمد الغزالي، كفاح دين، ص ٧٦؛ وانظر المركز العالمي، المرجع السابق؛ وانظر واينو، الصراع بين الحق والباطل في أريتريا وأثيوبيا، ص ٣٧؛ وانظر «يهوديات كثيرات في إسرائيل يسعين إلى الزواج من عرب»، جريدة الحياة، ١٤١٧/٢/٢٦ هـ، العدد ١٢١٩١، ص ٢٠.

بألفاظ هندية؛ أملاً في قطع الصلة بين المسلمين ولغة القرآن الكريم، وبقية مسلمي العالم، وللحيلولة دون قراءة الكتب الإسلامية^(١). وفي أريتيريا عمل المحتل الحبشي على حرمان المثقفين المسلمين من الوظائف الحكومية عموماً، والتعليمية خصوصاً^(٢)، فاستمارة طلب العمل يكتب عليها، (وظائف الدولة والحكومة للنصارى فقط)^(٣).

ثانياً: إغلاق المدارس والمؤسسات الإسلامية.

يعمد الأعداء إلى إيقاف الحركة التعليمية من خلال الإغلاق المتواصل والمتقطع للمدارس والجامعات الإسلامية في سائر الأراضي المحتلة؛ لأنها منطلق الجهاد ضدهم^(٤)، فهذه إسرائيل تقوم بين الحين والآخر بإغلاق المدارس والجامعات الإسلامية، فقد أغلقت الجامعة الإسلامية في غزة لمدة أربع سنوات توقفت فيها الدراسة تماماً^(٥). وفي كشمير أغلق المحتل الهندي في عام [١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ]، مئات المعاهد والمدارس الإسلامية، وتمت مصادرة ممتلكاتها^(٦). وفي أريتيريا أغلقت المدارس الإسلامية، وفتح بدلاً منها مدارس نصرانية، أُجبر المسلمون على الالتحاق بها^(٧).

ثالثاً: التصفية الجسدية.

يعمل الأعداء على تصفية الوجود الإسلامي من خلال استخدام سياسة تفرغ

(١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، المرجع السابق، ج ١ ص ٤١ - ٤٣؛ وانظر ج ٢ ص ١٦٣، ٢٤٢.

(٢) انظر مسعود، لبن، مرجع سابق، ص ١٢٣؛ وانظر واينو، مرجع سابق، ص ٣٦ - ٣٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمرُوا الإسلام، ص ١٩ - ٢١؛ وانظر مسعود، لبن، مرجع سابق، ص ١٢٥ - ١٢٦؛ وانظر المركز العالمي، مرجع سابق، ص ٨٠؛ وانظر «استئناف الدراسة في جامعة الخليل بعد إغلاق مستمر قرابة [١٠ أشهر]»، جريدة الشرق الأوسط، ١٩/٨/١٤١٧ هـ، العدد ٦٦٠٦، ص ٣.

(٥) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ٢ ص ١٦٨.

(٦) انظر المرجع السابق، ج ١ ص ٤١.

(٧) انظر محمد الغزالي، كفاح دين، ص ٧٢؛ وانظر فداب، حركة تحرير أرتريا، ص ٣٧.

الأرض الإسلامية من المسلمين^(١)، عبر وسائل متفاوتة منها:

١ - الطرد والإبعاد. عملية الطرد الفردي والجماعي مباشرة إحدى وسائل الأعداء في تفرغ البلاد الإسلامية من المسلمين، وهي عملية تتعدد وسائلها، ما بين نازح بسبب سوء الأحوال المعيشية والأمنية، ونازح بسبب المضايقات الأمنية والدينية، ومطرود علناً^(٢).

٢ - التهجير. حيث عملت السلطات المحتلة على الترحيل القسري للمسلمين من مناطقهم إلى مناطق ذات كثافة سكانية كافرة، أملاً في إذابتهم ودمجهم في تلك المجتمعات الكافرة، ففي أريتريا عملت السلطات الحبشية على التحايل على المسلمين لتهجيرهم من ديارهم إلى مواقع أخرى، تمتاز بالكثافة السكانية الكافرة، حيث تشتت الأسر المسلمة بينها، فيفرق بين الزوج وزوجته، والآباء والأمهات عن أبنائهم وبناتهم، دون أن يعلم بعضهم بمصير بعض^(٣).

وأحياناً تدفع الأشكال اللإنسانية التي تقوم بها السلطات المحتلة بعض أبناء المسلمين إلى مغادرة بلادهم، وهجر أوطانهم، بحثاً عن الأمن الديني والديني الذي فقده في ديارهم، ومن أبرز الأمثلة الحية التشرذ الذي يعيشه المسلمون من

(١) انظر محمود أبو عيد، «رئيس بلدية القدس: العام المقبل سيشهد انقلاباً في التوازن السكاني في المدينة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٥/١٢/١٤١٦ هـ، العدد ٦٣٦٥، ص ٣؛ وانظر عبد القادر فارس، جمال المجايدة، منصور عطية، حافظ البكاري، «المحللون لـ «عكاظ»: إسرائيل تسعى لخلق «واقع استيطاني»، مخطط تهويد القدس يبدأ بتفريغها من سكانها العرب»، جريدة عكاظ، ٧/٨/١٤١٧ هـ، العدد ١١٠٨٤، ص ١٣.

(٢) انظر ميخائيل بالومبو، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام [١٩٤٨]، الطبعة الأولى، ص ٥ - ٤٢؛ وانظر فايز جابر، الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، ص ١٣٦ - ١٤٩؛ وانظر مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، التقرير الاستراتيجي العربي [١٩٩٣]، ص ١٩٩؛ وانظر تقرير منظمة العفو الدولية [١٩٩٣م]، ص ٦١؛ وانظر بكر عبد المنعم، دولة فلسطين مؤتمر السلام من مدريد إلى أوسلو، الطبعة الأولى، ص ١٣٨ - ١٤٦؛ وانظر «الشرق الأوسط بين المبعدين في مرج الزهور، ذنب المبعدين إصرارهم على العودة إلى الوطن، والرصاص الإسرائيلي لن يقنعهم بالرحيل إلى لبنان»، جريدة الشرق الأوسط، ١٦/٧/١٤١٣ هـ، العدد ٥١٥٦، ص ٦.

(٣) انظر محمد الغزالي، مرجع سابق، ص ٦٥؛ وانظر مسعود، لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ١٢٣ - ١٢٤.

أبناء فلسطين، وأريتريا، وكشمير التي بلغ عددهم خلال عشرين شهراً أكثر من [٢١] ألف مهاجر كشميري^(١).

٣ - الاعتقال. حيث عُمِّرت السجون والمعتقلات بآلاف المسلمين^(٢)، وأحييت بأشكال وأنواع تعذيب متعددة، فالضرب المبرح بتفنن، والعمل الشاق المضني، والوقوف في زنانات صغيرة بأشكال متباينة تقضي على قوى المسلم^(٣)، فمثلاً في الفترة ما بين [١٤٠٩/٥ - ١٤١٠/٦ هـ] اعتقل المحتل الإسرائيلي حوالي [٤٠] ألف فلسطيني لفترات متفاوتة^(٤)، وفي فترة ما بين [١٤١٢/٦ - ١٤١٣/٨ هـ] قبض على نحو من [٢٥] ألف فلسطيني لدواع أمنية، تتمثل في مقاومة المحتل. في حين لم يقل عدد المسجونين في أي وقت من هذه الفترة عن عشرة آلاف شخص، وفي كل ذلك يتعرض الفلسطينيون أثناء الاستجواب للتعذيب وسوء المعاملة، حيث توفي أربعة معتقلين أثناء الاستجواب^(٥).

وأمر الاعتقال والسجن أمر يسره قانون المحتلين^(٦)، فهذا البرلمان الهندي يصدر قانوناً يعطي جنوده الحق في اعتقال أي مسلم يشبهه في موقفه من الاحتلال، الأمر الذي جعل عشرات الألوف من شيوخ مسلمي كشمير وشبابهم وأطفالهم يعيشون في غياب السجون والمعتقلات الهندية، فخلال الفترة ما بين [١٤١٠/٧ - ١٤١٢/٦ هـ] تم اعتقال أكثر من [٩٥] ألف مسلم^(٧). وفي فلسطين يقوم المحتل الإسرائيلي بوضع المئات كما يشاء رهن الاعتقال الإداري، دون تهم محددة^(٨)،

- (١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ١٤، ٤١؛ ج ٢ ص ٢٤٥.
- (٢) انظر يوسف شاكر، «في تقرير للجنة الخاصة بالتحقيق في ممارسات إسرائيل، عدد المعتقلين الفلسطينيين [١٥] ألفاً... في شهرين»، جريدة الشرق الأوسط، ١٩/١١/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٧٧، ص ٨.
- (٣) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، مرجع سابق، ج ١ ص ٣٣؛ ج ٣ ص ٢٢٣؛ وانظر تقرير منظمة العفو الدولية [١٩٩٤م]، ص ٧١.
- (٤) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، المرجع السابق، ص ١٤.
- (٥) تقرير منظمة العفو الدولية [١٩٩٣م]، ص ٦١؛ [١٩٩٤م]، ص ٦٩ - ٧١.
- (٦) انظر محمد الغزالي، كفاح دين، ص ٦٨، ٧٢.
- (٧) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤٣؛ ج ٣ ص ٢٨٥؛ وانظر تقرير منظمة العفو الدولية [١٩٩٣م]، ص ٣٢٨.
- (٨) انظر المرجع السابق، ص ٦١؛ [١٩٩٤م]، ص ٦٩ - ٧١.

بينما تقوم السلطات الأثيوبية وبصفة مستمرة باعتقالات تعسفية عشوائية، دون توجيه تهم رسمية للمعتقلين^(١).

٤ - القتل. آخر الحلول للتصفية النهائية للجسد المسلم، مارسه المحتل بمبررات تارة، وبدون مبررات تارات أخرى، بألوان مختلفة، وأشكال مفزعة، قتل فردي في حين، وجماعي بشع في حين آخر. ففي أريتريا فوض المحتل الحبشي أمر قتل المسلمين بدواعي تافهة للإقطاعيين، دون الرجوع إلى السلطة وإلى الجنود دون أي شبهة^(٢)، وكان من جراء ذلك أن اكتشفت في أسمره آلاف المدافن السرية لضحايا إعدامات المقاومين للاحتلال^(٣). وفي الهند أعطى البرلمان الهندي لجنوده الحرية التامة في إطلاق النار على أي مسلم يشتبه فيه، وبواسطة هذا القرار نفذت مئات الألوف من المجازر الوحشية ضد المسلمين، والتي سجلت كسوابق تاريخية بوحشيتها، وشموليتها للرجال والأطفال والنساء والشيوخ، ففي الفترة ما بين [١٤١٠/٧ - ١٤١٢/٦ هـ] قتل المحتل الهندي أكثر من ستة آلاف كشميري، وقام المحتل الهندي بإحراق أكثر من [٤١٨] مسلم في بيوتهم، كما أضرمت النار في مدرسة ابتدائية بطلابها^(٤). أما في فلسطين فاستخدام المحتل للأسلحة النارية دون مبرر، حق سائق يحميه نظام الاحتلال^(٥)، لذا فالمجازر الجماعية أشهر من أن تذكر، والقتل العلني يتم بصفة شبه يومية على مشهد ومسمع من العالم أجمع، بل إن أخبار المجازر البشعة هناك من الأخبار المألوفة والإحصاءات العددية الكبيرة حولها من الأعمال المتكررة^(٦)، فخلال الفترة [١٤٠٨/٥ - ١٤١٠/٦ هـ] سقط ما لا يقل

(١) انظر المرجع السابق، [١٩٩٣م]، ص ٥٠.

(٢) انظر جلال العالم، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام، ص ١٩.

(٣) انظر تقرير منظمة العفو الدولية، مرجع سابق، ص ٥٠؛ وانظر مسعود، لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ١٢٤.

(٤) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ٤١؛ ج ٢ ص ٢٤٢، ٢٤٤؛ وانظر منظمة العفو، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

(٥) انظر «أوامر جديدة بقتل المواطنين العرب دون إنذار...»، جريدة الرياض، ٣٠/٧/١٤١٢ هـ، العدد ٨٦٢٤، ص ١، ٢٠؛ وانظر «واشنطن لا تعلق على قرار رابين استخدام الأسلحة النارية...»، جريدة الشرق الأوسط، ١١/١٠/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٣٩، ص ٣.

(٦) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٤٣؛ ج ٣ ص ٢٨٥؛ وانظر منظمة =

عن [٦٠٠] فلسطيني في محاولة لإخماد الانتفاضة^(١)، وفي شهر واحد من عام [١٤١٣ هـ]، قتل المحتل الإسرائيلي ما لا يقل عن [٢٨] فلسطينياً^(٢).

رابعاً: القضاء على جميع أشكال المقاومة.

ويتمثل في قيام المحتلين بفرض حظر التجول داخل المدن والقرى، وكذا حظر التنقل بين المدن والقرى، وذلك بصفة دائمة، ففي الفترة ما بين [١٤٠٨/٥ - ١٤٠٩/٥ هـ] فرضت إسرائيل حظر التجول على مدن وقرى مختلفة بلغت [٣٣٣٨]، بينما بلغت في العام التالي لتلك الفترة حوالي [٣٠٥٤] مدينة وقرية، منع سكانها من التجول، أو مغادرة منازلهم. كما يتم اللجوء إلى استخدام مختلف وسائل القمع وأساليبه، ففي فلسطين قام المحتل الصهيوني باستخدام جميع أشكال القمع وألوانه؛ لإخماد الانتفاضة الإسلامية في فلسطين، فقتلوا المئات، واعتقلوا الآلاف، واستخدموا الغازات المختلفة، والذخيرة الحية، والطلقات البلاستيكية، وقاموا بأعمال مختلفة ضرباً وحرقاً^(٣).

خامساً: هدم المنازل وإحراق المزارع.

ففي كشمير اتبع المحتل الهندي سياسة الأرض المحروقة، ففي الفترة ما بين [١٤١٠/٧ - ١٤١٢/٦ هـ] قام المحتل الهندي بإحراق أكثر من عشرين ألف منزل ومتجر. كما أحرق من الحبوب الغذائية ما يزيد على [١٠٠٠] مليون دولار، وأكثر من [١٠٠٠] حيوان، و [٢١] ألف منزل للمسلمين^(٤). وفي فلسطين المحتلة تقوم إسرائيل وبصفة شبه مستمرة بتدمير بيوت المتهمين بالانتماء أو المشاركة في مقاومة الاحتلال ومصادرتها، ففي الفترة [١٤٠٨/٥ - ١٤١٠/٦ هـ] دمرت إسرائيل حوالي [٦٢١] بيتاً ومنشأة يملكها الفلسطينيون. كما صادرت [١٠] آلاف دونم من

= العفو، مرجع سابق، ص ٦١؛ [١٩٩٤م]، ص ٦٩ - ٧١؛ وانظر بالمبوء، كيف طرد الفلسطينيون، ص ٥٥ - ٦٦.

(١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، مرجع سابق، ج ١ ص ١٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ج ٣ ص ٢٢٣.

(٣) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ١٤؛ ج ٢ ص ١٤، ٢٤٥.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٢٤٥ - ٢٤٥.

الأراضي، وتم قلع وإحراق [٥٥] ألف شجرة زيتون^(١). وفي أريتريا قام المحتل بحرق وتدمير كامل للقرى بأهلها المسلمين وللمزارع بما تحويه من نبات وحيوان، وتسميم تام للمياه، ومصادرة شاملة للمواشي، كما حدث في مدينة (كرن)، وقرية (شعب)، و (هرجيجو) في منطقة (أزولا)، وغيرها من المدن والقرى^(٢).

سادساً: التحطيم النفسي.

ومع تلك الأساليب والوسائل المادية، يلجأ الأعداء إلى أساليب ووسائل نفسية، تسهم في القضاء على روح المقاومة لدى المسلم، من ذلك:

أ: إذلال المسلم. حيث فرض التشريعات، وسن القوانين التي تذل المسلم وتهينه، وتظهر عزة الكافر وعلوه، ففي أريتريا سن المحتل الحبشي وجوب الركوع خضوعاً للجندي وللوظف الحبشي، ومن لا يفعل ذلك احتراماً يعاقب بالجلد والسجن^(٣).

ب: العمليات الإرهابية. من خلال القيام بإبراز الأعمال الإجرامية التي يقوم بها المحتل، وإظهار الضحايا أمام الملأ، ففي أريتريا وكشمير يقوم المحتل بإلقاء جثث القتلى في الشوارع، وطحنها بالدبابات أمام الآخرين لإدخال الرعب في قلوبهم^(٤). وفي فلسطين يعمد العدو المحتل إلى التخويف والإرهاب، باستخدام العنف دون سبب، أو أي شبهة، حيث يقوم المستوطنون الإسرائيليون وتحت حماية ورعاية السلطات الأمنية بعمليات إرهابية بهدف إرعاب المسلمين، ففي الفترة ما بين [٥/١٤٠٩ - ٦/١٤١٠ هـ] قام المستوطنون اليهود بـ [١٤٢] غارة وهجوم، انتهكت فيها حقوق المسلمين حوالي [٧٤٦] انتهاكاً، يتراوح بين القتل العمد،

(١) انظر المرجع السابق، ج ١ ص ١٥.

(٢) انظر محمد الغزالي، كفاح دين، ص ٦٩ - ٧٠؛ وانظر مسعود، لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ١٢٣ - ١٢٤؛ وانظر واينو، الصراع بين الحق والباطل في أريتريا وأثيوبيا، ص ٥٢.

(٣) انظر الغزالي، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٤) انظر مسعود، لبن، مرجع سابق، ص ١٢٤؛ وانظر واينو، مرجع سابق، ص ٥٢؛ وانظر تقرير منظمة العفو الدولية [١٩٩٣م]، ص ٢٩.

والإصابة بجراح، والضرب واستخدام الغازات، والخطف، والتدمير للممتلكات والمحاصيل الزراعية، وسرقة السيارات، وقتل وسرقة المواشي، والاستيلاء على الأراضي، وانتهاك حرمت المساجد^(١).

ج: هتك الأعراض. الاغتصاب، وهتك أعراض النساء المسلمات أمام أزواجهن وأبنائهن إحدى الوسائل التي يلجأ إليها المحتل الكافر^(٢)، ففي كشمير أعطى البرلمان الهندي جنوده الحق في دخول بيوت المسلمين، وانتهاك أعراض النساء أمام محارمهن، ففي الفترة ما بين [١٤١٠/٧ - ١٤١٢/٦ هـ] فقط تم الاعتداء على [١٣٥٠] امرأة مسلمة^(٣). وفي أوائل عام [١٤١٠ هـ] قام المحتل الحبشي لأريتريا بالاعتداء على [٥٨] قرية مسلمة، وأخذ منها أكثر من [٥٠٠] امرأة مسلمة أجبرن على الزواج من نصارى^(٤).

د: قطع الأعضاء التناسلية. فمن أقسى الأعمال غير الإنسانية التي قام بها المحتل، إجراء عملية الخصي القسري والقهري، وقطع الأعضاء التناسلية، وأداء النساء^(٥). فهذه السلطات الهندية المحتلة لكشمير المسلمة تقوم بإجراء عمليات الخصي القسري والقهري للمسلمين، ففي بلدة «سنور كلبورة» الكشميرية قام المحتل الهندي بإجراء عملية الخصي لـ [٤٠٠] شاب مسلم^(٦).

سابعاً: السيطرة على الأراضي الإسلامية.

يقوم الأعداء بعملية تكفير الأرض الإسلامية بعد انتزاعها من أيدي أصحابها

- (١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ١٥؛ انظر سمير أحمد معتوق، الأساس الجغرافي للاستعمار الاستيطاني الصهيوني في الضفة الغربية [١٩٦٧ - ١٩٨٥]، الطبعة الأولى، ص ١٩٢ - ١٩٤، ١٩٦ - ١٩٧.
- (٢) انظر محمد الغزالي، كفاح دين، ص ٧١؛ وانظر واينو، مرجع سابق، ص ٥١، ٥٤ - ٥٥؛ وانظر «الهند تقف متهمه بممارسة جرائم اغتصاب في كشمير»، جريدة الشرق الأوسط، ١٩/١١/١٤١٣ هـ، العدد ٥٢٧٧، ص ٩.
- (٣) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، مرجع سابق، ٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤؛ ج ٣ ص ٢٨٥.
- (٤) انظر مسعود، لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ١٢٧؛ وانظر واينو، مرجع سابق، ص ٩، ٣٧.
- (٥) انظر فداب، حركة تحرير أرتريا ومسيرتها التاريخية، ص ٣٦.
- (٦) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١؛ ج ٢ ص ٢٤٤.

المسلمين، ويرون في ذلك واجباً دينياً وتاريخياً، ومطلباً أمنياً وسياسياً، وضرورة اقتصادية^(١)؛ لذلك لجأوا إلى أساليب متعددة منها:

أ: الإغراء المادي. تقدم الأموال الطائلة، والحيل المتعددة، والمغريات المُوَقَّعة؛ لشراء الأراضي الإسلامية من المسلمين، والتي يحرم فيما بعد إعادة بيعها إلى مسلم^(٢).

ب: الإرهاب. حينما لا يفيد الإغراء، يتم انتزاع الأرض بالتهديد والوعيد، والبطش الشديد، مما يجبر صاحب الأرض على التخلي عنها بثمان زهيد^(٣).

ج: المصادرة. حيث اللجوء إلى القوة العسكرية لمصادرة الأراضي الإسلامية حينما لا تجدي الوسائل الأخرى، أو مصادرتها بعد تهجير أصحابها^(٤).

-
- (١) انظر عبد الرحمن أبو عرفة، الاستيطان التطبيقي العملي للصهيونية، الطبعة الثانية، ص ١٧ - ١٨؛ وانظر معتوق، الأساس الجغرافي للاستعمار الاستيطاني، ص ٤٤ - ٥٤؛ وانظر ديفيد نيومان، الاستيطان الصهيوني، الطبعة الأولى، ص ٧ - ٢٣؛ وانظر فايز جابر، الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، ص ٥٩ - ١١٦.
- (٢) انظر معتوق، المرجع السابق، ص ٤١؛ وانظر نيومان، المرجع السابق، ص ٩٦ - ٩٧، ١٠١؛ وانظر جابر، المرجع السابق، ص ٦٢ - ٦٣؛ وانظر عبد الرؤوف داود، «شارون يحاول استغلال سماسرة من العرب لشراء أراضٍ في القدس وبقية الضفة وغزة»، جريدة الحياة، ١٤١٧/٣/٢٧ هـ، العدد ١٢٢٢١، ص ٥؛ وانظر محمود أبو عيد، «رجال أعمال مزيفون، وشركات وهمية تتحايل لشراء الممتلكات العربية، مخططات استيطانية جديدة للاستيلاء على المنازل العربية بالقدس القديمة»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٧/٥/٣٠ هـ، العدد ٦٥٢٨، ص ٣؛ وانظر «سيناريو النكبة يتكرر مجدداً... يهود الشتات يتهافنون على شراء أراضٍ في الخليل، والقدس، والجولان»، جريدة المدينة، ١٤١٧/٧/٢٣ هـ، العدد ١٢٢٩١، ص ١؛ وانظر «سمسار يعرض مليون دولار ثمناً لـ [٤٠٠] متر في القدس»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٧/١٠/٢٤ هـ، العدد ٦٦٧٠، ص ١١.
- (٣) انظر جابر، المرجع السابق، ص ٣٦ - ٣٨؛ وانظر «هدية اليهود عشية توقيع الاتفاق... احتلال منزل آخر بالقوة»، جريدة المدينة، ١٤١٧/٨/٢٣ هـ، العدد ١٢٣١٩، ص ٨.
- (٤) انظر محمد الغزالي، كفاح دين، ص ٦٨، ٧٤؛ وانظر أبو عرفة، الاستيطان، ص ٢١ - ٢٣؛ وانظر معتوق، مرجع سابق، ص ٦٦ - ٦٧؛ وانظر نيومان، مرجع سابق، ص ٤٥ - ٧٠؛ وانظر آمال مدللي، «... إسرائيل تصادر مزيداً من أراضي القدس، وسباق بين زعماء =

د: التنظيم. حيث يقوم المحتلون بإصدار قوانين تنظم تملك الأراضي، وتنظم الأجهزة التخطيطية والتنفيذية للتملك، وبموجب تلك القوانين، ومن خلال تلك المؤسسات تتم السيطرة على أجزاء كبيرة من الأراضي الإسلامية، بعد إضفاء الصفة القانونية على عملية السيطرة^(١).

هـ: التطوير. فتحت مسمى التطوير، يقوم المحتلون بإعداد وتنفيذ العديد من البرامج والمشاريع الكبيرة لبناء مستوطنات ومستعمرات للمحتلين، ولإقامة العديد من المشاريع العسكرية والتجارية، والصناعية، والمرافق العامة^(٢).

وعملية تنفيذ هذه البرامج تخضع لعناية خاصة، حيث يتم اختيار الأراضي وفق عملية دقيقة تخضع لمدى تمتع الأرض باستراتيجية معينة، سواء كانت الاستراتيجية دينية، أو تاريخية أو عسكرية، أو سياسية، أو أمنية، أو اقتصادية^(٣)، فهذه إسرائيل تعلن عن مشروع القدس الكبرى، والمتمثل في ضم تسع مدن، وستين قرية عربية من أجل فرض السيادة والصفة الصهيونية عليها، وإلغاء الصفة الإسلامية، كما يشمل المشروع السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي الإسلامية؛ لتنفيذ برامج استيطانية عليها، ففي الجانب الشرقي من القدس الشرقية والذي تبلغ مساحته [٦٤] دونم، استولت السلطات الإسرائيلية منه على [٥٨] دونم حتى تاريخ [١٢/١٢/١٤١٢ هـ]. أما الجانب الغربي من القدس فقد ضمت منه [٢٠] ألف دونم في غرب القدس، وأقيمت ثمان مستوطنات جديدة. هذا المشروع يصاحبه

= الكونغرس لإرضاء اليهود»، جريدة الرياض، ١١/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ٩٨١٦، ص ١، ٤؛ وانظر «إسرائيل صادرت آلاف الهكتارات منذ [١٩٦٧م]، بيريذ يؤكد استحالة التراجع عن مصادرة أراضي القدس، العرب يملكون [١٤٪] فقط من أراضي المدينة المحتلة»، جريدة المدينة المنورة، ١٦/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ١١٧٢٧، ص ٣.

- (١) انظر بوعرفة، مرجع سابق، ص ٣٧-٣٨، ٧٥-٨٣، ٩٩-١٠٠.
- (٢) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ٢ ص ١٦٨؛ وانظر معتوق، الأساس الجغرافي للاستعمار الاستيطاني، ص ٦٧-٧٠؛ انظر نيومان، الاستيطان، ص ١٠٢؛ وانظر «... إسرائيل تعلن بناء حي يهودي من [٦] آلاف مسكن في القدس الشرقية...»، جريدة الجزيرة، ١٠/٢/١٤١٧ هـ، العدد ٨٦٧٢، ص ٣٣.
- (٣) انظر مسعود، لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ١٢٤؛ وانظر أبا عرفة، الاستيطان، ص ٩١-٩٢؛ وانظر معتوق، المرجع السابق، ص ٩٣-١١٦، ١٢١-١٤٨؛ وانظر نيومان، المرجع السابق، ص ٩٨-٩٩.

زيادة في عدد المستوطنين، ففي حين بلغ عدد اليهود في المدينة المقدسة في عام [١٤١٢ هـ] حوالي نصف مليون نسمة، سيصلون بعد تنفيذ هذا المشروع إلى أكثر من [٨٠٠] ألف نسمة.

هذه البرامج نموذج لما يجري في بقية أنحاء الأراضي الإسلامية في فلسطين ومصر والأردن وسوريا ولبنان، وأريتيريا، وكشمير وغيرها من الأراضي الإسلامية المحتملة^(١).

ثامناً: الاعتداء على المقدسات الإسلامية.

إمعاناً في هز مشاعر المسلمين، وزعزعة ثقتهم بأنفسهم ودينهم، يقوم الأعداء بشن الاعتداءات المتكررة على المقدسات الإسلامية^(٢) والمتمثلة في أعمال عدوانية منها منع المسلمين من دخول المساجد لأداء شعائرهم الدينية^(٣). ومنها القيام بأعمال توحى بوجود آثار دينية لهم في مناطق إسلامية، كما في النفق الذي قامت إسرائيل بشقه في الركن الشمالي الغربي لمسجد القدس. ومنها تغيير معالم المساجد^(٤). ومنها الحرق والتدمير، كما في حرق الصهانية للمسجد الأقصى في يوم الخميس [١٣٨٩/٦/٨ هـ]^(٥)، وما أعقبها من محاولات متكررة بلغت أكثر من خمس عشرة محاولة لهدم المسجد الأقصى وحرقه، وكذا تدميرهم لحوالي [٤٩٠] مسجداً في

(١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، مرجع سابق، ج ١ ص ٣٢؛ ج ٢ ص ١٦٢، ١٦٩؛ ج ٣ ص ٢٢٠ - ٢٢١؛ وانظر أبو عرفة، المرجع السابق، ص ١٤٩ - ٢٢٥؛ وانظر معتوق، المرجع السابق، ص ٦٣ - ٧٥، ٨٤ - ٨٧.

(٢) انظر «مظاهرة في طبريا، احتجاجاً على انتهاك صهانية مسجد حطين»، جريدة الرياض، ١٤١٦/٢/٢١ هـ، العدد ٩٨٨٦، ص ٣٧.

(٣) انظر «السماح لـ [٤٠٠] من غزة بالصلاة في القدس...»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٣/١٢/٨ هـ، العدد ٥٢٩٦، ص ٣؛ وانظر «سمحت بزيادة عدد المصلين من [٤٥٠] إلى ألفي مصل!، حتى صلاة المسلمين في الحرم الإبراهيمي أصبحت بإذن إسرائيل!»، جريدة الجزيرة، ١٤١٥/١٢/٢٣ هـ، العدد ٨٢٧٢، ص ٢٥.

(٤) انظر «... تحذير عربي لمجلس الأمن والدول الكبرى من تصاعد الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٣/١٠/١١ هـ، العدد ٥٢٣٩، ص ٣.

(٥) انظر خطاب، أهداف إسرائيل التوسعية، ص ٧١؛ وانظر «الإيسيسكو» تشجب جريمة إحراق مسجد العقاد في قطاع غزة»، المرجع السابق، ١٤١٣/١٠/١١ هـ، العدد ٥٢٣٩، ص ٣.

سائر الأراضي الإسلامية. ومنها تحويل المساجد إلى معابد خاصة بهم، أو أماكن عامة، كما في قيام إسرائيل بتحويل كثير من المساجد إلى مخازن، وزرائب لتربية الدجاج. ومنها إقامة الحانات ودور الدعارة والعهر بجانب المساجد^(١).

تاسعاً: الحصار.

يقوم المحتل بين الحين والآخر بمحاصرة المسلمين داخل بيوتهم ومدنهم وقراهم، حيث يتم منع وصول الإمدادات التموينية والصحية إليهم، كما يمنع المسلم من العمل وكسب الرزق والتنقل^(٢).

عاشراً: التعذيب الجسدي.

يتعرض المسلمون في معتقلات المناطق المحتلة وسجونها لضغوط جسدية مفرطة، حيث التعذيب والأذى المستمر، والمعاملة السيئة، وفق أساليب منظمة، واستخدام بدرجة مبالغ فيها، ومن ذلك: الضرب المبرح، وتغطية الرأس والوجه بأكياس قذرة، والحرمان من النوم، والحبس في زنانات صغيرة مظلمة في حجم خزائن الثياب تسمى الزنازين، أما إذا كانت باردة فتسمى الثلجات، والصعق بالصدمات الكهربائية، والسحب على الأسلاك الشائكة، وتقييد الأرجل لفترات طويلة في كرسي صغير، والتعليق في وضع مقلوب، والحرق بالشمع المشتعل، وإطفاء السجائر في الأعين والآذان، ودق الخصى بأعقاب البنادق^(٣).

(١) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، أحداث العالم الإسلامي، ج ١ ص ٢٢ - ٢٣؛ وانظر ج ٢ ص ١٦٢ - ١٦٣، ١٧٠ ج ٣ ص ٢١٧ - ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٥؛ وانظر المركز العالمي، حاضر العالم الإسلامي، ص ٨٠؛ وانظر جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، ص ٢١.

(٢) انظر وكالة الأنباء الإسلامية، المرجع السابق، ج ١ ص ١٥، ٣٢؛ وانظر «...» وزير الإسكان الإسرائيلي: إغلاق الأراضي المحتلة قرار دائم»، جريدة الشرق الأوسط، ١٤١٣/١٢/٨ هـ، العدد ٥٢٩٦، ص ٣؛ وانظر «...» مجلس الوزراء الإسرائيلي يمدد الحصار العسكري على الضفة والقطاع»، المرجع نفسه، ١٤١٣/١١/١٢ هـ، العدد ٥٢٧٠، ص ٣.

(٣) انظر محمد الغزالي، كفاح دين، ص ٧١؛ وانظر تقرير منظمة العفو الدولية [١٩٩٣م]، =

وكان من نتاج ذلك إصابة كثير من أبناء المسلمين بالإعاقة البدنية، كبتير الأقدام، أو الموت من جراء التعذيب، فخلال الفترة [٩/٨ - ١٤١٣/١١/٩ هـ]، توفي [١٣٢] من أبناء كشمير المسلمة في حجوزات الشرطة الهندية^(١).

تلك هي أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها ويستخدمها الأعداء في فرض احتلالهم للمقدسات والأراضي الإسلامية، هذه الوسائل والأساليب تزداد فاعلية على فاعليتها، وترسخياً وتكريساً لواقعها، وتأثيراً وإيلاًماً لتتائجها، بفعل ما تحظى به من دعم معنوي ومادي عالمي من المؤسسات الدولية^(٢)، ودول العالم الكافر^(٣)، ذلك الدعم الذي يجعل المحتل يتحرك بكل حرية، بعيداً عن الضغوط وردود الأفعال المؤثرة، بل يجد المحتل، ويلمس المتابع لتلك الأعمال صدى محبباً إلى أنفس الداعمين، وتعبيراً صريحاً عن مكنون تخفيه تلك الأنفس الكافرة.

= ص ٦٢، ٣٢٩؛ [١٩٩٣م]، ص ٧١؛ [١٩٩٤م]، ص ٤٠٠؛ وانظر فداب، حركة تحرير أترتيا، ص ٣٦ - ٣٧.

(١) انظر تقرير منظمة العفو الدولية [١٩٩٤ م]، ص ٤٠٠ - ٤٠١.

(٢) انظر هندأوي، حدود سلطات مجلس الأمن، ص ١٨٣ - ١٩٢.

(٣) انظر «واشنطن استخدمته آخر مرة عام [١٩٩٠م] لمنع إدانة إسرائيل أيضاً، الفيتو الأمريكي الأول منذ انتهاء الحرب الباردة»، جريدة المدينة المنورة، ٢٠/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ١١٧٣١، ص ٣؛ وانظر حسن سندروسي، «مجلس الشيوخ الأميركي يصادق على مشروع نقل السفارة إلى القدس»، جريدة الحياة، ١/٦/١٤١٦ هـ، العدد ١١٩٣٤، ص ١، ٦؛ انظر «بعد ضمان التأييد الأمريكي، إسرائيل تعلن مصادرة المزيد من الأراضي العربية في الضفة»، جريدة المدينة المنورة، ٢٠/١٢/١٤١٥ هـ، العدد ١١٧٣١، ص ٣؛ وانظر «... فيتو أمريكي ضد قرار البناء الإسرائيلي بالقدس المحتلة...»، المرجع نفسه، ٣٠/١٠/١٤١٧ هـ، العدد ١٢٣٨٢، ص ٥.

المطلب الثاني

التقويم

الاحتلال أحد أعظم المصائب التي أصابت أمتنا الإسلامية في عصرنا الحاضر، ومصيبة المسلم لا تكون إلا بذنوب اقترفه، وتجاوز ارتكبه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(١).

ولا ذنب أكبر من تعطيل الجهاد، أو إغائه، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^(٢).

وتعطيل الجهاد يعني سيادة الكفر، ولأن الأشياء تقدر بقدرها، ومكانة الجهاد في الإسلام مكانة عالية، يقول ﷺ: ((رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ))^(٣).

فذنوب إعاقته ذنب عظيم، بعظم احتلال مقدسات إسلامية، يقول ﷺ: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ وَأَخَذْتُمْ أذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ، حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ))^(٤).

وتجاوز مصيبة الاحتلال لن يكون إلى بزوال سببها، يقول الله تعالى: ﴿... إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقْوَمُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾^(٥).

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٣) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ٨.

(٤) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، رقم الحديث: [٥١٤].

(٥) سورة الرعد، الآية ١١.

فلن تتجاوز الأمة واقعها عموماً، والاحتلال خصوصاً، إلا بتوبة، والتوبة تتمثل في إزالة عوائق الجهاد المتعددة^(١) أولاً، وإعلان الجهاد ثانياً. نعم إن زوال ذلك الاحتلال مرتبط ارتباطاً شرعياً برفع عوائق الجهاد، يقول الرسول ﷺ: ((... وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي))^(٢).

(١) والتي تبين جزء كبير منها في المباحث السابقة.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ٨٨.

المطلب الثالث

التطبيق العملي

عند الحديث عن الاحتلال ومظاهره، يتبادر إلى ذهن المسلم حقبة تاريخية مؤلمة وفريدة في تاريخ الأمة الإسلامية، كان أوجها ضحى الجمعة [٢٣/٨/٤٩٢ هـ]^(١)، ذلك اليوم الذي احتل فيه الصليبيون المسجد الأقصى الشريف، ومقدمتها عشرات السنوات السابقة لذلك اليوم، ومأساتها حقبة تاريخية عانت فيها الأمة ألواناً شتى من صنوف المآسي والمخاطر في مجالات متعددة، حتى الساعة الأخيرة من ضحى يوم الجمعة [٢٧/٧/٥٨٣ هـ]^(٢)، والتي شهدت نصراً أعز الله به الإسلام وأهله، وأذل به الكفر والكافرين.

هذه الحقبة تشبه إلى حد ما ما تعيشه أمتنا المعاصرة من مآسي بلغت ذروتها في احتلال أحد المقدسات الإسلامية، وما تبعها من جروح لا تزال تنزف دماً، وتبحث عن دواء ناجح.

إن الربط بين تلك الحقبة التاريخية وبين ما تعاصره أمتنا اليوم، لمن أنجح الأدوية التطبيقية التي توصف لعلاج أزمته المعاصرة^(٣).

لقد استشعر من أهمهم أمر الأمة، وآلمهم حالها بقساوة الداء، فعملوا سنوات طويلة في إعداد الدواء بهمة إيمانية عالية، ارتفعت غايتها، وسمت وسيلتها، تفاعل فيها العلماء مع الولاة، واشترك فيها العامة والخاصة، فهذا صلاح الدين يمرض ثم

(١) انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٨ ص ٤٩٢؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ١٥٦.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٣٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣١٦.

ينذر لئن شفاه الله من مرضه: (ليصرفن همته كلها إلى قتال الفرنج، ولا يقاتل بعد ذلك مسلماً، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس، ولو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه من الأموال والذخائر)^(١)، هذه المهمة الصادقة شملت مجالات الحياة المختلفة، الدينية والدينية، العلمية والتربوية، الأخلاقية والاجتماعية، السياسية والإدارية، الاقتصادية والعسكرية^(٢).

مما أسهم في إعداد الأمة إعداداً إسلامياً حقاً^(٣)، فصبغت مجالات الحياة عموماً بالحياة الإسلامية الصحيحة، وأُحييت الروح الجهادية في جميع ميادين الحياة، وجُعل الجهاد غاية أُعدت له جميع المقومات والدعائم وأُزيلت جميع عوائقه المعنوية والمادية.

-
- (١) وهي فترة تحتاج إلى مزيد دراسة تحقيقية تاريخياً، وفكرية تربط بين الحقتين دروساً وعبراً.
(٢) سبق بيان شواهد متعددة من ذلك في صفحات سابقة متفرقة.
(٣) انظر ماجد الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، الطبعة الثالثة، ص ٢١١ - ٢٦٦؛ وانظر عبد الله الغامدي، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن «عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود»، (جامعة أم القرى: سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية [٢٦])، ص ١٣ - ٧٢.

الختمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر والفضل والمنة له أن أعان ووفق لاتمام هذا العمل فـ: ﴿... لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ...﴾^(١)، وبعد:

فبعد هذه الرحلة الطيبة والمباركة إن شاء الله تعالى، وبعد أن عشنا تلك الوقفات مع موقف أمتنا الإسلامية من الجهاد، بواقعها المعنوي، والمادي، الرسمي والعامي، أقول:

هذا ما منّ الله به علي، وفق جهدي المقل، وبضاعتي القليلة فهماً وتحصيلاً، ولا بد هنا من الاعتراف بأن هذا العمل فوق طاقتي العلمية والإدراكية، فقد كنت أتمنى في أثناء الكتابة، وبعد الكتابة، وفي هذه اللحظة أن يكون صاحب هذا الموضوع في مستوى أهميته ومكانته، وما يجب له. وحسبي من كل ذلك أنني اجتهدت قدر استطاعتي، فسددت وقاربت وفق ما وفقت إليه، مدركاً أن الكمال لوجه الله سبحانه وتعالى، والنقص والقصور صفة لازمة لبني البشر.

أما أبرز النتائج التي خلصت إليها فهي نتائج عامة منها:

أ: أن هذه الرسالة ليست نهاية عمل، ولا توقف عطاء، وإنما هي خطوة أولى في بداية طريق طويل وشاق، يحتاج إلى زاد وصبر جميل، فالله المستعان والمعين.

ب: تضمنت مباحث الرسالة موضوعات تحتاج إلى وقفات دراسية خاصة بها، حريٌّ بطلبة العلم وموجهيه العناية بها، دراسة وبحثاً، إرشاداً لها ودلالة عليها.

(١) سورة القصص، الآية ٧٠.

أما النتائج المتعلقة بالمعوقات، فهي كالتالي:

١ - أن الأمة الإسلامية مصابة في عقيدتها بخلل، يظهر جلياً في جانبين:

جانبٌ فرقتها إلى فرق متناحرة، يكفر بعضها بعضاً، في القديم والحديث، وتشكل بعض تلك الفرق عوائق كبرى في طريق الجهاد، بل هي فريقين: فريق يسعى للقضاء على الجهاد وتعطيله نهائياً، وفريق يعمل على إماتة الجهاد في القلوب، والانحراف به عن معانيه الصحيحة. وكلا الفريقين عانى منه الجهاد على مر العصور السالفة والحاضرة.

وجانبٌ أصاب العقيدة في النفوس بخلل أفقدها فاعليتها، فعانت الأمة من سيادة البدع والخرافات التي يجب أن ينطلق المسلم مجاهداً لإزالتها.

وعانت من ضعفٍ في مفهوم الولاء والبراء، ذلك المفهوم الدافع للجهاد نصرته للمستضعفين، وحماية الدعوة إلى الدين من كيد الكائدين.

٢ - أقعد أمتنا عن الجهاد ضعف روحي مهلك، فقد أصبحت أمتنا أمة دنيوية، تتعلق بالدنيا حباً لها وتتعلق بوسائلها معتبرة إياها وسائل للرفي الحضاري، والنصر القتالي، ووسيلة للسعادة الدنيوية معرضة في كل ذلك عن جميع الأسباب الإلهية والوسائل الربانية، وهذا ما جعل الأمة تزداد ضعفاً على ضعفها، حبيسة صلتها وتعاملها مع تلك الأسباب الدنيوية، والوسائل المادية.

٣ - النفس المسلمة في جميع المجالات الحياتية تمر بمرحلة فقدان ذات، فشخصيتها مهتزة، وتوجهاتها مترددة، ومواقفها غير واضحة؛ لأنها تنظر إلى من يجب جهادهم نظرة إعجاب وانبهار، لا نظر من يُعد العدة للجهاد، كل ذلك جعل الأمة في مكانها دون حراك، بل قد وصل الحال ببعض أفرادها إلى مرحلة يأس من تغيير الحال، وقنوط من تحقيق الآمال.

٤ - فكرياً، تعاني الأمة من أمرين:

- ضغط الفكر الكافر الوافد، بوسائله القريبة للنفوس البشرية، وأساليبه التي زينها شياطين الإنس والجن.

- ضعف الفكر المقاوم لدى أفراد الأمة.

فكانت النتيجة تردداً وتذبذباً فكرياً، يصل أحياناً إلى انحراف فكري، فكان أن

عانت الأمة من أبنائها، وكادت أن تُمسخ شخصيتها من أعدائها.

٥ - ظهر لنا بجلاء، أن أغلب أفراد الأمة قد انساقوا خلف ملذاتهم المعنوية، والحسية، ومتجاوزين في ذلك الحد الشرعي، الأمر الذي أظهر الترف الفكري، والنفسي، والبدني، وشاعت أسباب ذلك الترف بين طائفة كبيرة من أفراد الأمة على المستويات كافة، الرسمية والخاصة، العلمية والعامية، حملوا سمات المترفين، فقعدوا عن العمل فضلاً عن الجهاد، وتمادوا في الباطل فضلاً عن إظهار الحق، وآثروا الراحة على بذل الطاقة والإشفاق، وكان من نتاج ذلك أن ظهرت آثار الترف بين أفراد الأمة عموماً فضعف الجميع عن العمل الجاد، ووقعوا في الباطل بتماد، واختل توازن المجتمع وحاد، فانشغلت بهم الأمة عن تدبير الأمر ليوم المعاد، فكان أن عم البلاء وطم الفساد، وسارت الأمة في تيار ضد متطلبات الجهاد.

٦ - تبين لنا في مطلب التفكك الاجتماعي تفتت المجتمع وتقطع أوصاله، حيث تباعد أعضاؤه فانشلت أجزاءه بدءاً من البيت حيث الأسرة الواحدة التي تفكك أعضاؤها، وانتهأً ببقية أفراد الأمة في أجزاءها المتباعدة، حيث ظهر التنافر والتقاطع بين الجميع، وسيطرت على المجتمع مفاهيم اجتماعية خاطئة، أسهمت في تباعد الأحاسيس والمشاعر بين أفراد المجتمع، وبالتالي انحرف المجتمع عن القيام بواجبه الإعدادي للجهاد والمواجهة.

٧ - تبين أن الأمة قد فقدت قوة فاعلة بفقدانها للوحدة الإسلامية، حيث تفرقتها إلى فرق فكرية واجتماعية وسياسية متفاوتة في الاستعداد والتوجه، والعمل والتطلع، وأن أسباب ذلك التفرق قد تغلغلت بين أفراد الأمة، ورُسِّخت بفعل دواعيها في النفس البشرية، وما يحيطه بها أنصار التفرق من دعاوي ومضلات، فكان أن عمق الجرح من جرائها، وعانت الأمة من ويلاتها. فتناحر أفراد الأمة وساد بينهم الشقاق والتنازع، ونُزعت الهيبة من صدورهم، فوجه لهم العدو حرابه من كل حذب وصوب. وجاهدتهم العدو بدلاً من أن يجاهدوه، جاهدتهم في أنفسهم وشقاقهم فيما بينهم، مما أسهم في التباس الحق على أهل الحق، حتى علا الباطل وساد، وتعطل من جراء ذلك الجهاد.

٨ - اتضح أن الأمة قد أصيبت في مقاتلتها، بفعل فساد خلقي عمّ وطم جل أهلها، فظهرت الدعوات الصريحة للفساد الخلقي، عبر وسائل مختلفة، وأساليب متعددة، دخلت كل بيت، وطرقت كل أذن صاحب ذلك رعاية ودعم، فظهرت

النتيجة في سلوكيات متعددة، ومظاهر مختلفة، منها التصور والتصرف، ومنها الظاهر والباطن، حتى ظهرت الأمة للأمم الأخرى متناقضة المبادئ والسلوك.

٩ - ظهر لنا واقع الأمة السياسي بجلاء، حيث فرض سيادة الفكر السياسي الوضعي، والنأي بالفكر السياسي الإسلامي عن معترك الحياة العملية والعلمية. فحكمت الأنظمة الوضعية أغلب البلاد الإسلامية، وفرض الفكر السياسي الوضعي سلطانه على الشريعة الإسلامية عموماً، حيث يحكمها ولا تحكمه، يُناقشها ولا تناقشها، يعارضها ولا تعارضها، فكانت النتيجة تخلي الأمة عن مقوماتها الشرعية، وسيادتها الداخلية، بالسير في تبعية سياسية للأمم الأخرى، تسير في فلکها، وتحت نظرها.

ونتيجة أخرى أسهمت في كثير من التوترات في عالمنا الإسلامي، بين الحاكم والمحكوم من جهة وبين الحكومات بعضها مع بعض من جهة أخرى.

١٠ - من أقوال الأعداء، ومواقفهم الصريحة، تبين أن للأعداء جهود متواصلة، ومحاولات ناجحة في سبيل إبقاء يد لهم داخل المجتمع الإسلامي نافذة، تعمل بعيداً عن الأعين والرسميات، وتتحكم في الغايات والتوجهات، فتحكم القبضة، وتدير الإمرة والنهي.

كما تبين أن للتعامل السياسي مع البلاد الإسلامية وجه معلن وآخر خفي، فالوجه المعلن لا يتجاوز أن يكون شعارات جوفاء؛ لإيقاع الخصوم، وإيهام العوام، ووسيلة إلى الهدف الأساس في إحكام النفوذ.

أما الوجه الخفي، فيتمثل في أن تعاملهم السياسي مع البلاد الإسلامية لا يلتزم بمبدأ، ولا تحكمه غاية يمتطي سهوة كل وسيلة، ويعمل على تحقيق المصلحة، موقداً لأجلها كل فتيلة مهلكة، وموقفاً في سبيلها أقرب العملاء، وأصدق الأصدقاء، فضلاً عن المناوئين والخصماء.

١١ - بعد وقفات مع النظام العالمي الجديد، تبين أن الأعداء يعملون على مساندة العصر في ترتيب النظام العالمي، وتجديد لإحكام القبضة على البلاد الإسلامية بما يناسب العصر، وأن توجهاته ولمحاته تقول بأن الأعداء يُطلون اليوم بوجه استعماري خفي، يحكم العالم الإسلامي، ويحكم السيطرة عليه، فلا حراك إلا بإشارتهم، ولا عمل إلا في دائرتهم، تدرج أو تُدرج، تُسائر أو تُدأبر.

كما تبين أن دور العالم الإسلامي في هذا النظام لا يتجاوز أن يكون هدفاً رئيساً للنظام، وكأن النظام موجه له، مما يجعله امتداد لتلك التحزبات الشيطانية ضد الإسلام والمسلمين.

١٢ - تملك الأمة الإسلامية خزائن وثروات وافرة، منها بشرية تنمو بصورة عالية، ذات تخصصات نادرة، ومجالات متفاوتة. ومنها ثروات مالية ذات وفرة وارفه، وخزائن في باطن الأرض مكنونة، وفي ظاهرها مبثوثة، ومواقع استراتيجية برية وبحرية مميزة عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، مما يعني أن الأمة من أغنى أمم الأرض قاطبة.

هذه الثروات تتعامل معها الأمة بوسائل تهدرها، وأساليب تبذرها، سواء من حيث الاستخراج والعناية، أو التوجيه والتنمية، أو الإنفاق. ذلك التعامل سبب رئيس في المعاناة المادية للأمة، وجعلها من أقل دول العالم المعاصر نمواً.

١٣ - تبين أن الأعداء قد أحكموا قبضتهم على الاقتصاد العالمي، تنظيمياً إدارياً، وعملاً ميدانياً وتسويقاً تجارياً، وأنهم قد استغلوا ذلك في التدخل في شؤون الدول الإسلامية، فسخروا المجال الاقتصادي لتحقيق غاياتهم الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية داخل البلاد الإسلامية، أحكموا تلك الهيمنة، فحكموا، واستغلوها حتى وصلوا للكثير من غاياتهم.

١٤ - تعاني الأمة من تخلف صناعي مؤلم، في جميع المجالات الصناعية، فإذا كانت الأمة قد أمرت بإعداد القوة المرهبة للأعداء، فأمة اليوم لم تُعد لنفسها الغذاء، والكساء، بل لم تعتمد على نفسها في شيء من ذلك، فضلاً عن إعداد قوة ترهب بها عدواً.

١٥ - في مجال التدريب العسكري تبين أن التدريب في عالمنا الإسلامي يعاني من خلل كبير، أفقده الفاعلية، وألبسه الظاهرية؛ لأنه تدريب بدني في معزل عن التدريب الروحي والنفسي، مما جعل المتدرب جسداً دون روح، يتحرك آلياً دون تمعن أو نظر. وظهرت الازدواجية في أساليب التدريب ووسائله. كما ظهرت العشوائية في التخطيط والتنفيذ.

١٦ - للأعداء قوة ظاهرة للعيان، ليست بحاجة إلى سرد وبيان، لكن الأهم فيها ما تبين من سعي حثيث من قبل الأعداء؛ لأجل تطوير تلك القوة، وتخصيصها

بمبالغ كبيرة جداً، وتعاونهم في سبيل ذلك، مما جعل تلك القوة تزداد قوة على قوتها، وفاعلية على فاعليتها. مع ضوابط عديدة يُكرس بها الأعداء جهودهم في حجب تلك القوة عن الوصول إلى المسلمين، والحفاظ على جميع أسرارها الفنية.

١٧ - تبين أن التدخل العسكري من قبل الأعداء في شؤون عالمنا الإسلامي، يتم حسب متطلبات الموقف، فهناك تدخل تحت شعار القانون الدولي، ومظلة الشرعية الدولية. وهناك تدخل فردي مباشر وسافر.

وفي جميع أشكال هذا التدخل يجد المتدخل من الآخرين دعماً معنوياً، وسياسياً، ومادياً، وإعلامياً.

١٨ - من أبرز نتائج مظاهر الاحتلال المعاصر، أنه استجابة لمطلب العالم الكافر، بفعل ذلك الدعم المعنوي والمادي الذي تجده تلك المظاهر من أغلب دول العالم الكافر، وأن لأولئك المحتلين وسائل وأساليب لترسيخ ذلك الاحتلال، وطمس الهوية والمعالم الإسلامية، تتم وفق تنسيق وتفاهم؛ لتكون أكثر فاعلية وتكريساً للكفر وأهله.

ختاماً أحمد الله سبحانه وتعالى الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على رسول الهدى والبيان صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس العامة

- أولاً : الآيات القرآنية الكريمة.
- ثانياً: الأحاديث النبوية الشريفة.
- ثالثاً: الأبيات الشعرية.
- رابعاً: الأعلام.
- خامساً: المصادر والمراجع.
- سادساً: الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	الصفحة	السورة
سورة البقرة		
٢	١٣٤	﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَارِيبٍ فِيهِ... ﴾
٣	١٣٤	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ... ﴾
٩	٤١	﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾
١١	٤٣	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا... ﴾
١٢	٤٣	﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ... ﴾
١٤	٤٢، ٤٠	﴿ وَإِذْ قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا... ﴾
٢٦	٣٤٧	﴿ ... وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ... ﴾
٢٧	٣٤٨، ٣٤٧	﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ... ﴾
٣٠	٦٤٣، ١٦٥، ١٦٤	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ... ﴾
٣٤	١٢٠	﴿ ... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى... ﴾
٣٦	١٨٩	﴿ ... وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ... ﴾
٤٩	٤٧٤	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ... ﴾
٨٥	٥٧٨، ١٣٠	﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتٰبِ... ﴾
٨٧	١٣٩	﴿ ... أَفَكَلِمًا جَاءَكُمْ رَسُولٌ... ﴾
١٠٥	٧١٤، ٦٢٠، ٥٤٠، ٢٠٣	﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾
١٠٩	١٣٩	﴿ وَذَكَرْتُ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ... ﴾
١٢٠	٥٤٠، ٢٠٤، ١٩٣، ٨٦	﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ... ﴾
١٣٦	٣٦٣	﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا... ﴾

الصفحة	الآية	السورة
٣٢٧	١٣٧	﴿ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آتَيْنَهُمْ بِهِ... ﴾
٢٨٦	١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... ﴾
١٩٨، ١٢٠	١٤٦	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ... ﴾
٧٥٦	١٤٨	﴿ ... فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ... ﴾
١٦٤	١٥٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ... ﴾
٦٦٩، ١٦٢	١٥٥	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ... ﴾
٤٣٤	١٥٥	﴿ ... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ... ﴾
٤٣٤	١٥٦	﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ... ﴾
٦٦٤	١٥٨	﴿ ... وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ... ﴾
٣١٠، ٣٧، ٣٢	١٥٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا... ﴾
٣٧، ٣٢	١٦٠	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا... ﴾
٣٣	١٦٨	﴿ ... وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ... ﴾
٣٣	١٦٩	﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ... ﴾
٢٨٤، ١٣٩، ٧٧	١٧٠	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ... ﴾
٣٥٨	١٧٦	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ... ﴾
٧١٦، ٧١٥	١٧٧	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ... ﴾
٤٣٩	١٧٩	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ... ﴾
٥٨	١٨٠	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ... ﴾
٥١	١٨٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ... ﴾
٦٥٥، ٦٤٩	١٨٥	﴿ ... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ... ﴾
٣٢٠	٨١	﴿ ... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ... ﴾
١٥٣	١٨٨	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمُ... ﴾
٥٧٨، ٣١٠، ٦٩	١٩٠	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾
٦٩	١٩٠	﴿ ... إِنَّكَ لِلَّهِ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ... ﴾
٦٩	١٩١	﴿ ... وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَفْتُمُوهُمْ... ﴾
٨٥، ٦٩	١٩١	﴿ ... وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ... ﴾

الآية	الصفحة	السورة
١٩٢	٦٩	﴿ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ . . . ﴾
١٩٣	٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٩٠٠	﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ . . . ﴾
١٩٣	٦٩	﴿ . . . فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ . . . ﴾
١٩٤	٦٩	﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ . . . ﴾
١٩٤	٦٩	﴿ . . . فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ . . . ﴾
١٩٥	٥٥ ، ١٦٨ ، ٣٥٧ ، ٦٤٨	﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . . ﴾
٢٠٤	٣٩ ، ٤٠	﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ . . . ﴾
٢٠٥	٤٠ ، ٤٤٤	﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ . . . ﴾
٢٠٦	٢٧٥	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ . . . ﴾
٢١٣	٨٠	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً . . . ﴾
٢١٤	٨٣ ، ١٦٣ ، ٢٦٣ ، ٢٨٢	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ . . . ﴾
	٧٧٠ ، ٧٥٤	
٢١٥	٣٠٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ . . . ﴾
٢١٦	٢٧ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨	﴿ . . . كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ . . . ﴾
٢١٦	٣٢١	﴿ . . . وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا . . . ﴾
٢١٧	٨٦ ، ٨٥٥	﴿ . . . وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى . . . ﴾
٢١٧	٤٧	﴿ . . . وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ . . . ﴾
٢٢٢	٢٨٨	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ . . . ﴾
٢٢٢	٢٨٨	﴿ . . . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ . . . ﴾
٢٢٨	٣٠١	﴿ . . . وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ . . . ﴾
٢٢٩	٣٦٥	﴿ . . . تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ . . . ﴾
٢٣٠	٧٥٩	﴿ . . . وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا . . . ﴾
٢٣٣	٦٥٨	﴿ . . . وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ . . . ﴾
٢٤٥	٦٦٨	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ . . . ﴾
٢٤٧	٦٥٤	﴿ . . . إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ . . . ﴾
٢٤٩	٨٥٠ ، ٨٥١	﴿ . . . كُمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ . . . ﴾

الآية	الصفحة	السورة
٢٥١	٣٢، ٣١٨	﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ...﴾
٢٥٣	٣١٩	﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ...﴾
٢٥٦	٥٣٠	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ...﴾
٢٥٧	٧٤، ٣٩٤، ٣٩٥	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم...﴾
٢٦٤	٦٦٤، ٦٦٥	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلَوْنَ...﴾
٢٦٧	٦٦٥	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا...﴾
٢٦٨	٣٤، ١٥٠	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ...﴾
٢٧٢	٤٣٤	﴿... وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ...﴾
٢٧٣	١١٦، ٦٦٠	﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا...﴾
٢٧٥	٧١١	﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ...﴾
٢٨٢	٦٦٧	﴿... فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ...﴾
٢٨٦	٧٣، ٢٨٦، ٣٠٨، ٧٧١	﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا...﴾

سورة آل عمران

٧	١٣٨، ١٣٩	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾
٩	١٦٦	﴿... إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الِيمَكَادَ...﴾
١٤	٢٦٥، ٦٤٢	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ...﴾
١٩	٣٣٥	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾
١٩	١٣٩	﴿... وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا...﴾
٢٦	٤٧٥	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ...﴾
٢٨	٥٣٨	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ...﴾
٧٣	٥٤٠	﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ...﴾
١٠٠	١٨٢، ١٨٣، ٣٥١	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِنُطِيعُوا...﴾
١٠١	٣٥١	﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى...﴾
١٠٣	٤٥	﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا...﴾
١١٠	٣٣، ٣٥، ١٣٠، ٤٣٠، ٧١٥	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾

الآية	الصفحة	السورة
١١٨	١٣٢ ، ١٦٢ ، ٥٣٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا... ﴾
١٢٥	١٦٤	﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا... ﴾
١٣٤	٤٣٣	﴿ ... وَالْكُظُمِينَ الْغَاطِطِينَ... ﴾
١٣٥	٤٣٧	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً... ﴾
١٣٩	١٦٥ ، ١٨٢ ، ٢٨٦	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا... ﴾
١٤٠	١٦٣ ، ٢٨٥	﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرَجٌ... ﴾
١٤١	٨٥	﴿ وَلِيَمِخَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾
١٤٥	٤٣٥	﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ... ﴾
١٤٦	١٤٩	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ... ﴾
١٥٩	٤٨٤	﴿ ... وَسَاءَ وَرَثَهُمْ فِي الْأُمَمِ... ﴾
١٥٩	١٤٩ ، ٧٥٤	﴿ ... فَأِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ... ﴾
١٦٩	١٦٦	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا... ﴾
١٧٣	١٨٧	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ... ﴾
١٨٦	٦٦٩	﴿ لَتَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ... ﴾
١٩٠	٢٨٤	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ... ﴾
١٩١	١٦١ ، ٢٨٤	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ... ﴾

سورة النساء

١	٣٠٤ ، ٤٨١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ... ﴾
٣	٣٠٠	﴿ ... فَأَنكِحُوا مَا طَابَ... ﴾
٥	٦٤٢ ، ٦٤٧ ، ٦٦٧	﴿ وَلَا تَوَثُّوا السَّهْمَةَ أَمْوَالِكُمْ... ﴾
١٩	٣٠١	﴿ ... وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ... ﴾
٢٩	٤٤٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾
٣٤	٣٠١	﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ... ﴾
٣٦	٣٠٤	﴿ ... وَأَعْبُدُوا اللَّهَ... ﴾
٣٨	٤٢٨	﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... ﴾

الآية	الصفحة	السورة
٤٥	٢٠٣	﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ... ﴾
٥٨	٤٨١، ٤٣٥، ٤٣٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ... ﴾
٥٩	٤٨٣، ٤٨٢، ٤٨١، ٣٦٩	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا... ﴾
٥٩	٣٧٨، ٣١٨	﴿... فَإِن نَنزَعْنَهُم فِي شَيْءٍ... ﴾
٦٠	٥٧٨، ٤٨٧، ١٣٢، ٤١	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ... ﴾
٦١	٤١	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى... ﴾
٦٥	٤٧٤	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ... ﴾
٦٩	١٦٦	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ... ﴾
٧١	٧٩٨، ٧٩٧، ٧٩٦، ١٦٧	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ... ﴾
	٨١١	
٧٢	٤٤١	﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطِئُ... ﴾
٧٣	٤٤١	﴿ وَلَئِن أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ... ﴾
٧٥	٣٠٩، ٧٥	﴿ وَمَالِكُمْ لَا تُقْبَلُونَ... ﴾
٧٦	٤٦	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْبَلُونَ... ﴾
٧٧	٦٧	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ... ﴾
٧٧	٦٧	﴿... رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا... ﴾
٧٨	١٦٥	﴿ أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكِكُمْ... ﴾
٨٣	٣٧٠، ١٨٥	﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ... ﴾
٩٣	٨٧٤	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا... ﴾
٩٥	٩٥، ٩٤، ٥٦، ٤٩	﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ... ﴾
١٠٠	١٨٢	﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾
١٠١	٢٠٣	﴿... إِنَّ الْكٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ... ﴾
١٠٣	٣٦٤	﴿... إِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى... ﴾
١٠٤	١٨٨	﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي آتِيَاءِ الْقَوْمِ... ﴾
١١٥	٣٥٨، ١٣٧	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ... ﴾
١١٦	٤٧	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ... ﴾

الآية	الصفحة	السورة
١١٩	٣٥	﴿... وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا...﴾
١٢٩	٣٠١	﴿وَلَنْ نَسْتَبِيْعُوا أَنْ تَمْدُلُوْا...﴾
١٣٦	٩٤	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ...﴾
١٣٨	٤٤	﴿بَشِّرِ الْمُنْفِقِينَ...﴾
١٣٩	٤٤	﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ...﴾
١٤٠	١٤٠، ٤٤	﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ...﴾
١٤١	٥٧٨	﴿... وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ...﴾
١٤٢	٤٣	﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِّعُونَ...﴾
١٤٢	١٤٩	﴿... يَرَاءُونَ النَّاسَ...﴾
١٤٣	٤٣	﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ...﴾
١٤٥	٤٥	﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ...﴾
١٤٦	٤٥	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا...﴾
١٥٠	٩٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ...﴾
١٦٥	٧٩	﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾

سورة المائدة

٢	٥٠، ٣٠٦، ٣٠٩، ٤٤٢،	﴿... وَتَمَاوَنُوا عَلَى الْإِبْرِ وَالْتَفَتُوا...﴾
٣	٧١٦	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ...﴾
٦	٦٥٤	﴿... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ...﴾
٨	٤٤٢	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفَرًا...﴾
١٤	٤٨٢، ٤٣٤، ٣٧٩، ٨١	﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِبْهُ أَحَدَانَا...﴾
١٥	٣٦٥	﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ...﴾
١٥	٨١	﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ...﴾
١٦	٧٤	﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ...﴾
٤٢	٨٢، ٨١، ٧٤	﴿... فَإِنْ جَاءَكَ فَآحْكُمْ بَيْنَهُمْ...﴾

الآية	الصفحة	السورة
٤٤	٤٧٨، ٤٨	﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾
٤٥	٤٧٨	﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
٤٧	٤٧٩	﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾
٤٨	٩٨	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا...﴾
٤٩	٤٧٧، ٤٧٨	﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾
٤٩	٥٤٠	﴿... وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ...﴾
٥١	١٦١، ٥٣٩	﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا...﴾
٥١	٤٨	﴿... وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ...﴾
٥٤	١٨٢	﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ...﴾
٧٨	٣٠٨	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾
٧٩	٤٣٨	﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾
٨٩	٦٦٤	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ...﴾
١٠١	٣٤٤	﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ...﴾
١٠١	٣٢١	﴿... لَا تَسْتَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ...﴾

سورة الأنعام

٦	١٥٦	﴿... فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ...﴾
٣٨	٤٤٣، ٤٧٤	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ...﴾
٣٨	٧٦٥، ٧٤٩، ٧٦٦	﴿... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾
٥٢	٣٨٣	﴿... يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾
٦٥	٣٥٦	﴿قُلْ هُوَ الْفَارِدُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ...﴾
٦٥	٤٨٥	﴿... أَوْ يَلِيَسَّكُمْ شَيْعًا...﴾
٩٣	٤٩٥	﴿... وَالْمَلٰئِكَةُ بَاسِطُوْا اَيْدِيَهُمْ...﴾

الصفحة	الآية	السورة
٨٠٥	٩٧	﴿... فَذُفِّعْنَا لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ...﴾
٨٠٥	٩٨	﴿... فَذُفِّعْنَا لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ...﴾
٨٣	١١٢	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا...﴾
١٤٦	١٢٢	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ...﴾
٣١٥	١٤١	﴿... وَالنَّحْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ...﴾
١٠٠	١٤٨	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾
٣٦٥، ١٣٥	١٥٣	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾
٣٦٨، ٣٦٧، ٣٤٣، ٣٢٤	١٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَّوْا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا...﴾
٣٩٥، ١٦١، ١٤٨، ١٣١	١٦٢	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي...﴾
٤٧٤		

سورة الأعراف

٥٧٨، ٣٣	١٦	﴿قَالَ فِيمَا آغْتَبَيْتَنِي لِأَلْعَدَنَ لَهُمْ...﴾
٥٧٨، ١٨٩، ٣٣	١٧	﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ...﴾
٢٨٧	٣١	﴿يَذْبُقِي عَادَ حُدُودَ رَبِّنَا عِنْدَ...﴾
٦٥٤، ٢٨٧، ٨١	٣١	﴿... وَكَلُوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...﴾
٦٥٤، ٢٨٧	٣٢	﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ...﴾
٤٨٩	٥٤	﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾
٣٩٠	٥٨	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ...﴾
٦٦٣، ١٥٧	٩٦	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا...﴾
٨٥١	١٣٣	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ...﴾
٨٠٧، ٢٨٨	١٥٧	﴿... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ...﴾
٨١	١٥٨	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ...﴾
٣٤	١٧٥	﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا...﴾
٣٤	١٧٦	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا...﴾
٢٨٤	١٧٩	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ...﴾

الآية	الصفحة	السورة
١٨٠	٩٧	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ . . . ﴾
١٩٦	١٨١	﴿ إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ . . . ﴾
١٩٩	٤٣٠ ، ٤٣٢	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ . . . ﴾
٢٠٠	٣٨٩	﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ . . . ﴾
٢٠١	٣٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ . . . ﴾
٢٠٦	٩٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ . . . ﴾

سورة الأنفال

٩	٩٦	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ . . . ﴾
١٥	٦١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ . . . ﴾
١٦	٥٨١ ، ٦١	﴿ وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ . . . ﴾
١٧	٨٠٧ ، ٨٠٨	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ . . . ﴾
٢٥	٤٣٨	﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا . . . ﴾
٢٧	٧٦١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ . . . ﴾
٣٠	٨٤ ، ٨٤٩	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . ﴾
٣٦	٦٦٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ . . . ﴾
٤٦	٤٥ ، ٣٥٥	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا . . . ﴾
٤٧	١٥٤	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا . . . ﴾
٤٨	١٥٤	﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ . . . ﴾
٥٨	٥٨٦	﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ . . . ﴾
٦٠	١٦٧ ، ١٨٣ ، ٦٤٩ ، ٦٧٠ ، ٧٥٨ ، ٨١٠ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨٤٧	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . . . ﴾
٦١	٥٧٩ ، ٥٨٢	﴿ وَإِنْ جَحَّوْا لِلسَّلَامِ . . . ﴾
٦٢	٥٧٩ ، ٥٨٢	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ . . . ﴾
٧٢	٣٦٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا . . . ﴾

الصفحة	الآية	السورة
٢٠١	٧٣	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ... ﴾

سورة التوبة

٥٨٦	٤	﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ... ﴾
٥٨٦	٤	﴿ ... فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ... ﴾
٧٣، ٧٢، ٧٠، ٦٩	٥	﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ... ﴾
٧٠	٥	﴿ ... فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ... ﴾
٥٣٤، ٥٣٣	٦	﴿ وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ... ﴾
٥٨٥	٧	﴿ ... فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا... ﴾
٨٨٥، ٥٤٤، ١٦٢	٨	﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ... ﴾
٤٨	١٢	﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ... ﴾
٦٧٠	٢٠	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا... ﴾
١٨٣	٢٥	﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ... ﴾
١٥٣	٢٥	﴿ ... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ... ﴾
١٨٣	٢٦	﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ... ﴾
٥٣٢، ٥٢٨، ٧٠	٢٩	﴿ قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾
٨٧٣	٣٢	﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ... ﴾
٦٦٣، ٦٥١	٣٤	﴿ .. وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ... ﴾
٧٤٨	٣٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالًا كَثِيرًا... ﴾
٨٤٨	٤٠	﴿ إِلَّا لَنَنْصُرَهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ... ﴾
٨٠٢، ٦٠، ٥٧، ٥٦، ٤٩	٤١	﴿ أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا... ﴾
٤٢	٤٤	﴿ لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾
٤٢	٤٥	﴿ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾
٧٥٣	٤٦	﴿ ... وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً... ﴾
٥٤٠، ٤٢	٤٧	﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا... ﴾
٤٣	٥٠	﴿ إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسُئِّرْهُمْ... ﴾

الصفحة	الآية	السورة
١٨٥	٥١	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا... ﴾
٥٨١	٥٢	﴿ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا... ﴾
٦٦٦، ١٤٩	٥٥	﴿ فَلَا تَعِجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ... ﴾
٦٦٨، ٦٦٤	٦٠	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ... ﴾
٤٨	٦٥	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ... ﴾
٤٨	٦٦	﴿ لَا تَعْتَدِرُوا قَدِّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ... ﴾
٤٢	٦٧	﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ... ﴾
٣٠٦	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ... ﴾
٥٠، ٤٥، ٤٤	٧٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنْفِقِينَ... ﴾
٦٦٨، ٤٣	٧٥	﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ... ﴾
٦٦٨، ٤٣	٧٦	﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا... ﴾
٦٦٨، ٤٣	٧٧	﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ... ﴾
١٨٤، ٤٢	٧٩	﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ... ﴾
٢١	٧٩	﴿ ... وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ... ﴾
٤٤	٨٣	﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ... ﴾
٧٩٩، ٧٩٨، ٦٤	٩١	﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى... ﴾
٦٤	٩٢	﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ... ﴾
٢٦٦	٩٣	﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ... ﴾
٨٧٤	٩٨	﴿ وَبِالْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذْ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا... ﴾
٦٥٧	١٠٥	﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ... ﴾
٤٣	١٠٧	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا... ﴾
٤١	١٠٧	﴿ ... وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ... ﴾
٥٦، ٣٩	١٢٢	﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً... ﴾
٤٣٨	١٢٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ... ﴾

سورة يونس

٤٣٩	٢٦	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُسْتَوْزِيَادَةً... ﴾
-----	----	--

الآية	الصفحة	السورة
٢٧	٤٣٩	﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ . . . ﴾
٦٧	٧٥١	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ . . . ﴾
٩٠	٧٩ ، ٧٨	﴿ . . . حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ . . . ﴾
٩٢	١٤٩	﴿ . . . وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا . . . ﴾
٩٤	٧٥٧	﴿ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا . . . ﴾
١٠١	٧٥٩	﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ . . . ﴾

سورة هود

٦	١٦٧ ، ١٦٦	﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾
٧	١٦٢	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾
٣٧	٧٥٨	﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا . . . ﴾
٣٨	٨٤٨ ، ٧٤٩	﴿ وَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ . . . ﴾
٤٢	٨٤٩	﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ . . . ﴾
٦١	٦٤٤	﴿ . . . هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ . . . ﴾
		﴿ وَيَقَوْمُ اقْبُرُوا إِلَيْكُمْ يَوْمَ الْبُرُوجِ . . . ﴾
٨٥	٦٦٢	﴿ بِالْقِسْطِ . . . ﴾
٨٨	٣١٦	﴿ . . . وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ . . . ﴾
٨٩	٨٢	﴿ وَيَقَوْمُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ . . . ﴾
٩٠	٨٣ ، ٨٢	﴿ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُغْفِرُ لَكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ . . . ﴾
٩١	٨٣	﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ . . . ﴾
١١٣	٥٣٨ ، ١٦٢	﴿ وَلَا تَزْكُومُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا . . . ﴾
١١٦	٢٧٩	﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ . . . ﴾
١١٦	٢٧٥ ، ٢٦٥	﴿ . . . وَأَتَّبِعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ . . . ﴾
١١٨	٣٢٣ ، ٣١٩	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً . . . ﴾
١١٩	٣٢٣ ، ٣١٩	﴿ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ . . . ﴾

سورة يوسف

٤٧٥	٤٠	﴿... إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ...﴾
٦٥٦، ٢٨٥، ٣١	٥٣	﴿... إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ...﴾
١٨٣	٨٧	﴿... وَلَا تَأْتِسُ سُوَا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ...﴾
١٨٧	٨٧	﴿... إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ...﴾
٨٤٧	١٠٣	﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ...﴾

سورة الرعد

٨٠٥	٣	﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ...﴾
٨٠٥	٤	﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ...﴾
٩٠٠	١١	﴿... إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا...﴾
٤٩٥	١٤	﴿... كَبَسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ...﴾
٦٤٩	٢٦	﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾
٦٥٦، ٢٨٥، ٨٢	٢٨	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ...﴾

سورة إبراهيم

٣٧	١١	﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ...﴾ ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا﴾
٣٧	١٢	﴿سُبُلَنَا...﴾
٣٨، ٣٧	١٣	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ...﴾
٣٨	١٤	﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾
٥٠	٢٤	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً...﴾
٥٠	٢٥	﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾
٦٤٥	٣٣	﴿وَسَحَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ...﴾
٧٧	٣٤	﴿... إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ...﴾

السورة
سورة الحجر
الآية
الصفحة

٢٧٤	٣	﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ... ﴾
٨٣	٦	﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ... ﴾
٦٤٣	١٩	﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِي... ﴾
٦٤٣	٢٠	﴿ وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشَ... ﴾
٦٤٣	٢١	﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ... ﴾
٤٣١	٨٨	﴿ ... وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
٦٤٩	٩٢	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَنفِثَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾
٦٤٩	٩٣	﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
٦٦	٩٤	﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تَأْمُرُ... ﴾

سورة النحل

١٤٦	٢	﴿ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ... ﴾
٦٤٦	٥	﴿ وَاللَّاتِغَمَّ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ... ﴾
٦٤٦	٦	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ... ﴾
٦٤٦	٧	﴿ وَتَحْمِلُ أُنْفُسَ كُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ... ﴾
٦٤٦	٨	﴿ وَالْحَيْلُ وَالْإِعَالُ وَالْحَمِيرُ لِيَرْكَبُوهَا... ﴾
٦٤٦	١٠	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً... ﴾
٦٤٦	١١	﴿ يُبْدِئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ... ﴾
٦٤٥	١٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ... ﴾
٧٥٧، ٥٣٧	٤٣	﴿ ... فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ... ﴾
٧٧، ٧٦	٧٨	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ... ﴾
٧٦٨	٨٠	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا... ﴾
٧٦٩، ٧٦٨	٨١	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظُلُمًا... ﴾
٧٤٩، ٨١	٨٩	﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾
٥٨٥	٩١	﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ... ﴾

الآية	الصفحة	السورة
٩٣	٦٦٣	﴿... وَلَتَشْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
٩٨	٣٤	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ...﴾
٩٩	٣٤	﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا...﴾
١٠٠	٣٤	﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ...﴾
١١٦	٤٨٩	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ...﴾
١٢٥	٦٦، ٣٨	﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ...﴾
١٢٥	٨٤	﴿... وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾

سورة الإسراء

١	٨٤، ٨٣	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾
٩	٤٣٨	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾
١٥	٧٩	﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾
١٦	٢٨٠، ٢٦٦، ١٥٦	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا...﴾
٢٠	٦٥٠، ٦٤٩	﴿كَلَّا نُمَدِّدْ هُنَّوَلَاءَ وَهَتُوَلَاءَ مِنْ عَطْفِ رَبِّكَ...﴾
٢١	٦٥٠	﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾
٢٣	٣٠٢	﴿... وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾
٢٤	٣٠٢	﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ...﴾
٢٦	٢٨٦	﴿... وَلَا تُبْذِرْ بُذِيرًا﴾
٢٧	٢٨٦، ٢٧٨	﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ...﴾
٢٩	٦٦٤	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ...﴾
٣٦	٢٨٤، ١٥٢، ١٣٥، ١٣٤	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾
٣٦	٧٥٩	﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ...﴾
٦٤	٢٨٣، ٢٨٢	﴿وَأَسْتَفْرِزْ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...﴾
٧٠	٣٩٤	﴿... وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾
٧٤	٥٣٨	﴿... وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّاتُكَ...﴾

الصفحة	الآية	السورة
٥٣٨	٧٥	﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ . . . ﴾
٧٥١	٧٨	﴿ أَفَيرِ الصَّلَوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ . . . ﴾
٧٥١	٧٩	﴿ وَمِنَ الْآيَاتِ فَتَهَجَّدِ بِهِ نَافِلَةً لَكَ . . . ﴾
١٤٦	٨٥	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ . . . ﴾
٨٤	٨٨	﴿ قُلْ لَينِ اجْتَمَعَتِ الْآنِسُ وَالْجِنُّ . . . ﴾

سورة الكهف

١٠٠	٢٣	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلكَ عَدَا ﴾
١٠٠	٢٤	﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ . . . ﴾
٤٣٣	٢٨	﴿ وَأَصِيرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ . . . ﴾
٢٧٥	٢٨	﴿ . . . وَلَا تُطعِ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ . . . ﴾
٤٨٢	٢٩	﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ . . . ﴾
٧٥٥ ، ٦٦٣	٣٠	﴿ . . . إِنَّا لَا نَضِيعُ الْجِرَّ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾
٦٥٦	٩٦	﴿ ءَاتُونِي زَبْرَ الْحَدِيدِ . . . ﴾

سورة مريم

٦٤٩	٤٠	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَن عَلَيْهَا . . . ﴾
٤٧٤	٩٣	﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾

سورة طه

٦٤٩	٦	﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . . . ﴾
٣٨١	٤٣	﴿ أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ . . . ﴾
٣٨١	٤٤	﴿ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا عَلَّمْهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾
٨١٨	٩٩	﴿ كَذَلكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِن أَنبَاءٍ . . . ﴾
٦٦٦ ، ١٥٧ ، ٧٨	١٢٤	﴿ وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ . . . ﴾
٧٩	١٣٤	﴿ . . . لَوْلَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ يُسْرًا سُوْلًا . . . ﴾

سورة الأنبياء

٤٨٧ ، ١٩٨	١٨	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ . . . ﴾
٩٩	٤٧	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . . . ﴾
٨٢	٦٦	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ . . . ﴾
٨٢	٦٧	﴿ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ . . . ﴾
٨٤٩ ، ٨٢	٦٨	﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِ الْهَتَكُم . . . ﴾
٨٥١ ، ٨٤٩ ، ١٨٤	٦٩	﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا . . . ﴾
٧١٦ ، ٥٧٧ ، ٤٨١ ، ٣٠٩	٩٢	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً . . . ﴾
٥٧٧	١٠٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً . . . ﴾

سورة الحج

٣٣	٣٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . ﴾
٨٥	٣٩	﴿ أذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا . . . ﴾
٦٨	٣٩	﴿ . . . وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾
٦٨	٤٠	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ . . . ﴾
٧٥٤ ، ١٦٦	٤٠	﴿ . . . وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ . . . ﴾
٤٧٦ ، ١٦٦ ، ٣٦ ، ٣٥	٤١	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾
٧٥٩ ، ٢٨٣	٤٦	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ . . . ﴾
٨٥٠	٧٤	﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . . . ﴾
٨٠	٧٥	﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا . . . ﴾
٦٨	٧٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . ﴾
٣٦٣	٧٨	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ . . . ﴾
٤٧٤	٧٨	﴿ . . . وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ . . . ﴾

سورة المؤمنون

٢٧٥	٣٣	﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . ﴾
-----	----	---

الصفحة	الآية	السورة
٢٧٥	٣٤	﴿ وَلَيْنَ أَطْعَمُهُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ... ﴾
٣٦٢	٥٢	﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً... ﴾
٦٦٩	٥٥	﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ... ﴾
٦٦٩	٥٦	﴿ سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ... ﴾
٢٧٦	٦٤	﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ... ﴾
٢٧٦	٦٥	﴿ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم... ﴾
٢٧٦	٦٦	﴿ فَكَانَتْ آيَاتِي تُنَالُ عَلَيْكُمْ... ﴾
٢٧٦	٦٧	﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلِيمًا... ﴾
٢٧٦	٦٨	﴿ أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ... ﴾
٤٧٥ ، ٩٧ ، ٩٦	٨٤	﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا... ﴾
٤٧٥ ، ٩٧	٨٥	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
٤٧٥ ، ٩٧	٨٦	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ... ﴾
٤٧٥ ، ٩٧	٨٧	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتَ ﴾
٤٧٥ ، ٩٧	٨٨	﴿ قُلْ مَنْ مِنْ بَيْدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ... ﴾
٤٧٥ ، ٩٧	٨٩	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾
٣٩٤	١١٥	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا... ﴾

سورة النور

٤٣٩	٤	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ... ﴾
٤٢	١٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ... ﴾
٦٦٣	٢٢	﴿ وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ... ﴾
٢٨٨	٣١	﴿ ... وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا... ﴾
٦٤٩ ، ٦٤٤	٣٣	﴿ ... وَعَاوَنُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ... ﴾
٣٨٣	٣٦	﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ... ﴾
٣٨٣	٣٧	﴿ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ... ﴾
٥٧٨	٥١	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا... ﴾

الآية	الصفحة	السورة
٥٥	٤٧٦	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ . . . ﴾

سورة الفرقان

٢	٧٥٩، ٣٩٤	﴿ . . . وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِقْدَرٍ نَقِيرًا ﴾
٣	٩٧	﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً . . . ﴾
٢٠	٦٦٩	﴿ . . . وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً . . . ﴾
٥٢	٣٠	﴿ فَلَا تَطِيعَ الْكٰفِرِينَ وَجَهَنَّمَ بِهِ . . . ﴾
٥٤	٢٩١	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا . . . ﴾
٦٧	٦٦٥، ٢٨٨	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا . . . ﴾
٧٢	١٣٣	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ . . . ﴾
٧٤	٣٧٢	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا . . . ﴾

سورة الشعراء

٥٣	٨٤٨	﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ . . . ﴾
٥٤	٨٤٨	﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشُرُومَةٌ قٰلِيلُونَ ﴾
٦٣	٨٤٨	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ . . . ﴾
٧٨	٩٨	﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾
٧٩	٩٨	﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي . . . ﴾
٨٠	٩٨	﴿ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴾
٨١	٩٨	﴿ وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِي نَجَاتِي ﴾
١٩٣	١٤٦	﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴾

سورة النمل

١٤	١٢٠، ٩٤، ٧٨	﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَنَّهَا . . . ﴾
١٨	٧٥	﴿ . . . يَتَأْتِيهَا التَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسٰكِنَكُمْ . . . ﴾

الصفحة	الآية	السورة
٣٥٥	٢٤	﴿... وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ...﴾
٧٥٦	٨٨	﴿... صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ...﴾

سورة القصص

٧٦١	٢٦	﴿... إِنَّكَ خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَجَرْتَ...﴾
٨٣	٣٨	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ...﴾
٤٨٧ ، ٣٣٤ ، ١٣٩	٥٠	﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ...﴾
٩٠٧	٧٠	﴿... لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى...﴾
١٤٩	٧٦	﴿... إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ...﴾
٢٨٦ ، ١٨١	٧٧	﴿وَأَبْتِغِ فِيمَاءَ آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ...﴾
١٤٩	٧٧	﴿... وَلَا تَبْتَغِ أَفْسَادًا فِي الْأَرْضِ...﴾

سورة العنكبوت

٧٧٠ ، ١٦٣ ، ٦٧	٢	﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَذَكَّرُوا...﴾
٦٧	٣	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾
٣٣	١٠	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ...﴾
٨٤٩	٣٩	﴿وَقَرُوبٍ وَقِرَوْبٍ وَهَمَزٍ...﴾
٨٤٩	٤٠	﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ...﴾
١٤٥	٤١	﴿... وَإِنَّ أَوْهْتَ الْعَبُوتِ...﴾
٨٠٤	٤٥	﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾
١٥٠ ، ٣٤	٤٥	﴿... إِنَّكَ الصَّكُوتُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ...﴾
٤٤٣	٤٦	﴿... وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ...﴾
٧٨	٦٥	﴿فَإِذَا رَكَّعُوا فِي الْفُلْكِ...﴾

سورة الروم

٦٥٩	٢٠	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ...﴾
-----	----	---

الآية	الصفحة	السورة
٢٢	٣١٨	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾
٢٨	٤٧٥	﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ . . . ﴾
٣٠	٨٠	﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ . . . ﴾
٣٠	٨١ ، ٧٦ ، ٧٥	﴿ . . . فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ . . . ﴾
٣١	٣٥٥	﴿ . . . وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
٣٢	٣٥٥	﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا . . . ﴾
٣٣	٧٨	﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرًّا دَعَوْا رَبَّهُمْ . . . ﴾
٤٧	١٦٦	﴿ . . . وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

سورة لقمان

٦	٦٦٥	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ . . . ﴾
١٤	٣٠٢	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ . . . ﴾
١٤	١٤٥	﴿ . . . حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ . . . ﴾
١٨	١٤٩	﴿ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ . . . ﴾
٣٠	٩٧	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ . . . ﴾

سورة السجدة

٢٤	٣٥	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا . . . ﴾
----	----	---

سورة الأحزاب

٩	٨٤٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ . . . ﴾
١٠	٨٤٨	﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ . . . ﴾
١٨	٤٢ ، ٢٤	﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ . . . ﴾
٣٦	٤٧٥ ، ٣٦٤ ، ١٣٧	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ . . . ﴾
٤٠	٩٩ ، ٩٨	﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ . . . ﴾
٤٨	٤٤	﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ . . . ﴾

الآية	الصفحة	السورة
٥٨	٤٤٠	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾
٦٠	٤٢	﴿ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ . . . ﴾

سورة سبأ

١٠	٧٦٩	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا . . . ﴾
١١	٧٥٨	﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَفَدَّرَ فِي السَّرْدِ . . . ﴾
١٢	٦٥٦	﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرًا . . . ﴾
٣٤	٢٧٥ ، ٢٦٦	﴿ . . . وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ . . . ﴾
٣٥	٢٦٦	﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا . . . ﴾
٤٣	٨٣	﴿ . . . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ . . . ﴾
٤٦	٢٨٤	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِرِوَادَةً . . . ﴾

سورة فاطر

٨	١٥٠ ، ٧٥	﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ . . . ﴾
٢٧	٦٤٣ ، ٦٤٢	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً . . . ﴾
٢٨	٦٤٣	﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ . . . ﴾

سورة يس

٤٧	١٥٤ ، ١٥٣	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ . . . ﴾
----	-----------	---

سورة الصافات

١٧١	١٦٦	﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾
١٧٢	١٦٦	﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾
١٧٣	١٦٦	﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾
١٧٤	١٦٦	﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾

سورة ص

٤٧٧	٢٦	﴿ يَنْدَاؤُذِ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً... ﴾
٦٥٥	٢٩	﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا... ﴾

سورة الزمر

٧٥٧، ٣١	٩	﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ... ﴾
٧٥٦	١٨	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ... ﴾
٩٩	٦٨	﴿ وَتُفِيحُ فِي الصُّورِ... ﴾
٩٩	٦٩	﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا... ﴾
٩٩	٧٠	﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ... ﴾
٩٩	٧٣	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ... ﴾

سورة غافر

٤٨٧	٥	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ... ﴾
١٤٦، ١٤٥	١٥	﴿ ... يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ... ﴾
٤٨٧	٢٩	﴿ ... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى... ﴾
١٥٨	٣٩	﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ... ﴾
٩٩	٤٦	﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا... ﴾
٤٤٢، ١٥٠، ١٤٩	٥٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ... ﴾
٨٤٩	٨٢	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ... ﴾

سورة فصلت

٨٥٠	١٥	﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ... ﴾
٨٢	٣٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ... ﴾
٣٧	٣٣	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ... ﴾

الصفحة	الآية	السورة
٣٩٤ ، ٣٧٨	٣٤	﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ... ﴾
٣٤	٣٦	﴿ وَإِنَّمَا يَنزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ... ﴾
٨٣	٤٣	﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ... ﴾
سورة الشورى		
٩٧	١١	﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ... ﴾
٣٦٢	١٣	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا... ﴾
٤٨٧	٢١	﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ... ﴾
٦٦٨ ، ٤٩٥	٢٧	﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ... ﴾
٩٠٠ ، ١٥٦ ، ١٥٣	٣٠	﴿ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ... ﴾
٤٨٤	٣٨	﴿ ... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ... ﴾
٤٣٤	٤٣	﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ... ﴾
١٤٥	٥٢	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا... ﴾

سورة الزخرف

٢٧٦	٢٣	﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ... ﴾
٢٧٩	٢٣	﴿ ... إِلا قَالِ مَرْفُوهَا... ﴾
٣٥٠	٣١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ... ﴾
٦٤٩	٣٢	﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ... ﴾
٦٧٠	٣٣	﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً... ﴾
٦٧٠	٣٤	﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا... ﴾
٦٧٠	٣٥	﴿ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُنْ لِكَذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ... ﴾
١٥٠ ، ٣٥	٣٦	﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ... ﴾
٨٤٨	٥١	﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ... ﴾
٣٤٣	٥٨	﴿ ... مَا صَرِيحُوكَ إِلا جَدْلًا... ﴾

السورة الآية الصفحة

سورة الدخان

٧٥٣	٣٨	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . . . ﴾
٧٥٣	٣٩	﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ . . . ﴾
٧٥٣	٤٠	﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ . . . ﴾

سورة الجاثية

٦٤٣	١٢	﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ . . . ﴾
٦٤٣	١٣	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ . . . ﴾
٤٨٧ ، ٣٦٤	١٨	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ . . . ﴾

سورة الأحقاف

٦٥٦ ، ١٨٢	٤	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ . . . ﴾
٨٤	٣٥	﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ . . . ﴾

سورة محمد

٣٠٤	٢٢	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ . . . ﴾
٥٨٣	٣٥	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا . . . ﴾

سورة الفتح

٦٦٩	١١	﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ . . . ﴾
٦٤	١٧	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ . . . ﴾
١٦٥	٢٩	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . . . ﴾

سورة الحجرات

١٣١ ، ٤٥	٦	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ . . . ﴾
----------	---	---

الصفحة	الآية	السورة
٨٧٥	٩	﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٨٧٥ ، ٥٧٧ ، ٣٠٥ ، ١٨٥	١٠	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾
٤٣٠ ، ٣٧٦ ، ٣٦٧	١٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا ﴾
٤٨١ ، ٣١١ ، ٣٠٥	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ﴾
١٥٨	١٣	﴿ ... إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾
١٨١ ، ٩٤	١٥	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

سورة ق

٤٣٧ ، ٤٣٦ ، ٣٠٨	١٨	﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾
٤٣٨	٣٧	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى ﴾

سورة الذاريات

٥٧٥	٥٣	﴿ أَنْتَوَا صَوَابُهُمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ ﴾
١٦٥	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

سورة الطور

٩٦	٣٥	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾
----	----	--

سورة القمر

١٠٠	٤٩	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾
-----	----	--

سورة الحديد

٤٢٩	٤	﴿ ... يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ﴾
٦٦٣	٧	﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَنْفِقُوا ﴾
٦٤٦	٢٥	﴿ ... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾

سورة المجادلة

٣٨٠	١١	﴿... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ...﴾
٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ١٦٥	١٩	﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ...﴾
٣٦٦ ، ١٣٣	٢٢	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾
١٤٦	٢٢	﴿... أَوْلِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ...﴾
٥٧٨	٢٢	﴿... أَوْلِيكَ حِزْبُ اللَّهِ...﴾

سورة الحشر

٤٨٦ ، ٣٩٥	٧	﴿... وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولَ فَاخْذُوهُ...﴾
١١٦	٨	﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا...﴾
٧١٥	٩	﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْآيْمَانَ...﴾
٤٣٣ ، ١٦٥	٩	﴿... وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾
٤١	١١	﴿... أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَافَقُوا...﴾

سورة الممتحنة

١٦٢ ، ١٦١ ، ١٣٢	١	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا...﴾
٢٠٤	٢	﴿إِنْ يَتَفَقَّهُكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً...﴾
١٣٢	٤	﴿فَدَكَانَتْ لَكُمْ أَسْوَأَ حَسَنَةٍ...﴾
١٩٦	٨	﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ...﴾

سورة الصف

٧٥٥	٢	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ...﴾
٧٦٠ ، ٣١٣	٤	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ...﴾
٧٥٣	٥	﴿... فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ...﴾

السورة الآية الصفحة

سورة الجمعة

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا... ﴾ ١٠ ٦٥٩ ، ٦٦٠

سورة المنافقون

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ... ﴾ ٤ ٤٠
﴿ ...يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ... ﴾ ٤ ١٥٧ ، ٤٥
﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُنْفِقُوا... ﴾ ٧ ٤١
﴿ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ... ﴾ ٨ ٤١
﴿ ...وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ... ﴾ ٨ ١٣٢ ، ١٨٢ ، ٤٣٥ ، ٦٥٣ ،
٧٧٠ ، ٧٤٧
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِأَنَّهُمْ كُفَرُ أَمْوَالِكُمْ... ﴾ ٩ ٦٦٩ ، ٣٩

سورة التغابن

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِأَنَّهُمْ كُفَرُ أَمْوَالِكُمْ... ﴾ ١٤ ٣٩
﴿ إِنَّمَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ... ﴾ ١٥ ٦٦٩ ، ٣٩

سورة الطلاق

﴿ ...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ٢ ١٨٤
﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ... ﴾ ٣ ١٨٤
﴿ ...وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ... ﴾ ٣ ٤٢٩ ، ١٦٤
﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ... ﴾ ٧ ٦٦٥

سورة التحريم

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْلًا أَنفُسُهُمْ... ﴾ ٦ ٣٩
﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ... ﴾ ٩ ٤٠

سورة الملك

٧٩	٨	﴿... كَلَّمَآ أَلَيْ فِيهَا فَوْجٌ...﴾
٧٩	٩	﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا...﴾
٢٨٣، ١٥٨	١٠	﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ...﴾
٧٥٨، ٦٤٣	١٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا...﴾

سورة القلم

٤٢٦	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
١٣٢	٩	﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾
٨٥٠، ٦٦٦	١٧	﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ...﴾
٨٥٠، ٦٦٦	١٨	﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾
٨٥٠، ٦٦٦	١٩	﴿فَطَافَ عَلَيْهَا...﴾
٨٥٠، ٦٦٦	٢٠	﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾
٦٦٦	٢١	﴿فَنَادَا مُصْبِحِينَ﴾
٦٦٦	٢٢	﴿أَنِ اغْدُوا...﴾
٦٦٦	٢٣	﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ...﴾
٦٦٦	٢٤	﴿أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا...﴾
٦٦٦	٢٥	﴿وَعَدُوا...﴾

سورة الحاقة

١٠٠	١٣	﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ﴾
١٠٠	١٤	﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾
١٠٠	١٥	﴿فِيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾
١٠٠	١٦	﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً﴾

سورة المعارج

٧٧	١٩	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾
٧٧	٢٠	﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾
٧٧	٢١	﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾
٧٧	٢٢	﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾
٣١٠	٢٤	﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾
٣١٠	٢٥	﴿ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

سورة نوح

٦٦٨	٢١	﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي مَقْرُونٌ ﴾
-----	----	--

سورة المزمّل

٦٦	١٠	﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ . . . ﴾
٦٧٠ ، ٦٥٨	٢٠	﴿ . . . وَءَاخِرُونَ يَصْرَؤُنَ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾

سورة المدثر

٨٤	١٨	﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾
٨٤	١٩	﴿ فَفُئِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾
٨٤	٢٠	﴿ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾
٨٤	٢١	﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾
٨٤	٢٢	﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾
٨٤	٢٣	﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾
٨٤	٢٤	﴿ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾
٨٤	٢٥	﴿ إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾
٢٨٥	٣٨	﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

الآية	الصفحة	السورة
سورة القيامة		
٢	٤٣٦	﴿ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴾
١٤	٤٣٧	﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾
٢٠	٢٨٣	﴿ كَلَّا بَلِ تُجِوُنَ الْعَاجِلَةَ ﴾
٢١	٢٨٣	﴿ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴾
سورة الإنسان		
٨	٤٤٥	﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ . . . ﴾
٩	٤٢٩	﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُهُ لِوَجْهِ اللَّهِ . . . ﴾
سورة النبأ		
٣٩	١٠٠	﴿ . . . فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ . . . ﴾
سورة النازعات		
٢٣	٩٧	﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾
٢٤	٩٧	﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾
٤٠	٢٨٥	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ . . . ﴾
٤١	٢٨٥	﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾
سورة الطارق		
١٥	٨٧٤	﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾
سورة الأعلى		
١٦	٢٦٥	﴿ بَلِ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾
١٧	٢٦٥	﴿ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

الآية	الصفحة	السورة
١٨	٩٨	﴿ إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾
١٩	٩٨	﴿ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾

سورة الفجر

٢٠	٦٤٧	﴿ وَتَحِيُّوتِ الْمَالِ جُبَّانًا ﴾
----	-----	-------------------------------------

سورة البلد

٤	٧٧	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾
---	----	--

سورة الشمس

٧	٢٨٥ ، ٧٧ ، ٣١	﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴾
٨	٢٨٥ ، ٧٧ ، ٣١	﴿ فَأَلَمَّهَا نُجُورُهَا وَنَقْوَدُهَا ﴾
٩	٢٨٥ ، ١٥٨	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّبَهَا ﴾
١٠	٢٨٥ ، ١٥٨	﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّسَهَا ﴾

سورة الليل

٤	٦٥٩	﴿ إِنَّ سَعْيَكَ لَشَقَى ﴾
٨	٦٦٦	﴿ وَأَمَّا مَنْ يُحِلُّ وَأَسْتَفْتَى ﴾
٩	٦٦٦	﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾
١٠	٦٦٦	﴿ فَسَنَسِيرُهُ لِعَسْرَى ﴾

سورة الشرح

٧	٦٦٠	﴿ فَإِذَا فَرَّغْتَ فَانصَبْ ﴾
٨	٦٦٠	﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾

السورة الآية الصفحة

سورة العلق

٧٥٧	١	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾
٧٥٧	٢	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾
٧٥٧	٣	﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾
٧٥٧	٤	﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾
٧٥٧	٥	﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾
٦٦٨ ، ٧٧	٦	﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِفٍ ﴾
٦٦٨	٧	﴿ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَقَى ﴾

سورة الزلزلة

٧٥٥ ، ٤٣٩	٧	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾
٧٥٥ ، ٤٣٩	٨	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

سورة العاديات

٧٧	٦	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾
----	---	--

سورة التكاثر

٦٦٩ ، ٦٦٨ ، ٢٧٥	١	﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾
٦٦٩ ، ٢٧٥	٢	﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾

سورة العصر

٧٥٠ ، ٧٨	٣-٢-١	﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾
----------	-------	--

سورة الكافرون

﴿ قُلْ يَدْعُوا أَنَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾

السورة	الآية	الصفحة
	وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ *	
	وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿	٢٥٠

سورة النصر

	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ	
	يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ	
	وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿	
		٣٦٦
		٣-١

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	أول الحديث
- أ -	
٦٦٢	((اتَّجِرُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى...))
٤٤٣	((اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ...))
٤٤٢	((... اتَّقُوا الشُّحَّ،...))
٦٥٧	((أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا...))
٣٠٢ ، ٦٥	((أَحْيِيْ وَالِدَاكَ؟...))
٢٧٥	((... أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ...))
٦٥٩ ، ٦٥٨ ، ٣١١	((إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ...))
٧٤٨	((... إِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ، فَانْفِرُوا))
٩٠٠ ، ١٥٦ ، ٤٩	((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقْرِ...))
٣٠١	((إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ تَرْضْوَانَ دِينَهُ وَخُلُقُهُ...))
٣٢٠ ، ١٨٤	((إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدْ ثُمَّ أَصَابَ...))
٤٧٩	((إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ...))
٣٠٧	((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ...))
٤٣٦	((إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ...))
٥٥	((إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالْدِينَارِ وَالدِّرْهَمِ...))
٥٢٩ ، ٥٢٨	((... إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...))
٦٦٤	((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ...))
٣٠٠	((أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ...))

- ٤٣٥ ، ٤٣٦ ((أربعٌ من كُنْ فِينِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا...))
- ٥٣٧ ((ارجع ، فلن استعين بِمُشْرِكٍ))
- ٧٦١ ((أرحمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ...))
- ٤٣٠ ((ارحَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ))
- ٨٠٤ ((أرْمُوا بني إِسْمَاعِيلَ ، فَإِنْ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا...))
- ٨١٠ ((ارْمُوا وَارْكَبُوا...))
- ٣٠١ ((استوصوا بالنساءِ خيراً...))
- ٤٨١ ((أشدُّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا...))
- ٣٠٧ ((اشْفَعُوا فَلَتُوجَرُوا...))
- ٥٣٦ ((اطلبوه فاقتلوه...))
- ٦٥٨ ((أعطوا الأجيرَ أجره ، قبلَ أن يجفَّ عرقه...))
- ٢٥ ((أعمارُ أُمَّتِي ما بينَ السَّتِينِ إِلَى السَّبْعِينَ...))
- ٦٥٧ ((اعملوا فكلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ...))
- ٧٥٢ ، ٧٥١ ((اغتنم خمسا قبلَ خمسٍ...))
- ٨٠٧ ، ٥٧٩ ، ٥٧٨ ((اغزوا بِاسْمِ اللَّهِ ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ...))
- ٤٣٢ ، ٣٦ ((أفضلُ الجهادِ كلمةٌ حقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جائِرٍ...))
- ٣٧٩ ، ٣٣٩ ((اقرأوا القرآنَ ما ائتلفت عليه قلوبُكُمْ...))
- ٣٧٦ ((أقبلوا ذوي الهيئاتِ عثراتهم ، إلا الحدودَ...))
- ٤٣٥ ، ٤٢٧ ((أكملُ المؤمنينَ إيماناً أحسنُهُم خُلُقاً...))
- ٨١٦ ((اللهمَّ إِنِّي أيرأُ إِلَيْكَ مما صنعَ خالدٌ...))
- ٧٧٠ ، ٦٥٤ ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ ، وَالْكَسَلِ...))
- ٦٥٣ ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ...))
- ٦٥٣ ((اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ...))
- ٦٦٧ ((... اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ...))
- ٨٠٨ ((اللَّهُمَّ! مُنْزِلَ الْكِتَابِ...))

- ٣٦٨ ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام...))
- ٣٠٢ ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...))
- ٧٨ ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم...))
- ٨١٠ ((ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي...))
- ١٥٢ ((ألا، لا يمتنعن رجلاً هيبة الناس...))
- ٤٤٤ ((إن الله تعالى طيبٌ يحبُّ الطيبَ...))
- ٣٣٧ ((إن الله تعالى يبتغضُ البلغِ من الرجال...))
- ٧٧٠ ، ٤٣٢ ((إن الله تعالى يحبُّ معالي الأمور...))
- ٣٠٤ ((إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه...))
- ٦٦٦ ((... إن الله طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً))
- ٤٨١ ((إن الله لا ينظرُ إلى أجسادكم...))
- ٣٢٠ ((... إن الله لم يعشني مُعْتَنًا، ولكن بعثني مُعَلِّمًا...))
- ٨١٥ ((إن الله ليدخلُ بالسهم الواحدِ ثلاثةَ الجنةِ...))
- ٧٦٩ ، ٧٥٥ ((إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))
- ٤٣٠ ((إن الله يغارُ، وإن المؤمن يغارُ...))
- ٣٠٦ ((إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي...))
- ٤٣٣ ((إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو...))
- ١٢٧ ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ...))
- ٩٤ ((أن تؤمن بالله، وملائكته...))
- ٤٤٠ ((... إن دماءكم وأموالكم...))
- ٣٥٦ ((إن ربي قال لي: يا محمد!...))
- ٤٣٢ ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه...))
- ٤٦ ((إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه...))
- ١٣١ ((إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة...))
- ٣٩٣ ((إن فيك لخلقين يحبهما الله...))

- ٦٦٩ ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً...))
- ١٢٨ ((إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عَيْدًا...))
- ٤٢٧ ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ...))
- ٨٠ ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي...))
- ٤٣٦ ((إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ...))
- ٤٨٣ ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ...))
- ٣٨٩ ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا...))
- ٤٢٧ ((إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا...))
- ٤٣١ ((إِنَّ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلَ السَّلَامِ...))
- ٦٤٨ ((... إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ...))
- ١٢٨ ((إِنَّ هَذَا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللَّهُ عِيدًا...))
- ٤٧٧ ((إِنَّا وَاللَّهِ! لَا نُؤَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ...))
- ٣٠٧ ((أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ...))
- ٣٨٠ ((أَنْزِلُوا النَّاسَ...))
- ٣٠١ ((انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم...))
- ١٦١ ((إِنَّكَ لَنْ تَنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ...))
- ٦٥٤ ، ٦٥٣ ((انكحوا، فإنني مكاثر بكم...))
- ٣٩٠ ((إنكم لا تسعون الناس بأموالكم...))
- ١٦١ ((إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى...))
- ٤٢٦ ((إنما بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ...))
- ٦٧ ((إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ...))
- ٥٠ ((اهجوا قريشاً، فإنه أشدُّ عليها...))
- ٧٢ ((أو هل خياركم إلا أولاد المشركين...))
- ٣٧٦ ، ٣٦٧ ، ٣٠٦ ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ...))
- ١٦٧ ((أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ...))

١٠

((إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...))

٩٥

((الإيمان بضع وسبعون شعبة...))

-ب-

٤٢٧

((الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ...))

٤٢٧

((الْبِرُّ مَا سَكَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ...))

٣٧

((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...))

١٣٥

((بهذا أمرتم!! أو بهذا بعثتم...))

٧١١

((بِيعاً أَوْ عَطِيَّةً...))

-ت-

٣٦٩

((تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا...))

١٨٥

((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ...))

٦٤٤ ، ٣٠٠

((تَزَوْجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ...))

٦٦٤

((تَصَدَّقْ بِأَصْلِهِ...))

٦٦٩

((تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ...))

٢٨٣

((تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ...))

٤٢٧

((تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ...))

٣٠١

((تُنكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ...))

٣٠٨

((تَهَادُّوا تَزَادَا وَحُبًّا...))

-ج-

٤٦

((جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ...))

١١٠ ، ٥٤ ، ٥٣

((الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ...))

٦٤٨

((جَهْدِ الْبَلَاءِ...))

-ح-

- ٨١٦ ((الْحَرْبُ خَدْعَةٌ...))
 ٦٦٦ ((الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبِرْكََةِ...))
 ٤٣١ ((الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ...))
 ٤٣١ ((الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ...))
 ٤٣٥ ((الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرْنَا جَمِيعاً...))

-خ-

- ٦٥٨ ((الْحَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي...))
 ٩٨ ((خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ...))
 ١١٠، ٣٦ ((خِيَارُ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ...))
 ٤٢٨ ((خِيَارُكُمْ إِسْلَامًا، أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا...))
 ٦٥٧ ((خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدٍ...))
 ٣٧٣ ((خَيْرِ النَّاسِ قَرْنِي...))

-د-

- ٨٠١ ((دَعُهُمْ، أَمْنَا بَنِي أَرْفَدَةَ...))
 ٣٤٤ ((دَعُونِي مَا تَرَكْتُمْ...))
 ٣٠٢ ((الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ...))
 ٤٨٣، ٣١٦ ((الَّذِينَ النَّصِيحَةُ...))
 ٩٠٠ ((رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ...))
 ٥٢، ١٠ ((رَأْسُ هَذَا الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ...))
 ٤٤٢ ((رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ...))
 ٣٠٢ ((رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ...))
 ٦٣ ((رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ...))

-س-

- ٦٥٨ ، ٣٠٧ ، ١٦١ ((السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمَجَاهِدِ...))
 ٣٥٥ ((سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ...))
 ٨١٣ ((سَتُّنَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ...))
 ٤٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٧١ ((السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ...))
 ٣٧٨ ((سَلُّ عَمَّا بَدَأَ لَكَ...))
 ٤٣٢ ((السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ...))

-ط-

- ٧٥٧ ((طَلَّبَ الْعِلْمَ فَرِيضَةً...))
 ٤٣١ ((طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ...))

-ع-

- ٤٤٣ ((عُدِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَّتْهَا...))
 ٢٨٨ ((عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرِ...))
 ٣٦ ((عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ...))
 ٣٧٠ ((الْعُلَمَاءُ أَمْنَاءُ أُمَّتِي...))
 ٣٧ ((الْعُلَمَاءُ أَمْنَاءُ اللَّهِ...))
 ٤٨٣ ((عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ...))
 ٤٣٢ ((عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ...))

-غ-

- ٨١٣ ((غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ، مِثْلُ عَشْرِ...))

-ف-

- ٦٥٥ ، ٤٤٤ ((...فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ...))

- ٦٥٥ ((فلا تفعل، صُم وأفطر...))
 ٦٦٦ ، ٦١٥ ((... فمن يأخذُ مالاَ بحقِّه يُباركُ له فيه...))
 ٢٦٥ ((... فوالله! ما الفقرَ أخشى عليكم...))
 ٤٤٣ ((في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ...))

-ق-

- ٣٣٨ ((قد تركتكم على البيضاء...))
 ٨١٦ ((قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة بن الحارث...))

-ك-

- ٦٦ ((كان الرجلُ فيمن قبلكم يُحفرُّ له في الأرضِ...))
 ٤٤٢ ((الكبيرُ: بطرُ الحقِّ، وغمطُ الناسِ...))
 ٦٦٣ ((كفى بالمرءِ إثمًا أن يُضيعَ...))
 ٣٨٠ ، ٣٦٧ ، ٣٢٣ ((كلاكما محسن...))
 ٣٧٥ ((كلُّ بني آدمَ خطاءٌ، وخيرُ الخطائينَ التَّوَابُونَ...))
 ٨١١ ((... كلُّ شيءٍ يلهو به الرجلُ باطلٌ...))
 ٨٠٣ ((... كلُّ ما يلهو به الرجلُ المسلمُ باطلٌ...))
 ٧٦٤ ، ٥٣٧ ((الكلمةُ الحِكْمَةُ ضالَّةُ المؤمنِ...))
 ٩٥ ، ٧٦ ((كلُّ مولودٍ يولدُ على الفِطْرَةِ...))
 ٢٨٧ ((كلُّوا واشربوا والبسوا وتصدَّقوا...))

-ل-

- ٦٦١ ((لأنَّ يأخذَ أحدكمُ حبلَهُ...))
 ٦٦٠ ((لأنَّ يحتطبُ أحدكمُ حُزْمَةً...))
 ٨٧٤ ((لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ...))

- ٤٤٠ ((لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ . . .))
 ٣٥٦ ((. . . لا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . . .))
 ٣٦٧ ((. . . لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ . . .))
 ٨٧٤ ، ٣٥٦ ((لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّارًا . . .))
 ٣٧٠ ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق . . .))
 ٧٥١ ((لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل . . .))
 ١١٧ ((لا تستطيعوه . . .))
 ٣٨٠ ((لا تُظروني كما أظرتِ النصرَى ابنَ مريمَ . . .))
 ٣٦٧ ((لا تقاطعوا، ولا تدابروا . . .))
 ١٣٢ ((لا تقولوا للمنافق سيدنا . . .))
 ٦٦٨ ((لا حسدَ إلا في اثنتين . . .))
 ٧١٢ ، ٦٦٢ ، ٦٥١ ((لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ . . .))
 ٥٤ ، ٢٢ ((لا هجرةَ بعدَ الفتح، ولكنْ جهادٌ ونيَّةٌ . . .))
 ٤٤١ ، ٣٠٦ ، ١٦٥ ((لا يُؤمِنُ أحدُكمُ حتَّى يُحبَّ لأخيه . . .))
 ١٣٥ ((لا يزالُ النَّاسُ يتساءلونَ حتَّى يُقالَ . . .))
 ٣٠١ ((لا يفرُّكُ مؤمِنٌ مؤمنةً، إن كرهَ منها خُلُقًا . . .))
 ٤٣٣ ((لا يُلدغُ المؤمنُ من جحرٍ واحدٍ، مرتينِ . . .))
 ٦٥١ ((لا يَمْنَعُ جارٌ جارَهُ أن يغرِزَ خَشَبَةً . . .))
 ٣١٠ ((لا يورِدَنَّ مُمرِضٌ . . .))
 ٧١٣ ، ٦٦٢ ((لعنَ اللهُ الخمرَ، وشارِبَها . . .))
 ٣١٠ ((. . . لعنَ اللهُ من آوى مُحدِثًا . . .))
 ١٢٦ ((لعنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى . . .))
 ٦٤ ((لكنَّ أفضلَ الجهادِ حجٌّ . . .))
 ١٦٤ ((لو أنَّكمُ توكَّلونَ على اللهِ تعالى حقَّ توكُّلهِ . . .))
 ٦٤٧ ((لو كان لابنِ آدَمَ وإديانٍ من مالٍ . . .))

- ٥٧ ((... لولا أن أشق على المؤمنين، ما تخلفت...))
 ٧٥٣ ((ليس الشديد بالصرعة...))
 ٣٦٨ ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس...))
 ٤٤١ ((ليس المؤمن بالطعان...))
 ٣٠٤ ((ليس الواصل بالمكافئ...))
 ٤٠٨ ((ليكونن من أمتي أقوام...))

-م-

- ٤٤٤ ((ما أسكر كثيره، فقليله حرام...))
 ٦٥٧ ((ما أكل أحد طعاماً قط...))
 ٦٥٥ ((ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء...))
 ٣٦٤ ((ما بال دعوى الجاهلية!...))
 ٧١ ((ما حملكم على قتل الذرية...))
 ٦٧٠ ((ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم...))
 ٤٢٧ ((ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة...))
 ٣٤٣ ((ما ضل قوم بعد هدى، إلا أتوا...))
 ٢٨٧ ((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن...))
 ٦٥٨ ، ٦٥٧ ((ما من مسلم يغرس غرساً...))
 ٥١ ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي...))
 ٣٠٣ ((ما نحل والد ولده أفضل من أدب...))
 ٨٠٧ ، ٧٥٤ ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله...))
 ٨٧٦ ، ٣١٠ ((المؤمن للمؤمن كالبنيان...))
 ٣٠٦ ((المؤمن من امرأة المؤمن...))
 ١١٧ ((مثل المجاهد في سبيل الله؛ كمثل الصائم...))
 ٣٠٩ ((مثل المدّهن في حدود الله، والواقع فيها...))

٨٧٥ ، ٧١٥ ، ٣٦٢ ، ٣٠٥	((مثلُ المؤمنينَ في توادِّهمْ، وتراحُمِهِمْ...))
٨٠٤ ، ٣٠	((المجاهِدُ من جاهدَ نفسه...))
٦٥١ - ٤٤٥	((المُحتَكِرُ ملعونٌ...))
٤٣٠	((مُدَاراةُ الناسِ صدقةٌ...))
٤٤٢	((المرءُ معَ من أحبَّ...))
٧٥٢ ، ٣٠٣	((مُرُوا أولادكمْ بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعٍ...))
٣١٠	((المسلمُ أخو المسلمِ، لا يخونُهُ، ولا يكذبُهُ...))
٨٧٦ ، ٣٠٧	((... المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلمُهُ...))
٨٧٦	((المُسلمونَ تتكافأُ دِمَاؤُهُمْ...))
٤٨٣	((من أتاكمْ وأمرُكمْ جميعٌ على رجلٍ...))
٣٠٤	((من أحبَّ أن يُيسطَ له في رزقِهِ...))
٦٦٧ ، ١٥٢	((من أرضى النَّاسَ بسخطِ اللَّهِ...))
١٢٧	((من أشدَّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ...))
٣٠٨ ، ٣٠٧	((من أعانَ مُجاهداً في سبيلِ اللَّهِ...))
٣٠٦	((من أقالَ مسلماً، أقالَ اللَّهُ...))
٤٨	((من بدَّلَ دينَهُ فاقْتُلُوهُ...))
١٣٣	((من تشبهَ بقومٍ فهو منهم...))
٣٦٣	((من تعزَّى بعزى الجاهليَّةِ...))
٣٠٧	((من ذبَّ عن عريضِ أخيه بالغيبَةِ...))
٥٠	((مَنْ رأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فليغيِّرْهُ بيدهِ...))
١٦٦	((من سألَ اللَّهُ الشَّهادَةَ بصدقٍ...))
٦٦٠	((من سألَ النَّاسَ أموالَهُمْ تَكْثُراً...))
٣٠٦	((... من سَتَرَ مسلماً، سَتَرَهُ اللَّهُ...))
٤٣٩	((من سَرَّتْهُ حسنتُهُ...))
١٥٢	((من سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ...))

٣٧٤	((من طلب العلمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العلماءَ، ...))
٣٠٧	((من عادَ مريضاً، لم يزل في خُرْفَةِ الْجَنَّةِ ...))
٨١١	((من عَلِمَ الرَّمِيَّ، ثُمَّ تَرَكَهُ ...))
٢٣	((من غَزَا في سَبِيلِ اللَّهِ، ولم يَنُورِ إِلَّا عَقَالاً ...))
٣٠٧	((... من فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً ...))
٨٠٩	((من قاتل تحت رايةٍ عُمَيْيَّةٍ، ...))
٨٠٩ ، ٤٢٨ ، ٢١٢ ، ٢٣	((من قاتل لِيَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ...))
٦٦٧	((من قُتِلَ دونَ مَالِهِ فهو شَهِيدٌ ...))
٥٣٠ ، ٥٢٩	((من قَتَلَ مُعَاهِداً لم يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ...))
٦٥٣	((من كانت لَهُ أرضٌ فليزرعها ...))
٤٤١ ، ٣٠٥	((من كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فلا ...))
٤٤١ ، ١٦١	((من كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فليُثَلِّبْ ...))
٢٨٧	((من لَبَسَ ثوبَ شُهْرَةٍ ...))
٨٠١ ، ٥٦ ، ١٠ ، ٩	((من ماتَ ولم يَغْزُ، ولم يُحَدِّثْ بِهِ ...))
٧١٦	((من نَفَسَ عن مؤمنٍ كُرْبَةً ...))
٤٣١	((... من يَسْتَعِفَّ يُعَفِّهُ اللَّهُ ...))
٤٨٣	((... من يُطِيعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ...))
٣٧٩	((مهلاً يا قوم! بهذا أَهْلِكْتَ الْأُمَّمُ ...))

-ن-

٤٢٨	((الناسُ معادنُ كمعادنِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ...))
٧٥١	((نِعْمَتَانِ مَغْبُوتُونَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ...))

-ه-

١٣٥	((هذا صراطُ ربك مستقيماً ...))
-----	--------------------------------

((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ...))

٣٤٣

-و-

- ٤٤٤ ((... وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ...))
- ٣٠٥ ((وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ...))
- ٦٦٧ ((... وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوةٌ...))
- ٣٤٨ ((... وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْقُقُ بِعُضْهَا بَعْضًا...))
- ٩٠١ ((... وَجُعِلَ الذُّلَّةُ وَالصَّغَارُ...))
- ٩٠١ ((... وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ...))
- ٦٥٦ ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ...))
- ٦٤ ((... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا الْجِهَادُ...))
- ٢٨٩ ((... وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا...))
- ٤١٩ ((... وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ...))
- ٤٢٠، ٤١٩ ((... وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ...))
- ٣٥٧ ((... وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ...))
- ٤٤١ ((وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ...))

-ي-

- ٧٦٢ ((يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ ضَعِيفٌ...))
- ٧٦١ ((يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنِّي إِرَاكَ ضَعِيفًا...))
- ٤٣٧ ((يَا أَبَا عُمَيْرٍ: مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ؟...))
- ٣٣٧ ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ...))
- ١٦٠ ((يَا غَلَامُ: إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ...))
- ١٣٧ ((يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا...))
- ١٥٦ ((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خِصَالٌ خَمْسٌ...))

الصفحة	أول الحديث
٤١٩	((يا معشرَ المهاجرين! خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ . . .))
٦٥٣	((اليدُ العليا، خيرٌ من اليدِ السفلى . . .))
٣١٨	((يسِّرا، ولا تُعسِّرا، وبشِّرا، ولا تُنقِّرا . . .))
٦٠٢ ، ٣٥٨	((يُوشِكُ الأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ . . .))

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	الشرط الأول
٣٨٣	أبي الإسلام لا أب لي سواه
٣٨٦	أحلّ الكفر بالإسلام ضيماً
٢٧٨	إذا المرء أعطى نفسه كلّ ما اشتته
٣٢٥	بيغداد أشتاق الشأم وها أنا
١٧٦ ، ١٧٥	بلغت أمتي من الذل حداً
١١٤	تُليّ الكتاب فأطرقوا لا خيفةً
١٨٨	فأيها بني الإسلام إن وراءكم
٥٥	فمن يطلب لقاءك أو يرده
١٥٥	لبست ثوب العمر لم أستشر
١٣٦	لعمرى لقد طفت في تلك المعاهد كلها
٣٨٧	لله درك نور الدين من ملك
١٣٦	نهاية إقدام العقول عقالُ
٣٣٠	وجه الكنانة ليس يُغضب ربكم
٣١	وعالم بعلمه لم لم يعملن
٣٢٩	وقف الخلق ينظرون جميعاً
٣٣٦	وكم من عائب قولاً صحيحاً
٤١٧	يقاد للسجن إن سب الزعيم وإن

فهرس الأعلام

أنطوني إيدن: ٥٢٥.

إياس: ٣٨٤.

إيزنهاور: ٥٢٥.

أيوجين روستو: ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢.

[ب]

بايرك كارميل: ٨٧١.

البخاري: ٧١، ٣٧٠، ٣٧١، ٥٤١، ٧١٢.

البدوي: ١٢٨.

براون: ٣٥١.

البرمشادور: ٢٠٠.

ابن برهان: ٧٤٩.

بريفولت: ٢٠٥.

ابن بطال: ٧١٤.

بطرس الفترابلي: ٢٠٨.

البغدادي: ١٠٣.

البغوي: ٣٦٣.

أبو البقاء: ٤٥٦، ٤٥٧.

بكر أبو زيد: ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٨.

أبو بكر رضي الله عنه: ١٠٨، ١٤٠، ٤٨٠، ٦٧٤.

٦٧٥، ٧٦١، ٧٩٨.

بلفور: ١٩٥، ١٩٧.

بوش: ٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٩.

[أ]

أبان بن عثمان: ٨١٨.

إبراهيم عليه السلام: ٧٦، ٨٢، ٩٨، ٨٤٩.

إيليس: ١٢٠.

ابن الأثير: ١٤٠، ٥٤٤، ٤٦٥.

أحمد بن حنبل: ٧١، ٣٧١، ٤٨٠، ٥٣٣، ٥٣٤، ٧١٢.

أحمد جويلي: ٦١٤، ٦٢٧.

أحمد خان: ٢٤٩.

أحمد شاکر: ٦١٩، ٦٢٠.

أحمد شقلية: ٦١٨، ٦٢٦.

أحمد شوقي: ٣٣٠.

أحمد عطية الله: ٤٥٨.

آدم عليه السلام: ٧٥، ٨٠، ٨١، ١٣٣.

آدم ميتز: ٥٣٩.

إدوارد بالادور: ٦٨١، ٦٨٥.

أسامة الكردي: ٧٠٨، ٧٠٩.

إسحاق نيوتن: ٩٦.

إسرافيل: ٩٨.

الأسود بن سريع: ٧٧.

أشج عبد القيس: ٣٩٣.

أشعيا يومان: ١٩٩، ٤٩٧.

أكسفولد: ١٩٥، ٢١٤.

الأنشتاين: ٥٠٣، ٥١٩، ٥٢٤، ٥٢٥.

[ج]

- جابر بن عبد الله: ٨٠٨.
جاك أنالي: ٥٥٧.
جب: ٣٥٢، ٢٤٢، ٢٣١، ٢١١، ٢٠٠.
جبريل: ١٤٦، ٩٨، ٨٠.
ابن جبير: ٧٧٤، ٧٧٢، ٦٧٣.
الجرجاني: ٤٥٦، ٣٩٢، ٣١٦.
ابن جريج: ٦٦٥.
جعفر الصباغ: ٧٣٨.
جمال الدين الأفغاني: ٢٥٠.
جمال عبد الناصر: ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١١،
٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥٢٠، ٥٢١،
٥٢٤، ٥٢٥.
جنكيز خان: ١١١، ١١٢.
أبو جهاد: ٨٧٣.
جودت سعيد: ٧٣٤.
جورج كيرك: ٣٥٣.
جورج ويل: ٥٥٩.
جولد تسهير: ٢١٢.
جون تاكلي: ٢١٠.
جون موط: ٢٢٣.
جونسون: ٢٣١، ٢٣٢.
الجويني: ١٣٨.

[ح]

- حازم إبراهيم العارف: ٨٠١، ٨٠٢.
حاضر الناجي: ٤٤٧.
ابن حبان: ٧١.
حبيب أمين كوارني: ٢٤٠.

- بول كيندي: ٨٢٩، ٨٥٠.
بول ويليامز: ٨٤٣، ٨٤٤.
أبو البيان: ٥٤٤.
البيروني: ٧٧٧.
البيهقي: ٣٢٢، ٤٤٠، ٧٤٩.
بيير كيللر: ٢٤٥.

[ت]

- تراقي: ٨٧١.
تشارلز: ٢٢٨، ٢٢٩.
تشارلس واطسون: ٢٢٥.
تشرشل: ٥٦٣.
تكلي: ٢١٠، ٢١٥.
توفيق الشاوي: ٦١٠، ٦٤١، ٧٦٧.
توماس كارليل: ٢١٣.
ابن تيمية: ٣٠، ٤٦، ٧٣، ١٠٣، ١٠٥،
١١٠، ١١١، ١١٤، ١١٧، ١٢٠،
١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣،
١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ٣٣٥، ٣٣٦،
٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩،
٣٥٠، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٧٢،
٣٧٤، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١،
٣٨٢، ٣٨٣، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٧٩،
٤٨٠، ٤٨٥، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٤٠،
٦٥٨، ٧١٣، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٨،
٧٤٩، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧،
٨٠٦، ٨١١، ٨١٦، ٨١٧.

[ث]

- الثوري: ٥٨.

حبيب الرحمن : ٨٧١ .

ابن حجر : ٢٢ ، ٧١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٣٩٣ ، ٥٤١ ، ٥٧٩ ، ٨٠٦ .

حذيفة بن اليمان : ٨١٦ .

ابن حزم : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٧١٢ .

الحسن : ٣١٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٦٦٥ .

حسن إبراهيم حسن : ٦٧١ .

حسن البنا : ٤٢٣ ، ٦٤٤ .

الحسن الثاني : ٧٣٥ .

حسن حنفي : ٢٤٤ .

الحسن بن عبد الله : ٨١٨ .

أبو الحسن الندوي : ٧٦٥ ، ٧٦٦ .

حسني الزعيم : ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٩ .

حسني مبارك : ٦٩٤ ، ٦٩٥ .

الحسين : ١٢٨ .

حفيظ الله أمين : ٨٧١ .

ابن أبي الحقيق : ٧٢ .

حمد السلوم : ٧٣٦ ، ٧٣٧ .

حمزة الدّموي : ٦٠١ ، ٦٠٢ .

[خ]

خالد بن الوليد : ٧١ ، ٨٥ .

الخطابي : ٣٤٦ .

ابن خلدون : ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٧٢٤ .

الخميني : ١٠٩ ، ١١٢ .

ابن خُويزِ مَنَدان : ٤٨٤ .

[د]

دارون : ٢٤٠ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

دالاس : ٤٩٨ .

داود خان : ٨٧١ .

أبو الدرداء : ١٦٨ ، ٣٧٧ ، ٨٠٨ ،
ديكارت : ٩٦ .

[ذ]

أبو ذر : ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٨١٦ .

الذهبي : ٧٧٣ .

[ر]

الرازي : ١٣٦ ، ٧٨٣ .

راشد المبارك : ٧٣٥ .

الراغب : ٣١٦ .

الرافعي : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٨٢ .

راندولف تشرشل : ٨٧٧ .

رايد : ٢٠٤ .

ابن رجب : ٣٤٥ ، ٣٦٧ .

ابن رشد : ٥٦ ، ٧١٤ .

روبرت أوكلي : ٨٤٢ ، ٨٦٥ .

روزفلت : ٥١٠ ، ٥٢٦ .

روستو : ٦٢٦ ، ٦٢٧ .

ريموند لول : ١٩٤ .

[ز]

الزبير : ٦٤٨ .

الزهري : ٢٢ ، ٧١ ، ١٣٨ .

زهير السباعي : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

زويمر : ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،

٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،

٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،

٤٢٣ .

زيد بن ثابت: ٧٦٤، ٧٦١، ٧٦٧.
الزيليقي: ٥٦، ٥٧.
زينب: ١٢٨.

[س]

سارتر: ٢٢٤، ٢٤٥.
سالازار: ٢٠٠.
السباعي: ٤٠٣.
السبكي: ٣٢٢.
ستيف ميد: ٥١٥.
السدي: ٨٢، ٤٧٨.
السرخسي: ٥٢، ٥٧.
أبو السري: ٤٤٧.
سزكين: ٧٧٦.
ابن سعد: ٨١٨.

سعد جمعة: ٤٦٣، ٤٧٢، ٤٧٣، ٥٠٣، ٥٠٤.

سعد زغلول: ٣٣٠.

سعد بن أبي وقاص: ٣٤٧، ٨٠٨.

ابن سعدي: ٨٠٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٥٥، ٣٨١، ٧٩٧.

سعدي جليبي: ٥٨.

سعيد حوى: ٣٢٨، ٨١٢.

سعيد بن المسيب: ٥٦.

سفيان الثوري: ٥٩، ٦٠، ٣٧٦، ٦٧٠.

أبو سفيان بن حرب: ٨١٨.

ابن السكيت: ٦٠١.

سلمان الفارسي: ٧٦٧.

سليط: ٨١٧.

سليمان عليه السلام: ٧٣٥.

سليمان بن عبد الملك: ٧٤٧.
سليمان القانوني: ٤٨٨، ٤٩١.
سليم الثالث: ٤٨٨، ٤٩٢.
سميتلوف: ٨٣٣، ٨٤١.
سميث: ٥٢٦.

سهل بن حنيف: ٣٧٧.

سيد دسوقي: ٧٤٧.

سيد قطب: ٣٦، ٦٧، ٨٥، ٨٦، ١٤٨.

١٦٢، ١٦٣، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥.

٢١٢، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٧٧.

٢٧٨، ٢٩٩، ٢١٣، ٣٦٠، ٣٦٦.

٣٧٠، ٤٦٢، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٣٧.

٥٣٨، ٧١٥، ٧٥٤، ٨٤٩، ٨٥٠.

ابن سيرين: ٣٧٧، ٣٨٥.

سيشل: ٤٩٨.

سيمون: ٢١٦.

ابن سيناء: ١٠٤.

السيوطي: ٧٤٩.

[ش]

الشاطبي: ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٣٦.

٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٧٣، ٣٨٤.

الشافعي: ١٣٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٢.

٣٧٤، ٣٨٥، ٥٣١، ٥٤١، ٥٤٢.

٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٥، ٧٦٣.

٧٦٤.

ابن شبرمة: ٥٨، ٥٩.

الشعبي: ٣٤٥.

شمعون بيريز: ٤٦٧، ٥٥٦.

شنودة: ٢٠٢، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥.

الشوكاني: ٧٩، ٢٧٩، ٣٤١، ٥٨٦،
٧٩٨.

الشياني: ٥٤.

الشيرازي: ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٦٥،
٥٣٢، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٤١، ٥٨٠،
٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦.

[ص]

صابر طعيمة: ١١٤، ١١٩.

صالح بن حميد: ٢٦٣.

صالح الفوزان: ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٥٩.

الصَّعب بن جثَّامة: ٧١.

صلاح الدين: ١٤٠، ١٦٨، ٢٩٠، ٣٨٧،
٦٧٢، ٧٧٨، ٩٠٢.

صموئيل هنتنغتون: ٥٠٠.

[ط]

الطبري: ٧٩، ٨٠، ٨١، ٢٧٧، ٣٧٩،
٤٤٧، ٥٣٨، ٥٨٣.

طه حسين: ١٧٥، ١٧٧، ٢٣٥، ٢٣٨،
٢٤٢، ٢٤٩، ٤٦١.

[ع]

عائشة رضي الله عنها: ١٢٦، ٢٨٧، ٤٢٦،
٤٣٧، ٨٠١.

ابن عابدين: ٥٧.

ابن عباس: ٦٥، ١٦٠، ٣٢٠، ٤٧٨،
٧٦٥.

أبو العباس: ١٤٦.

ابن عبد البر: ٥٤، ٦٠، ٥٢٩، ٥٣٠،
٦٤٨.

عبد البهاء: ١٢٢.

عبد الحميد إبراهيم: ٢٧١.

عبد الحميد بن باديس: ١١٩.

عبد الحميد، السلطان: ٥٠٤، ٨٨١.

عبد الحميد أبو سليمان: ٧٢٧.

عبد الرحمن الرافعي: ٥١٦.

عبد الرحمن بن سمرة: ٨٠٣.

عبد الرحمن بن عوف: ٦٧، ٦٧٥.

عبد الرزاق السنهوري: ٤٨٠.

عبد الرحمن الوكيل: ١١٧.

ابن عبد السلام: ٨١٠.

عبد العزيز البدري: ٤٧٠.

عبد العزيز حجازي: ٦٩١.

عبد العزيز المسند: ٧٨٧، ٧٨٨، ٨٠٠.

عبد القادر عودة: ٢٥٥، ٢٥٦، ٤٠٠،

٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤٦٣، ٤٧٠.

٤٧١، ٤٨٦، ٤٨٨.

عبد الله التركي: ٣٧٦.

عبد الله بن سلام: ٥٦٧.

عبد الله عزام: ٨٧.

عبد الله بن عمر: ٥٨، ٥٩، ١٢٩، ٣٣٧.

عبد الله بن عمرو بن العاص: ٨٠٣.

عبد الله القادري: ١١، ٧٠، ٧٩٤.

عبد الله بن محمود: ٢٧٢، ٢٧٧.

عبد الله بن مسعود: ٣٤٣، ٣٤٤، ٧٦٢،

٤٣٧.

عبد المحسن الداود: ٣٩٧، ٣٩٨.

عبد الوهاب عبد الواسع: ٦٣٢.

أبو عبيد: ٧٦١، ٨١٧.

عبيد الله بن عدي بن الخيار: ٦٦١.

١٣٠ ، ١٣٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٨٤ ،
٣٨٥ ، ٤٤٧ ، ٥٣٨ ، ٦٦١ ، ٦٦٤ ،
٦٧٥ ، ٧٦٢ ، ٧٩٩ ، ٨٠١ .

عمر بن عبد العزيز : ٣٣٦ ، ٣٧٣ ، ٤٤٧ ،
٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٧٦٢ ، ٧٦٥ ، ٧٧٢ ،
٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٨ ، ٨١٧ .

عمرو بن دينار : ٥٨ ، ٥٩ .

ابن عوف : ٧١٦ .

عيد العبادي : ٨١٥ .

عيسى ابن مريم عليه السلام : ٢٢٢ ، ٣٦٣ .

عيسى بن نسطورس : ٥٤٤ .

[غ]

غورباتشوف : ٥٦٧ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ .

غورو : ١٠٧ .

ابن غوريون : ٨٧٧ ، ٥٢٣ .

غيلان : ٣٨٤ .

[ف]

فؤاد زكريا : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

ابن الفارض : ١١٧ .

فاروق ، الملك : ٥٢٠ .

فاطمة رضي الله عنها : ١٠٨ ، ١٢٨ .

أبو الفرج : ٢٩٠ .

فرج فودة : ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

فرعون : ١٢٠ ، ٨٤٧ .

الفضيل بن عياض : ٤٨٠ .

الفيروزآبادي : ٤٢٨ .

فيصل بن عبد العزيز : ٤٧٣ ، ٥٢٦ .

أبو عبيدة بن الجراح : ٦٧٢ ، ٧٦٧ ،
٨٠٢ .

أبو العتاهية : ٣٤٧ .

عثمان بن حنيف : ٧٦٢ .

عثمان بن عفان رضي الله عنه : ١٠٨ ، ٢١٦ ، ٧٦٧ .

ابن عجلان : ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

عدنان عمران : ٧٣٣ .

العدوي : ٣٨٣ .

ابن عربي : ١٠٤ ، ١١٧ .

ابن عروة : ٧٦٧ .

ابن أبي العز : ٤٧٨ .

العزير بالله الفاطمي : ٥٤٤ .

أبو العسلي ، الشاعر : ٨١٨ ، ٨١٩ .

عطاء : ٥٨ ، ٥٩ .

ابن عطية : ٣٤٣ ، ٤٨٤ .

عفيف طبارة : ٢٧٩ .

عقبة بن عامر : ٦٧٢ ، ٨٠٢ .

ابن عقيل : ٤٥٧ .

عكرمة : ٨١ .

أبو علاء : ٤٦٧ .

أبو العلا : ٦١٦ ، ٧١٧ ، ٧٢٧ .

علي الجريتلي : ٧٠٩ .

علي جريشة : ٦١٠ ، ٦١٧ .

علي صبري : ٥٢١ .

علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ١٤٠ ، ٣٣٦ ،

٣٣٧ ، ٥٣٠ .

عماد الدين زنكي : ٣٨٧ .

عمار بن ياسر : ٧٦٢ .

أبو عمر : ٧٤ .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ٥٤ ، ١٠٨ ، ١٢٩ ،

فيلاديمير سميتلوف: ٨٣٠.

فيليب: ٣٥٣.

فلوريدا: ٤١٠.

[ق]

ابن القاسم: ٥٣٧، ٧١٣، ٧١٤.

القاضي عياض: ٥٠.

القاضي الفاضل: ٨٢٢.

قتادة: ٤٦٥.

ابن قدامة: ٥٣، ٥٦، ٦١، ٦٢، ٦٣،

٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٨٠، ٥٨٢،

٥٨٤، ٥٨٥.

القرطبي: ٢٧٧، ٢٧٨، ٨١٠.

أبو قلابة: ٣٤٤.

ابن القيم: ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٦٨، ٧٦،

٢٧٧، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٦،

٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٧٣، ٣٧٤،

٣٨٣، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٢٩، ٥٧٧،

٦٥٩، ٧٥٠، ٧٥١.

[ك]

كارتر: ١١١، ١٩٧.

كارلوسي الثاني: ١٩٤.

الكاساني: ٢٢، ٥٤، ٦٠، ٦٣، ٦٥،

٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٨٠، ٥٨٣،

٥٨٤، ٧١١، ٧١٢.

كاسترو: ٢٢٩.

كافري: ٥٢١.

ابن كثير: ٦٦، ٧٦، ٧٩، ٨٢، ٣١٨،

٤٩٠، ٥٣٣، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧،

٧٧٣، ٧٧٤، ٨٢١.

كرومر: ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣.

أبي بن كعب: ٧٦١.

كعب الأحبار: ٧٦٧.

كميل النخعي: ٣٣٦.

كيرميت روزفلت: ٥٢٠.

كيسنجر: ٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣،

٥٦٣.

كيم روزفلت: ٥١٠، ٥٢٠.

[ل]

لبسيوس: ٢١٠.

لورانس براون: ٣٥١، ٣٥٢، ٤٩٧، ٥٢١،

٥٢٦.

لويس التاسع: ١٩٤.

لوي هندرسن: ٤٩٩.

الليث بن سعد: ٣٢٢.

ابن أبي ليلي: ٣٤٥.

[م]

ماجد الكيلاني: ٣٩٦.

ماركس: ٢٤٠.

مالك: ٧٤، ١٣٧، ٣٢٢، ٣٤٣، ٣٤٤،

٣٧٥.

مالك بن نبي: ٢٩٢، ٣٤٥، ٦١٦، ٤٣٧.

مانع الجهني: ٣٥٧.

المواردي: ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٤٦.

مايلز كوبلاندا: ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٦، ٥١١،

٥٢٠، ٥٢٤، ٨٦٧، ٨٦٨.

المتوكل: ٢٥٩، ٥٤٦.

٨٠٧ .
 محمد قلعه جي : ٧٦٢ .
 محمد المبارك : ٦٠٩ .
 محمد محمد حسين : ٤١٢ .
 محمد المصري : ٧٥٣ ، ٧٥٤ .
 محمد نعيم ياسين : ٢٠٩ .
 محمد نور فرحات : ٢٣٣ ، ٢٤٤ .
 محمد الوكيل : ٨٠٨ .
 محمود الثاني : ٤٩١ .
 محمود الخالدي : ٧٥٦ ، ٧٥٧ .
 محمود خطاب : ٧٨١ ، ٧٨٧ ، ٧٨٩ ،
 ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ،
 ٨٠٠ ، ٨٠٦ ، ٨١٢ ، ٨١٦ .
 محمود زقروق : ١٩٢ .
 محمود زنكي : ٣٨٧ ، ٦٧٣ ، ٨٢١ .
 محمود شاکر : ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦١٧ ، ٦٢١ ،
 ٦٣١ ، ٦٤٣ ، ٦٥٩ ، ٦٦١ ، ٧٢٤ .
 المراغي أبو الوفاء : ٧٤٥ .
 مرما ديوك باكتول : ٤٤٦ .
 مسكويه : ٣٩٢ .
 مسلم بن يسار : ٣٧٥ .
 مصطفى السباعي : ١٩٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٤ .
 معاذ : ٣٤٤ ، ٧٦٧ .
 المغيرة بن عبد الرحمن : ٨١٨ .
 المقتدر : ٥٤٥ .
 مقداد يالجن : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٤٠ ، ٦٠٢ ،
 ٦٠٣ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٥٣ ، ٧٥٥ ،
 ٧٥٦ ، ٨٤٢ .
 المناوي : ٣٧٧ .

مجاهد : ٣٩ ، ٣٧٥ ، ٦٦٥ .
 محسن عبد الحميد : ٤٠٧ .
 محمد أبو زهرة : ٢٥٠ .
 محمد بن إسحاق : ٨١٨ .
 محمد أسد : ١٩٧ ، ٢٠١ .
 محمد أمين المصري : ٢٩٢ .
 محمد الألباني : ٣٢٢ .
 محمد بدري : ٧٦٩ ، ٧٦٠ .
 محمد البهي : ٢٤٩ ، ٢٥٠ .
 محمد الجعوان : ٧٩٧ .
 محمد جمال الدين محفوظ : ٧٨٦ ، ٧٨٧ ،
 ٧٩٦ ، ٧٩٨ .
 محمد حسنين هيكل : ٥١١ ، ٥١٢ .
 محمد حسين هيكل : ٤١٢ .
 محمد رشيد رضا : ٣٣٠ ، ٣٥٨ .
 محمد بن صالح بن عثيمين : ٣٣٣ ، ٣٥٥ ،
 ٣٦٧ ، ٣٧٥ ، ٤٧٩ .
 محمد صفا : ٨٠٩ .
 محمد صلاح الدين : ٤١٦ ، ٤٢٤ .
 محمد بن عبد الله عرفة : ١١ .
 محمد عبده : ٢٣٩ .
 محمد بن عبد الوهاب : ١٤١ .
 محمد عرجون : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٤٢١ .
 محمد الغزالي : ٤٣٧ .
 محمد الغزالي ، أبو حامد : ١١٣ ، ١١٥ ،
 ١٣٥ ، ٧٤٦ .
 محمد فرج : ٧٨٨ .
 محمد الفنجري : ٧١٧ .
 محمد قطب : ١٠١ ، ١٩٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ .

٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ،
٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ،
٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٨٥٥ ،
٨٥٧ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ .

[هـ]

هارون الرشيد: ٢٥٩ ، ٥٤٥ ، ٧٦٢ .
هاريك: ٢١٥ .
أبو هريرة: ٦٧٥ .
هشام بن عروة: ٧٦٧ .
ابن الهمام: ٢٢ ، ٥٩ .
هوارد بلس: ٢١٥ ، ٢٢٣ .
هوارد ويلس: ٢١٣ ، ٢٤٤ .
هولاكو: ١١١ ، ٧٦٢ .
هولبورد: ٤١٠ .
هيرتزل: ٨٨٠ ، ٨٨١ .

[و]

وحيد الدين خان: ٧٥٠ .
الوليد بن المغيرة: ٨٤ .
ابن وهب: ٣٤٣ .
ويتبر تشت: ٢٠٦ .

[ي]

يسوع المسيح: ٢١٦ .
يوسف السلوم: ٧٩١ .
يوسف القرضاوي: ٢٩٦ .
أبو يوسف، يعقوب: ٥٣٦ ، ٧٦٢ .

ابن منظور: ٣٩١ ، ٦٤٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ .
المنفلوطي: ١٧٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٤٦٤ ،
٤١٥ ، ٤١٦ .

ابن المنكدر: ٦٤٨ .

المهدي: ٢٥٩ ، ٧٦٩ .

المودودي: ٢٨ ، ٢٥٣ ، ٣٦٦ ، ٣٩٣ ،
٣٩٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ،
٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،
٦٤٤ ، ٦٥٠ ، ٨٠٩ .

موسى عليه السلام: ٧٦٥ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ .

أبو موسى الأشعري: ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٥٣٩ .

مونتجمري وات: ٥٢٣ .

ميتران: ٥٥٧ .

الميجر ميد: ٥١٥ ، ٥١٩ .

ميكائيل: ٨٠ ، ٩٨ .

[ن]

نابليون: ٢٢٣ ، ٢٢٦ .

ناصر العقل: ٣٣٩ .

الندوي: ١٢٤ ، ٧٤٧ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ .

ابن نسطورس: ٥٤٤ .

نوح شاكار: ٨٣٤ .

نوح عليه السلام: ٨٠ ، ٣٩٩ ، ٦٦٨ ، ٨٤٨ .

النووي: ٥٢ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢ ،

٧٣٣ ، ٧٤٨ .

نيتشة: ٢٤٠ .

نيكسون: ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ،

٥٠٩ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

فهرس المصادر والمراجع

أ: المؤلفات.

(أ)

- إبراهيم حافظ .
---- ديوان حافظ إبراهيم . الطبعة الأولى . بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ،
١٤٠٩ هـ .
- إبراهيم ، حسن ، وسيف عباس ، وعزيز شكري .
---- جولة في السياسة الدولية . الكويت : مؤسسة دار العلوم ، ١٩٧٨ م .
- إبراهيم ، د . عبد الحميد .
---- نقاد الحدائة وموت القارىء . بريدة : نادي القصيم الأدبي ، ١٤١٥ هـ .
- الإبراهيم ، د . محمد عقلة .
---- حوافز العمل بين الإسلام والنظريات الوضعية . الطبعة الأولى . عمّان : مكتبة
الرسالة الحديثة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- أتالي ، جاك .
---- آفاق المستقبل . الطبعة الأولى . نقله إلى العربية : د . محمد زكريا إسماعيل ،
المقدمة بقلم د . عبد الله عبد الدائم ، بيروت : دار العلم للملايين ،
١٩٩١ م .
- الأترابي ، لواء : كمال ، رائد : حسين طنطاوي .
---- دليل التجنيد والخدمة العسكرية . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .
- الآجري ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله .
---- أخلاق العلماء . الطبعة الأولى . تقديم وتحقيق د . أحمد عبد الرحيم الساي .
القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

- الأحذب، خلدون.
- أسباب اختلاف المُحدِّثين، دراسة نقدية مقارنة حول أسباب الاختلاف في قبول الأحاديث وردها. الطبعة الأولى. الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥ هـ.
- سوانح وتأمّلات في قيمة الزمن. الطبعة الرابعة. بيروت: الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ.
- الأحذب، نجم الدين حسن الرماح.
- الفروسية والمناصب الحربية. تحقيق: عيد ضيف العبادي. العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث [٢٢٢].
- الأحسن، د. عبد الله.
- منظمة المؤتمر الإسلامي. ترجمة: د. عبد العزيز إبراهيم الفايز. الطبعة الأولى. الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- أحمد، إبراهيم الخليل.
- المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي. الفجالة: مكتبة الوعي العربي.
- أحمد، صلاح زكي.
- مصر والمسألة الديمقراطية. الطبعة الأولى. بيروت: دار الوسام ودار ابن زيدون، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- أحمد، د. عبد الرحمن يسري.
- الاقتصاد الدولي، الإسكندرية: دار الجامعات المصرية.
- أحمد، اللواء الركن المتقاعد: عبد الله سيد.
- حرب النجوم. بغداد: منشورات وتوزيع المكتبة العالمية.
- الأحيدب، عبد العزيز محمد.
- وصايا العلماء والملوك في حسن السيرة و السلوك. الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- آدم، محمد سلامة.
- المرأة بين البيت والعمل. الطبعة الأولى. دار المعارف، ١٩٨٢ م.
- الأريش، جواد ناصر.
- دساتير العالم العربي. ١٩٧٢ م.

- الإستانبولي، محمود مهدي.
- كتب ليست من الإسلام. الطبعة الثانية. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.
- ابن إسحاق، محمد.
- كتاب السير والمغازي. الطبعة الأولى. دار الفكر، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- أسد، محمد.
- الإسلام على مفترق الطرق. ترجمة: عمر فروخ. الطبعة التاسعة. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧ م.
- الأسدي، عامر.
- تحذير الخلف مما في التلفاز من التلف. الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- أسعيد، د. محمد فايز عبد.
- مشاكل التنمية في العالم الثالث. الطبعة الأولى. الرياض: دار الوطن للنشر والطباعة والإعلام، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- الأشقر، د. عمر بن سليمان بن عبد الله.
- معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية. الطبعة الأولى. عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- فقه الاختلاف، الطبعة الثانية. عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- الأصبهاني، الحافظ أبو محمد جعفر بن حيان.
- أخلاق النبي ﷺ. الطبعة الأولى. دراسة وتحقيق: د. السيد الجميلي. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- الأخطري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي.
- المسالك والممالك. تحقيق: د. محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة: محمد شفيق غريال. دار القلم. القاهرة. ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م.
- ابن أبي أصيبعة.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الثقافة، ١٩٨١ م / ١٤٠١ هـ.

- أرسلان، الأمير شكيب.
- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم. الطبعة الثانية. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- الأعظمي، وليد.
- الزوابع. الطبعة الأولى. ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- أغا، حسين، أحمد سامح الخالدي، قاسم جعفر.
- العالم الثالث والدول المحيطة بالمنطقة العربية، الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢ م.
- الأفغاني، جمال الدين.
- الأعمال الكاملة. دراسة وتحقيق: محمد عمارة. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ١٩٧٩ م.
- إقبال، محمد.
- تجديد الفكر الديني في الإسلام. الطبعة الثانية. ترجمة: عباس محمود العقاد، راجعه: عبد العزيز المراغي، د. مهدي علام. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨ م.
- تحديث الفكر الديني في الإسلام. ترجمة: عباس محمود. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٥ م.
- أقطاب العلماء الأمريكيين.
- حرب الفضاء. ترجمة: د. محمد أسعد عبد الرؤوف. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ م.
- الألباني، محمد بن ناصر الدين.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. الطبعة الأولى. بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة. المكتب الإسلامي.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- صحيح الأدب المفرد. الطبعة الثانية. الجبيل: دار الصديق، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير). الطبعة الثانية. أشرف على

- طبعه: زهير الشاويش. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي،
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- صحيح سنن أبي داود باختصار السند. الطبعة الأولى. اختصر أسانيد، وعلق
عليه، وفهرسه: زهير الشاويش. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج،
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- صحيح سنن ابن ماجه. الطبعة الأولى. الرياض: بتكليف من مكتب التربية
العربي لدول الخليج، بيروت: توزيع المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/
١٩٧٦م.
- صحيح سنن النسائي باختصار السند. الطبعة الأولى. أشرف على طباعته
والتعليق على فهرسته: زهير الشاويش. الناشر: مكتب التربية العربي لدول
الخليج، ٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.
- فتنة التكفير. الطبعة الأولى. تعليق الشيخ: عبد العزيز بن باز، الشيخ: محمد
العثيمين. إعداد: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز. الرياض: دار الوطن
للنشر، ١٤١٧هـ.
- أَلنشتاين، جان.
- الصراع على العالم (١٩٥٠/١٩٨٨م). الطبعة الأولى. ترجمة: موسى
الزعيبي. دمشق: الشاري للنشر والتوزيع، ١٩٩١م.
- الألوري، آدم عبد الله.
- الإسلام وتقاليد الجاهلية، بحث في محاربة التقاليد الشائعة في إفريقيا. الطبعة
الثانية. القاهرة: مطبعة مدني، ١٣٩٩.
- أمين، قاسم.
- الأعمال الكاملة. دراسة وتحقيق: محمد عمارة. بيروت: المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ١٩٧٦م.
- أنس، الإمام مالك.
- المدونة الكبرى. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- الأنصاري، زكريا.
- حاشية الجمل على شرح المنهج. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء
التراث العربي.

- أنيس، د. إبراهيم، د. عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد.

--- المعجم الوسيط. أشرف على الطبع: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين. استانبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.

(ب)

- بابلي، د. محمود محمد.

--- الأسس الفكرية والعملية للاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولى. دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٣ م.

--- الكسب والإنفاق. الطبعة الأولى. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.

--- المال في الإسلام. بيروت: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.

- با جابر، د. عدنان سالم.

--- زيادة الوزن والسمنة، التعريف، الخطورة، العلاج. الطبعة الأولى. مكتبة الوراق، ١٤١٥ هـ.

- الباحسين، د. يعقوب عبد الوهاب.

--- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية دراسة أصولية تأصيلية. الطبعة الثانية. الرياض: دار النشر الدولي، ١٤١٦ هـ.

- البار، د. محمد علي.

--- الانفجار السكاني وقضية تحديد النسل. الطبعة الأولى. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤١٣ هـ.

- الباز، الشوافي.

--- لماذا أسلم هؤلاء القساوسة. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م.

- الباز، د. محمود الطنطاوي.

--- دراسات في الاقتصاد الدولي. الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٩٤ م.

- ابن باز، الشيخ: عبد العزيز.
- موقف اليهود من الإسلام، وفضل الجهاد في سبيل الله. الطبعة الأولى، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٨.
- ابن باز، الشيخ: عبد العزيز، محمد بن صالح العثيمين.
- خطر الإفتاء بغير علم. إعداد: صالح القرشي. الطبعة الأولى. الطائف: مكتبة الطرفين، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- بازمول، محمد عمر سالم.
- الاختلاف وما إليه. الطبعة الأولى. الرياض: دار الهجرة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- بالومبو، ميخائيل.
- كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام [١٩٤٨م]. الطبعة الأولى. بيروت: دار الحمراء ١٩٩٠ م.
- باناجة، د. سعيد محمد أحمد.
- المبادئ الأساسية للعلاقات الدولية والدبلوماسية وقت السلم والحرب. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.
- البيلايوي، د. حازم.
- محنة الاقتصاد والاقتصاديين. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- البثاري، المقدسي.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تقديم د. : محمد مخزوم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي.
- صحيح البخاري. إستانبول: المكتبة الإسلامية.
- الأدب المفرد. الطبعة الثانية. ترتيب وتقديم: كمال يوسف الحوت. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ.
- بدر، د. عبد المنعم محمد.
- مشكلاتنا الاجتماعية (أسس نظرية ونماذج خليجية). الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

- بدران، د. إبراهيم، د. محمد الصقور، د. عبد خرايشه ود. صالح هندي، أحمد دلاشه.
- قضايا التنمية في الوطن العربي. الطبعة الأولى. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م.
- البدري، عبد العزيز.
- الإسلام بين الحكام والعلماء. الطبعة الثانية. الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م.
- حكم الإسلام في الاشتراكية، الطبعة الثانية. المكتبة العلمية، المدينة المنورة. ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.
- بدري، محمد محمد.
- الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة. الطبعة الأولى. مكة المكرمة: دار الرسالة للنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ.
- بدوي، د. أحمد زكي.
- معجم المصطلحات السياسية والدولية. تقديم: سعد الفطاطري. القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- برجاوي، سعيد أحمد.
- الحروب الصليبية في المشرق. الطبعة الأولى. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٤ هـ.
- بروفنسال. ليفي.
- حضارة العرب في الأندلس. ترجمة ذوقان قرقوط. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- بروكلمان، كارل.
- الدول الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى. الطبعة الثانية. ترجمة: د. نبيه أمين فارس، منير البعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٦ م.
- البستي، الإمام أبو حاتم محمد بن حبان.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، محمد عبد الرزاق حمزة، محمد حامد فقي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.

- بصبوص، الرائد ركن: أحمد عبد ربه مبارك.
- العقيدة القتالية في الإسلام. الطبعة الأولى. الأردن: مكتبة الفنار، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.
- البطريق، د. يونس أحمد.
- الملامح الرئيسية في اقتصاديات البلدان العربية. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- البطلوسي، أبو محمد عبد الله بن السيد.
- الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم. اعتنى بتصحيحه، وشرح آياته، وضبط كلماته اللغوية: أحمد عمر المحمصاني الأزهري. مصر: مطبعة الموسوعات، ١٣١٩ هـ.
- الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، الطبعة الثانية. تحقيق: د. محمد رضوان الداية. دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣ هـ.
- ابن بطة، الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة. الطبعة الثانية. تحقيق ودراسة: رضا بن نعلان معطي. الرياض: دار الراجحة للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- بطي، رفائيل.
- الأدب العصري في العراق العربي. قسم المنظوم. مصر: المطبعة السلفية، ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م.
- البعلي، د. عبد الحميد.
- الملكية وضوابطها في الإسلام. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- البغدادي، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي.
- البر والصلة. الطبعة الأولى. تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض. القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٣ هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء.
- شرح السنة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، زهير الشاويش. القاهرة: دار بدر.
- البقري، د. أحمد ماهر.

- العمل في الإسلام. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،
١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م.
- بكار، د. عبد الكريم.
- فصول في التفكير الموضوعي. الطبعة الأولى. دمشق: دار القلم، بيروت:
الدار الشامية، ١٤١٣ هـ.
- بكر، سيد عبد المجيد.
- الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا. سلسلة دعوة الحق. العدد [٢٣]،
١٤٠٤ هـ.
- بكري، أ.د. كامل.
- التمويل الدولي. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر،
١٩٩٤ م.
- بكري، مصطفى.
- غزة - أريحا. الأوراق السرية. الطبعة الأولى. مركز الفكر العربي للدراسات
والنشر، ١٤١٤ هـ.
- البليهي، صالح بن إبراهيم.
- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين. الطبعة الثانية،
١٤٠٤ هـ.
- البناء، الإمام الشهيد حسن.
- العقائد. الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية،
١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م.
- مجموعة رسائل. دار الشهاب.
- البهي، د. محمد.
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. الطبعة الثانية عشرة.
القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١١ هـ/١٩٩١ م.
- الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الأسرة والتكافل. الطبعة الثالثة.
القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.
- القرآن.. والمجتمع. الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٦ هـ/
١٩٨٦ م.

- من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك. القاهرة: مكتبة وهبة.
- منهج القرآن في تطوير المجتمع. الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م.
- البيحاني، محمد بن سالم بن حسين الكدادي.
- إصلاح المجتمع. الطبعة الثانية. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٢٦ - ١٣٩٢ هـ.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد.
- القانون المسعودي. الطبعة الأولى. حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٣ هـ.
- بريس، شمعون.
- الشرق الأوسط الجديد. ترجمة: محمد حلمي عبد الحافظ. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ.
- بيصار، د. محمد.
- العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع. الطبعة الرابعة. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣ م.
- بيكلس، دوروثي.
- تاريخ النظريات الاقتصادية. الطبعة الأولى. ترجمة د.: ماجد البطح. دمشق: دار دمشق، ١٩٨٧/١٩٨٨ م.
- الديمقراطية. ترجمة: زهدي جار الله. بيروت: دار النهار للنشر.
- البيهقي، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين.
- الآداب. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد عبد القادر، أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ.
- مختصر شعب الإيمان. الطبعة الأولى. اختصره الإمام القزويني، حققه وكتب حواشيه: عبد الله حجاج. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥ م.
- مناقب الشافعي. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة التراث، ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م.

(ت)

- التركماني، د. عدنان خالد.
- المذهب الاقتصادي الإسلامي. الطبعة الأولى. جدة: مكتبة السوادي، ١٤١١ هـ.
- التركي، عبد الله بن عبد المحسن.
- أسباب اختلاف الفقهاء. الطبعة الأولى. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م.
- تشيرجي، دان.
- أمريكا والسلام في الشرق الأوسط. ترجمة: محمد مصطفى غنيم. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٣ هـ/١٩٩٣ م.
- ابن تغري بن بردي الأتابكي، جمال الدين أبي الحسن يوسف.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- تقي، شرف الدين.
- النصيرية دراسة تحليلية. بيروت، ١٩٨٣ م.
- التل، عبد الله.
- الأفعى اليهودية في معازل الإسلام. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي.
- جذور البلاء. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م.
- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية. الطبعة الثالثة. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩ هـ.
- التمام، عقيد د. غازي بن سالم بن لافي.
- اقتصاديات الحرب في الإسلام دراسة فقهية معاصرة. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١١ هـ.
- التهانوي، محمد بن علي الفاروقي.

- كشاف اصطلاحات الفنون. حققه: لطفي عبد البديع، ترجم النصوص
الفارسية: عبد النعيم محمد حسنين. راجعه: لطفي الخولي.
- التوبة، غازي.
- الفكر الإسلامي المعاصر. دراسة وتقويم. الطبعة الثالثة. بيروت: دار القلم،
١٩٧٧م.
- توفيق، محمد محمد.
- أفغانستان الجريحة، أفغانستان الحبيبة. الطبعة الأولى. الرياض: مؤسسة
الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، ١٤١٠ هـ.
- التونسي، محمد خليفة.
- الخطر اليهودي. تقديم الأستاذ: عباس محمود العقاد. الطبعة السادسة.
بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.
- الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون. الطبعة الرابعة. بيروت:
المكتب العربي.
- التويجري، حمود بن عبد الله.
- تحذير الأمة الإسلامية من المحدثات التي دعت إليها الأهلة الكويتية.
الطبعة الأولى. الرياض: دار الأسمعي للنشر والتوزيع،
١٤١٣ هـ/١٩٩٢م.
- تيببت، شبتاي.
- بين غوريون والعرب. الطبعة الأولى. ترجمة: غازي السعدي، عمّان: دار
الجليل للنشر والدراسات والبحوث الفلسطينية، ١٩٨٧م.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني
الدمشقي.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. الطبعة الأولى. تحقيق:
د. ناصر عبد الكريم العقل، ١٤٠٤ هـ.
- الإيمان. الطبعة الثالثة. دمشق: المكتب الإسلامي، بيروت: المكتب
الإسلامي، ١٣٩٩م.
- التفسير الكبير. الطبعة الأولى. تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة.
بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

- الجهاد. الجزء الأول. الطبعة الأولى. حقق نصوصه وأخرج أحاديثه: د. عبد الرحمن عميرة. بيروت: دار الجيل، ١٤١١ هـ/١٩٩٢ م.
- الحسبة في الإسلام. حققه وصححه: محمد زهري النجار. الرياض: المؤسسة السعيدية.
- الخلافة والملك. الطبعة الأولى. تحقيق: حماد سلامة، راجعه: د. محمد عويضة. الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.
- درء تعارض العقل والنقل. تحقيق: د. محمد رشاد سالم. مصر: مطبعة دار الكتب، ١٩٧١ م.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. دار المعرفة. حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: بشير محمد عيون. الطبعة الثانية. الرياض: مكتبة المؤيد، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م.
- العبودية. الطبعة الخامسة. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩ هـ.
- فقه التصوف. الطبعة الأولى. تهذيب وتحقيق الشيخ: زهير شفيق الكبي. بيروت دار الفكر العربي، ١٩٩٣ م.
- فقه الجهاد. تعليق: زهير شفيق الكبي. بيروت: دار الفكر العربي، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م.
- كتاب الرد على المنطقيين. تقديم: سليمان الندوي. مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. تصوير عن الطبعة الأولى. جمع وترتيب الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي رحمه الله، وساعده ابنه محمد وفقه الله، ١٣٩٨ هـ.
- مكارم الأخلاق. الطبعة الأولى. تحقيق: عبد الله بدران، محمد عمر الحاجي. دمشق: دار الخير، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م.
- المنتقى من منهاج الاعتدال، في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال. حققه، وعلق على حواشيه، ووقف على طبعه: محب الدين الخطيب. مكتبة المؤيد.
- نقض المنطق. تحقيق الشيخ: محمد بن عبد الرزاق حمزة، الشيخ: سليمان بن عبد الرحمن الصنيع. صححه: محمد حامد الفقي. بيروت: المكتبة العلمية.

--- الوصية الكبرى. حققه، وخرّج أحاديثه، وعلق عليه: أبو عبد الله
محمد بن حمود الحمود. القاهرة: الدار السلفية لنشر العلم، مكتبة السنة،
١٤١٠ هـ.

(ج)

- جابر، العميد الركن المتقاعد: فايز.
- الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة. الطبعة الأولى.
عمّان: دار البيرق للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- جارودي، روجيه.
- ملف إسرائيل - دراسة للصهيونية السياسية. ترجمة: أ.د. مصطفى كمال
فودة. الطبعة الأولى. بيروت: دار الشروق، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ابن الجامي، د. محمد أمان.
- تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة. الطبعة الرابعة. راجعه وخرّج
نصوصه: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي. القاهرة: مكتبة منار السبيل،
١٤١٠ هـ.
- جب، هاملتون.
- دراسات في حضارة الإسلام. الطبعة الثانية. تحرير ستانفورد شو ووليم
بولك. ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد.
بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٤ م.
- جبر، فلاح سعيد.
- مشاكل نقل التكنولوجيا، نظرة إلى واقع الوطن العربي. الطبعة الأولى.
بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩ م.
- الجبرتي، العلامة الشيخ: عبد الرحمن.
- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار. بيروت: دار الجيل.
- الجبهان، إبراهيم بن سليمان.
- معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير. الطبعة الرابعة. الرياض:
عالم الكتب، ١٩٨١ م.

- جبور، د. جورج .
- الفكر السياسي المعاصر في سورية. الطبعة الثانية. بيروت: المنارة، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.
- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد .
- رحلة ابن جبير. بيروت: دار صادر.
- جريشة، د. علي .
- حاضر العالم الإسلامي. الطبعة الرابعة. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.
- جريشة، د. علي، محمود محمد سالم .
- حاضر العالم الإسلامي. القاهرة: مطابع الدجوي.
- جريشة، د. محمد علي، محمد شريف الزبيق .
- أساليب الغزو للعالم الإسلامي. القاهرة: دار الاعتصام.
- الجزائري، أبي بكر جابر .
- رسائل الجزائري الثالثة. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- ابن جزى، عبد الله بن محمد بن جزى الكلبي الغرناطي .
- كتاب الخيل. تحقيق: محمد العربي الخطابي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
- الجصاص الحنفي، الإمام حجة الإسلام أبي بكر أحمد بن علي الرازي .
- كتاب أحكام القرآن. طبعة مصورة عن الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦ هـ.
- ابن الجعد، الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري .
- مسند ابن الجعد. تحقيق: عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي. الطبعة الأولى. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٩ م.
- الجعوان، محمد بن ناصر بن عبد الرحمن .
- القتال في الإسلام، أحكامه وتشريعاته، دراسة مقارنة. الطبعة الثانية. الرياض: مطابع المدينة، ١٤٠٣ هـ.
- الجلال، د. عبد العزيز بن عبد الله .
- التربية والتنمية، تقويم لمنجزات ومواجهة التحديات في دول الخليج

- العربية، ١٩٨٥ - ١٩٩٥ م. الرياض: الدار التربوية للدراسات والاستشارات.
- ابن جماعة الكناني، الشيخ العالم بدر الدين ابن الشيخ العارف أبي إسحاق إبراهيم ابن السيد العارف أبي الفضل سعد الله.
- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم. الطبعة الأولى. حققه وعلق عليه: محمد هاشم الندوي. الدمام: رمادى للنشر، الرياض: المؤتمن للتوزيع، ١٤١٥ هـ.
- الجمال، د. غريب.
- التضامن الإسلامي في المجال الاقتصادي، الطبعة الأولى. جدة: دار الشروق، ١٣٩٧ هـ.
- جمعة، سعد.
- الله أو الدمار. القاهرة: المختار الإسلامي للطبع والنشر.
- المؤامرة ومعركة المصير. الطبعة الثالثة. دار الكتاب العربي، ١٩٦٩ م.
- جميلة، مريم.
- الإسلام في مواجهة الغرب. ترجمة وتعريب: طارق السيد خاطر. القاهرة: المختار الإسلامي للنشر والتوزيع والتصدير.
- رحلتي من الكفر إلى الإيمان.
- الجميلي، رشيد.
- حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي في القرنين الأول والثاني للهجرة. منشورات جامعة قار يونس.
- الجندي، أنور.
- إطار إسلامي للفكر المعاصر. الطبعة الأولى. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ هـ.
- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية. الطبعة الثانية. بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتب التراث الإسلامي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- الصحافة والأقلام المسمومة. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- عقبات في طريق النهضة. القاهرة: دار الاعتصام.

- العودة إلى المنابع . دار الإعتصام .
- محاكمة فكر طه حسين . مراجعة كاملة لمؤلفات وكتابات طه حسين خلال خمسين عاماً، في مواجهة ردود أكثر من أربعين عالماً . دار الاعتصام .
- الجنيدل ، حمد بن عبد الرحمن .
- التملك في الإسلام . الرياض : عالم الكتب ، ١٣٩٠ هـ .
- الجوزو ، د . محمد علي .
- مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة . الطبعة الثانية . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ م .
- جولد تسهير ، أجناس .
- العقيدة والشريعة في الإسلام ، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي . نقله إلى العربية ، وعلق عليه : محمد يوسف موسى ، علي حسن عبد القادر ، عبد العزيز عبد الحق . الطبعة الثانية . مصر : دار الكتب الحديثة ، بغداد : مكتبة المثنى .
- الجوير ، أ . د . إبراهيم بن مبارك .
- الشباب وقضايا المعاصرة . الطبعة الأولى . الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م .
- عمل المرأة في المنزل وخارجه . الطبعة الأولى . الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٦ هـ .
- الجويلي ، الطيب .
- البث الإعلامي عن طريق الأقمار الصناعية والإعلام العربي . الطبعة الأولى . بيروت : دار المسيرة ، تونس : مؤسسة سعيدان : تونس ، ١٩٩١ م .

(ح)

- حاتم ، د . سامي عفيفي .
- دراسات في الاقتصاد الدولي . الطبعة الثالثة . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م .

- حافظ، د. مجدي محب.
- جرائم العرض. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ١٩٩٣م.
- الحاكم النيسابوري، الحافظ الكبير إمام المحدثين أبي عبد الله محمد بن عبد الله.
- المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث. دار الکتب العلمیة.
- حتي، د. فيليب.
- الإسلام منهج حياة. الطبعة الثالثة. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
- العرب، تاريخ موجز. الطبعة الخامسة. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.
- ابن حجر العسقلاني، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر.
- فتح الباري، بشرح صحيح البخاري. الطبعة الثانية. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي محب الدين الخطيب. القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٥م.
- الحداد، محمد أحمد.
- الإسلام في وجه التحديات. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفتح، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م.
- الحرباوي، محمد عوض.
- بدع وعادات يجب أن تزول من المجتمع الإسلامي. الطبعة الأولى. الرياض: مطابع شمس، ١٤١٠ هـ.
- حرك، أبو المجد.
- شركات توظيف الأموال. الطبعة الأولى. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٩ هـ.
- مديونية العالم الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٤١٠ هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد.
- الإحكام في أصول الأحكام، الطبعة الأولى. بيروت: دار الکتب العلمیة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس. الطبعة الثانية. بيروت: دار الکتب العلمیة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

- المحلي. تصحيح: حسن زيدان طلبة. مصر: مكتبة الجمهورية العربية،
١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.
- آل حسان، د. محسن الشيخ.
- الحياة بعد الستين. الطبعة الأولى. الرياض: وكالة الفرزدق للدعاية
والإعلام، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م.
- حسن، إبراهيم حسن.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. الطبعة السابعة.
القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤ م.
- حسن، د. حسين الحاج.
- حضارة العرب في صدر الإسلام. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة الجامعية
للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.
- حسن، د. سيد دسوقي، د. محمود محمد سفر.
- ثغرة في الطريق المسدود. الطبعة الأولى. القاهرة: دار آفاق الغد،
١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.
- الحسن، د. محمد بن إبراهيم.
- الأسلحة الكيميائية والجرثومية والنوية. الطبعة الثانية. الرياض: مكتبة
الخريجي، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م.
- حسن، د. محمد يوسف، سمير أحمد عوض.
- الثروة المعدنية في العالم العربي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- حسنة، عمر عبيد.
- تأملات في الواقع الإسلامي. الطبعة الأولى. بيروت: المكتب الإسلامي،
١٤١١ هـ/١٩٩٠ م.
- الحسن، العلامة عبد الحي فخر الدين.
- تهذيب الأخلاق. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م.
- الحسن، محمد.
- تناقض تحار فيه العيون، وتطابق يسر به المؤمنون. تقديم وترتيب:
أبو الحسن علي الحسن الندوي. الهند: دار عرفات للنشر والترجمة
والتوزيع.
- حسون، د. علي.

- تاريخ الدولة العثمانية. الطبعة الأولى. دمشق: المكتب الإسلامي، بيروت:
المكتب الإسلامي، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- حسين، خليل.
- وثائق مؤتمر السلام، بيروت: المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والإعلام،
١٤١٢ هـ.
- حسين، د. طه.
- مرآة الإسلام. دار المعارف المصرية، ١٩٦٦ م.
- مستقبل الثقافة في مصر. القاهرة: دار المعارف.
- حسين، محمد الخضر.
- الحرية في الإسلام. القاهرة: دار الاعتصام.
- حسين، د. محمد محمد.
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. الطبعة التاسعة. مكة المكرمة: دار
الرسالة للنشر والتوزيع، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- الإسلام والحضارة الغربية. الطبعة الأولى. بيروت: المكتب الإسلامي،
١٣٩٩ هـ.
- حصوننا مهددة من داخلها. الطبعة الثانية عشرة. مكة المكرمة: دار الرسالة
للنشر والتوزيع، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
- الحسيني، أبو النصر مبشر الطرازي.
- الأخلاق في الإسلام. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحصين، سليمان بن إبراهيم بن محمد.
- المال في القرآن الكريم دراسة موضوعية. الطبعة الأولى. الرياض: دار
المعراج الدولية للنشر، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- الحضيف، د. محمد بن عبد الرحمن.
- كيف تؤثر وسائل الإعلام. دراسة في النظريات والأساليب. الطبعة الأولى.
الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- الحطّاب الرعيني، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي.
- مواهب الجليل لشرح مختصر سيدي خليل. الطبعة الأولى. ضبطه وخرّج آياته
وأحاديثه، الشيخ: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية،
١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

- حقي، د. أحمد معاذ.
- الأربعون حديثاً في الأخلاق مع شرحها. الطبعة الأولى. الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع.
- حلاق، د. حسان علي.
- دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر.
- حلباوي، د/ يوسف.
- الصناعة والتكامل الاقتصادي العربي. الطبعة الأولى. دمشق: دار طلاس للترجمة والنشر، ١٩٨٩م.
- حلمي، د. محمود.
- دستور الكويت والدساتير العربية المعاصرة. الطبعة الأولى. ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨م.
- حلمي، د. مصطفى.
- الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية. الطبعة الثانية. الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
- نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة. الطبعة الأولى. الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.
- حمدان، نذير.
- العمل. الطبعة الأولى. دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م.
- الحميد، صالح بن عبد الله.
- أدب الاختلاف. الطبعة الثالثة. الرياض: مؤسسة آسام للنشر، ١٤١٢ هـ.
- أصول الحوار وآدابه في الإسلام. الطبعة الأولى. مكة المكرمة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م.
- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية. الطبعة الثانية. دار الاستقامة، ١٤١٢ هـ.
- ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد.
- الرد على الجهمية والزنادقة مع مقدمة في علم الكلام والمذاهب الهدامة. الطبعة الثانية. الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.
- المسند. الطبعة الثالثة. شرحه وصنع فهرسه: أحمد محمد شاكر. مصر: دار

- المعارف للطباعة والنشر، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن للأقوال والأفعال. بيروت: دار صادر.
- حنفي، د. حسن.
- التراث والتجديد. الطبعة الرابعة. القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١.
- حوي، سعيد.
- جند الله ثقافة وأخلاقاً. الطبعة الأولى. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الخمينية، شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف. الطبعة الأولى. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- حيدر، د. فؤاد.
- التنمية والتخلف في العالم العربي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٠م.

(خ)

- الخاطر، د. عبد الله.
- الهزيمة النفسية عند المسلمين. الطبعة الأولى. لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الخالدي، د. محمود.
- سوسيولوجيا الاقتصاد الإسلامي. الطبعة الأولى. عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- مفهوم الاقتصاد في الإسلام. الطبعة الأولى. عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- خالدي، مصطفى، عمر فروخ.
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية. صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.

- خان، د. ظفر الإسلام.
- حلبجة. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- خان، د. محمد ضفر الله.
- الإسلام والإنسان المعاصر. ترجمة: د. محمد جلال شرف. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١ م.
- خان، وحيد الدين.
- الإسلام والعصر الحديث. الطبعة الثانية. القاهرة: المختار الإسلامي، ١٩٧٨ م.
- الإسلام يتحدى. الطبعة السابعة. القاهرة: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٧ هـ.
- الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل.
- المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد مطيع الحافظ، غزوة بدير. دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- مساوىء الأخلاق ومذمومها. تحقيق: مجدي السيد إبراهيم. القاهرة: مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع.
- الخرشبي، محمد بن عبد الله بن علي.
- الخرشبي على مختصر سيدي خليل. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- خطاب، اللواء الركن: محمود شيت.
- الإسلام والنصر. الطبعة الثانية. دمشق: دار قتيبة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- بين العقيدة والقيادة. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- تعريف المصطلحات العسكرية وتوحيدها. الطبعة الأولى. دمشق: دار قتيبة للطباعة والتوزيع، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- دراسات في الوحدة العسكرية العربية. الطبعة الثانية. دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥ هـ.

- طريق النصر في معركة الثأر. الطبعة الثانية. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٢ هـ.
- العسكرية العربية الإسلامية. الطبعة الأولى. بيروت: دار الشروق، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.
- الوحدة العسكرية العربية. الطبعة الثانية. بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٩ هـ.
- الخطابي، الإمام أبو سليمان حمد بن محمد.
- معالم السنن شرح سنن أبي داود. الطبعة الأولى. تخريج: الأستاذ عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ/١٩٩١ م.
- الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. الطبعة الأولى. دراسة وتحقيق: د. محمد رأفت سعيد. الكويت: دار الفلاح، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.
- الخطيب، عبد الكريم.
- الحرب والسلام في الإسلام. الطبعة الأولى. دمشق: دار نجد للنشر والتوزيع، ١٩٨١ م.
- الخطيب، عمر عودة.
- لمحات في الثقافة الإسلامية. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩ هـ/١٩٧ م.
- المسألة الاجتماعية بين النظم البشرية. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨ هـ.
- الخطيب، محب الدين.
- البهائية. الطبعة السادسة. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.
- دراسات عن البهائية والبابية. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٧ هـ.
- الخطيب، د. محمد أحمد.
- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها وحكم الإسلام فيها. الطبعة الثانية. عمّان: مكتبة الأقصى، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م.
- عقيدة الدرّوز، عرض ونقد. الطبعة الثالثة. الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.

- الخطيب، محمد بن عبد الله .
- خصائص المجتمع الإسلامي . القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية .
- خلاف، عبد الوهاب .
- السياسة الشرعية . الطبعة الثانية . بيروت: مؤسسة الرسالة،
١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون .
- من مسائل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ومعه المنارة على التجارة
والكسب المستطاب بحديث الاحتطاب . النشرة الأولى . الرياض: دار
العاصمة، ١٤٠٧ هـ .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد .
- مقدمة ابن خلدون . بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
- خليل، د . عماد الدين .
- قالوا عن الإسلام . الطبعة الأولى . الرياض: مطبعة سفير،
١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- الخميني .
- الحكومة الإسلامية . الطبعة الثانية . بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر،
١٩٧٩م .
- كشف الأسرار . الطبعة الثانية . قدم له الدكتور محمد أحمد الخطيب . عمّان:
دار عمار للنشر والتوزيع .
- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف .
- مفاتيح العلوم . الطبعة الثانية . حققه: إبراهيم الأبياري . بيروت: دار الكتاب
العربي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .
- خوري، مجيد .
- بحوث في الثقافة الإسلامية . الطبعة الأولى . بيروت: الدار المتحدة للنشر،
١٩٧٩م .
- الخولي، البهي .
- الثروة في ظل الإسلام . الطبعة الرابعة . الكويت: دار القلم،
١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

- الخولي، لطفي.
- عرب؟ نعم. وشرق أوسطيون أيضاً. الطبعة الأولى. القاهرة: مركز الأهرام
للترجمة والنشر، ١٤١٥ هـ.
- الخياط، د. عبد العزيز.
- المجتمع المتكافل في الإسلام. الطبعة الثالثة، القاهرة: دار السلام للطباعة
والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م.
- أبو الخير، عبد المنعم وآخرون.
- المؤامرة على الأخلاق في كتب اللغات الإنجليزية. المنصورة: دار الوفاء
للطباعة والنشر والتوزيع.

(د)

- دراز، د. محمد عبد الله.
- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية. الكويت: دار القلم،
١٤٠٠ هـ.
- دستور الأخلاق في القرآن. الطبعة الرابعة. ترتيب وتحقيق: عبد الصبور
شاهين. بيروت: دار الرسالة، الكويت: دار البحوث العلمية،
١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.
- دروزة، محمد عزة.
- تركيا الحديثة. بيروت: مطبعة الكشاف، ١٣٦٥ هـ/١٩٤٦ م.
- الجهاد في سبيل الله. الطبعة الثانية. بيروت: الناشر للطباعة والنشر والتوزيع
والإعلان، ١٤١٠ هـ.
- دريقة، د. عبد المجيد محمد علي.
- المخدرات وشباب الأمة. الطبعة الأولى. الرياض: دار الهديان للنشر
والتوزيع، ١٤١٤ هـ.
- دعبس، د. محمد يسري إبراهيم.
- الإدمان بين التحريم والمرض، دراسة في أنثروبولوجيا الجريمة، ١٩٩٤ م.
- دغيم، د. أحمد علي.
- السوق الأوروبية المشتركة حاضرها ومستقبلها. القاهرة: الهيئة المصرية
للكتاب، ١٩٨٦ م.

- الدفاعي، عزيز.
- السوق الأوروبية المشتركة، التناقضات والعلاقة مع الكيان الصهيوني. الطبعة الأولى. بغداد: دار الشؤون العامة (آفاق عراقية)، ١٩٩٠م.
- الدقس، د. كامل سلامة.
- الاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية. الطبعة الأولى. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٠٩ هـ.
- آيات الجهاد في القرآن العظيم، دراسة موضوعية، وتاريخية، وبيانية. الكويت: دار البيان، ١٤١٠ هـ.
- دمشقية، عبد الرحمن.
- أبو حامد الغزالي والتصوف. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة طيبة، ١٤٠٦ هـ.
- الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد.
- إصلاح المال. الطبعة الأولى. تحقيق: مصطفى مفلح القضاة. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤١٠ هـ.
- التواضع والخمول. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩ هـ.
- الحلم. تحقيق: مجدي السيد إبراهيم. القاهرة: مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع.
- كتاب ذم الدنيا. الطبعة الأولى. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٣ هـ.
- مكارم الأخلاق. تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم. القاهرة: مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع.
- دنيا، د. شوقي أحمد.
- النظرية الاقتصادية من منظور إسلامي. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة الخريجي، ١٤٠٤ هـ.
- الدموي، حمزة الجمعي.
- الاقتصاد في الإسلام. القاهرة: دار الأنصار.
- عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٤٠٥ هـ.

- دوياسكويه، روجيه .
 ---- إظهار الإسلام . القاهرة: مكتبة الشروق .
 - دوغ، ريتشارد سون .
 ---- طائرات التجسس الحديثة . الطبعة الأولى . ترجمة فؤاد حطيط . بيروت : دار
 عويدات الدولية، ١٩٩٢م .
 - ديل، شارل .
 ---- البندقية جمهورية أرستقراطية . تعريب د. : أحمد عزت عبد الكريم، توفيق
 إسكندري . مصر: دار المعارف .
 - الديلمي، محمد بن الحسن .
 ---- بيان مذهب الباطنية وبطلانه، منقول من كتاب: قواعد عقائد آل محمد . عني
 بتصحيحه د. : شدو طمان . إستانبول: مطبعة الدولة، ١٩٣٨م .
 - ديورانت، ول .
 ---- الوجيز في قصة الحضارة . الطبعة الأولى . ترجمة د. : غازي مختار طليمات .
 دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٤هـ .

(ذ)

- الذهبي، الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان .
 ---- حقوق الجار . تحقيق مبروك إسماعيل . القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع .

(ر)

- رائف، أحمد .
 ---- وتذكروا من الأندلس الإبادة . الطبعة الثانية . القاهرة: الزهراء للإعلام العربي،
 ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
 - رابح، تركي .
 ---- عبد الحميد بن باديس . الطبعة الثالثة . الجزائر: الشركة الوطنية للنشر
 والتوزيع .
 - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد .
 ---- المفردات في غريب القرآن . تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني . بيروت: دار
 المعرفة .

- الرافعي بك، عبد الرحمن .
 ---- في أعقاب الثورة المصرية، الطبعة الأولى . القاهرة: مكتبة النهضة المصرية .
 ١٣٧١هـ/١٩٥١م .
- الرافعي، د. مصطفى .
 ---- الإسلام ومشكلات العصر . الطبعة الثانية . بيروت: الشركة العالمية للكتاب،
 ١٩٨٧م .
- الرافعي، مصطفى صادق .
 ---- تحت راية القرآن . الطبعة الثامنة . بيروت: دار الكتاب العربي،
 ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- وحي القلم . دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
 - ابن أبي الربيع، العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد .
 ---- سلوك المالك في تدبير الممالك . تحقيق د. : حامد عبد الله ربيع . القاهرة:
 دار الشعب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- ربيع، د. محمد عبد العزيز .
 ---- المعونات الأمريكية لإسرائيل . الطبعة الأولى . بيروت: مركز دراسات الوحدة
 العربية، ١٩٩٠م .
- ربيع، محمد محمود، إسماعيل صبري مقلد .
 ---- موسوعة العلوم السياسية . الكويت: جامعة الكويت، ١٩٩٣/١٩٩٤م .
- الربيع، عبد العزيز بن عبد الرحمن .
 ---- المفتي في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر . الطبعة الأولى .
 الرياض: دار المطبوعات الحديثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
- ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد .
 ---- الاستخراج لأحكام الخراج . الطبعة الثانية . بيروت: دار الهجرة،
 ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- آفة الأمم حب الدنيا . الطبعة الأولى . تحقيق إيهاب حمدي غيث . مصر: دار
 الكتاب العربي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
- جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم . الرياض:
 المؤسسة السعيدية .
- الفرق بين النصيحة والتعبير . الطبعة الأولى . تحقيق: بشير محمد عون .

- دمشق: مكتبة دار البيان، الرياض: مكتبة المؤيد، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- فضل علم السلف على الخلف. جمع وتحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي. مكة المكرمة: المكتبة التجارية.
- القواعد في الفقه الإسلامي. الطبعة الثانية. راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨ هـ.
- رسلان، د. أنور أحمد.
- القانون الدستوري المغربي، ١٩٧٧/١٩٧٨م.
- ابن رشد الحفيد، الإمام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد. الطبعة الثانية. راجع أصوله وعلق عليه الأستاذ: عبد الحلیم محمد عبد الحلیم. القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الرشيد، إبراهيم ناصر.
- المسيح الدجال بيننا. الطبعة الأولى. جدة: مطابع دار مدني، ١٤١٣هـ.
- رضا، محمد رشيد.
- الإسلام والمدنية. القاهرة: دار الفكر الإسلامي.
- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. الطبعة الأولى. مصر: مطبعة المنار، ١٣٥٠هـ.
- رفاعي، د. علي عبد الله.
- رواد علم الفلك في الحضارة العربية الإسلامية. الطبعة الثانية. الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٤هـ.
- الرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن.
- النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية. المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع.
- الرماني، زيد.
- الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي. رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، العدد ١٤٨، ٤/١٤١٥هـ.
- رمضان، محمد مصطفى.
- الشعبية الجديدة.

- الرويثي، محمد أحمد.
 ---- جوانب من مشكلة الغذاء في العالم والوطن العربي. الرياض: دار اللواء للنشر
 والتوزيع، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
 - ريسلر، جاك.
 ---- الحضارة العربية. الطبعة الأولى. تعريب د. خليل أحمد خليل. بيروت:
 منشورات عويدات، ١٩٩٣م.

(ز)

- زحلان، أنطون.
 ---- البعد التكنولوجي للوحدة العربية. الطبعة الثالثة. بيروت: مركز دراسات
 الوحدة العربية، ١٩٨٥م.
 ---- حيازة القدرة التكنولوجية. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة
 العربية، ١٩٩٠.
 ---- العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي. الطبعة الخامسة، بيروت: مركز
 دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠م.
 ---- هجرة الكفاءات العربية، بحوث ومناقشات. مركز دراسات الوحدة العربية.
 - الزحيلي، د. محمد.
 ---- مرجع العلوم الإسلامية، تعريفها، تاريخها. الطبعة الثانية. دمشق: دار
 المعرفة، ١٤١٣هـ.
 - الزحيلي، د. وهبة.
 ---- آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة. الطبعة الثالثة. دار الفكر،
 ١٤٠١هـ.
 ---- العلاقات الدولية في الإسلام. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة،
 ١٤٠١هـ.
 - زرزور، د. عدنان محمد.
 ---- القومية والعلمانية مدخل علمي. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة،
 ١٤١٣هـ.

- آل زعير، د. سعيد بن مبارك.
- التليفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية. القاهرة، بيروت: دار الشروق.
- الزغبى، موسى.
- أنظام دولي جديد أم هيمنة امبريالية جديدة؟. الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- زقروق، د. محمود حمدي.
- قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام. الطبعة الأولى. القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- مقدمة في علم الأخلاق. الطبعة الثالثة. الكويت: دار القلم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- زكي، د. رمزي.
- الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة مساهمة نحو فهم أفضل. الطبعة الأولى. الكويت: مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- بحوث في ديون مصر الخارجية. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٥م.
- التضخم في العالم العربي، بحوث ومناقشات اجتماع خبراء. الطبعة الأولى. نيقوسيا: دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٨٦م.
- حوار حول الديون والاستقلال مع دراسة الوضع الراهن لمديونية مصر. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٦م.
- زلزله، د. عبد الحسن.
- العمل العربي المشترك والاعتماد على الذات، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٧م. دار الشباب للنشر، قبرص.
- زمزمي، يحيى بن محمد حسن.
- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. الطبعة الأولى. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، الدمام: رمادى للنشر، ١٤١٤هـ.
- زنايبلي، د. عبد المنعم.
- الحوار العربي - الأوربي. دراسات اجتماعية. دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٣م.

- زهران، د. لواء: أحمد أنور.
- التكنولوجيا والحرب المعاصرة. الطبعة الأولى. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- أبو زهرة، محمد.
- العلاقات الدولية في الإسلام. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر. ١٣٨٤هـ.
- زورغيب، شارل.
- الأتحاف في النظام العالمي. الطبعة الأولى. ترجمة: د. خضر خضر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- زيادة، نقولا.
- رواد الشرق العربي في العصور الوسطى. الطبعة الثانية. بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
- زيدان، د. عبد الكريم.
- الفرد والدولة. الطبعة الرابعة. الكويت: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٩٨٥م.
- المفصل في أحكام المرأة. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- أبو زيد، بكر بن عبد الله.
- تحريف النصوص، من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال. الطبعة الأولى. الرياض: دار العاصمة، ١٤١٢هـ.
- تصنيف الناس بين الظن واليقين. الطبعة الأولى. الرياض: دار العاصمة، ١٤١٤هـ.
- التعامل وأثره على الفكر والكتاب. الطبعة الثالثة. الرياض: مكتبة دار الراية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية. الطبعة الثالثة. الرياض: دار الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- حلية طالب العلم. الطبعة الثانية. الرياض: دار الراية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- أبو زيد، د. مصطفى فهمي.

--- النظام الدستوري المصري. الطبعة الأولى. الإسكندرية: منشأة المعارف،
١٩٨٤ م.

- الزيلعي الحنفي، العلامة فخر الدين عثمان بن علي.

--- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق. الطبعة الثانية، طبعة بالأوفست. دار الكاتب
الإسلامي.

- زين، نور الدين زين.

--- نشوء القومية العربية مع دراسات تاريخية في العلاقات العربية التركية. الطبعة
الثانية. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٢ م.

- زين العابدين، محمد سرور بن نايف.

--- الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو. الطبعة الثالثة. برمنجهام: دار الأرقم،
١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

(س)

- سالم، عبد الله نجيب.

--- المراهقون، ظاهرة الانحراف، أسبابها وعلاجها. الطبعة الأولى. الكويت:
دار حواء، ١٤١٢ هـ.

- السالوس، د. علي أحمد.

--- عقيدة الإمامية عند الشيعة الإثني عشرية. الطبعة الثانية. القاهرة: دار
الاعتصام، ١٤١٣ هـ.

- السباعي، د. زهير أحمد، د. شيخ إدريس عبد الرحيم.

--- القلق وكيف تتخلص منه. الطبعة الأولى. دمشق: دار القلم، بيروت: الدار
الشامية، ١٤١٢ هـ.

- السباعي، د. مصطفى.

--- أخلاقنا الاجتماعية. الطبعة الخامسة. بيروت: المكتب الإسلامي،
١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

--- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم. الطبعة الثالثة. بيروت: المكتب
الإسلامي، ١٤٠٥ هـ.

--- من روائع حضارتنا. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩١ م.

- السبكي، علي بن عبد الكافي، وولده: تاج الدين عبد الوهاب علي السبكي.
- الإبهاج في شرح المناهج، على مناهج الوصول إلى علم الأصول، للقاضي البضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ. الطبعة الأولى. كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- سيرز، إدوارد.
- الحرب الكيماوية. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩١م.
- سبيع، عبد العظيم عبد العزيز.
- حاضر العالم الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة السلام العالمية، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
- ستودارد، لوثر وب الأمريكي.
- حاضر العالم الإسلامي. الطبعة الرابعة. نقله إلى العربية: عجاج نويهض. لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م.
- ستوارت، ديزموند.
- تيودور هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية. الطبعة الثانية. ترجمة: فوزي وفاء، إبراهيم منصور. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٩م.
- السحمراني، د. أسعد.
- الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة. الطبعة الأولى. بيروت: دار النفائس، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- البهائية والقاديانية. الطبعة الأولى. بيروت: دار النفائس، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- التصوف، منشؤه ومصطلحاته. الطبعة الأولى. بيروت: دار النفائس.
- السحيم، د. محمد.
- من أخطائنا في تربية أولادنا، وطرق علاجها في الإسلام. الطبعة الأولى. الرياض: دار العاصمة، ١٤١٥هـ.
- السدحان، عبد الله بن ناصر.
- وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ.

- السرخسي، شمس الدين .
 ---- كتاب المبسوط . بيروت: دار الفكر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،
 ١٤٠٩هـ .
- سنكين، فؤاد .
 ---- محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية . فرانكفورت: معهد تاريخ
 العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- سعد، الرائد الركن: بهاء الدين محمد، الرائد: جمال يوسف الخلفات .
 ---- العسكرية الإسلامية وقادتها العظام . الطبعة الثانية . الزرقاء: مكتبة المنار،
 ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- ابن سعد، محمد .
 ---- الطبقات الكبرى . بيروت: دار صادر .
- السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر .
 ---- المجموعة الكاملة لمؤلفات . عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي،
 ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية . الطبعة الأولى . اعتنى به وخرّج أحاديثه:
 إبراهيم الحازمي . الرياض: دار الشريف للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ .
- أبو السعود، محمود .
 ---- خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي . الكوي: الاتحاد الإسلامي العالمي
 للمنظمات الطلابية، ١٣٩٨هـ .
- سعيد، جودت .
 ---- العمل قدرة وإرادة . الطبعة الثانية . بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٤هـ .
- فقدان التوازن الاجتماعي، مشكلة الزي والملابس . الطبعة الأولى . بيروت:
 دار الفكر المعاصر، ١٤١٤هـ .
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم .
 ---- كتاب الأموال . الطبعة الأولى . تقديم ودراسة وتحقيق: د. محمد عمارة .
 بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .
- سلطان، جمال .
 ---- فقه الخلاف مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي . الطبعة الأولى . برمنجهام:
 مركز الدراسات الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

- سلطان، م. محمد.
- رؤية معاصرة لاحتفالنا الإسلامية. المنصورة: مكتبة الإيمان.
- السلوم، يوسف إبراهيم.
- مدخل إلى العلوم العسكرية. الطبعة الثانية. الرياض: دار عبد الرحمن الناصر للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- سليم، د. محمد السيد.
- العلاقات بين الدول الإسلامية. الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ.
- السميح، د. محمد بن علي.
- ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية. الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- السنهوري، أ.د. عبد الرزاق أحمد.
- فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية. ترجمة نظرية الخلافة الجديدة: د. نادية عبد الرزاق السنهوري، مراجعة د.: توفيق محمد الشاوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.
- الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، نظرية الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام. القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٥٢م.
- سون، دوغ ريتشارد.
- طائرات التجسس الحديثة. الطبعة الأولى. ترجمة: فؤاد حطيط. بيروت: دار عويدات الدولية، ١٩٩٢م.
- سويد، العميد الركن: د. ياسين.
- الفن العسكري الإسلامي. الطبعة الأولى. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٨٨م/١٤٠٩هـ.
- السيد، د. عبد الله محمد قسم.
- التنمية في الوطن العربي. الطبعة الأولى. دار الكتاب الحديث، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير... الطبعة. دار النشر: بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر.

- السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).
- الإتيقان في علوم القرآن. الطبعة الرابعة. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- أدب الفتيا. تحقيق: محمد عبد الفتاح سليمان عماوي ومحمد أحمد الرواشدة. بيروت: المكتب الإسلامي، عمّان: دار عمار.
- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية. الطبعة الثانية. تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ. دار إحياء الكتب العربية.
- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع. الطبعة الأولى. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- حسن السميت في الصمت. الطبعة الأولى. حققه وخرّج أحاديثه: نجم عبد الرحمن خلف. دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

(ش)

- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي.
- الاعتصام. الطبعة الثانية. الخبر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- الشافعي، الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس.
- الأم. الطبعة الأولى. خرّج أحاديثه، وعلق عليه: محمود مطرجي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
- شاکر، د. محمود.
- اقتصاديات العالم الإسلامي. الطبعة السادسة. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.
- التخلف. الطبعة الأولى. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

- العالم الإسلامي اليوم. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الصحوة،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- العالم الإسلامي. الطبعة الثالثة. بيروت: المكتب الإسلامي،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- أبو شامة الشافعي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل
ابن إبراهيم.
- الباعث على إنكار البدع والحوادث. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر
اللبناني، ١٩٩٢م.
- شاندر، راجيش.
- التصنيع والتنمية في العالم الثالث. ترجمة د. : محمد محمود عمار. القاهرة:
مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤م.
- شاه، ناصر الدين.
- أفغانستان والغزو الشيوعي. الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- الشاوي، د. توفيق محمد.
- الشرق الأوسط والأمة الوسط. الطبعة الأولى. القاهرة: الزهراء للإعلام
العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- الشبانة، عبد الله بن محمد.
- المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية. الطبعة الأولى. الرياض: دار طيبة،
١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- شبير، د. محمد عثمان.
- المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي. الطبعة الأولى. الأردن: دار
النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- شربل، د. مورييس.
- موسوعة علماء الرياضيات. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية،
١٤١١هـ/١٩٩١م.
- موسوعة علماء الفيزياء. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية،
١٤١١هـ/١٩٩١م.
- الشرع، حسين علي.
- النفط والتنمية الشاملة في الوطن العربي. الطبعة الأولى. الرياض: دار العلوم

- للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ.
- الشريف، عبد السلام بن نصر الله.
- سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم. الطبعة الأولى. الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، ١٤١٥هـ.
- الشقافي، د. خليل إبراهيم.
- الردع النووي في الشرق الأوسط. الطبعة الأولى. بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- شقرة، محمد إبراهيم.
- المجتمع الرياني. الطبعة الثانية. عمّان: المكتبة الإسلامية، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- فتنة الأمة. الطبعة الأولى. الرياض: دار السلف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- شقلية، د. أحمد.
- جغرافية العالم الإسلامي. الطبعة الأولى. جدة: مكتبة السوادي للتوزيع، ١٤٠٦هـ.
- الشالدة، عوض حسين سلمان.
- أفغانستان، دراسة تاريخية إعلامية جهادية. الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- شلبي، د. أحمد.
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. الطبعة الخامسة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م.
- شلبي، د. عبد الودود.
- أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية. الطبعة الخامسة. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الزحف إلى مكة حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- شلتوت، محمود.
- أسباب البدع ومظاهرها. تحقيق: عبد الآخر حماد.

- شمتز، باول.
- الإسلام قوة الغد العالمية. ترجمة: الدكتور محمد شامة. القاهرة: مكتبة وهبة.
- الشمري، فهد بن جازع.
- الأخلاقيات وأثرها على العمل. الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- الشتوت، خالد.
- المسلمون والتربية العسكرية. الطبعة الأولى. جدة: مكتبة دار المطبوعات الحديثة، المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- الشنقيطي، د. محمد الأمين مصطفى.
- التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- الشهابي، د. إبراهيم يحيى.
- مفهوم الحرب والسلام في الإسلام. الطبعة الأولى. مؤسسة مي للطباعة والتوزيع، ١٩٩٠م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد.
- كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام. القاهرة: مكتبة المتنبى.
- الملل والنحل. الطبعة الثانية. تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاهود. بيروت: دار المعرفة ١٤١٢هـ.
- الشوبكة، أحمد فهد بركات.
- حركة الجامعة الإسلامية. الطبعة الأولى. الزرقاء: مكتبة المنار، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ.
- شوقي، أ. د. محمود أحمد ود. محمد مالك محمد سعيد.
- تربية المعلم للقرن الحادي والعشرين. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد.
- أدب الطلب ومنتهى الأرب. دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت. مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ.
- الشيباني، محمد بن الحسن.
- الاكتساب في الرزق المستطاب. الطبعة الأولى. تحقيق محمود عرنوس. مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- شرح كتاب السير الكبير. أملاه: محمد بن أحمد السرخسي. تحقيق: د. صلاح الدين المنجد. مطبعة شركة إعلانات الشرقية، ١٩٧١م.
- شيحا، د. إبراهيم.
- محاضرات في تحليل النظام الدستوري في جمهورية مصر العربية. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية، ١٩٧٨م.
- الشيخ أحمد، أبو بكر علي.
- الصومال وجذور المأساة الراهنة. الطبعة الأولى. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- الشيرازي، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف.
- اللمع في أصول الفقه. الطبعة الأولى. تحقيق: محيي الدين أديب، يوسف علي بدوي، دمشق: دار الكلم الطيب، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- المهذب في فقه الإمام الشافعي. الطبعة الثالثة. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- الشيرازي، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن.
- المنهج المسلوك في سياسة المملوك. الطبعة الأولى. تحقيق ودراسة علي عبد الله الموسى. الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(ص)

- صالح، د. سعد الدين السيد.
- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام. الطبعة الثانية. الزقازيق: دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الصانع، أ. نبيل الطواهره. نخبة من رجال القانون.

- الأحكام الدستورية للبلاد العربية. بيروت: دار الجامعة للصحافة والطباعة والنشر.
- الصاوي، د. محمد صلاح.
- تهافت العالمية في مناظر ونقابة المهندسين بالإسكندرية. القاهرة: الآفاق الدولية للإعلام، ١٤١٣ هـ.
- مدى شرعية الانتماء إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية. الطبعة الثانية. القاهرة: الآفاق الدولية للإعلام، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م.
- نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية. الطبعة الأولى. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٢ هـ.
- المواجهة بين الإسلام والعلمانية. الطبعة الأولى. القاهرة: الآفاق الدولية للإعلام ١٤١٣ هـ.
- الوجيز في فقه الخلافة. الطبعة الثانية. القاهرة: دار الإعلام الدولي، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م.
- صبري، مصطفى.
- النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة. الطبعة الأولى. صححه وعلق عليه حسن السماحي سويدان. بيروت: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١ هـ.
- صفا، العقيد محمد.
- الحرب. الطبعة الثانية. بيروت: دار الرؤية العلمية، ١٩٨١ م.
- الصقار، د. فؤاد محمد.
- الجغرافية الصناعية في العالم. الإسكندرية: منشأة المعارف.
- صقر، د. عبد الرشيد.
- سليات الحركة الإسلامية وعلاجها. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م.
- الصمد، واضح.
- الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٢ هـ/١٩٨١ م.
- صنيان، محمد بن.

--- التقاعد. الطبعة الثانية. الرياض: مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد،
١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- الصواف، محمد محمود.

--- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام. دار الإصلاح، الدمام، السعودية.

--- معركة الإسلام، أو وقائعنا في فلسطين، بين الأمس واليوم. الطبعة الأولى.
بيروت: مطابع معتوق إخوان، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

(ض)

- ضابط تركي سابق.

--- الرجل الصنم كمال أتاتورك. أول كتاب عن حياة كمال أتاتورك بالتفصيل.
الطبعة الرابعة. ترجمة عبد الله عبد الرحمن. بيروت: مؤسسة الرسالة،
١٤١٢هـ.

- الضحيان، د. عبد الرحمن بن إبراهيم.

--- المنظمات الدولية الإسلامية، والتنظيم الدولي (دراسة مقارنة). الطبعة
الأولى. أبها: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(ط)

- طالب، محمد سعيد.

--- النظام العالمي الجديد والقضايا العربية الراهنة. الطبعة الأولى. دمشق:
الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

- طاليس، أرسطو.

--- علم الأخلاق إلى نيقوماخوس. ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية، وصدّره
بمقدمة ممتعة في علم الأخلاق وتطوراته، وعلق عليه تعليقات تفسيرية:
بارتلمي سانتهلير. نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد. القاهرة: مطبعة دار
الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م.

- ابن طاهر البغدادي، الأستاذ الإمام عبد القاهر.

--- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. بيروت: دار الجيل، دار الآفاق
الحديثة، ١٤٠٨هـ.

- طبارة، عفيف عبد الفتاح.

---- روح الدين الإسلامي. الطبعة السابعة والعشرون. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨م.

- الطبراني.

---- مكارم الأخلاق. الطبعة الثالثة. تحقيق: د. فاروق حمادة. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.

---- اختلاف الفقهاء. بيروت: دار الكتب العلمية.

---- تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار سويدان.

---- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- طبل، الشيخ محمد مجاهد وإبراهيم بن محمد.

---- صلة الرحم فضلها، أحكامها، إثم قاطعها. الطبعة الثانية. طنطا: دار الصابة للتراث، ١٤١٠هـ.

- طربين، د. أحمد.

---- التجزئة العربية كيف تحققت تاريخياً. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧م.

- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد.

---- كتاب الحوادث والبدع. تحقيق: محمد الطالب. تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

- الطريقي، د. عبد الله بن إبراهيم.

---- فقه التعامل مع المخالف. الطبعة الأولى. الرياض: دار الوطن، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- الطريقي، د/ عبد الله عبد المحسن.

---- الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف. الطبعة الثالثة. الرياض: مكتبة الحرمين، ١٤١٠هـ.

- الطريقي، د. عبد الله بن محمد بن أحمد.

---- الإسراف. الطبعة الأولى. الرياض: المديرية العامة للمطبوعات، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- طعيمة، د. صابر .
 --- التصوف معتقداً ومسلكاً. الطبعة الأولى. الرياض: دار عالم الكتب للنشر
 والتوزيع، ١٤٠٥ هـ .
 - الطفيلي، د. علي ضاهر .
 --- السياسة الاقتصادية الدولية: الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب الحديث،
 ١٩٨٧ م .
 - طقوش، د. محمد سهيل .
 --- العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة. الطبعة الأولى. بيروت:
 دار بيروت المحروسة، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م .
 - طوران، مصطفى .
 --- أسرار الانقلاب العثماني. الطبعة الرابعة. ترجمة: كمال خوجة. القاهرة: دار
 السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م .
 - الطوسي، أبو النصر السراج .
 --- اللُّمَع. حققه، وقدم له، وخرَّج أحاديثه: د. عبد الحليم محمود، طه عبد
 الباقي سرور. مصر: دار الكتب الحديثة، بغداد: مكتبة المثنى،
 ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م .
 - الطويل، توفيق .
 --- قصة الصراع بين الدين والفلسفة. الطبعة الأولى. دار النهضة العربية،
 ١٩٧٩ م .
 - الطويل، د. نبيل صبحي .
 --- الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. الطبعة الأولى. قطر: رئاسة المحاكم
 الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١٤ هـ .

(ظ)

- ظهير، إحسان إلهي .
 --- الإسماعيلية تاريخ وعقائد. الطبعة الأولى. لاهور: إدارة ترجمان السنة،
 ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م .
 --- البابية عرض ونقد. الطبعة الرابعة. لاهور: إدارة ترجمان السنة،
 ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م .

- بين الشيعة وأهل السنة. لاهور: إدارة ترجمان السنة.
- التصوف. المنشأ والمصادر. الطبعة الأولى. لاهور: إدارة ترجمان السنة،
١٤٠٦هـ.
- دراسات في التصوف. الطبعة الأولى. لاهور: إدارة ترجمان السنة،
١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- الشيعة وأهل البيت. الطبعة السادسة. لاهور: إدارة ترجمان السنة،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الشيعة والتشيع فرق وتاريخ. الطبعة الأولى. لاهور: إدارة ترجمان السنة.
١٤٠٤هـ.
- القاديانية دراسات وتحليل. الطبعة الثانية عشرة. لاهور: إدارة ترجمان السنة،
١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(ع)

- ابن عابدين، محمد أمين.
- ردُّ المختار على الدرِّ المختار شرح تنوير الأبصار. الطبعة الأولى. دراسة
وتحقيق وتعليق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ: علي محمد
معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- العارف، حازم إبراهيم.
- الجيش العربي الإسلامي. الرياض: دار الرشيد للنشر والتوزيع.
- عاشور، د. سعيد عبد الفتاح.
- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى. بيروت: دار النهضة
العربية، ١٩٧٢م.
- حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة
والنشر، ١٩٧٦م.
- عاشور، د. فايد حماد محمد.
- الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي. الطبعة الأولى. القاهرة:
دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ.
- العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي. القاهرة: دار
المعارف.

- عامر، د. محمد عبد المجيد.
- الثروات المعدنية في العالم الإسلامي. الإسكندرية: منشأة المعارف.
- العبادي، د. أحمد مختار، د. السيد عبد العزيز سالم.
- تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨١م.
- العبادي، بسام محمد.
- الهجرة اليهودية إلى فلسطين. الطبعة الأولى. عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- أبو العباس، محمد علي.
- معاملة الخدم في الإسلام. القاهرة: مكتبة القرآن.
- عباسي، محمد عيد.
- المذاهب المتعصبة هي البدعة أو بدعة التعصب المذهبي، الطبعة الثانية. عمّان: المكتبة الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- العباسي، الحسن بن عبد الله.
- آثار الأول في ترتيب الدول. الطبعة الأولى. تقديم د. عبد الرحمن عميرة. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ابن عبد البر، شيخ الإسلام العلامة العلم حافظ المغرب الناقد البصير أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد.
- جامع بيان العلم وفضله. الطبعة الأولى. تحقيق: أبو الأسبال الزهيري. الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الدرر في اختصار المغازي والسير. الطبعة الثانية. دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي. الطبعة الثانية. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله.
- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه. الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- عبد الحميد، د. محسن.
- الإسلام والتنمية الاجتماعية. الطبعة الأولى. جدة: دار المنارة للنشر

- والتوزيع، ١٤٠٩هـ.
- حقيقة البابية والبهاية. الطبعة الخامسة. حلوان: دار الصحوة للنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- عبد الخالق، عبد الرحمن.
- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة. الطبعة الرابعة. القاهرة: دار الحرمين للطباعة، ١٤١٠هـ.
- عبد الرازق، علي.
- الإسلام وأصول الحكم. الطبعة الثانية. تقديم: د. محمد عمارة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م.
- عبد الرحمن، حكمت نجيب.
- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- ابن عبد السلام، الإمام الفقيه المحدث عز الدين عبد العزيز.
- أحكام الجهاد وفضائله. الطبعة الأولى. تحقيق: د. نزيه حماد. جدة: مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- عبد الصمد، محمد كامل.
- التليفزيون بين الهدم والبناء. الطبعة الثانية. الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- عبد الظاهر، د. حسن عيسى.
- القاديانية: نشأتها وتطورها. الطبعة الثالثة. الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ.
- عبد الفتاح، سميح.
- انهيار الامبراطورية السوفياتية نظام عالمي جديد أحادي القطب. الطبعة الرابعة. عمّان: دار الشروق، ١٩٩٦م.
- عبد الكريم، د. فتحي أحمد، د. أحمد محمد العسال.
- النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه. الطبعة التاسعة. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- عبد الله، د. محمد حامد.
- النظم الاقتصادية المعاصرة. الطبعة الأولى. الرياض، جامعة الملك سعود: عمادة شؤون المكتبات، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- العبد، د. عبد اللطيف محمد.
- الأخلاق في الإسلام. المدينة المنورة: مكتبة أنوار السعودية.
- العبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد بن علي.
- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عرض ونقض. الطبعة الأولى، دار الوطن للنشر ١٤١٢ هـ.
- عبد المنعم، د. م: بكر.
- دولة فلسطين - مؤتمر السلام. الطبعة الأولى. بيروت: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
- عبد المولى، د. محمود.
- العالم الثالث ونمو التخلف. الطبعة الثانية. تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٦م.
- عبده، د. جمال محمد أحمد.
- دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية. الطبعة الأولى. عمان: دار الفرقان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- عبده، د. عيسى.
- الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج، الكتاب الأول في المدخل. القاهرة: دار الاعتصام.
- بتروال المسلمين ومخططات الغاصبين. القاهرة: دار المعارف.
- الملكية في الإسلام. القاهرة: دار المعارف.
- عبده، محمد.
- الإسلام والنصرانية، مع العلم والمدنية. الطبعة السادسة، ١٣٦٣هـ.
- العبد، محمد سليمان.
- تعليق على التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي، مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية. الطبعة الأولى. الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم. الطبعة الثانية. الكويت: دار الأرقم، ١٤٠٦ هـ.

- عبده، د. محمود يوسف مصطفى.
- الاستغلال السياسي للإسلام. الطائف: مكتبة الطرفين، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- عبد الواسع، عبد الوهاب بن أحمد.
- الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة. الطبعة الأولى. الرياض: دار الطاير للنشر والتوزيع، ١٣١٤هـ.
- عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. الطبعة الخامسة. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ.
- عبد الوهاب، عبد الرحمن.
- تصفية الوجود الإسلامي. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة إشبيلية، القاهرة: دار الكرامة، ١٤١٣هـ.
- العبود، صالح بن عبد الله.
- فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام. الطبعة الأولى. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- أبو العتاهية.
- ديوان أبي العتاهية. بيروت: دار صادر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- عتيقة، د. علي أحمد ودكتور رافت شفيق بسادة.
- النفط والتنمية الصناعية في الوطن العربي. الطبعة الأولى. الكويت: كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- عثمان. حسني شيخ.
- المشايخ والاستعمار. الطبعة الخامسة. الرياض: دار طيبة، ١٤١٣هـ.
- العثيمين، محمد بن صالح.
- إلى متى هذا الخلاف. علق عليه وخرّج أحاديثه: أحمد العبد العزيز الحمدان. جدة: دار المجتمع.
- الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه. مكتبة الوعي الإسلامي.
- شرح أصول الإيمان. الطبعة الأولى. الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤١٠هـ.
- عقيدة أهل السنة والجماعة. الأحساء: مكتبة ابن الجوزي.
- لقاء الباب المفتوح. الطبعة الأولى. إعداد د. عبد الله الطيار. الرياض: دار الوطن، ١٤١٤هـ.

- ابن عذارى، المراكشي.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد إبراهيم الكناني، محمد زبير، محمد بن تاويت وعبد القادر زمامة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- عرجون، محمد الصادق.
- سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم. الطبعة الثالثة. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- أبو عرفة، عبد الرحمن.
- الاستيطان. الطبعة الثانية. عمان: دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٦م.
- العريض، جليل إبراهيم.
- عضو هيئة التدريس بجامعة دول الخليج العربية، تأهيلية تقويمية. دراسة أغدها بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٤هـ.
- عريف، د. محمد خضر.
- الحدائث. مناقشة هادئة لقضية ساخنة. الطبعة الأولى. تقديم: د. أحمد الشيباني. دار القبلة للثقافة الإسلامية.
- عزام، د. عبد الله.
- آيات الرحمن في جهاد الأفغان. الطبعة الخامسة. جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ.
- العقيدة وأثرها في بناء الجيل. بيروت: دار ابن حزم.
- ابن أبي العز، علي بن محمد الحنفي.
- شرح العقيدة الطحاوية. الطبعة الثانية. تحقيق د. عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.
- عزيز، فريدا.
- النظام العالمي الجديد والقرن [٢١]. الطبعة الأولى. دمشق، بيروت: دار الجديد، دار الرشيد، ١٤١٤هـ.

- العسال، د. أحمد محمد.
- الإسلام وبناء المجتمع. الطبعة الخامسة. الكويت: دار القلم،
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- العسلي، بسام.
- المذاهب العسكرية في العالم. الطبعة الأولى. بيروت: دار النفائس،
١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- المذهب العسكري الإسلامي. الطبعة الأولى. بيروت: دار النفائس للطباعة
والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- المسلمون في البوسنة والهرسك. الطبعة الأولى. بيروت: الناشر للطباعة
والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
- العشا، فؤاد.
- النظام العالمي الجديد الحقيقة والوهم عالم بخمسة رؤوس. الطبعة الأولى.
دار الجمهورية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
- العصيمي، د. فهد حمود.
- خطة الإسلام في ضمان الحاجات الأساسية لكل فرد. الطبعة الأولى.
الرياض: دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
- خطة الإسلام في موارد الإنتاج. الطبعة الأولى. الرياض: دار النشر الدولي
للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ.
- عطية الله، أحمد.
- القاموس السياسي. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٦م.
- عطية، د. عزت علي.
- البدعة، تحديدها وموقف الإسلام منها. الطبعة الثانية. بيروت: دار الكتاب
العربي، ١٤٠٠هـ.
- عطية، د. ممدوح.
- خطر السلاح النووي الإسرائيلي. الطبعة الأولى. بيروت: دار النفائس،
١٤١٥هـ.
- السلام الشامل أو الدمار الشامل. الطبعة الأولى. باريس: الصلاح للدراسات
الاستراتيجية والإنتاج الإعلامي، ١٩٩١م.

- العظم، يوسف.
- المنهزمون. الطبعة الثالثة. دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع،
١٣٩٩هـ.
- عفر، د. محمد عبد المنعم.
- التنمية والتخطيط وتقويم المشروعات في الاقتصاد الإسلامي. الطبعة الأولى.
المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- المتطلبات الاقتصادية لتحقيق مقاصد الشريعة. الطبعة الأولى. مكة المكرمة:
مركز بحوث الدراسات الإسلامية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- عفيفي، د. محمد صادق.
- الإسلام والعلاقات الدولية. الطبعة الثانية. بيروت: دار الرائد العربي،
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- تطور الفكر العلمي عند المسلمين. القاهرة: مكتبة الخانجي،
١٩٧٧/١٩٧٦م.
- المجتمع الإسلامي وأصول الحكم. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الاعتصام،
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- العقاد، عباس محمود.
- التفكير فريضة إسلامية. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- العقل، د. ناصر بن عبد الكريم.
- الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام. الطبعة الأولى. الرياض: دار
الوطن، ١٤١٥هـ.
- التقليد والتبعية. الطبعة الثانية. الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع،
١٤٩٤هـ.
- مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع. الطبعة الثانية. الرياض: دار الوطن،
١٤١٥هـ.
- عمار، د. حامد.
- التنمية البشرية في الوطن العربي الإحصاءات والوثائق. الطبعة الأولى.
القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٣م.

- عمارة، د. محمد.
- الغزو الفكري. الطبعة الأولى. بيروت، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية. الطبعة الأولى. بيروت: دار الشروق، ١٤١٣هـ.
- العماري، د. عباس رشدي.
- إدارة الأزمات في عالم متغير. الطبعة الأولى. القاهرة: مؤسسة الأهرام، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- العماري، علي.
- أدعياء التجديد، مبددون لا مجددون. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ.
- عمر، د. حسين.
- المنظمات الدولية هيئات ووكالات منظمة الأمم المتحدة ومنظمات التنمية والتجارة والتعاون الاقتصادي. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- عمر، د. محجوب.
- الاختراق. الطبعة الأولى. القاهرة: دار جهاد للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
- أبو عمر، محمد بن يوسف.
- كتاب الولاية وكتاب القضاة. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- العمري، عبد العزيز بن إبراهيم.
- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ. الطبعة الأولى.
- أبو العلاء، د. محمود.
- جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته. الطبعة الخامسة. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- علوان، عبد الله ناصح.
- التكافل الاجتماعي في الإسلام. الطبعة الخامسة. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- العلواني، طه جابر فياض.
- أدب الاختلاف في الإسلام. الطبعة الرابعة. الرياض: الدار العالمية للكتاب

الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- علوش، ناجي.

---- الوطن العربي: الجغرافية الطبيعية والبشرية. الطبعة الأولى. بيروت: مركز

دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م.

- علي، د. عبد المنعم السيد ود. عبد الرحمن الحبيب.

---- نظام النقد الدولي والإجارة الخارجية للبلاد العربية. الطبعة الأولى. الكويت:

كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٨٥م.

- العلي، العقيد الركن: محمد مهنا.

---- منهج الإسلام في السلم والحرب. الطبعة الأولى. الرياض: دار أمية للنشر

والتوزيع، ١٤١٢هـ.

- العليان، حمد بكر.

---- من قضايا الفكر في وسائل الإعلام. الطبعة الأولى. الرياض.

- العلياني، د. علي بن نفيح.

---- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه. الطبعة

الأولى. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- عليمات، محمد عليان.

---- مدخل إلى الثقافة والتربية الوطنية. الطبعة الأولى. عمان: دار حنين،

١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- عناية، د. غازي.

---- ضوابط تنظيم الاقتصاد في السوق الإسلامي. الطبعة الأولى. بيروت: دار

النفايس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

---- كتاب أصول الإنفاق العام في الفكر المالي الإسلامي. الطبعة الأولى.

بيروت: دار الجيل، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- العودة، سليمان بن حمد.

---- عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام. الطبعة الثالثة.

الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ.

- عودة، عبد القادر.

---- الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه. بيروت: مؤسسة الرسالة،

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

---- الإسلام وأوضاعنا القانونية، الطبعة السادسة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

---- الأعمال الكاملة. القاهرة: المختار الإسلامي.

---- التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي. الطبعة الثامنة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

---- المال والحكم في الإسلام. الطبعة الخامسة. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

- العوضي، أ.د. رفعت السيد.

---- الأولويات الاقتصادية في الإسلام. الرياض: دار معاذ للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

---- التكامل الاقتصادي الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- عون، أحمد محمد.

---- خفايا الطائفة البهائية. القاهرة: دار النهضة العربية.

- عون، عبد الرؤوف.

---- الفن الحربي في صدر الإسلام. القاهرة: دار المعارف.

- أبو عيد، عارف.

---- السيادة في الإسلام، بحث مقارن. الطبعة الأولى. الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٩هـ.

- العيسوي، د/ إبراهيم.

---- قياس التبعية في الوطن العربي. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م.

- عيسوي، د. عبد الرحمن.

---- الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

---- النمو الروحي والخلقي. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٢م.

- العيسى، د. إبراهيم.

---- صندوق النقد الدولي. الطبعة الثانية. الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(غ)

- الغامدي، د. عبد الله.
- مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية [٢٦].
- الغدامي، د. عبد الله.
- الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريحية. الطبعة الثالثة. الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣ م.
- الغريب، عبد العزيز بن علي.
- المتقاعدون. الطبعة الأولى. الرياض، ١٤١٦ هـ.
- الغريب، عبد الله بن محمد.
- وجاء دور المجوس، الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية. الطبعة السادسة، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.
- غزال، مصطفى فوزي.
- دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام. الطبعة الأولى. الرياض: دار طيبة، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.
- غزالي، عبد اللطيف.
- نظرات في الدين.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد.
- إحياء علوم الدين. دمشق: مكتبة عبد الوكيل الدروبي.
- إجماع العوام عن علم الكلام. الطبعة الأولى. تصحيح وتعليق وتقديم: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥ م.
- التبر المسبوك في نصائح الملوك. الطبعة الأولى. تحقيق: ن عمان صالح الصالح. الرياض: دار العاذرية، ١٤١٥ هـ.
- تهافت الفلاسفة. الطبعة الرابعة. تحقيق: موريس بويج، دراسة: د. ماجد فخري. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٠ م.
- فضائح الباطنية. حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨٣ هـ.

- المستصفي من علم الأصول. تحقيق: الشيخ إبراهيم محمد رمضان. بيروت: دار الأرقم.
- الغزالي، محمد.
- الإسلام والأوضاع الاقتصادية. الطبعة السابعة. القاهرة: دار الصحوة، ١٤٠٧هـ.
- التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية، دحض شبهات، ورد مفتر. حصاد الغرور. الطبعة الثانية. القاهرة: المختار الإسلامي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- الجديعة، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي. القاهرة: الروضة للنشر والتوزيع.
- خلق المسلم. الطبعة الثالثة. دمشق: دار القلم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- سر تأخر العرب والمسلمين. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ.
- كفاح دين. الطبعة الخامسة. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- معركة المصحف في العالم الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٣هـ.
- الغزي، أبو البركات بدر الدين محمد.
- آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة. الطبعة الأولى. تحقيق: علي حسن علي. عبد الحميد. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ.
- الغفاري، د. عبد الله.
- بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين. ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- الغلابيني، الشيخ مصطفى.
- عظة الناشئين. الطبعة الثانية عشرة. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ابن غنّام، الشيخ الإمام حسين.
- تاريخ نجد. حرره وحققه: د. ناصر الدين الأسد. الطبعة الثالثة، بيروت، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- غنّايم، د. مهني محمد إبراهيم.
- الإنفاق التعليمي وتكلفة الطالب في التعليم العام بدول الخليج العربي.

الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- أبو غنيمة، زياد.

--- السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية. الطبعة الأولى. عمان: دار

عمار للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(ف)

- فائز، أحمد.

--- طريق الدعوة في ظلال القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.

- الفاتح، زهدي.

--- لورانس العرب على خطى هرتزل. الطبعة الرابعة. بيروت: دار النفائس،

١٤١١هـ.

- الفارس، د. عبد الرزاق.

--- هدر الطاقة. الطبعة الثانية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، مايو

١٩٩٦م.

- أبو فارس، د. محمد عبد القادر.

--- النظام السياسي في الإسلام. عمّان: دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع،

١٤٠٩هـ.

- أبو فاضل، د. يوسف.

--- موسوعة علماء الكيمياء. الطبعة الأولى. مؤسسة مصري للتوزيع، ١٩٨٨م.

- الفاعوري، د. داود علي الفاضل.

--- محاضرات في حاضر العالم الإسلامي. الطبعة الأولى. عمّان: دار النشر للنشر

والتوزيع، ١٤١٠هـ.

- الفتياي، عبد الحميد.

--- أسلحة القرن العشرين. الطبعة الثانية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، ١٩٩١م.

--- الصناعات العسكرية العربية. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية

للدراستات والنشر، ١٩٩١م.

- الفخري، د. عبد الله قاسم.

--- الزراعة في الوطن العربي. الطبعة الأولى. العراق: وزارة التعليم العالي

- والبحث العلمي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- فداب، طاهر إبراهيم.
- حركة تحرير أريتريا وسيرتها التاريخية. الطبعة الأولى. القاهرة: مطابع الشروق، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الفراء، القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين.
- الأحكام السلطانية. صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- الفراء، د. محمد علي.
- مشكلة الغذاء في الوطن العربي والأزمة الاقتصادية العالمية. الطبعة الأولى. الكويت: كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٨٥م.
- فرجاني، نادر.
- العمالة الأجنبية في أقطار الخليج العربي. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣م.
- عن نوعية الحياة في الوطن العربي. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢م.
- هدر الإمكانية. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥م.
- فرج، محمد.
- الاستراتيجية العسكرية الإسلامية. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
- المدرسة العسكرية الإسلامية. الطبعة الثانية. دار الفكر العربي.
- فرحان، أ.د. يحيى، د. أحمد عودات، عبد الرزاق أبو ليل، محمد الخلف، وحيد الضامن.
- التنمية في البلاد العربية. الطبعة الثانية. الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- فروخ، د. عمر.
- العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- الفقي، د. مصطفى.
- تجديد الفكر القومي. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق،

١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- الفنجرى، د. محمد شوقي.

---- المذهب الاقتصادي في الإسلام. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

---- نحو اقتصاد إسلامي. الطبعة الأولى. جدة: شركة مكتبا عكاظ للنشر

والتوزيع، ١٤٠١هـ.

- فندلي، بول.

---- من يجرؤ على الكلام. الطبعة التاسعة. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع

والنشر، ١٤١٣هـ.

---- الخداع. الطبعة الأولى. أشرف على ترجمته: د. محمود يوسف زايد.

بيروت: دار المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٣م.

- فهمي، مصطفى.

---- سيكولوجية الطفولة والمراهقة. مصر: دار مصر للطباعة.

- فوراني، فتحي.

---- وثيقة دفاعاً عن الجذور. عمان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٥م.

- الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله.

---- الخطب المنبرية في المناسبات العصرية. الطبعة التاسعة. بيروت: مؤسسة

الرسالة، ١٤١١هـ.

- الفوزان، عبد الله بن صالح.

---- زينة المرأة المسلمة. الطبعة الأولى. الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع،

١٤١٢هـ.

- فوش، إيف.

---- المساعدات الخارجية، التخلف الاستعماري الجديد. ترجمة: عبد الله إسكندر.

بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٨م.

- فوكويلما، فرانسيس.

---- دراسات عالمية. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث

الاستراتيجية.

- الفيروز آبادي، محب الدين محمد بن يعقوب.

---- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق: محمد علي النجار.

الكتاب الرابع. القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٥هـ.

--- القاموس المحيط الطبعة الثانية. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في
مؤسسة الرسالة. بيروت: مؤسسة الرسالة دار الريان للتراث،
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(ق)

- القادري، د. عبد الله بن أحمد.
--- الإسلام وضرورات الحياة. الطبعة الأولى. جدة: دار المجتمع للنشر
والتوزيع، ١٤٠٦هـ.
--- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته. الطبعة الثانية. جدة: دار المنارة للنشر
والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- القاسم، خالد بن عبد الله.
--- الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة. الطبعة الأولى.
الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
- القاسمي، ظافر.
--- الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام. الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم
للملايين، ١٩٨٢م.
- القاعود، د. حلمي محمد.
--- أهل الفن وتجارة الغرائز. الطبعة الأولى. الرياض: مؤسسة آسام للنشر،
١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ابن قتيبة، الإمام الدينوري.
--- تأويل مختلف الحديث. الطبعة الأولى. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.
القاهرة: مكتبة دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
--- عيون الأخبار. بيروت: دار الكتاب العربي.
- القحطاني، د. عبد الله بن سالم بن موسى آل فائع.
--- عصر الحرب الفضائية لعام ٢٠٠٠، حقائق وأسرار. الطبعة الأولى. الرياض،
١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة.
--- ذم التأويل. الطبعة الأولى. الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
--- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. الطبعة الثانية. تحقيق: الشيخ عبد

- القادر بدران، خرج أحاديثه: بشير محمد عون. دمشق: مكتبة دار البيان، الرياض: مكتبة دار المؤيد، ١٤١٣هـ.
- المغني. المملكة العربية السعودية: مطبوعات رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، والدعوة والإرشاد الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- القرضاوي، د. يوسف.
- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة. الطبعة الثالثة عشرة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.
- الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا. الطبعة الخامسة. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- درس النكبة الثانية لماذا انهزمنا وكيف نتصّر؟. الطبعة الثالثة. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ.
- دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ.
- في فقه الأولويات. دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام. الطبعة السابعة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري.
- الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- القرني، عبد الحفيظ فرغلي.
- آداب السوق في الإسلام. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- القرني، عوض بن محمد.
- الحدائث في ميزان الإسلام، الطبعة الأولى. تقديم الشيخ: عبد العزيز بن باز. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- القصير، د. توفيق بن أحمد.
- على مشارف القرن الحادي والعشرين رؤية استراتيجية للمتغيرات الدولية. الطبعة الأولى. الرياض: مكتب الآفاق المتحدة للاستشارات العلمية والتقنية، ١٤١٣هـ.
- القضماني، محي الدين حسن.
- قضايا هامة في حاضر العالم الإسلامي. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ.
- القطان، مناع.
- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية. الطبعة الأولى. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ.
- قطب، سيد.
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. الطبعة السابعة. بيروت، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام. الطبعة الحادية عشرة. بيروت، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- في التاريخ فكرة ومنهاج. الطبعة السابعة. القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- في ظلال القرآن. الطبعة الثانية عشرة. جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ.
- معالم في الطريق. الطبعة الثالثة. الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- نحو مجتمع إسلامي. الطبعة التاسعة. القاهرة: دار الشروق، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- قطب، محمد.
- الإسلام كبديل عن الأفكار والعقائد المستوردة. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الإنسان بين المادية والإسلام. الطبعة السادسة. القاهرة، بيروت: دار الشروق، ١٤٠٠هـ.
- التطور والثبات في حياة البشرية. الطبعة الخامسة. دار الشروق،

١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

---- جاهلية القرن العشرين. القاهرة، بيروت: دار الشروق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

---- حول تطبيق الشريعة. الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٢هـ.

---- شبهات حول الإسلام. الطبعة العشرون. القاهرة، بيروت: دار الشروق،

١٤١٢هـ.

---- العلمانيون والإسلام. الطبعة الأولى. الرياض: دار الوطن للنشر،

١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

---- في النفس والمجتمع. الطبعة الخامسة. بيروت: دار الشروق،

١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

---- كيف نكتب التاريخ الإسلامي. الطبعة الأولى. الرياض: دار الوطن للنشر،

١٤١٢هـ.

---- مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس. القاهرة: مكتبة القرآن للطبع

والنشر والتوزيع.

---- مذاهب فكرية معاصرة. الطبعة الرابعة. القاهرة، بيروت: دار الشروق،

١٤٠٩هـ.

---- معركة التقاليد. القاهرة، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

---- مناهج التربية الإسلامية. الطبعة السادسة. بيروت، القاهرة: دار الشروق،

١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

---- واقعنا المعاصر. الطبعة الأولى. جدة، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة

والنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

---- وبشر الصابرين. القاهرة: المختار الإسلامي.

- قلعجي، د. محمد رواس.

---- الاحتراف وآثاره في الفقه الإسلامي. المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد

الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

---- مباحث في الاقتصاد الإسلامي من أصوله الفقهية. الطبعة الأولى. بيروت: دار

النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- قلعجي، أ.د. محمد رواس، د. حامد صادق قنبي.

---- معجم لغة الفقهاء. عربي - إنجليزي. الطبعة الثانية. بيروت: دار النفائس،

١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- القوصي، عبد العزيز.

--- أسس الصحة النفسية. الطبعة الثالثة. الكويت: دار القلم، ١٩٧٠م.

- ابن قيم الجوزية، الإمام المحدث المفسر الفقيه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي.

--- إعلام الموقعين عن رب العالمين. الطبعة الأولى. تحقيق وتعليق:

عصام الدين الصباطي. القاهرة: دار الحديث للنشر والتوزيع،

١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

--- إغاثة اللفهان في مصيد الشيطان. الطبعة الأولى. تصحيح وتحقيق وتعليق:

محمد عفيفي، بيروت: المكتب الإسلامي، الرياض: مكتبة الخاني،

١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

--- التبيان في أقسام القرآن. الطبعة الأولى. بيروت: دار إحياء العلوم،

١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

--- تلبس إبليس. تحقيق ودراسة وتعليق: د. السيد الجميلي. القاهرة: دار

الريان للتراث.

--- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. الطبعة الأولى. حققه: سعيد

محمد اللحام. الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ.

--- زاد المعاد في هدي خير العباد. الطبعة السادسة والعشرون. حقق نصوصه،

وخرّج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط.

بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية،

١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

--- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة

الشرعية. تحقيق: محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتب العلمية.

--- الفروسية. دار التراث العربي للطباعة والنشر.

--- الفوائد، بيروت: المكتبة الثقافية.

--- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد حامد

الفقي. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

--- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

(ك)

- كار، وليام غازي .
--- أحجار على رقعة الشطرنج . ترجمة سعيد جزائري . الطبعة الأولى . بيروت :
دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- الكاساني، الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧ هـ) .
--- كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع . الطبعة الثانية . بيروت : دار الكتاب
العربي ، ١٤٠٢هـ .
- الكاشاني، عبد الرزاق .
--- معجم إصطلاحات الصوفية . الطبعة الأولى . تحقيق : د . عبد العال شاهين .
القاهرة : دار المنار ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ابن كثير القرشي الدمشقي، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير .
--- تفسير ابن كثير . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
--- البداية والنهاية . الطبعة الخامسة . بيروت : مكتبة المعارف ،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- الكحلوت، عبد العزيز .
--- الإسلام والثروة . الطبعة الثانية . بنغازي : صحيفة الدعوة الإسلامية ،
١٤٠٢هـ .
- كرانستون، موريس .
--- المصطلحات السياسية . بيروت : دار النهار للنشر .
- الكردي، صلاح الدين .
--- الشعب الكردي المسلم المخاطر والمعاناة . الطبعة الأولى . الرياض : مكتبة
الإمام الشافعي ، ١٤١١هـ .
- كريفلد، مارس فان .
--- عناصر القوة القتالية . الطبعة الأولى . ترجمة : د . يزيد صايغ . بيروت :
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٨م .
- كشك، محمد جلال .
--- طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية . الكويت : دار الإرشاد، بيروت : مكتبة
الأمل .

- قراءة في فكر التبعية. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي،
١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- الكفراوي، د. عوف محمود.
- سياسة الإنفاق العام في الإسلام. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،
١٤٠٩هـ.
- النقود والمصارف في النظام الإسلامي. الإسكندرية: دار الجامعات المصرية.
- الكلاباذي، أبو بكر محمد.
- التعرف لمذهب أهل التصوف. حققه وعرف بأعلامه وقدم له د. د. عبد الحلیم
محمود، طه عبد الباقي سرور. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية،
١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
- الكليني، أبو جعفر محمد بن يافوت.
- الأصول من الكافي. تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري. بيروت: دار
الأضواء، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- كمال، يوسف.
- الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة. الطبعة الأولى. مصر، المنصورة:
دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- العصريون معتزلة اليوم. الطبعة الأولى. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٤١٦هـ.
- كنعان، محمد أحمد.
- أزمت الشباب. الطبعة الأولى. بيروت: دار البشائر الإسلامية،
١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- كوانت، ويليام.
- أمريكا والعرب وإسرائيل عشر سنوات حاسمة. ترجمة عبد العظيم حماد.
القاهرة: دار المعارف.
- عملية السلام. الطبعة الأولى. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر،
١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- كوبلاند، مايلز.
- اللاعب واللعبة عالم الاستخبارات الأمريكية في اعترافات أحد رجاله.
الطبعة الأولى. بيروت: دار الحمراء للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.

- لعبة الأمم اللاخلاقية في سياسة القوة الأمريكية. تعريب: مروان خير. الطبعة الأولى. بيروت: مكتبة الزيتونة، ١٩٧٠م.
- كوهين، أفنر.
- دراسات عالمية. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- الكيالي، د. عبد الوهاب وآخرين.
- موسوعة السياسة. الطبعة الأولى. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م.
- كيريف، إيفانوف.
- الإسلام في بلدان الشرقين الأدنى والأوسط. الطبعة الأولى. دمشق: دار المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ.
- كيسنجر، هنري.
- محاضرات ومقالات مختارة ١٩٨٢/١٩٨٤م. طبعة ١٩٨٨م. ترجمة: خالد أسعد عيسى، المحامي: أحمد غسان سبانو. بيروت: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.
- كيف نفهم الأطفال، سلسلة دراسات سيكولوجية [١٢].
- الطفل والأمور الجنسية. الطبعة الثانية. إشراف وتقديم د.: عبد العزيز القوصي.
- الكيلاني، د. ماجد عرسان.
- اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية. مكة المكرمة، جامعة أم القرى: مركز بحوث التعليم الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها. الطبعة الأولى. قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١٢هـ.
- الأمة المسلمة مفهومها، مقوماتها، إخراجها. الطبعة الأولى. بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي. الطبعة الثالثة. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ.
- هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس. الطبعة الأولى. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ.

- الكيلاني، نجيب.
--- أعداء الإسلام. الطبعة الرابعة. بيروت: مؤسسة الرسالة،
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- كيندي، بول.
--- الاستعداد للقرن الحادي والعشرين. ترجمة: محمد عبد القادر وغازي
مسعود. عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.
--- القوى العظمى، التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري. الطبعة الأولى.
ترجمة: دكتور عبد الوهاب علوب. الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م.
--- نشوء وسقوط القوى العظمى. الطبعة الأولى. ترجمة: مالك البديري.
عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(ل)

- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري.
--- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة
والتابعين من بعدهم. تحقيق: أحمد حمدان. الرياض: دار طيبة.
- لاندو، روم.
--- الإسلام والعرب. الطبعة الثانية. ترجمة: منير الجعلبكي. بيروت: دار العلم
للملايين، ١٩٧٧م.
- لبن، علي.
--- الغزو الفكري في المناهج الدراسية. الطبعة الأولى. مصر، المنصورة: دار
الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.
- عيدان، صالح بن سعد.
--- الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع. الطبعة الرابعة. مكة: مكتبة الحرمين،
١٤٠٧هـ/١٤٠٨م.
- لويس، برنارد.
--- الغرب والشرق الأوسط. تعريب الدكتور نبيل صبحي.
- ليريتو، ماري فرانس.
--- الصندوق النقدي الدولي. الطبعة الأولى. ترجمة د. هشام متولي. دمشق:
دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٣م.

- ليش، آن موسلي .

--- الانتقال إلى الحكم الذاتي الفلسطيني . ترجمة : نهلة الخطيب . الطبعة الأولى .
بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٩٣م .

(م)

- أبو مازن، محمود عباس .

--- طريق السلام إلى أوسلو . الطبعة الثانية . دار المطبوعات للتوزيع والنشر،
بيروت، لبنان، ١٩٩٤م .

- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب .

--- الأحكام السلطانية . دار الفكر .

--- أدب الدنيا والدين . الطبعة الثالثة تحقيق : مصطفى السقا . بيروت : دار الكتب
العلمية .

--- الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه، وهو شرح مختصر
المزني . الطبعة الأولى . تحقيق وتعليق، الشيخ : علي محمد معوض،
الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود . قدّم له وقرّظه د . : محمد بكر إسماعيل،
د . : عبد الفتاح أبو سنة . بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

--- قتال أهل البغي . الطبعة الأولى . تحقيق د . : إبراهيم بن علي صندوقجي .
القاهرة : مطبعة المدني، ١٤٠٧هـ .

--- نصيحة الملوك . الطبعة الأولى . تحقيق : خضر محمد خضر . الكويت : مكتبة
الفلاح، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- المبارك، محمد .

--- الأمة العربية في معركة تحقيق الذات . الطبعة الثانية . بيروت : دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م .

--- المجتمع الإسلامي المعاصر . الطبعة الخامسة . بيروت : دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ .

- المتنبّي، أبو الطيب .

--- ديوان أبي الطيب المتنبّي . بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتيبان في
شرح الديوان . ضبطه وصححه ووضع فهرسه : مصطفى السقا، إبراهيم
الأياري، عبد الحفيظ شلبي .

- متولي، د. عبد الحميد.
- الإسلام ومبادئ نظام الحكم في الماركسية والديمقراطيات الغربية. الإسكندرية: منشأة المعارف.
- أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث. الطبعة الثالثة. تقديم د. : عبد الحليم محمود. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.
- مبادئ نظام الحكم في الإسلام. الطبعة الرابعة. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٨م.
- المجذوب، محمد.
- مشكلات الجيل في ضوء الإسلام. الطبعة الخامسة. الرياض: دار الشواف للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- مجموعة من الاقتصاديين العرب.
- المشكلات الاقتصادية المعاصرة ومستقبل التنمية العربية. البحوث المساعدة. ج ٢. تحرير المعهد العربي للتخطيط. بيروت: دار الرازي للطباعة والنشر، ١٩٨٨م.
- المشكلات الاقتصادية المعاصرة ومستقبل التنمية العربية. ج ١. الطبعة الأولى. بيروت: دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.
- المحامي، أ. محمد فريد بك.
- تاريخ الدولة العلية العثمانية. الطبعة الثانية. تحقيق د. : إحسان حقي. بيروت: دار النفائس ١٤٠٣هـ.
- محجوب، د. عباس.
- مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي. الطبعة الأولى. قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.
- محرم، د. محمد رضا.
- الثروة المعدنية العربية، إمكانات التنمية في إطار وحدوي. الطبعة الثانية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م.
- محفوظ، الشيخ علي.
- الإبداع في مضار الابتداع. القاهرة: دار الاعتصام.
- محفوظ، اللواء محمد جمال الدين.
- العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية. مكة: رابطة العالم الإسلامي، إدارة

الصحافة والنشر.

- المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.
- النظرية الإسلامية في بناء المقاتل وإعداد القادة. القاهرة: دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن محمد، النعمان.
- تأويل الدعائم. تحقيق: محمد حسن الأعظمي. مصر: دار المعارف.
- آل محمود، الشيخ عبد الله بن زيد.
- الاختلاط، وما ينجم عنه من مساوئ الأخلاق. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار الأرقم، ١٣٩٤هـ.
- الجندية، عموم نفعها وحاجة المجتمع إليها. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الجهاد المشروع في الإسلام. الطبعة الثانية. بيروت: مطبعة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- محمود، د. علي عبد الحلیم.
- تربية الناشئ المسلم. الطبعة الأولى. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر. الطبعة الأولى. الكويت: دار البحوث العلمية، ١٣٩٩هـ.
- المحيا، مساعد بن عبد الله.
- القيم في المسلسلات التلفازية. الطبعة الأولى. الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
- محيي الدين، حسين ناجي محمد.
- البهائية عميلة الاستعمار والصهيونية. الطبعة الأولى. مصر، الزقازيق: مكتبة السندس، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- التخلف والتنمية. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- مذكور، د. إبراهيم، نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين.
- معجم العلوم الاجتماعية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- المذكور، د. محمد سلام.
- معالم الدولة الإسلامية. الطبعة الأولى. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٣هـ.
- المراغي، الشيخ: أبو الوفا مصطفى.
- من قضايا العمل والمال. بيروت: المكتبة العصرية، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- المرادوي، محمود.
- أفغانستان والاجتياح الروسي. سلسلة الحركة الإسلامية. الكويت: شركة الشعاع.
- مرسي، د. محمد عبد العليم.
- التريبة والتنمية في الإسلام. الرياض: إدارة الثقافة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- كارثة في العالم الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الصحوة للنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- نزيف العقول البشرية. الطبعة الأولى. الرياض: عالم الكتب للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ.
- هجرة العلماء من العالم الإسلامي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- مرسي، د. مصطفى عبد العزيز.
- العرب في مفترق الطرق. القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٨٤م.
- المرصفي، د. سعد.
- العمل والعمال بين النظم الوضعية المعاصرة. الطبعة الأولى. الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ.
- المسؤولية الاجتماعية في الإسلام. الطبعة الأولى. الكويت: مكتبة المعلا، ١٤٠٨هـ.
- مرطان، د. سعيد سعد.
- مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- المرغيناني، شيخ الإسلام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني.

- الهداية شرح بداية المبتدىء. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
- مزمل، حمد.
- موسكو في طريقها إلى كابول. الطبعة الثانية. جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ.
- مسعود، د. جمال عبد الهادي محمد، علي لبن.
- المجتمع الإسلامي المعاصر أفريقيا. الطبعة الأولى. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.
- مسعود، د. مجيد وآخرون.
- أجهزة التخطيط في الأقطار العربية. الطبعة الأولى. نيقوسيا: دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٨٧م.
- المسعودي، الرحالة أبي الحسن علي بن الحسين بن علي.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. الطبعة الثانية. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- مسلم، طلعت أحمد.
- التعاون العسكري الغربي. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠م.
- مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشَيْرِيُّ النيسابوريّ.
- صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المسند، عبد العزيز.
- متى ينتصر المسلمون. الرياض: جمعية الثقافة والفنون.
- المسند، عبد الله بن علي.
- المنظمات الدولية والإقليمية وأثرها على العالم الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- مصالحة، عمر.
- السلام الموعود الفلسطينيون: من النزاع إلى التسوية. الطبعة الأولى. ترجمة:

- وديع اسطفان، ماري طوق. بيروت: دار الساقى، ١٩٩٤م.
- المصري، د. جميل عبد الله محمد.
- الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية. الطبعة الأولى. عمّان: دار أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ.
- حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة. الطبعة الثالثة. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ.
- المصري، د. شفيق.
- النظام العالمي الجديد ملامح وخواطر. الطبعة الأولى. تقديم: الدكتور محمد المجذوب بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.
- المصري، عبد السمیع.
- مقومات الاقتصاد الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- المصري، عبد المهدي عبد الهادي.
- الأرض الخاصة بالدولة في الإسلام، أرض الصوافي. الطبعة الأولى. عمّان: دار أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- المصري، د. محمد أمين.
- المجتمع الإسلامي. الطبعة الرابعة. الكويت: دار الأرقم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- المصلح، د. عبد الله بن عبد العزيز.
- قيود الملكية الخاصة. الطبعة الثانية. الرياض: دار المؤيد للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.
- مطبقاني، مازن صلاح.
- عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي. الطبعة الأولى. دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- المطري، د. السيد خالد.
- دراسات في سكان العالم الإسلامي. جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٠٥هـ.
- المطعني، د. عبد العظيم.
- الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي. الطبعة الأولى. المنصورة: دار

الوفاء، ١٤٠٧هـ.

--- افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض.. ونقد. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ.

--- أوروبا في مواجهة الإسلام، الوسائل والأهداف. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ.

--- الفراغ وأزمة التدين عند الشباب المعاصر، الداء والدواء. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الأنصار، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- المطوع، محمد بن علي.

--- قاتل الأخلاق حكمه، أسبابه، علاجه. الرياض: مطابع دار طيبة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- مظهر، جلال.

--- حضارة الإسلام وأثرها في الترقى العالمي. القاهرة: مكتبة الخانجي.

- معتوق، سمير أحمد.

--- الأساس الجغرافي للاستعمار الإستيطاني الصهيوني في الضفة الغربية. الطبعة الأولى. عمّان: دار البشير، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ابن مفلح الحنبلي، شمس الدين أبي عبد الله محمد.

--- الآداب الشرعية والمنح المرعية. الجزء الأول. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

--- كتاب الفروع. الطبعة الثانية. راجعه: عبد الستار أحمد فراج. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٢هـ.

- المقدسي، الحافظ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد.

--- كتاب العدة للكرب والشدة. الطبعة الأولى. تحقيق: ياسر بن إبراهيم بن محمد. القاهرة: دار المشكاة للبحث والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- المقدسي الشافعي، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إبراهيم.

--- الروضتين في أخبار الدولتين. بيروت: دار الجيل.

- المقدم، محمد بن أحمد إسماعيل.

--- علو الهمة. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ.

- المقرئ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي.

--- كتاب المواعظ الاعتبار، بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية.

بيروت: دار صادر.

- المقري التلمساني، أحمد بن محمود.

---- نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب. حققه، وضبط غرائبه،
علق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الكتاب
العربي.

- مكويل، دنيس.

---- الإعلام وتأثيراته دراسات في بناء النظرية الإعلامية. الطبعة الأولى. تعريب
د. : عثمان العربي. الرياض: دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة،
١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- مكّي، علي سعيد عبد الوهاب.

---- تمويل المشروعات في ظل الإسلام. دار الفكر العربي، ١٩٧٩م.

- الملاح، د. فاوي.

---- سلطات الأمن والحصانات والامتيازات الدبلوماسية. الإسكندرية: منشأة
المعارف.

- مليباري، د. عبد الرحمن.

---- معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية الجائز والمستحيل. الرياض: مطبعة
سفير.

- المناوي، السيد حافظ.

---- إعداد القوى العاملة وتنمية الموارد البشرية. الرياض: دار الرشيد للنشر
والتوزيع.

- المنجد، د. صلاح الدين.

---- المجتمع الإسلامي في ظل العدالة. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتاب
الجديد، ١٩٧٦م.

- المنجد، محمد صالح.

---- ظاهرة ضعف الإيمان، الأعراض، الأسباب، العلاج. الطبعة الأولى.
الرياض: دار الوطن، ١٤١٣هـ.

- المنذري، د. سليمان.

---- الفرص الضائعة. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة مدبولي،
١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- ابن منظور، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري.
- لسان العرب. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
- المنفلوطي، مصطفى لطفى.
- صفوة المؤلفات الكاملة، النظرات. بيروت: مكتبة لبنان، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.
- ابن منقذ، الأمير أسامة.
- كتاب الاعتبار. الطبعة الأولى. تحقيق د. قاسم السامرائي. الرياض: دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام، ١٤٠٧/١٩٨٧م.
- ابن منيع، عبد الله بن سليمان.
- حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته. الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- المهنا، عبد العزيز.
- البطالة والعمالة الكاملة. الطبعة الثانية. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.
- المودودي، أبو الأعلى.
- الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.
- الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة. الطبعة الثالثة. الكويت: دار القلم، ١٢٩٨هـ.
- الإسلام والمدنية الحديثة. الطبعة التاسعة. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.
- الإسلام ومعضلات الاقتصاد. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ.
- الإسلام اليوم. الطبعة الثانية. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الجهاد في سبيل الله. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- الحجاب. الطبعة الثانية. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الحكومة الإسلامية. الطبعة الأولى. ترجمة: أحمد إدريس القاهرة: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- حول تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحاضر. ترجمة: خليل أحمد الحامد. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الصحوة للنشر، ١٤٠٦هـ.
- طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- القانون الإسلامي وطرق تنفيذه. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- مبادئ الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ.
- منهج الانقلاب الإسلامي. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ.
- موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ.
- نحن والحضارة الغربية. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- نظام الحياة في الإسلام. الطبعة الخامسة. الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٤٠٥هـ.
- نظرية الإسلام في السياسة والقانون والدستور. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم. الطبعة الرابعة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- مورلايه، فرانسيس، جوزيف كولنز، ديفيد كينلي.
- أمريكا وصناعة الجوع. الطبعة الأولى. ترجمة د. حسن أبو بكر القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
- مورو، د. محمد.
- الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة. القاهرة: الروضة للنشر والتوزيع.

- موسى، د. محمد يوسف.
- الإسلام وحاجة الإنسانية إليه. الطبعة الرابعة. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٠هـ.
- الموسوي، د. موسى.
- الشيعة والتصحيح، الصراع بين الشيعة والتشيع. الطبعة الثانية. الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٩هـ.
- يا شيعة العالم استيقظوا.
- الموسوي، د. نضال حميد.
- ملامح الوعي الاجتماعي عند المرأة الخليجية. الطبعة الأولى. الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م.
- مولوي، محمد سعيد.
- كيف يربي المسلم ولده، منهج علمي تربوي تطبيقي يهدي المسلم إلى تربية ابنه تربية إسلامية صحيحة. الطبعة الثانية. الدمام: رمادي للنشر، الرياض: المؤتمر للتوزيع، ١٤١٥هـ.
- ميلر، ك. نوس.
- التكتيك العسكري من قناة السويس إلى حرب الخليج. الطبعة الأولى. ترجمة: حسن عوض، أمل زين الدين. بيروت: منشورات عويدات الدولية، ١٩٩١م.
- الميللي، محسن.
- ظاهرة اليسار الإسلامي. الطبعة الأولى. الرياض: دار النشر الدولي، ١٤١٤هـ.

(ن)

- نار، أحمد.
- القتال في الإسلام. مصر، المنصورة: دار الوفاء للطباعة.
- الناشف، د. تيسير.
- الأسلحة النووية في إسرائيل. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠م.

- ناصر، الرشيد إبراهيم.
- المسيح الدجال بيننا. الطبعة الأولى. جدة: مطابع دار مدني، ١٤١٣هـ.
- ابن نبي، مالك.
- تأملات. الطبعة الخامسة. بيروت: دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- شروط النهضة. الطبعة الرابعة. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- المسلم في عالم الاقتصاد. إشراف: ندوة مالك بن نبي. دمشق: دار الفكر.
- مشكلة الثقافة. الطبعة الرابعة. ترجمة عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ.
- ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية. ترجمة: عبد الصبور شاهين. إصدار ندوة مالك بن نبي. دار الفكر.
- النجار، د. سعيد.
- الاقتصاد العالمي والبلاد العربية في عقد التسعينات. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق، ١٤١١هـ.
- نجال، إبراهيم.
- التصحر في الوطن العربي. بيروت: معهد الإنماء العربي.
- النجفي، غلام الرضا الباقري.
- الأنوار. الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
- ابن نجيم الحنفي، العلامة زين الدين.
- البحر الرائق، شرح كنز الدقائق. الطبعة الثالثة. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- النحوي، د. عدنان علي رضا.
- التوحيد وواقعنا المعاصر. الطبعة الثانية. الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- الحدائث في منظور إيماني. الطبعة الثانية. الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ.
- نخبة من علماء باكستان.
- موقف الإسلام من القاديانية. الطبعة الأولى. بيروت: دار قتيبة، ١٤١١هـ.

- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني .
 ---- الإسلام والغرب . الطبعة الأولى . بيروت : مؤسسة الرسالة ،
 ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- إلى الإسلام من جديد . القاهرة : كتاب المختار .
 ---- بين الصورة والحقيقة . الطبعة الثالثة . الهند : مطبعة لكهنؤو ، ١٤٠٠هـ .
 ---- التربية الإسلامية الحرة . الطبعة الثانية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧هـ .
 ---- حديث مع الغرب . القاهرة : المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع .
 ---- ربانية لا رهبانية . الطبعة الثانية . بيروت : مؤسسة الرسالة ،
 ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ردة ولا أبا بكر لها . الطبعة الثانية . القاهرة : مكتبة السداوي للنشر والتوزيع ،
 ١٤١٣هـ .
- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية . الطبعة
 الرابعة . الكويت : دار القلم ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة . الطبعة
 الثانية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
- العرب والإسلام . الطبعة الثانية . مكة المكرمة : مكتبة المنارة ،
 ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية . الطبعة
 الثانية . الكويت : دار القلم ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- القادياني والقاديانية . الطبعة الخامسة جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ،
 ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . الطبعة السابعة . بيروت : دار الكتاب
 العربي ، ١٤٠٢هـ .
- ابن النديم ، محمد بن إسحاق .
 ---- الفهرست لابن النديم . الطبعة الأولى . اعتنى بها وعلق عليها الشيخ : إبراهيم
 رمضان . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ .
- النسفي ، الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود .
 ---- كشف الأشرار ، شرح المصنف على المنار . الطبعة الأولى . بيروت : دار
 الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ .

- كنز الدقائق . باكستان : مكتبة إمدادية مُلتان .
- النعمان بن محمد .
- تأويل الدعائم . تحقيق : محمد حسن الأعظمي . مصر : دار المعارف .
- النعمة ، إبراهيم .
- العمل والعمال في الفكر الإسلامي . الطبعة الأولى . الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥هـ .
- نعمة الله ، هيكل وإلياس مليخة .
- موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب . الطبعة الأولى بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- النواب ، عبد الرب نواب الدين .
- تأخير سن الزواج ، أسبابه ، وأخطاره ، وطرق علاجه على ضوء القرآن العظيم ، والسنة المطهرة . النشرة الأولى . الرياض : دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ .
- نويهض ، عجاج .
- بروتوكولات حكماء صهيون . الطبعة السابعة . دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٩٣م .
- النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف .
- آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طالب العلم . الطبعة الأولى . مصر ، طنطا : مكتبة الصحابة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- روضة الطالبين وعمدة المفتين . الطبعة الثالثة . إشراف : زهير الشاويش . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٢هـ .
- صحيح مسلم بشرح النووي . المملكة العربية السعودية : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
- كتاب العلم وآداب العالم والمتعلم . الطبعة الأولى . تحقيق : عبد الله بدران . بيروت : دار الخير ، ١٤١٣هـ .
- المجموع . حققه ، وعلق عليه ، وأكمله بعد نقصانه : محمد نجيب المطيعي . دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع .
- المجموع . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

- النيسابوري، أحمد إبراهيم .
- إثبات الإمامة. الطبعة الأولى. تحقيق د. : مصطفى غالب. بيروت: دار
الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- نيكسون، ريتشارد . .
- انتهزوا الفرصة، التحدي الأمريكي في عالم الدولة العظمى الواحدة. الطبعة
الأولى. ترجمة: حاتم غانم. الإسكندرية: شركة قايتباي للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٩٩٠م.
- الفرصة السانحة. ترجمة: أحمد صدقي مراد. القاهرة: دار الهلال.
- ما وراء السلام. الطبعة الأولى. ترجمة: مالك عباس. عمّان: الأهلية للنشر
والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ١٩٩٩ نصر بلا حرب. الطبعة الثالثة. إعداد وتقديم المشير: محمد عبد
الحليم أبو غزالة. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام،
١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- نيومان، ديفيد.
- الاستيطان الصهيوني. الطبعة الأولى. ترجمة: جمال السيد. بيروت: كمبيو
نشر للدراسات والإعلام والنشر والتوزيع، ١٩٩١م.
- هانكوك، غراهام.
- سادة الفقر. ترجمة د. : ناصر السيد، مستمار السعيد. الطبعة الأولى.
بيروت: دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
- الهرثمي، أبو سعيد الشعراني.
- مختصر سياسة الحروب. تحقيق: عبد الرؤوف عون. مراجعة د. : محمد
مصطفى زيادة. المؤسسة المصرية العامة.
- الهروي، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري.
- ذم الكلام. الطبعة الأولى. تحقيق وضبط وتعليق د. : سميح دغيم. لبنان:
دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤م.
- ابن هشام، أبو عبد الملك بن هشام المعافري.
- السيرة النبوية. قدم لها وعلّق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد. بيروت:
دار الجيل.

- هلال، رضا.
- تحديث التخلف، الدولة والمجتمع والإسلام في مصر. الطبعة الأولى. القاهرة: سينا للنشر. ١٩٩٣م.
- ابن الهمام الحنفي، الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري.
- شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدىء. الطبعة الأولى. علق عليه وخرّج آياته وأحاديثه، الشيخ: عبد الرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- هنداوي، د. حسام أحمد محمد.
- حدود سلطات مجلس الأمن في ضوء قواعد النظام العالمي الجديد. ١٩٩٤م.
- الهندي، د. إحسان.
- أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام. الطبعة الأولى. دمشق: دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- هوجيندرون، جان س. و. ويلسون ب. براون.
- الاقتصاد الدولي الحديث. ترجمة د. سمير كريم. القاهرة: مكتبة الوعي العربي.
- هوفمان، د. مراد.
- الإسلام كبديل. الطبعة الأولى. الكويت: مجلة النور. مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، ١٤١٣هـ.
- هونكه، المستشرقة الألمانية: زيغريد.
- شمس العرب تسطع على الغرب. الطبعة الثامنة. بيروت: دار الجيل، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- هويدي، أمين.
- تاريخ النظريات الاقتصادية. الطبعة الأولى. ترجمة د. ماجد البطح. دمشق: دار دمشق، ١٩٨٧/١٩٨٨م.
- حتى لا تكون فتنة. الطبعة الأولى. القاهرة، بيروت: دار الشروق، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- صناعة الأسلحة في إسرائيل. الطبعة الأولى. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦م.

- العسكرية والأمن في الشرق الأوسط تأثيرهما على التنمية والديموقراطية.
الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- القرآن والسلطان هموم إسلامية معاصرة. الطبعة الأولى. القاهرة: دار
الشروق، ١٤٠١هـ.
- الهويمل، د. حسن بن فهد.
- الحدائة بين التعمير والتدمير. الطبعة الأولى. الرياض: دار المسلم،
١٤١٣هـ.
- أبو الهيثم، المجاهد الكبير.
- الإسلام في مواجهة الباطنية. الطبعة الثانية. جدة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- هيرش، سيمور.
- الخيار شمشون. ترجمة فريق من الخبراء العرب. الطبعة الأولى. القاهرة:
دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ.
- أبو هيف، د. علي صادق.
- القانون الدولي العام. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٣م.
- هيكل، د. عبد العزيز فهمي.
- مدخل إلى الاقتصاد الإسلامي. الإسكندرية: الدار الجامعية للنشر والتوزيع،
١٩٨٨م.
- هيكل، محمد حسين.
- في منزل الوحي. القاهرة: مطبعة دار الكتب العربية، ١٣٥٦هـ.
- هيكل، د. محمد خير.
- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية. الطبعة الأولى. بيروت: دار البيارق،
١٤١٤هـ.

(هـ)

- الواقدي، محمد بن عمر.
- كتاب المغازي. الطبعة الثالثة. تحقيق د. ماسدن جونس. بيروت: عالم
الكتب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- والي، د. سمير محمود.
- استراتيجية الثروة، دراسة في الثروات الطبيعية في الوطن العربي. الطبعة

الأولى. القاهرة: المؤسسة السعودية، ١٩٩٤م.

- واينو، د. عبده عثمان.

---- الصراع بين الحق والباطل في أريتريا وأثيوبيا.

- الوحيد، أبو محمد جل.

---- نابليون المسلم. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،

١٩٥٤م.

- ابن وضاح، محمد بن وضاح القرطبي الأندلسي.

---- البدع والنهي عنها. تصحيح: محمد أحمد دهمان. دمشق: مطبعة الاعتدال.

- الوكيل، عبد الرحمن.

---- البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية. الطبعة الأولى.

القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢م.

---- هذه هي الصوفية. الطبعة الثالثة. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية،

١٣٧٠ هـ / ١٩٥٥م.

- الوكيل، د. محمد السيد.

---- أسباب الضعف في الأمة الإسلامية. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الأرقم

للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

---- القيادة والجنودية في الإسلام. الطبعة الأولى. مصر، المنصورة: دار الوفاء

للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ.

- ولمر، ماكس.

---- الدليل المصور للقوات الخاصة الحديثة. الطبعة الأولى. بيروت: منشورات

عويدات الدولية، ١٩٩٢م.

- الوليد، علي بن محمد.

---- تاج العقائد ومعدن الفوائد. الطبعة الثانية. تحقيق: عارف تامر. بيروت:

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م.

- ويشمان، ستيف، يربيرت كروسني.

---- القنبلة النووية الإسلامية. الطبعة الأولى. ترجمة: محمد حمدي صاحب

التميمي. دمشق: دار الكتاب العربي، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.

- ويكس، جون.

---- رجال ضد الدبابات. الطبعة الثانية. ترجمة د.: المقدم ركن مصطفى

درويش . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٨م .

(ي)

- الياتي ، محمد محمود .
--- مكارم الأخلاق على ضوء الكتاب والسنة . الطبعة الأولى . الرياض : دار
المعراج الدولية للنشر ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- ياسين ، د . محمد نعيم .
--- افتراءات حول غايات الجهاد . الطبعة الأولى . الكويت : دار الأرقم للنشر
والتوزيع ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- الجهاد ، ميادينه وأساليبه . الطبعة الثالثة . عمّان : دار الفرقان ،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- يالجن ، أ . د . مقداد .
--- جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة . الطبعة الثانية .
الرياض : دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- جوانب التربية الإسلامية الأساسية . الطبعة الأولى . بيروت : مؤسسة دار
الريحاني للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ .
- علم الأخلاق الإسلامية . الطبعة الأولى . الرياض : دار عالم الكتب ،
١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- العوامل الفعالة في النظم التربوية وآثارها . الطبعة الأولى . الرياض : دار عالم
الكتب ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- يحيى ، د . جلال ، محمد نصر مهنا .
--- مشكلة القرن الإفريقي وقضية شعب الصومال . القاهرة : دار المعارف ،
١٩٨١م .
- يحيى ، د . محمد .
--- محنة الإسلام في إندونيسيا . الطبعة الأولى . ترجمة وإعداد : إسماعيل
صادق . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- يكن ، فتحي .
--- أبعديات التصور الحركي للعمل الإسلامي . الطبعة العاشرة . بيروت : مؤسسة
الرسالة ، ١٤١٣هـ .

---- ماذا يعني انتمائي للإسلام. الطبعة الثامنة عشر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم القاضي.

---- كتاب الخراج. موسوعة الخراج. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

- يونس، أ.د. عادل طه.

---- العالم الإسلامي اليوم، الاقتصاد، الموقع الجغرافي، السكان، التعداد، المشكلات. القاهرة: مكتبة ابن سينا.

ب: الدراسات والتقارير. الندوات والمؤتمرات.

- الأزهر، رسالة ألفها علماء الأزهر، بتكليف من وزارة الأوقاف في جمهورية مصر العربية.

---- منكرات الأفراح وآثارها السيئة على الفرد والدولة. حققها وقدم لها وعلق

حواشيها وأضاف إليها بعض البحوث: محمود مهدي الإستانبولي.

١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- الأمم المتحدة.

---- أقل البلدان نمواً، تقرير ١٩٩٣ - ١٩٩٤م. أعدته أمانة الأونكتاد. منشورات

الأمم المتحدة.

- البنك الإسلامي للتنمية.

---- التقرير السنوي، [١٤١٤هـ].

---- المؤشرات الاجتماعية، الاقتصادية الرئيسة في الدول الأعضاء في منظمة

المؤتمر الإسلامي، [١٢/١٤١٥هـ].

- بنك التنمية الإفريقي.

---- صندوق التنمية الإفريقي، التقرير السنوي [١٩٩١م].

- البنك الدولي.

---- تقرير عن التنمية في العالم [١٩٩٤م]. البنية الأساسية من أجل التنمية،

مؤشرات التنمية الدولية. الطبعة الأولى. مصر: مركز الأهرام للترجمة

والنشر، [٦/١٩٩٤م].

- دار الكاتب العربي، مركز الدراسات والأبحاث.
- الجزائر إلى أين. الطبعة الأولى. الرياض: دار الكاتب العربي ودار الشواف، ١٩٩٢م.
- دار المداد للنشر والتوزيع، قسم الدراسات والأبحاث.
- الخدم ضرورة أم ترف. دراسات تحليلية لظاهرة الخدم في المجتمع السعودي. الطبعة الأولى. الرياض: دار المداد للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ.
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول. الرياض: إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية.
- تقرير اجتماع الخبراء العرب لدراسة آثار إتفاقيات الجات على الاقتصادات العربية. القاهرة: ٤ - ٧/٧/١٩٩٤م.
- جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، صندوق النقد العربي منظمة الأقطار العربية المصدرة للبتروول.
- التقرير الاقتصادي العربي الموحد، [١٩٩٣م].
- التقرير الاقتصادي العربي الموحد، [١٩٩٤م].
- جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الخرطوم.
- الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية [١٢/١٩٩١م].
- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، الرياض.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. الطبعة الأولى. جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش. الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، المعهد العربي للتخطيط بالكويت، الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية.
- ندوة التنمية بين التخطيط والتنفيذ في الوطن العربي، ٢٥ - ٢٩/١٠/١٩٨٦م.
- صندوق النقد الدولي.
- آفاق الاقتصاد الدولي، مايو ١٩٩٤م.
- آفاق الاقتصاد الدولي، أكتوبر، ١٩٩٤م.
- آفاق الاقتصاد الدولي، مايو ١٩٩٥م.

- المجلس العربي للطفولة والتنمية، مركز التوثيق والمعلومات.
- التقرير الإحصائي السنوي لواقع الطفل العربي، ١٩٩٣م.
- مركز السياسات السياحية والاستراتيجية بالأهرام.
- التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٩٢م. القاهرة: ١٩٩٣م.
- التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٩٣م. القاهرة: ١٩٩٤م.
- مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، لندن. سلسلة الدراسات الاستراتيجية. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م.
- الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو.
- إسرائيل العقيدة العسكرية وشؤون التسلح.
- بعض مسائل الصراع العربي الإسرائيلي.
- التحالف الغربي والعلاقات الأطلسية.
- بعض المسائل الاقتصادية في الأقطار النامية.
- شؤون عربية..
- الوجود العسكري الغربي في الشرق الأوسط.
- المركز العالمي للكتاب الإسلامي.
- حاضر العالم الإسلامي. الكويت: المركز العالمي للكتاب الإسلامي.
- المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.
- أثر التقنية على المجتمع العربي، أبحاث الندوة العلمية الثامنة. والتي عقدت بمقر المركز في الفترة [١٧ - ١٩/١٠/١٤٠٤هـ]. الرياض: دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ١٤١٢هـ.
- المعهد العربي للتخطيط بالكويت.
- اجتماع خبراء حول سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية. الكويت، [١٩٨٥/١١/٢٥م].
- اجتماع خبراء حول العلاقة بين العمل والتعليم في البلاد العربية. الكويت: [١٩٨٢/٥/١٨ - ١٥م].
- ندوة التعليم والتنمية. الإسكندرية، ٢٩ - ٣٠/٤/١٩٧٨م.
- مكتب الآفاق المتحدة للاستشارات العلمية والتقنية.
- النظام الدولي الجديد وقضايا المنطقة العربية. الطبعة الأولى. مكتب الآفاق المتحدة للاستشارات العلمية والتقنية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- مكتب التربية العربي لدول الخليج .
- دليل مراكز البحث العلمي في دول الخليج العربي ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- المملكة العربية السعودية ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .
- التقرير السنوي : الثامن ، ١٤٠٥ / ١٤٠٦هـ .
- التقرير السنوي : العاشر ، ١٤٠٧ / ١٤٠٨هـ .
- التقرير السنوي : الحادي عشر ، ١٤٠٨ / ١٤٠٩هـ .
- التقرير السنوي : الثاني عشر ، ١٤٠٩ / ١٤١٠هـ .
- التقرير السنوي : الثالث عشر ، ١٤١٠ / ١٤١١هـ .
- التقرير السنوي : الرابع عشر ، ١٤١١ / ١٤١٢هـ .
- التقرير السنوي : الخامس عشر ، ١٤١٢ / ١٤١٣هـ .
- المملكة العربية السعودية ، وزارة الخارجية ، معهد الدراسات الدبلوماسية ، قسم
البحوث والدراسات .
- الكتاب السنوي ، ربيع الثاني ، ١٤٠٢هـ .
- المنتدى الإسلام .
- باكستان بعد ضياء الحق . الطبعة الأولى . ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- منظمة الصحة العالمية ، المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط .
- التقرير السنوي للمدير الإقليمي عن أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم
شرق البحر المتوسط ، ١٩٩٠م .
- التقرير السنوي للمدير الإقليمي عن أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم
شرق البحر المتوسط ، ١٩٩١م .
- منظمة العفو الدولية .
- تقرير منظمة العفو الدولية لعام ١٩٩٣م . الطبعة الأولى . لندن ، منظمة العفو
الدولية : قسم الإعلام والمنشورات ، ١٩٩٣م .
- تقرير منظمة العفو الدولية لعام ١٩٩٤م . الطبعة الأولى . لندن ، منظمة العفو
الدولية : قسم الإعلام والنشر ، ١٩٩٤م .
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي .
- من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر . الطبعة الثالثة . الرياض : الندوة العالمية
للشباب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ .

- وكالة الأنباء الإسلامية (أينا).

--- أحداث العالم الإسلامي، شؤونه، وقضاياها. مكتبة الناصر للنشر والتوزيع.
--- أحداث العالم الإسلامي شؤونه. وقضاياها. الرياض: مكتبة الناصر للنشر
والتوزيع، ١٤١٠هـ.

ج: وسائل الإعلام:

١ - المرئية:

- المملكة العربية السعودية.
--- تليفزيون المملكة العربية السعودية، القناة الأولى.

٢ - المسموعة:

- لندن.
--- إذاعة M.B.C. - إم، بي، سي -
- لندن.
--- هيئة الإذاعة البريطانية.
- مصر.
--- إذاعة القاهرة.

٣ - المقروءة:

أولاً - اليومية:

- الأهرام، جريدة. القاهرة: مؤسسة الأهرام.
- الأيام، جريدة. البحرين: مؤسسة الأيام للصحافة والنشر.
- البلاد، جريدة. جدة: شارع الصحافة.
- الجزيرة، جريدة. الرياض: مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.
- الحياة، جريدة. لندن: شركة الحياة الدولية للنشر.
- الرياض، جريدة. الرياض: مؤسسة الإمامة الصحفية.
- السياسة، جريدة. السعودية: مؤسسة السياسة للطباعة والصحافة والنشر.

- الشرق الأوسط، جريدة. لندن: الشركة السعودية للأبحاث والنشر.
 - العالم الإسلامي، جريدة. رابطة العالم الإسلامي.
 - عكاظ، جريدة. مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر.
 - القبس، جريدة. الكويت: شركة دار القبس للصحافة والطباعة والنشر.
 - المدينة المنورة، جريدة. جدة: مؤسسة المدينة للصحافة.
 - المسائية، جريدة. الرياض: مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.
 - المسلمون، جريدة. جدة: الشركة السعودية للأبحاث والنشر.
 - الندوة. جريدة. مكة المكرمة. مؤسسة مكة للطباعة والنشر.
 - اليوم، جريدة. الدمام: دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر.
- ثانياً: الأسبوعية، الشهرية، السنوية ونصف السنوية.
- الإصلاح، مجلة. الإمارات العربية المتحدة: دبي.
 - الاقتصاد الإسلامي، مجلة. دبي: قسم البحوث والدراسات الاقتصادية ببنك دبي الإسلامي.
 - الاقتصاد والأعمال، مجلة. بيروت: الشركة العربية للصحافة والنشر والإعلام - أبيكو ش.م.ل.
 - الأمة، مجلة. قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.
 - البيان، مجلة. لندن، المنتدى الإسلامي.
 - التعاون، مجلة: مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الشؤون الإعلامية بالأمانة العامة.
 - التوحيد، مجلة. القاهرة: جماعة أنصار السنة المحمدية.
 - الدعوة، مجلة. الرياض: مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية.
 - السياسة الدولية، مجلة. القاهرة: مؤسسة الأهرام.
 - عالم الاقتصاد. مجلة. قبرص، ليماسول: دار الدراسات الاقتصادية.
 - عالم الفكر، مجلة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
 - العربي، مجلة. الكويت: وزارة الإعلام.
 - المجتمع، مجلة. الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي.
 - المجلة، مجلة. لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة.

- مجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية . المملكة العربية السعودية : وزارة الدفاع والطيران ، كلية الملك عبد العزيز الحربية .
- المنار ، مجلة . مصر : إدارة مجلة المنار .
- الوسط ، مجلة . لندن : شركة الوسط المحدودة .
- اليمامة ، مجلة . الرياض : مؤسسة اليمامة الصحفية .

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
٧	المقدمة
١٩	تمهيد
٢١	المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات وتحديد المفاهيم
٢١	المطلب الأول: الجهاد
٢٣	المطلب الثاني: المجاهدون
٢٣	المطلب الثالث: التعويق
٢٤	المطلب الرابع: العصر الحاضر
٢٥	المطلب الخامس: المعنوية
٢٦	المطلب السادس: المادية
٢٧	المطلب السابع: القتال
٢٧	المطلب الثامن: الحرب
٢٩	المبحث الثاني: حقيقة الجهاد، ومشروعيته، وحكمتها
٢٩	المطلب الأول: حقيقة الجهاد
٢٩	الفرع الأول: التعريف
٣٠	الفرع الثاني: أنواع الجهاد
٤٩	الفرع الثالث: وسائل الجهاد
٥١	المطلب الثاني: مشروعية الجهاد
٥١	الفرع الأول: مكانته في الشريعة
٥٣	الفرع الثاني: حكم الجهاد
٥٩	الفرع الثالث: الجهاد والعصر الحاضر
٧٤	المطلب الثالث: حكمة مشروعية الجهاد
٧٥	الفرع الأول: السلام الذي يضمن للبشرية الأمن والاستقرار
٨٢	الفرع الثاني: موقف الطغاة من السلام الحقيقي

٨٧	الباب الأول: المعوقات المعنوية
٨٩	الفصل الأول: في المجال العقدي والفكري
٩١	المبحث الأول: الخلل العقدي
٩١	مدخل
٩٣	المطلب الأول: التعريف وأركان الإيمان
٩٣	الفرع الأول: التعريف
٩٥	الفرع الثاني: أركان الإيمان
١٠٢	المطلب الثاني: التحليل
١٣٤	المطلب الثالث: التقويم
١٤٣	المبحث الثاني: الوهن الروحي
١٤٣	مدخل
١٤٥	المطلب الأول: التعريف
١٤٨	المطلب الثاني: التحليل
١٦٠	المطلب الثالث: التقويم
١٦٨	المطلب الرابع: التطبيق العملي
١٧١	المبحث الثالث: الهزيمة النفسية
١٧٣	المطلب الأول: التعريف
١٧٤	المطلب الثاني: التحليل
١٨١	المطلب الثالث: التقويم
١٨٧	المطلب الرابع: التطبيق العملي
١٨٩	المبحث الرابع: الغزو الفكري
١٨٩	مدخل
١٩١	المطلب الأول: حقيقة الغزو الفكري وأهدافه
١٩١	الفرع الأول: الغزو الفكري
٢٠٣	الفرع الثاني: الأهداف
٢٠٨	المطلب الثاني: التحليل
٢٠٨	الفرع الأول: الوسائل والأساليب
٢٣١	الفرع الثاني: آثاره
٢٥٧	المطلب الثالث: التقويم
٢٥٩	المطلب الرابع: التطبيق العملي

٢٦١	الفصل الثاني: في المجال الاجتماعي والخلقي
٢٦٣	المبحث الأول: الترف والتفكك الاجتماعي
٢٦٣	المطلب الأول: الترف
٢٦٣	مدخل
٢٦٤	الفرع الأول: التعريف، والسمات
٢٦٧	الفرع الثاني: التحليل
٢٨٢	الفرع الثالث: التقويم
٢٨٩	الفرع الرابع: التطبيق العملي
٢٩١	المطلب الثاني: التفكك الاجتماعي
٢٩٢	الفرع الأول: التعريف
٢٩٣	الفرع الثاني: التحليل
٢٩٩	الفرع الثالث: التقويم
٣١٣	المبحث الثاني: الاختلاف والتفرق
٣١٣	مدخل
٣١٥	المطلب الأول: التعريف والأنواع
٣١٥	الفرع الأول: التعريف
٣١٨	الفرع الثاني: أنواع الاختلاف
٣٢٥	المطلب الثاني: التحليل
٣٢٥	الفرع الأول: مظاهر الخلاف والتفرق
٣٣٣	الفرع الثاني: أسباب الخلاف والتفرق
٣٥٠	الفرع الثالث: دور الأعداء في إحياء وبث بذور الفرقة بين المسلمين
٣٥٤	الفرع الرابع: آثار الخلاف والتفرق
٣٦٢	المطلب الثالث: التقويم
٣٦٢	الفرع الأول: أسس الوحدة الإسلامية
٣٦٩	الفرع الثاني: التزام أدب الاختلاف
٣٨٢	المطلب الرابع: التطبيق العملي
٣٨٩	المبحث الثالث: الفساد الخلقي
٣٨٩	مدخل
٣٩١	المطلب الأول: التعريف، والمعيار الخلقي
٣٩٦	المطلب الثاني: التحليل

٣٩٦	الفرع الأول: مظاهر الفساد الخلقي
٤١١	الفرع الثاني: وسائل الفساد الخلقي
٤١٩	الفرع الثالث: آثار الفساد الخلقي
٤٢٣	الفرع الرابع: دور الأعداء
٤٢٦	المطلب الثالث: التقويم
٤٢٦	مدخل: مكانة الأخلاق في الإسلام
٤٢٧	الفرع الأول: أصول الأخلاق
٤٣٥	الفرع الثاني: منهج الإسلام في ترسيخ الأخلاق
٤٤٠	الفرع الثالث: شمولية الأخلاق
٤٤٤	الفرع الرابع: دور الأخلاق في حياة المجتمع
٤٤٦	المطلب الرابع: التطبيق العملي
٤٤٩	الفصل الثالث: في المجال السياسي
٤٥١	مدخل
٤٥٣	المبحث الأول: الأنظمة الوضعية
٤٥٥	المطلب الأول: التعريف
٤٦٠	المطلب الثاني: التحليل
٤٦٠	الفرع الأول: مظاهر وضعية الأنظمة
٤٦٨	الفرع الثاني: آثار الأنظمة الوضعية
٤٧٤	المطلب الثالث: التقويم
٤٩٠	المطلب الرابع: التطبيق العملي
٤٩٣	المبحث الثاني: التبعية وبسط نفوذ الأعداء
٤٩٥	المطلب الأول: التعريف
٤٩٧	المطلب الثاني: التحليل
٤٩٧	الفرع الأول: مظاهر بسط النفوذ
٥٢٢	الفرع الثاني: الغاية من بسط النفوذ
٥٢٨	المطلب الثالث: التقويم
٥٢٨	الفرع الأول: أقسام الكفار داخل المجتمع الإسلامي
٥٣٦	الفرع الثاني: التعامل مع الكفار داخل المجتمع المسلم
٥٤٣	المطلب الرابع: التطبيق العملي
٥٤٩	المبحث الثالث: النظام العالمي الجديد

٥٥١	المطلب الأول: التحليل
٥٥١	الفرع الأول: مفهوم النظام العالمي الجديد
٥٥٢	الفرع الثاني: مظاهر النظام العالمي الجديد
٥٧٦	المطلب الثاني: التقويم
٥٩٥	الباب الثاني: المعوقات المادية
٥٩٧	الفصل الأول: في المجال الاقتصادي
٥٩٩	المبحث الأول: إهدار الثروات الإسلامية
٥٥٩	مدخل
٦٠١	المطلب الأول: التحليل
٦٠١	الفرع الأول: التعريف
٦٠٢	الفرع الثاني: ثروات العالم الإسلامي
٦١٤	الفرع الثالث: مظاهر إهدار الثروات
٦٤٢	المطلب الثاني: التقويم
٦٧١	المطلب الثالث: التطبيق العملي
٦٧٩	المبحث الثاني: الهيمنة الاقتصادية للأعداء
٦٧٩	مدخل
٦٨١	المطلب الأول: التحليل
٦٨١	الفرع الأول: مظاهر الهيمنة الاقتصادية
٧٠٤	الفرع الثاني: آثار الهيمنة
٧١١	المطلب الثاني: التقويم
٧١٩	الفصل الثاني: في مجال الإعداد والقوة
٧٢١	المبحث الأول: التخلف الصناعي
٧٢١	مدخل
٧٢٣	المطلب الأول: التحليل
٧٢٣	الفرع الأول: مفهوم التخلف الصناعي
٧٢٥	الفرع الثاني: مظاهر التخلف الصناعي
٧٣٣	الفرع الثالث: أسباب التخلف الصناعي
٧٤٥	المطلب الثاني: التقويم
٧٧٢	المطلب الثالث: التطبيق العملي

٧٨١	المبحث الثاني: الخلل في التدريب
٧٨٣	المطلب الأول: التحليل
٧٨٣	الفرع الأول: التعريف
٧٨٤	الفرع الثاني: مظاهر الخلل في التدريب
٧٩٦	المطلب الثاني: التقويم
٨٢٠	المطلب الثالث: التطبيق العملي
٨٢٣	المبحث الثالث: قوة الأعداء العسكرية
٨٢٥	المطلب الأول: التحليل
٨٤٧	المطلب الثاني:
٨٥٣	الفصل الثالث: في مجال التدخل والاحتلال
٨٥٥	مدخل
٨٥٧	المبحث الأول: التدخل
٨٥٩	المطلب الأول: التحليل
٨٥٩	الفرع الأول: التعريف
٨٦١	الفرع الثاني: مظاهر التدخل
٨٧٤	المطلب الثاني: التقويم
٨٧٧	المبحث الثاني: الاحتلال
٨٧٧	مدخل
٨٧٩	المطلب الأول: التحليل
٨٧٩	الفرع الأول: التعريف
٨٨٠	الفرع الثاني: مظاهر الاحتلال
٨٨٥	الفرع الثالث: وسائل وأساليب ترسيخ الاحتلال
٩٠٠	المطلب الثاني: التقويم
٩٠٢	المطلب الثالث: التطبيق العملي
٩٠٥	الخاتمة
٩١٣	الفهارس العامة
٩١٥	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٩٥٠	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

٩٦٤	فهرس الأبيات الشعرية
٩٦٥	فهرس الأعلام
٩٧٤	فهرس المصادر والمراجع
١٠٧٢	فهرس الموضوعات